



إيليا أبو ماضي

الأعمال الشعرية الكاملة

جمع الشعر وقدم له

د. عبد الكريم الأشتر



الناشيء

إيليا أبو ماضي
(الأعمال الشعرية الكاملة)

جمع الشعر وقدم له
د. عبد الكريم الأشتر

راجعہ الباحث بالمؤسسة
محمود إبراهيم البجالي

الصف والتفید
قسم الكمبيوتر في الأمانة العامة للمؤسسة
تصميم الفلاف
محمد عبد الوهاب

فهرسة مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

811.9566 الأشر، عبد الكريم.

إيليا أبو ماضي: حياته وشعره (الأعمال الشعرية الكاملة) جمع الشعر وضبطه وشرحه وقدم له
د. عبد الكريم الأشر. - ط1. - الكويت : مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع
الشعري، 2008.

1167 ص؛ 24 سم

ردمك: 8 - 55 - 72 - 99906 - 978

1 - الشعر العربي - دواوين وقصائد - لبنان - العصر الحديث.

2 - إيليا أبو ماضي - دواوين وقصائد. أ - العنوان

ردمك: 8 - 55 - 72 - 99906 - 978 ISBN :

رقم الإيداع : 2008 / 251 Depository Number :

حقوق الطبع محفوظة

هاتف: 2430514 فاكس: 2455039 (00965)

E-mail kw@albabtainprize.org

التصدير

رأى مجلس أمناء مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري أن يتم اختيار عدد من الشعراء الذين وردوا في «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين» لإعادة إصدار إبداعاتهم وإنجازاتهم الشعرية كاملة... فوق الاختيار على الشعراء عبدالغفار الأخرس (القرن التاسع عشر) من العراق، وإيليا أبي ماضي (الذي ولد عام ١٨٨٩ وتوفي عام ١٩٥٧) من الشعراء المهجريين، وصقر الشبيب (القرن العشرين) من الكويت ليمثلوا شعراء القرنين التاسع عشر والعشرين.

يُعد إيليا أبو ماضي من رواد الشعر المعاصر وهو أحد أعلام النهضة الأدبية العربية في المهجر، فلقد أبصر النور في وطنه لبنان حيث الطبيعة الساحرة الخلابة ونشأ في أحضان سهول وجبال بلدته «المحيطة» الجميلة، فألهمته التفكير والتأمل في الحياة وفلسفتها، ثم ارتحل يافعاً إلى مصر، وهناك التقى بالمتقنين اللبنانيين الذين لجأوا إلى مصر هرباً من بطش السلطة العثمانية، وفيها نشر قصائده في المجلات والصحف اللبنانية الصادرة في مصر، كما أصدر فيها أول دواوينه الشعرية «تذكار الماضي» عام ١٩١١، وبعد ذلك حطت به عصا الترحال في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تعرف هناك إلى عدد من المفكرين والشعراء في المهجر وأسس مع جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة ونسيب عريضة «الرابطة القلمية» التي ذاع صيتها ومن خلالها كانت له ولزملائه شهرة واسعة.

لقد كان لمنشأ أبي ماضي وترحاله وهجرته أكبر الأثر في إبداعه الشعري من حيث المبنى والمعنى، ولقد صقلته تجربة المهجر الطويلة، وأثر عليه الموطن الجديد الذي اختاره وشهد من خلاله أهم أحداث العالم وراقب منه ما يحدث في وطنه العربي

الكبير، واهتم أبوماضي في مجمل شعره بوطنه لبنان معبراً عن شوقه وحبّه، لكنه لم ينس قضايا أمته، فتفاعل معها في شعره فهاجم الاستعمار والاحتلال مهما كان مصدره، وظلّ في قصائده محافظاً على شوقيته وعرويته رغم حياته في الغرب وتأثره بمجريات الحياة فيه اجتماعياً وأدبياً.

عزيزي القارئ

يسر مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري أن تقدم لمحبّي هذا الشاعر الكبير كل ما وصلت إليه من أعماله الشعرية من دواوينه المعروفة («تذكار الماضي بجزئيه» و«الجداول» و«الخمائل» و«تبر وتراب») إضافة إلى ما لم تجمععه هذه الدواوين، وهي القصائد التي وردت في كتاب (إيليا أبوماضي - دراسات عنه وأشعاره المجهولة) للدكتور جورج ديمتري سليم، وبذلك فإن المؤسسة تقدم لأول مرة أعمال الشاعر كاملة في سفرٍ واحد، ويسعدني أن أقدم بالغ الشكر للأستاذ الدكتور عبدالكريم الأشتر الذي أعد هذا الكتاب ليكون متاحاً للجميع، والشكر موصول لكل من ساعد في إعداده ومراجعته.

والله ولي التوفيق...

عبدالعزیز سعود البابطين

الكويت في 7 شعبان 1429هـ

الموافق 7 أغسطس 2008م

إيليا أبو ماضي

حياته وشعره

(الأعمال الشعرية الكاملة)

« دراسة »

قدّم بها لمجموع شعره في دواوينه الستة

الدكتور عبد الكريم الأشر

الناشيء

إيليا أبوماضي.. حياته وشعره

الأعمال الشعر الكاملة

دراسة

(١)

لم تُؤلِّ الدراسات، التي تناولت شعر الشاعر المهجري إيليا أبي ماضي، الاهتمام الكافي بالجوانب المتساوية الحزينة، من حياته، وما خلفت من أثر في مواقفه وشعره، من الحياة وأحداثها، ومذاهبه في تصويرها وتفسيرها، ومواقفه من الأحياء ومسالكتهم التي اختاروها لأنفسهم فيها، في حدود تكوينه الخاص من ناحية، وظروف نشأته وأنوار نموه النفسي والفكري، في البيئات التي خالطها وخضع لملاساتها في الوطن والمهجر، من ناحية أخرى.

فتح الطفل إيليا عينيه في لبنان سنة ١٨٨٩ - وكان في نهاية القرن التاسع عشر، ما يزال جزءاً من سورية - في قرية اسمها (المحيثة)، من قرى المتن الشمالي فيه، قريبة من بكفيا، في سفح جبل صنيّ، غارقة في الخضرة، منتشية بجمال الطبيعة الممتدة من حولها.

ولكن يد السلطة العليا فيها، منذ سنة ١٩٠٧، كانت للسلطنة العثمانية التي كان المتصرف (يوسف باشا فرنكو) يمالئها، فيما يقول معاصرو تلك المرحلة.

كانت الأوضاع السياسية مضطربة، والدولة العثمانية على وشك الانهيار، حتى لقد اصطُلح، في معجم السياسة الدولية، على تسميتها بـ«الرجل المريض»، فكانت ترقب فيه نشاط العناصر المسيحية بخاصة، على اختلاف مذاهبها، بحذر بالغ، يفسر إعجاب أبناءها المستمر بثورة يوسف بك كرم الذي مثّل في أعينهم إرادة التحرر الوطني^(١).

(١) في شعر إيليا أبي ماضي نص يحيي فيه هذا «البطل» لحَنه أحد الموسيقيين من المهاجرين اللبنانيين في أمريكا، وجعل (١٩٢٥) منه نشيداً ينشدونه في بعض المناسبات (ما لم تجمعه الدواوين: النص ٣٧ «نشيد يوسف بك كرم»).

ففي هذه الظروف انفتح باب الهجرة إلى أمريكا التي كانت تستدعي إليها الراغبين في تأسيس حياة جديدة لأنفسهم، بعيداً من أوطانهم التي ضاقوا بأوضاعهم فيها، أو طمحوا إلى كسب فرص جديدة يجنون من خيراتها ما لم يتح لهم جنّيه في أوطانهم.

ولكن الهجرة إليها من لبنان كانت تحكمها رقابة صعبة، فلجأ فريق من أهله إلى جعل مصر مرحلة من مراحل الهجرة إلى أمريكا. ويبدو أن أسرة الصبي إيليا، الذي لم يجاوز الحادية عشرة (١٨٨٩-١٩٠٠)^(١). لم تكن ميسورة. وكان أحد أقربائه (عمه «نعوم») ينوي الرحيل إليها، فلم يجد الصبي ما يمنعه من صحبته. ثم إن أخاه (مراد) بكر الأسرة، كان قد سبقه إلى الهجرة^(٢)، وحلّ في أمريكا في مدينة سينسِناتي Cincinnati، من ولاية أوهايو، وزاول فيها مهنة تجارة السمانة.

ولسنا ندري، على التحقيق: هل كان الصبي، وهو في الإسكندرية، يتطلع إلى متابعة الهجرة إلى أمريكا، والالتحاق بأخيه فيها، فقد التحق به حقاً بعد أن جاوز العشرين (١٨٨٩- أواخر ١٩١١)^(٣). ولكنه خلّف، على الحالين، في الإسكندرية، مرحلة غنية من مراحل نشاطه، في ميدان السياسة والشعر، لا يمكن تجاوزها، ولا يسهل الفصل معها في الحكم على ما كان نواه.



نقف عند نهاية هذه المرحلة الأولى من هجرته، قبل أن يغادر الإسكندرية، نستخلص فيها حقائق نشأته: طفلاً في لبنان، وصبياً في الإسكندرية، وقد بلغ فيها مرحلة الشباب الأولى، قبل أن يتابع هجرته إلى العالم الجديد.

(١) تضطرب المراجع التي في أيدينا، في تحديد سنة ولادته في (الحديثة)، ابتداءً من سنة ١٨٨٤ إلى ١٨٩٠؛ ولكنها تجتمع، في آخر الأمر، على اعتماد سنة ١٨٨٩

(٢) يبدو أنه سبق إيليا في الرحيل إلى مصر (الإسكندرية) لأن إيليا، بعد أن عمل في بيع الدخان والسجائر في دكان أبي الياس بمينا البصل، ثم في دكان أخرى، انتقل إلى العمل معه في حي العطارين، بالإسكندرية.

(٣) بعض المراجع تجعل رحيله إلى أمريكا سنة ١٩١٢، إذ زار لبنان قبل رحيله إليها، فمكث فيه بضعة أشهر، وقف فيها إلى جانب المعارضة للمتصرف العثماني (يوسف باشا فرنكو)، هرب بعدها، وفي جعبته واحدة من قصائده السياسية (انظر الديوان الثاني «وداع وشكوى» النص ٩، وسنعود إليها من بعد).

كان الطفل - وقد نشأ في وسط يفيض بجمال الطبيعة وقوتها، في الجبال المكسوة بالأشجار - يتردد على مدرسة القرية الصغيرة، ويدّخر من غنى ما يطالعه، من حوله، صوراً أخصبت بها نفسه، وجد فيها - بعد أن استوى عوده، وأخذ يتمرس بالتعبير عما يحس، وهو في الإسكندرية - مشاهد حية من سحر الطبيعة وألوانها: زهراً وعطراً وندى وطيراً وجدولاً وخيراً.

يقول في ديوانه الأول (تذكار الماضي) الذي طبعه في الإسكندرية ١٩١١، من قصيدة بعنوان «قصيدة الطبيعة»^(١) التي نسجها على منوالٍ لا بدّ يحفظه، من «ديوان العرب»:

روضٌ إذا زُرَّتْهُ كُنُوبٌ
نَقَسَ عَنْ قَلْبِكَ الْكُروبُ
إذا بكاه الغمامُ شَقَّتْ
من الأسى، زهرُهُ الْجُيوبُ
وشَّاهُ قَطْرُ الندى فَأُضْحَى
رداؤُهُ مُعْلَمٌ أَقْشِيْبُ
فمن غصونٍ تَمِيسُ تِيْها
ومن زهورٍ تَضُوعُ طِيْبُ
ومن طيورٍ إذا تَغَنَّتْ
عاد المِغْنَى بِها طُروبُ
ونرجسٍ كالرقيق يرنو
وليس ما يفتضي رقيقُ
وأقْدَحُوانٍ يُرِيكَ دُرّاً
وجأ نَارُ حَى الْهَيْبُ
وجدولٍ لا يزال يجري
كأنه يفتفي مُرِيْبُ

(١) النص ٢٢

تَسْمَعُ طَوْرًا لَهُ خَرِيرًا
وتارةً في التُّرى دَبِيرًا
وكلُّ مَعْنَى بِهِ جَمِيلٌ
يُعَلِّمُ الشَّاعِرَ التَّسْيِبَا
أَرْضٌ إِذَا زَارَهَا غَرِيبٌ
أَصْبَحَ عَنْ أَرْضِهِ غَرِيبًا

ويقول، في المرحلة نفسها، يصف النيل، من قصيدة جعل عنوانها (يا نيل)^(١)، فافتتح وصفه على هذا النحو الفخم القوي الجزل:

فَتَمَّ جَلالٌ يَمَلَأُ النَفْسَ هَيْبَةً
وَتَمَّ جَمالٌ يَمَلَأُ الْعَيْنَ بَاهِرَةً
وَالْحَظُّ شَمْسَ الْأَقْقِ، وَهِيَ مُطَلَّةٌ
تَسَايِرُ فِيهِ ظِلُّهَا إِذْ تَسَايِرُهُ
إِذَا هِيَ الْقَتُّ فِي حَوَاشِيهِ نَوْرَهَا
رَأَى التَّيْرَ يَجْرِي فِي حَوَاشِيهِ نَاطِرُهُ
يَرُوحُ النِّسِيمُ الرُّطْبُ فِي جَنَابَاتِهِ
يَدَاعِبُهُ طَوْرًا، وَطَوْرًا يَحَاوِرُهُ
وَتَقْبِضُ مِنْ مَبْسُوطِهِ نَفْحَاتُهُ
كَمَا قَبِضَ الثَّوْبَ الْمَطْرَرُ نَاشِرُهُ
كَأَنِّي بِهَا سِفْرٌ تَدَانَتْ سَطَوْرُهُ
أَوَائِلُهُ قَدْ شُكِّلَتْ، وَأَوَاخِرُهُ

ومن هنا نجده، في دلالة مستمرة، يسمي ديوانه الثالث (الجداول)، وديوانه الرابع (الخمائل). ومن هنا أيضاً تتدخل الطبيعة في أغراض شعره، تعينه على تدفق خاطره الشعري فيه. فإذا بكى حجب الليل قمره، وإذا ضحك أضحك الدراري معه.

(١) النص ٥٢ من الديوان نفسه.

يقول يصف حال المحزون، في الديوان نفسه^(١).
وأعوزه على البلوى مُعينُ
وأعوز ليله القمرُ التمامُ
فضاقَ فؤاده بهم زرعاً
وضاق بهمَّه وبه الظلامُ
كأن نجومه أجفانُ باكٍ
كأن الليل صبُّ مستهام
وبالأقمار ما بي، فهني مثلي
تحاول أن تنام فلا تنام
كأنني قارئٌ والليل سِقْرُ
له بدءٌ وليس له اختتام

أعدى غرامي النجوم حتى
أسهرها من الدجى غرامي^(٢)

بدأ الفتى، وهو بعد في الإسكندرية، في أول تفتحه - كما تقول بعض أخباره الأولى -
يدرس قواعد النحو والصرف لنفسه، وفي بعض الكتاتيب القائمة في الإسكندرية يومذاك،
وأخذ يقرض الشعر، وقد تحركت له نفسه، بحكم تكوينه، قبل كل شيء، ينسج قصائده،
على مثال ما يقرأ من شعر العرب، كما رأينا، يلتزمه ويحاكيه، ويقف عند بعض قصائده
وأعلامه، في المواقف التي اختار أن يقفها، منحازاً، ضمن الحزب الوطني الذي يرأسه
مصطفى كامل، إلى الحركة الوطنية^(٣)، في ظل المقاومة التي أخذت تنشط، للاحتلال

(١) تذكّار الماضي: النص ٤٩، وسيأتي الكلام على نواوينه الأخرى من بعد.

(٢) النص ٣٢ (أنا إمام الذين هاموا).

(٣) من اللافت: وقوفه إلى جانب الحركة التعليمية فيه (سميت باسم: مدارس الشعب) والحركة العمالية. وفي شعره
ما يمثل لهذا التأييد ويجهر به بالرغم من ظهور خلافات جرائها، داخل الحزب.

الإنكليزي الذي أطبق على مصر منذ سنة ١٨٨٢، ورجاله وأتباعه، مهنتاً من يُفَرِّج عنه من رجالها (عبد العزيز جاويز)^(١)، ومرحّباً بمن يعود منهم من منفاه (محمد فريد)، وراثياً من يقضي من زعمائهم (مصطفى كامل)، إلى جانب رثائه رجال الفكر والإصلاح (الشيخ محمد عبده) والأدب (جرجي زيدان)، ومننداً بالسلطات العثمانية و«باستبدادها» بقومه، تنديداً ضارياً، معلناً شماتته بانكساراتها وهزائمها، محيياً خصومها، مشيداً ببطولاتهم، وبمن يرجع إلى الحق والدستور من رجالها^(٢).

وتقع، إلى جانبه، في الإسكندرية (١٩٠٩) فاجعة مبكرة: وفاة أخيه (طانيوس)^(٣)، مفتتحاً بمأساته مأساة أخويه الآخرين من بعد: واحدٍ إلى جانب أبي ماضي أيضاً، في مدينة سنسِنَاتِي، في المهجر الأميركي، سنة قدومه إليها من مصر (ديسمبر ١٩١٦)، منتحراً برصاصة أطلقها على نفسه، قبل أن يتجاوز العقد الثاني من عمره، وأخته (أوجيني- جيني) في لبنان، إثر ولادتها الأولى (١٩٢٣)^(٤)، فضلاً عن موت فريق من أهل زوجته (نوروثي نجيب دياب) في سن مبكرة.

وقد أُتِيحَ له، وهو بعدُ في هذه المرحلة من حياته في الإسكندرية، أن يصل صوتهُ إلى بعض صحف المهجر، فنُشرت فيها بعض قصائده التي كانت بعضُ الصحف المصرية تنشرها «اللواء» و«الهداية» و«الشعب» و«القلم»، وهي قصائد تحمل شكواه الاجتماعية أو السياسية، ضمّها، من بعد، إلى (تذكار الماضي)، وتشير إلى ما تحمل نفسه من هموم الغربة وأوجاع الأحداث التي تقع من حوله، في الوطن الذي غادره (لبنان) والوطن الذي يعيش فيه (مصر)، وتحمل شكواه من بعض الوقائع العامة، ومن المعاناة الذاتية التي تضطرب بها نفسه.

(١) نشر سنة ١٩٠٩ في جريدة اللواء (وهي جريدة الحزب) كلمة عنيفة، في ذكرى واقعة (دنشواي)، فحكم عليه بالسجن. اندفع أبو ماضي، مخالفاً نصيحة الكثيرين، فنشر في (اللواء) قصيدةً، هناك فيها بالإفراج عنه.

(٢) تراجع الأمثلة، في هذا كله، في ديوانيه: الأول (تذكار الماضي) والثاني (الجزء الثاني من ديوان إيليا أبي ماضي)، إذ لا فائدة في إيراد نماذج منها هنا، أو في تحديد نصوصها.

(٣) في (تذكار الماضي) قصيدة بعنوان «البر الأفل» يبيك فيها بكاءً مرّاً: النص ٣٧.

(٤) في المراجع، بين أيدينا، نبأ عن موت أخ آخر له، سمته (إبراهيم)، لم أجد تفصيلاً عنه.

يقول، مثلاً، من قصيدة تحمل عنوان «شكوى فتاة أرغمها نوحها على الاقتران برجل طاعن في السن»، فصور بلسانها عجزها عن الرضا بما كُتِبَ لها، وتطلعها إلى الحياة التي ترى نفسها أهلاً لها، حتى كأنه كان يحكي حكاية فرقة عن أهله، وما كان يتطلع إليه ويرى نفسه قادراً على تحقيقه، بموهبته التي أصبح يسعى أن يلفت إليها الناس:

زَعَمُوا أَنَّ الْغَوَانِي لُعَبٌ
إِنَّمَا اللَّعْبَةُ، طَبْعاً، لِلصَّبِيِّ
وَأَنَا مَازَلْتُ فِي شَرْخِ الصَّبَا
فَلَمَّاذَا قَرُطَ الْأَهْلُونَ بِي؟
لِي قَدْ وَجَمَّ مَالٌ يَزْدِرِي
ذَاكَ بِالْغُصْنِ، وَذَا بِالْكُوكَبِ
قَدْ جَرَى حُبُّ الْعَلَا مَجْرَى دَمِي
فَهِيَ سَوْلي، وَالْوَفَا مِنْ مَشْرَبِي
أَنَا، لَوْ يَعْلَمُ أَهْلِي، دَرَّةٌ
ظَلَمْتُ فِي الْبَيْعِ كَالْمُخْشَلَبِ^(١)

على هذا النحو، نحسب عمله في الحقل السياسي، ودفاعه عن مصر وحقوقها، ونشره شعره في صحفها، واتصاله برجالها^(٢)، موصولاً باختيار السبيل إلى تعريف المصريين به، وبموهبته التي أصبح، من بعد، يعتزُّ بها غاية الاعتزاز^(٣)، ويرفعها، أحياناً، فوق مستواها الإنساني^(٤).

(١) تذكُّار الماضي: النص ٥، والمخشَلَب: الخرن، والحجر المزيف المصنوع.
(٢) في أخباره، عن هذه المرحلة اهتمامه بقضية المرأة، وقضية الإصلاح الديني ورجاله (الشيخ محمد عبده) والدعوة إلى الدستور، والانتصار للواقفين في وجه تمديد الترخيص لشركة قناة السويس البريطانية، أربعين عاماً (على حين أيد أغلب الضيوف «الشوام» ضد الترخيص). ومن أخباره أيضاً، امتداحه ديواناً من الشعر كتبه علي الغاياتي، باسم (وطنيتي) صادرت سلطات الاحتلال البريطاني التي كان على رأسها المعتمد (سير الدون غورست). وفي شعر أبي ماضي ذكر له وتنديد به ما لم تجمعه النواوين: النص ٥٢ (مصر والاحتلال).
(٣) انظر الأبيات الأولى من قصيدته «١٩١٠» (من تذكُّار الماضي) والأبيات الأخيرة من النص ٤٤ «مريض بالغرور».
(٤) انظر النص رقم ٥١، «إنَّه الشاعر» (ما لم تجمعه النواوين ص ١١٢٥).

على أنه وصل، في نهاية هذه المرحلة، إلى أن أوصل صوته، عن طريق الصحف في الوطن والمهجر، إلى الناس من المحررين وأصحاب الصحف ومن يقرؤها، وأن يجد في نفسه القدرة على تكوين ديوانٍ من مجموع قصائده التي أجازها الرقيب، ودَّع به هذه المرحلة من حياته، وأدَّخِر في جعبته قصائد أخرى سياسية لم يُجَزَّ له الرقيب نشرها. وقال في آخر الديوان: إنه ينوي نشرها في «الجزء الثاني.. وإنَّ نشرها لقريب»^(١).

فهكذا نرى أن صوته الخاص، في هذه المرحلة، لم يكن غائباً عنها، كما توحى بعض الدراسات التي تناولت شعره فيها، وإن كان صوت الآخر هو الغالب عليه، في اختياره قوالب التعبير الفني لقصائده، على نحوٍ يذكِّرنا، ونحن نقرأها، بقصائد معينة لكبار شعرائنا القدامى.

ففي (تذكُّار الماضي) أصواتٌ يمكن أن نصل في تتبع أصداء مواقفها، إلى دواوينه الأخرى التي نشرها، في مراحل عمره التالية، مثل موقفه الشائع في شعره، من الإنسان وتعاليه على الطينة التي خلق منها^(٢):

قالوا: ترقى سليلُ الطين، قلت لهم:
الآن تم شقاء العالم الآن
إن الحديد إذا ما لَان صار مُدَى
فكنْ على حذرٍ منه إذا لانا
والمرء وحشٌ، ولكنْ حسنُ صورته
أنسى بلاياه مَنْ سمَّاه: إنسانا

وموقفه من قيمة الإنسان الروحية، وتقديمها على صورته الظاهرة: «فالسُرَّ في الأرواح»، كما صار يقول من بعد^(٣):

إذا كان حُسْنُ الوجه يُدعى فضيلةً
فإن جمالَ النفس أسمى وأفضلُ

(١) ملاحظة وردت في آخر ديوانه (تذكُّار الماضي) ص ٢٣١

(٢) تذكُّار الماضي: النص الأول (الإنسان والدين) وانظر فيه أيضاً النص رقم ٤٧ «الكبرياء خُلة الشيطان». ونعود إلى الوقوف عليه، من بعد.

(٣) النص ١٢ في (الديوان الثاني) ص ٢٩٦

وموقفه من رجال الدين الرهبان، في خطابه إلى لبنان وأهله^(١):
إِنَّ الْأَبَالِسَ حِينَ أَعْيَا أَمْرَكُمْ
جَاءَتْكُمْ فِي صُورَةِ الرُّهْبَانِ
فَحَذَرِ مَنْ أَنْ تُخْدَعُوا بِلِبَاسِهِمْ
فَهُمُ الضَّوَارِي فِي لِبَاسِ الضَّانِ
إِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ وَهُمْ غُفْرَانُهُ
أَثَرْتُ أَنْ أَبْقَى بِلاَ غُفْرَانِ
أَوْ كُنْتُ فِي النِّيرَانِ حَيْثُ لَدَيْهِمْ
مِنْهَا النِّجَاطُ، رَضِيتُ بِالنِّيرَانِ

فإذا رجعنا إلى النظر في اختيار أساليب التعبير، وصوغ الجمل فيها، طغى صوت الآخر، وبدأت تتوارد على الذاكرة أسماء كبار شعراء تراثنا الشعري (المتنبي، أبو العلاء، بشار، أبو نواس، وغيرهم) على نحوٍ يشعُرنا بمطالعات إيليا الجادة لدواوينهم، واختيار القصائد السائرة، من شعرهم، في جمهور المتأدبين^(٢)

والذي ننتهي إليه أن الشاب، في أولى مراحلهِ، كان يستكمل عدته، ويستعرض أسس ثقافته الشعرية، قبل أن يرتقي بها، من بعد انتقاله إلى العالم الجديد، وتأثره، في مراحلهِ المقبلة، بأجوائهِ، وانتظامه عضواً في (الرابطة القلمية)، والتقاءه بكبار أعضائها: جبران ونعيمة ورشيد أيوب ونسيب عريضة.

(١) انظر النص ٣٩ «في سبيل الإصلاح» (تذكّار الماضي)
(٢) نلاحظ من بعد، أن أبا ماضي تعدى، في مطالعاته، شعراء العصر العباسي، إلى شعراء العصور المتأخرة (العصر الأيوبي والملوكي، لحافاً بشعراء مرحلته الزمنية: شوقي وحافظ والبارودي والأخطل الصغير ويديوي الجبل). وربما كان تأثره بكل واحد منهم يحتاج إلى درس خاص، حتى في اقتباس بعض معانيه!

(٢)

ولكنه قطع شوطاً آخر، مهّد له الطريق، نجد معالمة المتقدمة في ديوانه الثاني الذي نشرته له، في نيويورك جريدة (مرآة الغرب اليومية) سنة ١٩١٩ . ففيه نستطلع المقدمات الحقيقية التي انتهى إليها في ديوانه الثالث (الجدول)، وشكّلت عالمة الشعري الرحب الذي دخل به تاريخ الشعر العربي من بابه الخاص، وأصبح معه معلماً متقدماً من معالم التجديد في حياتنا الأدبية.

ولهذه المعالم، من هذا الجانب وحده، في هذا الديوان (الثاني)، رضي جبران أن يقدم له بمقدمة حفظ لأبي ماضي فيها قدرته على تخطي عالم الحس، وقربه من مفهومه الخاص للشعر، بأسلوبه المجازي المعروف: «الشعر عاطفة تتشوق إلى القصي غير المعروف، وتجعله قريباً معروفاً، وفكرة تناجي غير المدرك، فتحوله إلى شيء ظاهر مفهوم... فالشعر يصعد إلى الملأ الأعلى على سلّم أقوى وأبقى من الجبال ! يصعد بعزم الروح ويتمسك بحبال غير منظورة... يتمسك بحبال الفكر، ويملا كئسه من عصير أرق من ندى الفجر، يملؤها من خمرة الخيال. والخيال هو الحادي الذي يسير أمام مواكب الحياة نحو الحق والروح... وإيليا أبو ماضي شاعر، وفي ديوانه سلالمة بين المنطق وغير المنطق، وحبال تربط مظاهر الحياة بخفاياها...».

وقد كان الفاصل الزمني بين الديوانين، الأول والثاني، ثماني سنوات (١٩١١-١٩١٩)، وهو عين الفاصل الزمني بين ديوانه الثاني وهذا ديوانه الثالث (الجدول: ١٩١٩ - ١٩٢٧).

فأما الفاصل الفكري والنفسي والفني بين هذين الديوانين (الأول والثاني) فأبعد كثيراً من هذا الفاصل الزمني، وكان لانتقاله إلى العالم الجديد، لاشك، والتقاءه بعض

أعضاء الرابطة أثر فيه، بالرغم من أن انتقاله من سنسِنَاتِي^(١) إلى نيويورك ١٩١٦^(٢) حين التقى بجبران ونعيمة وزملائهما، واختلط بهم، ثم في سنوات قليلة، قبل ظهور هذا الديوان، أعني قبل أن يعاد تشكيل الرابطة القلمية^(٣)، وتعلن عن برنامجها وتصدر مجموعتها سنة ١٩٢١

على أن الديوان الثاني اشتمل أيضاً على قصائد كان كتبها في الإسكندرية، ولم يتح له نشرها، لأسباب سياسية. وفيه، لاشك، قصيدة أو أكثر كتبها في زيارته لبنان، لبضعة أشهر، قبل أن يركب البحر إلى أمريكا، هارباً، على ما تقول بعض المراجع، من وجه السلطة العثمانية القائمة فيه آنذاك، بعد أن انضم إلى صفوف معارضيها^(٤). منها قصيدته التي سماها «وداع وشكوى»^(٥)، شكا النوى في أولها، ووصف موج البحر الهائج الذي أحاط بمركبه، حتى ظن الموت قريباً منه. ثم قال، كأنه يخاطبه من الحال التي نعرفها في لبنان اليوم:

نيويوركُ يابنت البحار، بنا اقصدي
فلعلنا في الغرب ننسى المشرقاً
وطنُ أردناه على حب العُلا
فأبى سوى أن يستكين إلى الشُّقا
أو كلما جاء الزمان بمُصلح
في أهله، قالوا طغى وتزندقا

(١) انضم في سنسِنَاتِي إلى أخيه (مراد) في عمله التجاري، ولم يصدر له شيء خلال عمله معه، إلا أن يكون ما نشر في بعض الصحف والمجلات.

(٢) دعي، في انتقاله، إلى الإشراف على مجلة تُصدرها مجموعة من الشباب الفلسطينيين باسم (المجلة العربية). ثم انتقل إلى العمل مع شكري بخّاش في المجلة التي كان يصدرها باسم (الفتاة)، إلى أن استقر أخيراً في العمل مع نجيب موسى دياب في جريدته (مرآة الغرب اليومية)، وفيها تم طبع ديوانه الثالث (الجدول) أيضاً.

(٣) ظهرت (الرابطة) في منتصف عام ١٩١٦، ثم أعيد تشكيلها من بعد، لإبعاد (نجيب موسى دياب) صاحب (مرآة الغرب) عنها.

(٤) (إيليا أبو ماضي، دراسات عنه وأشعاره المجهولة) لجورج بيمتري سليم، ص ١٧٧، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٧

(٥) النص ٩ (الديوان الثاني) ص ٢٧٩

هذا جزاءُ ذوي النُّهى في أمةٍ
أخذ الجمودُ على بنيتها مَوثِقاً
وطنٌ يضيق الحرَّ ذرعاً عندهُ
وتراه بالأحرار ذرعاً أضيقاً
شعبٌ كما شاء التخاذل والهوى
متفرقٌ، ويكاد أن يتمزقاً
لا يرتضي بينَ الإله موقفاً
بين القلوب، ويرتضيه مفرقاً
لم يعتقد بالعلم، وهو حقائقُ
لكنه اعتمد التمايم والرقي
وحكومة ما إن تزحزح أحماً
عن رأسها، حتى تولى أحماً
بيننا الأجانبُ يعبثون بها كما
عبث الصُّبا سحراً بأغصان النُّقا
(بغداد) في خطر، و(مصر) رهينةُ
وغداً تنال يدُ المطامع (جِلْقاً)!

ثم التفت يصف الحياة في مغتربه الجديد، في ردة الفعل لما وقع له في لبنان:
أصبحتُ حيثُ النفسُ لا تخشى أذىً
أبدأ، وحيثُ الفكرُ يغدو مُطلقاً
هذي هي «الدنيا الجديدة» فانظري
فيها ضياءَ العلم كيف تألقا
إني ضمّنتُ لك الحياةَ شهيدةً
في أهلها، والعيشَ أزهرَ مُونِقاً
نفسِي! اخُلدي ودعي الحنينَ فإنما
جهلُ بعيد اليوم أن نتشوقاً

وفي الديوان نصوص أخرى - نُشر بعضها في عدد (السائح) الممتاز التي كان عبد المسيح حداد يصدرها، وفي (الفنون) لنسيب عريضة - من نقاج هذه المرحلة التي سبقت مجيئه إلى نيويورك.

ثم تم، في آخر الأمر، انتقاله محرراً في جريدة (مرآة الغرب) أوائل سنة ١٩١٨، وتمت خطبته لابنة صاحبها «نجيب موسى دياب»: «دوروثي-دورا». لكن حادثاً آخر لاحقاً، وقع في السنة نفسها لأخت خطيبته (أولغا)، إذ دهمتها سيارة، في بروكلن، ذهبت بحياتها.

هذه جملة مقدمات هذا الديوان، توحى بأن كثيراً من قصائده كانت كتبت، كما أشرنا، في المرحلة الأولى من حياته، في الإسكندرية، وجعلته يسميه باسم (الجزء الثاني)، كأنه لاحق بالجزء الأول (تذكار الماضي).

وهذا إذن تفسير ما اتصفت به جملة قصائد هذا الديوان بما اتصفت به قصائد ديوانه الأول (تذكار الماضي)، من النزوع إلى تقليد الشعراء الكبار القدامى^(١): التمسك بالجزالة في الصياغة، والقوة في المطالع، وطغيان الحسية، والذهاب إلى النهايات في مواقف النفس مما تشاهده أو تعانيه: الكلف بالمبالغات، والتزام مذهبهم في الوصف والتصوير واختيار التشابيه، بما يعني، في آخر الأمر، اقترابه منهم، في موقفه من صورة الحياة والإنسان في أنفسهم.

ولعل ما نقلناه هنا، قبل قليل، من قصيدته (وداع وشكوى) يمثل لما نقول. فالأبيات فيها وحدات مستقلة، تنفرد بمعانيها. والتراكيب تقريرية ذات خط بياني واحد، تدل على تماثل الرؤية، وإملاء الأحكام إملاءً يجعل المتلقي يتلقاها بفتور. ثم إن الصورة التشبيهية الوحيدة في الأبيات مقحمة، أملاها التزام التقفية، بل هي لا تخلو من التنافر، فعبت الأجانب المزدول بوطنه لا يُسيغ الإحساسُ السليم تشبيهه «بعبت الصبا، المرغوب سحراً، بأغصان النقا»!

(١) الرجوع إلى كتاب (إيليا أبو ماضي بين التجديد والتقليد) لطالب زكي طالب، يزود الباحث بأمثله كافية، تمثل لهذا النزوع في شعر أبي ماضي وترده إلى المتنبي حيناً، وإلى أبي العلاء حيناً، وإلى آيات من القرآن الكريم حيناً.

ومن نصوص الديوان المنتقاة قصيدته «أنا وأخت المهابة والقمر»^(١) المصوغة على نحو يذكر المتلقي بقصيدة معروفة لبشار بن برد، إذ البناء في القصيدة واحد، والروح واحد، والموقف النفسي واحد. وقد اقتضى أن يتقارب فيها سياق المعاني والصور، وإن اختلفت المفردات.

وقصيدة «بلادي»^(٢) تفوح منها ريح خطابية وصياغات وأبنية تصلنا رأساً بالمناخ التقليدي في شعرنا القديم:

رويدك أيها الألاحى رويداً
لك الويلات، ليت سواك لاما
رجال الترك ما نبغي انتقاصاً
لعمركم، ولا نبغي انتقاما

وفيها ما يذكرنا بقصيدة عمرو بن كلثوم وأسلوب التفاخر فيه:

السنا نحن أكثرهم رجالاً
إذا غدوا، وأرفعهم مقاماً

وبالمعاني التقليدية، في مثل المواطن التي كانت تقال فيها:

وعلم المرء أن الموت أت
يهُونُ عنده الموت الزؤاما

(١) النص ٥ من الديوان الثاني.

(٢) النص ٢٢

(٣)

بعد سنتين من صدور الديوان الثاني (١٩١٩ - ١٩٢١)، أصدرت (الرابطة القلمية) مجموعتها الأولى، من نتاج أعضائها العاملين (وقد سمّتهم: «عمّالاً»)، وفيها خمس قصائد مختارة لأبي ماضي، ثلاث منها كانت صدرت في هذا الديوان الثاني «فلسفة الحياة» و«لم أجد أحداً» و«ابنة الفجر»^(١) واثنان تضمّنهما ديوانه الثالث الذي صدر بعد ست سنوات من صدور المجموعة (الجدول ١٩٢٧)، وهما: «المساء» و«نحن»^(٢).

يعدّ اختيار هذه القصائد في مجموعة الرابطة، بمثابة براءة انتساب إلى الحركة الأدبية الجديدة التي «تتخذ من الأدب رسولاً بين نفس الكاتب ونفس سواه، لا معرضاً للأزياء اللغوية، والبهرجة العروضية»، على حد ما جاء في مقدمة المجموعة التي صاغها مستشارها وأمين سرها ميخائيل نعيمة، «يرى القارئ من نفسه [فيه] ما كان خفياً عنه، وينطق بما كان لسانه عيياً عن النطق به، فيقترب من نفسه، ويقترب من العالم»^(٣).

ضمن هذه المقدمات صدرت مجموعة أبي ماضي الشعرية الثالثة، (الجدول)، بعد أن مضى على صدور المجموعة الثانية، ثماني سنوات (١٩١٩-١٩٢٧) كما ذكرنا، أمضاها أبو ماضي في أجواء أشاعتها قصائده المختارة التي أقبل القراء في الوطن العربي^(٤) على قراءتها، وطلبة المدارس على حفظها.

وقد اختلطت الأحداث السارة في حياته، خلال هذه السنوات، بالأحداث الحزينة، فأمدته كلتاهما بالزاد الوجداني والفكري، وبالحافز الفني، في تأمل الحياة وتفسيرها

(١) انظر فيه، على التتابع، للنصوص التالية: ١١ و ١٢ و ٧٩

(٢) النص ١٥ و ١٩ وقد صدر النص الثاني «نحن»، في (الجدول)، بعنوان مغاير «العميان».

(٣) مجموعة الرابطة القلمية ص ١٨

(٤) كانت المجلات والصحف في الوطن، تنقل نتاج المهجريين المختار إلى قرائها، على نحو ما كانت تُنقل في المهجر. وتقف (المفتطف) و(الهلال) في مقدمتها.

وتصوير معانيها وعبرها، والنفوذ إلى حقائقها، في ضوء ما حاق به وأتيح له معاً:

فقد ماتت خلالها (١٩٢١) حماته (كاترين) بالسرطان، في أول العقد الرابع من حياتها، ورزق بعدها بسنتين (١٩٢٣) بأول أولاده (ريتشارد). ولكنه أصيب بعدها، بأشهر قليلة، بموت أخته (أوجين) في لبنان، في ولادتها الأولى، كما أشرنا، ووصل والداه إلى نيويورك، بعد وفاتها بأشهر. ورزق، في السنة التالية (١٩٢٤)، ولده الثاني المعوق (إيوارد)، وصار خلالها وكيلاً لمجلة (المقتطف)، وخاض بعدها حرباً هجائية قاسية تعود إليها من بعد^(١).

وكان ديوان (الجدول) نتاج ما خلّفته هذه الوقائع وتأمّل الحياة في أضوائها المتعاقبة، ومع ما اكتسب خلالها من قدرات فنية جديدة أرهفتها حقائق الحياة، في المحيط الجديد، وما أشاعه الرابطيون فيه، وبتأثيره، من حقائق العمل الأدبي ومعانيه الجديدة عندهم. فابو ماضي، في هذا الديوان، طلق الفكر، طلق الإحساس، طلق العاطفة، طلق التعبير.



وامتد الزمن، بعد (الجدول)، ثلاثة عشر عاماً، غادر خلالها عمله في (مرآة الغرب)، بعد أن أمضى فيه أكثر من عشر سنوات (١٩١٨-١٩٢٨). ثم تقابعت الأحداث: ففي الأخبار: أن خلافاً مالياً شب بينه وبين حميه (صاحب: مرآة الغرب) استوجب، سنة ١٩٣٣، اللجوء إلى المحاكم^(٢). وفي الأخبار أن والده رجع إلى لبنان ١٩٢٨، بعد أن أمضى في أمريكا خمس سنوات، وخلّف زوجه (أم أبي ماضي: سلمى) فيها، حيث أمضت بقية حياتها! مما قد يعني أن خلافاً شديداً دب بين الزوجين، ماتا بعده، خلال هذه المدة، منفصلين (مات أبوه سنة ١٩٣١ وماتت أمه، بعد وفاة زوجها باثني عشر عاماً ١٩٤٣)!

وفي أخبار هذه المرحلة أيضاً ما يشير إلى مكان جبران من نفسه، فقد كان في اللجنة التي هيأت لحفل يوبيل جبران الفضي (١٩٢٩) في بروكلن - نيويورك. والخبر يعني

(١) نجد أثارها في الشعر الذي أغفله أبو ماضي وجورج صيدح، فلم يُجمع في النواوين (انظر: مالم تجمعه النواوين، النصّان المتتابعان: ٤٢ و ٤٣).

(٢) انظر كتاب جورج ديمتري سليم ص ١٨٠

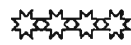
أن تأثره بفكر جبران ينبغي أن يردّ في تقويم نتاجه، مهما بدا محدوداً عند بعض دارسيه. على أن الحدث العريض، في هذه المرحلة، هو إنشائه مجلة (السمير)، وصدورها (١٩٢٩) نصف شهرية، قبل أن تتحول إلى جريدة يومية، بعد سبع سنوات من إنشائها (١٩٣٦)^(١).

ولكن أباه توفي في لبنان، في بلدته (المحيثة)، بعد إصدار (السمير) بسنتين (١٩٣١)، وأعلنت، بعد وفاته، بأقل من أسبوعين، وفاة جبران (١٠/٤/١٩٣١)، فخصصت (السمير) عدداً لذكراه. وتوفيت أخت زوجه (أولغا) في عقدها الثالث (١٩٣٢)، إثر عملية الزائدة المعوية. ولكنه رزق، في العام الذي تلا وفاتها (١٩٣٣)، بابنه (روبرت) ثالث أولاده.

خليط من الأحداث السارة والوقائع الحزينة، سنّة الحياة التي تُظِلُّ الناس جميعاً، ولكنها، في حياة أبي ماضي، تبدو، في الجملة، أشدّ كثافة وأكثر قتامة.

على أن الأخبار تتوارد أيضاً بتكريمه، في حفل خاص (١٩٣٥) رعته الجالية السورية. ويُطبع (الجدول)، في العالم العربي، من غير استئذان، في سورية والعراق، بما يفيد امتداد شهرته امتداداً لعل شاعراً آخر لم ينافس فيه.

ومع هذه المقدمات أيضاً صدر ديوانه (الرابع: الخمائل ١٩٤٠)، وطبع في مطابع جريدته (السمير)، وأقيمت له حفلة نشرت (السمير) الكلمات التي ألقى فيها. وتبع صدوره انتشار بعض قصائد (الجدول) على ألسنة كبار المطربين في العالم العربي: فقد غنى محمد عبد الوهاب (١٩٤٤) مقاطع من قصيدة (الطلاسم)، واختارت أسمهان، في العام نفسه، أجزاءً من قصيدة (المساء) لتغنيها، لحنها لها رياض السنباطي، ولكنها ماتت قبل تسجيلها^(٢).



(١) أدرجنا، في آخر هذه الدراسة، عدداً من صفحاتها المصورة، تنقل بعض ما كان يكتبه فيها أبو ماضي.

(٢) خطوط هذه الأخبار كلها، وكثير غيرها، استقيت من المصدر السابق. وحيثما أغفل ذكر المصدر، لوقائع من حياة أبي ماضي، فالمرجع فيها: كتاب جورج ديمتري سليم.

ثم عاد أبو ماضي فواجه، بعد صدور (الخمائل)، أيام الأحزان وأيام المسرة التي حفلت بها حياته كلها، على النمط المختلط نفسه: فقد توفيت والدته (سلمى) بعد صدور الديوان بثلاث سنوات (١٩٤٣)، وشارك في تأبين بعض أصدقائه، ودشن، في السنة نفسها، المبنى الجديد لجريدته (السمير)، وشارك أيضاً في بعض حفلات الزفاف، ورأس، في الوقت نفسه، حفلة أقيمت لتأبين زميله في (الرابعة) الشاعر الحمصي: نسيب عريضة، ورثى، زميله الحمصي الآخر: ندره حداد.

وأتيح له أن يزور وطنه لبنان في مؤتمر اليونسكو الذي عقد في بيروت (١٩٤٨)، مع صدور الطبعة الثانية، من ديوان (الخمائل) فيها، فزار (المحيثة) وأقيمت له حفلة تكريم في نادي مدرستها. وأذاعت الإذاعة مقتطفات من شعره كانت دعتة إلى تسجيلها. وصدر، في هذه الأوقات السارة، مرسوم بمنحه وسام الاستحقاق الفخري المذهب. وأقيمت حفلة علّق على صدره فيها وسام الأرز الوطني اللبناني، من مرتبة ضابط.

وزار سورية أول عام (١٩٤٩)، فأقيمت له في الجامعة السورية (جامعة دمشق) حفلة تكريم رعاها رئيس الجمهورية، وعلق على صدره فيها وسام الاستحقاق بدرجة ممتاز^(١).

ثم مضى ما يقرب من ثماني سنوات بعدها، أمضاها أبو ماضي في رعاية جريدته (السمير). ولكنه مرض في نهايتها. ولم يلبث أن توفي بالسكتة القلبية سنة ١٩٥٧، بعد أن باع مطابع الجريدة وتخلّى عنها، فأقيمت، في ذكراه، حفلات في سورية ولبنان ومصر والمهجر.



وكان قد ترك، في الصحف والمجلات، نصوصاً شعرية، قيل: إنه جمع بعضها، قبل وفاته، فنهض صديقه جورج صيدح باختيار ما يرضيه منها، وكون منها ديواناً سمّاه (تبر وتراب)، نشرته دار العلم للملايين في بيروت، في طبعته الأولى سنة ١٩٦٠، بعد عشرين

(١) كان كاتب هذه السطور في جملة من حضرها من طلبة الجامعة، ولكن القصيدة التي كتبها لهذه المناسبة لم يلقها هو، فألقاها بالنيابة عنه، وهو يسمعها، الشاعر سليم الزركلي. وربما خشي أن يبين في إلقائه أثر الغربة الطويلة التي كان أمضاها في المهجر (١٩١١-١٩٤٩).

سنةً من صدور (الخمائل)، وحوالي خمسين سنة من صدور ديوانه الأول، لم يحتجب ذكر أبي ماضي خلالها عن ضمير القراء العرب في الوطن والمهجر.

وقد ضم هذا الديوان الخامس تسعة وخمسين نصاً شعرياً لم تُضِفْ لأبي ماضي شيئاً لم يُقَلْ فيه قبل صدوره، أو شيئاً لم نصل إليه.

وأكثر نصوصه قيل في مناسبات محدّدة، بعضها ذو قيمة نفسية أو قيمة إنسانية ساطعة، مثل «وطن النجوم»^(١)، في مخاطبة وطنه (لبنان)، وقد رأى النجوم (في زيارته له ١٩٤٨) تتلأأ في سمائه، بعد أن غادر سماء أمريكا التي تحجبها الأضواء المصنوعة، ومثل «تحية الشام»^(٢) التي ألقى في دمشق (١٩٤٩) في حفلة التكريم التي أشرنا إليها، ومثل قصيدته «الشاعر والكأس»^(٣) التي تصوّر، حالاً من أحوال النفس، يرى صاحبها من حوله كل ما يتطلع إليه، ولكنه لا يعبأ به، كأنه لا يراه ولا يريده:

كالتمثيل حوله	من نحاس ومن رخام
لا اكتئاب ولا رضا	لا بكاء ولا ابتسام
فإذا الكون عنده	جدت كله رمام

ومثلها، في أغلبه، مقطوعات قصيرة. أما قصائد المناسبات فطويلة، ولكنها مصروفة إلى غاياتها التي كتبت من أجلها. وربما جاء فيها بما كان يشغله ويصرف همه إليه. ففي قصيدته «تلك السنون»^(٤) التي ألقاها في حفلة اليوبيل الفضي لجريدته «السمير» (١٩٥٤) وصف لما عانى في متابعة إصدارها:

إني أراني بعد ما كابدته
كالقُلْكَ خارجة من الأنواء
وكسائح بلغ المدينة بعدما
ضل الطريق وتاه في الببغاء

(١) النص ١ ص ٨٤٩.

(٢) النص ٢ ص ٨٥١.

(٣) النص ٣ ص ٨٥٦.

(٤) النص ٩ ص ٨٦٩.

وشكراً لمن عاونته في رفع شأنها، وتقديرُ لقيمة ما بذلوه في رَفدها. ثم انعطف بعدها
يقول، على عادته في خطاب من يسميهم «الأعداء» أو «الحساد»:

شكراً لأعدائي، فلو لا عيُّتهم
لم أدرِ أنهم من الغوغاء
نهش الأسى، لما ضحكتُ، قلوبهم
عرسُ المحبة مائتَم البغضاء
ننبي إلى الحساد أني فُتُّهم
وتركتهم يتعنَّرون ورائي

عفو المروءة والرجولة، إنني
أخطأت حين حسبتُهم نظرائي!

وفي الديوان، من مثل هذه المناسبات، عدد كبير، لحظه بعض الدارسين، فعدَّ الديوان
به خطوةً إلى الوراء: شغله الانصراف فيه إلى المناسبة، عن تأمل الحياة في معانيها
العميقة ومجاليها الطلاقة، واستجابة الفكر في تفسيرها وتصويرها وجلائها.

على أن هذا الحكم لا يصح، على إطلاقه، ففي الديوان قصائد كتبها أبو ماضي في بعض
المناسبات، فكانت المناسبة فيها فرصة أتاحت له الوصول إلى عالم جديد، أو فكرة مبدعة^(١).



ولو لم يندب جورج ديمتري سليم نفسه لجمع ما لم تجمعه الدواوين، من شعر أبي
ماضي، لبقى جانب منه مطوياً عنّا. صحيح أن الصورة، في جملتها، لن تتغير علينا،
ولكنها، في بعض أطرافها، لن تكتمل. ولن تكتمل صورة الحياة آنذاك، من جانبيها
الاجتماعي والثقافي، في أوساط المهاجرين العرب. يكفي أن نذكر أن مجموع ما جمعه في

(١) انظر قصيدته التي كتبها في قدوم أحد الأعياد «الغبطة فكرة» فأنتهى فيها إلى أننا قادرين على استجلاب
الإحساس بالغبطة عن طريق الفكر، باستنكار ما نحن فيه من نعمة الوجود والتمتع بقدرات الحواس وسلامتها -
(الخمائل) النص ٤٤ ص ٧٩٣ وسنقف أيضاً، من بعد، على قصيدته (إنه الشاعر) التي ألقاها في حفلة تكريم
زميله في (الرابعة)، الشاعر نسيب عريضة (ما لم تجمعه الدواوين: النص ٥١) وساقه الرد على أصحاب
«الكشاكيل» إلى صوغ مثاله (الغير المتنكر).

كتابه هذا يزيد على حُمس مجموع شعر أبي ماضي، وأنه يغطي أيام إقامته في الوطن (في مقامه في مصر ولبنان) وفي المهجر.

فقصيدته «مصر والاحتلال»، مثلاً، كتبها أيام إقامته في الإسكندرية (١٩١٠)، ولكنه لم ينشرها في ديوانه الأول الذي أصدره فيها، ونشرتها جريدة (الشعب)، وكانت تنطق بلسان الحزب الوطني الذي اتصل به أبو ماضي، كما علمنا، إلى حد الظن بانتسابه إليه^(١). ومثلها قصيدته في تهنئة الشيخ عبد العزيز جاويش بخروجه من السجن، وقصائد أخرى تتصل بالسلطة العثمانية ودستورها المعلن سنة ١٩٠٨، ويلزم أن تكون كلها مما كتبه أبو ماضي خلال إقامته في الإسكندرية، فهي تنتسب إلى الدور الأول من حياته، دور التقليد والمشى على خطا حافظ إبراهيم وأحمد شوقي والبارودي والأخطل الصغير وبدوي الجبل، وصوتهم فيها واضح تماماً.

ومثلها قصائد حنّ فيها إلى وطنه لبنان، وجرى فيها على بساط التقليد نفسه، مثل «نفثة مصدور» التي شكّا فيها من الأوضاع القائمة فيه:

ولا أدري وقد طال اغترابي

لمن أشكو وقد طال انفرادي

فيألهفي على لبنان يُمسي

وأهلوه على وشك الحِداد

يسوم الساكنيه الخسف غرّ

غويّ ضلّ عن نهج الرشاد^(٢)

وقصيدته (نجوى لبناني)^(٣) التي طلع فيها طلعة تقليدية خالصة! ودعا فيها قومه إلى النهوض:

(١) كتاب جورج ديمتري سليم ص ٩٦

(٢) يعني سياسة المتصرف (يوسف باشا فرنكو) الذي قيل: إنه كان يمالئ العثمانيين.

(٣) النص ٦ ص ١٠٠٩

لا الْغَيْدُ تُصْبِينِي وَلَا الْأَقْدَاخُ
 مَهْمَا تَغَالَى فِيهِمَا الْمُدَاخُ
 إِنِّي أَمْرٌ كَلِفٌ بِإِدْرَاكِ الْعِلَا
 دَأْبِي الْجَهَادُ وَغَايَتِي الْإِصْلَاحُ
 أَهْوَى بِلَادِي دَانِيَاً أَوْ نَائِيَاً
 أَعْلِيَّ فِي حُبِّ الْبِلَادِ جُنَاحُ؟
 ❖❖❖❖❖

وفي المجموعة، بعد هذه، قصائد تنسب إلى المهجر، هاجم فيها مَنْ سماهم (حاملي الكشاكيل)^(١) ممن يسعون إلى جمع المال باسم التبرعات الخيرة، وفيهم رجال كانوا يحملونها باسم الدين:

كَذَا الَّذِي طَافَ عَلَيْكُمْ يَسْتَدِرُّ الصَّدَقَةَ
 وَيَسْتَثِيرُ الدِّينَ فِيكُمْ وَهُوَ رَبُّ الزُّنْدَقَةِ
 فَمَا تَرَأَى شَيْخُكُمْ إِلَّا لِحِقَّةَ
 وَمَا رَأَى مَائِدَةً إِلَّا أُمَالَ عَنَقَةٍ

وفيه تفصيلات صغيرة من مجتمع المغتربين المتعلمين في المهجر. فعدا عمّن سماهم «أصحاب الكشاكيل»، أناس ندبوا أنفسهم للطعن على من تقدمهم، باتهامهم بالسرقة، أو بارتكاب الأخطاء في اللغة. وقد رد عليهم أبو ماضي، من قصيدة طويلة عنوانها (ماذا؟)^(٢).

تَبُّ النُّحَاةُ وَتَبُّ الْمُؤْمِنُونَ بِهِمْ
 أَهْلُ السُّخَافَاتِ وَالتَّضْلِيلِ وَالْكَذِبِ

(١) انظر النصبين ٨-٩ (ص ١٠١٥-١٠٢٠). والكشكول جعبة يحملها صاحبها ليجمع فيها ما يحصله من الآخرين..

(٢) النص ١٠ ص ١٠٢٤.

النحو والصرف والإعراب أجمعها

سفاسف لم تكن من قبل في العرب

وربما اتسعت أوقاتهم للتزلف أيضاً، وإنشاء المواقف الضاحكة، والغمز، عن طريقها، ممن أساء إليهم من أهلهم، أو من آلهم، على مثال قول أبي ماضي في أبياتٍ ملحقة بقصيدة وصف فيها كلبه^(١):

وَأَنْتَ يَا وَائِ عَمْرُو	حَتَّام تَتْبَعُ عَمْرُو
وَلَسْتَ تَجْلِبُ نَفْعاً	وَلَسْتَ تَدْفَعُ ضُرّاً
إِنَّ الْبَلَاءَ غَرٌّ	أَمْسَى يَنَاصِرُ غَرّاً
لَا تَعْذُلِ الشَّعْرَ إِمَّا	جَنَى عَلَيْكَ الْأَمْرَ
قَدْ كُنْتَ قَبْلَ الْقَوَاقِي	أَقْلُ عَقْلاً وَقَدْرًا

وقد يشتد أوار الخصام فيدخل حقل المهاجرة المرة. وهذا الذي دعا أبا ماضي، إلى ألا ينقل ما جاء في ربوده منها، في الدواوين التي أصدرها. وقال بعضهم: إنه كف عنها، وفضل أن تبقى حبيسة الصحف التي نشرتها، سماحاً منه لأصحابها، وترفعاً عن إيرادها في دواوينه. وتبعه، صديقُه جورج صيدح الذي جمع نصوص ديوانه الخامس (تبر وتراب)، فأغفلها.

قال مثلاً، من قصيدة عنوانها «أيا عجل اليهود»^(٢):

تَوَعَّدَنِي مَقْلَدٌ نِفْطَوِيهِ
كَمَا تَتَوَعَّدُ الْأُنْثَى الرَّجَالَا
وَيَعْلَمُ أَنَّهُ دُونِي مَقَاماً
وَلَكِنْ يَنْبِجُ الْكَلْبُ الْهَلَالَا

(١) النص ١١ ص ١٠٢٩ «حكاية»، والأبيات في ص ١٠٣٢

(٢) النص ١٢ ص ١٠٣٣

ويكذبُ آدمُ إمّا ادّعاءهُ
فإنّ الناسَ لا تلدُ البرّغالا

ويا لهفَ الصحافةِ يدّعيها
حمارٌ طالما ليسَ الجلالا

أتنهق والغضنفرُ قيدُ باع
وتحسّبه وما عاف القتالا
فأستُ بنايغِ الشعراءِ إن لم
أردّ عليكُ جُلكَ والسُّحالا^(١)

زعانفُ لست أرضاها مطايا
ولا أرضى رؤوسَهُمُ ذِعالا

وقد شُهر من خصومه شاعر كان يعمل في الصحافة (وأغلب الظن أنه هو من وجّه إليه قصيدته السابقة)، واسمه أسعد رستم. وقد ختم بالرد عليه أبياته التي عنوانها «دعّه ينبج»^(٢) بقوله:

قل لمن سبّه لئيمٌ كهذا
شعبٌ بل شاب وهو في اللؤم يسبحُ
عرّفِ الكلب أنه الكلبُ لنا
س، ودّعّه، من بعد ذلك، ينبجُ

ووجه إليه، في الرد على قصائد كان أسعد رستم نشرها في جريدة (الهدى)،

(١) الجلّ للدابة كالثوب للإنسان، والسحال: اللجام.

(٢) النص ٤٣ ص ١١١٤

(٣) النص ٤٢ ص ١١٠٩، وقد رد أسعد رستم عليها، من بعد، بقصيدة جعل عنوانها: «ها ها.. الدور لي»!

قصيدة بعنوان «إلى النابح العاوي»^(٣).

يا أيها النابحُ العاوي بلا سببٍ
أما لنفسيك ذودٌ فينهاها
إن كان غرك أن الحِلْمَ شيمتُنا
فربما خالفتُ نفسُ سجاياها

يا كلبَ سوقٍ ويا خنزيرَ مزيلةٍ
يا جيفةً ما تحامى الناسُ إلهَا
على الدروبِ كلابُ مالها عددُ
لا شك أنك أعداها وأغواها

إن السفالةَ لو تأوي إلى سكنٍ
كالخلق لم يكُ إلا أنتَ مأواها
أعيالك أن ترتقي حتى ترى بشراً
فصرت كالتيس نطاحاً وتياها



على أن في المجموعة طائفة أخرى من القصائد التي غنى فيها أبو ماضي جمالات الطبيعة، وجعل منها أمثلة للعطاء السخي المكتوم، مثل «الجدول الطروب»^(١)، وإطاراً لتكريم بعض النابحين من الشعراء من أصحابه، وسما بهم، في قدرتهم على الافتتان بجمال الطبيعة، إلى أن جعلهم من نسل الآلهة^(٢).

وطائفة أخرى من قصائد المناسبات (رثاء، خطبة، عرس، توديع، تعميق، امتداح).

(١) النص ٤ ص ١١١٦

(٢) النص ٥١ ص ١١٢٥ من قصيدته: «إنه الشاعر»، ونعود إليه بعد: انظر ص ٥١ - ٥٣ من هذه الدراسة.

(٣) النص ٤٧ ص ١١١٨ من قصيدته «يا ليتني»!

وطائفة من أبيات الغزل الرقيق^(٣)، تبو العودة فيه، إلى شعراء الغزل العرب لا معنى لها،
فقوة الانفعال في موقفٍ مثله يمسّ القلب، تظهر الطبيعة فيه ناطقة:

إذا أطلَّ البدرُ من خِدرِه
فإنما يطلُّ كي تنظريه
وإن شدا البلبلُ في وكْرِه
فإنما يشدو لكي تسمعيه
وإن يَفُحْ عطرُ زهورِ الربا
فإنما يعبقُ كي تنشقيهِ
يا ليتني البدرُ الذي تنظرين!
يا ليتني الطيرُ الذي تسمعين!
يا ليتني العطرُ الذي تنشقين
أواه لو تصدق «يا ليتني»!

فقد حول الطبيعة وكائناتها إلى توابع لمن يحب، وحشد لها أجمل ما فيها نوراً
وشدواً وعطراً، ونوع في إيقاع الجمل والمفردات والقوافي استجابة لغنى الإيقاع النفسي.

ومثلها مقطوعته التي نهج فيها النهج نفسه^(١):

لَمَّا رأيتُ الوردَ في خديكِ
وشقائق النعمانِ في شفتيكِ
ونشقتُ من قوديكِ نداءً عاطراً
لما مشيت كفاكِ في قوديكِ
ورأيتُ رأسك بالأقحاح متوجاً
والقل طاقاتٍ على نهديكِ
أيقنتُ أنكِ جنّةُ خلابةٍ
فحننتُ، من بعد المشيب إليكِ

(١) الخمائل: النص ٣٠ (يا جنتي).

ولذاك قد صيرتُ قلبي نَحْلَةً
يا جنّتي، كيما يحوم عليكِ
روحي فداؤك، إنها لو لم تكن
في راحتك هوتُ على قدميكِ!

لكنه هنا مشى على خطوات شعراء مرحلته في الوطن، الأخطل الصغير، مثلاً، فإن
صوته يتردد فيها. ولكنه احتفظ لها بالطعم الذاتي، في إشارته إلى المشيب مع الحنين.

وطائفة من شعر المواقف السياسية والوطنية التي اعتاد أبو ماضي أن يقفها في
أدوار حياته كلّها، منذ أيامه في الإسكندرية، مثل «توديع رستم بك: السفير العثماني في
واشنطن»، و«عيد الحرية العثماني»، و«النكبة في سورية»^(١) وغيرها.

وطائفة تصور جلسات السمر في مجالسهم وبيوتهم، وهي المجالس التي كانوا
يتبادلون فيها شعراً خفيفاً يجري على نغمة «انقر يا دف على الطارة»^(٢).

(١) (ما لم تجمعه الدواوين) النص ١٤ ص ١٠٤٣ والنص ٤ ص ١٠٠١ والنص ٢٥ ص ١٠٧٦، على التتابع.

(٢) (ما لم تجمعه الدواوين) النص ١٦ ص ٢٧ والنص ٢٦ ص ١٠٥٠.

(٤)

على أن السؤال الكبير الذي يلزم أن تطرحه هذه الدراسة هو: بم اكتسب شعر أبي ماضي مكانته في حياتنا الأدبية؟ ما هي خصائصه وصفاته الأولى؟ وما الجديد الذي جاء به؟ وما الذي أضافته إليه الإقامة في المهجر؟

للإجابة عن هذا السؤال الذي يجمع ما كنا أشرنا إليه في الفقر السابقة، نعود إلى المرحلة التي تخطاها أبو ماضي بسرعة، وهي مرحلة التمرس والتقليد والمران التي يمثل لها أكثر ما أورده في ديوانه الأول (تذكار الماضي) وكثير مما أورده في ديوانه الثاني.

ففي هذه المرحلة يطغى، كما كنا أشرنا من قبل، صوت تراثنا الشعري، بسماته الكبرى: جهازة الصياغة، وحسية الصورة، والكلف بالمبالغة، على صوت أبي ماضي الخاص. ولكن هذا ينبغي ألا يذهب ببوارد توحى بالقدرة على النماء والتفتح. منها الميل إلى القص والاسترسال العفوي في الحوار:

سفرت فقلت لها: أهذا كوكب؟

قالت: أجل! وأين مني الكوكب؟

وتبسمتُ فرأيتُ رثماً ضاحكاً

عن لؤلؤ، لكنه لا يُوهب

وتمايلتُ فالسمهريُّ مصمّمٌ

ورثتُ، فأبصرتُ السهامَ تصوبُ

قد كُلمتُ قلبي، ولم ترقُ به

واللحظُ، لو درتِ المليحةُ، مِخلَبُ^(١)



(١) تذكار الماضي: النص ٣١، من قصيدته، «الحسن لا يُشرى ولا يُستجلب» ص ١٦٩

وقائلة ماذا لقيت من الحب؟
فقلت: الردى والخوف في البعد والقرب
فقلت: عهدت الحب يكسب ربه
شمائل غراً لاثنال بلا حب
فقلت لها: قد كان حباً، فزاده
نفورُ المها «راء» فأمسيتُ في «حرب»
لقد كان لي قلب وكنت بلا هوى
فلما عرفتُ الحب صرتُ بلا قلب^(١)

ومنها: سهولة النظم ويسر خاطر عليه، حتى كأن اختيار الوحدات اللغوية وبناءها
يتمان دون جهد، وهي صفة يدركها قارئ شعره على الفور، وهي وإن لم تخلُ من
إحساسه بضعف شحنها بانفعال كاتبها، تقربه، في الوقت نفسه، من الإحساس بامتلاء
خاطره بها، بحكم التكوين. وإنما يكون الاكتساب لإغناء الأداة وصقلها والتمرس بها،
وشحن خاطر الرؤى.

ومنها التلاعب بموسيقا الشعر، مستوحياً تلاعب الوشّاحين القدامى بها، على
الصورة التي تطالعنا في قصيدته «طبيبي الخاص»^(٢)، وقد جعلها في مقاطع^(٣): يشتمل
كل مقطع منها على أربعة أبيات، والرابع فيها يجيء على الروي الذي صاغه في البيت
الأول وأفرده في مطلع النص^(٤)، مع انتهاء صدور الأبيات، في كل مقطع، بروي واحد:

بتُ أرعى في الظلام الأنجُما
ليس للعشاق حظ في الكرى
~~~~~

(١) المصدر نفسه: النص ٢٥ ص ١٥٢ من قصيدة «بلا قلب».

(٢) تذكّار الماضي النص ٢٩ ص ١٦٠

(٣) يسميها الوشّاحون: الأبيات.

(٤) هو المطالع في الموشح أيضاً، ثم هو القفل من بعد.

صرعتني نظرة حتى لقد  
كدت أن أحسد من لا يبصر  
نظرة قد أورثت قلبي كمد  
ما بلاء القلب إلا النظر  
لا رعاك الله يا يوم الأحد  
لا ولا حيّاك عني المطر  
أنت من أطلعت هاتيك الدمي  
سافرات فتنة للشعرا

والنص طويل يمتدّ فيه النفس على أربعة عشر مقطعاً، على النحو الذي نراه. وقد  
أنهاه بهذا المقطع:

وجعلنا بعد أن طال العناق  
نتناجى بأحاديث القلوب  
بينما نحن على هذا الوفاق  
قُرِعَ الباب فأوشكنا نذوب  
فأشارت لي: قد حان الفراق  
فانقطعنا وارتدت ثوب الطبيب  
أقبل القوم فقالت: كل ما  
كان يشكو منه، عنه قد سرى!



فأما في (ديوانه الثاني) فتبدأ تتجلى، في بعض نصوصه، حركة الفكر، والنزوع إلى  
التفلسف، وتناول موضوعات متصلة بمعنى الحياة، وتأمل مكان الإنسان منه، وكيف ينبغي  
أن يفهمه ويرعاه في مسلكه الذي يلزم أن يختاره بمقتضاه. ويقرب أن يكون (للمرابطة)  
ورجالها، - وقد ظهرت، كما أشرنا، سنة ١٩١٦ في الوقت الذي غادر فيه أبو ماضي  
سِنْسِنَاتِي إلى نيويورك، بعد أن خالطهم طوال هذه السنوات الثلاث التي سبقت صدور

الديوان - أثر في التفاته إليها. وهو، في ظني، ما جعل جبران يقدم له على هذا النحو الذي وقفنا عنده من قبل، وجعل نعيمة يقدم للديوان الثالث (الجدول) من بعد.

وكنْتُ سمعت من نعيمة - في الحوار الطويل الذي أجرته معه سنة ١٩٥٨ - ما يذهب هذا المذهب<sup>(١)</sup>. وقد أعاد نعيمة يومها الفضل فيه إليه، ونسب إليه المنحى الذي نجاه أبو ماضي في شعره، من بعد، صفة «التجديد»<sup>(٢)</sup>.

والحق أن استعداد أبي ماضي للذهاب في شعره مذهب المفكرين والمتفلسفين يكاد أن يكون نزعة من نزعاته المفطورة، فهو، بحكم التكوين، لا ينقطع عن التأمل والتفكر في مظاهر الحياة والطبيعة ومكان الإنسان منها. وقد بدا هذا النزوع في شعره منذ بدأ تفتحه في الإسكندرية.

ثم إن صبيّاً تضطّره الحياة إلى مفارقة أبويه والهجرة إلى أرض جديدة يمارس فيها عملاً يقعده في بعض الحوانيت، يرقب منه الوقائع والأحداث، ويستقبل ما تنتهي إليه بعد أن بدأ يعي معانيها ويتتبع أثرها في الواقع القائم من حوله، ويجد نفسه، من بعد، على الدوام، عرضة للمصائب المقيمة والوافدة: موت أخوته الثلاثة واحداً إثر واحد، وبينهم المنتحر، إضافة إلى موت أخته وهي تضع مولودها، الأول، ووضع زوجه مولودها الثاني (ادوار) مريضاً معوقاً حياته كلها<sup>(٣)</sup>، يطالع إيليا وجهه صباح مساء، لا بدّ أن تجتذبه إلى التفكير وتوسّع من مساحته في العقل.

وما نستطيع أن ننكر، مع هذا، أن تأثره بجبران ونعيمة ونسيب عريضة، بعد هجرته إليهم، عمّق فيه هذا النزوع إلى التأمل في آفاق الحياة، وفي مجالي الطبيعة الساحرة التي نشأ في أحضانها، في سفوح جبل صنّين بلبنان، والتفكير في معنى الوجود وغايته، حتى جعل منه، في النهاية، مذهب الأول في شعره، وهو المذهب الذي وقف عنده دارسوه، ووجدوا فيه مزيته الكبرى، وأعادوا إليه فتح صفحة التجديد في الشعر العربي الحديث.

---

(١) ينكر مراد أبو ماضي، أخو الشاعر، تأثر أبي ماضي بنعيمة، بحجة اختلاف الدربين والنزعتين، يؤيده في إنكاره صديق أبي ماضي: جورج صيدح (أوراق مهجّرة - رسائل جورج صيدح إلى الكاتب، ص ١١٩ - ١٢١).

(٢) المرجع نفسه ص ٧٨

(٣) كتاب جورج ديمتري سليم - انظر فيه خلاصة لوقائع حياة أبي ماضي ص ١٧٦ وما بعدها

ولعل قصيدته المشهورة، التي سماها (فلسفة الحياة)<sup>(١)</sup>، تمثل الطلعة الأولى لذهابه هذا المذهب الذي لامس قضايا الإنسان الكبرى، وتولى فحص نظراته إلى الوجود، وكيف ينبغي أن يجعل موقفه منه. وقد كان يمكن، بعد هذه الوقائع التي ذكرناها في حياته، أن ينكفى إلى عالمه الداخلي، أو يسرح فيما وراء الحس. ولكنه حاول أن يرجع إلى عقله وإدراكه في فهمها، ويسعى وراء المعرفة عن طريق العقل لا عن طريق الحدس، ويفلسف ما يهديه إليه تأمله في الطبيعة التي تحتويها، فوقع على أسلوب في مخادعة النفس، لفتها عن الرسوف في الإحساس بالعجز عن كشف أسرار الوجود، انتهى معه إلى التمثل بالكائنات الأخرى من حولها، وسلوك مسلكها في تقبل الحياة والعمل على اختطاف حالات التمتع المباشر بما تعرض الطبيعة من صور الجمال في ألوانها ومشاهدها، متناسياً عن قصد وتصميم، ما ستصير إليه بعد وقت قصير، وملاحظة ما يفرق بينه وبين كائناتها الأخرى من الوعي والإدراك، يغفلهما في حرارة رغبته في إحكام الخديعة، والتستر على حقائق العملية الأولى:

أَحْكُمُ النَّاسَ فِي الْحَيَاةِ أَنْاسُ  
عَلَّوْهَا فَأَحْسَنُوا التَّعْلِيلَا  
فَتَمَتَّعْ بِالصَّبِيحِ مَا دَمَتْ فِيهِ  
لَا تَخَفْ أَنْ يَزُولَ حَتَّى يَزُولَا  
وَإِذَا مَــــا أَظْلَ رَأْسَكَ هُمُ  
قَصَّبِ الْبَحْثِ فِيهِ كَيْ لَا يَطُولَا  
أَدْرَكْتُ كُنْهَهَا طَيُورُ الرِّوَابِي  
فَمَنْ الْعَارُ أَنْ تَظْلُ جَهُولَا  
تَتَفَنَّى وَقَدْ مَلَكَ الْجَوُ  
عَلَيْهَا، وَالصَّائِدُونَ السُّبُلَا  
فَاطْلُبِ اللّهُو مَثَلَمَا تَطْلُبِ الْأَطْيَارُ،  
عِنْدَ الْهَجِيرِ، ظِلًّا ظَلِيلَا

(١) الديوان الثاني: النص ٢ ص ٢٥٥



ولكنه، في هذا كله، لم يستطع آخر الأمر أن يبرح إحساسه بالعجز عن الوصول إلى  
الطمأنينة المبتغاة، وإسكات الصوت العميق المنبعث من الأعماق:  
لا خلودٌ تحت السماءِ لحيٍّ  
فلماذا تُراود المستحيلاً؟

فالواضح أن أبا ماضي يطلب أن يغمض الإنسان عينيه عن مسألة الموت ويتجاهلها.  
الدواء عنده أن يتناسى الإنسان سيف القدر المسلط! فكيف يتهياً للإنسان هذا النسيان؟  
كيف يتهياً له أن يكفُّ عقله عن السؤال وقلبه عن الإحساس بالمسألة المنتظرة؟ أو ليس  
السعي إلى معرفة الجواب هو منشأ الفلسفات والأديان؟.

إنَّ ما يطلبه أبو ماضي من إشاعة التفاؤل في الناس، والنظر إلى الوجود من وجهه  
الباسم، لا يكون إلا مع الإيمان بجدوى الحياة، ومعايشة الموت بصفته وجه الحياة الآخر  
الذي تتم به نورتها.... فحينذاك قد تكتسب أبياته معناها المقنع، وينتفي التفاؤل الكاذب  
الذي تستريح إليه البهائم والأشياء وحدها، ويصبح لليل وللرياح السُّموم التي تسفي  
التراب معناها في جدلية الوجود والعدم، ويقع بيته الأخير في القصيدة موقعه الصحيح،  
إذ يجعل الجمال ينبع من داخل النفس المطمئنة:

أي هذا الشاكي وما بك داءٌ

كن جميلاً ترَ الوجودَ جميلاً<sup>(١)</sup>

على أنه استقلّ، وحده، بإعلانه العجز الصريح عن الوصول إلى الطمأنينة المطلقة،  
فجعله الإقرار ببؤس أقرب إلى الحقائق الإنسانية، وأدْخَلَ إلى حدود قدراتها. وجعل شعره  
قريباً من فهم القارئ العربي، إلى اليوم، وزاده قريباً من وضوح مقاصد شعره.

وما قلناه، حتى الآن، يثبت أن انصراف أبي ماضي إلى جلاء هذه المعاني في  
شعره، ونحوه فيها المنحى التأملّي الفلسفي، ومحوره: الخروج إلى الطبيعة الحية، وخلط  
النفس بها لتفكيك الكآبة عنها، والتماس العزاء في الاستكانة إلى اليأس من قدرة العقل

---

(١) انظر كتابنا (في ديوان العرب - أحاديث في الشعر والشعراء، من عصر الجاهلية إلى العصر الحديث) الجزء  
الثالث ص ٢٢٦

على فهم كنه الوجود، وفي التمثل بكائنات الطبيعة الأخرى<sup>(١)</sup>، قائم أساسه في النفس، أعانت، على تفتيحه وتقويته، عوامل متعددة استقوى أثرها، من بعد، في وقائع حياته العميقة الأثر من ناحية، وتأثره، في اتباع منهجه فيه، ببعض زملائه الذاهبين إلى ما وراء الحس، من أعضاء الرابطة، وفي رأسهم جبران ونعيمة من ناحية، وحياته في المجتمع الأميركي الجديد المنصرف، في ثقافته العامة يومذاك، إلى هذه الآفاق التي ورثوها عن كتّابهم وأدبائهم المعروفين بانتحاءهم هذا المنحى في أدبهم (ويتمان، وإمرسون، وثورو)<sup>(٢)</sup>.

كانت هذه صورة ما حاط بالديوان الثاني، وما استقبل به في العالم العربي، فقد أقبل تلامذة المدارس على حفظ (فلسفة الحياة) في استظهاراتهم، وتناشدها الناس في محافلهم وندواتهم. لقد كانت على رأس محفوظاتنا، في الثلاثينيات من القرن الماضي. هذا ولم يمض على أبي ماضي في مغتربه الجديد زمن طويل (١٩١١ - ١٩١٩) أضيفت إليه ثماني سنوات أخرى (١٩١٩ - ١٩٢٧)، قبل أن يصدر ديوانه الثالث، وفيه قصيدته التي أوشكت أن تتحول إلى «ملحمة نفسية» اختار لها عنواناً ذا رنين يرن في أسماعهم (الطلاس)، وختم مقاطعها بقرار واحد (لست أدري)، وشبح نفسه فيها على حيطان الوجود، حائراً، ملتاعاً، مغمض العينين، يكاد يجهل من لغز الوجود والخلق والتكوين كل شيء، فهزت سوق الشعر يومذاك، حتى سماها أحد الباحثين «إحدى معلقات العصر»<sup>(٣)</sup>، وراجت معها سوق الديوان، فأقبلت بعض دور النشر على معاودة طبعه، دون إذن من الشاعر.

والغريب أن الناس قبلوها من زاوية الصدق في خطابها وخطاب النفس معها، والتوفيق بين الفلسفة والشعر، وهزتهم نغمة الإقرار بجهل حقائقها في مقاطعها التي زادت على السبعين. وتماسك الشاعر أمامها، واحتفاظه معها بالنزوع إلى التفاؤل، وإن صرفه ذلك عن الانفعال، فبقي حديثه فاتر العاطفة، معوضاً، قدرأً من التعويض، بالوصف وبغناء الطبيعة، وبالتقرير في بعض الأحيان.

(١) المصدر السابق: الجزء نفسه ص ٢٢٧

(٢) انظر بعض التفصيل في دراسة صغيرة لصالح عبد الصبور منشورة آخر طبعة دار العودة، من ديوان أبي ماضي (تذكارات الماضي) - دار العودة بيروت ١٩٧٤

(٣) المرجع السابق ص ٢٤٩

اتسع إذن، في (الجداول) أفق الشاعر، في التفاته إلى الإنسان، في شعره، وتناول قضايا وجوده الكبرى. ونحسب أن ما لقيت بعض نصوص ديوانه الثاني من الرعاية، مثل «فلسفة الحياة» التي وقفنا عندها، وهي في الرأس، وقصيدة «الخلود»<sup>(١)</sup> و«١٩١٤»<sup>(٢)</sup>، حفزه إلى تعميق هذا الخط، وجعل صوت العقل والفكر والتأمل أعلى الأصوات في تناول هذه القضايا الكبرى في شعره، وهو الفتح المبين الذي كتبه لنفسه، وكتبه له دارسوه، وأعلوا من ذكره فيه، وزها به الشاعر، من بعد، زهواً شديداً<sup>(٣)</sup>.

ففي مطوّلته «الطلاس» التي نحن في ذكرها، حيرة فلسفية، يحكيها أبو ماضي ببساطة وحميمية، بلغة سهلة بعيدة تماماً عن الرغبة في اختيار المفردة ذات الوقع الخاص، وهي اللغة التي تميز بها شعره، أحياناً كثيرة، ووصمها بعض دارسيه «بالعقم» و«النثرية»، وبميل الشاعر فيها، إلى «العامية الساقطة»<sup>(٤)</sup>.

والذي نراه: أنه يجنح في لغته، على العموم، إلى التعامل مع المفردة السائرة، حتى ليبدو، في هذا الموطن بعينه (الطلاس)، رجلاً من عامة الناس، يشكو لمن يسمعه، ما هو فيه من الجهل بحقائق قائمة بين السمع والبصر، ولكنه لم يَمُرْ على تأملها ومراجعة العقل فيها:

جئتُ لا أعلمُ من أين، ولكني أتيتُ  
ولقد أبصرتُ قدامي طريقاً فمشيتُ  
وسأبقى سائراً إن شئتُ هذا أم أبيتُ  
كيف جئتُ؟ كيف أبصرتُ طريقِي؟

لست أدري

---

(١) النص ١٩ ص ٣١٦.

(٢) النص ٣٠ ص ٣٦٣.

(٣) انظر في كتاب جورج بيمتري سليم ص ١٠٥ وما بعدها، رسالة بخطه، أرسلها، أو كان يزعم إرسالها إلى طه حسين الذي نقد (الجداول)، في (حديث الأربعاء)، من الجانب اللغوي، نقداً حاداً، وجاء فيها قوله: «هل رأيت، في كل ما رأيت، من النواوين الحديثة التي صدرت باللغة العربية، قبل (الجداول)، ديواناً (كالجداول)، يحوي فكراً وشعراً وفلسفة، في قصائد لم يسبق أن نزل مثلها في ديوان الشعر العربي كله؟

(٤) إيليا الحاوي: (إيليا أبو ماضي شاعر التساؤل والتفاؤل)، ص ٨٠ وما بعدها.

أ جديداً أم قديماً أنا في هذا الوجود  
هل أنا حرٌ طليقٌ أم أسيرٌ في قيود  
هل أنا قائدٌ نفسي في حياتي أم مَقود  
أَتَمَنَّى أنني أدري، ولكنْ

لست أدري

على هذا النحو المفطور يأخذ الشاعر يتساءل، كأنه يشير بيديه، عن حل معضلات الوجود الكبرى، لا يريد ممن يسمعه شيئاً على الإطلاق، بل هو لم يسعَ إلى من يسمعه، ولكنْ يريد أن يحكي حكاية هذه «الطلاسَمُ» التي يعذبه الوصول إلى فهمها، بلغته البسيطة التي تجري كما يجري الماء بطبيعته في الأرض. هكذا وقف يخاطب البحر ويسأله عن سر بقاءه، على حين يمضي الشاعر إلى الفناء:

فيك مثلي أيها الجبار أصدافُ ورملُ  
إنما أنت بلا ظلٍ، ولي في الأرض ظلُ  
إنما أنت بلا عقلٍ ولي يا بحر عقل  
فلماذا يا ترى أمضي وتبقى؟

لست أدري

ويمضي: فيقف على الدير، فيرى عقول رجاله آسنة، ويرى قلوب نسائه تموت في ظلمة الدير، فيسأله عن سر ما هم فيه. ثم يزور المقابر يسأل أهلها: هل وجدوا الراحة في حفائره؟ وهل، بعد هذه الحياة، حياة أخرى؟ وهل يصدّق ما يسمعه عن دعوى البعث والخلود، أم هو الفناء لا شيء بعده؟

أ وراء القبر بعد الموت بعثٌ ونشورُ؟  
فحياةٌ فخلودٌ أم فناءٌ وبنشورُ؟  
أ كلام الناس صدق أم كلام الناس زورُ  
أ صحيحٌ أن بعضَ الناس يدري؟

لست أدري!

ويمضي، بعدها، في جولته التي تعمّ مملكة الإنسان حيث يكون، فيقف على الكوخ والقصر، فيرى صاحبيهما يتماثلان، على اختلاف نصيبيهما من الدنيا، في الشك واليقين، وفي رسوفهما في قيود الزمان والمكان. ويسائل نفسه عن حركة الفكر: أين يذهب بعدها؟ وكيف يبحث عنه وهو معه داخل نفسه؟ ويطرح، في نهاية القصيدة، سلسلة طويلة من الأسئلة عما يتبدل في نفسه، ويتصارع من حوله، ينتهي بعدها إلى اليأس والحيرة من جديد، فيتراءى له أن الجهل بما يسأل عن حله، واليأس من الوصول إليه، ربما تستريح النفس إلى عجزها فيه، فتجد نعيم الراحة عنده:

كلما أيقنتُ أني قد أمطتُ السُّتْرَ عني  
وبلغتُ السرَّ، سرِّي، ضحكتُ نفسي مني  
قد وجدتُ اليأسَ والحيرةَ لكن لم أجِدني  
فهل الجهلُ نعيمٌ أم جحيمٌ؟

لست أدري

ويختم مقاطع القصيدة بقوله:

إنني جئت وأمضي، وأنا لا أعلمُ  
أنا لَغز، وذهابي كمجيئي طِلْسَم  
والذي أوجد هذا اللُّغزَ لَغزٌ مبهم  
لا تجادل! ذو الحِجَا مَنْ قال: إنني

لست أدري



كان يمكن الإخفاق في التماس الرد على هذه الأسئلة، أن يلجئ أبا ماضي إلى الانكفاء والانسحاب إلى عالمه الداخلي. ولكن الحياة العملية اجتذبتة إليها، فلم ينقطع ما بينه وبينها، ولم يستسلم معها للعوالم الصوفية التي استسلم لها زميلاه جبران ونعيمة، وإن لامسها أحياناً. فبقي القلق والشك (بحكم تكوينه، وبحكم الضغوط التي أشرنا إليها، من قبل، في وقائع حياته، وبحكم التأثر بأجواء الثقافة الشائعة، قريباً من (الرابعة) وبعيداً

عنها، تعترض حياته، ويغالبها أبو ماضي مغالبة ظاهرها الرغبة في الانتصار عليها، وحقيقتها رسوفه في قيودها، على نحو ما قلناه في قصيدته «فلسفة الحياة».



وإلى جانب هذه القصيدة «المطوّلة» تناقل الناس، في وطنه، قصائد أخرى سلك فيها المسلك نفسه، في الجمع بين الفكر الفلسفي والشعر عن طريق الأمثال التي تقرّبها من الناس، مثل قصيدة «العنقاء» و«الحجر الصغير» و«الطين» و«الغدير الطموح» و«الضفادع والنجوم» و«التينة الحمقاء» و«العير المتنكر» وغيرها<sup>(١)</sup>.

وتناقلوا في (الخمائل) قصائد أخرى، تقف على رأسها قصيدة طويلة اقتدى أبو ماضي، في اختتام الديوان بها (بالجدول) في «الطلاسم» هي قصيدة «الأسطورة الأزلية» صاغها على أبيات متسلسلة في مقاطع، يشمل المقطع منها من يمثل دوراً من أدوار العمر، أو صفة من الصفات التي تمثل هويته (الفتى، والشيخ، والحسناء، والجارية، والفقير، والغني، والأبله، والأريب)، وصاغ على ألسنتهم أبياتاً يعلنون فيها سخطهم على ما هم فيه من حدّ السن، أو الصفة، أو الغنى. ويختم الأسطورة بقوله:

لما وعى الله شكايها الورى  
قال لهم: كونوا كما تشتهون!  
فاستبشر الشيخ، وسرّ الفتى  
والكاعب الحسناء، والحيزبون  
لكنهم لما اضمحل الدجى  
لم يجدوا غير الذي كانا!

---

(١) نقصد بالأمثال هنا: المعنى الذي يقرّبها من الخرافات ذات المغزى التربوي أو التعليمي (Les Fables) على مثال خرافات لا فونتين (la Fontaine) مثل «خرافة الطيرين» و«الحمار والكلب» و«الحصان والحمار» (ونعتقد أن أبا ماضي اطلع عليها قبل أن يكتب قصيدته «العير المتنكر») و«الأرنب والسلحفاة» الخ... وخرافات الحكيم اليوناني القديم (إيزوب Aisopos). ولكنها، في شعر أبي ماضي، تعدّت عالم الحيوان (على نحو ما فعل شوقي وإيزوب) إلى عالم النبات «التينة الحمقاء» و«الجماد الحجر الصغير» و«الطين»، وعالم الطبيعة «الغدير الطموح»، وعالم الإنسان («في الأسطورة الأزلية»). ونرى أن دراستها، في شعره، تستوجب الدراسة.

(انظر الحاشية ١ ص ٤٨). وفي تراثنا، في الموضوع نفسه، رسالة «الصاهل والشاحج» لأبي العلاء المعري، ونظم «كليلة ودمنة» لابن المقفع، شعراً، لوزير السلاجقة (ابن الهيثمية - ت ٥٠٩ هـ).

إذ تتساوى الأمور في آخر المطاف، في الصفة والحدّ والمرتبة، أمام حقائق الحياة:

هم حدّوا القُبْحَ فكان الجمالُ

وعرّفوا الخيرَ فكان الطلاحُ

وليس من نقصٍ ولا من كمالٍ

فالشوكُ، في التحقيق، مثلُ الأقاح

وذرةُ الرُّمْلِ ككلِّ الجبالِ

وكالذي عرّ الذي هانا!

وإذن فالحياة وحدة تتساوى فيها المتناقضات، وتتكامل الأضداد، وتتوحد الثنائيات من قبح وجمال، وخير وشر، ونقص وكمال. وما تناقضها، في أعيننا، إلا من صنع الوهم.

ولكنّ هذه الثنائيات والمتناقضات التي يجمعها حيناً ويفرقها، حيناً، ويوحدها حيناً، ويقربها حيناً، ويبعدها حيناً، لم تصل به إلى الحقيقة التي تفسرها وتستريح نفسه إليها، ولم تذهب بحيرته أمام لغز الوجود وقضاياه الكبرى، وما زالت حياته نهباً للوساوس والأسئلة الحارة التي تذهب به في كل اتجاه، حتى يجد ألا مفرّاً أمامها إلا بالاستسلام إلى الرؤى التي تولدها والفكرة التي تبدعها:

سرُّ السعادة في الرؤى، إنّ الرؤى

لا كفّ تثبتها ولا تمحوها<sup>(١)</sup>

---

(١) الجداول: «الكمنجة المحطّمة»: النص ١٦ وانظر قصيدته: «الغبطة فكرة» (الخمائل النص ٤٤) والتي أنهارها بقوله:

أيها الشاكي الليالي إنما الغبطة فكرة  
ربما استوطنت الكوخ وما في الكوخ كسرة  
وخلت منها القصور الشامخات المشمخرة  
تلمس الغصن المعرى، فإذا في الغصن نُضرة  
وإذا رقت على القفر استوى ماءٌ وخُضرة  
وإذا مست حصاة صقلتها فهي برّة  
لك، ما دامت لك، الأرض وما فوق المجرة  
وإذا ضيّعناها فالكون لا يعدل نرّة !

ثم تعود نفسه إلى الشك في رؤاها التي ظن أنها أراحته من عذاب الحيرة، فيراها، بدورها، وهماً من الأوهام، وينتهي إلى أن للأقدار غايات تحققها فيما ينفعنا وما يضر بنا، ولكن النفس تظل في ظمئها الحار وتطلعها الدائم إلى شدة اليقين.

وفي تصوير هذا الصراع القائم في النفس الذي يجلوه شعره وفي تناوله وتأمله والتفكير في مآثيه ومعانيه وفي مداخله ومخارجه حيناً بعد حين، كتب أبو ماضي أجمل شعره، وأحفله بالإثارة، وأقدره على مزج الفلسفة بالشعر، والفكر بالوجدان، وكسب به شهرته الواسعة، حتى جعله بعض شعراء المرحلة (فدوى طوقان ونازك الملائكة) من أقدر شعرائها، وجعله آخرون (فدوى طوقان) أقدر الشعراء في قديم الشعر العربي وحديثه، بصرف النظر عما قالوه في دور العاطفة فيه ومكانها منه، بجانب قوة الفكر ودور العقل ومكانه منه.

وقد كان عالم الصوفية الذي يعتمد العرفان (المعرفة عن طريق الحدس الداخلي) قريباً منه، عالم جبران ونعيمة ورشيد أيوب، ولكنه كان، بحكم التكوين، وحكم الانغماس في الحياة العملية، كما ذكرنا، أقرب إلى العالم الآخر، عالم الفكر الحي والاتصال المباشر بالواقع القائم من حوله. وهذا الذي جعله يطمح إلى المعرفة، عن طريق المحاكمة العقلية والتأمل الواعي في الأشياء.

ولو استعرضنا حياته، منذ بدأ يعي الأشياء في عهد الصبا الأول في الإسكندرية، وانحيازه إلى جانب المعارضة ومدافعة الاحتلال والاستبداد بحقوق الشعب (على الجبهة العثمانية والجبهة الغربية)، بدت لنا رغبته في المجاهرة برأيه والقتال دفاعاً عنه، في وضع النهار، وفي ضوء الحقائق المعلقة.

وفي ضوء هذا الذي نقوله اكتسبت قصيدته وحدتها، إذ لا يمكن أن تتم المكاشفة إلا عن طريقها، ووردت فيها الأمثال المنتزعة من الواقع القائم من حول قارئها، فقريته منها مثل «التينة الحمقاء» و«الحجر الصغير» و«الضفادع والنجوم» و«الغير المتكرر». واتجه فيها إلى السرد، فكسب شعره به سمة القص الموحى، إلى جانب خروجه الدائم إلى



الطبيعة: زهرها وشجرها وسمائها ونجومها وقمرها، وخلط النفس بها، بغية تفكيك الكآبة عنها، والتخفف من عبء القلق والحيرة، وإعمال العقل في فهم كنه الوجود.

وقد نجى، ذلك كله، شعره التأملّي، من أن يقع في حبال الجفاف الذهني الذي يصيب الشعر المتجه إلى الفلسفة والتفكير، والطموح إلى كشف الأستار عن وجوه الأشياء والكائنات، فوصل بالقارئ إلى تذوق جمال الموقف الشعري الذي وقفه منها، وتقبل حيرته قي فهم أسرارها، وربما استجاب له في دعوته إلى الفرح بها والاستجابة لمفاتها.

ونقف هنا عند قصيدته «التينة الحمقاء»، ومقطوعته «العير المتنكر» اللتين سلك فيهما مسلك المثل المضروب: ففي «التينة الحمقاء» يقول: إن الإنسان ينمو بالعطاء (مماشاة سنة الطبيعة) لا بالنع (مخالفة سنتها). فهذا معنى العطاء وجدواه.

وفي «العير المتنكر» يدعو إلى أن يلتزم الإنسان حقيقته التي خلّق لها، فلا يتعدّاها. ويعزز في قصيدة «المساء» دعوته إلى التفاؤل، على غير المسلك الذي سلكه في قصيدته «فلسفة الحياة»<sup>(١)</sup> التي عرضنا لها من قبل.

ففي «التينة الحمقاء»<sup>(٢)</sup> تقول التينة، في آخر الصيف، لأترابها:

بئس القضاء الذي في الأرض أوجدني  
عندي الجمال، وغيري عنده النظر  
كم ذا أكلف نفسي فوق طاقتها  
وليس لي بل لغيري الفيء والثمر

فتهزها هذه الحقيقة، وتقرر أن تكون لنفسها وحدها:

إنّي مفصّلةٌ ظلي على جسدي  
فلا يكون به طول ولا قصر

---

(١) البَيَّوان الثاني النص ٢ ص ٢٥٥

(٢) الجداول: النص ١٢ ص ٥٨٥

ولست مثمرة إلا على ثقله  
أن ليس يطرقني طير ولا بشراً

فلما جاء الربيع واكتست الأشجار بخضرة أغصانها، في هذه الصورة الحية التي يرسمها الشاعر:

عاد الربيع إلى الدنيا بموكبه  
فازينت واكتست بالسُّندس الشجر  
وظلت التينة الحمقاء عارية  
كأنها وتد في الأرض أو حجر

كانت نهايتها على هذه الصورة البائسة:  
ولم يطق صاحب البستان رؤيتها  
فاجتثها، فهوت في النار تستعر  
من ليس يسخو بما تسخو الحياة به  
فإنه أحرق بالحرص ينتحر

فهي لو أعطت لم تختنق بما قصرته عن نفسها وكسبت بما أعطته لا بما حفظته.

وفي «العر المتنكر»<sup>(١)</sup>، بصفته مثلاً من الأمثال، يقرب فيها ممن يقرؤه بعض الحقائق الإنسانية، لتكون، كما أشرنا من قبل، أفعال في نفسه، إذ تشخص بها الفكرة، وينهض بها موقفٌ يُصور أو حدث يُسرد. وتستحق، كما أشرنا منذ قليل<sup>(٢)</sup>، درساً خاصاً إذ أدخل، عن طريقها، أيضاً، عنصر الحركة والتحليل وتصوير الشخصيات:  
زعم المؤدب أن عيبراً ساءه  
الأيسار به إلى الميبدان<sup>(٣)</sup>

(١) الجداول: النص ٧ ص ٥٧١ استُلت هذه الآيات الستة من قصيدة طويلة بعنوان «يا نوح! أين دلائل الطوفان»؟ (ما لم تجمعه الدواوين النص ١٢ ص ١٠٢٧).

(٢) الحاشية رقم ١ ص ٤٨.

(٣) كما يسار بالحصان.

فمَضَى فقصُرتِ القواطعُ ذيلةً  
وسَطَّتْ مواضيها على الأذان  
حتى إذا جاء المروّض واعتلى  
مثنّيه راب الفارس الكشْحان<sup>(١)</sup>  
لكنه ما زال غير مُصدّق  
حتى علا صوتُ كصوتِ الجان  
فاستل صارمه فطاح برأسه  
ورمى بجثته إلى الغربان  
مادام يصحبُ كلُّ حيّ صوته  
قال غير لا يُخفيه جلدُ حصان

وفي قصيدة «المساء»<sup>(٢)</sup> يخاطب الإنسانَ عبْر فتاة سماها سلمى<sup>(٣)</sup> وبدأها على نحوٍ  
أخاذٍ يجمع مظاهر الرهبة في الطبيعة:

السُّحُبُ تركضُ في السماءِ الرحبِ ركضَ الخائفينَ  
والشمسُ تبدو خلفها صفراءَ عاصبةَ الجبين  
والبحرُ ساجٍ صامتٌ فيه خشوعُ الزاهدين  
لكنما عيناكِ باهتتان في الأفق البعيدُ  
سلمى بماذا تفكرين؟  
سلمى بماذا تحلمين؟

جعل فيها المساء رمزاً للغروب والفناء، وصوّر، على هذا النحو الذي وصفه فيه،  
خوف الإنسان من فكرة العدم الزاحف قدره على الروح: اختفاء النور، وانتشار الصمت،  
وانطفاء مظاهر الحياة في الكون، بما يعكس ما يحسُّ الشاعر نفسه من رهبتها، ثم خرج  
منها على ما نعرف من تهوين الموقف مما يخافه الإنسان وما يأسى له، إلى دعوته إلى

(١) الكشح ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي.

(٢) الجداول: النص ١٥ ص ٥٩٢

(٣) اسم أمه التي كان أبو ماضي، كما تقول أخباره، يحبها حباً جماً

تجاهل هذا الوجه الكئيب من وجوه الحياة، والتعلق بالوجه المستبشر الآخر، قبل أن يطويه ضباب العدم. ذلك أن الليل الذي يطمس ملامح الكائنات على الأرض، يوقظ، في الوقت نفسه، الأحلام المرغوبة، وتنتشر في سمائه الكواكب النيرة، فلنتأمل إذن من الليل هذا الوجه، ولنحاول أن ننسى وجهه المعتم الآخر! ثم إن مظاهر أخرى من مفاتن الطبيعة ما تزال حية في الليل:

إن كان قد ستر البلاد سهولها ووعورها  
لم يسلب الزهر الأريج ولا المياه خريرها  
كلا ولا منع النسائم في الفضاء مسيرها  
ما زال في الورق الحفيف وفي الصبا أنفاسها  
للعندليب صداحه  
لا ظفره وجناحه

ولكن الشاعر لم يستطع أن ينسى، مع هذه الدعوى التي تتردد في شعره، كأنه ما يفتأ يسكن بها روعه هو وهواجسه، أن الفناء بالمرصاد، وأن الموت بالباب، ومن ثم لا يجد في يديه غير دعوته التقليدية التي سُمِّيَ بها: شاعر التفاؤل: أن ندير ظهورنا له، ونقصر همنا على التمتع باليوم الذي نحن فيه، فينعطف يتابع خطابه لسلمي:

فاصفي إلى صوت الجداول جاريات في السفوح  
واستنشيقي الأزهار في الجنات<sup>(١)</sup> مادامت تفوح  
وتمتعي بالشهب في الأفلاك ما دامت تلوح  
من قبل أن يأتي زمان كالضباب أو الدخان  
لا تبصرين به الغدير  
ولا يلد لك الخير

ثم يختم النص بما اعتاد أن يختم دعوته إلى الفرح بالحياة: بالدعوة الصريحة إلى أن نعيش الحياة، بدل أن نرجع البصر في بعض حقائقها، وأن نكف من غرب<sup>(٢)</sup> العقل، ونشد الاستراحة إلى اليأس من كشف المجهول:

---

(١) البساتين.

مات النهار ابن الصباح فلا تقولي: كيف مات ؟  
إن التأمّل في الحياة يزيد ألام الحياة  
فدعي الحكاية والأسى واسترجعي مرح الفتاة  
قد كان وجهك في الضحى مثل الضحى متهللاً  
فيه البشاشة والبهاء  
ليكن كذلك في المساء

حاول أبو ماضي أن يكسب لنفسه لقب «شاعر التفاؤل» في فلسفته للحياة، ودعوته الإنسان العربي إلى مواجهة ما يعتاده من الكآبة بالابتسام، وقصره البحث في معنى الحياة وقضاياها وثنائياتها الكبيرة: للموت والحياة، والخير والشر، والجمال والقبح، والحرب والسلام، والإنسان والآخر. وسلك في هذه السبيل مسلكاً يقوم على اعتماد بعض قوى النفس، من مثل عمل الإرادة والقدرة على صنع النسيان، برغم حقائق تكوينه التي تقفه موقف التساؤل الدائم من معرفة الحقيقة في خلق الكون والكائنات، واستخلاص عبرها عبر صورها المختلفة، وهو ما سماه، في الجملة «فلسفة الحياة».

وقد يذهب من يقرأ شعره في هذه الدعوة والسير على بساطها الممدود، إلى أن أبا ماضي يحاول أن يخرج من أزمته النفسية التي حاكتها الأحداث المأساوية التي وقعت في حياته. فدعوته نوع من «المناجاة» عن طريق تحويلها إلى «حوار بينه وبين الآخرين»، ينتهي دائماً إلى التعلل باليأس والوقوف على حده.

وقد استطاع أبو ماضي أن يستميل كثيراً من الناس بدعوته هذه برغم ما تستبطنه من الرغبة في تحويل خط العجز الذاتي، إلى وهم الرضا بالواقع والاستكانة له، إذ وجدوا فيها صوتاً أفادوا من صداه في أنفسهم، ورأوا فيه الخلاص السهل مما يُعجزهم تغييره، فتغنّوا به وردّوه وحفظوه، وحفظوا للشاعر به ذكراً جميلاً.

وربح الشعر بما حقق من التوفيق بين الفكر والشعر، عن طريق الرموز المستوحاة من الطبيعة، وسلوك الكائنات الأخرى فيها، بما جعله يمتلك أيضاً قدرة التمثيل والتخييل والإثارة الجمالية، وهو أقصى ما يعمل له الشعر في كل أحواله.

ثم إن الشاعر، وإن لم يستطع النفوذ في شعره إلى استيعاب ما تعنيه دورة الحياة الأبدية التي تبدأ بالولادة وتنتهي بالموت، حتى يتعذر تصور الحياة بون الموت الذي هو البداية دورتها الجديدة ليقيم تفاؤله على هذا الأساس المكين الذي قد يستريح إليه العقل في آخر المطاف. قد استطاع في كل حال أن يحول الشعر العربي في عصره إلى الاحتفال بقضايا الإنسان الكبرى واستطاع من ناحية أخرى أن يصل بهذا الشعر إلى تحقيق وحدة القصيدة عن طريق رسم الدورات النفسية والانتهاء بها إلى نقطة المركز التي تنتشع عنها حين تتجلى في آخر النص الحقيقة الكبيرة التي تجمع خيوطه المتفرقة فيها.



وينبغي ألا ننسى، في النهاية، أن أبا ماضي رَفَدَ تكوينه الموهوب<sup>(١)</sup>، وقد طالعه في وقت مبكر من حياته حارَ بعض الدارسين في تصديقه<sup>(٢)</sup>، كما أشرنا، في الإسكندرية، على الدرس، لنفسه، في الليل، وفي بعض الكتاتيب، كما تقول الروايات. وشعره يُنبئ بأنه لم ينقطع أبداً عن الاطلاع المكين المتصل بتراث العربية شعراً ولغةً، إلى حد الوصول بتقليب بعض مواد اللغة العربية في المعاجم، على معانيها الدقيقة، للإفادة منها في تركيب جملته الشعرية واستكمالها. أعانه في ذلك - لا شك - ذاكرة قوية قادرة، أحياناً كثيرة، على إشاعة الحياة في التعبير الذي يواتيه، بما تملك من دقائق المعاني وألوان الظلال التي ترخيها عليها، وإيقاظ الإحساس بغنى الرجوع النفسي الذي تثيره وبجمالياته العميقة.

وعلى من يقرأ شعره ألا ينسى، إلى جانب هذا، أن أبا ماضي لم يستكمل مراحل تعلمه الأولية في مدرسة القرية (المحيطة)، وأن ظروف الأسرة اضطرتّه إلى مغادرتها، والعمل في بلد بعيد، في بعض الدكاكين. فما وصل إليه، في تعلمه، هو نتاج الصبر العظيم، والرغبة القوية، والطموح العريض، والثقة العميقة بالنفس.

---

(١) لا يبعد أن يكون هذا الأمر متصلاً بحساسية موروثه تعدت أبا ماضي إلى بعض أفراد الأسرة الآخرين، فأخوه الأكبر (مراد) أصدر في مرحلة متأخرة (١٩٥٢)، ديوان شعر سمّاه (السنابل)، وكان له شعر في تأييد أخيه إيليا

(٢) يجسّد هذه الحيرة خلافهم في تحديد سنة مولده على مدى خمس سنوات ! إذ لم يصدقوا أن يصل هذا الفتى إلى ما وصل إليه، في أكثر ما وصل إليه، في (تذكّار الماضي)؟

ولعلنا نجد تصديقاً لهذه الصفات في الشعر نفسه، ففيه قدرة نفسية هيأته، برغم ما حاق به، للاستمرار في الصعود إلى الدرجات العالية التي وجدناه يذكرها لنفسه<sup>(١)</sup>. ونجد إشارة بالغة إليها في الرسالة التي كتبها إلى الدكتور طه حسين<sup>(٢)</sup> في أعقاب نقده الحاد لديوان (الجدول).

ويعود أكثر ما حصل أبو ماضي، في هذا الجانب الثقافي، إلى الطموح الحار الذي عُرف به، وصدقُه انخراطه في الحياة السياسية المصرية، وهو في هذه السن الصغيرة، أملاً في الحصول على مكانٍ يحفظه لنفسه في مقتربه الأول، ونشره قصائد من شعره في الصحف والمجلات (اللواء) و(العلم) و(الشعب) و(الزهور)، إضافة إلى ما كانت (مرآة الغرب) و(الهدى) في الوقت نفسه، تنشرانه له في المهجر!

ومازلنا، إلى اليوم، نعدُّ أبا ماضي صفحة مفردة في تاريخنا الأدبي، نتجاوز فيها، على الأغلب، شعره الوطني والاجتماعي والسياسي إلى شعره الإنساني وحده، تقريباً، إذ فيه يقع تميُّزه في الدعوة إلى جبر الروح المكسورة في الإنسان، والاستعلاء على الخوف والضعف، من خلال وقوفه أمام قضاياها الكبيرة القائمة، وثنائيات حياته المقلقة، عن طريق الفكر الشعري الحار الذي تحمله لغته السهلة القريبة من الحس، تأكيد إرثه، في الجانب الموروث من ثقافته الأدبية، مكَّنه من يسر التعبير، ويسر التأليف بين الوحدات، ومن الرهافة العاطفية (إرث التكوين المفطور المتأثر بظروف حياته في المغتربات)، ومن الغنى الذي وفَّرت له ثقافة معجمية جادة، مما يمكن أن يُعدَّ الجمع بين عناصره، توفيقاً بين صوت الأصالة وصوت العصر، في التجديد المعتدل الذي يقبله الناس، ويألفونه ويحبونه، ولا يحسون بالغربة معه.

وقد لا يصحَّ أن يعني التحديث الواعي، في رأيه، تجاوز تراثنا الشعري والإفادة من طاقاته الإبداعية، الفكرية واللغوية، وكان المتنبي والمعري ركيزتيه فيه، بما ضمن له قدرة

(١) انظر قوله مثلاً: إن الكواكب في منازلها

الديوان الثاني: النص ٦٤

(٢) انظر الحاشية ٣ من الصفحة ٤١ من هذه الدراسة.

التأثير الدائمة في القارئ العربي الذي ألف مراجعة التراث الشعري (إذ إن كلاً منهما ينحو، بطريقته التي تتفق وتكوينه وظرفه، نحو العقل: يجمع المتنبي إليه عاطفته القوية، في حين يلجأ المعري إلى السخرية المبطنة والظاهرة، في التعليل لعجزه عن فهم أمور الخلق).

فالانصراف عن هذا التراث العظيم، والإزاء به، طمعاً في كسب صفة الحداثة لذاتها، فيما نكتبه، فهمٌ خاطئٌ لمعنى التحديث، يغربه في عيون الأجيال، ويقطع حركته الواعية عن امتصاص روح التراث والتعبير عنها، في تناول قضاياها التي نعيش همومها، ونتطلع إلى الفوز بفهمها وجلاء مكانها من حياتنا.

إن أول ما يتطلبه هذا الفهم العميق لحركة التحديث في الأدب عامة: امتلاك اللغة امتلاكاً سليماً ينفذ بنا إلى أعماق المفردة العربية، ويضع في يدنا زمامها، ويقرينا من القيم التي تكون جوهراً، فتجعلنا أقدر على مخاطبتها وإعادة تشكيلها في نتاجنا الإبداعي الذي تظل الموهبة «الموهبة في التكوين» هي الأساس فيه، وفي كل عملٍ إبداعي.

والمعنى الذي يكرره الحداثيون في كتاباتهم، فيما يطلقون عليه «تفجير اللغة» يلزم أن يشرب من هذا النبع، حتى لا تتطاير أشلاء الكلمات من حولهم، في غير نفع، وتتحول النصوص التي نكتبها إلى مقابر أشباح وهياكل عظمية، تغرينا بحفرها الرغبة في أن نطلع فيها طلعةً لافتة على حساب القيم الصحيحة الأخرى. وإن من يقرأ شعر أبي ماضي الباقي في ضمير الأجيال العربية، في ضوء هذا الفهم لحركة التجديد والتحديث، يدرك تماماً مبلغ ما وعى من حقائقها، وهو ما قرّبه من نتاج المهجريين الباقي أثره في النفس العربية إلى اليوم.

ولعل هذا هو الذي حُبب إليه الاحتفاظ بموسيقا الشعر الموروثة، في نظامه العمودي، ومن المحافظة على وقع القافية فيها، حتى لقد كرر القافية في صدر البيت وعجزه معاً، في بعض الأحيان. على أنه أفاد من التلاعب بموسيقاه الشعرية مقتدياً بالموشح الأندلسي. وجراًه النجاح فيه على التلاعب بموسيقا الأبيات في القصيدة، على نحوٍ مميز، ينفرد فيه بيت واحد، أحياناً، بمكانه في النص، أو يُترك شطر من شطريه طلقاً في أواخر المقاطع.



ومكّن هذا الناس، من ناحيةٍ أخرى، من حفظ شعره وتناقله، فأعان على مدّ شهرته وتأثيره. ومكّن طلبة المدارس من إنشاده. وقد رجعت إلى نفسي، فوجدتني أحفظ من شعره الذي حكى فيه بعض الحكايات، أو ضرب فيه بعض الأمثال، أكثر مما أحفظه للآخرين، منذ أيام التلمذة.

وما نستطيع، مع هذا، أن نُغفل حبه للموسيقا وتعلقه بسماعها في جلساتها وحفلاتها، وسعيه إليها في البيوت التي شُهرت برعايتها. ولهذا انتُخب، في أوساط المهاجرين العرب في أميركا، رئيساً لنادي الموسيقا العربية (١٩٣٣). ولم ينس، وهو في دمشق سنة ١٩٤٩، أن يسهر في بيت النائب يومذاك، فخري البارودي، المعروف برعايته للموسيقا والموسيقين<sup>(١)</sup>. وله، في سهرته تلك، أبياتٌ أصرّ فيها على أن تظل السهرة عامرة إلى الصباح:

لَتَنعَسَ الْأَنْجَمُ فِي أَفلاكِهَا  
سَنَسْهَرُ اللَّيْلَ وَلَا نَنعَسُ<sup>(٢)</sup>

فمما يمكن قبوله إذن أن يجد في إيقاع القوافي المتتابعة، في القصيدة الواحدة، ما يدعوه إلى الحرص عليها. ثم إن ما انتهت إليه حركة التحديث الشعرية اليوم، في شعر التفعيلة، من إغفال القوافي المتتابعة، لم يكن منتشرأً آنذاك، ولعله لم يكن، على نحو ما، مقبولاً. وقد كان يسعه إغفالها، تأثراً بالشعر الغربي الذي لا بد أن يكون قرأ أو سمع أطرافاً منه، ولكنه لم يفعل، مكتفياً بالتلاعب بها، على نحو قريب مما فعل الوشّاحون في الأندلس. لقد غلب عليه، في أدوار حياته كلّها، تأثره العميق بالشعر العربي، قديمه وحديثه على السواء، لدى الكبار منهم في الجانبين، وأرضته، في صوغ تعبيره عن فكره، جمالياته في البناء والتركيب والإيقاع المنتظم. وامتدّ هذا الشعور إلى حدّ المساس، في شعر المرحلة الأولى، بمن سماهم «الشبان المتفرنجين» من قومه، وهو يعيش إلى جانبهم، معهم، في دارٍ واحدة<sup>(٣)</sup>.



(١) يلزم أن نشير إلى تلحين بعض قصائده وإنشادها في أوساط المهاجرين العرب، من اللبنانيين وغيرهم، مثل قصيدته التي ذكرناها من قبل «نشيد يوسف بك كرم»، وقصيدته «بين الضحك واللعب»، وقد لُحنت سنة ١٩٢١، وصدرت، مع لحنها، في ثماني صفحات.

(٢) (ما لم تجمعه النواوين): النص ٦١

(٣) تذكّار الماضي النص ٦

ليس معنى هذا الذي قلناه ونقله، أنا لم نقف في لغته عند مفردات ممسوحة تبدو كأنها منقولة مباشرة عن المعجم، لم ينفخ فيها أبو ماضي من روحه. وهو ما التفت إليه بعض دارسيه، ورموه بالجمع بين الشعرية والنثرية في بعض صياغاته ومفرداته<sup>(١)</sup>. والسبب يعود، في رأينا، إلى أن حصيلة أبي ماضي من الثقافة اللغوية عامة، وثقافة المفردات خاصة، حصلها بالمطالعة والجمع لا بالمعيشة الحية. فقد يقع القارئ، في لغته، على مفردات مقهورة، أدخلها في مواضع لا تريدها، فطغت فيها صفة النظم وخفت صفة الشعر، أو انعدمت أحياناً.

ولكن الذي طغى على هذا كله، يقظة الفكر في شعره، ونجاحه، أحياناً كثيرة، في التوفيق بين الفكر والشعور، أعني بين العقل والقلب، فبقي الفكر حينها، وتحصيل المعرفة عن طريقه، هو سيدّ المواقف وتعليلها في شعره، وخفت مكانة العاطفة والسؤال عنها، إذ خطف الفكر وتوهجه، مكان الالتفات إليها، كما خطف مكان المفردة الحية.



وقد كتب أبو ماضي الشعر في أغراض مختلفة، في الاجتماع والسياسة والتاريخ. تغنى بالوطن، وصور بعض الوقائع في حياته وحياة أصحابه، وردّ على منتقديه و«حساده». ولم ينقطع، في الوقت نفسه، عن عمله الصحفي، منذ هبط نيويورك ١٩١٦، وبعد أن تفرّد بإنشاء جريدته (السمير)<sup>(٢)</sup>، عن كتابة افتتاحياتها، كل ليلة، وتحرير بعض مقالاتها وربودها.

وهو، في هذا كله، لم يبلغ ما بلغه في تناول قضايا الإنسان الكبرى، من حيث الارتفاع إلى مستوى الشعر الذي يقرب الإنسان من نفسه، ويحرك، عن طريق الإيحاء،

---

(١) إيليا حاوي: (إيليا أبو ماضي شاعر التساؤل والتفاؤل) ص ١٠ وما حولها، وانظر الأمثلة التطبيقية التي وردت فيها.

(٢) في آخر الدراسة، كما أشرنا في الحاشية ١ ص ١٦ من هذه الدراسة، نماذج مصوّرة من الجريدة، تضم بعض افتتاحياتها، ومقالاته وربوده. ومن المؤسف أن دور الكتب العامة عندنا لا تحتفظ بنسخة كاملة منها. وقد اضطررت أن أرجع إليها يوماً، فوجدت أعداداً منها في مكتبة مجلس النواب اللبناني في بيروت. انظر كتابنا (النثر المهجري - الجزء الأول) - المقدمة.

جُذوة الروح فيه، ويبعث قلق الرغبة في المعرفة، والإجابة عن أهم أسئلة الوجود الغامضة، ويعدّ صوته، في هذا الاتجاه، أحد أهم الأصوات وأعلاها في أدب المهجر الشمالي (الأمريكي) الذي عُني بمدّها حتى أصبحت سمةً من أبين سماته، منذ انطلاقة الأولى، وأكثرها وضوحاً في نتاجه. وقد يمكن أن تُعدّ تعبيراً عما أحس المهاجرون من أوجاع الغربة والضياع عن الذات المهاجرة القلقة المتشوّقة، في مخاضها العنيف الذي تعرضت له عبّر الصراع، بين قيم الحضارة الجديدة وقيم المهاجرين القديمة، حتى شبّه بعضهم نيويورك ببابل القديمة التي «تبلبلت» فيها أصوات الشعوب<sup>(١)</sup>.

يمكن أن نقول في الإجمال: إن أبا ماضي وسّع من مساحة الفكر في شعره، وكساه ثوباً لغوياً شفافاً، في أسلوب طرحه، عن جماليات الطبيعة التي لم يبعد عنها حياته كلها، وقربه من وجدان القارئ في وقت واحد، وهياًه للتفكير في قضاياها واتخاذ موقفه منها. فبقي شعره، لهذا الذي نقوله، محتفظاً، في ساحة الشعر العربي، بقدرته على التأثير ومحتفظاً بخصائصه معاً.



أمّا الأغراض العامة التي تناولها في شعره، فكثيرة، يطغى عليها، إلا في المختار منها، التقليد، يغيب فيها صوت الشاعر الخاص، ويعلو صوت الجماعة، لإحساسه بأنه يتحدث إليهم، أو نيابة عنهم. ولكنه يلطف في المختار منها، لدنوّها من نفسه.

قصيدته «بنت الدوالي»<sup>(٢)</sup> من هذا المختار الذي يبين فيه صوته، وإن ظللنا نذكر معه، على نحوٍ ما، بشار بن برد وأبا نواس معاً. وقد تلاعب بموسيقاها، في مقاطع تجتمع وتتفرق.

---

(١) انظر كتابينا (الأول والثاني) في درس النثر لدى أعضاء (الرابطة القلمية) في المهجر الشمالي. وانظر بخاصة ص ١٦ من الكتاب الأول.

(٢) الديوان الثاني: النص ٣١ ص ٣٦٧

هاتِ اسقني بالقدر الكبير  
صفراء لون الذهب المصهور  
كأنها في أكؤس البُلُور  
شعلة نار في بقايا نور



عجبتُ للكأس التي تحويها  
كيف استقرتُ والحياة فيها  
لو لم يُدرها بيننا ساقياها  
دارتُ على القوم بلا مُدير



بهذه اللغة السهلة الجارية التي يحملها الحسُّ على أجنحة الخيال، يصور ساعة من ساعات النشوة، يزيد الإيقاع السريع، واختيار المفردات والرويِّ المكرور، من قدرتنا على تذوق نشوتها معه، وهو غاية ما يستطيع الشعر رفع المتلقي إليه، وضمه، من الداخل، إلى تجربة الشاعر.



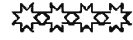
ومنه قصيدته «موميات»<sup>(١)</sup> وقد اختار لها أيضاً إيقاعاً سريعاً وروياً طلقاً مكروراً. فقد حركت فيه رؤية الفندق الفخم الذي لم ير فيه إلا عجائز فانيات، رؤية شعرية تقوم على الجمع بين المتناقضات، وهو المعنى الكبير الذي وقف عنده في قصائد أخرى، وخرج منه إلى، رؤية فلسفية توحد بينها. ولكنه هنا، غاب عنها:

|                     |                      |
|---------------------|----------------------|
| لمن يغني الطيورُ    | لمن يَضوعُ العبيرُ؟  |
| لمن تُصَبُّ الخمرُ؟ | لمن تُصَفُّ القناني؟ |
| ولا شبابٌ نضيراً    | ولا جمالٌ أنيقاً     |
| أطالسٌ وحريرا       | بل مومياتٌ عليها     |

---

(١) الخمائل: النص ١١ ص ٧٠٢

اللغة هنا تكرر على اللسان، كأنما يكلم الشاعر فيها نفسه، نون أن يسعى إلى  
تحصيلها. وترد معانيها على خاطر فور أن تقع العين على المشهد.



ومنه، من شعر المناسبات، في تكريم أصحابه، قصيدة (سماها: «إنه الشاعر»)<sup>(١)</sup>،  
ارتفع فيها، من حدود المناسبة، إلى حدود الشعر الكونية، بل تعداها إلى خالق الكون  
نفسه، إذ هو صانع الجمال الذي يرضيه أن يتعبده الشاعر فيه. وقد لزمه، في مطلع  
القصيدة، أن يصور بعض حواشي جماله:

عندما أنشأ الوجود الله  
في زمان، في الدهر، ما أقصاه  
وبدت في الثبات والماء والأحـ  
ياء والصخر يقظة وانتباه  
فأطلت من السماء الدُّراري،  
وتجارت على الصعيد المياه  
وترامى النسيم، في صفحة النهـ  
ر، بأسرار وجده وهواه  
وسرى الفجر يوقظ الروضة الوسـ  
نى ويؤذري على المروج نداء  
ومشى الليل بعده يطمس الأشـ  
ياء إلا أحلامه ورؤاه  
والورود الحسناء إلا شذاها  
والغدير الطروب إلا صداه  
نظر الله في السَّماء وفي الأرـ  
ض طويلاً، فتمتت شفـ

---

(١) ما لم تجمعه النواوين: النص ٥١ ص ١١٢٥

«إنني قد خلقتُ كوناً بديعاً  
كلُّ شيءٍ فيه كما أهواه  
غيرَ أني نسيتُ أخلق شيئاً  
لازماً لا يُتَمُّمُهُ إلاهُ  
وهو عينُ ترى الوجودَ بعيني  
ولسانُ يقول: ما أحلاه»

مقدمة لا يظن قارئها أنها مرتبطة بتكريم صديقه الشاعر (نسيب عريضة)، وتكشف  
عن شعرية مفطورة، كأنما تجري معها كتابة الشعر دون إجهاد خاطر، ويجري اختيار  
المفردات اللغوية وتشكيل الجمل، من أقصر الطرق، بالاستجابة الطبيعية لديه. وقد عُرف  
عنه أنه كان يُدعى، في بعض الحفلات، فيكاد يرتجل الشعر الذي يلقيه فيها ارتجالاً.

وإذن فقد «تمنى» الله أن يتدارك سهوه:  
فإذا كائنٌ له هيكُ الطَّيِّ  
ن، وفي هيكِ الترابِ إله  
كل من يعشق الجمال أخوه  
كل أرض فيها الهوى مغناها  
ويتسأل كأنه يريد أن يفجأ من يتتبعه:  
من تراه هذا الذي صاغه الله كما يشتهيها  
ما اشتهاها؟  
ويجيب على الفور:

إنه الشعاعُ الذي كلُّ دنيا  
تنطوي قبلَ تنطوي دنياه  
ويأخذ يصفه كأنه يصف نفسه:  
وجد المال عاتياً مستبداً  
فأبى أن يكونَ من أسراه

لا تقولوا: ماذا اقتنى وحواه؟  
أي شيء خياله ما حواه  
إنه الشاعر الذي ازدادت الدُّدُ  
يا بهاء لما غدت مأواه  
فاشربوا يا رفاق سرُّ فتى العا  
صي، وحيُّوه، إنه إيَّاه

ما أرادَه أبو ماضي، في هذه القصيدة، برغم ما أثارتَه عند فريق ممن درسوه، من ظن ادِّعاء الألوهة، هو أن يُفرد الشاعر بخلق الرؤى والأفكار، وهو ما نسميه: الإبداع في الفن. والخلق من صفات الألوهة، فبهذا المعنى يكون الشاعر هو خالق الفكرة المبدعة، وهو هيكلها الترابي:

إنني قد خلقتُ كوناً بديعاً  
كلُّ شيءٍ فيه كما أهواه  
غير أنني نسيتُ أخلق شيئاً  
لازماً لا يُتمِّمه إلَّاه

وليس الاعتداد بقدرة الخلق جديداً على الشاعر في هذا النص، فأبو ماضي شديد الاعتداد بقدراته الفنية. وما يضيفه على نفسه، في شعره، يزيد كثيراً على ما أضفاه الشعراء من قبله على أنفسهم، باستثناء محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل) الذي وصل بالفكرة إلى أقصى ما تصل إليه، حتى تعدَّى بها خلق الله<sup>(١)</sup>:

نُشَارِكُ اللهَ، جَلَّ اللهُ، قُدْرَتَهُ  
ولا نضيق بها خَلْقاً وإِتْقَاناً  
وأين إنسانُهُ المصنوعُ من حَمَأٍ  
ممن خلَقناه أطيباً وأحاناً

---

(١) الديوان - دار العودة - بيروت، ص ١٢٩

ولو جلا حسنه إنسانُ قدرتنا  
لو دّ جبريلُ لو صُغناه إنسانا  
وأيُّ نُعمى نرجئها لدى بشرٍ  
واللهُ قُربنا منه وأدنانا

وليس يبعد تأثر أحد الشعارين بالآخر. إن ذهب كلٌّ منهما، بالفكرة، في اتجاه.

\*\*\*\*\*



## (٥)

ونفضل أن ننهي هذه الدراسة المكثفة ببيان موقف أبي ماضي من وطنه الذي وسع الأرض العربية كلها، وهو موقف كاد أن يمتاز فيه، من زملائه، في (الرابطة القلمية)<sup>(١)</sup>، فقد كان دائم التفكير في لبنان وسورية، وفي مصر، وفي أرض الجزيرة العربية. يستجيب لآلامها وأحداثها، فإن من خصائص تكوينه الوفاء للأرض التي نمته، والأرض التي ينتسب إليها، وتذكير المهاجرين معه بوطنهم الذي خلفوه لئلا يناموا عنه متى يذكر الوطن النوم<sup>(٢)</sup>؟.

وإن مراجعة سريعة لشعره في دواوينه الخمسة، وفي شعره خارج هذه الدواوين، تصلنا بفيض من القصائد احتفظت بعناوينها، أو بإشارات كثيرة وقعت ضمنها، تغنى فيها بالوطن، وحنّ إليه، وشكا ألمه مما يلقي من مستبديه ومستعمريه، منذ غادره إلى أن دفن في مهجره البعيد.

ففي ديوانه الأول (تذكار الماضي) الذي أهداه إلى «الأمة المصرية... لا طلباً للمثوبة ولا ابتغاءاً للشكر، ولكن إظهاراً لما تكنه جوانحه من العطف عليها والتعلق بها»، دافع عن مناضليها وشارك في مدافعتهم المحتل ورثى زعمائها الذين قاوموه، وجمع إليها معاناة أهله في الشام وما بات يشكو من وجع الحنين إليهم<sup>(٣)</sup>:

تحنُّ إلى بلاد الشام نفسي  
أقْطِرُ الشام حياءك الغمامُ  
وما غيرُ الشام وساكنيه  
لبانْتُنَا وإنْ بَعُدَ الشام

---

(١) قد يلزم، أن نضيف إليه إلى حد كبير، صديقه الشاعر الحمصي (نسيب عريضة).

(٢) الديوان الثاني النص ٤٧.

(٣) تذكار الماضي: النص ٤٩.

ولولا أن في مصر مُقامي  
لعمرُ أبيك ما طال المُقام  
وما مصرُ التي ملكت قوادي  
ولكن أهلها قومٌ كرام  
يوذُ الطامعون بأرض مصر  
لو أنهم بها أبدأ أقاموا!

ووصف النيل والشمس تنسكب عليه، وصفاً حياً يعجب القارئ أن يصل إلى كتابته  
شباب لم يتعدَّ العقد الثاني من عمره. ولكن ذلك يعود، مع قدراته المبكرة، إلى ارتباطه  
العاطفي بالنيل، ارتباطاً له دلالاته القوية على ارتباطه بالأرض<sup>(١)</sup>:

فثمَّ جلالٌ يملأ النفسَ هَيْبَةً  
وثمَّ جمالٌ يملأ العينَ باهرَةً  
والحظُّ شمسَ الأفقِ وهي مُطلَّةُ  
تساير فيه ظلُّها إذ تُسايره

إذا هي ألقت في حواشيه نورها  
رأى التبر يجري في حواشيه ناظره  
أطالت به التَّحديقَ حتى كأنما  
تحاول منه أن تبين سرائره  
كأنني به سِفْرٌ تدانتُ سطورُه  
أوائله قد شُكَّلت وأواخره

وكانت له، في هذه المرحلة من حياته، حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، قصائد نال  
فيها من السلطة العثمانية وممثليها منالاً وصل به إلى مواجهة الهلال (رمز الدولة العثمانية)  
بالصليب (رمز قوى الغرب التي واجهتها، على إطلاقه) وهي مواجهة قد لا تتفق مع ميوله

---

(١) (تذكُّار الماضي) النص ٥٢ ص ٢٢٥

العلمانية الأصيلة (بصفة الهلال رمزاً إسلامياً) ولكن كرهه للعثمانيين الذين أذلّوا وطنه - فيما كان فريق كبير من الوطنيين مسيحيين ومسلمين يرونه - أورده هذا المورد.

ووقف موقفاً متشدداً جداً من المحتل الإنجليزي بعدهم، حتى لقد أيقظ النسب الذي يجمعه بأهلها<sup>(١)</sup>:

خَلَّنِي أَسْتَصِرْخُ الْقَوْمَ النَّيَامَا  
أَنَا لَا أَرْضَى لِمَصْرٍ أَنْ تُضَامَا

قَسَمًا بِالْذَّيْلِ لَوْ أَنَّ بِهِ  
مَا بِنَفْسِي مِنْ حَوَى سَالِ ضِرَامَا  
حَسْبُ مَصْرٍ أَنَّهَا الْأَرْضُ الَّتِي  
أَمَّنَ اللَّهُ بِهَا الْبَيْتَ الْحَرَامَا

لَسْتُ مَصْرِيًّا وَلَكِنْ نَسَبُ  
بَيْنَنَا تَجْمَعُ مَصْرًا وَالشَّامَا

ثم انتفى يخاطب المحتل:  
كَبُّلُوا أَقْلَامَنَا جُهِدْكُمْ  
وَامْنَعُوا الْأَلْسُنَ وَالصَّحُفَ الْكَلَامَا  
وَإِذَا عَزَّ عَلَيْكُمْ أَنْنَا  
فِي وَئَامٍ فَانْشُرُوا فِينَا الْخِصَامَا!

وفي ديوانه الرابع (الخمائل) يتلى لموت فيصل «أبي غازي»<sup>(٢)</sup> ويرثيه رثاءً أراع معه «البيت والبلد الحرام»، ومجدّد «خُلِّقَ الصحارى ومروءة الخيام» التي خرج منها، وخاطب من سكتوا عن إسقاطه عن عرش الشام ورحيله عنها:

---

(١) ما لم تجمعه الدواوين النص ٢ (مصر والاحتلال).  
(٢) الخمائل: النص ٤٢ وراجع في كتابنا (النثر المهجري) موقفاً لزملاء أبي ماضي في (الرابعة)، من (فيصل)، في مؤتمر الصلح بعد الحرب العالمية الأولى، ص ١٤٧ وما حولها.

فقل لساخطين على الليالي  
ومن سكنوا على يأس وناموا  
سينحسر الضباب عن الروابي  
ويبدو الورد فيها والخزام  
وئرجع أمة تُرجى وتخشى  
وإن كره الزعانف والطغام

وشغلته مأساة فلسطين وأهلها شغلاً دائماً<sup>(١)</sup>:

فخطب فلسطين خطب العُلا  
وما كان رزء العُلا هيئنا  
سهرنا له فكان السيوف  
تحرُّ بأكبادنا ههُنا  
وكيف تطيب الحياة لقوم  
تُسَدُّ عليهم دروب المُنَى  
بلادهم عُرضة للضياع  
وأمتهم عُرضة للفقنا  
لقد دافعوا أمس دون الحمى  
فكانت حروبهم حربنا  
وجادوا بكل الذي عندهم  
ونحن سنبيذ ما عندنا  
فقل لليهود وأشياءهم  
لقد خدعتكم بُروق المُنَى  
فإننا سنجعل من أرضها  
لنا وطننا، ولكم مدفننا

---

(١) المصدر نفسه: النص ٤٣.

كتب هذا الكلام وأصدره في ديوان نشره سنة ١٩٤٠، قبل قيام ثورة الاغتصاب  
بثمانين سنين، وفيه نستطيع أن نلمس الجرح المفتوح، منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية  
القرن العشرين. ثم إنه كتبه وقد أمضى في المهجر الأمريكي ثلاثين عاماً بعيداً عن المنطقة.  
ويلمس قارئه فيه حُرقة صادقة هي التي جعلت صلته بها لا تنقطع.

وقد زار لبنان بعدها وخاطبه الخطاب الذي أشرنا إليه في السابق، للرد على من  
نسب إليه نسيانه، وذكر معه الفقر الذي عرفه فيه، مباهياً به<sup>(١)</sup>:

زعموا سَلَوْتُكَ... لِيَتَّهَمُ      نسبوا إليّ الممكنا  
فالمرء قد ينسى المسي      عَ المُفتري والمُحسنا  
ومرارة الفقر المذ      لِ بلى، ولذات الغنى  
لكنه مهما سَلا      هيهات ينسى الموطنا!

وكانت تعذبه فيه، حين يذكره، ما حمل معه من ذكرى الفتن الطائفية قبل تقسيم ديار  
الشام، وبعده. يقول في (ديوانه الثاني)، داعياً إلى التسامح:

ما كان أحوجَّ سورياً إلى بطلٍ  
يردّ بالسيف عنها كل مفترسٍ  
ولا يزال بها والسيف في يده  
حتى يطهرها من كل ذي دنسٍ  
ويجعل الحبّ دين القاطنين بها  
دين يقربُ بين «البيت» والقدس  
حتى أرى ضاربَ الناقوس يُطربهُ  
صوتُ الأذنين، وهذا رنة الجرس<sup>(٢)</sup>

ولما زار دمشق، كما ذكرنا، مطلع سنة ١٩٤٩، وألقى فيها تحيته، وحيّاً شهيدها  
يوسف العظمة الذي استشهد على أبوابها، ونعى على قومه ما وقع في فلسطين، وكانت  
نكبتها حلت بهم:

(١) تبر وثراب: النص ١ ص ٨٤٩ (وطن النجوم).

(٢) الديوان الثاني: النص ٤٩ ص ٤٣٦. والأذنين هو الأذان. وارجع في المصدر نفسه (الديوان الثاني) إلى مطوّلته  
التي سماها (يا بلادي) النص ٥٦ ص ٤٦٣.

عجباً لقومي والعدوّ ببابهم  
كيف استطابوا اللهو والألعابا  
وتخاذهت أسياقهم عن سحقه  
في حين كان النصر منهم قابا

دنياك يا وطن العروبة غابهُ  
حشدت عليك أراقمأ وذئابا  
فالبس لها ماء الحديد مطارقاً  
واجعل لسائك مخلباً أو نابا

ثم أخذ يصف مجد دمشق:  
فاستنطق التاريخ هل في سفره  
مجد يضاهي مجدها الخلابا  
شابت حضارات، ودالت وانطوت  
أمم، ومجد أمية ما شابا

على أن في شعراء المهجر الشمالي من جاري أبا ماضي في هذا الميدان. ولكن في التاريخ إشارات لعلها لم تكتب لغيره ممن زاملوه وعاصروه وغنّوا وطنهم معه<sup>(١)</sup>. صفحة لعله ينفرد بها في المهجر الشمالي (الولايات المتحدة الأمريكية) خاصة. وقد تستأهل هذه الإشارات، أن تظل ريشة في تاج الدور التاريخي الذي لعبه أبو ماضي في الحركة الشعرية المهجرية، في الشمال، إلى جانب بعض الشعراء المعروفين في المهجر الجنوبي (البرازيل والأرجنتين).

\*\*\*\*\*

---

(١) انظر في انفراد أبي ماضي، في موقفه من الانتداب الفرنسي على سورية، بعد الحرب العالمية الاولى، مخالفاً زملاءه من أعضاء (الرابطة) في لجنة سمّيت (لجنة تحرير سورية ولبنان): كتابنا: (النثر المهجري - الكتاب الاول ص ١٥٢ وما قبلها وما بعدها).

## الختامة

خلاصة ما ننتهي إليه، في هذه الصفحات، ألا شيء يخلدُ معه العمل المبدع غير الصدق الذي يحييه ويشثقه من أضلاع المبدع. وما النصوص الشعرية التي كتبها أبو ماضي، وبقيت إرثاً أدبياً ثميناً في تراثنا الشعري الحديث، إلا التعبير الصادق عن حيرته العميقة، في فهم مرامي الحياة، فيما عرض من صورها وتسائل عن حقائقها ومعانيها.

وقد تهيأ له بهذا أن يغزو ميداناً جديداً في تاريخ الشعر العربي، لم يتهيأ لشاعرٍ قبله، على امتداد عصورنا الأدبية أن يغزوه، أعني: ميدان الفكر والعقل والتفلسف، وصياغة الفكر الشعري الحارّ الذي يتناول أعقد ما يواجه عقل الإنسان ويتحداه: لغز الوجود، ومعنى الحياة مع الموت، وما وراء الموت. فغنّى الفكر، في تساؤله عنها، غناءً رقيقاً عذباً فُتن به الناس، وأقبلوا عليه، وتغنّوا به.

وقاده هذا التساؤل، الملحُّ، بدوره، إلى صياغة المطوّلات الشعرية، وما داخلها من تنوع المساءلات، وألوان التعبير عنها واختلاف الإيقاعات، في نظم الحكايات والأمثال، واتباع طرق السرد الشعري المكثف السريع، في وصف الأحداث وتصوير شخوصها، وإدارة الحوار بينها، وتطوير مسالكه إلى النهاية المرسومة.

وحاول أن يتخفف من ضغوطه النفسية، على مدار حياته في لبنان ومصر والمهجر الشمالي، عن طريق التأمل والتفكير، فاتجه إلى دعوة الآخر إلى التفاؤل والابتسام، على ما عانى من قسوة الأقدار التي لاحقته، منذ طفولته إلى خاتمة حياته، وعلى ما كان فيه من الإحساس بالحاجة التي اضطرتّه إلى العمل ليل نهار، في ميدان الصحافة المتعب. وبدت، في دعوته هذه، على إخلاصه فيها، الرغبة في التغافل عن حقائق الواقع الإنساني، وحدود القدرات فيه، فانتهى، أخيراً، إلى التسليم بالعجز عن الوصول إلى أجوبة ما تساءل عنه. واتخذ من هذا التسليم سبيلاً إلى الرضا بما هو فيه، ودعا الناس إلى أن يحذوا حذوه.

عن هذه الطريق، حاول أن يقنع نفسه بنفي التناقضات والثنائيات التي يعذبه التفكير فيها، فليرض إذن بما كان يتمنى أن يتغير في حظوظ الخلق والتكوين، إذ لا سبيل، في النهاية، إلى تغييره. ولو تغير لتمنى أن يعود إلى ما كان عليه، فالسعادة في الحياة، والفرح بالوجود، يتدفقان من داخل النفس، عن طريق التأمل فيما وهب، وفيما يستطيعه، بما يملك من القدرات والنعم (الغبطة فكرة).

ولم يبخل على قومه، مع هذا، بوصف ما هم فيه من أسباب التخلف والشقاق، فدعا إلى نفيها عن حياتهم. وحثهم على التضامن وحرص الصفوف، وحمل على مدعي الصلاح منهم، ولو كانوا من رجال الدين، فسماهم «أصحاب الكشاكيل»، وحضر قومه على ردهم والوقوف في وجوههم.

وحمل اللغة الشعرية هذا العبء كله، فجرت على قلمه ولسانه جرياناً سهلاً، بدت المفردات معه، في كثير من الأحيان، هامة لا روح فيها.



يبقى أبو ماضي، في دوريه: التقليدي والمجدد، ظاهرة تستحق الالتفات. فهذا رجل خلقه الله، ولكنه صنع نفسه، وأخضع ظرفه، وشق طريقاً، في الشعر، ينسب إليه. حاول أن يسعد الناس ويفيدهم ويمتعهم، عبر معاناته الذاتية، حتى لقد كاد، وهو يخاطبهم ويدعوهم إلى الفرحة بالحياة، يتخذ من خطابهم سبيلاً إلى خطاب الذات.





## المصادر والمراجع

- ١ - تذكّار الماضي: إيليا أبو ماضي - بيروت (دار العودة) ١٩٧٤
- ٢ - إيليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر (مع دراسة لزهير ميرزا) - دمشق (دار البقطة العربية) ١٩٥٤
- ٣ - الجداول: إيليا أبو ماضي - نيويورك ١٩٢٧
- ٤ - الخمائل: إيليا أبو ماضي - بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٦٣
- ٥ - تبر و تراب: إيليا أبو ماضي - بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٦٠
- ٦ - ديوان إيليا أبو ماضي - بيروت (دار العودة) ٢٠٠٢
- ٧ - إيليا أبو ماضي (دراسات عنه وأشعاره المجهولة): جورج ديمتري سليم - القاهرة (دار المعارف) ١٩٧٧
- ٨ - مجموعة الرابطة القلمية ١٩٢١ - بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٦٤
- ٩ - إيليا أبو ماضي شاعر التساؤل والتفاؤل: إيليا حاوي - بيروت (دار الكتاب اللبناني) ١٩٧٢
- ١٠ - إيليا أبو ماضي رسول الشعر العربي الحديث: عيسى الناعوري - بيروت (منشورات عويدات) دون تاريخ.
- ١١ - إيليا أبو ماضي: عبد اللطيف شرارة - بيروت (دار صادر) ١٩٦٥
- ١٢ - إيليا أبو ماضي: جميل جبر - بيروت (دار المشرق) دون تاريخ.
- ١٣ - إيليا أبو ماضي بين التجديد والتقليد: طالب زكي طالب - صيدا - بيروت (منشورات المكتبة العصرية) دون تاريخ.
- ١٤ - الشعر العربي في المهجر (أمريكا الشمالية) إحسان عباس ومحمد يوسف نجم - بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٥٧
- ١٥ - شعراء الرابطة القلمية: نادرة جميل سراج - القاهرة (دار المعارف) ١٩٦٤

- ١٦ - قراءة جديدة لإيليا أبي ماضي: صلاح عبد الصبور - ملحقة بديوان «الخمائل» - بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٦٣
- ١٧ - شعر من المهجر: محمد قره علي - بيروت (دار الإنصاف) ١٩٥٤
- ١٨ - الشعر العربي في المهجر: محمد عبد الغني حسن - القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٩٥٥
- ١٩ - أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية: جورج صيدح - بيروت ١٩٥٧
- ٢٠ - أوراق مهجرية: عبد الكريم الأشتر - دمشق (دار الفكر) ٢٠٠٢
- ٢١ - أدب المهجر: عيسى الناعوري - القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٩
- ٢٢ - الأدب العربي في المهجر: حسن جاد حسن - القاهرة ١٩٦٢
- ٢٣ - التجديد في شعر المهجر: أنس داود - القاهرة (دار الكتاب العربي للطباعة والنشر) دون تاريخ.
- ٢٤ - في ديوان العرب (أحاديث في الشعر والشعراء من عصر الجاهلية إلى العصر الحديث)، الجزء الثالث (العصر العثماني والعصر الحديث): عبد الكريم الأشتر - حلب ٢٠٠٦
- ٢٥ - النثر المهجري (المضمون وصورة التعبير): عبد الكريم الأشتر - دمشق (دار الفكر الحديث) ١٩٦٤

\*\*\*\*\*

## كلمة موجزة

لا يحتاج هذا العمل، بعد الذي قدّمناه في درسه، إلى مقدمة طويلة، ففيه جِماع أعمال أبي ماضي الشعرية، على امتداد حياته، في لبنان ومصر وأميركة، واحتوته دواوينه الخمسة التي أصدر أولها (تذكار الماضي)، في الإسكندرية، قبل أن يغادر مصر (١٩١١)، وأصدر الدواوين الثلاثة بعده في نيويورك (الجزء الثاني من ديوانه - وهو «ديوانه الثاني» ١٩١٩. و«الجداول» ١٩٢٧، و«الخمائل» ١٩٤٠). ثم أصدر صديقه الشاعر المهجري جورج صيدح، ديوانه الخامس (تبر وتراب)، بعد وفاته (١٩٥٧) بثلاث سنين (١٩٦٠)، جمعه من الشعر المنشور في الصحف والمجلات، مما لم تجمعه دواوينه الأربعة، في الوطن والمهجر.

ثم تصدّى أحد الباحثين، ممن عاشوا زمناً في المهجر الأميركي، الدكتور جورج ديمتري سليم، لجمع ما لم تجمعه هذه الدواوين الخمسة المنشورة، فجمعه من الصحف والمجلات العربية، في الوطن والمهجر، بعد أن تتبّع ما نُشر من شعر الشاعر فيها، في كتاب سماه: (إيليا أبو ماضي - دراسات عنه وأشعاره المجهولة)<sup>(١)</sup>

وإذن، فالذي نقدمه اليوم، كتاب يجمع، للمرة الأولى، شعرَ الشاعر المنشور كله، ما جمعته دواوينه الخمسة، وما لم تجمعه. فيه صورة الشاعر، من وجوهها المختلفة، وفيه نصوص شعره، من جانبها المعروف لنا، وجانبها المحجوب عنا، منذ عرفنا الشاعر.

على أن المعروف من شعر الشاعر، لدى عامة القراء العرب، لم يكن يتعدّى، في الغالب، بعض نصوص شعره ومطولاته المعروفة، الزاهية مذهب التأمل والتفكير في قضايا الوجود الكبرى، مثل قصيدته «فلسفة الحياة» ومطولتيه «الطلاسم» و«الأسطورة الأزلية»، وبعض الحكايات الرمزية والأمثال المسرودة سرّاً شعرياً، مثل «الحجر الصغير»، و«التينة الحمقاء»، و«الشاعر والسلطان الجائر».

---

(١) نشرته دار المعارف بالقاهرة (١٩٧٧)

وما تعدى هذه النصوص، فيلزمه، معها، بعد الجمع، الضبط والشرح، إذ تكررت طبعاته في بعض دور النشر العربية، في لبنان وسورية والعراق، دون أن يُعنى ناشروه بضبطه وشرح معانيه، ومراجعة البعيد، من مفرداته، عن ساحة التداول العام، إذ كان من مذهب الشاعر، أحياناً - وهو الذي لم يجاوز، في نشأته، بعض مرحلة الدراسة الأولية، في مدرسة القرية - أن يلجأ إليها أحياناً، ليدل على اطلاعه على مفردات اللغة البعيدة الساكنة في بطون المعاجم، على مثال «الأذين» «في مكان» «الأذن»، و«الكِبا» مكان «البخور»، و«السَّمِيد» مكان «السيد السخي»، و«الرقيع» مكان «الرقعة»، و«الإكدار» مكان «الكدر» الخ.

ثم إنَّ غير المعروف، من نصوص شعره، لم يحظَ بالمراجعة، إلى جانب حجه وحجزه عن النشر في الدواوين. وما قدّمه الدكتور جورج ديمتري سليم، لم يتعدَّ حدود الجمع، وإلقاء الضوء على مناسبات نظمه، أو أسباب إلقائه في الحفلات

وقد رأيت أن أحفظ للدواوين الخمسة، صورتها التاريخية، لأحفظ لها موضعها من حياة الشاعر الإبداعية. ولكنني توجّعت النص برقمٍ يسهل الرجوع إليه. وجعلت المجموع، من شعره، خارج هذه الدواوين، يحمل رقم الديوان السادس بعد الدواوين الخمسة. وبقيت أرقام الصفحات، في كل ديوان، تتسلسل، تعين القارئ على الرجوع إلى النص المطلوب.

ويلزماني، في هذه الكلمة الموجزة، أن أنقل إلى القارئ بعض ما عانيت، في الوصول إلى بعض دواوين الشاعر، في طبعاتها الأولى التي صدرت في حياته («تذكار الماضي»، والجزء الثاني - أعني «الديوان الثاني» - و«الجدول»)، وما وقَّفتُ في تحصيله، وما عجزت عنه فعوّضته بالرجوع إلى مصادر أخرى بديلة.

والخيبة الكبيرة كانت في الوصول إلى «الديوان الثاني»، إذ عانى الدارسون، قبلي، من خيبة الوصول إليه، حتى جعل بعضهم (في دار اليقظة العربية)، قبل رحيل الشاعر<sup>(١)</sup> يفخر بتقديم أكثر مادة هذا الديوان، في طبعته الأولى، لِما سمّاه: «إيليا أبو ماضي، شاعر المهجر الأكبر»، إذ قرّرها للقارئ في السوق! وما يزال الوصول إلى هذا الديوان - إذ لم

(١) صدر الكتاب سنة ١٩٥٤. وتوفي الشاعر سنة ١٩٥٧

يُطبع بعد طبعته الأولى، في نيويورك (١٩١٩) - متعزراً تماماً. وقد وجدتُ، وأنا أطلب وألحُ في الطلب، بطاقةً تحمل اسمه، في (مكتبة الجامعة الأمريكية)، في بيروت، ولكنني لم أجد الديوان!

فلجأتُ، مرة أخرى، إلى كتاب الدكتور جورج ديمتري سليم، إذ أحصى - وكان الديوان في يده - نصوصه، وسلسلها في صفحة منفردة، بعناوينها وأعداد أبياتها، في المراجع التي رجع إليها، بغية توثيقها، من ناحية، وإعانة الدارسين على الإحاطة بها، من ناحية أخرى. وقد تابعتُه، في إصدار (دار اليقظة العربية ١٩٥٤)، خطوةً خطوة. وامتنع عليّ، في النهاية، الوصول إلى نصين من نصوص هذا الديوان (نص الإهداء، ونص «معرب» عن الإنجليزية، بعنوان «نشيد التباراري»). فحفظتُ لهما مكانهما في الكتاب<sup>(١)</sup>، لعليّ أصل إليهما يوماً، وإن لم يكن لهما، في ظني، قدرٌ في الدرس.

ووجدتُ النسخة الأصلية من ديوان «الجداول» المطبوعة في نيويورك (١٩٢٧) في مكتبة المقاصد الإسلامية في طرابلس الشام بלבناز. ونجحت في الحصول على صورة لها أما (تذكّار الماضي)، ديوانه الأول الذي نشره في الإسكندرية (١٩١١)، فقد وجدتُ صورته له في مكتبة جامعة حلب.

ولا أعرف مصدراً لجملة النصوص التي جمعناها في «ما لم تجمععه الدواوين» من شعره، غير كتاب الدكتور جورج ديمتري سليم الذي أشرت إليه. ويهمّني أن يعرف القارئ العربي والدارس والباحث، أنّ هذا الكتاب يقرب الشاعر منهم، على نحو يلزم أن يُذكر له<sup>(٢)</sup> تبقى، بعد ذلك، كلمة في تقويم الشاعر ومكانه من حركة الشعر العربي الحديث، ومن حركة التجديد فيها. فهذا ليس موضعه هنا، وموضعه في الدراسة المكثفة التي تتقدم الكتاب.

---

(١) أهدى الديوان إلى تاجر السجاد الشرقي، في نيويورك، وقد طُبع الديوان على نفقته، واسمه: نعمة تادرس. وفي ديوان (ما لم تجمععه الدواوين) نص، من أربعة أبيات، كتبه الشاعر بعنوان: «توبيع نعمة تادرس» (النص ٣٣ ص ١٠٩٢) ورقم النص الثاني. «نشيد التباراري» ٧٥ ص ٥٣٣

(٢) كان صاحب الكتاب صديقاً لولد الشاعر الثاني (روبرت). ومكّنه، بعد وفاة أبيه، من الرجوع إلى المخطوطات التي خلّفها. وعنها نقل صاحب الكتاب نصاً لم يُنشر أبداً (ص ٢٢ من الكتاب). وفيها شعر آخر له، لم يُنشر من بعد (ص ٩٤ من الكتاب)

جهد أسأل الله أن يجعله في حسنات العمر، ويجزيني به. فإني بدأت العمل لا أقصد به غير الاستجابة لمن ندبني له. فلما بدا أنه أصبح شُغلي الشاغل، وأصبحت أراه، على نحوٍ ما، رسالةً أؤديها، لا عملاً أعمله فحسب.  
والله وحده المسؤول أن ينفع به.

د. عبد الكريم الأشر

\*\*\*\*\*

# الديوان الأول

## الجزء الأول

### (تذكار الماضي)

الطبعة الأولى (المطبعة المصرية. الإسكندرية ١٩١١)

يضم الديوان الأول «تذكار الماضي» - وهو، عند أبي ماضي، الجزء الأول من ديوانه، إذ أتبعه، بعد ثماني سنوات، من هجرته إلى أمريكا، بالجزء الثاني - أربعة وخمسين نصاً شعرياً، بين طويل، ومعتدل، وقصير

وقد طبعه في الإسكندرية، وكان مضي على هجرته إلى مصر حوالي عشر سنوات (١٩٠٠ - صيف ١٩١١) قبل هجرته، مرة أخرى، إلى أمريكا فعمره إذن، حين تمّ له طبع هذا الجزء الأول، لا يزيد كثيراً على العشرين (١٨٨٩ - ١٩١١)

\*\*\*\*\*

الناشيء



## إهداء الديوان

إلى الأمة المصرية

« أيتها الأمة الودود!

هذا ديواني الذي نظمته تحت سمائك، وبين مغانيك، أرفعه إليك، لا طلباً للمثوبة،  
ولا ابتغاء للشكر، ولكن إظهاراً لما تكنه جوانحي من العطف عليك والتعلق بك..

وهو بحمد الله لا يجمع بين دفتيه سوى ما يرضي الحق، ويرضيك، ويرضي هذا  
الفن الجميل..

ولقد يكون لي أن أهديه إلى أحد أفرادك من ذوي الفضل، جرياً مع العادة، ولكنني  
رأيت المجموع خيراً وأبقى»

الناشيء

( إيليا )

\*\*\*\*\*

## ١ - الإنسان والدين

[البسيط]

إني عرفتُ من الإنسان ما كانا  
فلستُ أحمدُ بعدَ اليوم إنسانا  
بلوثُهُ، وهوَ مشتدُّ القوي، أسداً  
صعبَ المراس، وعند الضَّعْفِ تُعبانا  
تعوذُ الشُّرُّ حتى لو نبتَ يدهُ  
عنه إلى الخير سهواً، بات حَسْرانا  
خَفُّهُ قديراً وخَفُّهُ لا اقتدارَ له  
فالظلمُ والغدرُ إما عزٌّ أو هانا  
القتلُ ذنبٌ شنيعٌ غيرُ مُغتَفَرٍ  
والقتلُ شنيعٌ غيرُ مُغتَفَرٍ الإنسانُ أحيانا  
أُحِلَّ قتلُ نفوسِ السَّانِمَاتِ له  
والطيرِ، والقتلُ قتلٌ حيثما كانا  
أذاقَ ذنبَ الفلا من غدره طَرفاً  
فلا يزالُ مَدَى الأيام يقظانا  
ونفَّرَ الطيرَ حتى ما تلمُّ به  
إلا كما اعتادتِ الأحلامُ وسَنَانا  
سروره في بكاءِ الأكثَرينَ له  
وحزنُهُ أن ترى عيناَهُ جَذَلانا  
كأنما المجدُّ ربُّ ليس يعطُفُهُ  
إلا إذا قَدَّمَ الأرواحَ تُربانا

هو الذي سلب الدنيا بشاشتِها  
وداح يملؤها همًّا وأحزاناً  
لا تصطفِ فيه وإن أثقلتْهُ مِننا  
يَعُدُّو عليك وإن أولاك شُكرانا  
قالوا ترقى سليل الطينِ قلتُ لهم  
الآن تم شقاء العالمِ الآن  
إن الحديد إذا ما لَانَ صار مُدًى  
فكنْ على حذرٍ مِنْهُ إذا لانا  
والمرءُ وحشٌ، ولكنْ حُسْنُ صورته  
أنسى بلاياه من سمِّاهُ إنسانا  
قد حاربَ الدينَ خوفاً من زواجه  
كَأَن بَيْنَ الْوَدَى وَالدينِ عُدوانا  
وداح يهدمُ ما الرُّحْلُ الخاشيُ يَهْدُهُ  
وليس ما شَيَّدَ الرحمنُ بنيانا  
إني ليأخذني من أمره عجبٌ  
أكلُّما زاد عِلْماً زاد كُفْراًنا  
وكلُّما انقادتِ الدنيا وصار له  
زمامُها إنقاد للآثام طغيانا  
يرجو الكمالَ من الدنيا وكيف له  
نيلُ الكمالِ من الدنيا وما دانا  
إذا ارتدى المرءُ ما في الأرض من بُردٍ  
وعافَ للدين برداً عاد عُريانا  
هو الحياة التي ما غادرت جسداً  
إلا اغتدى الميتُ أحيا منه وجدانا

وهوالضياءُ الذي يمحو الظلامَ فَمَنْ  
لا يَهْتَدِي بِسَنَاهُ ظِلٌّ حَيْرَانَا  
والمنهلُ الرائقُ العذبُ الورودِ فَمَنْ  
لا يَسْتَقِي مِنْهُ دَامَ الدهرَ عطشانَا  
ليس المَبْذَرُ من يَقْلِي<sup>(١)</sup> دَرَاهِمَهُ  
إِنَّ المَبْذَرُ مِنَ اللِّدِينِ مَا صَانَا  
ليس الكفيفُ الذي أَمْسَى بِلا بَصَرٍ  
إني أرى من ذوي الأَبْصَارِ عُمِيَانَا



---

(١) قلاه - يقلية: أبغضه.

## ٢ - المرأة والمرأة

[الطويل]

أقامتُ لدى مرأتِها تتأملُ  
على غَفْلَةٍ مِمَّنْ يلومُ ويعذلُ  
وبين يديها كلُّ ما ينبغي لِمَنْ  
يصوِّرُ أشباحَ الورى ويمثُلُ  
مِنَ الغِيْدِ ثَقْلِي كُلِّ ذاتِ مَلاحَةٍ  
كما باتَ يَقلِّي صاحبَ المالِ مُرْمِلُ  
تَغارُ إذا ما قِيلَ: تلكَ مَليحَةٌ  
يَطيَّبُ بها للعاشقينَ التَّفرُّلُ  
فتَحمَرُ غَيظاً ثمَّ تَحمَرُ غَيرةً  
وَتُضْمِرُ حَقْداً للمَحدثِ: لودَى  
به ذلكَ المسكينُ ما كادَ يَهزُلُ  
أثارَ عليه حِقْدَها غيرَ عامِدِ  
وَحِقْدُ الغَواني صارمٌ لا يُفْلُ  
فلو وَجَدْتُ يوماً على الدَّهرِ غادَةً  
لأوشكَ مِنْ غُلُوِّهِ يتَحَوَّلُ<sup>(١)</sup>  
فتاةٌ هي الطاووسُ عُجْباً وذيلُها  
- وَلَمْ يَكُ ذَيْلاً - شَعْرُها المتهَدِّلُ

(١) وَجَدْتُ عليه موجدَةً: حقدٌ والغُلُو: الغلو ( يريد: حقد الغواني، في البيت السابق ).

سَعَتْ لاحتكارِ الحُسْنِ فيها بأسْرِهِ  
وكم حاولتُ حسناءً مالا يؤمِّلُ  
وتجَهَلُ أنَّ الحُسْنَ ليس بدائمٍ  
وإن هو إلا زهرةٌ سَـوْفَ تَذْبُلُ  
وأنَّ حَكِيمَ القَومِ يَأْنِفُ أنْ يُرَى  
أَسِيرَ طِلَاءٍ بَعْدَ حِينٍ سَيَنْصُلُ  
وكلُّ فتى يَرْضَى بوجهِه مِنْمَقٍ  
مِنَ النَاعِمَاتِ البَيضِ فهو مُغْفَلُ  
إذا كان حُسْنُ الوجهِ يُدْعَى فَضِيلَةً  
فإنَّ جَمَالَ النَفْسِ أَسْمَى وأَفْضَلُ  
ولكنَّما أَسْمَاءُ بالغَيْدِ تَقْتَدِي  
وكلُّ الغَوَانِي فِعْلَ أَسْمَاءَ تَفْعَلُ  
فلو أَمِنْتُ سُخْطَ الرِّجَالِ وَأَيَقَنْتُ  
بِالنَّظْمِ الغَوَانِي أَوْشَكَتُ تَتَرَجَّلُ<sup>(١)</sup>  
قَدِ اتَّخَذْتُ مِرَاتَهَا مُرَشِّدًا لَهَا  
إذا عَنَّ أَمْرٌ، أَوْتَعَرَّضَ مُشْكَلُ  
وما نَمَّ مِنْ أَمْرٍ عَوِيصٍ وَإِنَّمَا  
ضَعِيفُ النُّهْيِ فِي وَهْمِهِ: السَّهْلُ مَعْضَلُ  
تُكَنِّمُ عَمَّنْ يَعْقِلُ الأَمْرَ سَرُّهَا  
ولكنَّها تُفْشِيهِ ما لَيْسَ يَعْقِلُ  
فلو كَانَتِ المِرَاةُ تَحْفَظُ ظِلَّهَا  
رَأَيْتَ بَعِينِيكَ الَّذِي كُنْتَ تَجْهَلُ  
وَزَادَ بِهَا حُبُّ التَّبَرُّجِ أَنَّهُ  
حَبِيبٌ إِلَى فَتْيَانِ ذَا العَصْرِ، أَوَّلُ

(١) تَرَجَّلَ ( في اللغة ) : مشى راجلاً والقصد هنا : أوشكت تكون رجلاً.

أَلْمُؤَا بِه حَتَّى لَقَدْ أَشْبِهُوا الدُّمَى  
فَمِمَّا فَاتَهُمْ، وَاللَّهُ، إِلَّا التَّكْحُلُ  
فَتَى الْعَصْرِ أَضْحَى فِي تَطْرِيهِ حُجَّةً  
تُقَاتِلْنَا فِيهَا النِّسَاءُ فَتَقْتُلُ  
إِذَا ابْتَدَلَتْ حَسَنَاءُ ثُمَّ عَذَلَتْهَا  
تَوَلَّتْ وَقَالَتْ كُلُّكُمْ مَتَبَذَلُ

\*\*\*\*\*

الناشيء

### ٣ - المودة

[الخفيف]

مَا لِهِنْدٍ وَكُلُّ حَسَنَاءٍ هِنْدُ  
كُلَّ يَوْمٍ تَبْدُو بَزِيَّ جَدِيدٍ  
تَلْبَسُ الثَّوْبَ يَوْمَهَا وَهِيَ تُطْرِي  
عَ وَتُطْرِيهِ عِنْدَهَا كُلُّ خُودٍ<sup>(١)</sup>  
فَإِذَا جَاءَ غَيْرُهُ أَنْكَرَتْهُ  
فَرَأَيْنَا الْحَمِيدَ غَيْرَ حَمِيدٍ  
أُولَعْتُ نَفْسَهَا بِكُلِّ طَرِيفٍ  
لِيَتَّهَى أُولَعْتُ بِبَعْضِ التَّلِيدِ<sup>(٢)</sup>  
أَصْبَحْتُ تَعِشُّ الْمَشْدَّ<sup>(٣)</sup> وَلَمْ أَبِ  
رَحْمَةً بِالْخُصُودِ أَيْتَهَا الْغِيدُ  
دُ وَرَفَقاً رَفَقاً بِتِلْكَ الْقُدُودِ  
مَا جَنَّتْهُ الزُّنُودُ حَتَّى يَنَالَ الـ  
عُزِّيُّ مِنْهَا، يَا عَارِيَاتِ الزُّنُودِ؟  
وَعِلَامَ الْأَذْيَالِ أَمْسَتْ طَوَالاً  
كَلِيَالِي الصُّدُودِ أَوْكَالِ الْبُنُودِ؟<sup>(٤)</sup>

(١) الأصل: خُود، وهي الحسناء.

(٢) القديم.

(٣) «الكورسيه».

(٤) الأعلام.



لو تَكُونُ الذِيُولُ أَعْمَارَ قَـوْمٍ  
 لَضُمَّمْنَا لَهُمْ نَوَالَ الْخُلُودِ  
 قَصَرَتْ هَمُّهَا الْحَسَانُ عَلَى اللَّهِ  
 وَ، وَيَا لَيْتَ لَهَا بِهَا بِالْمَفِيدِ  
 سَاءَ حَالُ الْأَزْوَاجِ فِي عَصْرِنَا هـ  
 إِذَا، وَسَاءَتْ أَحْوَالُ كُلِّ وَلِيدِ  
 كُلُّ زَوْجٍ شَاكٍ، وَكُلُّ صَفِيرِ  
 دَامِعُ الطَّرْفِ كَارَةٌ لِلْوَجُودِ  
 يَظْلُمُ الدَّهْرَ حِينَ يَعِزُّو إِلَيْهِ الـ  
 بُؤْسٌ، وَالْبُؤْسُ كُلُّ أُمٍّ كَنُودِ<sup>(١)</sup>  
 لَا رَعَى اللَّهُ زَوْجَ النَّاشِئَةِ الْأُمِّ  
 نَوَالَ وَالْعَمْرِ فِي اقْتِنَاءِ الْبُرُودِ  
 لَيْسَ فِي اللَّهِ وَالْبَطَالَةِ فَخْرُ  
 إِنَّمَا الْفَخْرُ كُلُّ عِرْسٍ كَدُودِ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*\*\*

---

(١) كافرة بالنعمة.

(٢) شديدة في العمل.

## ٤ - عن مصر

[البسيط]

لا أَخِذْ الدَّهْرَ مَهْمَا ضَنَّ أَوْ بَخِلَا  
تَاللهِ يَحْمِلُ وَزْرِي وَهُوَ مَا عَقَلَا<sup>(١)</sup>  
جَنَى عَلَيَّ طَلَابُ الْعِلْمِ فِي فِتْنَةٍ  
لا تَعْرِفُ الْمَرْءَ إِلَّا بِالْغِنَى رَجُلَا  
وَكُنَّ لِلْحَرِّ أَنْ يُثْرِيَ ثَرَاءَهُمْ  
لو كَانَ يَرْضَى بِهِ مَنْ عَرَضَهُ بَدَلَا  
أَهْوَى الْحَيَاةَ فَإِنْ عَنَّتْ عَلَى ضَعْفَةٍ  
صَدَفْتُ عَنْهَا كَأَنِّي أُعْشِقُ الْأَجَلَا  
ليست حياةُ الفتى إلا كرامتُهُ  
سَاءَ النَّزِيلُ مُقَاماً أَيْنَمَا نَزَلَا  
يا رَبُّ مَعْتَرِضٌ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ  
وَافِي يَسْوِقُ لِي التَّعْنِيفَ وَالْعَذَلَا  
حَتَّى تَدْفَعُ عَن مِصْرٍ وَلَسْتُ لَهَا  
بَابِنٍ وَلَا نَاقَةً تَبْغِي وَلَا جَمَلَا  
فَلُذْتُ بِالصُّمْتِ حَتَّى لَاحَ لِي عِلْمٌ  
ضَافٍ تَدَاعَبُهُ أَيْدِي الصَّبَا جَذَلَا  
وَقُلْتُ: أَنْظِرْ، فَوَلَّى شَطْرَهُ فَرَأَى  
رَسْمَ الْهَلَالِ<sup>(٢)</sup> فَوَارَى وَجْهَهُ خَجَلَا

(١) لا يعقل.

(٢) إشارة إلى الراية العثمانية.

وعدتُ أرثي له مما أَلَمَّ به  
وعاد يعثرُ في أذياله خَبَلاً

وقائلٌ: كيف ترقى مصرُ؟ قلتُ له:  
حَسْبُ الكِنَانَةِ شعبٌ يعشقُ العملَ  
يقظانُ لا جَزَعاً مما يحاذره  
فمَنْ يخفُ فشلاً في سعيه، فشلاً  
ثَبُتُ العزيمةِ لا يَلوي بهمَّته  
كيد الطَّغَامِ ولا بُعد المَرَامِ، ولا  
خيرُ الحَبَّينِ صبُّ لا سلو له  
لا خيرَ فيمن إذا حُمَّ الفراقُ سَلا  
شعبٌ يسابقُ نحوَ المجدِ هاجِسَهُ  
إني وجدتُ التَّوَانِي يخلقُ الكسلا  
ولا يني إنْ عَـرَاهُ النَّاشِئُ عَجَلُ  
حتى يكونَ عليه حادثاً جَلا  
حوادثُ الدهرِ إعصارُ تهبُّ، فما  
يبقى عليها سوى من أشبَهَ الجبلا  
ولو أقال الفتى من غمرةٍ وجَلَّ  
لم تلقَ في الناسِ من لم يعرفِ الوجَلا  
شعبٌ أحبُّ إليه الموتُ محترماً  
من أنْ يعيشَ طَوَالَ الدهرِ مُبْتَذَلاً

ما أجملَ الحكمَ بين القومِ مشتركاً  
فالمرءُ منفرداً لا يأمنُ الخطَلاً

لَا يَعْجَبُ النَّاسُ إِلَّا سَوَدُوا رَجُلًا  
 فَسَامَهُمْ مَا يَسُومُ الْجَارُ الْهَمَلَا  
 فَالْبَدْرُ يَكْسِفُ نَوْرُ الشَّمْسِ طَلَعَتْهُ  
 وَالْبَدْرُ لَوْلَا ضِيَاءُ الشَّمْسِ مَا كَمَلَا  
 إِنَّ الْمَالِكَ قَدْ تَحْيَا بِلَا مَلِكٍ،  
 إِذَا أَرَادَتْ ، وَلَا تَحْيَا الْمُلُوكُ بِلَا...<sup>(١)</sup>  
 وَإِنْ سَرَى الْجَهْلُ فِي شَعْبٍ فَضَعُضَعُهُ  
 فَالْعِلْمُ خَيْرُ دَوَاءٍ يُصْلِحُ الْخِلَا  
 بَحْرُ لَنْ غَاضَ<sup>(٢)</sup> مَاتَ الْخَلْقُ مِنْ ظَمَأٍ  
 وَكَوْكَبُ تُظْلِمُ الدُّنْيَا إِذَا أَفْلَا  
 هُوَ الْجُرَّازُ<sup>(٣)</sup> الَّذِي مَا مَسَّه فَلَلُ  
 وَكُلُّ عَضْبٍ نَرَى فِي حَادِهِ فَلَا  
 بَلَى هُوَ السَّيْفُ لَكِنْ لَا يُرِيقُ دَمًا  
 وَلِلنَّارِ شَيْءٌ غَمْدٌ إِذَا نَصَلَا<sup>(٤)</sup>  
 لَوْلَاهُ لَمَّا نَرَى الْأَمْوَاجَ حَامِلَةً  
 مِنَ الْحَدِيدِ جِبَالًا تَحْمِلُ الْقُلَلَا<sup>(٥)</sup>  
 مِنْ كُلِّ سَابِحَةٍ فِي اللَّجِّ تَحْسَبُهَا  
 ذَا حَاجَةٍ رَاحَ يَعْدُو نَحْوَهَا عَجَلَا  
 جِزءٌ مِنَ الْأَرْضِ فَوْقَ الْمَاءِ مَنْتَقِلُ  
 فِيهِ مِنَ النَّاسِ جِزءٌ بَاتَ مُرْتَجِلَا  
 وَلَا الْقَطَارُ الَّذِي أَضْحَى يَخْبُ بِنَا  
 فِي كُلِّ فَجٍّ يَرُوضُ الْحَرْنَ وَالسَّهْلَا

(١) الملوك لا تحيا بلا شعوب.

(٢) جف.

(٣) السيف.

(٤) نصل. ظهر نصله.

(٥) أعالي الجبال.

من كل مضطرب في الأرض ذي لجب  
يُنسِيكَ منظره الأحداج<sup>(١)</sup> والإبلا  
لا يشتكي في السُرى أئناً ولا لغباً<sup>(٢)</sup>  
وتشتكي الأرضُ جهرأ عبء ما حملاً  
سوى عجائب لا يُحصى لها عددُ  
حتى يَعدُّ يراع الكاتب الرملاً<sup>(٣)</sup>  
ولو يُطيف ذووها بالألَى درجُوا  
من قبلنا حسبَتهم رُسُلهم رُسُلاً  
ما كان يخطر في قلبي ولا خلدي  
أُني أرى المرء في الأفلاك منتقلاً  
سما إلى الأفق فارتاعت فراقده  
حتى اغتدى رُحلاً يخشى به رُحلاً  
وأيقن الليث أن لا حصل يعصمه  
فكاد من دغيره يستعطف الحملاً  
وأصبح الحوت ملتاع الفؤاد أسي  
كالحوت في الماء يخشى النار والأسلاً<sup>(٤)</sup>  
كذلك العلم يُعلي قدر صاحبه  
في الناس حتى يُرى بالشهب منتعلاً  
انظر إلى الشرق في جهلٍ وخذ عظةً  
وانظر إلى الغرب في علمٍ وخذ مثلاً

\*\*\*\*\*

---

(١) ما تحمله الجبال من بيوت الراحلين.

(٢) الأئِن واللُغَب: التعب والإعياء.

(٣) يقصد التمهّل في العد.

(٤) الرماح.

## ٥ - شكوى فتاة

نظمها الشاعر بلسان فتاة أرغمها ذووها على الاقتران برجل طاعن في العمر.

[الرملة]

لي بعمل ظنَّه الناسُ أبي  
صدَّقوني، إنَّه غيرُ أبي  
واعِدِلوا عن لوم مَنْ لومَزَجَتْ  
ما بها بالماءِ لم يُستَغْذَبِ  
رُبَّ لومٍ لم يفدُ إلا العنا  
كم سهامٌ سُدِّدَتْ لم تُصِيبَ ؟  
يشـتـكـي المرءُ لمن يرثي له  
رُبَّ شكوى خففت من نصبِ

زعموا أن الغواني لُعَبُ  
إنما اللعبة طبعاً للصَّبي  
وأنا ما زلتُ في شَرخِ الصَّبَا  
فلمّا إذا فرطَ الأهلون بي ؟  
لي قدٌ وجمالٌ يزدرى  
ذاك بالغُصْنِ، وذا بالكوكبِ  
قد جرى حبُّ العُلا مجرى دمي  
فهني سؤلي والوفاء من مشرّبي  
أنا لو يعلمُ أهلي درّة  
ظلمتُ في البيعِ كالمُخسَلَبِ<sup>(١)</sup>

---

(١) الخرز

أخـذوا الدينار مني بدلاً  
أثراني سلعةً للمكسب؟  
لا، ولكن راعهم عـصـرُ به  
ساد في الفتيان حبُّ الذهب  
ليس للآداب قـدرُ بينهم  
أه لو كان نُضـاراً أدبي !  
حـسـبـوني حين لازمتُ البكا  
طفلةً أجهلُ ما يدري أبي  
ثم بالغُـولِ أبي هـدـدني  
أين من غول المنايا مَهـرُبي ؟  
أشـيبُ لو أنه يغشـى الدجى  
شـابَ ذعراً منه رأسُ الغيـهَبِ<sup>(١)</sup>  
ليت ما بيني وبين النومِ من  
فُرقةٍ بيني وبين الأشـيبِ  
يا له فظاً كثـيرَ الحـزنِ، لا  
يعرفُ الأـنسُ، قليلَ الطـربِ  
يخـضـبُ الشـعرَ ولكنْ عـبثاً  
ليس تخفى لغةُ المستـعربِ

قل لأهل الأرض: لا تخشوا<sup>(٢)</sup> الردى  
إنه مشـتـغلٌ في طلبي  
ولنْ يعـجـبُ منْ بُغـضي له:  
أيها الجاهلُ أمـري، اتئـبِ<sup>(٣)</sup>

(١) الظلمة.

(٢) الأصل: تخشوا.

(٣) اتأب: تأنى وتمهل واستحيا

إِنَّمَا الْغُصْنُ إِذَا هَبَّ الْهُوَ  
مَالَ لِلْأَغْصَانِ لَا لِلْحَطَبِ  
وَإِذَا الْمَرْءُ قَضَى عَمَرَ الصَّبَا  
صَارَ أَوْلَى بِالرَدَى فِي مَذْهَبِي

\*\*\*\*\*



## ٦ - إلى الشبان المتفرنجين

[الكامل]

يا أيها الشرقُ التعيسُ، انظرُ إلى الـ  
قوم الذين شددتَ أزرَكَ فيهمُ  
ما زلتَ تكلوهمُ بطرفٍ ساهرٍ  
يُحيي الظلامَ وهمُ هجوُ نَوْمٍ  
والغربُ يرنو خائفاً أن يَخلفوا  
أجدادهمُ ويودُّ لو لم يَنعموا  
حتى إذا طرَّتْ شواربهمُ وبا  
تَ من الشَّبَابِ لَهُم طرازُ مُعَلَّمٍ  
خرجوا عليكَ وأنتَ لا تدري وهمُ  
لا يشعرون ولو دروا لتندموا  
يا طالما مَثَّلوا لَدَيْكَ كَأَنَّهُمْ  
أَسَدُ الشَّرَى فَنَسِيَتْ أَنَّكَ تَحْلُمُ  
ورجوتَ ما يرجوه كلُّ أبٍ لَدَى  
أبنائه، إِنَّ العَقْوَاقِمَ مَذْمُومٌ  
ولطالما شِدَّتْ القَصُورُ مِنَ المُنَى  
خَابَ الرِّجَاءُ وَسَاءَ مَا تَتَوَهَّمُ  
أَلِهَتُهُمُ الدُّنْيَا فَهَذَا بِالطَّلَا  
صَبٌّ، وَهَذَا بِالْحِسَانِ مَتِيئٌ  
والخمرُ فَاتَكَةُ فَكَيْفَ بِنَاعِمٍ  
تَرْفِيكَادُ مِنَ النِّسَائِمِ يُسْقَمُ

قد أصبحوا وقفاً على شهواتهم  
يستسلمون لها ولا تستسلم  
لم يفهموا معنى الحياة وكُنْهها  
إن البليّة أنهم لم يفهموا  
فليقلعوا عن غيّيهم، إنني أرى  
خَوْرَ الشيوخ بهم ولمّا يهرموا  
قد قلّدوا الغربيّ في أفاته  
تقليدُهُ الشرقيّ فيما يعصمُ  
فتنتهمُ لغةُ الأعاجمِ إنّما  
لغةُ الأعاجمِ منهمُ تتبرّمُ  
أمسى الذي تُهدى إليه لآلئُ  
وكأنّما هو بالحجارة يُرجمُ  
لا تعذلِ الشُّعراءَ إن بخلوا بهِ  
إنّ القريض على الغبيّ مُحَرَّمُ  
بنّا وبات الشرقُ يمشي القَهْقَرى  
مع ذاك نحسبُ أنّنا نتقدّمُ!

\*\*\*\*

## ٧ - هديتي

إلى مدارس الشعب بالاسكندرية (وهي مدارس كان الحزب الوطني قد أنشأها بالمدينة)

[الكامل]

ما للهُمومِ الطَّارِقَاتِ وما لي  
أسهَرُننني ورقَدُنْ عن أوجالي  
أمسينَ ملءَ جوانحي، ما نابني  
خطبُ، ولا خطرَ الغرامِ ببالي  
أهوى وقد عبثَ المشيبُ بمفرقي  
ليس الغِواية للكبير البالي  
ما ثمَّ داءٌ يُستطار له الكرى  
ما ثمَّ غيرُ كآبةٍ ومَلالٍ  
أرعى الثواقبَ<sup>(١)</sup> في الظَّلامِ كأنَّها  
زَهْرُ الحَدائقِ أو نثِيرُ لآلٍ  
وكأنما شوكُ القَتَادِ بمضجعي  
وكانَ حَشَوَ سادتي بلبالي<sup>(٢)</sup>  
حتى إذا عكفتُ عليّ وساوسي  
ونبأ الفراشُ نزعْتُ للتَّجْوالِ  
فخرجتُ كالمنشور بعد مماته  
وركبتُ متنَ الليلِ غيرَ مُبالٍ

(١) الثاقب: صفة للشهاب ( شهاب ثاقب ) أراد: النجوم الثواقب ( جمع: ثاقبة ).

(٢) قلقي.

وزهبتُ اخترقُ المسالكَ مدلجاً<sup>(١)</sup>  
وكأنما أُطلقت من أغلال  
أسعى وما من غايةٍ أسعى لها  
سعيّاً إلى أملٍ من الآمال  
فاستوقفتني ضجّةٌ في حانةٍ...  
حبستُ مقاعدّها على الجهال  
حاموا على الصُّهباء يرتشقونها  
كالطير حول مصفّق السُّلّال<sup>(٢)</sup>  
في غفلةٍ العُذال في غسق الدجى  
إن السَّعادة غفلةُ العُذال  
نهب الكؤوس عقولهم ونُضارهم  
نهب المدير الخادع المحتال  
أمسى يسوق إليهم آجالهم  
وحثّوفهم في صورة الجريال<sup>(٣)</sup>  
شرُّ الشرابِ الخمرُ، يصبح صبيها  
قيد الضنّى، ويبىّت رهن خبال  
يا سـالـب الأرواح بعض ترفق  
يكفّيك أنّك سالبُ الأموال  
لا تدفعنّ تلك النفوس إلى الردى  
إن النفوس وإن صغرُن غوال  
وإذا بمخمورٍ يتيه مُعربداً  
خبيلُ به، ما زال تيهه دلال

---

(١) سائراً بالليل.

(٢) تصفيق الشراب. تحويله من إناء إلى آخر.

(٣) الخمر

حيرانَ مضطربَ الخطأ فكأنما  
 قد راح يمشي فوق جمرٍ صال  
 متخبطٍ<sup>(١)</sup> في سيره متأودٍ  
 كالغصن بين صبا وبين شمال  
 عقَدَ الشرابُ لسانه ولقد يرى  
 طلقاً، وفكٌ مجامع الأوصال  
 فكَبَا كما يكبو الجوادُ على الثرى  
 شُدَّتْ عليه فوادحُ الأثقال  
 وتقدَّم الشرطيُّ يمشي نحوهُ  
 مشي الفخورِ بنفسه، المختال  
 متلفتاً عن جانبيه كعاشقٍ  
 مُتلفتٍ حذر الرقيبِ القالي<sup>(٢)</sup>  
 ورأيتُه وبنائه في جيبِهِ  
 فعَلِمْتُ سرَّ تَلَفَّتِ المحتال  
 لا تعجَبُوا ممَّا أَحَدْتُكُمْ بِهِ  
 كم تحت ذاك الثوبِ من نشْأال  
 ثم انتنَى متبسمًا وإذا فتى  
 غَضَّ الإهابَ ممزقَ السَّـريال  
 وأتى فحرَّكهُ فالْفَى جَنَّةً  
 هَمَدَتْ فَأَجْفَلَ أَيْمًا إَجْفال  
 وحنًا عليه يَضُمُّهُ ودموعُهُ  
 تنهلُ مثلَ العارضِ الهطال

(١) نوع من أنواع السير.

(٢) الكاره.

وأتى ذويه نعيُّه فتألَّبوا  
 والغيدُ تُغولُ أئِماً إعوَال  
 أرخصنَ ماءَ الجَفَنِ ثمَّ أذلَّنَه<sup>(١)</sup>  
 ولقد يكونُ الدمعُ غيرَ مُذَال  
 ولقد شهدتُ صِغَارُهُ في حَيْرَةٍ  
 من أمرِهِمْ، لهفي على الأشبال  
 لا يفقهونَ الحزنَ غيرَ تَأَوُّهِ  
 ما الحزنُ غيرُ تَأَوُّهِ الأطفَال  
 ما كنتُ أعلمُ قبلَ ما حَقَّوا به  
 أنَ الشقيَّ الجَدَّ<sup>(٢)</sup> ربُّ عِيَال  
 أسفي عليه مُضِرَجاً لم تمتشقْ  
 يذُّهُ الحَسَامَ ولم يسِرْ لِقِتَال  
 أودى ضَحِيَّةً جهلِهِ، كم يائسِ  
 أودى شهيدَ الجهلِ والإهمال  
 فرجعتُ مصدُوعَ الفؤادِ أبثُكُم  
 شَجَّوِي وأندبُ حَالَةَ العَمَال  
 باتوا من الأرزاء بين مَخَالِبِ  
 من دونهنَّ مَخَالِبُ الرِّبَال<sup>(٣)</sup>  
 خَطَرَانِ من جهلٍ وفقرٍ، ما الرَّدَى  
 غيرُ اجتماعِ الجهلِ والإقلال  
 فخذوا بناصيرَهُمْ فإنَّ حياتَهُم  
 في مَأزِقٍ حَرَجٍ من الأهوال

(١) الإذالة: الإهانة. أذاله: أهانه.

(٢) الحظ.

(٣) الأسد.

ما أجدر الجهلاء أن يتعلموا  
فالعلم مصدر هيبته وجلال  
فاسعوا لنشر العلم فيهم إنما  
فضل الغمام يبين في الإمحال<sup>(١)</sup>  
إن الجهول إذا تعلم واهتدى  
بث الهدى في صحبه والآل  
يا قوم إن لم تسعفوا فقراءكم  
فلم ادخاركم إذا للمال  
هلا رضيتم بالمخامد قنيئة  
إن المخامد قنيئة المقضال  
أولستم أبناء من سارت بهم  
في المكرمات روائع الأمثال  
جودوا فغير الحمد غير مخلد  
ما المال؟ إن المال طيف خيال  
هيهات! ما يبقى ولوعده الحصى،  
أنى يدوم وربُّه لـزوال؟

\*\*\*\*\*

---

(١) الجذب.

## ٨ - الرجل والمرأة

[البسيط]

يا رَبُّ قَائِلَةٌ، والقولُ أجملُهُ  
ما كان من غادةٍ حتى ولو كذبا  
إلامْ تُحَتَّقِرُ الغاداتُ بينكمْ  
وهنَّ في الكونِ أرقى منكمْ رُتبا  
كنا<sup>(١)</sup> لكمْ سببًا في كلِّ مكرمةٍ  
وكنتمْ في شقاءِ المرأةِ السَّببِبا  
زعمتمْ أنهنَّ الخاملاتُ نهي  
ولو أردنَ لصيَرنَ الثُّرى ذهبًا  
فقلتُ لو لم يكنْ ذا رأيٍ غانيةٍ  
لهاجَ عندَ الرجالِ السُّخطَ والغضبِبا  
لم تنصِفينَا وقد كنا نوُمِّلُ أن  
لا تُنصِفينَا لهذا لا نرى عَجَبًا  
هيهاتَ تعدِلُ حسناءُ إذا حكمتُ  
فالظلمُ طبعُ على الغاداتِ قد غلبَا

يحاربُ الرجلُ الدنيا فيخضعُها  
ويفرزُ الدهرُ مذعوراً إذا غضبَا  
يرنو فتضطربُ الآسادُ خائفَةً  
فإن رنتْ ذاتُ حسنٍ ظلَّ مُضطربَا

---

(١) إشباع الحركة (كنا) لضرورة الوزن.



فإن تشأ أودعت أحشائه برداً  
وإن تشأ أودعت أحشائه لهباً  
يُفني الليالي في همٍّ وفي تعبٍ  
حِذارَ أن تشتكى من دهرها تعباً  
ولو درى أن هذي الشُّهبَ تزعجُها  
أمسى يروّع في أفلاكها الشُّهباً  
يشقى لتصبح ذاتُ الحلّى ناعمةً  
ويحملُ الهمَّ عنها راضياً طرباً  
فما الذي نفحَتْهُ الغانياتُ به  
سوى العذابِ الذي في عَينه عذابُ  
هذا هو المرءُ يا ذاتَ العفافِ، فمن  
ينصفُ لاشك فيه يُنصفُ الأدبا  
عنْفَتِه وهو لا ذنبُ جناهُ سوى  
أنْ ليس يرضى بأن يغدو لها ذنباً!

\*\*\*\*\*

## ٩ - عباد الذهب

[البسيط]

ما ساء نفسي من الدنيا سوى نفرٍ  
لا خيرَ فيهم ولكن شرهم عَمَمُ  
ماتت ضمائرهم فيهم أنانيَّةٌ  
فليس تنشرُ حتى تُنشرُ الرَّممُ  
ساعتُ خلانقهم، أولاً خلاق لهم  
إلا الشرَّاهةُ والإيثَارُ والنَّهمُ  
إذا رأوا صوَرَةَ الدينارِ بارزةً  
خروا سُجوداً إلى الأذقانِ كلُّهمُ  
قد أقسموا أنهم لا يُشركون بهِ  
بئس الإلهُ وبئس القومُ والقَـسَمُ

\*\*\*\*\*

## ١٠. (الإنسان والدنيا) (١)

[الكامل]

المرءُ في غَفَلَاتِهِ وَسُبَّاتِهِ  
والدَّهْرُ كالرَّئِبَالِ (٢) فِي وَثَبَاتِهِ  
والعَمْرُ ظِلٌّ وَالزَّمَانُ يَجْدُ فِي  
إِخْفَائِهِ، وَالمرءُ فِي إِثْبَاتِهِ  
وَالْحَرْبُ لَا تَنْفَكُ بَيْنَهُمَا وَلَا  
يَنْفَكُ هَذَا المرءُ فِي حَسَرَاتِهِ  
لَا تَعْجِبُوا مِنْ جَهْلِهِ وَغُرُورِهِ  
وَتَعَجَّبُوا إِنَّ حَالَهُ (٣) عَنْ حَالَاتِهِ  
يَسْعَى وَلَا يَدْرِي إِلَى حَيْثُ الرَّدَى  
وَكَذَا الْفَرَّاشُ يَحُومُ حَوْلَ مِمَاتِهِ  
وَتُحِبُّ الدُّنْيَا إِلَيْهِ نَفْسَهُ  
فَيُطِيعُهَا، وَالنَّفْسُ مِنْ آفَاتِهِ  
وَيَضِيرُهُ إِفْلَاتُهُ مِنْ قِيْدِهَا  
وَسَعَادَةُ الْإِنْسَانِ فِي إِفْلَاتِهِ  
يَلْقَى الضَّرَاغِمَ (٤) غَيْرَ مَكْتَرِثٍ بِهَا  
فَإِذَا سَطَّتْ ضَرْبَتْ عَلَى سَطَوَاتِهِ  
مَا قَاتِلُ الْبَطْلِ النَّجِيدِ غَضَنَفَرٍ (٥)

إِنَّ الْغَضَنَفَرَ مَنْ عَصَى شَهْوَاتِهِ

\*\*\*\*\*

---

(١) هذه القصيدة في الأصل بلا عنوان.

(٢) الأسد (٣) تغير عنها

(٤) الأسود. (٥) أسد.

## ١١ - وردة وأميل

[الكامل]

يا ليتما خُلِقَ الزمانُ أصيلاً  
إنِّي أراه كالشبابِ جميلاً  
ولَّى فودعتِ السماءُ بهاها  
من بعده، وهوى النهارُ عليلاً  
جنحتُ ذُكاءً<sup>(١)</sup> إلى الغروبِ كأنما  
تبغى رُقّاداً أوتريدُ مَقِيلاً<sup>(٢)</sup>  
وتناثرتُ قطعُ السُّحابِ كأنها الـ  
جيشُ اللُّهَامِ<sup>(٣)</sup> إذا انثنى مفلولاً<sup>(٤)</sup>  
هذا وقد بسطَ السكونُ جناحَهُ  
والليلُ أمسى سترهُ مَسْدولاً  
قد بات كلُّ مسهدٍ طوعَ الرُقّا  
دِ وكلُّ جَفْنٍ بالكرى مكحُولاً  
إلا مهفهفةً<sup>(٥)</sup> بها نزل الهوى  
ضيفاً ولكن لا يريدُ رحيلاً  
غيداءً قد وصلتْ ذوائبُها الثُّرى  
إنِّي لأحسبُ ذلك الموصولاً

---

(١) الشمس.

(٢) القيلولة: الراحة، وعادة تكون بعد الظهر

(٣) الكثير العدد، كأنه يلتهم كل شيء.

(٤) يريد. الكسرة.

(٥) ضامرة البطن.

تحكي المدامة رقعةً وقساوةً  
 تحكي المهابة لواحظاً وتليلاً<sup>(١)</sup>  
 ماء الحياة يجول من وجناتها  
 فكأن في تلك الكؤوس شَمولاً<sup>(٢)</sup>  
 والخذ أبهج ما يكون مُورداً  
 والطرف أفن ما يكون كحِـيلاً  
 نظرت ورب منية من نظرة  
 قد كان عنها ربها مشغولاً  
 فهوت، ورب هوى تُنال به المنى  
 وهوى يُنال به الحِمَامُ نبيلاً  
 والحبُّ مصدره العيون وربما  
 تخذ السَّماع إلى القلوب سبيلاً  
 فإذا عشقت فلا تلم أحداً سوى  
 عينيك إن من العيون قَتولاً  
 ودت وقد نال الذبولُ خدودها  
 لو أن في الشُّوق المقيم دُبولاً  
 وإذا تملكت الصَّبابة في امرئ  
 لم يُجد عذل العاذلين فتيلاً  
 سمعت دويّاً في الظلام فهرولت  
 مذعورة بعد الوقوف طويلاً  
 وأنين محتضر يقول قتلتنى  
 ثكلتك أمك لم أنل مأمولاً  
 تعدو وتجذبها روادفها إلى  
 خلف فتجهدُ خصرها المتبولاً<sup>(٣)</sup>

(١) العنق

(٢) الخمر

(٣) السقيم. ويعني هنا النحيف.

فكأن في ذاك الوشاح مُتَيِّمًا  
وَكأن في ذاك الإزار عَزْذُولًا  
تَخِذْتُ من الليل المَخِيمَ صاحباً  
ومن الأنين إلى الأنين دليلاً  
تبغي الوقوف على حقيقة أمره  
تبغي جليلاً لا تراه جليلاً  
وتديرُ في تلك البنانِ مُسَدَّساً  
تركت قدائفه السَّهامَ فضولاً  
في طَرْفه كَمَنَ الهلالُ فلورنا  
طَرْفُ الزمانِ إليه عاد كَليلاً  
قد أسكنتُ أكرُ الرصاصِ جفونهُ  
فكأن أكباداً تُجِنُّ غليلاً  
يحمي الضعيف من القوي وربما  
قتلَ الجبانُ به الفتى البُهلولاً<sup>(١)</sup>  
ومن الأسى لم تُعرفِ الحسناءُ هل  
قطعتُ ذراعاً في السُّرى أم ميلاً  
حتَّى إذا رأت المرادَ وما رأت  
إلا خيالاً واقفاً مجهولاً  
حسبتهُ قاتلَ من تحبُّ وأيقنتُ  
أنَّ الذي علقتهُ به المقبلاً  
فدنتُ وأطلقتِ المسدسَ نحو من  
بصُرت به عَرْضاً، فخرَ قتيلاً  
صرعتُ فتى صرعَ الرقيب، وجندلتُ  
أسداً يخرُّ له الهزبرُ ذليلاً

(١) العزيز الجامع لكل خير.

كالبدرِ حُسناً، كالغمامِ سماحةً،  
كالغصنِ غضاً، كالحسامِ صقيلاً  
ثَبَّتُ الجَنانَ قـ\_\_\_\_\_وِيَّه، عَفُ الإِزا  
رَ نَقِيَّه، ما خان قَطُّ خَليلاً  
هذا هوالدُّنْفُ<sup>(١)</sup> الذي أَرْضَى الهوى  
فيها، وأغضب كاشحاً وعدولا  
ما نال بعدَ جهاده إلا الردى،  
والبدرُ يُكسِبُه المَسيرُ أَقْولا  
لَم تَعْلَمِ الحَسَناءُ أَنَّ قَتِيلَها  
مَنْ لَم تَرَ<sup>(٢)</sup> أَبداً سِواهُ جَميلاً  
عَرفتُ، وذلكَ عَندما طَلَعَ الضُّحى،  
ورأت عِياناً نَعشَه مَحمولاً  
لَم يَبلغوا القَبيرَ المَعَدَّ لَدَفَنه  
إِلا وَقَد بَلَغَ الردى العُطْبُولُ<sup>(٣)</sup>  
يا صاحبي إِنَّ جُزْتَ في قَبْرِئِهما  
فَأَتْلُ السَّلامَ عليهما تَرتيلاً  
مَن شاعِرٍ ما حَرَكَ الغَصنَ الهوا  
إِلا تَدَكَّرَ «وردةٌ وأمِّيلاً»

\*\*\*\*\*

---

(١) المريض.

(٢) مد حركة الراء للضرورة.

(٣) المرأة الممتلئة.

## ١٢. أنا هو

[الكامل]

كانت قُبَيْلَ الْعَصْرِ مَرْكَبَةٌ  
تَجْرِي بَيْنَ فِيهَا مِنَ السُّفْرِ<sup>(١)</sup>  
مَا بَيْنَ مَنْخَفِضٍ وَمُزْتَفِعٍ  
عَالٍ وَبَيْنَ السَّهْلِ وَالْوَعْرِ  
وَتَخُطُّ بِالْعَجَلَاتِ سَائِرَةً  
فِي الْأَرْضِ أَسْطَاراً وَلَا تَدْرِي  
كَتَبَتْ بِلَا حَبْرِ، وَعَزَّ عَلَى  
الْأَقْلَامِ حَرْفٌ دُونَمَا حَبْرٍ  
سَيَّارَةٌ فِي الْأَرْضِ مَا فَتَتْ  
كَالطَّيْرِ مِنْ وَغْرِ إِلَى وَغْرِ  
تَأْبَى وَتَأْنَفُ أَنْ يَلُمَّ بِهَا  
تَعَبٌ، وَأَنْ تَشْكُو سَوَى الزَّجَرِ  
حَمَلْتُ مِنَ الرُّكَّابِ كُلِّ فَتًى  
حَسَنَ الرُّوَاءِ<sup>(٢)</sup> وَكُلَّ ذِي قَدْرٍ  
يَتَحَدَّثُونَ، فَذَاكَ عَنْ أَمَلٍ  
أَتِ، وَذَا عَنْ سَالِفِ الْعُمُرِ  
يَتَحَدَّثُونَ وَتِلْكَ سَائِرَةٌ  
بِالْقَوَمِ لَا تَلْوِي عَلَى أَمْرِ  
فَكَأَنَّمَا ضَرَبَتْ لَهَا أَجْلاً  
أَنْ تَلْتَقِيَ وَالشَّمْسُ فِي خِيَدِ

---

(١) المسافرون

(٢) المظهر



حتى إذا سارت بداحية<sup>(١)</sup>  
ممدودة أطرافها صفر  
سقطت من العجلات واحدة  
فتحطمت إرباً على الصخر  
فتشاعم الركاب واضطربوا  
مما ألم بهم من الضرر  
وتفرقوا بعد انتظامهم  
بدداً، وكم نظم إلى نثر  
والشمس قد مالت أشعتها  
تكسو أديم الأرض بالتبر  
والأفق موحمر كأن به  
حنقاً على الأيام والدهر  
والقوم واجرف قلوبهم  
قلقاً كأنهم على الجمر  
قد كان بين الجمع ناهدة الذئب  
ثديين ذات ملاحاة تُغري  
تبكي بكاء القانطين، وما  
أسخى دموع الغادة البكر  
وقفت وشمس الأفق غاربة  
تذري غلاً كالورد.. كالقطر  
شمسان لولا أن بينهما  
صلة لما بكتا من الهجر  
وتدير عينيها على جزع  
كالظبي ملتفتاً من الذعر

---

(١) الأرض المنبسطة

وإذا فتى كالفجر طلعتُهُ  
 بل ربّما أربى<sup>(١)</sup> على الفجر  
 وافتى إليها قائلًا عجَبًا  
 ممّ البُكاء شقيقةَ البدر  
 قالت أخافُ الليلَ يدهمُني  
 ما أوحش الظلماءُ في القُفر  
 وأشدُّ ما أخشاهُ سفكُ دمي  
 بيدِ الأثيمِ اللصِّ ذي القُدر  
 «هنري، العينُ، وما الفتى «هنري»  
 إلا ابنُ أمِّ الموتِ لو تدري  
 رصد السبيلَ فما تمرُّ به  
 قدَمٌ، ولا النسَماتُ إذ تسري  
 واشقُّوتي إن الطريقَ إلى  
 سَكَنِي على مُسْتَحْسَنِ النُكر  
 إني لأعلمُ أنمّا قَدَمِي  
 تسعى حثيثاً بي إلى القُبُر  
 قال الفتى: هيهاتَ خوفُك لن  
 يُجديكَ شيئاً ربّةُ الطُهر  
 فتشجّعي وعليّ فاتكلي  
 فأنا الذي يحميك من «هنري»  
 قالت: أخافُ من الخؤونِ على  
 هذا الشبّابِ الناعمِ النُخْر  
 فأجابها: لا تجزعي وثقي  
 إني على ثقةٍ من النُصْر

(١) زاد.

عَادَتْ كَأَن لَّمْ يَغْرِهَا خَلَلٌ  
 تَخِدُ<sup>(١)</sup> القِفَارَ، سَفِينَةُ الْبَرِّ<sup>(٢)</sup>  
 وَاللَّيْلُ مَعْتَكِرٌ يَجِيْشُ كَمَا  
 جَاشَتْ هُمُومُ النَّفْسِ فِي الصَّدْرِ  
 فَكَأَنَّهُ الْأَمَالُ وَاسِعَةٌ  
 وَالْبَحْرُ فِي مَدٍّ وَفِي جَزْرٍ  
 وَكَأَنَّ أَنْجَمَهُ وَقَدْ سَطَعَتْ  
 دَمْعُ الدَّلَالِ وَنَاصِعُ الدُّرِّ  
 وَالْبَدْرُ أَسْفَرَ رَغَمَ شَامِخَةٍ  
 قَدْ حَاوَلَتْ تَطْوِيهِ كَالسَّرِّ  
 أَلْقَى أَشْعَثَهُ فَكَانَ لَهَا  
 لَوْنُ اللَّجَجِينَ وَلَوْلَوْ النَّفْرُ  
 فَكَأَنَّهُ الْحَسَنَاءُ طَالِعَةٌ  
 مِنْ خِذْرِهَا أَوْ دُمِيَّةُ الْقَصْرِ  
 وَكَأَنَّمَا جُنْحُ الظَّلَامِ جَنَى  
 ذَنْباً فَجَاءَ الْبَدْرُ كَالْعُذْرِ  
 وَضَحَتْ مَسَالِكُ الْمَطِيَّةِ قَدْ  
 كَانَتْ شَبَابِيَّةَ غَوَاضِ الْبَحْرِ  
 فَفَدَتْ تُحَاكِي السُّهْمِ مَنْطَلِقاً  
 فِي جَرِيْهَا وَالطَّيْفِ إِذْ يَسْرِي  
 وَالْقَوْمُ فِي لَهْوٍ وَفِي طَرْبٍ  
 يَتَنَاشَدُونَ أَطَايِبَ الشُّعْرِ  
 حَتَّى إِذَا صَارَتْ بِمَنْعَرَجٍ  
 وَقَفَتْ كَمَنْتَبِهِ مِنَ السُّكْرِ

(١) تشق، (وخذ - يخذ)

(٢) عادت السيارة إلى السير.

فترجّلتُ «ليزا» وصاحبُها  
 ومشّت وأعقَّبَها على الإثر  
 واستأنفتُ تلك المطيئةُ ما  
 قد كان من كَرٍّ ومن فَرٍّ  
 مشّت المليحةُ وهي مُطْرِقةُ  
 ما ثمَّ من تيهٍ ولا كِبَرٍ  
 أتى تَتيههُ وقد أناخ<sup>(١)</sup> بها  
 همٌّ وبعضُ الهمِّ كالوَقْرِ<sup>(٢)</sup>  
 لم تحتسِ خمراً وتحسبُها  
 مما بها نشوى من الخمر  
 في غابةٍ تحكي ذوائبَها  
 في لونها واللف والنشـر  
 ضاقتُ مسالكها فما انفرجتُ  
 إلا لِسَـيْرِ الذئبِ والنمـر  
 كالليلةِ الليلاءِ ساجيةً  
 ولربَّ ليلٍ سـاطعٍ غـرّ  
 قد حاول القمرُ المنيرُ بها  
 ما حاول الإيمانُ في الكفر  
 تحنو على ظبيٍّ وقَسْـوَرَةٍ<sup>(٣)</sup>  
 أرايتُم سـرّينَ في صـدرٍ؟  
 صقـرٌ وورقـاءٌ<sup>(٤)</sup> ومن عجبٍ  
 أن تحتمي الورقاءُ بالصقـر

(١) ثقل عليها .

(٢) الثقل .

(٣) أسد .

(٤) حمامة .

هذا وأعجبُ أنها سَلِمَتْ  
 منه على ما فيه من غَدْرٍ  
 ظَلَّتْ تَسِيرُ وظلٌّ يتبعُها  
 مــــا ثَمَّ من إثمٍ ولا وزرٍ  
 طال الطريقُ وطال سَيْرُهُما  
 لكنَّ عُمُرَ الليلِ في قُصْرٍ  
 حتى إذا سَفَرَ الصُّبْحُ وقد  
 رُفِعَ الظلامُ وكان كالسَّيْرِ  
 والغابُ أوشك أن يَبْوَحَ بها  
 وبه بلا حَذَرٍ إلى النهرِ  
 نَظَرْتُ إِلَيْهِ بِمَقَلَةٍ طَفَحَتْ  
 سِحْرًا ووجهٍ فاضٍ بالبشرِ  
 قَالَتْ له: لم يبقَ من خَطَرٍ  
 جَمٍّ<sup>(١)</sup> نَحْـ\_\_\_\_انِرُهُ ولا نَذَرٍ<sup>(٢)</sup>  
 انظر فإنَّ الصُّبْحَ أوشك أن  
 يمحو ضياءَ الأنجُمِ الزُّهَرِ  
 وأراه دَبَّ إلى الظلامِ فــــهل  
 هذا دبيبُ الشَّيْبِ في الشُّعْرِ؟  
 واسمِعْ فأصواتُ الطيِّورِ علَّتْ  
 بين النِّقَا والضُّالِّ والسَّذَرِ<sup>(٣)</sup>

(١) كثير.

(٢) قليل.

(٣) أسماء شجر بالبادية.

قال الفتى: «أَوَ كُنْتُ فِي خَطَرٍ؟»  
 قَالَتْ لَهُ: عَجَباً أَلَمْ تَدْرِي؟  
 فَأَجَابَهَا: «مَا كَانَ فِي خَطَرٍ  
 مِنْ كَانَ صَاحِبُهُ الْفَتَى هَنْرِي»  
 فَتَقَهَّقَتْ فَرْعاً فَقَالَ لَهَا  
 لَا تَهْلُعِي وَاصْنُفِي إِلَى حُرٍّ  
 مَا كُنْتُ بِالشَّرِّ رِيرَ قَطُّ وَلَا  
 الرَّجُلَ الَّذِي يَرْتَاخُ لِلشَّرِّ  
 لَكُنْ نِي دَهْرٍ يَجُودُ عَلَى  
 دَهْرٍ يَجُودُ عَلَى بَنِي الدَّهْرِ  
 بَلْ إِنِّي خَطَرٌ عَلَى فِتْنَةٍ  
 مِنْهَا عَلَى خَطَرٍ ذَوُوا الضُّرِّ  
 قَتَلُوا أَبِي ظُلْماً، فَقَتَلَهُمْ  
 عَدْلٌ وَحَسْبِي الْعَدْلُ أَنْ يَجْرِي  
 لَا سَلَامَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ  
 لَا سَلَامَ بَيْنَ الْهَرِّ وَالْفَارِّ  
 سَيَرُونَ فِي الْمَوْتِ مَنَاقِمًا  
 لَا شَافِعَ فِي الْأَخْذِ بِالنُّارِ  
 تَا اللَّهُ مَا أَنْسَاكَ يَا أَبْتِي  
 أَبَدًا وَلَا أُغْضِي عَلَى الْوِثْرِ  
 قَالَتْ لَهُ: هَيَّجَتْ لِي شَجَنًا  
 فإِلَيْكَ مَا قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِي  
 بَعَثَ الْمَلِيكَ إِلَى أَبِي فَمَضَى  
 وَأَخِي مَعاً تَوًّا إِلَى الْقَصْرِ

فإِذَا أَبِي فِي الْقَبْرِ مَرْتَهَنُ  
 وَإِذَا أَخِي فِي رِيقَةِ الْأَسْرِ  
 يَا سَاعِدِي بُرْتُمَا وَيَدُ الدُّ  
 دَهْرِ الْخَوُونِ أَحَقُّ بِالْبَنْرِ  
 نَابِي وَظَفَرِي بَتُّ بَعْدَكُمْ مَا  
 وَحْدِي، بِلَا نَابٍ وَلَا ظُفُرٍ  
 وَيَلَاهُ مِنْ جَوْرِ الزَّمَانِ بِنَا  
 وَالْوَيْلُ مِنْهُ لِكُلِّ مُغْتَنَرٍ  
 وَكُلِّ أَنْنَا وَالْمَوْتُ يَرْتَعُ فِي  
 أُرُوحِنَا، مَرَعَى، وَمُسْتَمَرِي  
 لَمَّا انْتَهَتْ وَإِذَا بِهِ دَهْشُ  
 حَيْرَانٍ كَالْمَأْخُوذِ بِالسَّخْرِ  
 شَاءَ الْكَلَامَ فَنَالَهُ خَرَسُ  
 كُلِّ الْبَلَاغَةِ تَحْتَ ذَا الْخُصْرِ<sup>(١)</sup>  
 وَكَذَلِكَ الْغَيْدَاءُ أَذْهَلَهَا  
 مَيْلُ إِلَى هَذَا الْفَتَى الْغِرُّ  
 قَالَتْ أَخِي وَاللَّهِ وَاقْتَرَبْتُ  
 تَرْنُو إِلَيْهِ بِمَقْلَةٍ الْغُفْرِ<sup>(٢)</sup>  
 وَإِذَا بِهِ أَلْقَى عِبَابَهُ  
 بَرَحَ الْخَفَاءُ بِهَا عَنِ الْجَهْرِ  
 صَاحَتْ أَخِي فَكْتُورٌ.. وَاطَّرَبِي  
 رُوحِي.. شَقِيقِي.. مَهْجَتِي نَخْرِي

(١) قلة الكلام.

(٢) واحدة الأيائل، وهي نوع من الغزلان جميلة المنظر.

وتعانقاً فبكى الفتى فرحاً  
إن البخارَ نتيجَةُ الحرِّ  
وتساقطتْ في الخدِّ أدمعُها  
كالقطرِ فوق نواضِرِ الزُّهرِ  
قل للألى يشكون دهرهُمُ  
لا بدُّ من حلوٍ ومن مُرٍّ  
صبراً إذا جَلَلُ أصابكمُ  
فالعُسْرُ آخرُهُ إلى اليُسْرِ

\*\*\*\*\*



## ١٣ - ضيف ثقیل

[الطویل]

أَقْصُ عَلَيْكُمْ مَا جَرَى لِي بِالْأَمْسِ  
فَلِي قَصَصٌ تَجْلُو الْهَمُومَ عَنِ النَّفْسِ  
إِذَا قُلْتُ، قَالَ الدَّهْرُ «أَحْسَنْتَ يَا فَتَى»  
وَلَوْ كَانَ ذَا حَسٍّ لَغَابَ عَنِ الْحَسِ  
فَدُونُكُمْ هَذَا الْحَدِيثُ فَإِنَّهُ  
أَلَذُّ وَأَشْهَى مِنْ مُعَاقِرَةِ الْكَأْسِ  
جَلَسْتُ إِلَى طِرْسِي<sup>(١)</sup> وَقَدْ عَسَعَسَ الدَّجَى  
أَسْطَرُّ مَا تُوحِيهِ نَفْسِي فِي طِرْسِي  
وَلَيْسَ سِوَى نَوْرِ ضَنْئِيلٍ بِجَانِبِي  
يَلُوحُ وَيَخْفَى كَالرَّجَاءِ لَدَى الْيَأْسِ  
وَكَالنَّقْعِ فِي جَوْفِ الدَّوَاةِ أَوِ الدُّجَى  
وَكَالْهِنْدُوَانِي<sup>(٢)</sup> بَيْنَ أُنْمَلِي الْخَمْسِ  
فَصَاحَةُ قُسٍّ<sup>(٣)</sup> أَوْدَعَتْ فِي لِسَانِهِ  
وَحَكْمَةُ لَقْمَانٍ<sup>(٤)</sup> وَيُحْسَبُ فِي الْخُرْسِ  
ضَعِيفُ الْخَطَى بَادِي النُّحُولِ كَأَنَّمَا  
يُشَدُّ إِلَى قَيْدٍ، يُشَدُّ إِلَى حَبْسِ  
أَقْلَبُوه فَوْقَ الطَّرُوسِ وَإِنَّمَا  
أَقْلَبُ فَوْقَ الطَّرْسِ سَعْدِي أَوْ نَحْسِي

---

(١) ورقى

(٢) السيف

(٣) خطيب من خطباء الجاهلية اشتهر بالفصاحة ( قُسَّ بن ساعدة الإيادي ).

(٤) حكيم ورد ذكره في القرآن الكريم.

فَنَبَّهَنِي طَرُقَ عَلَى بَابِ غُرْفَتِي  
وَصَوْتُ ضَعِيفٌ وَهُوَ أَقْرَبُ لِلْهَمْسِ  
نَهَضْتُ وَلَكِنْ مِثْلَمَا يَنْهَضُ الَّذِي  
بِهِ نَشْوَةٌ أَوْ مَنْ يَفْهِقُ مِنَ الْمَسِّ  
وَلَمَّا فَتَحْتُ الْبَابَ أَبْصَرْتُ رَاهِباً  
وَلَوْ كُنْتُ طِفْلاً قُلْتُ: غَوْلٌ مِنَ الْإِنْسِ!  
فَأَزَعَجَنِي مَرَأَهُ حَتَّى كَأَنَّمَا  
رَسُولُ الرَّدَى قَدْ جَاءَ يَنْعَى لِي نَفْسِي  
فَقُلْتُ: وَقَانِي اللَّهُ شَرَّكَ مَا الَّذِي  
أَتَى بِكَ يَا مَشْؤُومٌ فِي سَاعَةِ الْإِنْسِ؟  
أَجَابَ: كُفَيْتَ السُّوءَ جِئْتُكَ طَالِباً  
مَدِيحَكَ لِي بَيْنَ الْأَعَارِبِ وَالْفُرسِ  
فَقُلْتُ: وَحَقَّ الشَّعْرِ مَدْحُكَ وَاجِبٌ  
وَمِثْلِي يَقْضِيهِ عَلَى الْعَيْنِ وَالرَّأْسِ  
خَبَرْتُ بَنِي الدُّنْيَا وَفَتَّشْتُ فِيهِمْ  
فَلَمْ تَرَ عَيْنِي قَطُّ.. أَثْقَلَ مِنْ قَسِّ

\*\*\*\*\*

## ١٤ . قتل نفسه

[المتقارب]

تأملَ في أَمْسٍ سَهٍ الدابرِ  
فكاد يُجَنُّ من الحـاضـرِ  
أهـاجَ التـذكُّرُ أشـجـانَهُ  
وكم للسَّـعـادةِ من ذاكِـرِ  
فَتَى كان أنعمَ من جاهلِ  
فأصبحَ أتعسَ من شاعرِ  
أضاعَ الغنى، وأضاعَ الصَّحَابَ  
ورُبُّ مـريـضٍ بلا زائرِ  
ويا طالما أحـدَقُوا بالفـتى  
كما تُحـدِقُ الجندُ بالظَّافـرِ  
فلَمَّا انقضى مجده أعرضوا  
وما الناسُ إلا مع القـادرِ  
وما الناسُ إلا عبيدُ القويِّ  
فكُنْ ذاكَ أو كُنْ بلا شاكـرِ  
أشـدُّ من الدهرِ مكرًا بَنوهُ  
فـوَيْلُ لمن ليس بالماكـرِ  
فكن بينهم خـاتلاً غـادراً  
ولا تشـتـكِ الغـدرَ مِن غـادرِ  
تعيـسُ تُعانقُ النـائبـاتُ  
عِناقَ الحـبـائلِ للطائرِ

كثِيرُ الهمومِ بلا ناصِرٍ  
كسِيرُ الفؤادِ بلا جابرٍ  
قضى ليلةً ساهياً ساهراً  
إلى كوكبٍ مثله ساهرٍ  
يُفْتَشُّ عن آفلٍ في الثُّرى  
وما كان في الأفقِ بالسَّافرِ  
وتالله يُجدي فتىً بئساً  
كلامُ المنجمِ والسَّاحرِ  
ولمَّا توارتْ دراري السَّماءِ  
وغاب الهلالُ عن الناظرِ  
بكى ثم صاح: أحتى النجومُ  
تصدُّ عن الرجلِ العاثِرُ؟  
إلامَ أعاندُ هذا الزمَّانَ  
عنادَ السُّفينةِ للزَّاخرِ؟  
وأدعو وما ثمَّ من سامعٍ  
وأشكو ولكنَّ إلى ساخرِ  
وأرجو الوفاءَ وتأبى النفوسُ  
وأنى الولادةُ للعاقِرِ  
سئمتُ الحياةَ فليت الحِمَامُ  
يعيِّدُ إلى أصلِه سائِرِ  
فتنطلقُ النفسُ من سجنِها  
ويُسجَنُ تحت الثُّرى ظاهِرِ  
وزاد سوادُ الدُّجى يأسَهُ  
وقد كاد يُسْفِرُ عن باهرِ

فَشَاءَ التَّخْلُصَ مِنْ دَهْرِهِ أَلْـ  
خَوُونٍ وَمِنْ عَيْشِهِ الْحَازِرِ<sup>(١)</sup>  
فَأَغْمَدَ فِي صَدْرِهِ مُدْيَةً  
أَشَدَّ مَضَاءً مِنَ الْبَاقِرِ  
وَكَمْ مِثْلُهُ قَدْ قَضَىٰ نَحْبَهُ  
شَهِيدَ التَّأْمَلِ فِي الْغَابِرِ

\*\*\*\*\*

---

(١) الحامض، يعني الكريه.

## ١٥. ذكرى وعبرة

[الكامل]

عاطيئُها في الكأسِ مثلَ رُضابِها  
تسري إلى قلب الجبانِ فيَشْجُعُ  
يطفو الحَبَابُ على أديمِ كؤوسِها  
فكانَ تَبَرُّراً بِاللُّجَيْنِ<sup>(١)</sup> يُرْصَعُ  
وكأنما تلك الكؤوسُ نواظرُ  
تبكي، وهاتيكَ الفِـواقِعُ أدمع  
مشمولةٌ تُغري بصُفْرِتها البَخِيْ  
لَ بها، فيطمعُ بالنُّضارِ<sup>(٢)</sup> وتطمع  
شِمْطاءٌ إلا أنها محجوبةٌ  
عذراءٌ إلا أنها لا تَمْنَعُ  
ما زلتُ أسقيها إلى أن أخضعتُ  
منها فؤاداً للهوى لا يَخْضَعُ  
فعلتُ بها مثلَ الذي فعلتُ بنا  
ألحاظُها، إن اللُّحَاظَ لَتَصْرَعُ  
لَمَّا انتشتُ ومضى الخفاءُ لشأنه  
باحثٌ إليَّ بما تُكنُّ الأضلعُ  
بَرَخَ الحياءِ وأعلنتُ أسرارها  
إن الحياءَ لكلِّ خَوْدٍ<sup>(٣)</sup> بُرْقَعُ

---

(١) الفضة

(٢) الذهب

(٣) الحسناء

فَعَلِمْتُ أَنِّي قَدْ خُدَعْتُ بِحُبِّهَا  
زَمَنًا، وَكُنْتُ أَظُنُّنِي لَا أُخْدَعُ  
مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ أَنْ أُسْكِرْتُهَا  
أَنَّ الْفَوَادَ بِحُبِّ غَيْرِي مَوْلَعُ  
فَتَرَكْتُهَا نَشْوَى تَغَالِبُ أَمْرَهَا،  
وَالْأَمْرُ، بَعْدَ وَقْوَعِهِ، لَا يُدْفَعُ  
وَرَجَعْتُ عَنْهَا وَاثْقًا مِنْ أَنَّ مَا  
قَدْ كَانَ مِنْ حُبِّي لَهَا لَا يَرْجِعُ  
وَبَكَيْتُ لَوْ أَنَّ الْبُكَاءَ أَفْـَـادَنِي،  
وَنَدِمْتُ لَوْ أَنَّ الْغَدَامَ تَنْفَعُ

\*\*\*\*\*

## ١٦. مصرع حبيبين

[الكامل]

في ذلك الروضِ الأغنُّ بدا فنتى  
قد يبلغُ العشرينَ عاماً ذو نُهى  
كالبدرِ إلا أنه مُتكتَّمُ  
والغُصنُ إلا أنه غُصنُ ذوى<sup>(١)</sup>  
كتبَ الضننَى في وجهه هذا الذي  
كاد الغرامُ به يؤولُ إلى الفنا  
دنفُ تروغُه الغصونُ إذا انتنتُ  
طرباً، ويقلُّقه النسيمُ إذا جرى  
حيرانُ، يُقعدُه الهوى ويقيمُه،  
فكأنه علمٌ يداعبُ به الهوا  
فإذا رنا للأفق ظنَّ نجومه  
عقدَ التي من رامها، رام السَّما  
وتوهَّم القمرَ المخلَّقَ وجهه من  
ضنَّتْ وجاداتُ باللقاءِ وبالنوى  
حجبَ الغمامُ البدرَ عند مسيره  
فكأنه (أسماءُ) تسري في الدُّجى  
حسناءُ قد عَشِقَ الحبُّ عفاقها  
وتعشقتُ أدابهُ فهما سَوا  
كالغصنِ قامتُها إذا الغصنُ انتنى  
وجبينُها يحكي الصباحُ إذا انجلى

---

(١) نبل.



وقعتْ غداثرُها على أقدامِها  
 فكأنها قد عَضُّها نابُ الهوى  
 خَوْدُ إذا نطقتْ حَسِبْتَ حديثُها  
 دُرّاً ولكن ليس مما يُشْتَرَى  
 وقفتْ تحيطُ بها الزهورُ كأنما  
 قمرٌ تحيطُ به الكواكبُ في الفضاءِ  
 ومشتْ تحفَ بها الغصونُ كأنها  
 ملكٌ تحفُ به الجنودُ إذا مشى  
 لله زورتُها وقد قَنَطَ<sup>(١)</sup> الفتى  
 فكأنها روحٌ جرى فيمن ثوى<sup>(٢)</sup>  
 هيهاتَ ما ظَفَرُ المؤملِ بالغنى  
 بألذَّ من ظَفَرِ المتيمِّمِ باللقا  
 فدنا يطارحُها تحية عاشقٍ  
 ويقول: أهلاً بالحبيب اللذُّ أتى<sup>(٣)</sup>  
 بينا تصافحُ من يصافحُها ، إذا  
 بدموعها سَحَّتْ فصافحتِ الثرى  
 ما للعيون تحدرتْ عبراتها  
 وعلامَ هذا الحزنُ يا ذاتَ البَها  
 قالت: حبيبي لو ترى ما قد جرى  
 في ربُعنا<sup>(٤)</sup> شارِكتني فيما ترى  
 جارَ القضاء عليَّ في أحكامه  
 ما حيلة الإنسانِ إن جارَ القضا

(١) يأس.

(٢) دفن.

(٣) [الذ] بمعنى الذي، وهو من الشواذ

(٤) بيتنا

فأبكِ مَعِي فلربما نفع البُكا  
إنَّ الليالي لا تدومُ على الصُّفا  
قال الفتى ودمعُ منتثرٌ على  
خديهِ: يا «أسماء» قولي ما جرى  
فَتَلَقُّتُ في الروضِ خِيفَةً سامعٍ  
فكأنها الطَّيُّ الغريرُ إذا رنا  
وتردَّدَتْ بكلامٍ هـا فكأنما  
تبغي ولا تبغي التفوُّه بالنبا  
قالت ودمعُ العينِ يخنُقُ صوتها:  
وشتَّ الحواسيدُ عند مَنْ نخشَى بنا  
وغداً يعودُ الشُّملُ منفصمَ العُرا  
هذا هو الخبرُ اليقينُ بلا خفا  
قد أنبأته بالفُراقِ وما درت  
أنَّ الفراقَ حِمَامٌ مَنْ عَرَفَ الهوى  
فكأنما سـهمٌ أصابَ فؤادهُ  
وكانه لَمَّا ارتمى طودٌ<sup>(١)</sup> هوى  
أما الفتاةُ فراعها ما صار في  
محبوبها وكأنها ندمتُ على...<sup>(٢)</sup>  
جعلتُ تُناديه بصوتٍ مُحزنٍ  
فيجيبُها كندائِها رَجْعُ الصُّدى  
حتى إذا قَنَطَتْ دنتُ منه كما  
يدنو أخو الداءِ العُضال من الدوا  
وَحَنَّتْ فحرَّكتِ الفتى وإذا به  
جسِمٌ ولكن لا حياةً به ولا

(١) جبل.

(٢) نوع من البديع يقال له: الاكتفاء، وهو الإتيان بكلمة من العبارة، يستدل على باقيها بالسياق.

قد فارق الدنيا ففارقها الرَّجَا  
وهوتُ تعانقُهُ ففَارقتِ الْوَرَى  
قمرانِ ضَمَّهما الترابُ وما عرِفُ  
تُ سِوَاهما قمرينِ ضَمَّهما الثُّرى

\*\*\*\*\*

## ١٧. معركة شمولبو<sup>(١)</sup> ( بين اليابان وروسيا )

[الكامل]

دَبَّتْ وَقَدْ ألقى الظلامُ ستارا  
ولطالما كَتَمَ الدُّجَى الأسراراً  
سَفَرُ هي الأطوادُ لولا سَيَرُها  
أَعْهَدْتُمْ جبلاً مشى أو سارا<sup>(٢)</sup>  
كالطيرِ أسراباً ولكن إن عَدْتُ  
نَفَتِ الرياحُ، وتَسْبِقُ الأطيّارا  
مثلُ الكواكب في النظام وإنها  
لكما الكواكبُ تَبْعُثُ الأنوارا  
هي كالمدائنِ غير أن نزيلها  
أبدأ بها يتوقعُ الأخطارا  
وأظنُّها فقدتُ حبيباً أو أخاً  
ولذلك ارتدتِ السوادُ شِعْرا  
تَغشَى الميادَ لعلَّ ما في قلبها  
يُطفأ فتَزدادُ الضلوعُ أوارا<sup>(٣)</sup>  
وتميدُ حتى لا يُشَكُّ بأنها  
سَكْرَى ولم تَذُقِ السُّفِينُ عُقَّارا<sup>(٣)</sup>  
وتُسَرُّ إن رأتِ الثغورَ كأنها أل  
مَقْرورُ أبصرَ بعدَ جهدٍ نارا

(١) بين اليابان وروسيا ( ١٩٠٤ \_ ١٩٠٥ ) انتصرت فيها اليابان فحيا نصرها بعض شعراء العرب وجرى

أبوماضي على سقهم

(٢) اشتعالاً وحرارة

(٣) الخمر

وبوارجٍ قد سُيرتُ كالجَحَلِ أَلْ  
 جَرَّارِ تَحْمِلُ جَحَقْلًا<sup>(١)</sup> جَرَّارًا  
 حَمَلَتْ أَنَاسًا كَالْقُرُودِ، وَجُوهُهُمْ  
 صَفَرَاءٌ يَحْكِي وَجْهَهَا الدِّينَارَا  
 فُطْسُ الْأَنُوفِ، قَصِيرَةٌ قَامَاتُهُمْ،  
 هِيَهَاتَ لَا تَتَجَاوَزُ الْأَشْبَارَا  
 قَدْ قَادَهَا «طَوغُو»<sup>(٢)</sup> فَقَادَ ذُلُولَةً  
 تَهْوَى الصَّنَعَابَ وَتَعْشِقُ الْأَسْفَارَا  
 فِي قَلْبِهِ نَارٌ وَفِي أَحْشَائِهَا  
 مِثْلُ الَّذِي فِي نَفْسِهِ قَدْ ثَارَا  
 مَا زَالَ يَدْفَعُهَا الْبِخَارُ فَتَرْتَمِي  
 كَالسُّهْمِ أُطْلِقَ فِي الْفَضَاءِ فَسَارَا  
 طَوْرًا تَرَاهَا فِي السُّحَابِ، وَتَارَةً  
 فِي الْقَاعِ يُوشِكُ جِرْمُهَا<sup>(٣)</sup> يَتَوَارَى  
 حَتَّى يَنْتَ مِنْ تَغْرِ «شُولِبُو»<sup>(٤)</sup> الَّذِي  
 جَمَعَ الْأُلَى لَمْ يَعْرِفُوا مَا صَارَا  
 نَفَرٌ مِنْ «الرُّوسِ» الَّذِينَ سَمِعَتْ عَنْ  
 أَفْعَالِهِمْ فِيمَا مَضَى الْأَخْبَارَا  
 مِنْ كُلِّ مَفْـوَارٍ إِذَا زَارَ الْوَعَى  
 زَارَ الْحِمَامُ الْفَارَسَ الْمَفُورَا  
 مَا كَانَ غَيْرُ «الْفَارِيَاكِجِ»<sup>(٥)</sup> لَدَيْهِمْ  
 وَسَفِينَةٌ أُخْرَى أَخْفُ دِثَارَا

(١) جيشاً

(٢) قائد ياباني

(٣) جسدها

(٤) اسم الميناء

(٥) اسم بارجة

قال العدو لهم وقد دانا هم  
 وكفى بما وافى به إنذارا  
 إما القتال فتلقون بمن مضوا  
 أو تحسنون فتؤخذون أسارى  
 كان الجواب قذائفاً نارياً  
 تهوى الورود وتكره الإصـدارا  
 مثل الرجوم إذا هوت لكتفها  
 لا تعرف الأخيار والأشرارا  
 وأقلها خطباً - فكيف أشدها -  
 لو نالت الجبل الأشم أنهارا  
 حفت بهم سفن العدو وأحدقت  
 حتى لكدت إخالها أسوارا  
 ما بين بارجة وطراد إلى  
 نسافة والكل يقذف نارا  
 ملأ الفضاء دخانها، وذكاء احـ  
 نجبت وما برح النهار نهارا  
 والجو أظلم واكففهراً أديمه  
 حتى كأن على السماء ستارا  
 والبحر خضب بالدماء وأصبحت  
 أمواجه، وهي اللجين، نضارا  
 ذا والقنابل لم تزل منهلة  
 منها تحاكي الصيب المـدرارا  
 والمركبان «الفاريان» وأختها  
 في هبوة<sup>(١)</sup> لا يعرفان قرارا

(١) الغيرة وهي الغبار، (والهبو ما همد من لهيب النار).

إحداهُمَا ظَفِرَتْ بِهَا مَقْدُوفَةٌ  
فَكَانَ صَاعِقَةً أَصَابَتْ دَارَا  
فَهَوَتْ بِمَنْ فِيهَا وَقَدْ فَتَحَتْ لَهَا  
الْأَمْوَاجُ صَدْرًا يَكْتُمُ الْأَسْرَارَا  
هَبَطَتْ وَزَادَ هَبْوَظُهَا الْمُتَقَاتِلِي  
نَ عَلَى مَدَاوِمَةِ الْوَعْيِ إِصْرَارَا  
لَكِنَّمَا الْآخَرَى أَصِيبَتْ بِالْأَذَى  
حَتَّى غَدَتْ لَا تَمْلِكُ التُّسْيَارَا  
فَرَأَى الْفَتَى رُبَّانُهَا أَنْ يَفْتَدِيَ الْ  
جَنَدَ الْكِرَامِ مِنَ الْمَمَاتِ فَرَارَا  
قَدْ فَرَّ بَعْضُهُمْ وَلَكِنْ جُلُّهُمْ  
طَلَبُوا الْفِرَارَ مِنَ الْفِرَارِ خِيَارَا  
أَوْدَوْا بِهَا نَسْفًا وَمَاتُوا عِنْدَهَا  
غَرَقًا وَيَأْبَى الْبَاسِلُونَ الْعَارَا  
هَذِي حَكَائُنُ هُمْ أُسْطَرُّهَا لَكُمْ  
لَا دَرَهْمًا أَبْغِي وَلَا دِينَارَا  
فَلَنْ أَفَادَتَكُمْ فَخَيْرُ جَاءٍ مِنْ  
شَرٍّ وَإِلَّا فَلَتَكُنْ تَذَكُّارَا

\*\*\*\*\*

## ١٨ - رسم سياسي

(في وصف رسم سياسي رآه في «جريدة النيل» الأسبوعية القاهرية)

[البسيط]

رسمٌ تعلّم منه ناظري الولعَا  
كأن طرفي قلبي فيه قد وُضعا  
يُمثّلُ «البيض» حول «الصين» قد وقفوا  
وذلك «الدب» في «منشوريا» رتعا  
مشى به نحوها في نفسه أملٌ  
وراح يمشي إلى ما بعدها جشعا  
كالنار تاكل أكلاً ما يصادفها  
والسيل يجرف ما يلقاه مُندفعا  
فقام (بالصُفْر) داع من حليفَتهم  
مليكة الهند، أن هبوا فقد طمعا  
قالت: أحذركم من أن يُخادِعكم  
فطالما خُدع الإنسانُ فانخدعا  
إني محضتكم نُصحَ الصديق عسى  
خيراً يُفيدكم فالنصحُ كم نفعا  
وغيرُ منتفعٍ بالنصح غيرُ فتى  
إذا تحدّث ذوعقلٍ صفا<sup>(١)</sup> ووعى  
سارت إليهم فتاةً وانتنت رجلاً  
وما رأى أحدٌ هذا ولا سمعا

---

(١) مال ( صفا - يصفو )



حتى اذا ما رأت «منشوريا» اختنقت  
بالقوم ضيقا وخرق الشر مؤسعا  
كادت تطير سرورا بالنجاح وقد  
كادت على الهند تقضي قبل ذا جزعا  
نُبئت أن الوغى في الصين دائرة  
فما لها صادفت في النيل مُرتبعا

\*\*\*\*

## ١٩. الكرنفال

[المنسرح]

أَمَسْتُ ثِيَابِي وَكُلُّهَا خِرْقُ  
تُشَبِّهُ رَوْضاً أَلْوَانُهُ فِرْقُ  
مِنْ أَزْرَقٍ كَالسَّمَاءِ جَاوِرُهُ  
أَحْمَرُ قَانٍ كَأَنَّهُ الشَّفَقُ  
وَأَبْيَضُ نَاصِعٍ وَأَسْوَدُ فَا  
حَمٍ فَذَاكَ الضُّحَى وَذَا الْغَسَقُ  
كَأَنَّ قَوْسَ السَّحَابِ بَاتَ عَلَى  
جَسَمِي رِداءً وَمَا أَنَا إِلَّا أَفْقُ  
بُرْدٌ عَجِيبٌ قَدْ خَاطَهُ لَبِقُ  
فَلَيْسَ بِدَعَاءٍ لَهُ أَنْ حَازَهُ لَبِقُ  
لَمَّا تَنَكَّرْتُ لَمْ يَعُدْ صُحْبِي  
يَدْرُونَ أَنِّي الصَّدِيقُ إِنَّ رَمَقُوا  
لِذَاكَ لَمْ يُشْفِقُوا عَلَى جَسَدِي  
مِنْ الرَّمَايَا<sup>(١)</sup> وَلَوْ دَرَوْا شَفِيقُوا  
مَرَرْتُ بِالْحَانَقِينَ فَابْتَسَمُوا  
لَمَّا رَأَوْنِي وَكُلُّهُمْ قَلِقُ  
لَوْ عَلِمُوا أَنَّنِي عَدُوَّهُمْ  
أَوْ شَكَّ يَقْضِي عَلَيْهِمُ الْفَرَقُ<sup>(٢)</sup>

(١) مِنَ الْبُذُورِ وَالْوَرَقِ، كَمَا يَقُولُ بَعْدَ: كَأَنَّمَا مَفْرِدُهَا: رَمِيَّةٌ.

(٢) الْخَوْفُ.

أرْخَى الدَجَى ذَيْلَهُ وَرُحْتُ أَجْرُ  
رُ الذَّيْلِ عُجْباً وَغَيْرِي النَّزِقِ  
وَالْجَمْعُ حَوْلِي يَضِجُ مَبْتَهَجاً  
كَأَنَّهُ السَّيْلُ حِينَ يَنْدَفِقُ  
تَأَلَّبُوا كَالْغَمَامِ وَاتَّصَلُوا  
بَعْضُ بَبَعْضٍ كَأَنَّهُمْ حَلَقُ  
وَانْتَثَرُوا وَالدُّرُوبُ وَاسْعَةٌ  
كَالْأَنْجُمِ الزُّهْرِ حِينَ تَنْبَثِقُ  
أَطْلَقْتُ نَفْسِي مِنَ الْقَيُودِ إِلَى  
أَنْ صِرْتُ كَالسَّهْمِ حِينَ يَنْطَلِقُ  
وَبَتُّ وَالْقَوْمُ كُلُّمَا اجْتَمَعُوا  
رَمَيْتُهُمْ (بِالْبُذُورِ) فَافْتَرَقُوا  
أَسْخَرُ مِنْهُمْ لِأَنَّهُمْ سَخِرُوا  
مَنِّي، اخْتَلَفْنَا وَنَحْنُ نَتَّفَقُ  
وَالْحَرْبُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَشِيبَتْ  
حَرْبٌ وَلَكِنْ سِهَامُهَا الْوَرَقُ  
فَلَا رِمَاحُ هُنَاكَ مُشْرِعَةٌ  
وَلَا سَيُوفٌ هُنَاكَ تُمَتِّشِقُ  
لَمْ أَخْشَ غَيْرَ الْحَسَّانِ نَاطِرَةً  
أَشَدُّ فَعِلاً مِنَ الطُّبَى الْحَدَقِ  
هَذَا هُوَ الْكَرْنَفَالُ فَاسْتَبِقُوا  
إِلَيْهِ فَهُوَ السَّرُورُ يُخْتَلَقُ

\*\*\*\*\*

## ٢٠. أنا .. وهي

[الطويل]

جلستُ إليها والتَّرامُ<sup>(١)</sup> بنا يعدو  
إلى حيثُ لا واش هناك ولا ضِدُّ  
قد انتظمتُ هذي القطاراتُ في الثَّرى  
كأن الثَّرى جِدُّ وتلك له عِقْدُ  
بلى هي عِقْدُ. بل عَقودُ ألا ترى  
على الأرض أسلاكاً تدور فتتمتدُّ  
يسير فيطوي الأرض طيًّا كأنما  
دواليبُه أيدٍ كأن الثَّرى بُردُ  
فكالتَّوْدِ إلا أن ذِيَّكَ ثابتُ  
وكالريح إلا أن هاتيك لا تبدو  
توهَّنتُ من سرعة السير راكداً  
وأن الدُّنا فيمن على ظهرها تعدو  
تحوم عليه المركباتُ كأنه  
ملكُ. وتلك المركباتُ له جُنْدُ  
تُقصِرُ عنه الريحُ إمَّا تسابقا  
فكيف تُجارِه المطهُمةُ الجُرْدُ<sup>(٢)</sup>  
على أنه في كف عبيدٍ رمائمُ  
فيا من رأى مَلَكاً يُصرِّفه عبيدُ!  
كأنني به. يا صاح. دارُ ضيافة  
يغادرُ وقد ويقصِّدُ وقد

(١) كان الترام حديث العهد في المدينة

(٢) يريد الحيل وانصهم المذوِّر الوح. والاحرد القصير الشعر

خَلَوْتُ بَمَنْ أَهْوَى بِهِ رُغْمَ عَاذِلِي  
 وَلَمْ يَكْ غَيْرَ الْقُرْبِ لِي وَلَهَا قَصْدُ  
 فَسَارَ بِنَا فِي الْأَرْضِ وَخُذًا<sup>(١)</sup> كَأَنَّمَا  
 دَرَى أَنْ مَا نَبْغِيهِ مِنْهُ هُوَ الْوُخْدُ  
 فَمَا رَاعَنِي وَاللَّهِ إِلَّا وَقُوفُهُ  
 فَقَدْ كُنْتُ أَخْشَى أَنْ يَفَاجِئَنَا وَغَدُ  
 وَلَمَّا انْتَهَى مِنْ سَيْرِهِ وَإِذَا بِنَا  
 عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ الَّذِي مَا لَهُ حَدٌّ  
 هُنَاكَ وَقَفْنَا وَالشَّفَاةُ صَوَامَتْ  
 كَأَن بِنَا عِيَاءً<sup>(٢)</sup> وَلَيْسَ بِنَا وَجْدُ  
 سَكَنُنَا وَلَكِنْ الْعَيْوَنُ بَوَاطِقُ  
 أَرْقُ حَدِيثِ مَا الْعَيْوَنُ بِهِ تَشْدُو  
 سَكَرْنَا وَلَا خَمْرٌ وَلَكِنَّهُ الْهَوَى  
 إِذَا اشْتَدَّ فِي قَلْبِ امْرِئٍ صَفْقُ الرُّشْدِ  
 فَقَالَتْ. وَفِي أَجْفَانِهَا الدَّمْعُ جَائِلُ  
 وَقَدْ عَادَ مَصْفَرًّا عَلَى خَدَّهَا الْوَرْدُ  
 أَلَا حَبِّذَا يَا صَاحِبِي الْمَوْتُ هَهْنَا  
 إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَنْ نَذُوقَ الرَّدَى بُدَّ  
 فَيَا لَكَ مِنْ فِكْرٍ مُخَيِّفٍ وَهَائِلٍ  
 وَيَا لَكَ مِنْ مَرَأَى يَرَقُّ لَهُ الصُّلْدُ<sup>(٣)</sup>  
 فَقُلْتُ لَهَا أَنِّي مُحِبٌّ لِكُلِّ مَا  
 تُحِبُّينَ. إِنْ السَّمُّ مِنْكَ هُوَ الشُّهُدُ

(١) نوع من السير  
 (٢) عدم القدرة على الكلام.  
 (٣) الحمر

فَقَالَتْ: أَمِنْ أَجَلِي تَحْنُ إِلَى الرَّدَى  
دَعِ الْهَزْلَ، إِنَّ الْمَرْءَ حَلِيئُهُ الْجِدُّ  
فَقُلْتُ لَهَا: لَوْ كُنْتُ فِي الْخُلْدِ رَاتِعاً  
وَلَسْتُ مَعِيَ، وَاللَّهِ مَا سَرَّنِي الْخُلْدُ  
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَهْدٌ إِلَيْكَ يَضُمُّنِي  
فَيَا حَبِّذَا يَا «هَنْد» لَوْ ضَمَّنَا لِحْدًا!  
فَقَالَتْ: لَعَمْرُ الْحَقِّ إِنَّكَ صَادِقٌ  
فَلَوْ لَمْ أَكُنْ مِنْ قَبْلُ أَعْشَقُ حُسْنَهَا  
لَهَمْتُ بِهَا، وَاللَّهُ حَسْبِي مِنْ بَعْدُ!

\*\*\*\*\*

## ٢١ - طفلة والقمر

[الرَّمْل]

دميةٌ حسناء تُغري النُّظرا  
أم مَلاكٍ طاهرٌ فوق الثُّرى  
طفلةٌ ساذجةٌ أطهرُ من  
زهرةِ الرُّوضِ وأنقى جَـ  
شَرُفَتْ أصلاً، وطابتْ عُصُرا  
وارتقتْ نفْساً، وراقتْ منظرا  
حملتْ قلباً أبى أن يحملَ الـ  
حقْدَ أو يكتَمَ حسّاً كَدُرا  
تجهلُ الشرَّ، ولا تُحسنُ أن  
تخدعَ الغَيرَ، ولا أن تغدُرا  
لا تبالي ببينات الدهرِ إن  
أقبلَ الدهرُ بها أو أدبرا  
يعظُمُ الكونَ لدينا جرْمُـه  
وتراه عندها قد صَغُرا  
إنما الدنيا لديها كلُّها  
أبواها وهمـها كلُّ الورى  
جُـوذُرٌ لكنها أنسـه  
لم يرغها ما يروغُ الجُوذرا<sup>(١)</sup>

---

(١) ولد البقرة الوحشية وعيناه جميلتان.

سُـرِقَ التَّفَاحُ مِنْ وَجَنَتِهَا  
وَاسْتَعَارَ الظُّبْيُ مِنْهَا الْحَوْرَا  
ذَاتُ شَعْرٍ زَهَبِيٍّ لَوْنُهُ  
قَدْ حَكَى نَوْرَ الضُّحَى مُنْتَشِرَا  
وَعَيُونٍَ بِالنُّهَى عَابِثَةً  
جَذَبَ الْغُنْجُ إِلَيْهَا الْخَفْرَا  
شُغِفْتُ بِالْبَدْرِ حُبًّا فَهِيَ لَا  
تَعْرِفُ الْغُمُضَ إِلَى أَنْ يُسْفِرَا  
وَقِفْتُ تَرْقُبُ بِهِ فِي لَيْلَةٍ  
مِثْلَ حِظِّ الْأَدْبَاءِ الشُّعْرَا  
تَكْتُمُ الظُّلُمَاءُ مِنَ الْأَنْهَاءِ  
أَيُّ بَدْرِ فِي الظَّلَامِ اسْتَتَرَا  
أَرْسَلْتُ نَحْوَ الدَّرَارِي لِفَتْنَةٍ  
أَذْكَرْتُ تِلْكَ الدَّرَارِي الْقَمْرَا  
وَإِذَا بِالْبَدْرِ قَدْ مَزَّقَ عَنْ  
وَجْهِهِ بَرْقَعَهُ ثُمَّ انْبَرَى  
فَأَضَاءَ الْجَوَّ وَالْأَرْضَ مَعَا  
نَوْرُهُ الْفَضِي لَمَّا ظَهَرَا  
فَرَنْتُ عَنْ فَاتِرٍ وَابْتَسَمْتُ  
عَنْ نَظِيمٍ قَدْ أَكَنَّ الدُّرَا  
ثُمَّ قَالَتْ: يَا حَبِيبِي مَرْحَبًا  
لَا رَأَى الطَّرْفُ إِلَّا نَيَّْـرَا  
قِفْ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا فَعَسَى  
نَوْرُكَ الْبَاهِرُ يَجْلُو الْبَـحْرَا



إن تغيبُ فالصبحُ عندي كالُدجِي  
والدجى إن جئتَ بالصُّبحِ ازدرى  
لم تُحبَّ السَّيرَ ليلاً فإِذا  
ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ عَانَقَتِ الكرى؟  
أتخافُ الشَّمْسَ أم أنتَ كذا  
تعشقُ الليلَ وتهوى السَّهرا؟  
ثم نَاجتُ نَفْسَهَا قَائِلَةً  
أُتْرَى أَبْلُغُ مِنْهُ وَطَرًا  
ليت لي أَجْنَحَةٌ بل لِيَتَنِي  
نَجْمَةٌ أَتَبْعُهُ أَنَّى سَرَى  
وَهُمَ البَعْضُ فَقَالُوا دَرَهْمُ  
مَا أَرَى الدَّرَهْمَ إِلَّا حَجَرًا  
ولَقَدْ أَضْحَكَنِي زَعْمُهُمْ:  
إِنَّهُ يُشَبِّهُهُ فِي الحُجْمِ الثُّرَى  
زَعَمُوا مَا زَعَمُوا لَكُنْمَا  
هو عندي لَعِبَةٌ لَا تُشْتَرَى!

\*\*\*\*\*

## ٢٢ - فنون الوصف

[الطويل]

كأنني في روضٍ أرى الماءَ جارياً  
أمامي وفوقي الغيمُ يجهدُ بالنَّشْرِ  
توهُمَّتْهُ هَمّاً فقلتُ له: أنجلِ  
فإنَّ همومي ضاقَ عن وصفِها صدري  
بربك سرُّ حيثُ الخَلْيُ فإنني  
فتى لا أرى غيرَ المصائبِ في دهري  
فأقشعُ حتى لم أشكُ بأنه  
أصاخَ إلى قولي، وما شكٌ في أمري  
رعى الله ذِيَّكَ الغمامَ الذي رعى  
عهودي، وأولاني الجميلَ، ولم يدرِ  
تظَلَّلْتُ بالأشجارِ عندَ اختفائه  
ويا رَبِّ طَلَّ كان أجملَ من قَطْرِ  
جلستُ أبثَّ الزهرَ سرّاً كتمتُ  
عن الناسِ حتى صرتُ أخفى من السرِّ  
ولمّا شكوتُ الوجَدَ، وجُدِي، تمايلتُ  
كان الذي أشكوه ضربٌ من الخمرِ  
وأدهشَها صبري، فأدهشني الهوى،  
دُهِشْتُ لأنَّ الزَّهَرَ أدهشَها صبري  
ولمّا درتُ أني محبٌّ متيِّمٌ  
بكتُ وبكاني كلُّ ضاحكٍ مُفْتَرٍّ

عجبتُ لها تبكي لما بي ولم يكن  
عجيباً على مثلي البكاء من الصخر  
كأنني بدرٌ والزهورُ كـواكبُ  
وذا الروضُ أفقُ ضياءٍ بالبدر والزهر  
كأنني وقد أطلقتُ نفسي من العنا  
ملكٌ لي الأغصانُ كالعسكرِ المجر<sup>(١)</sup>  
فما أسعدَ الإنسانَ في ساعةِ المني!  
وما أجملَ الأحلامَ في أولِ العمر!  
وهاتفه قد أقلقَتنِي بنوحِها  
فكنتُ كمخمورٍ أفاقَ من السكر  
تُرى رُوعتُ مثلي من الدهرِ بالفرا  
قٍ أم بُدلتُ مثلي من اليُسْرِ بالعُسْرِ؟  
بكيْتُ ولو لم أبكِ مما بكتُ له  
بكيْتُ لما بي من سَقَامٍ ومن ضُرٍّ  
ونهرٍ إذا والى التَّجْعُدَ ماؤُه  
نَگرتُ الأفاعي إذ تلوَّى على الجمر  
تحيطُ به الأشجارُ من كلِّ جانبٍ  
كما دار حولَ الجيدِ عِقْدٌ من الدرِّ  
وقد رفعتُ أغصانُها في أديمه  
كتاباً من الأوراقِ سطرأً على سطر  
كأن دنائيراً تساقطُ فوقه  
وليس دنائيراً سوى الورقِ النَّضَر  
كأنني به المرأةُ عند صفائها  
تُمثِّلُ ما يدنو إليها ولا تدري

---

(١) الكثيف أو الكثير.

فما كان أدري الغصنَ بالنظم والنثرِ  
وما كان أدري الماءَ «بالطيِّ والنَّثر»<sup>(١)</sup>  
ذَرِ المدحَ والتشبيبَ بالخمَرِ والمها  
فاني رأيتُ الوصفَ أليقَ بالشَّعرِ  
وما كان نظمُ الشَّعرِ دأبي وإنَّما  
دعاني إليه الحب، والحب ذو أمر  
ولي قلمٌ كالرمح يهتَزُّ في يدي  
الى الخير يسعى، والرماحُ الى الشَّرِ  
وتفتُّك هاتيك الأسنَّةُ في الحشَا  
ويحيا الحشَا إن راح يفتُّك بالحبرِ  
إذا ما شدا في الطَّرسِ أذهب شدوهُ  
همومَ ذوي الشكوى، ووَقَرِ ذوي الوَقَرِ<sup>(٢)</sup>  
تبخر فوق الطَّرسِ يسحبُ ذيلُهُ  
فقالوا. به كِبُرُ، فقلتُ عن الكِبُرِ  
لكلِّ من الدنيا حبيبٌ وذا الذي  
أشُدُّ به أزرِي، ويعلو به قدري  
ويبقى به ذكري إذا غالني الرَّدَى  
وحسبُ الفتى ذكرُ يدوم إلى الحشرِ

\*\*\*\*\*

---

(١) من مصطلح العروض.  
(٢) الوقَر الحِمْل والوزن. والوقَر الثقل في الأذن.

## ٢٣. قصيدة الطبيعة

[مخلع البسيط]

روضُ إذا زرتُهُ كئيباً  
نفّس عن قلبك الكروباً  
يعيدُ قلب الخلي مفرى  
وينسي العاشق الحبيباً  
إذا بكاه الغمّامُ شققتُ  
من الأسى زهره الجيوباً  
تلقى لديه الصّففا ضروباً  
ولست تلقى له ضريباً<sup>(١)</sup>  
وشّاه قطر الندى فأضحى  
رداؤه معلماً قشيباً  
فمن غصون تيس تيهاً  
ومن زهور تضوّع طيباً  
ومن طيبــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــور إذا تغنّت  
عناد المعنى بهها طروباً  
ونرجس الرقيب يرنو  
وليس ما يقتضي رقيباً  
وأقــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــح وان يريك دُرّاً  
وجلّ نار حكي اللهب يرباً  
وجــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــدول لا يزال يجري  
كأنه يقتضي مريباً

---

(١) مثل.

تسـمـعُ طـوراً لـه خـَـرـيراً  
وتارة في الثرى ديبـبا  
إذا ترامى على جـديـبٍ  
أمسى به مَرَبَعاً خـصـيبا  
أو يتجنى على خـصـيبٍ  
أعادهُ قاحلاً جـديـبا  
صَحَّ فلو جـاءه عـلـيلٌ  
لم يأتِ بـعدُ منه طـبـيبا  
وكلُّ مـعـنًى به جـمـيلٌ  
يُعلِّمُ الشاعـرَ النُـسـيبا  
أرضُ إذا زارها غـرـيبٌ  
أصبح عن أرضـه غـرـيبا

\*\*\*\*\*

## ٢٤. سقوط بورت آرثور<sup>(١)</sup>

[الخفيف]

مَنْ أُسُودُ تَسْرِبِلَتْ بِالْحَدِيدِ ؟  
وَمَنْ الْجِنُّ فِي رِداءِ الْجَنُودِ ؟  
يَنْشُدُونَ الْوَعَى وَمَا يَنْشُدُ الـ  
حَسَنَاءَ غَيْرُ الْمُتَيْمِّ الْمُعْمُودِ  
كُلُّ قَرْمٍ<sup>(٢)</sup> عَلَيْهِ دَرْعٌ مِنَ الصُّبِّ  
رِوَدْرَعٌ مَسْرُودَةٌ مِنْ حَدِيدِ  
تَحْتَهُ أَجْرَدٌ أَشَدَّ حَنِيناً  
وَاشْتِيَاقاً إِلَى الْوَعَى مِنْ نَجِيدِ  
سَابِحٍ عِنْدَهُ الْعَسِيرُ يَسِيرُ  
وَالْقَصِيُّ الْقَصِيُّ غَيْرُ بَعِيدِ  
لَوْ صَبَا لِلنَّجُومِ مِنْ قَدْ عَلاهُ  
أَصْبَحَ الْجَوُّ تَحْتَهُ كَالصُّعِيدِ  
تَحَسَّبُ الْأَرْضُ قَدْ جَرَتْ حِينَ يَجْرِي  
وَتَرَاهُ كَمَا أَنَّهُ فِي رَكُودِ  
إِنَّمَا يَرْكَبُ الْجَوَّادَ جَوَّادٌ  
وَيَصُونُ الذُّمَارَ غَيْرُ بَلِيدِ  
وَحَمِيسٍ<sup>(٣)</sup> يَحْكِي النُّجُومَ انْتِظَاماً  
عَجَباً مِنْ كَوَاكِبٍ فِي بَيْدِ

(١) Port Arthur ميناء في شمالي الصين (منشوريا) احتله الروس ١٨٩٨، خلال الحرب اليابانية الروسية،

فحاصر اليابانيون الأسطول الروسي واضطروا الروس إلى الجلاء، في النهاية، عن منشوريا، سنة ١٩٠٥

(٢) شجاع.

(٣) جيش.

أوقع الرُّعب في قلوب الضُّواري  
فاسْتَكَّانَتْ كأنَّها في قيود  
أصبحت تهجرُ المياه وكانت  
لا ترى الماءَ غيرَ ماءِ الورود  
خافَقَاتِ أعلامُهُ، أرايتم  
كقلوبِ العشَّاقِ عند الصُّدودِ  
قادهُ ذلك الغضنفرُ «توجي»<sup>(١)</sup>  
ويناطُ الحسامُ بالصنديد  
رجلُ دونهُ الرجالُ مقاماً  
مُشَبَّهٌ في الأنامِ بيتَ القصيد  
كلُّ سيفٍ في غيرِ قبضةٍ «توجي»  
فهو عند السيوفِ غيرُ حديد  
يا يراعي سَلَّ «بورت آرثر» عنه  
إنَّ تلك الحصونَ خيرُ شهود  
معقلُ أصبحت جحافلُ «هيتو»<sup>(٢)</sup>  
حوْلَهُ كالعُقودِ حولَ الجيد  
هجموا هجمةَ الضراغمِ لمَّا  
حسبُوها فريسةً للأسود  
وتعالى الضُّجيجُ للأفقِ حتَّى  
كاد ذاك الضُّجيجُ بالأفقِ يُودي  
وتوالى هجومُهم، والمنايا  
ضاحكاتُ، فيا لها من صيود  
كَمْ جريحٍ مُضَرَّجٍ بدماهُ  
وقَتِيلٍ على الثُّرى ممدود

---

(١) قائد ياباني

(٢) امبراطور اليابان



وَأَسِيرَ إِلَى أَسِيرٍ يُسَاقُونَ  
نَ تَبَاعاً إِلَى الشَّقَاءِ الْعَتِيدِ  
أَصْرَتْهُمْ مَدْفَعُ الرُّوسِ نَاراً  
أَصْبَحُوا بَعْدَهَا بِغَيْرِ جُلُودِ  
دَامَتِ الْحَرْبُ أَشْهَرَا كُلَّمَا قِيَتْ  
لَمْ خَبَتْ نَارُهَا ذَكَتْ مِنْ جَدِيدِ  
وَالْمَنَايَا تَحْوُمُ حَوْلَ السَّرَايَا  
حَوْمَةُ الْعَاشِقِينَ حَوْلَ الْغَيْدِ  
حَيْثُ حَظُّ الْمِقْدَامِ مِثْلُ سَوَادِ  
وَكَحَظِّ الْكَبِيرِ حَظُّ الْوَلِيدِ  
صَبَرَ الرُّوسُ صَبْرَ أَيُّوبَ لِلْبَلَاءِ  
حَوَى عَلَى ذَلِكَ الْعَدُوَّ الْعَنِيدِ  
غَيْرَ أَنَّ الْأَيَّامَ طَالَتْ وَهَسَّتْ  
سَلَا<sup>(١)</sup> يُمْنِي أَجْفَانُهُ بِالْهُجُودِ  
فَتَوَلَّاهُمْ الْقَنُوطُ مِنَ النَّصْرِ  
رَفَرَدُوا أَسْيَافَهُمْ لِلْغُمُودِ  
كَانَ هَذَا لِلصُّفْرِ عَيْداً وَعِنْدَ الرُّوسِ  
ضَرْباً مِنَ اللَّيَالِي السُّودِ  
قَلَعَتْ صَانَهَا الزَّمَانُ فَلَوْلَا  
كَيْدُ «تَوْجِي» لُبَشَّرَتْ بِالْخُلُودِ

\*\*\*\*\*

---

<sup>(١)</sup> قاتل روسي

## ٢٥. بلا قلب

[الطويل]

وقائلة: ماذا لقيت من الحب  
فقلت: الردى والخوف في البعد والقرب  
فقالت: عهدت الحب يكسب ربه  
شمائل غراً لا تُنال بلا حب  
فقلت لها: قد كان حباً فزاده  
نفور المها «راء» فأمسيت في حرب  
وقد كان لي قلب وكنت بلا هوى  
فلما عرفت الحب صيرت بلا قلب

\*\*\*\*\*

## ٢٦ - لقاء وفراق

[البسيط]

صبراً على هجرها إن كان يُرضيها  
غير المليحة مملول تجنيها  
فالوصل أجمل ما كان بعد نوى  
والشمس بعد الدجى أشهى لرائيها  
أسلمت للسُّهد طرقي والضنى بدني  
إن الصبابة لا يرجى تلافيها  
إن النساء إذا أمرضن نفس فتى  
فليس غير تدانيهن يشفيها  
فاحذر من الحب إن الريح ما خفيت  
لولا غرام عظيم مُختفٍ فيها  
يمضي الصفاء ويبقى بعده أثر  
في النفس يؤلها طوراً ويُشجّرها  
مرّت ليالٍ بنا ما كان أجملها!  
تمّت، فما شأنها إلا تلاشيها  
تلك الليالي لا أرجو تذكُّرها  
خوف العناء، ولا أخشى تناسيها  
أصبو إليها، وأصبو كلما ذكّرتُ  
عندي اشتياقاً إلى مصر وأهلها  
أرض سماءٍ سواها دونها شرفاً  
فلا سماء ولا أرض تحاكيها

رَقَّتْ حَوَاشِيُّهَا وَاخْضَرُّ جَانِبُهَا  
 وَأَجْمَلُ الْأَرْضِ مَا رَقَّتْ حَوَاشِيُّهَا  
 كَأَنَّ أَهْرَامَهَا الْأَطْوَادُ بِإِذْخَةٍ  
 هَذِي إِلَى جَنْبِهَا الْأُخْرَى تُسَامِيهَا  
 كَأَنَّهَا كَعْبَةٌ حِجُّ الْأَنَامِ لَهَا  
 لَوْلَا التُّقَى قَلَّتْ فِيهَا: جَلَّ بَانِيهَا  
 وَبَيَّلَهَا الْعَذْبُ مَا أَحْلَى مَنَازِرَهُ  
 وَالشَّمْسُ تَكْسُوهُ تَبْرَأُ فِي تَوَارِيهَا  
 وَمَا أُحْيَلَى الْجَوَارِي<sup>(١)</sup> الْمَاخِرَاتِ بِهِ  
 تُقَلُّ مِنْ أَرْضِهِ أَحْلَى جَوَارِيهَا  
 مِنْ كُلِّ رُعْبُوبَةٍ<sup>(٢)</sup> عَجَلُ<sup>(٣)</sup> رَوَادِفُهَا  
 تَأْتِي الْقَعُودَ فَتَأْتِي أَنْ تَجَارِيهَا  
 ضُحُوكَةُ الْوَجْهِ يُغْرِينَا تَبَسُّمُهَا  
 إِنْ نَجْتَدِيهَا وَيَتَنِينَا تَتْنِيهَا  
 وَنَاهِدِ حُجَبَتْ عَنْ كُلِّ ذِي بَصَرٍ  
 حُشَاشَتِي خِدْرُهَا وَالْقَلْبُ نَادِيهَا  
 فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مَنِي لَهَا أَثَرُ  
 «وَالدَّارُ صَاحِبُهَا أَدْرَى بِمَا فِيهَا»  
 وَفِي الْكَوَاكِبِ جِزْءٌ مِنْ مُحَاسِنِهَا  
 وَفِي الْجَاذِرِ<sup>(٤)</sup> جِزْءٌ مِنْ مَعَانِيهَا  
 إِنْ عَنَّفُونِي فَإِنِّي لَا أَعْنَفُهَا  
 وَإِنْ أَسَمَّ فَإِنِّي لَا أَسْمُيْهَا

(١) المراكب.

(٢) البيضاء الناعمة.

(٣) ممثلة.

(٤) الجؤذر ولد البقرة الوحشية، عيناه جميلتان

يَمْمُتُهَا وَنَجُومُ الْأَفْقِ تَلَحَّظُنِي  
فِي السَّيْرِ شَزْرًا كَأَنِّي مِنْ أَعَادِيهَا  
كَادَتْ تَسَاقُطُ غَيَظًا عِنْدَمَا عَلِمْتُ  
أَنِّي أَوْمُ الْتِي بِالنَّفْسِ أَفْدِيهَا  
أُسْرِي إِلَيْهَا وَجَنَحُ اللَّيْلِ مُضْطَرِبُ  
كَأَنَّهُ مَشْفِقٌ إِلَّا أَلَاقِيَهَا  
وَالشَّوْقُ يَدْفَعُنِي، وَالْخَوْفُ يَدْفَعُنِي  
هَذَا إِلَيْهَا، وَهَذَا عَنْ مَغَانِيهَا  
أَطْوِي الدِّيَاجِي وَتَطْوِينِي عَلَى جَزَعٍ  
تَخْشَى اقْتِضَاحِي وَأَخْشَى الصَّبْحَ يَطْوِيهَا  
فَمَا بَلَغْتُ مَغَانِي مَنْ شُغِفْتُ بِهَا  
إِلَّا وَقَدْ بَلَغْتُ نَفْسِي تَرَاقِيهَا<sup>(١)</sup>  
هَنَّاكَ أَلْقَيْتُ رَحْلِي وَانْتَحَيْتُ إِلَى  
خَوْدِ<sup>(٢)</sup> يَرَى الدُّمِيَّةَ الْحَسَنَاءَ رَائِيهَا  
بَيْضُ تَرَائِبُهَا<sup>(٣)</sup> سَوْدُ ذَوَائِبُهَا  
زُجْ<sup>(٤)</sup> حَوَاجِبُهَا كُحْلُ مَا قِيَهَا  
نَهْوْدُهَا مِنْ ثَنَائِي الثُّوبُ بَارِزَةٌ  
كَأَنَّهُ تَشْتَكِي مِمَّا يَوَارِيهَا  
وَالثُّوبُ قَدْ ضَاقَ عَنْ إِخْفَائِهَا فَنَبَا  
عَنْهَا، فَيَا لَيْتَنِي بُرْدٌ لِأَحْمِيهَا  
وَتَحْتَ ذَلِكَ خَاصِرٌ يَسْتَقِلُّ بِهِ  
دِعْصُ<sup>(٥)</sup> تَرْجَرَجَ حَتَّى كَادَ يَلْقِيهَا

(١) الترقوة العظم الواصل بين ثغرة النحر والعاتق . وجمعها التراقي

(٢) الشابة الحسنة

(٣) الترائب موضع القلادة من الصدر ( المفرد تريبة ) .

(٤) زججت المرأة حواجيبها بققنتها وطولتها

(٥) الرمل

قامت تُصافحني والرِّفْ يُمنَعُها  
والوجدُ يدفعُها والقَدُّ يثنِيها  
دُهشتُ حتى كأنني قَطُّ لم أرها  
وكدتُ والله أنسى أن أُحَيِّيها  
باتتُ تكلمُني منها لواظَها  
بما تكنُ وأجفاني تُناجيها  
حتى بدا الفجرُ واعتلتُ نسائمه  
وكاد ينشُرُ أسرارِي ويفشيها  
بكتُ دموعاً وأبكتني الدموعُ دماً  
ورحتُ أكنمُ أشياءً وتبديها  
كأنها شعرتُ في بُعدنا أبداً  
فأكثرتُ من وداعي عند وادِيها  
فما تعرَّزتُ بأن الدهرَ يجمعُنا  
يوماً، ولا فرحتُ أني أمنيها  
تقولُ والدمعُ مثلُ الطلِّ منتثرُ  
على خدودٍ خشيتُ الدمعُ يدميها:  
وَأَلْهَفَ نَفْسِي عَلَى أَنْسٍ بِلَا كَدَرٍ  
تُرى ننال من الدنيا أمانِيها؟  
فقلتُ: صبراً على كيدِ الزمان لنا  
فكلُّ حَافِرٍ بئِرٍ واقعٌ فِيها

\*\*\*\*\*

## ٢٧ - بنت الفرقدين <sup>(١)</sup>

[الطويل]

أزورُ فَتَقْصِينِ <sup>(٢)</sup> وأنأى فَتَقْتَبُ  
وأوهَمُ أني مَذْنَبُ حينَ تَفْضَبُ  
وأرجو التَّلَاقِي كُلِّمَا بَخِلْتِ بِهِ  
كَذلكَ يُرْجَى البرقُ والبرقُ خُلْبُ  
وأعجبُ من لَاحٍ <sup>(٣)</sup> يُطِيلُ مَلامَتي  
وَيَعْجَبُ مِنِّي عاذلي حينَ أَعْجَبُ  
هوالبخلُ طَبَعُ في الرجالِ مُذَمَّمُ  
ولكنه في الغِيْدِ شيءٌ مُحَبَّبُ  
كَلِفْتُ بها بِيضَاءَ سَكْرَى من الصَّبَا  
وما شَرِيتُ خَمِراً ولا هي تَشْرَبُ  
لَهَا الدُّرُّ ثَغَرٌ واللَّجِينُ تَرَائِبُ <sup>(٤)</sup>  
وشمسُ الضحَى أُمٌّ وبدرُ الدُّجَى أب  
خَلِيلِي أُمٌّ ما خَدُّها فَمَوْرِدُ  
حِيَاءٍ وَأُمٌّ ما تَغَرُّها فَهُوَ أَشْنَبُ <sup>(٥)</sup>  
لئن فَرَّقْتَ بين الغواني جَمالَها  
لدام لَهَا ما يَجْعَلُ الغِيْدَ تَفْضَبُ

---

(١) الليل والنهار

(٢) قصا يقصو. بعد.

(٣) لاتم.

(٤) موضع القلاية من الصدر ( المفرد تربية).

(٥) الشنب. بياض الأسنان وبرودتها

ولو أن رهبان الصوامع أبصروا  
ملاحتها، والله، لم يترهبوا  
تُكَلِّفَنِي فِي الْحَبِّ مَا لَا أَطِيقُهُ  
وتضحك إما جئتها أتعجب  
أَفَاتَيْتَنِي حَسْبُ الْمُتَيْمِّ مَا بِهِ  
وحسبك أني دون ذنب أعذب  
أحبُّك حبَّ النازح الفرد أهله  
فهل منك حبُّ الأهل من يتغرب  
وهبتك قلبي واستعضت به الأسي  
وهبتك شيئاً في الورى ليس يوهب  
فإن يك وصل فهو ما أطلب  
وإن يك بُعد فالمنيّة أقرب

\*\*\*\*



## ٢٨. أخت ليلي

[الكامل]

ولقد عَـلِقْتُ من الحِـسَانِ مَـلِـحَةً  
تَحْكِي الهَلَالَ بِحَاجِبٍ وَجَّـبِينَ  
كَلِفْتُ بِهَا نَفْسِي وَدُونَ وَصَالِهَا  
وَصَلُّ المَنُونِ، وَتَمَّ لَيْثُ عَمْرِينَ  
حَسَنَاءُ أَضْحَى كُلُّ حُسْنٍ دُونَهَا  
وَلِذَاكَ عُشَّاقُ المَحَاسِنِ دُونِي  
قَدْ رُوِّعْتُ حَتَّى لَتَّخَشَى بُرْدَهَا  
مَنْ أَنْ يَبْـوَحَ بِسَرِّهَا المَكْنُونِ  
وَتُرِيُّهَا أَنْفَاسُهَا، وَيُخَيِّفُهَا  
عِنْدَ اللِّقَاءِ تَنْهَدُ المَحْـزُونِ  
هَجَرْتُ فَكُلُّ دَقِيقَةٍ مِنْ هَجَرِهَا  
عِنْدِي تُعَدُّ بِأَشْـهَرِ وَسْنِينِ  
يَا هَذِهِ! لَا تَجْـحِدِي حَقِّي فَقَدْ  
أَصْلَيْتِ قَلْبِي بِالنَّوَى فَـصَلِّـيْنِي  
أَطْلَقْتِ دَمْعاً كَانَ قَبْلُ مَقْيُوداً  
وَسَجَنَتِ قَلْباً كَانَ غَيْرَ سَجِينِ  
أَشْبَهَتْ «لَيْلَى العَامِرِيَّةَ» فَاكْتُمِي  
خَبْرَ الَّذِي قَدْ صَارَ كَالْمَجْنُونِ<sup>(١)</sup>

\*\*\*\*\*

---

(١) ليلي العامرية معشوقة قيس الذي فتن بها ورفض أهلها زواجها منه، فأصابه الجنون حتى اشتهر به.

## ٢٩ . طيببي الخاص

[الرمل]

بت أرعى في الظلام الأنجمَ ما  
ليس للعشاق حظ في الكرى

صرعتني نظرة حتى لقد  
كدت أن أحسُد من لا يُبصرُ  
نظرة قد أورثت قلبي الكمدُ  
مما بلاء القلب إلا النظرُ  
لا رعاك الله يا يومَ الأحدُ  
لا ولا حياءك عني المطرُ  
أنت من أطلعت هاتيك الدُمية  
سافرات فتنة للشُعرا

همت في من حسنت صورتها  
مثلا قد حسنت منها الخصالُ  
أجلت شمس الضحى طلعتها  
واستحي من لحظها لحظ الغزال  
كل ما فيها جميل يُشتهى  
ما بها عيب سوى فرط الجمال  
لوراها لائمي فيها لما  
لامني في حبها، بل عذرا

ذاتُ حَسَنٍ خَدُّها كالوردِ في  
لونه والطَّيِّبِ في نكهَتِه  
زهرةٌ لكنَّهـــــــــــــــــا لم تُقَطَفِ  
وجمَّالُ الزَّهَرِ في روضَتِه  
دُرَّةٌ ما أُخْرِجَتْ من صَدَفِ  
تُرْخِصُ الدَّرَّ على قِيَمَتِه  
بَخْضَةُ الخَدِيدِ والنُّهْدَيْنِ، ما  
سَفَرَتْ إلا رأيتَ القَمَرَا

ذاتُ شَعَرٍ مُسَبَّلٍ كالأُقْعُوانِ  
يتهادى فوقَ رِدْفِ كالكَثِيبِ  
وقَـوامٌ لو رآه الغُصْنُ بانَ  
خَجلاً من ذلك الغُصْنِ الرطِيبِ  
كاد لولا ما به من عُنفوانِ  
يقفُ الورقُ به والعندليبُ<sup>(١)</sup>  
وجفونٌ أشبهتني سَقَما  
كَمَنَّ السَّحَرُ بها واستَتَرَا

تبسَّعتُ الحبَّ إلى قلبِ الخَلِيِّ  
وهو لا يَدْرِي ولا يَسْتَشْعُرُ  
والهوى في بَدْئِه عَذْبُ شَهِيٍّ  
كلُّ شيءٍ بعَدَه محتَقَرُ  
كلُّ مَنْ لا يَعْرِفُ الحبَّ شَقِيٍّ  
لا يرى في دهرِه ما يُشْكُرُ

(١) الورق: الحمام ( الورقاء )، والعندليب: الهزار من الطير.

يَصْنَرُ الْعَمْرَ وَلَكِنْ سَيِّمًا  
عَبَثًا يَطْلُبُ أَلَا يَخْجَرَا

لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ مَا مَعْنَى الْهَنَا  
قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ مَا مَعْنَى الْغَرَامُ  
يَضْحَكُ النَّاسُ سُرُورًا وَأَنَا  
عَابِسٌ حَتَّى كَأَنِّي فِي خِصَامٍ  
عَجِبُوا مِنِّي وَقَالُوا عَلَّنَا:  
قَدْ رَأَيْنَا الصَّخْرَ فِي زِيِّ الْأَنَامِ  
أَوْشَكُوا أَنْ يَحْسَبُونِي صَنَمًا  
لَوْ رَأَوْا<sup>(١)</sup> الْأَصْنَامَ تُخَفِّي كَدْرًا

لَمْ أَزَلْ فِي رِبْقَةِ الْيَأْسِ إِلَى  
أَنْ أَعَادَ الْحُبُّ لِي بَعْضَ الرَّجَا  
كَنتُ قَبْلَ الْحُبِّ أَسْرِي فِي ظِلَا  
مَ وَلَا أَلْقَى لِنَفْسِي مَخْرَجَا  
فَجَلَاهُ الْحُبُّ عَنِّي فَاَنْجَلَى  
مِثْلَمَا يَجْلُوسُنَا الشَّمْسُ الدُّجَى  
بَاتَ قَلْبِي بِالْأَمَانِي مُقْعَمًا  
وَهُوَ قَبْلًا كَانَ مِنْهَا مُقْفِرًا

رَوَّعْتَنِي بِالنُّوَى بَعْدَ الْلِقَاءِ  
وَكَذَا الدُّنْيَا دَنُوءًا وَافْتِرَاقُ

---

(١) يلزم أن تُقرأ: رُؤُوا، للضرورة.

غَضِبَ الدَّهْرُ عَلَى كَأْسِ الصَّفَاءِ  
مُنْذُ رَأَاهَا فـأَبَى أَلَا تُرَاقُ  
وَلَوْ أَنَّ الدَّهْرَ يَدْرِي بِالشَّقَاءِ  
سَاعِدَ الصَّبِّ عَلَى نَيْلِ التَّلَاقِ  
لَمْ أَجِدْ لِي مُشَبِّهًا تَحْتَ السَّمَاءِ  
فِي شَقَائِي لَا وَلَا فَوْقَ الثُّرَى!

وَأَبِي! لَوْ أَنَّ مَا بِي بِالْجَبَالِ  
أَصْبَحْتُ تَهْتَزُّ مِنْ مَرِّ النَّسِيمِ  
فَاعْذِرُونِي إِنْ أَكُنْ مِثْلَ الْخِيَالِ  
وَاعْذِلُونِي إِنْ أَكُنْ غَيْرَ سَقِيمِ  
إِنْ دَانِي جَاءَ مِنْ صَادٍ وَدَالٍ  
وَدَوَاءُ الْقَلْبِ فِي ضَادٍ وَمِيمِ  
بَاتَ صَبْرِي مِثْلَ جَسْمِي عَدَمًا  
إِنَّمَا يَصْبِرُ مَنْ قَدْ قَدَّرَا

رُبُّ لَيْلٍ عَادَنِي فِيهِ السُّهَادُ  
وَنَأَى عَنِّي مُقْلَتِي طَيْبُ الْكَرَى  
هَاجَتِ الذِّكْرَى شُجُونًا فِي الْفَوَادِ  
فَبَكَى طَرْفِي عَقِيقًا أَحْمَرَا  
نَبْؤُهُ الْأَهْلَ بِكَائِي وَالْعَبَادُ  
فَاتُّوا يَسْتَطْلِعُونَ الْخَبْرَا  
قُلْتُ: دَاءٌ فِي الْفَوَادِ اسْتَحْكَمَا  
كَوَادِ قَلْبِي مِنْهُ أَنْ يَنْفَطِرَا

صَدَّقُوا مَا قُلْتُهْ ثُمَّ مَضَى  
وَاحِدٌ مِنْهُمْ يَسْتَدْعِي الطَّبِيبَ  
سَارَ وَالْكَلُّ عَلَى جَمْرِ الْغَضَا  
وَأَنَا بَيْنَ أَتْنٍ وَنَحْسٍ  
لَمْ يَكُنْ إِلَّا كَبَرْقٍ وَمَضَا  
وَإِذَا (الدُّكْتُورُ) مِنْ مَهْدِي قَرِيبُ  
قَالَ لِلْجَمْهُورِ مَاذَا الْاجْتِمَاعُ؟  
اخْرُجُوا أَوْ زِدْتُمُوهُ خَطَرًا

خَرَجَ الْكَلُّ فَأَمْسَتْ غُرْفَتِي  
مِثْلَ قَلْبِ الطِّفْلِ أَوْ جَيْبِ الْأَيْبِ  
فَدَنَا يَسْأَلُنِي عَنْ عَلَّتِي  
وَأَنَا أَسْمَعُ لَكِنْ لَا أَجِيبُ  
فَنَضَّا الثُّوبَ فَأَبْصَرْتُ الَّتِي  
كَادَ جِسْمِي فِي هَوَاهَا أَنْ يَغِيبُ  
خَلَعْتُ عَنْهَا لِبَاسَ الْحُكْمَا  
فَرَأَتْ عَيْنَايَ بَدْرًا نَيَّرَا

وَاعْتَرَّتْنِي دَهْشَةٌ لَكْنَهَا  
دَهْشَةٌ مَمْرُوجَةٌ بِالْفَرْحِ  
كِدْتُ أَنْ أَخْرَجَ عَنْ طَوْرِ النُّهَى  
رُبُّ سُكْرِ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَدَحِ  
يَا لَهَا مِنْ سَاعَةٍ لَوْ أَنَّهَا  
بَقِيَتْ كَالدَّهْرِ لَمْ تُسْتَقْبَحْ

عـانقـتـنـي وأنا أبـكـي دـمـاً  
وهـي تبـكـي لبـكـائـي دُرّاً

وجـعلـنا بـعد أن طـال العـناقُ  
نـتـناجـى بأحـاديث القـلوبِ  
بـينـمـا نـحـنُ علـى هـذا الـوفـاقِ  
قُـرِعَ البـابُ فـأوشـكـنا نـذوبُ  
فـأشـارتُ لـي. قـد حـانَ الفـراقُ  
فـانـقـطـعـنا وارتـدتْ ثوب الطـبـيبِ  
أقبل القـومُ فقـالت. كلُّـها  
كـانَ يشـكو مـنـه عـنـه قـد سـرى

\*\*\*\*\*

### ٣٠. حنة مشتاق

[الطويل]

ألا أيها الباكي فديتُك باكيا  
علامَ وفيما تستحث المأقيا؟  
رويدك ما أرضى لك الحزن خلةً  
وهيهات أن أرضاك بالحنن راضيا  
يعنّفني من كنتُ أدعوه صاحباً  
فما انفك حتى بتُ أدعوه لاحيا  
دعوتُ لربي إن دعائي لائمٌ  
ولم أعص إلا يستجيب دعائي  
لقد أرخص العذالَ عندي قولهم:  
إذا همت العينان أرخصت غاليا  
أمنع ماء ما يروني أخا صدّي  
وقد كنتُ لا أحمي المناهل صاديا<sup>(١)</sup>  
عليّ البكا والنوح ضربةً لازبٍ  
وإنّي لأبكي أنني لستُ باكيا  
وكيف ارتياحي بعد هند وبيننا  
مهامة<sup>(٢)</sup> لا تلقى بها الريح هاديا  
يظلُّ بها السرحان<sup>(٣)</sup> يعوي من الطوى  
نهاراً ويطوي ليلةً الخوف طاويا<sup>(٤)</sup>

(١) عطشان. (صدي - يصدى).

(٢) قفار ومفازات واسعة (مهمة).

(٣) الذئب.

(٤) جانعاً.



لقد كنتُ أخشى أن يُفَرِّقَ بيننا  
فأصبحتُ أخشى اليومَ ألا تلاقيا  
فيا مَنْ لِقَلْبٍ لا تنامُ همومُهُ  
ويا مَنْ لَعَيْنٍ ما تنامُ الليالي  
رأيتُ الليالي ما تزالُ تروغني  
بأحداثها، ما ليليالي وما ليالي!  
ولم يبقَ عند الدهر خطبٌ أخافُهُ  
فكيف اعتذارُ الدهرِ إن رحتُ شاكيا؟  
إذا لم تكنْ لي أسياً أو مؤاسياً  
فلا تكُ لواماً، وذرنني وما بي  
فإنني رأيتُ اللومَ يُذَكِّي صَبَابتي  
كذاك عَهدتُ الزُّندَ بالقَدَحِ واري<sup>(١)</sup>  
ألا حبذا من سالفِ العيش ما مضى  
ويا حبّذا لو كان يرجعُ ثانيا  
زمانُ كقلبِ الطفلِ صافٍ وكالمُنَى  
لذيذٌ ولكن كان كالحُلُمِ فانيا  
أحنُّ إليه في العَشيِّ وفي الضُّحَى  
حنينٌ غريبٌ جاءه الشوقُ داعيا  
وأذكرُهُ ذكرى العجوزِ شبابها  
وأبكي لدى ذكره أحمر قانيا  
ولولا أمورٌ في الفؤاد أسيرُها  
جعلتُ عليه الدهرَ وقفاً لِسَانيا  
خليلي أعوامُ السُّرورِ دقائِقُ  
وأيامُهُ كادت تكونُ ثوانيا

---

(١) الزُّند. العود الذي يُقَدَح به. والواري. المشتعل.

وأجملُ أوقاتِ الفتى زمنُ الصُّبا  
وخيرُ الصُّبا ما كان في الحبِّ ناميا  
رعى الله أيامي التي قد أضعتها  
فكنتُ كَأني قد أضعتُ فؤاديا  
ليالي لا «هند» تُصدِّقُ وأشياءُ  
ولا هي تخشى أن أصدِّقَ وأشياءُ  
ويا طالما بئنا ولا ثالثُ لنا  
سوى الراح تُدنيها فتُدني الأمانيا  
ودارَ حديثُ الحبِّ بيني وبينها  
فطوراً مناجاةً وطوراً تشاكيا  
ألم ترَ أَني قد نظمتُ حديثها  
لألى غناها الرواةُ قوافيا  
تولَّى زمانُ اللهو كالطيفِ في الكرى  
فلستَ تراني بعدة الدهرِ لاهيا  
سئمتُ لذاذاتِ الحياةِ جميعها  
ولو رضيتُ هندُ سئمتُ شبابيا  
سلامٌ على «هندٍ» وإن فات مسمعي  
سلامٌ التي أهدى إليها سلاميا  
ترى عندها أَني على العهد ثابتُ  
وإن يكُ هذا البينُ أوهى عظاميا  
فوالله ما أخشى الحِمَامَ على النوى  
ولكنني أخشى خلودي نائيا

\*\*\*\*\*

### ٣١. الحُسْنُ لَا يُشْرَى وَلَا يُسْتَجَلَبُ

[الكامل]

سَفَرْتُ فَقُلْتُ لَهَا: أَهَذَا كُوكَبٌ؟  
قَالَتْ: أَجَلٌ وَأَيْنَ مِنِّي الْكُوكَبُ؟  
وَتَبَسَّمتُ فَرَأَيْتُ رِئْماً<sup>(١)</sup> ضَاحِكاً  
عَنْ لَوْلُو، لَكِنَّهُ لَا يُوَهَّبُ  
وَتَمَايَلْتُ فَالَسَّمْهُرِي<sup>(٢)</sup> مَصْمُومٌ  
وَرَنْتُ فَأَبْصَرْتُ السَّهَامَ تُصَوِّبُ  
أَنْشَبْتُ الْحَاطِظِي بَوْرِدٍ خُدُودِهَا  
لَمَّا رَأَيْتُ لِحَاطِظَهَا بِي تُنْشَبُ  
قَدْ كَلَّمْتُ قَلْبِي وَلَمْ تَرْفُقْ بِهِ  
وَاللَّحْظُ، لَوْ دَرَّتِ الْمَلِيحَةُ، مِخْلَبُ  
بِيضَاءٍ نَاصِعَةٍ كَأَنَّ جَبِينَهَا  
صُبُحٌ، وَطُرَّتْهَا عَلَيْهِ غَيْهَبُ  
يَا طَالَمَا الْكُتْسَبُ الْحَرِيرُ مَلَاخَةٌ  
مِنْهَا، وَيُكْسَبُ غَيْرَهَا مَا يُكْسَبُ  
وَلَطَالَمَا بَعْضُ النِّسَاءِ حَسَدَتْهَا  
وَلَطَالَمَا حَسَدَ السَّلِيمُ الْأَجْرِبُ  
بَيْنَ الطَّلَاءِ وَبَيْنَهُنَّ قَرَابَةٌ  
مَشْهُورَةٌ، عَنْهَا الْجَمِيلَةُ تَنْكَبُ<sup>(٣)</sup>

(١) الظبي الخالص البياض.

(٢) الرمح.

(٣) تعدل عنها

إن الملاحَةَ عندها عـربـيـةٌ  
وجـمالُ هاتيكِ الدُّمى مُسْتَعـرِب  
قلُّ للغـواني: إنـها خُلِقَتْ كذا  
الحُسْنُ لا يُشـرَى ولا يُسْتَجَلَب  
فإذا بـلـغـتـنَّ الجـمـالَ طَـرَياً<sup>(١)</sup>  
فاعلمنَّ أن بقاءه مُسْتَصْعَب  
هيهات، ما يُغني الملاحَ الحـسـنُ إن  
كانت خلائقُهُنَّ لا تُسْتَعَذَّبُ  
إني بـلـوتُ الغـانيـاتِ فلم أجـدُ  
فيهنَّ قَطُّ مـلـيـحَةً لا تـكـذب  
وصـحـبـتـهنَّ فما اسـتـفـدتُ سـوى الأـسـى  
ما يُسْتَفادُ من الغـواني يُتـعـب  
وخـبـرُتـهنَّ فما لـيـكـرٍ حُرْمَةً  
تُرعى، وأغـدِرُ مَن رَأيتُ التُّـيـبَ  
لا يـخدعـنَّكَ ضـمـفـُـهـنَّ فإنـما  
بالضُّعفِ أهـلـكتِ الهـزـيرَ<sup>(٢)</sup> الأرنب!

\*\*\*\*\*

---

(١) صناعة التجميل

(٢) الأسد



أنا إمامُ الذين هَامُوا  
وأَيُّ قَوْمٍ بلا إمام؟  
فليس قبلي وليس بعدي  
ولا ورائي ولا أَمامي

\*\*\*\*\*

### ٣٣. الرزء الأليم

[البسيط]

في رثاء الشيخ إبراهيم اليازجي

عَدِمْتُ قَلْبِي إِذْ لَمْ يَعْدَمَ الْجَلْدَا  
وَنَالَ نَفْسِي الرَّدَى إِنْ لَمْ تَذُبْ كَمَدَا  
أَهَاً وَلَوْ نَفَعْتُ «أَهَاً» أَخَا شَجِنٍ  
لَمْ يَبْتَغْ غَيْرَهَا، عِنْدَ الْأَسَى، عَضُدَا  
أَهَاً وَلَوْ لَمْ يَكُنْ خَطْبُ الْمَبْنَا  
مَا سَطَّرَتْهَا يَدِي فِي كَاغُدٍ<sup>(١)</sup> أَبْدَا  
الْمَرْءُ مَجْتَهِدٌ وَالْمَوْتُ مَجْتَهِدٌ  
أَنْ لَيْسَ يَتْرُكُ فَوْقَ الْأَرْضِ مُجْتَهِدَا  
سَاوَى الرَضِيعُ بِهِ مَنْ شَابَ مَفْرُقُهُ  
وَالْعَبِيدُ سَيِّدَهُ وَالثَّعْلِبُ الْأَسَدَا  
قَدْ غَادَرَ الْفَضْلَ بِالْأَحْزَانِ مَنْفَرْدَا  
مَنْ كَانَ بِالْفَضْلِ دُونَ النَّاسِ مَنْفَرْدَا  
مَاتَ الْبَيَانُ بِمَوْتِ «الْيَازَجِيِّ» فَمَنْ  
لَمْ يَبْكِ هَذَا بَكَى ذَاكَ الَّذِي قُفِّدَا  
وَاللَّهُ مَا وَلَدَتْ «حَوَاءُ» أَطْهَرَ مَنْ  
هَذَا الْفَقِيرُ فَوَادَا، لَا وَلَنَ تَلِدَا!  
ابْنُ «الضِّيَاءِ»<sup>(٢)</sup> الَّذِي زَانَ الْبِلَادَ كَمَا  
يُزَيَّنُ الْبَدْرُ فِي جُنْحِ الدُّجَى الْجَلِيدَا<sup>(٣)</sup>

(١) الورق.

(٢) اسم المجلة التي كان اليازجي يصدرها

(٣) جلد السماء أديمها في سفر التكوين !

أَيْنَ الْيَرَاغُ الَّذِي قَدْ كَانَ يُطْرِبُنَا  
صَرِيرُهُ فِي أَدِيمِ الطَّرْسِ مُنْتَقِداً  
وَأَيْنَ أَيْنَ سَجَايَاهُ الَّتِي حُسِدَتْ  
مِنْ أَجْلِهِ، وَكَذَا مِنْ أَجْلِهَا حُسِداً  
حَقٌّ عَلَى الْعِلْمِ أَنْ يَبْكِيَ عَلَيْهِ كَمَا  
يَبْكِي الشَّقِيقُ أَخاً وَالْوَالِدُ وَلِداً  
أَقْسَمْتُ مَا اهْتَرَزَ فَوْقَ الطَّرْسِ لِي قَلَمٌ  
إِلَّا جَعَلْتُ لَهُ مِنْ مَدْمَعِي مَدَداً  
وَلَا اتَّخَذْتُ أَخاً فِي الدَّهْرِ يُوْنِسُنِي  
بَعْدَ الْخَلِيلِ سِوَى الْحَزَنِ الَّذِي وَجِداً

\*\*\*\*\*



## ٣٤ - الخطبُ الفادح

[الكامل]

رثى بها المغفور له الإمام الحكيم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية<sup>(١)</sup>

هيهاتَ بَعْدَكَ ما يُفِيدُ تَصَبُّرُ

ولئن أفادَ فائيُّ قلبٍ يَصْبِرُ؟

إنَّ البكاءَ من الرِّجالِ مُذَمَّمُ

إلا عليكَ فَتَرَكُّهُ لا يُشْكِرُ

لو كان لي قلبٌ لقلتُ له ارْعَوِ

إنِّي بلا قلبٍ فأنَّى أَرْجِرُ؟

لازمتُ قَبْرَكَ والبكاءُ مُلَازِمِي

والليلُ داجٍ والكواكبُ سُهِرُ

أبكي عليكِ بأدمعِ هَطَّالَةٍ

ولقد يَقِلُّ لك النُّجُيعُ<sup>(٢)</sup> الأحمر

وودِدْتُ من شَجَوِي عليكِ وَحَسْرَتِي

لو أَنَّ لَحْدَكَ في فَوادِي يُخَفِّرُ

إنِّي لأعجبُ كيفَ يعلوكِ الثُّرَى

أنَّى ثوى تحتَ الرُّغَامِ<sup>(٣)</sup> النَّيِّرُ

أمسيتَ مُسْتَتِراً به لَكُنْما

أثارُ جودِكَ فَوَقَّه لا تُسَنِّرُ

مرضِ الندى لما مَرَضْتَ وكادَ أنْ

يقضي من اليأسِ المُلَمَّ المُفسِرُ

(١) توفي في الإسكندرية سنة ١٩٠٥

(٢) الدم.

(٣) التراب.

يرجوك أنك أنت جابر كسرِه  
فإذا فُقدت فكسرُه لا يُجبر  
وعلت على تلك الوجوه سحابة  
كذراء لا تصفو ولا تُستَطر  
كم حاولوا كنتم الأسى! لكنه  
قد كان يخرقُ الجسومَ فيظهر  
حامت حوالبك الجموع كأنما  
تبغي وقاء الشُّرقِ مما يحذر  
الكلُّ يسأل: كيف حالُ إمامنا؟  
ماذا رأى كماؤنا؟ ما أخبروا؟  
والداء يقوى ثم يضعفُ تارة  
فكانه يبلو القلوبَ ويسبُر<sup>(١)</sup>  
أوردته عذبا فأوردك الردى  
تبت يداه فذنبه لا يُغفر  
هيهات ما يثني المنية جحفل  
عمن تؤم<sup>(٢)</sup> ولا يُفيد العسكر  
رصد الردى أرواحنا حتى لقد  
كدنا نُعزِّي المرء قبل يُصور  
نهوى الحياة كأنما هي نعمة  
وسوى الفواجع حبُّها لا يُثمر  
ونظنُّ ضحك الدهر فاتحة الرضا  
والدهر يهزأ بالأنام ويسخر  
أفقيد أرض النيل! أقسم لودرى  
بالخطب أوشك ماؤه يتسعر

---

(١) يجس.

(٢) تقصد.

وضَعُوكَ فِي بَطْنِ التُّرَابِ وَمَا عَهْدُ  
تُ الْبَحْرِ قَبْلَكَ فِي الصَّفَائِحِ يُذْخِرُ  
وَرَأَوْا جَلَالَكَ فِي الضُّرَيْحِ فَكُلُّهُمْ  
يَهْوَى وَيَرْجُو لَوْ مَكَانَكَ يُقْبِرُ!  
لَمْ تَخْلُ مِنْ أَسْفٍ عَلَيْكَ حُشَّاشَةٌ  
أَبْدَأُ فَيَخْلُو مِنْ دَمَوَعٍ مِحْجَرُ  
أَبُوتَا<sup>(١)</sup> وَمَا أَبَ الْعَزَاءُ إِلَيْهِمْ  
وَالْحُزْنَ يُنْظِمُ وَالْمَدَامُ تُنْثَرُ  
وَالْكَلِّ، كَيْفَ يَكُونُ حَالُ بِلَادِهِمْ  
مِنْ بَعْدِ مَا مَاتَ الْإِمَامُ، يُفَكِّرُ  
لَمْ يَبْلُنَا هَذَا الزَّمَانَ بِفَقْدِهِ  
لَوْ كَانَ مِمَّنْ بِالرِّزْيَةِ يَشْعُرُ!

\*\*\*\*\*

---

(١) رجعوا

## ٣٥ - فقيد الوطنية

[الطويل]

(رثى بها فقيد المناير، الطيب الذكر، المغفور له مصطفى كامل)

بكيتُ ولكن بالدموعِ السَّخِينَةِ  
وما نَفِدَتْ حتى بَكَيْتُ بِمُهْجَتِي  
على الكاملِ الأخلاقِ والنَّدْبِ<sup>(١)</sup> مصطفى  
فقد كان زَيْنَ العقلِ زَيْنَ الفُتُوَّةِ  
نَعَاهُ لَنَا النَاعِي فَكَادَتْ بِنَا الدُّنَا  
تَمِيدَ لَهَوْلِ الخُطْبِ، خُطْبِ المَرْوَةِ  
وَذَابَتْ قُلُوبُ الْعَالَمِينَ تَلَهُّفًا  
وسالتُ دموعُ الحزنِ من كُلِّ مُقْلَةٍ  
أجل قد قضى في مصرَ أعظمُ كاتبٍ  
فخلفَ في الأكبادِ أعظمَ حَسْرَةٍ  
فَتَى، وأبي، لو أَنَّ في الناسِ مِثْلَهُ  
لَهَانَ عَلَيْنَا وَقَعُ هَذَا الرِّزْيَاةِ  
ولو كان يُفْدَى بالنفوسِ من الرَّدَى  
جَعَلْنَا فِدَاهُ كُلَّ نَفْسٍ أَبْيَاةِ  
فَتَى ماتَ غَضَّ العُمُرِ لم يَعْرِفِ الخَنَا  
ولم يَنْطَوِ في نَفْسِهِ حُبُّ رِيْبَةِ  
وقد كان مقداماً جريئاً، ولم يكن  
ليبغى الردى غيرُ النفوسِ الجريئةِ

---

(١) الذي ينتدب في الشدائد.

وكان جواداً لا يَضِنُّ بحاجةٍ  
لذلك أعطى روحَه للمنيَّة  
سلامٌ على مصر الأسيفةِ بعدهُ  
فقد أودعتُ آمالها جوف حُفرةٍ  
خطيب بلاد النيل! مالك ساكِتاً  
وقد كنتَ تُلقِي خطبةً إثرَ خطبةٍ؟  
تطاولتِ الأعناقُ حتى اشرأبتِ  
فهل أنت مُسديها ولو بعضَ لَفْظَةٍ؟  
نعم كنتَ، لولا الموتُ، فارِجَ كربها  
فيا للردى من غاشمٍ متعنَّت!  
تَفَطَّرَ الأكبادُ حزنًا كأنما  
مماثك سهمٌ حلَّ في كل مُهجةٍ  
وما حزنتُ أمُّ بفقدٍ وحيدها  
بأعظمَ من حزني عليك ولو غيبتِ  
تناديك مصرُ الآن: يا خير راحلٍ  
ويا خير مَنْ يُرجى لدفعِ المُلَمَّةِ  
عهدُك تَأبَى دعوةً غيرَ دعوتي  
فما لك تَأبَى (مصطفى) كلَّ دعوةٍ؟  
فَقَدْتُكَ رِياناً فـيا طولَ لهْفَتِي  
لقد كنتَ سيفي في الخطوبِ وَجُنَّتِي<sup>(١)</sup>  
أجلُ طالما دافعتُ عن مصر مثلما  
يدافعُ عن مأواه نُحْلُ الخليَّةِ  
فأيقظتُها من رقدةٍ بعد رُقْدَةٍ  
وأنهضتُها من كَبُوةٍ تَلُو كَبُوةٍ

---

(١) وقائتي.

وَقَوِّيتَ فِي أَبْنَائِهَا الْحَبَّ نَحْوَهَا  
وَكُنْتَ لَهَا فِي ذَاكَ أَفْضَلَ قُدُوةً  
رَفَعْتَ «لِوَاءَ»<sup>(١)</sup> الْحَقِّ فَوْقَ رِبْوَعِهَا  
فَضَمَّ إِلَيْهِ كُلَّ ذِي وَطَنِيَّةٍ  
لِئَن تَكُ أَتْرَعَتَ الْقُلُوبِ مُحَبَّةً  
فَإِنَّكَ لَمْ تُخْلَقْ لِغَيْرِ الْمَحَبَّةِ  
فَنَمَّ أَمْنًا وَقَوِّيتَ قَوْمَكَ قِسْطَهُمْ  
فِيهَا طَالَمَا نَامُوا وَأَنْتَ بِبِقُظَّةٍ!  
سَيُبْقِي لَكَ التَّارِيخُ ذِكْرًا مُخَلَّدًا  
فَقَدْ كُنْتَ خَيْرَ النَّاسِ فِي خَيْرِ أُمَّةٍ  
عَلَيْكَ مِنَ الرَّحْمَنِ أَلْفُ تَحِيَّةٍ  
وَمِنْ أَرْضِ مِصْرٍ أَلْفُ أَلْفِ تَحِيَّةٍ

\*\*\*\*\*

---

(١) اسم الجريدة التي كان الحزب الوطني، بزعامته، يصدرها آنذاك.

## ٣٦. كلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَا ن

[الطويل]

بعث بها إلى صديقه السيّد أفندي فهمي يعزّيه وقد فُجع بموت والدته وكريمته  
وشقيقه، في أسبوع واحد.

فديناكِ لو أنّ الرّدى قبلَ الفِدا  
بكلِّ نفيسٍ بالنفائسِ يُفْتَدَى  
أبى الموتُ إلا أن ينالكِ سهْمُهُ  
وَألا يرى شملُ السَّخاءِ مُبَدِّدا  
فأُقَدِّمَ لا يبغي سِوَاكِ، وكلُّما  
درى أنه يبغي عظيمًا تشدُّدا  
دهاكِ الرّدى لكن على حين فجأةٍ  
فتبَّت يداهُ غادرٌ صرَعُ النّدى  
دهاكِ ولم يُشفِقْ على الصّبيّة الألى  
تركتهمُ ييكونَ مَتْنِي ومَوْحِدا  
فُقِدْتُ وأوجَدْتُ الأسى في قلوبنا  
أسى كاد لولا الدمعُ أن يتوقّدا  
بكيناكِ حتى كاد يبكي لنا الصّفا<sup>(١)</sup>  
وحسبى بكتُ مما بكينا له العِدا  
وما كاد يرقّا<sup>(٢)</sup> الدمعُ حتى جرى به  
غدٌّ عَنْدَمًا<sup>(٣)</sup> يا ليتنا لم نرَ<sup>(٤)</sup> غدا

---

(١) صفائح الحجر.

(٢) يجف.

(٣) نبات أحمر

(٤) تُشبع حركة الرّاء للضرورة.

قَضَتْ طِفْلَةً تَحْكِي الْمَلَاكَ طَهَارَةً  
 وَالْحَقَّ هَا الْمَوْتُ الزَّوَامُ بِمَنْ عَدَا  
 لَقَدْ ظَلَعَنْتُ تَبْغِي لِقَاكَ كَأَنَّمَا  
 ضَرَبْتَ لَهَا قَبْلَ التَّفَرُّقِ مَوْعِدَا!  
 كَأَنَّ لَهَا نَذْرًا أَرَادَتْ قَضَاءَهُ  
 كَأَنَّكَ أَنْتِ الصَّوْتُ جَاوِبُهُ الصُّدَى  
 مَشَتْ فِي طَرِيقٍ قَدْ مَشَى فِيهِ بَعْدَهَا  
 فَتَاكَ الَّذِي أَعْدَدْتَ مِنْهُ الْمَهْنَدَا  
 فَتَى طَابَ أَخْلَاقًا وَطَابَ مُحَامِدَا  
 وَطَابَ فَوَادَا مِثْلَمَا طَابَ مَحْتِدَا  
 فَتَى كَانَ مِثْلَ الْغَصَنِ فِي عَنَفْوَانِهِ  
 فَلِلَّهِ ذَاكَ الْغَصَنُ كَيْفَ تَأْوَدَا  
 تَعَوَّدَ أَنْ يَلْقَاكَ فِي كُلِّ بُكْرَةٍ  
 فَكَانَ قَبِيحًا تَرَكُ مَا قَدْ تَعَوَّدَا  
 فُجِعْنَا بِهِ كَالْبَدْرِ عِنْدَ تَمَامِهِ  
 وَلَمْ نَرِ بَدْرًا قَبْلَهُ الْأَرْضُ وَوُسْدَا  
 فَلَمْ يَبْقَ طَرْفٌ لَمْ يَسِلْ دَمْعُهُ دَمَاءً  
 وَلَمْ يَبْقَ قَلْبٌ فِي الْمَلَا، مَا تَصْعَدَا  
 كَوَارِثُ لَوْ نَابَتْ جِبَالًا شَوَاهِقًا  
 لَخَرَّتْ لَهَا تِلْكَ الشَّوَاهِقُ سُجْدَا  
 وَلَوْ أَنَّهَا فِي جُلْمٍ صَارَ سَائِلًا  
 وَلَوْ أَنَّهَا فِي سَائِلٍ صَارَ جُلْمَدَا  
 (أَفْهَمِي) وَإِنَّ الصَّبْرَ أَلْيَقُ بِالْغَتَى  
 وَلَا سَيِّمَا مَنْ كَانَ مِثْلَكَ (سَيِّدَا)  
 فَكُنْ قُدُوءًا لِلصَّابِرِينَ. فَإِنَّمَا  
 بِمِثْلِكَ فِي دَفْعِ الْمُتْلَمَّاتِ يُقْتَدَى



لَعَمْرُكَ مَا الْأَحْزَانُ تَنْفَعُ رَبُّهَا  
فَيَجْمُلُ بِالْحَزُونِ أَنْ يَتَجَلَّدَا  
فَمَا وَجِدَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِيُفْقَدَا  
وَمَا فُقِدَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِيُوجَدَا  
وَمَا أَحَدٌ تَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ نَفْسُهُ  
وَلَوْ أَنَّهُ فَوْقَ السَّمَاكِينِ أَصْعَدَا  
فَلَا يَحْزَنُ الْبَاكِي وَلَا تَشْمَتُ الْعِدَا  
فَكُلْ أَمْرِي يَا صَاحِ غَايَتُهُ الرَّدَى

\*\*\*\*\*

## ٣٧ - البدر الآفل

[الوافر]

بكى فيها شقيقه المغفور له طانيوس ظاهر أبي ماضي وقد مات شاباً<sup>(١)</sup>  
أَبْعَدَكَ يَعْرِفُ الصَّبْرُ الْحَزِينَ  
وقد طاحت بمهجته المَنُونُ!  
رَمَتْكَ يَدُ الزَّمَانِ بِشَرِّ سَهْمٍ  
فَلَمَّا أَنْ قَضَيْتَ بَكى الْخَوْنُ  
رَمَاكَ وَأَنْتَ حَبَّةُ كُلِّ قَلْبٍ  
شَرِيفٍ، فَالْقُلُوبُ لَهُ رَيْنُ  
وَلَمْ يَكْ لِلزَّمَانِ عَلَيْكَ ثَارُ  
وَلَمْ يَكْ فِي خِلَالِكَ مَا يَشِينُ  
وَلَكِنْ كُنْتَ ذَا خُلُقٍ رَضِي  
عَلَى خُلُقٍ لَغِيْرِكَ لَا يَكُونُ

وَكُنْتَ تُحِيطُ عِلْمًا بِالْخَفَايَا  
وَتَمْنَعُ أَنْ تُحِيطَ بِكَ الظُّنُونُ  
كَأَنَّكَ قَدْ قَتَلْتَ الدَّهْرَ بَحْثًا  
فَعِنْدَكَ سِرُّهُ الْخَافِي مُبِينُ  
حَكَيْتَ الْبَدْرَ فِي عُمُرٍ وَلَكِنْ  
زَكَوْاؤُكَ لَا تَكُونُهُ قُـرُونُ  
عَجِيبُ أَنْ تَعِيشَ بِنَا الْأَمَانِي  
وَأَنَا لِلْأَمَانِي نَسِيْتُكَ كَيْنُ

---

(١) مات في الإسكندرية ( عن عشرين عاماً ) سنة ١٩٠٩، وكان أول إخوته الثلاثة الذين فقدهم إيليا، واحداً إثر واحد.

وما أرواحنا إلا أسـارى  
وما أجسادنا إلا سجون  
وما في الكون مثل الكون فان  
كما تَفنى الديار، كذا القطـين  
لقد علقـتْكَ أسبابُ المنايا  
وفـيًّا لا يُخـان ولا يـخون  
أيدري النعشُ أيّ فـتـى يُـواري  
وهذا القـبرُ أيّ فـتـى يـصون  
فتـى جُمِعتْ ضُروبُ الحُسنِ فيه  
وكانت فيه للحُسنـى فنون  
فبعضُ صفاتِه ليثٌ ويدرُ  
وبعضُ خـلاله شـمـمٌ ولين  
أماراتُ الشـبابِ عليه تبدو  
وفي أثوابِه كـهـلٌ رزين  
ألا لا يشـمـتِ الأعـداءُ مِنّا  
فكلُّ فـتـى بمصـرّعـه رهين

أيا نورَ العـيونِ بـعـدتَ عَنّا  
ولمّا تمتلئ مِنكَ العُـيونُ  
وعاجَلَكَ الحـمـامُ فلم تُودّعْ  
وبِئسَ فلم يودّعَكَ القـرـين  
وما عـفّتِ الوداعُ قـلـى ولكنْ  
أردتَ ولم يُردْ دهرُ ضـنـين  
فيا لَهـفـي لأمـك حينَ يـدوي  
نـعـيـك بـعدَ ما طال السُّكون

وَلَهْفَ شَقِيْقَكَ النَّائِيْ بِعِيْدَاً<sup>(١)</sup>  
 إِذَا مَا جَاءَهُ الْخَبَرُ الْيَقِيْنُ  
 سَتَبْكِيْكَ الْكَوَكِبُ فِي الدِّيَاجِي  
 كَمَا تَبْكِيْكَ فِي الرُّوْضِ الْغُصُونُ  
 وَيَبْكِيْ إِخْوَةً قَدْ غِثَّتْ عَنْهُمْ  
 وَأُمٌّ تَاكُلُ وَأَبٌ حَرَزِيْنُ  
 فَمَّا تَنْدِي لَنَا أَبْدَأُ ضُلُوعُ  
 عَلَيْكَ، وَمَا تَجِفُّ لَنَا شَوْوُنُ<sup>(٢)</sup>  
 قَدْ اَزْدَانَتْ بِكَ الْفَتِيَانُ طِفْلاً  
 كَمَا يَزْدَانُ بِالتَّاجِ الْجَبِيْنُ  
 ذَهَبَتْ بَزِيْنَةُ الدُّنْيَا جَمِيْعاً  
 فَمَا فِي الدَّهْرِ بَعْدَكَ مَا يَزِيْنُ  
 وَكَنْتَ لَنَا الرَّجَاءُ فَلَا رَجَاءُ  
 وَكَنْتَ لَنَا الْمُعِيْنُ فَلَا مُعِيْنُ  
 أَبْعَدَكَ، يَا أَخِي، أَبْغِي عِزّاً  
 إِذَا شُلْتُ يَسَارِي وَالْيَمِيْنُ؟  
 يَهْوُنُ الرُّزُّ إِلَّا عِنْدَ مِثْلِي  
 بِمِثْلِكَ، فَهَوْرُزُّ لَا يَهْوُنُ  
 عَلَيْكَ تُقَطِّعُ الْحَسَرَاتُ نَفْسِي  
 وَفِيْكَ أَطَاعَنِي الدَّمْعُ الْحَرُونُ  
 فَمَلُّ جَوَانِحِي حَزْنٌ مَذِيْبٌ  
 وَمَلُّ مَحَاجِرِي دَمْعٌ سَخِيْنُ  
 وَمَا أَبْقَى الْمَصَابُ عَلَى فَوَادِي  
 فَفَزَعُمُ أَنَّهُ دَامَ طَعِيْنُ

(١) يقصد أخاه الأكبر مراد في أمريكة، وقد سبقهم جميعاً إليها

(٢) العروق التي تدرّ الدمع في العين.

يذودُ الدمعُ عن عيني كَراهاً  
وتأبى أن تقارِفَه الجُفون  
لقد طال السُّهادُ وطالَ ليلى  
فلا أدري الرُّقادُ متى يكون  
كأنَّ الحُبحَ قد لبسَ الدِّياجى  
عليك أسى لذلك ما يَبين  
جزاك اللهُ عنا كلَّ خيرٍ  
وجادَ ضريحك الغيثُ الهَتُون

\*\*\*\*

## ٣٨ - أنا والنجم

[السريع]

مِثْلِي هَذَا النَجْمُ فِي سُهُودِهِ  
وَمِثْلُهُ الْمَحْبُوبُ فِي بُعْدِهِ  
يَخْتَالُ فِي عُرْضِ السَّمَاءِ تَائِهًا  
كَأَنَّمَا يَخْتَالُ فِي بُرْدِهِ  
إِنْ شِئْتُ فَهُوَ الْمَلِكُ فِي عَرْشِهِ  
أَوْ شِئْتُ فَهُوَ الطِّفْلُ فِي مَهْدِهِ  
يَرْمُقُنِي شَذْرًا كَأَنِّي بِهِ  
يَخْسِبُنِي أَطْمَعُ فِي مَجْدِهِ  
يَسْعَى وَلَا يَسْعَى إِلَى غَايَةٍ  
كَأَنَّمَا يَرَى الْغَايَةَ فِي جِدِّهِ  
كَأَنَّمَا يَبْحَثُ عَنْ ضَائِعٍ  
لَا يَسْتَطِيعُ الصَّبْرُ مِنْ بَعْدِهِ  
طَالَ سُورَاهُ وَهُوَ فِي حَايِرَةٍ  
كَأَنَّهُ الْمَحْزُونُ فِي وَجْدِهِ  
فِي جُنْحِ لَيْلٍ خَالِكٍ فَاجِمٍ  
كَأَنَّهُ حَظِي قُدٌّ مِنْ جِلْدِهِ  
لَا يَحْسِدُ الْأَعْمَى بِهِ مُبْصِرًا  
كَلَاهُمَا قَدْ ضَلَّ عَنْ قَصْدِهِ  
سَاوَرَنِي الْهَمُّ وَسَاوَرْتُهُ  
مَا أَعْجَزَ الْإِنْسَانَ عَنْ رَدِّهِ!

ما أعجب الدهرَ وأطواره  
 في عين من يُمَعِرُ في نَقْـدِه!  
 جرَّبْتُه دهرًا فما راقني  
 من هزله شيءٌ ولا جِـدْه  
 أكْبَرُ مني أنني زاهدٌ  
 ما زهدَ الزاهدُ في زُهدِه  
 أكبرَ مني ذا وأكْبَرْتُ أن  
 يَطْمَعُ، أن أطمعَ في رِقْـدِه  
 وعدَّني أعجوبةً في الوري  
 مُذْ رحتُ لا أعجبُ من حِقْـدِه  
 يا رَبَّ خِلْ كأن دوني نُهي  
 عَجِبْتُ من نَحْـسِي ومن سَقْـدِه  
 وعائشٍ يخطرُ فوق الثُّرى  
 أفضلُ منه الميْتُ في لَحْـدِه  
 أصبحَ يَجْـنِي الوردَ من شوْكِه  
 وبيْتُ أجْـنِي الشَّـوْكَ من ورْدِه  
 أكْـذبُ إن صدَّقْتُه بعدما  
 عرفتُ منه الكِـذْبَ في وعْدِه  
 لا أشْـتَكي الخُـرَّ إذا مَسَّنِي  
 منه، ولا أطربُ من رَغْـدِه  
 أعلمُ أن البؤسَ مُسْتَنْفَدُ  
 والرَّغْدَ، ما لا بدَّ من فقْـدِه  
 إذا الليالي قُرِبتْ نازحاً  
 وكنتُ مشتاقاً إلى شهْدِه

أَمَلِكُ عَنْهُ النَّفْسَ فِي قُرْبِهِ  
خَوْفًا مِنَ الْوَحْشَةِ فِي صَدِّهِ  
وَأَنْ أَرَى الْحُزْنَ عَلَى فَاائَتِ  
أَضْرَبُ بِي الْحُزْنَ وَلَمْ يُجِدْهُ

\*\*\*\*\*



### ٣٩ - في سبيل الإصلاح

[الكامل]

حَيُّ الصُّبَا عني رُبَا لِبْنَانِ  
حيثُ الهوى ومراتعُ الغِزلانِ  
ورعى المهيمُنُ ساكنيه فإنهم  
في خَيْرِ أرضٍ، خيرَةُ السَّكَّانِ  
قومٌ صَفَتْ أخلأُهمُ ووجوهُهمُ  
فالحُسْنُ مجموعٌ إلى الإحسانِ  
لهمُ الأيادي البيضُ والشَّيْمُ التي  
لومُثِّلَتْ كانت عُقودَ جُمان<sup>(١)</sup>  
شِيمُ الكرامِ قصائدُ في الكونِ غُرُ  
رُ، وهي في شيمِ الكرامِ مَوعانِ  
قومٌ إذا زار الغريبُ بلادَهُمُ  
جـعلوه منهم في أجلِّ مكانِ  
إن خِفتَ شرَّ طوارقِ الحِداثِ فاقُ  
صِدْهُمُ تَخَفُكَ طوارقُ الحِداثِ  
لو أن في كِيوان<sup>(٢)</sup> دارُ إقامتي  
لهجرتُ كِيواناً إلى لبنانِ  
قِيَّدتُ قلبي في هواه فلم أَعُدْ  
أهوى السَّوى إذ ليس لي قلبانِ  
والحبُّ يجمُلُ في الشَّبيبةِ والصُّبا  
كجمالِ زهرِ الروضِ في نَيْسانِ

(١) الجمال اللؤلؤ

(٢) المريع

هو جنة الخلد التي مُني بها  
رُسُل الهدى قِدماً بني الإنسان  
خلتِ الدهورُ ولا يزال كئانما  
بالأمس شادته يدُ الرحمن  
يا ساكنيه تحيةً من نازح  
إنَّ التحيةَ لَهِيَّ جُهدُ العاني<sup>(١)</sup>  
أصبحتم فوق الممالك رفعةً  
لولا وجودُ معاشِرِ (الغربان)<sup>(٢)</sup>  
قومٌ قد اتخذوا الديانةَ بينكم  
شركاً لصيدِ الأصفرِ الرنان  
فتظاهروا بالزهدِ حتى أوشكتُ  
تخفي دُخائلُهُم على اليقظان  
وتفننوا بالكرِ حتى أصبحوا  
وغيبُهم أدهى من الشيطان  
ضربوا على الشعبِ الرسومَ شراهُةً  
حَسَبُ التعيسِ ضرائبُ السلطان  
كفروا بنعمته التي أسداهم  
ورمَوْه بالإلحادِ والكُفران  
ولقد تفانوا في انتهاكِ حقوقه  
وهو المُحبُّ رضاَهُم، المُتَقَانِي  
حتى حَسِبْنَا أَنه ينحطُّ عن  
كَسَلٍ، ولم يكُ قطُّ بالكسَلان  
لكنه يسعى ويذهبُ سعيُهُ  
للقس والشَّمْسِ والمَطَران

(١) المتعب

(٢) يقصد رجال الدين.

لولا احترامى مذهباً عُرِفُوا بِهِ  
لَكَشَفْتُ مَسْتُورَاتِهِمْ بِبَيَانٍ  
فَتَنبَهُوا إِنْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ  
فَالدَّهْرُ بِالْمِرْصَادِ لِلْغَفْلَانِ  
إِنْ الْأَبَالِسُ حِينَ أَعْيَا أَمْرُكُمْ  
جَاعَتْكُمْ فِي صُورَةِ الرُّهْبَانِ  
فَحَذَارِ مَنْ أَنْ تُخْدَعُوا بِلِبَاسِهِمْ  
فَهُمُ الضُّوَارِي فِي لِبَاسِ الضَّنَانِ  
مَنْ يَتَّبِعِ الْعِمْيَانَ حُبّاً بِالْهُدَى  
لَا يَأْمَنُ تَعَثُّرَ الْعُمِّيَّانِ

فَجَعَلَ قَوْماً يُلُومُونَهُ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ  
إِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ وَهُمْ غُفْرَانُهُ  
أَثَرْتُ أَنْ أَبْقَى بِلَا غُفْرَانٍ  
أَوْ كُنْتُ فِي النَّيِّرَانِ حَيْثُ لَدَيْهِمْ  
مِنْهَا النِّجَاةُ، رَضِيتُ بِالنَّيِّرَانِ  
أَشْهَى إِلَى نَفْسِي مِنَ الذَّلِّ الرَّدَى  
لَا يَرْضَى بِالذَّلِّ غَيْرُ جَبَانٍ

\*\*\*\*

## ٤٠. الحرية

[الخفيف]

فَتَنَّنَتْهُ مُحَاسِنُ الْحَرِيَّةِ  
لَا سُلَيْمَى وَلَا جَمَالُ سُمِّيَّةِ  
هِيَ أُمْنِيَّةُ الْجَمِّيعِ وَلَكِنْ  
قَلَّ مَنْ نَالَ هَذِهِ الْأُمْنِيَّةَ  
لَيْسَ هَذَا الْإِنْسَانُ عَبْدًا وَلَكِنْ  
أَرْهَقَتْهُ الطَّبِيعَةُ الْبَشَرِيَّةُ  
وَعَجِيبٌ أَنْ يُخْلَقَ الْمَرْءُ حُرًّا  
ثُمَّ يَأْبَى لِنَفْسِهِ الْحَرِيَّةَ  
غَادَةً مَا عَرَفَتْ قَلْبًا خَلِيًّا  
مِنْ هَوَاهَا، حَتَّى الْقُلُوبِ الْخَلِيَّةِ  
غَرَسَتْ فِي فُؤَادِهِ الْحُبَّ طِفْلًا  
فَنَمَا الْحُبُّ وَالْفُؤَادُ سَوِيَّةَ  
ثُمَّ لَمَّا فَشَا الْغَرَامُ وَذَاعَتْ  
عَنْهُمَا فِي الْوَرَى أُمُورٌ خَفِيَّةُ  
حَجَبُوهَا عَسَاهُ يَسْلُو وَلَكِنْ  
كَانَ قَيْسًا وَكَانَتْ الْعَامِرِيَّةُ  
بَاتَ يَشْكُو النُّوَى الشَّقِيَّ وَتَشْكُو  
مَانَعِيهَا مِنْ أَنْ تَرَاهُ الشَّقِيَّةُ  
مُسْتَهَامٌ قَضَى زَمَانًا طَوِيلًا  
فِي عَنَاءٍ مِنَ الْقَيْدِ الْقَوِيَّةِ

\*\*\*\*

## ٤١ . تحية الدستور العثماني

[الطويل]

إلى حيثُ أَلَقْتَ<sup>(١)</sup> يا زَمانَ المَظالمِ  
ولا عُدْتَ يا عهدَ الشُّقا المتقادمِ  
ذهبتَ فلا باكٍ وأتَى بكى العَلى  
كفيفُ رأى الأضواءِ ملءَ العوالمِ  
وما عجبُ أن ليس في القومِ نادِبُ  
ولكنُ عَجيبُ أن أرى غيرَ باسمِ  
نزلتَ على الشرقِ فانحطَّ شأنُهُ  
وقد كان غَضُّ الفخرِ، غَضُّ المكارمِ  
ففرَّقْتَ حتى ليس غيرَ مُفرِّقٍ  
وخاصَّمتَ حتى ليس غيرَ التخاصُّمِ  
أَقَمْتَ فـخـلَى أهله وبلادهُ  
إلى كلِّ فجٍّ من خـصـيبٍ وقاحمِ<sup>(٢)</sup>  
نأى كاظمًا للغـيـظِ خوفَ شماتةٍ  
ولم يطلُبِ الإنصافَ خـيـفةً لائمِ  
ولو شاء لم يَخْتَرُ سِوى الشرِّ مركباً  
فقد كانت الأحقادُ ملءَ الحَيازمِ<sup>(٣)</sup>  
صحبناك لا خوفاً ثلاثين حُجَّةً<sup>(٤)</sup>  
ولكنها الدنيا وضعفُ العزائمِ

(١) أصبح مثلاً بالدعوة إلى الهلاك.

(٢) قاحل.

(٣) الحيزوم. وسط الصدر

(٤) المدة التي قضاهَا السلطان عبد الحميد الثاني في الحكم.

وما ذاك عن حبٍّ فما فيك شيمَةٌ  
تُحَبِّ، ولسنا من عُـوَاقِ المآثمِ  
فكنتَ وكان الجهلُ أحسنَ خُلَّةٍ  
لنا، ونجاةُ الحقِّ إحدى الغنائمِ  
وكنتَ وما فينا فتى غيرُ ناقدٍ  
عليك، ولا ذو سلطةٍ غيرُ غاشمِ  
ثلاثون عاماً والنوائبُ فوقنا  
مخيِّمةٌ مثل الغيومِ القوادمِ  
فلا العلمُ مرموقٌ، ولا الحقُّ نافذٌ  
ولا حُرمةٌ تُرعى لغيرِ الدراهمِ  
وما ثمَّ غيرُ البَغْيِ والظلمِ والأذى  
فقبَّحتَ من عصرٍ كثيرِ السَّخائمِ<sup>(١)</sup>  
فأغرُبُ، شقيتَ الدهرَ غيرَ مودَّعٍ  
من القومِ إلا بالطُّبى والصَّوَّارمِ  
فواللهِ ما ترضى قيودك أمةً  
من الناسِ إلا أصبحتَ في البهائمِ  
ويا أيها الدستورُ أهلاً ومرحباً  
«على الطائر الميمون يا خيرَ قادمٍ»<sup>(٢)</sup>  
طلعتَ علينا كوكباً غيرَ آفلٍ  
على حين أن الشُّرْقَ مُقلِّهُ هائمِ  
فقرَّتْ عيونٌ قبلُ كانت حسيرةً  
وجادتْ سروراً بالدموعِ السَّوَّاجِمِ  
وضجَّ الوردى في الشرق والغرب ضجَّةً  
أفاق لها، مُستيقظاً، كلُّ نائمِ

---

(١) الأحقاد ( المفرد . سخيمة ) .

(٢) من شعر البهاء زهير

أهبتَ ففرَّ الظلمُ في الأرض هارباً  
ونكسَ خِزياً رأسَه كلُّ ظالم  
وفاضتْ على ثغرِ الحزين ابتسامَةٌ  
تُخبِّرُ أن الحزنَ ليس بدائم  
وأطلقتِ الأقلامُ بعد اعتقالها  
فأسْمَعَتِ الأكوانَ سجعَ الحَمائم  
ولم يبقَ عَـانٍ<sup>(١)</sup> لم يُفكَّ إسمارُهُ  
ولم يبقَ جانٍ لم يُفَزَّ بالمراحم  
وكنا نرى الأحزانَ ضربةً لازِبٍ  
فصيرنا نرى الأفراحَ ضربةً لازم  
توهَّم قَـومٌ أنما الشـرقُ واهمُ  
وأنتَ يا دستورُ أضغاثِ حالم  
ورجَمَ قَـومٌ أنما تلك خُدَعَةٌ  
فَعُذْنَا برَبِّ الناس من كلِّ راجم  
تجلَّيتَ فأسودتْ وجوهُ وأسفرتْ  
وجوهُ، وأمسى غانماً كلُّ غارِم  
وما عدتَ حتى كاد يشتجرُ القنا  
لأجلِكَ والخطي<sup>(٢)</sup> أعدلُ حاكم  
وأوشك أن يهتزَّ في كل ساعدٍ  
لكلِّ أبى، كلُّ سيفٍ وصارم  
أبى الجيشُ إلا أن تكونَ مؤيداً  
وتأبى سوى تأييدِ جيشِ مُسالم  
فَبوركُتْما من ساعدٍ ومُهدٍ  
برغم خُؤونِ مارقٍ مُتَشائم

---

(١) الأسير ( السجين).

(٢) الرمح.



ولا برح الأحرارُ يَشُدُّو بذكـرهم  
بنو الشرق، فخرأً، في القرى والعواصم  
رجالٌ لهم ذكرُ الرجالِ وإنما  
جسومهمُ فيها نفوسُ ضراغم  
هم قَيِّدُونَا بالعوارفِ<sup>(١)</sup> والنَّدَى  
وهمُ أطلقونا من عِقَالِ المغارم  
فلم يبقَ فينا حاكمٌ غيرُ عادلٍ  
ولم يبقَ فينا عادلٌ غيرُ حاكم

\*\*\*\*\*

---

(١) العارفة: المكرمة.

## ٤٢. عبد الحميد بعد إعلان الدستور

[الطويل]

أبا الشَّعبِ! اطلِّعْ من حجابِكَ يلتقِ  
بطرفِكَ مثلُ العارضِ<sup>(١)</sup> المُتَدَفِّقِ  
جماهيرُ لا يُحصي اليراعُ عديدها  
هي الرَّمْلُ إلا أَنَّهُ لم يُنْسَقْ  
هو الشعبُ قد وافاك كالبحرِ زائراً  
وكالجيشِ يقفوفيلقُ إثرَ فَيْلَقِ  
تَطْلُعُ تجده حولَ قصرِكَ واقفاً  
يحدِّقُ تحديقَ المحبِّ الموفِّقِ  
لقد ألبسَتْهُ الأرضُ حَلِيّاً كأنَّه  
أياديكَ فـيـه لم تزلْ ذاتَ رونقِ  
وألقَتْ عليه الشمسُ نظرةً عاشقِ  
غـيـورٍ تلقَّاهَا بنظرةٍ مُشفِّقِ  
يهشُّ لمراكِ الوَسْـيـمِ وإنما  
يهشُّ لمراى الكوكبِ المُتَنالِّقِ  
ويعشقُ منك البأسَ والحِلْمَ والنَّدَى  
كذلك من ينظرُ إلى الحُسْنِ يعشقُ  
يكاد به يرقى إليك اشتياؤه  
فيا عجباً: بحرٌ إلى البدرِ يرتقي!  
تفرِّقُ عنك المفـسـدونَ وطالما  
رموا<sup>(٢)</sup> الشعبَ بالتفريقِ خوفَ التفريقِ

(١) السحاب الممطر.

(٢) تُقرأ بضم الميم للضرورة.

وكم أقلقوا في الأرض ثم تراجعوا  
 يقولون: شعبٌ مقلقٌ أيُّ مقلقٍ  
 وكم زوروا عنه الأراجيف وادّعوا  
 وأيدكم ذباكم الزاهد التقي  
 لمن يرفع الشكوى وقد وقفوا له  
 على الباب بالمرصاد، فاسأله ينطق  
 وأما ولا واشٍ ولا متجسسٌ  
 فقد جاء يسعى سعي جذلان شيق  
 يطارحك الحب الذي أنت أهله  
 وحسبك منه الحب غير مزوق  
 فها جيشك الطامي يضج مكبراً  
 بما نال من عهدٍ لديدك وموثوق  
 يطأطي إجلالاً لشخصك أروساً  
 يطأطي إجلالاً لها كل مفريق  
 لهم<sup>(١)</sup> متى تُنذر به الدهر يصعق  
 وإن يتعرض للحوادث تفرق  
 يفاخر بالسلام الجيوش، وإنه  
 لأضربها بالسيف في كل مأزق  
 وأشجعها قلباً وأكرمها يداً  
 إذا قال لم يترك مجالاً لأحمق  
 ألا أيها الجيش العظيم ترفقاً  
 ملكت قلوب الناس بالعرف<sup>(٢)</sup> فارفق  
 ويا أيها الملك المقيم (بيلدن)<sup>(٣)</sup>  
 أرى كل قلب سدة<sup>(٤)</sup> لك فارثق

(١) كثير العدد.

(٢) بالمعروف.

(٣) قصر يلدز: قصر النجم.

(٤) عرش.

ألا حبّذا الأجنادُ غوثاً لخائفٍ  
ويا حبّذا الأحرارُ ورّداً لمُسْتَقٍ  
ويا حبّذا عيّدُ الجلوسِ فإنه  
أجلُّ الذي ولّى وأجملُ ما بقي

\*\*\*\*

### ٤٣. الذئاب الخاطفة

[الكامل]

ما بالهم نقضوا العهودَ جهارا  
وتعمّدوا الإيذاء والإضرار  
واستأسدوا لما رأوا لئث الشرى  
عاف الزئيرَ وقلم الأظفار  
داروا به والشرُّ في أحداقهم  
ذا يدعي حقّاً، وذلك ثارا  
لؤمٍ لعمر أبيك لم ير مثله التُّ  
خاريخُ منذ استقرأ الأخبارا  
وخيانة ما جاءها القوم الألى  
تخذوا مع الوحش القيفار ديارا  
أمسى يحرضُ (عاهل الألمان) من  
أمسى يحرضُ في الخفا (البُغارا)  
أمعاشر الإفرنج ليس شهامة  
ما تفعلون، إذا أمِنْتُم عارا  
أمن المروءة أن يُساءَ جوارنا  
في حين أنا لا نسيء جوارا  
أمن المروءة أن يطأطيء تاجه  
ملكٌ ليملك في الثرى أشبارا؟  
البغي مرتعة وخيم فاعلموا  
والظلم يُعقب للظلم دمارا

إِنْ تُخْرِجُوا الرُّبَالَ فِي عَرِيْسِهِ<sup>(١)</sup>  
يَذِرُ السَّكُوتَ وَيَرْكَبُ الْأَخْطَارَا  
وَكَمَا عَلِمْتُمْ ذَلِكَ الْجَيْشَ الَّذِي  
دَكَ الْعَمْرُوشَ وَدَوَّخَ الْأَقْطَارَا  
جَيْشٌ يَهْزُ الرَّاْسِيَّاتِ إِذَا انْتَحَى  
الْهَيْجَا ، وَهَزُّ الصَّارِمِ الْبَتُّارَا  
وَكَمَا عَلِمْتُمْ ذَلِكَ الشَّعْبَ الَّذِي  
يَأْبَى وَيَأْتَفُّ أَنْ يُرَى خُورَا  
فَالْوَيْلُ لِلدَّنِيَا إِذَا نَفَضَ الْكَرَى ،  
وَالْوَيْلُ لِلْأَيَّامِ إِمَّا ثَارَا  
إِنِّي أَرَى لَيْلًا يَخِيْمُ فَوْقَنَا  
لَا يَنْجُلِي حَتَّى تُشِيبَ النَّارَا  
فَحَذَارِ ثُمَّ حَذَارِ مِنْ يَوْمٍ بِهِ  
يَجْرِي النَّجِيْعُ عَلَى الثَّرَى أَنْهَارَا  
يَوْمٍ تَبَاعُ بِهِ النُّفُوسُ رَخِيصَةً  
يَوْمٍ يَقْصُرُ هَوْلُهُ الْأَعْمَارَا  
يَوْمٍ يَكُونُ بِهِ الْجَمِيْعُ عَسَاكِرَا  
وَالْكُلُّ يَدْخُلُ فِي الْوَعَى مُخْتَارَا

\*\*\*\*\*

---

(١) عرينه أو غابته.

## ٤٤ . مريض بالغرور

[الكامل]

وقال ينقد أحدهم

لَمَّا سَكْتُ حَسَبْتَ أَنَّكَ نَاجٍ  
هِيَهَاتَ، إِنِّي كَالْمَنُونِ أَفَاجِي  
تَاللَّهِ تَطْمَعُ بِالسَّلَامَةِ بَعْدَ مَا  
أَلْقَاكَ جَهْلُكَ فِي يَدِ الْأَمْوَاجِ  
إِنْ كَانَ دَاخَلَكَ الْغُرُورُ فَإِنَّهُ  
مَا انْفَكَ فِي الْبُسْطَاءِ وَالسُّدَاجِ  
إِنِّي أَنَا الْأَسَدُ الْهَاصُورُ بِسَالَةٍ  
وَيْلٌ لِقَوْمٍ حَاوَلُوا إِخْرَاجِي  
حَاوَلْتَ أَنْ تَهْتَاجَنِي عَنْ مَرْبِضِي  
لَتَنَالِ ذِكْرًا، خِيبْتَ يَا ذَا الرَّاجِي  
عَارٌ إِذَا أَنْشَبْتُ فِيكَ مَخَالِبِي  
إِذَا لَيْسَ مِنْ خُلُقِي افْتِرَاسُ نِعَاجِ  
وَضَنَنْتَ أَنَّكَ بِالْعُشْرِ أَوْي إِذَا  
رُمْتَ الْقَرِيضَ فَمَا ظَفِيرَتَ بِحَاجِ<sup>(١)</sup>  
إِنَّ الْقَوَافِي كَالْخِرَائِدِ<sup>(٢)</sup> مِنْعَةً  
وَتَفُوقُهَا فِي نَبْذِ كُلِّ مُدَاجِ  
وَالشُّعْرُ تَاجٌ لَوْ عَلِمْتَ وَلَمْ تَكُنْ  
مِمَّنْ يَلِيقُ بِحَمْلِ هَذَا التَّاجِ

(١) حاجة أو رغبة.

(٢) الخريدة: اللؤلؤة قبل أن تُنْقَبَ.

خذها مثقفه إذا وقعت على  
جبل لأزعج أئمة إزعاج  
أنا خير من قال القوافي، مادحاً  
أنا خير من قال القوافي، هاجي  
قد كنت أزهّد في الهجاء لو لم يكن  
لك يا مريض العجب خير علاج

\*\*\*\*



## ٤٥ . عضو بغير مقدرة

وقال فيه أيضاً

[البسيط]

سكتَ خوفاً، وقلت: الصفحُ من خُلقي!  
ونمت جُبناً، وقلت الحلمُ من شيمي!  
وإنما أنت والأقوامُ قد علموا  
لولا خُمولُك لم تسكتَ ولم تنم  
لم تمتنع أنفةً<sup>(١)</sup> لكن قد امتنعت  
عليك أشباهُ ما قد صاغهُ قلمي  
حاولت وجدان عيبٍ لي فكنت كمن  
يحاول الماءَ في البركان ذي الضرم  
فقلت للقوم - في ما قلت - تخذعهم:  
لقد هجاني وبعضُ الهجو كالوصم  
الذم عارٌ ولكن ذمٌ ذي كرم،  
والحمدُ لله لم نذم أخاً كرم  
سأحبسن<sup>(٢)</sup> لساني عنك، عن شمم،  
وحرمه لأهيل الودِّ والذم  
قومٌ لعمر أبي، لو كان سفكُ دمي  
- ولا مغالاة - يُرضيهم، سفكتُ دمي  
إني أجلهم عن أن يُغيّرهم  
كلام ذي حسدٍ أوقولُ متهم

(١) يريد: أنفة، وسكن للضرورة.

(٢) جاء بها في موضع: (أحبسن).

ما العجزُ أقعدني لما كفتُ يدي،  
لكنَّ لأجلهم نهنتُ<sup>(١)</sup> من كَلَمي  
ولو أشياء ملأتُ الأرض قاطبةً  
قوافياً، والفضاءَ الرحبَ بالحكم  
ولستُ أعجبُ إن لم تشتكِ الماءَ  
إنَّ الجماداتِ لا تشكو من الألم

\*\*\*\*

---

(١) نهنته: كَفَّته.

## ٤٦. فتنة ١٣ أبريل<sup>(١)</sup>

[المديد]

بورك الصمّ صامٌ من حَكَم  
بين محكّوم ومحتكم  
إنّني بيعتُ السيفَ راعَ به  
لا أبيعُ السيفَ بالقلم  
صاح إن العزّ ممّتنعُ  
نيلُهُ إلا على الخَـذِم<sup>(٢)</sup>  
إنما الضرغامُ سوّدّه  
نابّه المرهوبُ في البهم  
لو يُسمّى السيفُ ثانيّةً  
بات يُدعى: مُنقذُ الأمم  
فأله في الغرب مأثرةُ  
مثأها في التُّرك والعجم  
ضيف ( سالونيك )<sup>(٣)</sup> ما لك في  
سجنها ضيفٌ سوى السّام  
ذاك ضيفٌ غيرٌ مُحْتشمٍ  
إنّ تحاولَ طرده يُقم  
قد خلت ( يلدين )<sup>(٤)</sup> منك وما  
ذكرُها يُخـلـيك من ألم

---

(١) خلع السلطان عبد الحميد الثاني وتولية السلطان رشاد ( باسم محمد الخامس ) سنة ١٩٠٩

(٢) سرعة القطع. يريد السيوف.

(٣) السلطان عبد الحميد وقد نزل سجيناً بـسالونيك بعد خلعه.

(٤) قصره في استانبول.

زُلْتُ عَنْهَا وَهِيَ بَاقِيَةٌ  
 عِظَّةٌ لِمَا خَلَقَ كُلُّهُمْ  
 إِنْ تَكُنْ تَبْغِي الرِّجُوعَ لَهَا  
 ذَاكَ مَقْضِيٌّ لَدَى الْحُكْمِ  
 مَرْتَعُ الْغَيْدِ الْأَوَانِسِ بَلْ  
 مَرْبَعُ الْوَاشِينَ وَالنُّهُمِ  
 خَبِيرِينَ إِنْ فِيكَ لَنَا  
 حَكْمَةٌ تَعَالَوْ عَلَى الْحُكْمِ  
 خَبِيرِينَ كَيْفَ عَاقِبَةُ الْـ  
 بَغْيِ: هَلْ كَانَتْ سِوَى نَدَمٍ؟  
 جُرْتُ يَا عَبْدَ الْحَمِيدِ بِنَا  
 غَيْرَ أَنْ الْجَوْرَ لَمْ يَدُمْ  
 كُنْتَ كَالْأَيَّامِ مَا قَصِدْتُ  
 بِالرِّزَايَا غَيْرَ ذِي شِمَمِ  
 ظَلْتُ تَقْرِي<sup>(١)</sup> الْحَوْتَ مِنْ جُثَّتِ  
 أَوْشَكْتَ تُبَالِيهِ بِالنُّخَمِ<sup>(٢)</sup>  
 نَعَمْ لِلْبَحْرِ.. تَطْرَحُهَا  
 يَا لَهَا فِي الْبَرِّ مِنْ نَقَمِ  
 وَلَكُمْ حَاسَتْ مِنْ حُرْمِ  
 وَلَكُمْ أَفْسَسَدَتْ مِنْ ذَمِّ  
 لَمْ تَرَاعِ قَطُّ ذَا صَلَاحَةٍ  
 لَا وَلَمْ تُشْفَقْ عَلَى رَحِمِ  
 رَاعَكَ الدُّسْتُورُ مِنْ تَصَرُّافِ  
 فَأَثَرَتْ الْجُنْدُ (بِالْعَمَمِ)<sup>(٣)</sup>

(١) تطعم (من: القرى).

(٢) قيل عن السلطان عبد الحميد: إنه كان يأمر بإلقاء خصومه السياسيين في خليج البسفور المطل عليه قصره طعاماً لحيثانه التي أعدت لهذا الغرض؛ والمدافعون عنه يقولون: إنه ألقى فيه رجلاً واحداً اغتصب ابنته، فكبر عليه إثمه.

(٣) أصحاب العمام.

كَادَ يَلْقَى مِنْكَ مَصْرَعَهُ  
 وَهُوَ لَمْ يَبْلُغْ إِلَى الْحُلُمِ  
 رَبُّ لَيْلٍ بَتَّ تَرْقُوبُهُ  
 رَقِيبَةُ السَّرْحَانِ<sup>(١)</sup> لَلْفَنَمِ  
 وَنَهَارٍ كَدَّتْ فِيهِ لَهُ  
 غَيْرَ خَاشٍ كَيْدٍ مِنْتَقِمِ  
 أَحْسَبْتَ الْقَوْمَ قَدْ غَفَاوَا  
 وَنَسُوا مَا كَانَ فِي الْقَدَمِ  
 أَمْ ظَنَنْتَ الشَّعْبَ حَنًّا إِلَى  
 إِمْرَةِ الْخَصْنِيَانِ وَالْخَدَمِ  
 أَمْ حَسِبْتَ الْجَيْشَ مَبْتَعِداً  
 وَهُوَ أَدْنَى مِنْ يَدٍ لِفَمِ  
 لَمْ يُطَقْ صَبِراً عَلَى مَضَضٍ  
 فَاتَى يَسْعَى عَلَى قَدَمِ  
 عَالِمٌ مِنْ خَلْفِهِ عَالِمٌ  
 وَكَمِيٌّ<sup>(٢)</sup> يَقْتَفِيهِ كَمِي  
 حَاطَ «يَلْدِيزَا» فَكَانَ لَهَا  
 كَسَوَارٍ غَيْرِ مَنْفَصِمِ  
 وَرَأَتْ عَيْنَاكَ غَضَبَتَهُ  
 فَبَكَتْ خَوْفَ الرَّدَى بِدَمِ  
 ثَلُّ مِنْكَ التَّاجَ مَهْتَضِماً  
 مِنْ يُعَادِ الشَّعْبَ يُهْتَضِمُ<sup>(٣)</sup>

(١) الذئب.

(٢) شجاع.

(٣) يُخْذَلُ وَيَنْكَسِرُ

بِتْ لَا جِيْشْ وَلَا عَمْلْ  
يا صريع الجيشِ والعلمِ  
وفش ما كنت تُضْمِرْهُ  
فعرفنا ناقض القسم  
كنت مسلوب الكرى حذراً  
ولقد أعطيتَه فَنَم!  
ودع الدنيا وبهجتها  
ما أرى الحسناء للهريم!  
لست من طرسي ولا قلّمي  
إن كُبا في حلبة قلّمي  
قل لمن راموا مُساجلتي  
ليس غيري تاجر الكَلِمِ  
❖❖❖❖❖

يا رشاد المُمك<sup>(١)</sup> ته نئة  
بالذي أوتيت من نعم  
إن تكن ذاك السَّجِينُ فيا  
ربَّ عان<sup>(٢)</sup> غير مُجْتَرَم  
أنت كالصديق<sup>(٣)</sup> أسكنه  
فضله في السجن من قدم  
كن لهذا الشعب «يوسفه»  
يُنَجُّ من عُدْمٍ ومن عدم  
لست ترضى أن يقال: كُبا  
نون شعبِ هام بالصنَم

(١) السلطان محمد رشاد الخامس الذي ولي الملك بعد عبد الحميد

(٢) العاني. هو الأسير أو السجين.

(٣) النبي يوسف، ومعروف أنه كان سجيناً قبل أن يلي تموين مصر.

أنت الشُّورى نُعوِّذُها  
بك من عَـاتٍ ومن نَـهَم  
فتَقاد سيفُ جِدِّك «عُتْدُ  
ـمان»<sup>(١)</sup> جِدُّ البِيضِ والخُذْمِ<sup>(٢)</sup>  
وتَوَلَّ المُمَّلِكَ من أَمَمٍ  
وبِحبلِ الله فاعْتَصِم  
قد شَفَا مَرَأكَ مَقَاتَهُ  
من عَمَى ، والأَذَنَ من صَمَم  
دمت يا خَـيرَ المَلوكِ له  
غَـيرَ ما هُم ولا سَقَم

\*\*\*\*\*

---

(١) عثمان أرطغرل المؤسس الأول لدولة سميت باسمه في آسيا الصغرى «العثمانيون»  
(٢) البِيض: السيوف. والخُذْم: سرعة القطع. يريد السيوف الفاطمة.

## ٤٧. الكبرياء خلّة الشيطان

[الكامل]

لي صاحبُ دخل الغرور فؤادُه  
إن الغرور أخي من أعدائي  
أسديته نُصحي فزاد تمادياً  
في غيّه وازداد فـيـه بلائي  
أمسى يُسيء بي الظنون ولم تسوّ،  
لولا الغرور، ظنونه بولائي  
قد كنت أرجو أن يُقيم على الولا  
أبدًا، ولكن خاب فيه رجائي  
أهوى اللقاء به ويهوى ضده  
فكأنما الموت الزؤام لقائي  
إني لأصحبُه على علّاته  
والبدر من قدم أخو الظلّماء  
يا صاح إن الكبر خلق سيء  
هيهات يوجد في سوى الجهلاء  
والعجب داء لا يُنال بواؤه  
حتى يُنال الخلد في الدنيا<sup>(١)</sup>  
فاخفض جناحك للأنام تفرّ بهم  
إن التواضع شيمه الحكماء  
لو أعجب القمر المنير بنفسه  
لرايته يهوي إلى الغبراء

\*\*\*\*

---

(١) يريد. الدنيا، ونمذها للضرورة.



## ٤٨ . أيها القلم

[البسيط]

ماذا جنيت عليهم أيها القلم  
والله ما فيك إلا النصيح والحكم  
إني ليحزنني أن يسجنوك وهم  
لولاك في الأرض لم تثبت لهم قدم  
خلقت حراً كموج البحر مندفعاً  
فما القيود وما الأصفاد والُجُم  
إن يحبسوا الطائر المحكي في قفص  
فليس يُحبس منه الصوت والنغم  
الله في أمة جار الزمان بها  
يفنى الزمان ولا يفنى لها ألم  
كأنما خصها بالذل بارئها  
أو أقسم الدهر لا يعلوها علم  
مهزومة الحق لا ذنبُ جنته سوى  
أن الحقوق لديها ليس تنهضم  
مرت عليها سنون كلها نغم  
ما كان أسعدها لو أنها نعم  
عدوا شكيّتها ظلماً، وما ظلمت،  
وإنما ظلموها بالذي زعموا  
ما ضرهم أنها باتت تسائلهم  
أين الموثيق؟ أين العهد والقسم؟

أما كفى أن في أذانهم صمماً  
حتى أراوا بأن ينتابها الصمم  
كأنما سئموا ألا يزال بها  
روح على الدهر لم يظفر بها السأم  
فقيدوها لعل القيد يسكتها  
وعز أن يسكت المظلوم لو علموا  
وأرهمقوا الصحف والأقلام في زمن  
يكاد يعبد فيه الطرس والقلم  
إن يمنعوا الصحف فينا بث لوعتنا  
فكلنا صحف في مصر ترتسم  
إننا لقوم لنا مجد سنذكره  
ما دام فينا لسان ناطق وفم  
كيف السبيل إلى سلوان رفعتنا  
وهي التي تتمنى بعضها الأمم  
يأبى لنا العز أن نرضى المذلة في  
عصر رأينا به العبدان تحترم  
للموت أجمل من عيش على مضض  
إن الحياة بلا حرية عدم

\*\*\*\*\*

## ٤٩. مصر والشام

[الوافر]

أ طَالَ اللَّيْلُ أَمْ طَالَ الْمُقَامُ؟  
أَمْ الْمُحْزُونُ خَامِرُهُ الْهَيَامُ؟  
فَبَاتَ يُصْعِدُ الزَّفَرَاتِ وَجِدًا  
وَأَمَّا نَاحِ اسْعِدْهُ<sup>(١)</sup> الْحَمَامُ  
تَعَوَّدَ جِسْمُهُ الْأَسْقَامَ حَتَّى  
لِيَحْذَرَ أَنْ يُزَايِلَهُ السَّقَامُ  
وَأَغْرَى جَفْنَهُ بِالسُّهْدِ حَتَّى  
لَيْشْفَقَ أَنْ يُطِيفَ بِهِ الْمَنَامُ  
تَجَمَّعَتِ الْهُمُومُ عَلَيْهِ تَنْتَرَى  
كَمَا اجْتَمَعَتْ عَلَى الْمَاءِ السَّوَامِ<sup>(٢)</sup>  
وَأَعْوَزَهُ عَلَى الْبِلَوى مُعِينُ  
وَأَعْوَزَ لَيْلَهُ الْقَمَرُ التَّمَامُ  
فَضَاقَ فَوَادُهُ بِالْهَمِّ ذَرْعًا  
وَضَاقَ بِهِمَّةً وَبِهِ الظَّلَامُ  
كَأَنَّ نَجُومَهُ أَجْفَانُ بَاكِ  
كَأَنَّ اللَّيْلَ صَبٌّ مُسْتَهَامُ  
أَبِالْأَقْمَارِ مَا بِي، فَهِيَ مِثْلِي  
تَحَاوَلُ أَنْ تَنَامَ فَلَا تَنَامُ؟  
أَبْتَ إِلَّا السَّكُوتُ وَبْتَ أَشْكُو  
وَأَنْتَى يَصْحَبُ الْوَجْدَ الْكَتَمَامُ

---

(١) أسعفه وأنجده.

(٢) السوام. الماشية التي ترعى.

وليس بنّافعي منها سكوتُ  
 وليس بنّافع الشُّهبِ الكلام  
 كاني قارئٌ والليلُ سقّـرُ  
 له بدءٌ وليس له ختام  
 كذاك الهمُّ أعسر ما تراه  
 إذا سَكَنَ الدُّجى وعَفَا الأنام  
 تحنُّ إلى بلاد الشام نفسي  
 أقطّر الشّام حياك الغمام  
 وما غير الشّام وساكنيه  
 لبانتُننا<sup>(١)</sup> وإنْ بُعد الشّام  
 ولولا أنْ في مصرٍ مُقامي  
 لعمرُ أبيك ما طال المُقام  
 مضى عامٌ علي بأرض مصرٍ  
 وذا عامٌ وسوف يجيء عام  
 وما مصرُ التي ملكتْ فؤادي  
 ولكنْ أهلُها قومٌ كرام  
 وداؤهمُ على الأيَّام باقٍ  
 وجارهمُ عزيزٌ لا يُضام  
 ومن أخلاقهم لينُ الحُميّا<sup>(٢)</sup>  
 إذا انتسبتْ إلى اللّين المُدام  
 وتُبصرُ في صدورهم أناءً  
 إذا الأحلام<sup>(٣)</sup> طاح بها الخصام

(١) غرضنا

(٢) الخمرة

(٣) العقول ( الحلم )

أَبَتْ إِلَّا عَنَّا دَهُمُ الْإِلْيَالِي  
فَمَا يَتَسَوَا الْغَدَاةَ وَلَا اسْتَنَامُوا  
يُودُ الطَّامِعُونَ بِأَرْضِ مِصْرٍ  
لَوْ أَنَّهُمْ بِهَا أَبَدًا أَقَامُوا  
فَلَا عَجَبٌ إِذَا خَفَرُوا ذِمَامًا<sup>(١)</sup>  
شَدِيدُ الْبَطْشِ لَيْسَ لَهُ ذِمَامٌ  
نُلامُ عَلَى الْكَلَامِ وَقَدْ أَصْبَيْنَا  
وَقَدْ ضَلَّوْا الصَّوَابَ فَلَمْ يُلَامُوا  
أَقَانُونًا قِيُودُهُمْ تُسَمَّى ؟  
إِذَا قَدْ أَنْتَ الرَّجُلَ اللَّئِيمُ  
إِلَامًا تُمْنَعُ الدِّسْتُورِ مِصْرُ  
وَقَدْ كَادَتْ تَفُوزُ بِهِ (سِيَام)<sup>(٢)</sup>  
بَنِي مِصْرٍ عَلَى الْأَحْدَاثِ صَبْرًا  
فَقَبْلَ الصَّبْحِ يَجْتَمِعُ الْغَمَامُ  
وَلَا يَلْحَقُ بِكُمْ ضَجْرُ فِائِي  
رَأَيْتُ الظُّلَمَ لَيْسَ لَهُ دَوَامُ  
فَإِنَّ اللَّيْلَ يَعْقُبُهُ صَبَاحُ  
وَإِنَّ الْحَرْبَ أَخْرُهَا سَلَامُ

\*\*\*\*\*

---

(١) العهد.

(٢) من نول الشرق الأقصى. وتمد ميم (إلام) في أول البيت للضرورة.

## ٥٠ - (عام ١٩١٠)

[الكامل]

إني سكتُ وما عدمتُ المنطقا  
لولا أخوك سبقتُ فيك الأسبقا  
وهزرتُ أوتار القلوبِ بصامتٍ  
يشْتَاقُ كلُّ مهذبٍ أن ينطقا  
فبعثتُ في أفواههم مثل الطُّلا  
ونفثتُ في أسماعهم شبه الرُّقى<sup>(١)</sup>  
والنَّتْ قاسِي الشَّعرِ حتى يُبتَغَى  
وشددتُ منه اللِّينَ حتى يُتَّقَى  
وجأوتُ للأبصار كلَّ خريدة<sup>(٢)</sup>  
عصماء تحسُّدها النفوسُ تالقا  
تبدو فتتركُ كلَّ قلبٍ شيقٍ  
خلوا وتتركُ كلَّ خالٍ شيقا  
ولَّى أخوك فما أمضني النوى  
ولقد قدمت فما هششتُ إلى اللقا  
أقبلت والدنيا إلي بغِيضةً  
هلا سبقتُ إليَّ أسباب الشُّقا  
حنقت بلا سببٍ عليّ، وإنه  
سببٌ جديرٌ عنده أن أحنقا

(١) الطلا: الخمر. والرقية: العوذة (والجمع: رُقَى).

(٢) اللؤلؤة قبل أن تنقب. يريد القصيدة من شعره.

عَلِقَتْ أَخِي كَفُّ الْمَنُونِ وَكَدَتْ أَنْ  
أَسْعَى عَلَى أَثَارِهِ لَوْلَا التُّقَى  
مَا أَشْفَقَتْ نَفْسِي عَلَيَّ وَإِنَّمَا  
أَشْفَقْتُ أَنْ أَبْكِيَ الصَّدِيقَ الْمَشْفُوقَا  
وَدَعَتْهُ كَالْبَدْرِ عِنْدَ تَمَامِهِ  
وَالْبَدْرُ لَيْسَ بِأَمْنٍ أَنْ يُمَحَقَّا  
وَلَقَدْ رَجَوْتُ لَهُ الْبَقَاءَ وَإِنَّمَا  
يَدْنُو الْحَمَامُ لِمَنْ يُحِبُّ لَهُ الْبَقَا  
أَصْبَحْتُ مِثْلَ النَّسْرِ قُصَّ جَنَاحُهُ  
فَهَوَى وَلَوْ سَلِمَ الْجَنَاحُ لِحَاقَا  
نَائِي الرَّجَاءِ فَلَا أَسِيرُ مَوْثَقُ  
أَرْجُو الْفَكَكَ، وَلَسْتُ حُرّاً مُطْلَقَا  
وَلَقَدْ لَبَسْتُ مِنَ السُّوَادِ شَعَائِرَا  
حَتَّى خَضِبْتُ مِنَ الْحَدَادِ الْمَفْرَقَا  
وَزَجَرْتُ عَيْنِي أَنْ تُسَرَّ بِمَنْظَرٍ  
وَمَنْعْتُ قَلْبِي بَعْدَهُ أَنْ يَخْفَقَا  
لَا أَظْلَمُ الْأَيَّامَ فِي مَا قَدْ جَنْتُ  
لَا تَأْمَنُ الْأَيَّامُ أَنْ تَتَفَرَّقَا  
كَنْ كَيْفَ شِئْتُ فَلَسْتُ أَسْكُنُ لِلْمُنَى  
بَعْدَ الْحَبِيبِ وَلَسْتُ أَحْذَرُ مَوْيِقَا<sup>(١)</sup>  
عَامُ نَسِيْتُ سُعُودَهُ بِنُحُوسِهِ  
قَدْ يَحْجُبُ اللَّيْلُ الْهَلَالَ الْمُشْرِقَا  
لَمْ أَنْسَ طَاغِيَةَ الْمُلُوكِ وَقَدْ هَوَى  
عَنْ عَرْشِهِ وَأَسِيرَهُ لِمَا ارْتَقَى

---

(١) المويق. المهلك (ويق - ييق: هلك)

والشاهُ منخلُ الحُشاشةِ واجفُ  
أرأيت «شاهاً» قطُّ أصبح «بيدقاً»  
ما زال يحتقرُ الظُّبا حتى غدا  
لا تُذكرُ الأسيافُ حتى يُصعقاً<sup>(١)</sup>  
بِتُّنا إذا التركيُّ ضجَّ مهللاً  
عبثَ الهوى بالفارسيِّ فصفا  
ذكرى تُحركُ كلَّ قلبٍ ساكنٍ  
حتى ليعشقَ بعدها أن يعشقا  
فيما على النِّيلِ النحوسُ ولم يكن  
دونَ الخليجِ ولا الفُراتِ تدفقا  
إن لم أُنذَ عن أرض مصر موفقاً  
أودى بأمالي الزمانُ موفقاً  
ما بالها تشكو زوالَ بهائها  
وهي التي كانت تزين المشرقاً  
قد أخلفت كُفَّ السياسةِ عهداً  
إن السياسةَ لا تُراعي موثقاً  
كذبوا على مصرٍ وصدَّق قوْلهم  
والشرُّ أن تجد الكُذوبَ مُصدِّقا  
وأبوا علينا أننا لا ننتهي  
من مازقٍ حتى نصادف مازقا  
سلكوا بنا في كلِّ وادٍ ضيقٍ  
حتى قنطنا أن يصيبوا ضيقاً  
منعوا الصحافةَ أن تبثَّ شكائنا  
منعوا الكواكب أن تبين وتشرقاً

(١) الطُّبة: حد السيف والسنان والخنجر (والجمع: طُّبا وظببات وظبون )



لوأنصفوا رفعوا القيود فإنما  
يشكو الأسيرُ الأسرَ إمّا أُرْهَقَا  
وسعوا إلى سلبِ القناة فَاخْفَقُوا  
سعيًا، وشاء الله أن لا نُخْفَقَا  
عرض الحساب المستشار ولم يكن  
لولا السياسةُ حاسباً ومدققاً  
أَيكونُ غاصبنا ويزعمُ أنه  
أمسى علينا مُحسنًا متصدقًا  
أبني الكنانة! لستُمُ أبناءها  
حتَّى تَقُوا مصرَ البلاءِ المُطْبِقَا  
إن تحفظوها تحفظوا في نَسْلِكُمْ  
ذَكَرًا يُخَلَّدُ في الليالي رونقا

\*\*\*\*

## ٥١ - دعابة<sup>(١)</sup>

وقال يداعب صديقاً له يعشق التمثيل:

[الكامل]

نُبِئتُ أنك تعشقُ التَّمثِيلَ  
عشْقاً يَمْتَلُّ في حشاك فُصولاً  
وتكاد من فَرَطِ الصَّبَابَةِ والجوى<sup>(٢)</sup>  
أن تهجرُ المشروبَ والمأكولَ!  
علَّلتَ نفسك بالمُحالِ فأصبحتُ  
في غمرةٍ، وغدتِ أنتِ عليلاً  
والنفسُ تقنعُ بالقليلِ فحبَّذا  
لو أنتِ صيّرتِ القليلَ السُّولاً<sup>(٣)</sup>  
تأبى «المراسحُ»<sup>(٤)</sup> أن تُنيلَكَ ودَّها  
إن «المراسح» لا تحبُّ ثَقِيلاً!

\*\*\*\*\*

---

(١) هذا العنوان لا يوجد بالأصل.

(٢) الجوى. الحرقه وشدة الوجد.

(٣) السؤل هو السؤل، أي الشيء الذي يريده الإنسان.

(٤) هكذا كانت تُنطق هذه الكلمة، أحياناً، في ذلك العصر !

## ٥٢ - أيا نيل

[الطويل]

وقفتُ ضحى في شاطئ النيل وقفةً  
يُضنُّ بها إلا على النيل شاعره  
تهلَّلَ حتى كاد يبدو ضميره  
وعبَّسَ حتى كاد يُشكِّلُ ظاهره  
فطوراً أُجِيلُ الطَّرْفُ في صفحاته  
وطوراً أُجِيلُ الطرف فيما يُجاوره  
فتمَّ جلالُ يملأ النفس هيبه  
وتمَّ جمالُ يملأ العينَ باهره  
والحظُّ شمس الأفق وهي مُطأه  
تسايرُ فيه ظلُّها إذ تُسايره  
فأحسبُها فيه تُساهمني الهوى  
وتُحسبُني فيها الغرامُ أشاطره  
إذا هي ألقت في حواشيه نورها  
رأى التَّبر يجري في حواشيه ناظره  
أطالت به التَّحديقَ حتى كأنما  
تحاولُ منه أن تبينَ سرائره  
فيا لهما إلفين باتا بمعزلٍ  
يخامرُها من حُبِّه ما يخامرُه  
يروحُ النسيمُ الرطبُ في جنباته  
يداعبُه طوراً، وطوراً يحاورُه

وَتَقْبِضُ مِنْ مَبْسُوطِهِ نَفَحَاتُهُ  
كَمَا قَبِضَ الثَّوْبَ الْمَطْرُزَ نَاشِرُهُ  
فِي صَدْفٍ عَنْهُ وَهُوَ دَاجٍ مَقْطَبُ  
كَأَنِّ عِدْوًا بِالنَّسِيمِ يُحَازِرُهُ  
كَأَنِّي بِهِ سَفَرُ تَدَانَتْ سَطُورُهُ  
أَوَائِلُهُ قَدْ شُكِّلَتْ وَأَوَاخِرُهُ  
إِذَا مَا جَلَا لِلنَّظَرِينَ رَمُوزُهُ  
تَجَلَّى لَهُمْ مَاضِي الزَّمَانِ وَحَاضِرُهُ  
أَيَا نَيْلُ! نَبِّئْنِي أَحَادِيثَ مِنْ مَضُوءِ  
لَعَلَّ شِفَاءَ النَّفْسِ مَا أَنْتَ ذَاكِرُهُ  
حَيَالِكَ صَبَّ بِالْخَطُوبِ مَهْدُ  
جَوَانِحِهِ رَهْنُ الْهَمُومِ وَخَاطِرُهُ  
أَطَاعَ شَجُونًا لَوْ أَطَاعَ فُؤَادَهُ  
عَلَيْهَا لِفَاضَتٍ بِالنَّجِيعِ مُحَاجِرُهُ  
يَحُثُّ إِلَيَّ الدَّهْرُ كُلُّ رَزِيئَةٍ،  
عَلَى عَجَلٍ، حَتَّى كَأَنِّي وَاتِرُهُ  
وَمَا أَنَا بِالْعَبْدِ الَّذِي يَرْهَبُ الْعَصَا  
وَلَكِنِّي حُرٌّ تَرُوعُ بِوَادِرِهِ  
أَيَا نَيْلُ! فَاْمْنَحْنِي عَلَى الْحَقِّ قُوَّةً  
فَمَا سَوْدَ الضَّرْغَامِ إِلَّا أَظْفَرُهُ  
وَهَبْنِي بِأَسَاءِ يَسْكُنُ الدَّهْرُ عِنْدَهُ  
فَقَدْ طَالَمَا جَاشَتْ عَلَيَّ مَنَاخِرُهُ  
إِذَا لَمْ تَكُنْ عَوْنِ الشَّجِيِّ عَلَى الْأَسَى  
فَخَازِلُهُ فِيهِ سَوَاءٌ وَنَاصِرُهُ

قني اليأس، وامنعْ شعبَكَ الضعفَ يَتَّقِي  
وَيُنصِفُهُ من حُسَّادِهِ من يُنَاكِرُهُ<sup>(١)</sup>  
هو الدهرُ من ضِدِّين: ذُلٌّ وعِزَّةٌ  
فمن ذُلٍّ شَاكِيَهُ، ومن عِزٍّ شَاكِرُهُ  
وللقادر الماضي العزيمة حُلُوهُ  
وللعاجز الواهي الشكيمة حازِرُهُ<sup>(٢)</sup>  
وما الناسُ إلا القادرون على العُلا  
وليست صنوفُ الطَّيرِ إلا كواسِرُهُ  
ألم ترَهُ مُنْذُ اسْتُلِيْنَتْ قِنَاتُهُ  
تمشَّتْ إليه الحادِثاتُ تُساوِرُهُ  
فأُرْهِقَ حتَّى ما يَبِينُ كَلَامُهُ  
وقُيِّدَ حتَّى ليس تَسْرِي خَواطِرُهُ  
ولو ملكوا الأقدار، أَسْتَغْفِرُ الَّذِي  
له المُلْكُ يُوْتِيهِ الَّذِي هو آثَرُهُ  
لما تركوا شمسَ النهار يزورُهُ  
سناها، ولا زُهرَ النجوم تُسامِرُهُ  
يريدون أن يَبْقَى وَيَذْهَبَ مَجْدُهُ  
وكيف بقاءُ الشعبِ بادَتْ مآثِرُهُ  
ف«غورست»<sup>(٣)</sup> في مصرٍ يسدُّ سَهْمَهُ  
إليه، وقنَّاصُ الوحوشِ يُضَافِرُهُ  
يلجؤون في إعْنَاتِهِ، فإذا شكا  
يصيحون أن الشعبَ قد ثار ثائرُهُ

(١) ينكر حقه في الحياة.

(٢) الحزير من اللبن: أشد من الحامض.

(٣) غورست هو المعتمد البريطاني في ذلك العهد.

لقد هزئوا لما تنبّه بعضه  
فلم دُعروا لما تنبّه سائرهم؟  
يقولون: جانٍ لا يحلُّ فكاهه  
ولو أنصفوه حملُ الإثم أسره  
عجبتُ لقوم يُنكرون شعوره  
وهاتا مجاليه وتلك مظاهره  
ألم يكُ في يوم القنّاة ثباته  
دليلاً على أن ليس تُوهى مرائرهم<sup>(١)</sup>  
يعزّ على المصري أن يحمل الأسي  
وحاضرهم يأبى الهوان وغابره  
لئن تكُ للتاريخ والله زينته  
فما زينته التاريخ إلا مفاخره  
رعى الله من أبناؤه من يذود عن  
حماءه، ومن أضيافه من يُظاھرهم<sup>(٢)</sup>  
همُ بعثوا فيه الحياةَ جديدةً  
فشُدَّتْ أواخيه<sup>(٣)</sup> وعزّتْ أواصره  
وهمُ أسمعوا الأيام صوتاً كأنما  
هو الرعدُ تدوي في السماء زماجره  
وهمُ أطلقوا أقلامهم حين أصبحت  
مكبّلة أقلامه ومحابرهم  
كذلك إن يعدم أخو الظلم ناصراً  
فلن يعدم الظلومُ حرّاً يناصره

\*\*\*\*

(١) المرّة: القوة وشدة العقل.

(٢) يسّانده أو يساعده يقصد السوريين الذين وقفوا إلى جانب المصريين في المطالب الوطنية.

(٣) الآخية: عروة تُربط إلى وتد وتشد فيها الدابة.

## ٥٣. شكاة إلى صديق<sup>(١)</sup>

[مجزوء الكامل]

وقال وقد أرسلها إلى صديق

يَا مَنْ قَرُبْتُ مِنَ الْفُقُوَا  
دِ وَأَنْتَ عَنْ عَيْنِي بِعَيْدٍ  
شَوْقِي إِلَيْكَ أَشَدُّ مِنْ  
شَوْقِ السَّالِمِ<sup>(٢)</sup> إِلَى الْهُجُودِ<sup>(٣)</sup>  
أَهْوَى لِقَاءَكَ مَثَلًا  
يَهْوَى أَخُو الظُّمَأِ الْوُرُودِ  
وَتَصَدَّنِي عَنْكَ النَّوَى  
وَأَصْدُ عَنْ هَذَا الصُّلُودِ  
وَرَدْتُ نَمِيْقَتَكَ<sup>(٤)</sup> الَّتِي  
جَمَعْتُ مِنَ الدَّرْرِ النَّضِيدِ  
فَكَأَنَّ لِفِظِّكَ لَوَاوُ  
وَكَأَنَّمَا الْقِرْطَاسُ جِيدِ  
أَشْكَو إِلَيْكَ وَلَا يَلَا  
مُ إِذَا شَكََا الْعَانِي الْقَيُودِ  
دَهْرًا بِأَيْدٍ مَا يُنْزِدِ  
لُ وَدَادِهِ إِلَّا بِبَلِيدِ  
وَمَعَاشِرًا مَا فِيهِمْ

---

(١) هذا العنوان غير موجود بالأصل.

(٢) الملبوغ.

(٣) النوم.

(٤) رسالتك.

إِنْ جِئْتَهُمْ، غَيْرُ الْوَعُودِ  
 مُتَّفَرِّجِينَ وَمَا التُّفَّرُ  
 نُجٌ عَنْدهُمْ غَيْرُ الْجُحُودِ  
 لَا يَعْرِفُونَ مِنَ الشُّجَا  
 عَةِ غَيْرَ مَا عَرَفَ الْقُرُودِ  
 سَيَّانٍ قَالُوا بِالرُّضَا  
 عَنِّي أَوَالَسُّ خُطَّ الشَّدِيدِ  
 مِنْ لَيْسَ يَصْدُقُ فِي الْوَعْوِ  
 دٍ فَلَيْسَ يَصْدُقُ فِي الْوَعِيدِ  
 نَفَرٌ إِذَا عُدَّ الرَّجَا  
 لُ عَدَدَتَّهُمْ طَيُّ الْأُحُودِ  
 تَأْبَى السَّمَّاحُ طِبَاعُهُمْ  
 مَا كُلُّ ذِي مَالٍ يَجُودِ  
 أَسْخَاهُمْ بِنُضَارِهِ  
 أَقْسَى مِنَ الْحَجَرِ الصَّالُودِ  
 جَعْدُ الْبَنَانِ بِعَرْضِهِ  
 يَفْدِي الْأَجِينَ مِنَ الْوَفُودِ<sup>(١)</sup>  
 وَيَخَافُ مِنْ أَضْيَافِهِ  
 خَوْفُ الصَّغِيرِ مِنَ الْيَهُودِ<sup>(٢)</sup>  
 تَعْسَ أَمْرٌ لَا يَسُ  
 تَفِيدُ مِنَ الرِّجَالِ وَلَا يُفِيدُ  
 وَأَرَى عَمِيدَ النَّفْعِ أَنْ  
 وَجُودَهُ ضَرُرُّ الْوُجُودِ

(١) جعودة البنان. كناية عن خصلة الكرم. والنضار. الذهب. واللجين. الفضة.  
 (٢) الشائعة التي تقول: إن اليهود يقتلون الأطفال ويمزجون دماءهم بالفطير في الفصح.



## ٥٤. الشعر والشعراء

[الوافر]

بَغِيْشِكَ هَلْ جُزِيَتْ عَنِ الْقَوَافِي  
بَغِيْرٍ «أَجَدْتُ» أَوْ «لَا فُضُّ قُوكَا»  
جَزَاؤُكَ مِنْ كَرِيْمٍ أَوْ بَخِيْلٍ،  
رَقِيْقًا كَانَ شِرْعُوكُ أَوْ رَكِيْكَا  
كَلَامٌ لَيْسَ يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا  
إِذَا لَمْ يَقْتُلِ الْأَمَالَ فَيَكَا  
وَرُبِّيَّتُمْ مَا يَمُنُّ عَلَيْكَ قَوْمٌ  
كَأَنَّكَ قَدْ غَدَوْتَ بِهِ مَالِكَا  
إِذَا أَرْسَلْتَ قَافِيَةً شَرُودًا<sup>(١)</sup>  
فَقَدْ أَيْقَظْتَ فِي النَّاسِ الشُّكُوكَا  
وَقَدْ تُبْلَى بِأَحْمَقٍ يَدَّعِيْهَا  
فَإِنْ تَغَضِبُ لَذَلِكَ.. يَدَّعِيْكَا

[البسيط]

وقال معاتباً

إِنْ كَانَ ذَنْبِي دِفَاعِي عَنْ حَقِّوْقِكُمْ  
فَلَسْتُ أَدْرِي وَرَبِّيْ كَيْفَ أَعْتَذِرُ  
أُعِيْذُكُمْ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ: قَدْ مُدَحُّوْا  
فَمَا أَثَابُوا عَلَى قَوْلٍ وَلَا شَكَرُوا!

ملاحظة،

ختم إيليا أبوماضي ديوانه هذا بهذه العبارة: « تنبيه - لا يزال لدينا طائفة من  
الفصائد التي كنا قد أعدناها لهذا الجزء، وموعدا بها الجزء الثاني، وإنه لقريب

\*\*\*\*

(١) قافية مشتهرة.











استبها - اليها اوسا هي

( بطل الاثر الذي لسوي )

من دولارات في الولايات المتحدة - دولارات في بلاد الشام والاصح

افندي - بيلك - باشا

زكي ثانيا ومن يستبها

من الامور التي تجري عندنا على غير قياس شئت جمهور كثير من ابناء الاصناف العربية بالاعتدال والتب التي يجهلهم من زركا الارستقراطية الباقية وهي الحكومة التي ابتغوها حتى حاربوها ، وحاربوها حتى اطيحت اعلامها من سائرهم .

اليس من الشدة في الشفق ، والحيث على القربة ان يكون . قوم دولته ما وفي الوقت فاته يستقرون للتأيا زمره من على ما ينضم سائرهم على تذكارات قيمة من حبيب عالي

يلي - ولرب ساقم ان يقي الارثا عنه الاتاب لاسيماهم اياها وهي القاب في ارضهم ثبات وسيا حربت . ومعيب ليلنا من ان تارونا يفتي عندنا وهي غربة عار ودية ليلنا 1  
وإذا سئد عند قسب ان محكومة الكاذبة في الحق وصحت ان حلت

ولكن شركة خير حيوان التجاركة

( لساخيا )

« حمان عبد الحميد غلام و حسن محمود »

اكثر معادها في اوروسيا .

وغيرها . فان شركة دير ديوان تستورد كل هذه الاصناف من

اذا كتبت تريد الربح . واذا كنت تريد ان تكون بقاعك هي

للبياعة الرائجة المرغوب فيها . واذا كنت تريد ان تتماثل

مع قوم يحرصون على مصلحتك حرصهم على مصلحتهم

تعاثل مع « شركة دير ديوان »

فهي الشركة التي تستحق ان توليا ثقتك اولا لاستقامة اعمالها . فاننا لما استوروا به من القنطرة في انتحاء الجهاد الايطالي والفرنسي والابنري والسكارات ونظية الفرقة والملاولات من كل الانوع والقبائل ونضموا التي عليها الكبابات المزية والتفوش والمواد الشريفة

**DARDEWAN TRADING CO.**

10 FIRST STND ST NEW YORK CITY

( مطبقة السفير التجاركة )

البيع سبرماتك في السبر مرة تليها كل مرة -



# السَّيْمِيرُ



« منشأ - ايليا ابوماضي »

سنة ١٩٣٣

اول ايار

## فراشة واقحوانة

في يوم من ايام الصيف الذهبية سمعت فراشة تهمس في اذن اقحوانة:  
- يامسكينة لو كنت مجنحة مثلي لما امتدت اليك ايدي الصبيان  
فاجابته الاقحوانة : يامتكبرة لو كنت مثلي غير مجنحة لما تراكض  
الصبيان خلفك لامساكك ..

—(«)—

وفي ليلة من ليالي الشتاء الكالحة جلست امام الموقد اصطلاي وفتحت  
كتاباً اتلى بالمطالعة فوجدت في الكتاب عظتين هامتين - جناحاً  
فراشة - واوراق اقحوانة !

—(«)—

وعادت مواكب الصيف الى الارض مرة اخرى، فخرجت الى الحقل  
فاذا في الحقل فراشة تقول لاقحوانة : ليتك مجنحة مثلي . فتقول لها  
الاقحوانة : ليتك مثلي غير مجنحة !.....



التمهيد

١ دولارات في مدينة نيويورك كل الرمال يجب ان تكون باسم  
٢ دولارات في الولايات المتحدة صاحب السهم ورئيس شركة  
٣ دولارات في الخارج ايضا او عالمي

١٥ يناير سنة ١٩٣٢  
الصفحة الثالثة

### الحرب ايه

حديث ذو خجلون



لنبت بالأس في طريقي الى الهي السوردي دجلا لي به سورة لنا كسمه  
طرحه لتجبه حتى ايتروني قاتلا - ما رايتك؟ هل تقع الحرب بين الولايات

المنظمة والباقي؟

قلت - بلو ح من بحر الامور ان الموقف يخرج غير اني ابيد تنوب الحرب  
بين الدولتين واعتقد ان السوا سيطلقون بحكمتهم ودرائتهم للدول دون وقوعها  
فيها سعدي وبها لي من ملامحه ان جوابي لم يكن عند رضاء ثم قال -  
ولكن كبريتي من الناس يقتولون ان الارادة الماهرة في العالم التي تسمع من  
الحرب الشابة لا يحل عدديا غير حرب جديدة على عدنا قبل - ودا لي باقي

كانت هي الماء  
قلت - وظل انت من اطاق هذا الراس؟  
قال - بل انا من اشد المستحقين له لقد كانت حجة اوسع من الكس

١ دولارات في مدينة نيويورك كل الرمال يجب ان تكون باسم  
٢ دولارات في الولايات المتحدة صاحب السهم ورئيس شركة  
٣ دولارات في الخارج ايضا او عالمي

### الدا

اذا كنت تنظر الى السبر بين المدينين المسحب فاندين هو الذي لا يهاون  
في قضاء حقوق مدينه

واذا كنت تنظر اليها بين الرجل امير على ذاب - فميرة على الذي  
نسفي فميرة

واذا كنت تنظر اليها بين الحاج فلا ريب انك تعرف كم يقتضي اعداد  
مجنه كالسير مرتين في الشهر من النفقات الباهظة

وعلى كل الاحوال شوق ان تسدد حسابك اذا كنت لم تسدد بعد - ولك  
سلفا شكرنا الوافر

- نومة وراحة وتوفير -

يوسطن ٤ دولارات - بروفيدن ٣ دولارات - وستر ٥ دولارات و١ سنت  
هاتف الارمار تشمل مرير اليوم - ويضاف دولار واحد لمرقة خارجية فيها ما يجار

نورة المرسى ١١ عند آخر شارع ليرني

COLONIAL LINE  
PHONE: BARCLAY 7 - 1800

- موبيتي ورفس -

三才圖會

10

...



11

۱۰۰  
 ۱۰۱  
 ۱۰۲  
 ۱۰۳  
 ۱۰۴  
 ۱۰۵  
 ۱۰۶  
 ۱۰۷  
 ۱۰۸  
 ۱۰۹  
 ۱۱۰  
 ۱۱۱  
 ۱۱۲  
 ۱۱۳  
 ۱۱۴  
 ۱۱۵  
 ۱۱۶  
 ۱۱۷  
 ۱۱۸  
 ۱۱۹  
 ۱۲۰  
 ۱۲۱  
 ۱۲۲  
 ۱۲۳  
 ۱۲۴  
 ۱۲۵  
 ۱۲۶  
 ۱۲۷  
 ۱۲۸  
 ۱۲۹  
 ۱۳۰  
 ۱۳۱  
 ۱۳۲  
 ۱۳۳  
 ۱۳۴  
 ۱۳۵  
 ۱۳۶  
 ۱۳۷  
 ۱۳۸  
 ۱۳۹  
 ۱۴۰  
 ۱۴۱  
 ۱۴۲  
 ۱۴۳  
 ۱۴۴  
 ۱۴۵  
 ۱۴۶  
 ۱۴۷  
 ۱۴۸  
 ۱۴۹  
 ۱۵۰  
 ۱۵۱  
 ۱۵۲  
 ۱۵۳  
 ۱۵۴  
 ۱۵۵  
 ۱۵۶  
 ۱۵۷  
 ۱۵۸  
 ۱۵۹  
 ۱۶۰  
 ۱۶۱  
 ۱۶۲  
 ۱۶۳  
 ۱۶۴  
 ۱۶۵  
 ۱۶۶  
 ۱۶۷  
 ۱۶۸  
 ۱۶۹  
 ۱۷۰  
 ۱۷۱  
 ۱۷۲  
 ۱۷۳  
 ۱۷۴  
 ۱۷۵  
 ۱۷۶  
 ۱۷۷  
 ۱۷۸  
 ۱۷۹  
 ۱۸۰  
 ۱۸۱  
 ۱۸۲  
 ۱۸۳  
 ۱۸۴  
 ۱۸۵  
 ۱۸۶  
 ۱۸۷  
 ۱۸۸  
 ۱۸۹  
 ۱۹۰  
 ۱۹۱  
 ۱۹۲  
 ۱۹۳  
 ۱۹۴  
 ۱۹۵  
 ۱۹۶  
 ۱۹۷  
 ۱۹۸  
 ۱۹۹  
 ۲۰۰  
 ۲۰۱  
 ۲۰۲  
 ۲۰۳  
 ۲۰۴  
 ۲۰۵  
 ۲۰۶  
 ۲۰۷  
 ۲۰۸  
 ۲۰۹  
 ۲۱۰  
 ۲۱۱  
 ۲۱۲  
 ۲۱۳  
 ۲۱۴  
 ۲۱۵  
 ۲۱۶  
 ۲۱۷  
 ۲۱۸  
 ۲۱۹  
 ۲۲۰  
 ۲۲۱  
 ۲۲۲  
 ۲۲۳  
 ۲۲۴  
 ۲۲۵  
 ۲۲۶  
 ۲۲۷  
 ۲۲۸  
 ۲۲۹  
 ۲۳۰  
 ۲۳۱  
 ۲۳۲  
 ۲۳۳  
 ۲۳۴  
 ۲۳۵  
 ۲۳۶  
 ۲۳۷  
 ۲۳۸  
 ۲۳۹  
 ۲۴۰  
 ۲۴۱  
 ۲۴۲  
 ۲۴۳  
 ۲۴۴  
 ۲۴۵  
 ۲۴۶  
 ۲۴۷  
 ۲۴۸  
 ۲۴۹  
 ۲۵۰  
 ۲۵۱  
 ۲۵۲  
 ۲۵۳  
 ۲۵۴  
 ۲۵۵  
 ۲۵۶  
 ۲۵۷  
 ۲۵۸  
 ۲۵۹  
 ۲۶۰  
 ۲۶۱  
 ۲۶۲  
 ۲۶۳  
 ۲۶۴  
 ۲۶۵  
 ۲۶۶  
 ۲۶۷  
 ۲۶۸  
 ۲۶۹  
 ۲۷۰  
 ۲۷۱  
 ۲۷۲  
 ۲۷۳  
 ۲۷۴  
 ۲۷۵  
 ۲۷۶  
 ۲۷۷  
 ۲۷۸  
 ۲۷۹  
 ۲۸۰  
 ۲۸۱  
 ۲۸۲  
 ۲۸۳  
 ۲۸۴  
 ۲۸۵  
 ۲۸۶  
 ۲۸۷  
 ۲۸۸  
 ۲۸۹  
 ۲۹۰  
 ۲۹۱  
 ۲۹۲  
 ۲۹۳  
 ۲۹۴  
 ۲۹۵  
 ۲۹۶  
 ۲۹۷  
 ۲۹۸  
 ۲۹۹  
 ۳۰۰  
 ۳۰۱  
 ۳۰۲  
 ۳۰۳  
 ۳۰۴  
 ۳۰۵  
 ۳۰۶  
 ۳۰۷  
 ۳۰۸  
 ۳۰۹  
 ۳۱۰  
 ۳۱۱  
 ۳۱۲  
 ۳۱۳  
 ۳۱۴  
 ۳۱۵  
 ۳۱۶  
 ۳۱۷  
 ۳۱۸  
 ۳۱۹  
 ۳۲۰  
 ۳۲۱  
 ۳۲۲  
 ۳۲۳  
 ۳۲۴  
 ۳۲۵  
 ۳۲۶  
 ۳۲۷  
 ۳۲۸  
 ۳۲۹  
 ۳۳۰  
 ۳۳۱  
 ۳۳۲  
 ۳۳۳  
 ۳۳۴  
 ۳۳۵  
 ۳۳۶  
 ۳۳۷  
 ۳۳۸  
 ۳۳۹  
 ۳۴۰  
 ۳۴۱  
 ۳۴۲  
 ۳۴۳  
 ۳۴۴  
 ۳۴۵  
 ۳۴۶  
 ۳۴۷  
 ۳۴۸  
 ۳۴۹  
 ۳۵۰  
 ۳۵۱  
 ۳۵۲  
 ۳۵۳  
 ۳۵۴  
 ۳۵۵  
 ۳۵۶  
 ۳۵۷  
 ۳۵۸  
 ۳۵۹  
 ۳۶۰  
 ۳۶۱  
 ۳۶۲  
 ۳۶۳  
 ۳۶۴  
 ۳۶۵  
 ۳۶۶  
 ۳۶۷  
 ۳۶۸  
 ۳۶۹  
 ۳۷۰  
 ۳۷۱  
 ۳۷۲  
 ۳۷۳  
 ۳۷۴  
 ۳۷۵  
 ۳۷۶  
 ۳۷۷  
 ۳۷۸  
 ۳۷۹  
 ۳۸۰  
 ۳۸۱  
 ۳۸۲  
 ۳۸۳  
 ۳۸۴  
 ۳۸۵  
 ۳۸۶  
 ۳۸۷  
 ۳۸۸  
 ۳۸۹  
 ۳۹۰  
 ۳۹۱  
 ۳۹۲  
 ۳۹۳  
 ۳۹۴  
 ۳۹۵  
 ۳۹۶  
 ۳۹۷  
 ۳۹۸  
 ۳۹۹  
 ۴۰۰  
 ۴۰۱  
 ۴۰۲  
 ۴۰۳  
 ۴۰۴  
 ۴۰۵  
 ۴۰۶  
 ۴۰۷  
 ۴۰۸  
 ۴۰۹  
 ۴۱۰  
 ۴۱۱  
 ۴۱۲  
 ۴۱۳  
 ۴۱۴  
 ۴۱۵  
 ۴۱۶  
 ۴۱۷  
 ۴۱۸  
 ۴۱۹  
 ۴۲۰  
 ۴۲۱  
 ۴۲۲  
 ۴۲۳  
 ۴۲۴  
 ۴۲۵  
 ۴۲۶  
 ۴۲۷  
 ۴۲۸  
 ۴۲۹  
 ۴۳۰  
 ۴۳۱  
 ۴۳۲  
 ۴۳۳  
 ۴۳۴  
 ۴۳۵  
 ۴۳۶  
 ۴۳۷  
 ۴۳۸  
 ۴۳۹  
 ۴۴۰  
 ۴۴۱  
 ۴۴۲  
 ۴۴۳  
 ۴۴۴  
 ۴۴۵  
 ۴۴۶  
 ۴۴۷  
 ۴۴۸  
 ۴۴۹  
 ۴۵۰  
 ۴۵۱  
 ۴۵۲  
 ۴۵۳  
 ۴۵۴  
 ۴۵۵  
 ۴۵۶  
 ۴۵۷  
 ۴۵۸  
 ۴۵۹  
 ۴۶۰  
 ۴۶۱  
 ۴۶۲  
 ۴۶۳  
 ۴۶۴  
 ۴۶۵  
 ۴۶۶  
 ۴۶۷  
 ۴۶۸  
 ۴۶۹  
 ۴۷۰  
 ۴۷۱

وَقَدْ كُنَّا مِنْ أَفْوَاجٍ  
مُتَفَرِّقِينَ

فصل في بيان ما ينبغي من العلم بالدين

**GEORGE C APOSTOLE**  
**UNDER-TAKER**  
- CHAPEL -  
NEW YORK      BROOKLYN  
250 E. 11th St      151 W. 11th St  
(UL. 2-4356-230)      (UL. 2-6787-152)

انا مستحقون عطمة السوريين واللبان طينة العطمة التمعج ونحرب ان نوفر  
 عطيم كثيرا من معارفنا ثم - وقد ابتغنا مع السيد داود الصمدي واناسهم  
 جينا ونتم فليكم بفائدة شخصيا او اطلبوه بانثرون فيسلكم اسدرة التي  
 لا يمارت بها احد

عندما لجعل وأوسع مجالات للآتم في الشراء والارصاد التي نحن فيها  
والمستبدادنا تام الارواح اي كن وننتهي اسمارا خصوصية للمفرا  
١ ومن اميب متايرة مستندا السيد حاود للمحادي فيكون ذلك الى فرتة  
الموجود تحت رقم ٢١٩ اتلا تلك الفيو يرو كن ونمرق التتليون —

٢٦١١-٢٦١٢

— مومبئی واری —

كولونيل الابن - هي الشركة التي يملكها السمر في يوحنا السنت  
قد خففت امارها موعنا فحارت هكذا -

من يهتدك الى برئيدنى ذهابا الى ابائنا ذلالت وضياع  
تولادات ذهابا والاما

دولة الكويت  
الكويتية  
الكويتية  
الكويتية

COLONIA, LITV  
XORRAT BAKHT 7-1980



تصدر مرتين في شهر



بذل الاشراف

# الصَّبْرُ

الرسائل -

٦ دولارات في مدينة نيويورك  
٥ دولارات في الولايات المتحدة  
٦ دولارات في الخارج

كل الرسائل يجب ان تكون باسم  
صاحب السيرة ورئيس تحريرها  
ايضا ابو ماضي

العدد الثالث عشر - ١٥ تشرين الاول ١٩٣١ - العدد الثالث عشر

## رجع الصدى -

وقف رجل بابنه مرة عند جبل وقال له ارفع صوتك . فرفع الولد صوته  
واذا بالصدى يجاوبه . فقال له - ما هذا ؟ قال - الصدى .  
فخطر اليه وقال : يا بني لو رفعت صوتك هارثا ساخرا . لعاد اليك الصدى  
مراثا ملخرا . ولو ارسلت صوتك مراثا لرجع اليك مراثا .  
فلما نظري تاخذ . فاعرف اذن كيف تعطي الذي يرسي سواك لكي يعود  
اليك ما يرسيك . فانت لا سواك الذي يسعد نفسه ويتقيها . واعلم ان لا شيء  
منه الحياة ينهب سدى وان كل ما يفرحك ويتفك . ويريحك ويتفك هو تفك  
واليك .

واعلم فوق ذلك ان المال وان كثر في يديك معار . وان الشهرة لا تقوم  
وان الاحباب يتفرون ولا يبقى الا انت . فلا تعمل الا حسنا ولا تصنع الا خيرا  
فانك ملاق غدا كل ما عملت اليوم . وسيعود اليك كما عاد الصدى .

توبة جبرائيل

فروا نافي كبر من الاسترابة والممى خلا في جريته البير يعلل لورم  
 على القديس السفيح بان جبران حبل جبران كان خلا فاعدى . وكفروا فارتبه  
 انى الامين . وميتا قلب . وليس من هذا الذي ذكره البير في . فجير ان  
 الكثير في نظر رجال الدين لم يكن كفرا عند نفسه لكن يرب ويريد . وهو في  
 كتاباته الاخيرة منه في كتاباته الاولى . ذلك الشاعر الرام السوف ذو الاصل  
 انواع الذي تضمن له به العمود السكانية وتبينه الموارق المنفية السوروة  
 وقد بقي على ايمانه هذا الى آخر لحظة من حياته .

وقد رأينا توبرا للمادى ان نخل من شدة البير اسم النشاط التي اثاره  
 استمرنا وسطالم كلنا بها بعد ان يتهم بها .

كلام البير

• فمن ان كان مع روماء الملائكة الاجلاء . فكونا ان على - اربعد ؟ فبعد  
 لينان الى حظيرة الامين . واعلاه - مراحة او ضنا . بكتاباته الاخيرة . وما  
 يظهره قبل موته ؟ انه جحد تلك السادى . والطريق التي اتى بها . . . نرى  
 من واجباته القراء الى ان توبة جبران . . . لا تنوع مطالعة الكتب التي  
 حارب بها العقائد والخرائج وتحامل فيها على رجال الدين . وان ما حوت  
 مراتبه من موقاته لا يزال محرما بالنسبة التي استقبل بها . .

فليحذر القليلين . وطلبه المدارس . وكل الطلاب الذين التزموا لملائكة  
 ارباب الدين وتواحيه . فلناهم ان التوبة اصحت المسجلة من كتاباته المقلدة .  
 وشا يما يعلت به حرمه جبران من الاحوال المادية فري ان نفسه الى  
 لينة كتاباته من يهود النحال . فبفتح الصلح سب في كتب ليعمل الحق .

فقد كان مستحقا وموافقا على ما فعل من العجز عن التمسك . ولا يجوز ان يصرح  
 بغيره وانما القليل المحض . وقد انى كل ما يحق على رعايتهم المودة والاحسان  
 وقد علمت جميع الملائكة النعمة . .

الكلية

البيرية البيرة التي تطلق باسمه برهاني الذي ان سحر جبران الذي او  
 زانه ان مستلها لهما نافي لها لا حادها به ولا سحره بها . ولكن الذي يراه  
 به من توبة جبران . جميع بين المسائل والاسئلة . . . . .  
 وموسى في وقت واحد . كل سنة بعدا من صمما لا من الكفر في . لا من التوسم  
 ولست كانت توبة البير ليس كغيره . حيث ان يكون عليه من تواتر التمسك  
 من توبته لورم . يراه بعد . بكل الذي حوت ام بعده كبرا . . . . .  
 سس كى ياته ام تحميها كلها . باب من الذي ظهره جبران رسمه توبلا  
 نروى ما نعرفه عن من بعد التاجه حتى اذا ما لم يما موهج جبره سيرة .  
 استلخ ان سرورها كذا هي بلا شاء . وان نافي بها سريرة لا تسمى لها ولا  
 على جبران لا ينبغي ان يمتص الى منسوب من المساهم الدينية لا في افواهه ولا  
 اتصاله بل كوكب لشمه بعبته حاتم مسئلة مختلف في كبر من وجوهه في البير  
 التي ولد فيها وقرى بليها . وهي نبوة في كبره وصفته وروحه . وقد علم  
 لكون ان يعلل عنها او يعلل جنانها . وهذا قوله الملائكة البير التي داف لها ان  
 فرد . التي حطرت . الانسان بعد ان يعلل التوبه لسان وسلم بوليفات . فمن  
 عوارده الاذن لم ساس . ولم توار له كلنا مد على انه جحد بنبى  
 بغيره وجادته . بل الذي توبه ايم . . . . .  
 من الاحوال التي ترمض الكتب على ايمانها الموحين . . . . .  
 يختلف من اراء البير كبرا . . . . .  
 صارا كل كوا وكما البير . . . . .

وغير اسمه في بعض النسخ.

حكايه هذا النبي المصطفى هي انه مرأ سمه ولا تكلم به الملك من العبد  
احمد عباد فيوميت له التمس الامارة الموروثة . ثم سموا النبي العربية في رواية  
الشيخ . وكن ان المأمورين بعده ائمة الصلوات وبطلان الصلوات في شياخ طبرية  
الكلية عربية والكل على ترجمه ائمة جهاد العربية ليس فيه قوة من ارجح  
العربية ولا الاكلية وجامع ائمة ائمة حدثت ارجح او عليا طاعت لانه لم  
يؤثر على ترجمتها غير شريح واحد لا دماغ وهو حجرة المأمورين . . .

وكان بعد ذلك ان ائمة وسلط النبي اداة حربية مرمية في تبريرك وفيها  
او لها كلمة يهدي فيها الشريح سمه النبي حوزة ملك العربية . ولكن السحر  
ثم يكن من الدين بطون على سمه العربية سمه ائمة الرواية ائمة ائمة النبي  
مرمية مثبته بكلمة ائمة ان الملك لا شيع لشريها في العربية ولكن ذلك في  
السحر . ائمة على اسم النبي . . . من هذا السحر . . . من ائمة حوزة  
ان لا ادعية احمل .

وكانت النتيجة ان ذلك النبي اسم المصطفى طبع العربية وطبق على  
على السحر به به لم لا شيع الايام الموروثة واية . وسمعه ان اسمه بطلان  
كاتب كبر وان السجلات الاخرى كبر سمه . ولكن سمه اسم هو الذي  
ترجمه . . . وان احمد بطلان لم حرف حجاب على سمه لرحمة في السحر . . .  
وما هي غير سمه فسمه من الرواية سمه ائمة سمه في السحر . . .  
يؤثر على سمه بطلان في ائمة سمه مرمية . سمه ائمة السحر . . .  
تأثيره وانما في سابعها مثبته في سمره بطلان لا شيع وسمه في السحر . . .  
وتمتع السحر ان يكون ذلك النبي لسمه بالادوية . لم انه لم يسمه  
وهو الا ان يسمه في اسماها وادوية الذي سمه . . . بطلان ائمة  
الاسم الذي سمه في العربية والاسماء العربية لا يسمه . . .  
مطلق النبي . فليصليها لا يسمه الا طاعت النبي . . .

مدرك العربية مكتوب وسموه على . . . قد سمى على جاذبه حتى اطلق المرد  
اجبات قلنا كانت العربية التي افاضت اليها النبي فسمدت بعنوانه فذلك العبرية  
سمت بسمه في حتى على النبي . . .

واخيرا ان جيران لم يظنوا انه رافع بالسمى المسموم من رجال الدين  
لكي يروب . او كافر ليرد في حطيرة الايمان . ولكنه كان يرسى باق على  
طريقه . فلرجال الدين ان يثيروا حروجا على الدين او السداد وانما لا يرفع  
لهم ان يثيروا من جيران سمه كويتوا سمه الاخر فجيران واحد لا اثنان . وبسائر  
اخرى لا يثيروا سمه ان يثيروا سمه كريتوا ويثيروا كتاباه ويثيروا  
مطالبها فجيران ليس ذلك الرجل المسمار الا بكاباه . فاذا فثيروا فثيروا  
اما ان يسمه في ثنية كتاباه فلم لا يطبق على رعايا الشعب الاخرة ولا سبل  
اليه لان مدد الكتابات قد اصبحت ملك الجمهور والادوية وليس لاحد معها احب  
جيران او ائمة ان يثيروا سمه المسموم بشيء لير له ولا يملك حق التصرف  
به غير صاحبه وهو الان بين يدي ربه .

### ادعياه الادب

ليس احب الي عند السجدة من شئ من اي فاقوه تزج به النفس التي ان  
يكون كتابا او مؤلفا او غيرا . ولكن لا تقدر ان تتحقق من غير الكتاب كبر  
ولا من غير الشاعر عبرا . ولا ان تتجمل من النبي ملهنا فسمه . قلله وحده  
عند الامور . . .

في بطلان وليس من ولاية وست فوجيا على لا سمه ولكننا قمى حكايته  
لهذا اذا اخبرها بطلان من بطلان من سكرة المرد في ليل في مردها وانما  
لا تباله من بطلان لم ان الاخرة امور يسود لكان من ائمة ان يثيروا سمه مثبته  
في بطلان مثال سرور او مستحل وان يثيروا سمه اي كلام في حريته يورعه ولا

## المحتوى

- التصدير.. أ. عبدالعزيز سعود البابطين ..... ٣
- إيليا أبوماضي.. حياته وشعره (الأعمال الشعرية الكاملة - دراسة)، د. عبدالكريم الأشتر ..... ٧
- المصادر والمراجع ..... ٧١
- كلمة موجزة ..... ٧٣

### الديوان الأول / الجزء الأول (تذكارات الماضي)

- إهداء الديوان ..... ٧٩
- ١ - الإنسان والدين ..... ٨٠
- ٢ - المرأة والمرأة ..... ٨٣
- ٣ - المودة ..... ٨٦
- ٤ - عن مصر ..... ٨٨
- ٥ - شكوى فتاة ..... ٩٢
- ٦ - إلى الشبان المتفرنجين ..... ٩٥
- ٧ - هديتي ..... ٩٧
- ٨ - الرجل والمرأة ..... ١٠٢
- ٩ - عبّاد الذهب ..... ١٠٤
- ١٠ - الإنسان والدنيا ..... ١٠٥
- ١١ - وردة وأميل ..... ١٠٦
- ١٢ - أنا .. هو ..... ١١٠
- ١٣ - ضيف ثقيل ..... ١١٩
- ١٤ - قتل نفسه ..... ١٢١

|     |                               |
|-----|-------------------------------|
| ١٢٤ | ١٥ - ذكرى وعبرة               |
| ١٢٦ | ١٦ - مصرع حبيبين              |
| ١٣٠ | ١٧ - معركة شمولبو             |
| ١٣٤ | ١٨ - في وصف رسم سياسي         |
| ١٣٦ | ١٩ - الكرنفال                 |
| ١٣٨ | ٢٠ - أنا .. وهي               |
| ١٤١ | ٢١ - طفلة والقمر              |
| ١٤٤ | ٢٢ - فنون الوصف               |
| ١٤٧ | ٢٣ - قصيدة الطبيعة            |
| ١٤٩ | ٢٤ - سقوط بور آرثور           |
| ١٥٢ | ٢٥ - بلا قلب                  |
| ١٥٣ | ٢٦ - لقاء وفراق               |
| ١٥٧ | ٢٧ - بنت الفرقدين             |
| ١٥٩ | ٢٨ - أخت ليلي                 |
| ١٦٠ | ٢٩ - طببي الخاص               |
| ١٦٦ | ٣٠ - حنة مشتاق                |
| ١٦٩ | ٣١ - الحسن لا يشرى ولا يستجلب |
| ١٧١ | ٣٢ - أنا إمام الذين هاموا     |
| ١٧٣ | ٣٣ - الرزء الأليم             |
| ١٧٥ | ٣٤ - الخطب الفادح             |
| ١٧٨ | ٣٥ - فقيد الوطنية             |
| ١٨١ | ٣٦ - كل من عليها فان          |
| ١٨٤ | ٣٧ - البدر الآفل              |

|     |                                   |
|-----|-----------------------------------|
| ١٨٨ | ٣٨ - أنا والنجم                   |
| ١٩١ | ٣٩ - في سبيل الإصلاح              |
| ١٩٤ | ٤٠ - الحرية                       |
| ١٩٦ | ٤١ - تحية الدستور العثماني        |
| ٢٠٠ | ٤٢ - عبد الحميد بعد إعلان الدستور |
| ٢٠٣ | ٤٣ - الذئب الخاطفة                |
| ٢٠٥ | ٤٤ - مريض بالغرور                 |
| ٢٠٧ | ٤٥ - عفو بغير مقدرة               |
| ٢٠٩ | ٤٦ - فتنة ١٣ إبريل                |
| ٢١٤ | ٤٧ - الكبرياء خلة الشيطان         |
| ٢١٥ | ٤٨ - أيها القلم                   |
| ٢١٧ | ٤٩ - مصر والشام                   |
| ٢٢٠ | ٥٠ - عام ١٩١٠                     |
| ٢٢٤ | ٥١ - دعاية                        |
| ٢٢٥ | ٥٢ - أيا نيل                      |
| ٢٢٩ | ٥٣ - شكاة إلى صديق                |
| ٢٣١ | ٥٤ - الشعر والشعراء               |
| ٢٤٤ | ■ المحتوى                         |

\*\*\*\*\*



# الديوان الثاني

## (ديوان إيليا أبي ماضي - الجزء الثاني)

الطبعة الأولى (مطبعة جريدة «مرآة الغرب اليومية» - نيويورك ١٩١٩) وأعيد طبعه<sup>(١)</sup> في كتاب عنوانه: (إيليا أبو ماضي، شاعر المهجر الأكبر) دار اليقظة العربية - دمشق ١٩٥٤

أكبر دواوين أبي ماضي، يزيد ما جُمع فيه على ألفي بيت، موزعة على تسعة وسبعين نصاً شعرياً، ضم نتاج السنين الثماني التي أعقبت صدور ديوانه الأول - وعده هو الجزء الأول (١٩١١ - ١٩١٩) - إلى ما امتنع عن نشره فيه، وهو في مصر، لدواع مختلفة. وقدّم له - وقد سماه: الجزء الثاني من ديوانه - جبران خليل جبران، بعد ظهور الرابطة القلمية (١٩١٦) وقبل نشرها مجموعتها المعروفة (١٩٢١) بسنتين.

\*\*\*\*\*

---

(١) باستثناء نصين لم أقع عليهما في مكان آخر. إهداء الديوان إلى تاجر السجاد الشرقي، في نيويورك (نعمة تادرس - ١٢ بيتاً)، وقصيدة معربة عن الإنجليزية عنوانها (نشيد التباراري - ٢١ بيتاً). ونصين آخرين، وقعتُ عليهما في الديوان الذي نشرته دار العودة، بيروت ٢٠٠٢





## مقدمة

الشعر عاطفة تتشوق إلى القصي غير المعروف فتجعله قريباً معروفاً، وفكرة تناجي الخفي غير المدرك فتحوله إلى شيء ظاهر مفهوم.

أما الشاعر فهو مخلوق غريب ذو عين ثالثة معنوية ترى في الطبيعة ما لا تراه العيون، وأذن باطنية تسمع من همس الأيام والليالي ما لا تعيه الآذان.

ينظر الشاعر إلى وردة ذابلة فيرى فيها مأساة الدهور، ويشاهد طفلاً راكضاً وراء الفراشة، فيرى فيه أسرار الكون، ويسير في الحقل فيسمع أغاني البلابل والشحارير وليس هناك شحارير ولا بلابل، ويمشي في العاصفة فيخوض غمار معركة هوجاء بين جيوش الأرض وفيالق السماء.

يقف الشاعر أمام شلال، فيقول:

فيه من السَّيفِ الصَّقِيلِ بَرِيقُهُ  
وله ضَجِيجُ الجَحْفَلِ الجَرَّارِ  
أبداً يَرشُ صُخُورَهُ بدموعه  
أُتْرَاهُ يَغْسِئُهَا من الأوزارِ

ويرفع عينيه ليلاً نحو السماء، فيصرخ

أَبْكَي وتُصْغِي إلى بَكَائِي  
يَا رَبُّ هَلْ تَعِشِقُ النُّجُومُ؟

ويلتقي بحبيبه فيهمس:

وددتُ الإفَاضَةَ قَبْلَ اللِّقَاءِ  
فَلَمَّا لَقِيتُكَ لَمْ أَنْبَسِ

## وَبَيْتٌ وَإِيَّاكَ فِي مَعْرَازِلِ كَأَنِّي وَإِيَّاكَ فِي مَجَالِسِ

يرى الشاعر ويسمع كل هذه الأمور من خلال برقع الحياة، وأنت واقف بجانبه لا ترى غير مظاهرها الخارجية، ولا تسمع سوى أصواتها المشوشة، فتقول في ذاتك: يا له من خيالي مجنون، يتمسك بخيوط العنكبوت ويصعد نحو النجوم على سلم مصنوع من أشعة القمر، ويحاول أن يملأ جرّته من ندى الصباح، بل من السراب! إي، فالشاعر يصعد إلى الملاء الأعلى ولكن على سلم أقوى وأبقى من الجبال - يصعد بعزم الروح، ويتمسك بحبال غير منظورة، ولكنها أمتن من سلاسل الحديد - يتمسك بحبال الفكر، ويملاء كأسه من عصير أرق من ندى الفجر - يملؤها من خمرة الخيال. والخيال هو الحادي الذي يسير أمام مواكب الحياة نحو الحق والروح.

الشاعر يفعل كل ذلك وأنت على الأرض، لا تستطيع المسير إلا على قدميك، ولا الصعود إلا على سلم من خشب، ولا السكر إلا من عصير العنب، ولا المسرة إلا بالريح، ولا الألم إلا بالخسارة.

الشاعر طائر غريب يُفَلت من الحقول العلوية، ولكنه لا يبلغ الأرض حتى يحنّ إلى وطنه الأول، فيغرّد حتى في سكوته، ويسبح في فضاء لا حدّ له ولا مدى، مع أنه في قفص.

وإيليا أبو ماضي شاعر، وفي ديوانه هذا سلالم بين المنظور وغير المنظور، وحبال تربط مظاهر الحياة بخفاياها، وكؤوس مملوءة بتلك الخمرة التي إن لم تشفّها تظل ظمآنًا حتى تمل الآلهة البشر، فتغمرهم ثانية بالطوفان.

جبران خليل جبران

\*\*\*\*\*

## ١ - إهداء الديوان(\*)

(ثلاثة عشر بيتاً) إلى الثري «نعمّة تادرس» تاجر السجاد الشرقي في نيويورك، وقد تمّ طبع الديوان على نفقته.

(٢ / ٦ / ١٩١٩ وهو تاريخ صدور الديوان)

\*\*\*\*\*

---

(\*) لم نعثر عليها

## ٢ - الشاعر

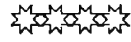
[مختلط]

قالت وصفت لنا الرحيق وكوبها  
وصريعتها ومديرها والعاصرا  
والحقل والفلاح فيه سائراً  
عند المسا يرعى القطيع السائرا  
ووقفت عند البحر يهدر موجه  
فرجعت بالألفاظ بحراً هادرا  
صورت في القرطاس حتى الخاطرا  
فخابتنا وسحرت حتى السّاحرا  
وأريتنا في كل قفر روضة  
وأريتنا في كل روض طائرا  
لكن إذا سأل امرؤ عنك امراً  
أبصرت محتاراً يخاطب حائرا  
من أنت يا هذا؟ فقلت لها: أنا  
كالكهرباء أرى خفياً ظاهرا  
قالت: لعمرك زدت نفسي ضلّة  
ما كان ضرك لو وصفت الشعاعرا؟



فأجبته: هو من يسائل نفسه  
عن نفسه، في صبحه ومساءه  
والعين سر سهادها ورقادها  
والقلب سر قنوطه ورجائه

فيحارُّ بين مجيئه وذهابه  
 ويحارُّ بين أمامه وورائه  
 ويرى أفولَ النجم قبل أفوله  
 ويرى فناءَ الشيء قبل فناءه  
 ويسيرُ في الروض الأغنُّ فلا ترى  
 عيناهُ غير الشُّوك في أرجائه  
 إن نام لم ترقُدْ هوَاجسُ روحه  
 وإذا استفاق رأيتَه كالنَّاءِ  
 ما إن يُبالي ضحكنا وبُكاءنا  
 ويُخيفُنا في ضحكك وبُكاءك  
 كالنار يُلتهِمُ العواطف عقله  
 فيُميتُها ويموتُ في صحرائه!



قالت: أتعرفُ من وصفتُ؟ فقلتُ: من؟  
 قالت: وصفتُ الفيلسوف الكافرا  
 يا شاعر الدنيا وفيك حصافةُ  
 ما كان ضرَّكَ لو وصفتُ الشاعر!



فقلتُ: هو امرؤ يهوى العُقَّاراً<sup>(١)</sup>  
 كما يهوى مُغازلةَ العذارى  
 إذا فرغت من الراح الدُّنانُ  
 توهم أن ما فرغ الزمانُ  
 يُعاقرها على ضوء الدَّراري<sup>(٢)</sup>  
 فإنَّ غربت، على ضوء النهار

---

(١) العُقَّار. الخمر. والعُقَّار (بالتشديد) أصل الدواء، والعُقَّار (بالتخفيف): الأرض والضياع والنخل.

ويحسبُ مهْرَجَانِ النَّاسِ مَاتَمُ  
بلا خمرٍ، وجنَّتْهُمْ جَهَنَّمُ  
مأولٌ لا يدومُ على ولاءٍ  
ولكن لا يدومُ على عداةٍ  
أخوئُب ولب ولكن لا إرادة  
ونو زهدٍ ولكن بالزَّهَادَةِ  
يميل إلى الدُّعَابَةِ والمُزَاحِ  
ولو بين الأُسْنَةِ والصفاحِ  
ويوشكُ أن يُقَهِّقَهُ في الجنَازَةِ  
ويرقُص كالعوَاصِفِ في المَفَازَةِ  
إذا صُورَتْ به عينُ الأديبِ  
فقد وقعتْ على رجلٍ مُريبٍ  
يُعَنِّفُهُ الصَّحَابُ فلا يُنِيبُ  
ويزجُرُهُ المَشْيِبُ فلا يتوبُ  
فَقَالَتْ: جئت بالكلمِ البديعِ  
ولكن ما وصفت سوى «الخليع»!



وخرقتُ إعراضها عني فقلتُ: إنن  
هو الذي أبداً يبكي من الزمنِ  
كأنما ليس في الدنيا سواه فتى  
معرضٌ لخطوبِ الدهرِ والمحنِ  
يشكو السَّقام وما في جسمه مرضُ  
والسُّهد وهو قريبُ العهد بالوسنِ  
والهجر، وهو بمراى من أحبَّته  
والأسر، وهو طليقُ الروح والبدنِ

ولا يرى حسناً في الأرض يالفه  
أو يشتهي، وكم في الأرض من حسن!  
ينوح في الروض والأشجار مورقة  
كما ينوح على الأطلال والدمن  
فقاطعتني وقالت: قد بعدت بنا  
ما ذي الصفات صفات الشاعر الفطن



قلت: مهلاً إذا ضاللت وعذراً  
ربما أخطأ الحكيم وضلاً  
هو من ترسم الجمال يده  
فنراه في الطرس أشهى وأحلى  
لوذعي<sup>(١)</sup> الفؤاد يلعب بالألد  
باب لعباً إن شاء أن يتسلى  
وئرنا ما ليس يبقى سيبقى  
وئرنا ما ليس يبلَى سيبلى  
يطبع الشهب للأنام نقوداً  
وهو يشكو الإملاق كيف تولّى  
أف هذا من تب تغين وأبغي  
وصفه؟ قالت المايحة: كلا!..



يا هذه إنني عييت بوصفه  
وعجزت عن إدراك مكنوناته  
لا تستطيع الخمر سرد صفاته  
والروض وصف زهوره ونباته

---

(١) اللوذعي: الحبيب الفؤاد واللسان، الظريف السريع الإدراك (من اللذع: حدة النار).

هو من نراه سائراً فوق التُّرى  
وكان فوق فؤاده خطواته  
إن نأح فالأرواح في عبراته  
وإذا شدا فالحب في نغماته  
يبكي مع النائي على أوطانه  
ويشارك المحزون في عبراته  
وتغير الأيام قلب فتاته  
ويظل ذا كآف بقلب فتاته  
هو من يعيش لغيره ويظنه  
من ليس يفهمه، يعيش لذاته!!!

\*\*\*\*\*



### ٣ - فلسفة الحياة

[الخفيف]

أي هذا الشُّاكي وما بك داءٌ  
 كيف تغدو إذا غدت عليلاً؟  
 إنَّ شرَّ الجُنَاةِ في الأرضِ نفسٌ  
 تتوقَّى، قبلَ الرحيلِ، الرحيلَ  
 وترى الشُّوكَ في الورودِ، وتعمى  
 أن ترى فوقها النُّدى إكليلاً  
 هو عبءٌ على الحياة ثَقِيلُ  
 من يظنَّ الحياةَ عبئاً ثَقِيلاً  
 والذي نفسُه بغيرِ جمالٍ  
 لا يرى في الوجودِ شيئاً جميلاً  
 ليس أشقى ممَّن يرى العيشَ مُراً  
 ويظنُّ الأذاتِ فيه فُضُولاً  
 أحكمَّ الناسِ في الحياة أناسُ  
 علَّوها فأحسنوا التَّعلُّلاً  
 فتمتَّع بالصُّبحِ ما دُمْتَ فيه  
 لا تخفْ أن يزولَ حتى يزولا  
 وإذا ما أظلَّ رأسك همٌ  
 قصرِ البَحثِ فيه كيلاً يطولا  
 أدركتْ كُنْهها طيورُ الرِّوابي  
 فَمَن العار أن تظلَّ جهُولاً

ما تراها، والحقُّ ملكٌ سواها  
تخذتُ فيه مسرّحاً ومقيلاً  
تتغنّى، والصقْرُ قد ملكَ الجوّ  
عليها، والصائدون السَّبيلاً  
تتغنّى، وقد رأتَ بعضها يُؤ  
خذُ حياً والبعض يقضي قتيلاً  
تتغنّى، وعمرها بعضُ عامٍ  
أفتبكي وقد تعيش طويلاً؟  
فهي فوق الغصون في الفجرِ تتلو  
سُور الوجد والهوى ترتيلاً  
وهي طوراً على النّرى واقعاتُ  
تلقطُ الحبَّ أو تجرُّ الذيولاً  
كأما أمسك الغصون سكّونُ  
صفقتُ للغصون حتى تمّيلاً  
فإذا ذهب الأصيلُ الروابي  
وقفتُ فوقها تناجي الأصيلاً  
فاطلبِ اللهو مثلاً ما تطلبُ الأط  
يارُ عند الهجيرِ ظلاً ظليلاً  
وتعلم حبَّ الطّبيعة منها  
واترك القولَ للورى والقيلاً  
فالذي يتّقي العواذل يلقى  
كلَّ حين، في كلّ شخصٍ، عنّولاً  
~~~~~  
أنت للأرضِ أولاً وأخيراً
كنت ملكاً أو كنت عبداً ذليلاً

لا خلودٌ تحت السَّماءِ لحي
فلماذا تُراودُ المستَحْيلا؟..
كلُّ نجمٍ إلى الأَقْـوَلِ ولـكنْ
أَفْـةُ النـجم أن يخاف الأَقْـوَلِ
غايةُ الوَرْدِ في الرياضِ ذُبُولُ
كنْ حكيماً واسبقْ إليه الذُّبُولِ
وإذا ما وجدت في الأرض ظلاً
فتفياً به إلى أن يحُولِ
وتوقَّعْ، إذا السماءُ اكفهرتْ
مطراً في السُّهولِ يُحيي السُّهولِ
قلْ لِقَوْمٍ يستنزفون المآقي
هل شَفِيتُمْ مع البكاء غليلاً؟
ما أتينا إلى الحياة لنشقى
فأريحوا، أهلَ العقولِ، العُقُولِ
كلُّ من يجمعُ الهمومَ عليه
أَخَذَتْهُ الهمومُ أخذاً وبِـيلاً

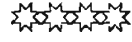


كنْ هزّاراً في عُشِّه يتغنى
ومع الكَبَلِ لا يبالي الكُبُولِ
لا غراباً يطاردُ الدُّودَ في الأرْ
ضِ، وبوماً في الليل يبكي الطُّلُولِ

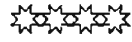


كنْ غديراً يسير في الأرض رَقْـرا
قاً فيسقي من جانبيه الحُقُولِ
تستحمُّ النجومُ فيه ويلقى
كلُّ شخصٍ وكلُّ شيءٍ مَثْـيلاً

لا وعاءٌ يقيدُ الماءَ حتى
تستحيلَ المياهُ فيه وحولا



كنْ مع الفجرِ نَسْمَةً تُوسِعُ الأَنْ
هارَ شَمًّا، وتارةً تَقْبِيلا
لا سَمُوماً من السَّوافي^(١) اللواتي
تملأُ الأرضُ في الظلامِ عويلا
ومع الليلِ كوكباً يونسُ الغَا
باتِ والنَّهرِ والرُّبَا والسُّهولا
لا دجى يكرهُ العوالمَ والنَّا
س فيألفي على الجميعِ سُدولا



أيهذا الشُّاكي وما بك داءُ
كنْ جميلاً تر الوجودَ جميلاً



(١) السافية: الريح التي تسفي التراب (تدروه).

٤ - أم القرى

[الكامل]

أبصرتُها، والشمسُ عند شروقها
فرايتُها مغمورةً بالنار
ورأيتُها عند الغروب غريقةً
في لجةٍ من سُندُسٍ ونُضارٍ^(١)
ورأيتُها تحت الدُّجى، فرايتُها
في بُردَتَيْنِ: سَكينةٍ ووقارٍ
فتنبَّهتُ في النفس أحلامُ الصِّبا
وغرقتُ في بحرٍ من التُّذكارِ
~~~~~

نَفسي لها من جنةٍ خلابةٍ  
نسجتُ غلائلَها يدُ الأمطارِ  
أنى مشيتُ نشقتُ مسكاً أذفراً<sup>(٢)</sup>  
في أرضها وسمعتُ صوتَ هزارٍ<sup>(٣)</sup>  
~~~~~

ذات الجبالِ الشَّامخاتِ إلى العُلا
يا ليت في أعلى جبالِكَ داري
لأرى الغزاةَ قبل سُكَّانِ الحمى
وأعانقَ النُّسماتِ في الأسحارِ

(١) السُّندس. رفيق الديباج ورفيعه. والنضار: الذهب الخالص.

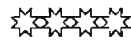
(٢) النَّفَر. شدة نكاء الريح من الطيب.

(٣) الهزار: طائر العنقليب.

لأرى رُغَاتَكَ فِي المُرُوجِ وَفِي الرُّبَا
وَالشَّيْءَ سَارِحَةً مَعَ الأَبْقَارِ
لأرى الطيُورَ الوَاقِعَاتِ عَلَى الثُّرَى
وَالنَّحْلَ حَائِمَةً عَلَى الأزْهَارِ
لَأَسَاجِلَ الورُقَاءِ فِي تَغْرِيدِهَا^(١)
وَتَهْزُؤِ رُوحِي نَفْحَةً المَزْمَارِ
لَأَسَامِرِ الأَقْمَارِ فِي أَفْلَاكِهَا
تَحْتَ الظَّلَامِ إِذَا غَفَا سُمَّارِي
لَأَرَاقِبَ «الدَّلَّوَارِ» فِي جَرِيَانِهِ^(٢)
وَأَرَى خِيَالَ البَدْرِ فِي «الدَّلَّوَارِ»

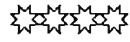


بَسَّسَ المَدِينَةَ إِنَّهَا سَجَنُ النُّهَى
وَنُوِي النُّهَى، وَجَهَنَّمُ الأَحْرَارِ
لَا يَمْلِكُ الْإِنْسَانُ فِيهَا نَفْسَهُ
حَتَّى يَرُوعَهُ ضَجِيجُ قَطَارِ
وَجَدْتُ بِهَا نَفْسِي المَفَاسِدَ وَالْأَذَى
فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ وَكُلِّ جِدارِ
لَا يَخْدَعَنَّ النَّاظِرِينَ بِرُوجِهَا
تِلْكَ البُرُوجُ مَخَابِيءُ اللُّعَارِ
لَوْ أَنَّ حَاسِدَ أَهْلِهَا لَاقَى الَّذِي
لَا قَيْتُ لَمْ يَحْسُدْ سِوَى «بِشَّارِ»^(٣)
غَفِرَانَكَ اللَّهُمَّ مَا أَنَا كَافِرٌ
فَلَمَّا تُعَذِّبُ مُهْجَتِي بِالنَّارِ؟



(١) الورقاء، الحمامة.
(٢) الدلوار، نهر جارٍ في المنطقة.

لله ما أشهى القُرى وأحبّها
لَفَتَيَّ بعيد مطارح الأفكار
إن شئتَ تَعْرِى من قيودك كلّها
فانظُرْ إلى صدر السماء العاري
وامشِ على ضوء الصباح، فإنّ خبا
فامشِ على ضوء الهلال السّاري
عش في الخلاء تعش خلياً هانئاً
كالطّير.. حرّاً، كالغدير الجاري
عش في الخلاء كما تَعيشُ طيوره
الحُرُّ يَأبى العيش تحت ستار!



شالّ «ما فرد» لا يقرُّ قراره^(١)
وأنا لشوقي لا يقرُّ قرارِي
فيه من السّيف الصّقيل بريقه
وله ضجيجُ الجحفلِ الجرّار
أبدأ يرشّ صخوره بدموعه
أتراه يغسلُها من الأوزار؟
فإذا تطاير ماؤه متناثراً
أبصرت حول السّفح شبه غُبار
كالبحر ذي التيار يدفع بعضه
ويصول كالضرغام ذي الأظفار
من قمّة كالنّهد، أيُّ فتى رأى
نهداً يفيض بعارضٍ مدرار؟

(١) هي التي يُسميها (أم القرى) في أمريكا.

فكانما هي منببرٌ وكأنه
«ميراب» بين عصائب الثوار^(١)
من لم يُشاهد ساعةً وثباته
لم يدّر كيف تغطّرس الجبار
ما زلتُ أحسب كل صمّتٍ حكمةً
حتى بصُرتُ بذلك الثُّرثار
أعددتُ، قبل أراه، وقفةً عابرةً
لاهٍ فكانت وقفةً استعباراً!..



يا أخت دارِ الخُلد، يا أمّ القري،
يا ربة الغابات والأنهار
له يومٌ فيك قد قضيتُ
مع عُصبة من خيرة الأنصار
نمشي على تلك الهضاب ودوننا
بحرٌ من الأغراس والأشجار
تنساب فيه العين بين جداولٍ
وخمائلٍ ومسالكٍ وديار
أنّا على جبلٍ مكينٍ راسخٍ
راسٍ، وأنّا فوق جُرفٍ هارٍ^(٢)
تهوي الحجارةُ تحتنا من حالٍ
ونكاد أن نهوي مع الأحجار
لو كنت شاهداً نُهرولُ من علٍ
لضحكت منا ضحكةً استهتار

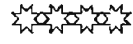
(١) ميرابو. خطيب الثورة الفرنسية (١٧٨٩).

الريحُ ساكنُهُ ونحنُ نَظُنُّنا
للخوفِ مَنَدَفَعِينَ مَعَ إِعْصَارِ
والأَرْضُ ثَابِتَةٌ ونحنُ نَخَالُها
تَهْتَزُّ مَعَ دَفْعِ النَّسِيمِ السَّارِي
ما زالَ يَسْنُدُ بَعْضُنَا بَعْضًا كَمَا
يَتَماسِكُ الرُّودُ فِي الأَسْفَارِ
ويشُدُّ هَذَا ذاكَ مِنْ أَزْوَارِهِ
فَيَشُدُّنِي ذِيَّكَ مِنْ أَزْوَارِي
حَتَّى رَجَعْنَا سَالِمِينَ وَلَمْ نَعُدْ
لَوْ لَمْ يَمُدَّ إِلَهُ فِي الأَعْمَارِ
وَلَقَدْ وَقَفْتُ حِيَالَ نَهْرِكَ بُكْرَةً
وَالطَّيْرُ فِي الوُكُنَاتِ وَالْأَوْكَارِ^(١)
مُتَهَيِّبًا فَكَأَنَّنِي فِي هَيْكَلٍ
وَكَأَنَّهُ سَفَرٌ مِنَ الأَسْفَارِ
ما كُنْتُ مِنْ يَهْوَى السَّكُوتِ وَإِنَّمَا
عَقَلْتُ لِسَانِي رَهْبَةً الأَدْهَارِ
مَرَّ النَّسِيمِ بِهِ فَمَرَّتْ مُقَالَتِي
مِنْهُ بِأَسْطَارٍ عَلَى أَسْطَارِ
فَالْقَلْبُ مُشْتَغَلٌ بِتَذْكَارَاتِهِ
وَالطَّرْفُ مَنَدَفَعٌ مَعَ التَّيَّارِ
حَتَّى تَجَلَّتْ فَوْقَ هَاتِيكَ الرُّبَا
شَمْسُ الصَّبَاحِ تَلُوحُ كَالدِّينَارِ
فَعَلَى جَوَانِبِهِ وَشَاحُ زَبَرَجَدٍ^(٢)
وَعَلَى غَوَارِبِهِ وَشَاحُ بِهِارٍ^(٣)

(١) الوكن. عش الطائر في جبل أو جدار، وجمعه وُكُنٌ وأوُكُنٌ

(٢) الزبرجد. الزمرد.

لو أبصرتُ عيناكَ فيه خيالها
لرأيتَ مرآةً بغيرِ إطار
يَمُمُّنُهُ سحرًا وأسراري معي
ورجعتُ في أعماقه أسراري!...



إنني حسدتُ على القرى أهلَ القرى
وغبِطتُ حتى نافخَ المزمار
ليلٌ وصُبحٌ بين إخوانِ الصِّفا
ما كان أجملَ ليلتي ونهاري!



٥ - أنا وأخت المهابة والقمر

[المفسر]

أهٍ من الحبِّ، كلُّهُ عـبـرُ
عندي منه الدموعُ والسَّهرُ
وويح صرعى الغرامِ إنهمُ
موتى، وما كُفَّنوا ولا قُبروا



يَمْشُونَ في الأرضِ ليس يأخُذْهمُ
زَهْوٌ ولا في خُدودهم صعرٌ^(١)
لو ولج الناسُ في سرائرهمُ
هانت، وربي، عـلـيـهـمُ سَقَرُ



ما خَفَرُوا ذِمَّةً، ولا نَكُتُوا
عهداً، ولا مألؤوا ولا غَدروا
قد حملوا الهُونَ غير ما سأمُ
لولا الهوى للهوان ما صبروا



لم يُبقِ مني الضننى سوى شبحٍ
يكاد، لولا الرجاءُ، يندثرُ
أمسى وسادي مشابهاً كيدي
كلاهما النارُ فيه تَسْتَعِرُ



(١) إمالة الخدم من الكبر.

أَكُلُّ صَبٍّ، يَا لَيْلُ، مَضْجَعُهُ
مِثْلِي فِيهِ الْقَتَادُ وَالْإِبْرُ
لَعَلَّ طَيْفًا مِنْ هِنْدٍ يَطْرُقُنِي
فَعِنْدَ هِنْدٍ عَنْ شَقُّوتِي خَبِرُ
❖❖❖❖❖❖❖❖

مَا بَالُ هِنْدٍ عَلَيَّ غَاضِبَةٌ
مَا شَابَ فَوْدِي وَلَيْسَ بِي كَبِيرُ
مَا زِلْتُ غَضُّ الشَّبَابِ لَا وَهْنُ
يَا هِنْدُ فِي عَزْمَتِي وَلَا خَوْرُ
❖❖❖❖❖❖❖❖

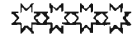
لَا دَرَّ دَرُّ الْوُشَاةِ قَدْ حَافُوا
أَنْ يُفْسِدُوا بَيْنَنَا وَقَدْ قَدِرُوا
وَاهَا لِأَيَّامِنَا.. أَرَا جَعَلُ؟
فَإِنَّهُنَّ الْحُجُولُ وَالْغُرُرُ^(١)
❖❖❖❖❖❖❖❖

أَيَّامُ لَا الدَّهْرُ قَابِضٌ يَدَهُ
عَنِّي، وَلَا هِنْدُ قَلْبُهَا حَجَرُ
❖❖❖❖❖❖❖❖

لَمْ أَنْسَ لَيْلًا سَهْرَتَهُ مَعَهَا
تَحْنُو عَلَيْنَا الْأَفْنَانُ وَالشَّجَرُ
غَفَرْتُ ذَنْبَ النَّوَى بِزَوْرَتِهَا
ذَنْبُ النَّوَى بِاللِّقَاءِ يُغْتَفَرُ
❖❖❖❖❖❖❖❖

(١) الحجل. الخلال. الغرة. البياض والشرف. كناية عن جمال الأيام وامتيازها

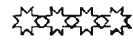
بِتَّنَا عَنِ الرَّاصِدِينَ يَكْتُمُنَا
الْأَسْوَدَانِ: الظَّلَامُ وَالشُّعْرُ
ثَلَاثُهُ لِسُرُورٍ مَا رَقَدُوا
أَنَا وَأَخْتُ الْمَهَاةُ^(١) وَالْقَمَرُ



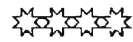
فَمَا لِهَذِي النُّجُومِ سَاهِيَةٌ
تَرْنُو إِلَيْنَا كَأَنهَا نُذُرٌ؟...
إِنْ كَانَ صُبْحُ الْجَبِينِ رَوْعَهَا
فَإِنَّ لَيْلَ الشُّعُورِ مُعْتَكِرُ



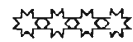
أَوْ انْتِظَامُ الْعُقُودِ أَغْضَبَهَا
فَإِنَّ نُرَّ الْكَلَامِ مُنْتَثِرُ
وَمَا لَتِلْكَ الْغُصُونِ مُطَرِّقَةٌ
كَأَنهَا لِلْسَّلَامِ تُخْتَصِرُ



تَبْكِي كَأَنَّ الزَّمَانَ أَرْهَقَهَا
عُسْرًا، وَلَكِنْ دَمُوعُهَا الثَّمَرُ
طَوْرًا عَلَى الْأَرْضِ تَنْثَنِي مَرَحًا
وَتَارَةً فِي الْفَضَاءِ تَشْتَجِرُ



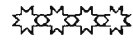
وَجَفَلَتْ هَنْدٌ عِنْدَ رُؤْيَيْهَا
وَقَدْ تَرَوُعُ الْجَانِزِ الصُّورُ
هَيْفَاءُ لَوْلَمْ تَلْنِ مِعَاطِفُهَا^(٢)
عِنْدَ التَّنَنِي خَشِيَتْ تَنْكَسِرُ



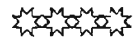
(١) البقرة الوحشية، كناية عنها لجمال عينيها

(٢) المعطف: الجانب، من الرأس إلى الورك. لأن الانعطاف يكون عنده (المعطف).

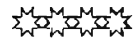
مِنْ الْوَاتِي - وَلَا شَبِيهَ لَهَا -
يَزِينُنَّهِنَّ الدَّلَالُ وَالْخَفَرُ
فِي كُلِّ عَضْوٍ وَكُلِّ جَارِحَةٍ
مَعْنَى جَدِيدُ الْحُسْنِ مَبْتَكَّرُ



تَبَيَّتْ زُهُرُ النُّجُومِ طَامِعَةً
لَوْ أَنَّهَا فَوْقَ نَحْرِهَا دُرٌّ
رَخِيْمَةٌ الصَّوْتِ إِنْ شَدَّتْ لَفَتَتْ
لَهَا الدَّرَارِيُّ وَأَنْصَتِ السَّحَرُ



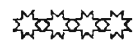
أَبْنُهَا الْوَجْدُ وَهِيَ لَاهِيَةٌ
أَذْهَلَهَا الْحُبُّ فَهِيَ تَفْتَكِرُ
يَا هِنْدُ كَمْ ذَا الْأَنَامُ تَعْذُلُنَا
وَمَا أَثْمُنَا وَلَا بِنَا وَزَرُ^(١)



فَابْتَدَرَتْ هِنْدُ وَهِيَ ضَاكِئَةٌ
مَاذَا عَلَيْنَا وَإِنْ هُمْ كُتُّرُوا
فَدَتِكَ نَفْسِي لَوْ أَنَّهُمْ عَقَّلُوا
وَاسْتَشْعَرُوا الْحَبَّ مِثْلَنَا عَذَرُوا

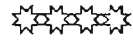


مَا جَحَدَ الْحَبُّ غَيْرُ جَاهِلِهِ
أَيُّ جَحْدُ الشَّمْسِ مِنْ لَهُ بِصَرٍّ
ذَرَّهُمْ وَإِنْ أَجْلَبُوا وَإِنْ صَخَبُوا
وَلَا تُلْمَهُمْ فَمَا هُمْ بِشَرٍّ!



(١) أراد (الوزد) بمعنى: الإثم. أما (الوزد) فهو الملجأ

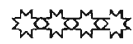
سرنا الهويننا وما بنا تعبُ
وقد سكتنا وما بنا حصر^(١)
لكن فرط الهيام أسكرنا
وقبّلنا العاشقون كم سكرُوا!



فقل لمن يُكثرُ الظنونَ بنا
(ما كان إلا الحديثُ والنظرُ)
حتى رأيتُ النجومَ أفلةً
وكاد قلبُ الظلامِ ينفطرُ



ودعّتها والفؤادُ مضطربُ
أكفّكف الدمع وهو ينهمرُ
وودعّني ومن محاجرِها
فوق العقيقِ الجُمانُ ينحدر^(٢)



قد أضحك الدهر ما بكّيتُ له
كأنما البينُ عنده وطَرُ
كانت ليالي ما بها كدرُ
والآن أمست وكأُها كدرُ



إن نفذ الدمعُ من تذكُّرِها
فجادها بعد أدمعي المطرُ
عسى الليالي تدري جِنايتها
على قتيلِ الهوى فتعتذرُ



(١) الحصر. العَيّ (حصر - يحصر).

(٢) الجمان: اللؤلؤ (يريد. الدمع). والعقيق: أراد به لون خديها

٦ - الشاعر والأمة

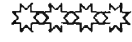
[الرمل]

خَيْرُ مَا يَكْتُبُهُ نُو مَرْقَمٍ^(١)
قَصِيدَةٌ فِيهَا الْقَوْمُ تَذْكِرَةٌ
❖❖❖❖❖

كَانَ فِي مَاضِي الْيَالِي أُمَّةٌ
خَلَعَ الْعِزُّ عَلَيْهَا حَبِيرَهُ^(٢)
يَجِدُ النَّازِلُ فِي أَكْنَافِهَا
أَوْجُهُاً ضَاحِكَةً مُسْتَبْشِرَةً
وَيَسِيرُ الطَّرْفُ مِنْ أَرْبَاضِهَا
فِي مَغَانٍ حَالِيَاتٍ نَضْرَهُ
لَمْ يَقْسُ شَعْبٌ إِلَى أَمْجَادِهَا
مَجْدَهُ الْبَازِخَ إِلَّا اسْتَصْغَرَهُ
هَمُّهَا فِي الْعِلْمِ تُعَلِّي شَأْنَهُ
بَيْنَهَا، وَالْجَهْلُ تَمْحُو أَثَرَهُ
مَا تَغِيْبُ الشَّمْسُ إِلَّا أَطْلَعَتْ
لِلْوَرَى مَحْمَدَةً أَوْ مَا تُثْرَهُ^(٣)
فَتَمْنَى الصَّبْحُ تَغْدُو شَمْسُهُ
وَتَمْنَى اللَّيْلُ تَغْدُو قَمَرُهُ

(١) المَرْقَمُ: القلم، والرَّقْمُ: الكتابة.
(٢) الْحَبِيرَةُ: بُرْدٌ يَمَانِي (جمعه: حَبِير).

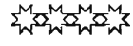
ومشى الدهرُ إليها طائِعاً
فمشتَ تائهةً مُفتَخِره



كان فيها ملكٌ نو فطنة
حازمٌ يصفحُ عند المَقْدِرِه
يعشقُ الأمر الذي تعشقُهُ
فإذا ما استنكرته استنكره
بلغت في عهده مرتبةً
لم تنأها أمّةٌ أو جمهره^(١)
فإذا أعطت ضعيفاً موثقاً
أشفقت أعداؤه أن تحفره
وإذا حاربها طاغيةً
كانت الظّافرة المنتصره
مات عنها، فأقامت ملكاً
طائش الرأي كثير الثّرته
حوّله عُصبةٌ سوء، كما
جاء إذاً أقبلت مُعتذره^(٢)
حسّنت في عينه أثامه
وإليه نفّسه المستكبره
وتمادى القوم في غفلتهم
فتمادى في الملاهي النكّره
زحزح الأمة عن مركزها
وطوى رايتها المنتشره

(١) الجماعة من الناس.

ورأت فيها الليالي مقتلاً
فرمتهَا فأصابَتْ مدبَّره^(١)
فهوت عن عرشها من عفْرة
مثلاً لما تُرمى بسهم قُبَّره^(٢)

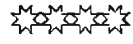


كان فيها شاعر مُشْتَهَرُ
ذو قوافٍ بينها مُشْتَهَره
كأما هزّت يداهُ وتراً
هزّ من كلّ فؤادٍ وتَـره
تَـعسُ الحظُّ، وهل أتـعسُ من
شاعرٍ في أمةٍ مُحْتَـضـره؟
يقرأ الناظرُ في مُقـالـته
ثورةً طاهرةً مسـتـتـره
ما يراه الناسُ إلا واقفاً
في مغاني قومه المُنـدـتـره
حائراً كالريح في أطلالها
باكياً والسُّحب المنهمـره
وهي في أهوائها لاهية
وكذاك الأمة المُسـتـتـهـره
ما رأت مُهجته المُنـفـطـره
لا ولا أدْمُعه النـحـره
فشكاهُ الشَّعرُ مما سامه
وشكاهُ الـيـلُ ممّا سـهـره

(١) الدبّر. الهلاك والموت، ومنها المدبرة.

(٢) طير القبرة (وجمعها: قنابر).

ثم لما عبيث اليأسُ به
مزق الطرس وشجَّ المخبره!!



مريوماً فرأى أشيأها
جالسوا يبكون عند المقبره
قال مآلكم؟... ما خطبكم
أي كنز في الثرى أو جوهره؟
ومن الثأوي الذي تبكونه
قيصر، أم تبع، أم عنتره؟
قال شيخ منهم مُحذوب
ودموع اليأس تغشى بصره
إن من نبكيه لو أبصره
قيصر أبصر فيه قيصره
كيف يا جاهل لا تعرفه
وحداة العيس^(١) تروي خبره؟
هو ملك كان فينا ومضى
فمضت أيامنا المزهرة
ولبئنا بعده في ظلم
داجيات فوقنا مُعتكِره
والذي كان بنا «معرفة»
لصروف الدهر أمسى «نكره»
فأنتهى التاج إلى مُعتسف
لم يزل بالتاج حتى نثره

(١) العيس: الإبل البيض (المفرد. أعيس - عيساء).

كل ما تصبوا إليه أنفسه
مُعَصَّرُ أو خَمْرٌ مَعْتَصِرُه
مُسْتَهِينٌ بِاللَّيَالِي وَبِنَا
مُسْتَعِينٌ بِالطُّغَامِ الْفَجْرُه
كأَما جاءَ إليه خَائِنُ
وَاشِيأاً قَرِيبَهُ وَاسْتَوَزَرَه
فإذا جاءَ إليه ناصِحُ
شكُّ في نيَّته فانتَهَره
مُسْتَبِدُّ بِأَذْلُ في لحظة
ما ادَّخَرْنَاهُ لَهُ وَادَّخَره
يَهْبُ المَرءُ وَمَا يَمْلِكُه
وعلى الموهوبِ أن يستغفره
هَزَأَ الشَّاعِرُ مِنْهُمْ قَائِلًا:
بَلَغَ السُّوسُ أَصُولَ الشُّجَرِه
رَحْمَةُ اللهِ عَلَى أَسْلَافِكُمْ
إنهم كانوا تُقَاةً بِرره
رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِم، إنهم
لم يكونوا أُمَّةً مَنَشْطَره
إِنَّ مِنْ تَبْكُونَهُ يَا سَادَتِي
كالذي تشكون فيكم بطَّره
إنما بَأْسُ الأُلَى قَدْ سَأَفُوا
قَتَلَ النِّهْمَةَ فِيهِ وَالشُّرَه
فاحْبِسُوا الأَدْمَعَ فِي أَمَاقِكُمْ
واتركوا هذِي العظام النُّخَره

لَوْ فَعَلْتُمْ فَعَلَ أَجْدَادِكُمْ
مَا قَضَى الظَّالِمُ مِنْكُمْ وَطَرَهُ
مَا لَكُمْ تَشْكُونُ مِنْ مُحَاتِكُمْ
رَضَيْتُمْ أَلْسُنَكُمْ أَنْ تَشْكُرَهُ؟
وَجَعَلْتُمْ مِنْكُمْ عَسْكَرَهُ
وَحَالَفْتُمْ أَنْ تُطِيعُوا عَسْكَرَهُ؟
كَيْفَ لَا يَبْغِي وَيَطْغَى أَمْرُ
يَتَّقِي أَشْجَعُكُمْ أَنْ يَنْظُرَهُ؟
مَا اسْتَحَالَ الْهَرُّ لَيْثًا إِنَّمَا
أَسَدُ الْأَجَامِ صَارَتْ هَرُّهُ
وَإِذَا الْاَلَيْتُ وَهَتْ أَظْفَارُهُ
أَنْشَبَ السِّنُّورُ فِيهِ ظُفْرُهُ!!

٧ - وأني...

[الخفيف]

نَظَرْتُ مَرَّةً إِلَى وَقَالَتْ:
مَا يَقُولُ الْحُسَّادُ عَنْكَ وَعَنِّي؟
قُلْتُ: مَاذَا عَسَاهُمْ أَنْ يَقُولُوا
غَيْرَ أَنِّي جُنَنْتُ فَيْكَ. وَأَنِّي...

٨ - أمّا أنا...

[الكامل]

لَا تَنْتَنِي فِي الرُّوضِ أَغْصَانُ الشَّجَرِ
حَتَّى تَدْعِدَّهَا النَّسَائِمُ فِي السَّحَرِ
وَأَنَا كَذَلِكَ لَا يَفَارُقُنِي الضُّجْرُ
حَتَّى تَدَاعِبَ لِمَّتِي^(١) بِيَدِيهَا
☆☆☆☆☆

الشَّمْسُ تُلْقِي فِي الصُّبْحِ حُبَالَهَا
وَتَبِيتُ تَنْظُرُ فِي الْغَدِيرِ خَيَالَهَا
أَمَّا أَنَا فَإِذَا وَقَفْتُ حَيَالَهَا
أَبْصَرْتُ نَوْرَ الشَّمْسِ فِي خَدَّيْهَا
☆☆☆☆☆

الطُّودُ يَقْرَأُ فِي السَّمَاءِ الصَّافِيَةِ
سَقْرًا، جَمِيلًا^(٢) مَتْنُهُ وَالْحَاشِيَةِ
أَمَّا أَنَا فَإِذَا فَقَدْتُ كِتَابِيهِ
أَتَلُو كِتَابَ الْحُبِّ فِي عَيْنِيهَا
☆☆☆☆☆

الطَّيْرُ إِنْ عَطِشَتْ وَلَجَّ بِهَا الظُّمَأُ
هَبِطَتْ إِلَى الْأَنْهَارِ مِنْ عُلُوِّ السَّمَاءِ
أَمَّا أَنَا فَإِذَا ظَلَمْتُ فَإِنَّمَا
ظُمَائِي الشَّدِيدُ إِلَى لَمَى^(٣) شَفَتِيهَا
☆☆☆☆☆

(١) الشعر. لأنه يلمّ بالكشف.

(٢) الصحيح: جميلًا

النَّدُّ يَطْلُبُهُ الْخَلَائِقُ فِي الرُّبَا
بَيْنَ الْوُرُودِ وَفِي نُسَيْمَاتِ الصَّبَا
أَمَّا أَنَا فَالَّذُ مِنْ نَشْرِ الْكَبَا
عِنْدِي، الَّذِي قَدْ فَاحَ مِنْ نَهْدِيهَا
❖❖❖❖❖

الرَّاحُ تَصْرَفُ ذَا الْعَنَاءِ عَنِ الْعَنَا
وَتَطِيرُ بِالصُّعْلُوكِ فِي جَوْ الْمُنَى
فَيَرَى الْكَوَاكِبَ تَحْتَهُ، أَمَّا أَنَا
فَتَظَلُّ أَفْكَارِي تَحُومُ عَلَيْهَا
❖❖❖❖❖

فِيهَا وَمِنْهَا ذَلَّتِي وَسَقَامِي^(١)
وَبِهَا غَرَامِي، الْقَاتِلِي؛ وَهُيَامِي
أَشْتَاقُهَا فِي يَقْظَتِي وَمَنَامِي
وَاطُولَ شَوْقِ الْمُسْتَهَامِ إِلَيْهَا!

(١) المرض.

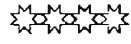
٩- وداع وشكوى

[الكامل]

أزف الرحيلُ وحانَ أن نتفرَّقا
فإلى اللُّقا يا صاحبيَّ إلى اللُّقا
إن تبكيا فلقد بكيتُ من الأسى
حتى لكدتُ بأدمعي أن أغرقا
وتسعَّرتُ عند الوداع أضالعي
ناراً خشيتُ بحرهما أن أُحرقا
ما زلتُ أخشى البين قبل وقوعه
حتى غلوتُ وليس لي أن أفرقا^(١)
يوم النُّوى، لله ما أقسى النُّوى
لولا النُّوى ما أبغضتُ نفسي البقا
رُحنا حيارى صامتينَ كأنما
للّهولِ نحذرُ عنده أن نطقا
أكبادنا خفاقةً وعيوننا
لا تستطيع، من البكاء، أن ترمقا
نتجاذبُ النظراتِ وهي ضعيفةُ
ونغالبُ الأنفاسَ كيلا تُزهقا
لو لم نعللُ باللقاء نفوسنا
كادت مع العبراتِ أن تتدفقا

(١) الفرق: الخوف.

يا صاحبيّ تصبّراً فلربما
عُدْنَا وعاد الشَّمْلُ أبهى رونقا
إن كانتِ الأيامُ لم تَرفُقْ بنا
فَمَنْ النُّهى بِنفوسنا أن نَرفُقَا
إن الذي قَدَر القطيعة والنوى
في وَسْعِه أن يجمع المُتفرِّقا!..



ولقد ركبْتُ البحرَ يزأُّ هائجاً
كالليثِ فارقَ شبله بل أحنَقَا
والنفسُ جازعةٌ ولستُ ألومُها
فالبحرُ أعظمُ ما يُخافُ ويُتَّقَى
فلقد شهدتُ به حكيماً عاقلاً
ولقد رأيتُ به جهولاً أخرقاً
مُسْتَوْفِزُ ما شاء أن يلهو بنا
مترَفِّقُ ما شاء أن يترَفِّقا
تتنازعُ الأمواجُ فيه بعضها
بعضاً على جهلٍ تُنازعنا البقا
بيننا يراها الطُّرفُ سُوراً قائماً
فإذا بها حالتْ فصارتْ خَنَدَقَا
والفُلكُ جاريهٌ تشقُّ عُبابه
شَقّاً، كما تَفْري رداءً أخلاقاً^(١)
تعلو فنحسبُها تَوَمُّ بنا السَّما
ونظنُّ أنَّا راكبون مُحَلَّقَا

(١) خَلَقَ وأَخْلَقَ: بلي.

حتى إذا هبطت بنا في لجة
أيقنت أن الموت فينا أحدا
والأفق قد غطى الضباب أديمه
فكأنما غشي المداد المهرقا
لا الشمس تسطع في الصباح، ولا نرى
إما استطال الليل بدراً مشرقا
عشرون يوماً أو تزيد قضيتها
كيف التفت رأيت ماءً مغدقا
(نيويورك) يا بنت البخار، بنا اقصدي
فلعلنا بالغرب ننسى المشرقا
وطن أردناه على حب العُلا
فأبى سوى أن يستكين إلى الشقا
كالعبد يخشى، بعد ما أفنى الصبا
يلهو به ساداته، أن يعتقا
أو كلما جاء الزمان بمُصلح
في أهله قالوا طغى وتزندقا؟
فكأنما لم يكفه ما قد جنوا
وكأنما لم يكفهم أن أخفقا
هذا جزاء نوي النُهي في أمة
أخذ الجُمود على بنيها موثقا
وطن يضيق الحر زرعاً عنده
وتراه بالأحرار زرعاً أضيقا
ما إن رأيت به أديباً مُوسراً
فيما رأيت، ولا جهولاً مُملقاً
مشت الجهالة فيه تسحب ذيلها
تيهاً، وراح العلم يمشي مُطرقاً

أمسى وأمسى أهله في حالة
 لو أنّها تعرّو الجمار لأشفقاً
 شعبٌ كما شاء التخاذل والهوى
 مُتفرّقٌ ويكاد أن يتمزّقاً
 لا يرتضي دين الإله مُوفقاً
 بين القلوب، ويرتضيه مُفرّقاً
 كلفُ بأصحاب التعبّد والتّقى
 والشّرُّ ما بين التعبّد والتّقى
 مُستضعفٌ، إن لم يُصب متملّقاً
 يوماً تملّق أن يرى مُتملقاً
 لم يعتقد بالعلم وهو حقائق
 لكنه اعتقد التمام والرقي!
 ولربما كره الجمود وإنما
 صعبٌ على الإنسان أن يتخلّقاً!..
 وحكومة ما إن تُزحزح أحمقاً
 عن رأسها حتى تُولّي أحمقاً
 راحت تُناصبنا العداء كأنما
 جنّنا فرياً أو ركبنا موثقاً^(١)
 وأبت سوى إرهابنا فكانما
 كلُّ العدالة عندها أن نُرهقاً
 بينا الأجانبُ يعيثون بها كما
 عبث الصُّبّا سحراً بأغصان النُّقا^(٢)
 (بغداد) في خطرو (مصر) رهينة
 وغداً تنال يد المطامع (جِلَقاً)

(١) الفريّ المصنوع المخلوق (من: الفرية: الاختلاق). والموثق: المهلكة. وثق وبوقاً: هلك.

ضَعُفَتْ قَوَائِمُهَا وَلَمَّا تَرَعَوِي
عَنْ غَيِّهَا حَتَّى تَزُولَ وَتُمَحِّقَا
قِيلَ: اَعِشْقُوهَا، قُلْتُ: لَمْ يَبْقَ لَنَا
مَعَهَا قُلُوبٌ كِي نُحِبَّ وَنَعِشَقَا
إِنْ لَمْ تَكُنْ ذَاتُ الْبَنِينَ شَفِيقَةً
هِيَ هَاتِ تَلْقَى مِنْ بَنِيهَا مُشْفَقَا
أَصْبَحْتُ حَيْثُ النَّفْسُ لَا تَخْشَى أَذَى
أَبْدَاءُ، وَحَيْثُ الْفِكْرُ يَغْدُو مُطْلَقَا
نَفْسِي اخْلُدِي، وَدَعِي الْحَنِينَ، فَإِنَّمَا
جَهْلٌ، بُعِيدَ الْيَوْمِ، أَنْ نَتَشَوَّقَا
هَذِي هِيَ «الدُّنْيَا الْجَدِيدَةُ» فَانْظُرِي
فِيهَا ضِيَاءَ الْعِلْمِ كَيْفَ تَأَلَّقَا
إِنِّي ضَمَنْتُ لَكَ الْحَيَاةَ شَهِيَّةً
فِي أَهْلِهَا، وَالْعِيشَ أَزْهَرَ مُونِقَا

١٠ - عصر الرشيد

[الكامل]

كم بين طيّاتِ العُصورِ الخاليةِ
عظهُ لأبناء الدهور الآتيةِ
عبرُ الليالي كالليالي جمّةُ
لكنما النَزْرُ القلوبُ الواعيةِ
الدهرُ يُفنيّنا ونَحسبُ أنه
يُفني بنا أيامه ولياليه
فإذا مشى فينا الفناءُ فراعنا
خَلَقَ الخيالُ لنا الحياةَ الثانيةِ
إن الحياةَ قصيدةٌ، أبياتُها
أعمالُنا، والموتُ فيها القافيةِ
كم تعشقُ الدنيا وتكرّجها
انسيت أن الخُلفَ طبعُ الغانيةِ؟
وتودُّ لو يبقَى عليك نعيمُها
أجهلتُ أنْ عليك رُدُّ العارِيةِ؟
خلَّ الغُرورُ بما لديك فإنما
دنياك زائلٌ ونفسُك فانيةِ
إنَّ الألى وطئتْ نعالُهم السُّها
وطئتْ جِباهُمُ نعالُ الماشيةِ
لو أن حياً خالداً فوق التُّرى
ما مات «هارون» وزال «معاوية»

أَوْ كَانَ عَزُّ دَائِمًا مَا أَصْبَحَتْ
«بَغْدَادُ» فِي عَدَدِ الطُّلُولِ الْبَالِيَةِ
أَخْنَتَ عَلَيْهَا الْحَادِثَاتُ، فَدَوَّرَهَا
خَرِبٌ تُعَاوِدُهَا الرِّيحُ السَّافِيَةِ
يَلُوي إِلَيْهَا الْيَوْمُ غَيْرُ مُرَوِّعٍ
مِنْ كُلِّ نَعَابٍ أَحْمُ الْخَافِيَةِ^(١)
نَزَلَ الْقَضَاءُ فَمَا حَمَاهَا سَوْرُهَا
وَلَطَمَ الْمَارِدُ الْجِيُوشَ الْغَازِيَةِ
وَاجْتَنَحَ مُجْتَنَحُ الْعُرُوشِ مَلُوكَهَا
فَكَانَهُمْ (أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةِ)
أَيْنَ الْقُصُورُ الشَّاهِقَاتُ وَأَهْلُهَا
بَادَ الْجَمِيعُ، فَمَا لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةِ
دَرَسَتْ مَعَالِمُهَا وَغَيَّرَهَا الْبَلَى
وَالنَّاشِ خَلَّ الْمَحَاسِنِ كَاسِيَةِ
أَيَّامَ لَا دُوحُ الْمَعَارِقِ ذَابِلُ
ذَاوِي، وَلَا دُورُ الصَّنَاعَةِ خَالِيَةِ
أَيَّامَ لَا لُغَةُ «الْكِتَابِ» غَرِيبَةُ
فِيهَا، وَلَا هَمُّ الْأَعَارِبِ وَانِيَةِ
أَيَّامَ كَانَ الْعِلْمُ يَغْبِطُ أَهْلَهُ
أَهْلُ الثَّرَاءِ، ذَوُو الْبُرُودِ الضَّافِيَةِ
أَيَّامَ كَانَ لِكُلِّ حُسْنٍ شَاعِرُ
كَأَفُّ بِهِ وَلِكُلِّ شَعْرٍ رَاوِيَةِ
أَيَّامَ «دَجَلَةُ» مُطْمَئِنُّ هَادِيُ
جَذْلَانُ يَهْزَأُ بِالْبُحُورِ الطَّامِيَةِ

(١) الْأَحْمَ. الْأَسْوَدُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَالْخَوَافِي. رِيَشَاتُ إِذَا ضَمَّ الطَّائِرُ جَنَاحِيَهُ خَفِيَتْ. مَفْرَدُهَا: خَافِيَةٌ.

«النَّيْلُ» خَادِمُهُ الْأَمِينُ، وَعَبْدُهُ
«نَهْرُ الْفِرَاتِ» وَكُلُّ عَيْنٍ «جَارِيَةٍ»
تَهْوِي الْكَوَاكِبُ أَنَّهَا حَصْبَاؤُهُ
أَوْ أَنَّهَا شَجَرٌ عَلَيْهِ حَانِيهِ
وَتَوَدُّ كُلُّ سَحَابَةٍ مَرَّتَ بِهِ
لَوْ أَنَّهُ سَحَبٌ عَلَيْهَا هَامِيَةٍ (١)
وَتَرَى الْغَزَالَةَ طَيْفَهَا عِنْدَ الضُّحَى
فِي سَطْحِهِ فَتَبِيْتُ عَطَشِي رَاوِيَهُ
أَيَّامَ كَانَ الشَّرْقُ مَرْهُوبَ الْحُمَى
يَكْسُو الْجَلَالَ سَهْوَلَهُ وَرَوَابِيَهُ
أَيَّامَ تَحْسُدُهَا الْعَوَاصِمُ مِثْلَمَا
حَسَدَ الْعَوَاطِلُ أَخْتَنَ الْحَالِيَهُ
وَلَطَالَمَا كَانَتْ تَبْتَغِي مَعْرِزَهَا
«مَصْرَ» وَتَحْمِي ذِكْرَهَا «أَنْطَاكِيَهُ»

أَيَّامَ «هَارُونَ» يُدِيرُ شُؤْنَهَا
يَا عَصْرَ «هَارُونَ» عَلَيْكَ سَلَامِيَهُ
مَلِكٌ أَدَالَ مِنَ الْجَهَالَةِ عُلْمُهُ
وَأَذَلَّ صَارِمُهُ الْمُلُوكَ الْعِزَاتِيَهُ
وَمَشَتْ تَطَوَّفُ فِي الْبِلَادِ هَبَاتُهُ
تَغَشَى حَوَاضِرَهَا وَتَغَشَى الْبَادِيَهُ
مَلَأَ الْبِلَادَ عَوَارِفًا وَمَعَارِفًا
وَالْأَرْضَ عَدْلًا وَالنَّفُوسَ رَفَاهِيَهُ

(١) همى. سال، من مطر وغيره.

فَتَحْضُرُ الْبَانُونَ فِي أَيَّامِهِ
وَاسْتَأْنَسْتُ حَتَّى الْوَحُوشُ الضَّارِيهِ
وَتَسْرِبِلْتُ «بَغْدَادُ» ثَوْبَ مَهَابَةٍ
لَيْسَتْ تَرَاهُ أَوْ «تُراه» ثَانِيهِ
هَاتِيكَ أَيَّامُ تَلَاشَتْ مِثْلَ مَا
تَمَحَوُ مِنَ الرُّقِّ الْحُرُوفِ الْمَاحِيَةِ^(١)
لَمْ يَبْقَ إِلَّا ذِكْرُهَا يَا حُسْنَهَا
ذَكَرْتُ تَهَشُّ لَهَا الْعِظَامُ الْبَالِيهِ
لَوْ أَنَّ هَذَا الدَّهْرُ سَفَرٌ كُنْتُ يَا
عَصْرُ الْحَضَارَةِ مِثْنَهُ وَالْحَاشِيهِ
عَصْرُ لَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ بِعَوْدِهِ
فَلَاخْلَعَنَّ عَلَى الْبَشِيرِ شَبَابِيهِ!..



إِيهِ «أَبَا الْمَأمُونِ» ذَكَرْتُكَ ابْنُ
فِي الْأَرْضِ الْبَاشِيَةِ الشَّامَخَاتِ الرَّاسِيهِ
بَاقٍ عَلَى مَرِّ الْعَصْرِ بِقَانِمَا
وَكَذَاكَ ذَكَرْتُ ذَوِي النَفُوسِ السَّامِيهِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ مِنْ مِثَالٍ بَيْنَنَا
فَلَا نَ رُوحَكَ كُلَّ حِينٍ دَانِيهِ
هِيَ فِي الْخُمَائِلِ زَهْرَةٌ فَيَّاحَةٌ
هِيَ فِي الْكَوَاكِبِ شَمْسُهَا الْمُتَلَالِيهِ
إِنِّي لِأَعْجَبُ كَيْفَ مِتَّ وَفِي الْوَرَى
حَيٌّ وَكَيْفَ طَوْتُكَ هَذَا الطَّأَوِيهِ
وَمِنَ الزَّمَانِ يَهْدُ مَا شَيَّدَتْهُ
وَيَحِ الزَّمَانِ، أَمَا تَهَيَّبُ بَانِيهِ!

(١) الرُّقِّ: الصحيفة البيضاء. وأراد بالحروف الماحية: الحروف التي تذهب بآثرها

تشكو إليك اليوم نفسي شجوها
فلأنت مفرع كل نفس شاكية
أترك تعلم أن دارك بدلت
من صوت «إسحق» بصوت الناعية؟^(١)
أترك تعلم أن ما ألتته
قد ضيعة الأنفس المتلاهي؟
يا ويح هذا الشرق بعدك، إنه
للضعف بات على شفير الهاوية
ما كان يقنع بالنجوم وسائداً
واليوم يقنع أهله بالعافية!
مُسْتَرْسَلُونَ إلى الذُهل كأنما
سُحروا أو اضطُرِعُوا ببنتِ الخابية
مُسْتَسْلَمُونَ إلى القضاء كأنما
أُخْلِقُوا بالناشي مَلِيحُونَ، بالغاشية
المجد إدراك النفس، وعندهم
ما المجد إلا شادن أو شادية
يهوى الحياة الناس طوع نفوسهم
وهم يريدون الحياة كما هي
صغرت نفوسهم، فبات عزيزهم
يخشى الجبان، كما يخاف الطاغية
حملوا المقارم ساكتين كأنما
كبرت على أحنأكم «لا» الناهية
لم تسمع الدنيا بقوم قبلهم
ماتوا وما برحوا الديار الفانية

(١) إسحق الموصلي: المغني أيام الرشيد

اللّه، لو حرصُوا على أمجادهم
فَلَتَكْ عُنْوَانُ الشُّعُوبِ الرَّاقِيَةِ
مَلَكُ «الْعُلُوجِ» أمورهم ومتاعهم
حتى سوامهم وحتى الأنبياء
واخِجَالَةُ الْعَرَبِيِّ مِنْ أَجْدَادِهِ
صَارَتْ عبيدَهُمُ الطُّغَامُ مَوَالِيَهُ!..



أَبْنِي الْغَطَارِفَةِ الْجَبَابِرَةِ الْأَلَى
وَطِئُوا «اللُّوَارَ» وَبَوَّخُوا «إِسْبَانِيَّةً»^(١)
من حَوْلِكُمْ وَأَمَامَكُمْ تَارِيخُهُمْ
فَاسْتَخْبِرُوهُ فَذَلِكَ أَصْدَقُ رَاوِيهِ
قَادُوا الْجِيُوشَ فَكُلُّ سَهْلٍ ضَيِّقٌ
وَرَمَوْا الْمَعَاقِلَ فَهِيَ أَرْضٌ دَاحِيَةٍ^(٢)
وَسَطُوا فَاسْقَطَتِ الْمَرْجُومَاتُ بِهَا
رُعباً وَأَجْقَلَتِ الصُّرُوحُ الْعَالِيَةُ^(٣)
وَمَشَوْا عَلَى هَامِ النُّجُومِ فَلَمْ تَزَلْ
فِي اللَّيْلِ مِنْ وَجَلٍ تُحَدِّقُ سَاهِيَهُ
وَرَدَتْ خِيُولُهُمُ الْمَجَرَّةَ شُرْباً
وَالشُّهْبُ مِنْ حَوْلِ الْمَجَرَّةِ صَادِيَهُ^(٤)
أَعْطَاهُمْ صَرْفُ الزَّمَانِ زِمَامَهُ
أَمْنُوا وَمَا أَمِنَ الزَّمَانُ بَوَاهِيَهُ

(١) اللوار: أطول أنهار فرنسا (Loire) وعنده جرت المعارك بين العرب (عبد الرحمن الغافقي) والفرنجة في القرن الثامن الميلادي.

(٢) دحا: بسط يريد هنا المدحوة. (تحويل المعازل إلى أرض مبسوطة).

(٣) أجفل: شرد فذهب.

(٤) ضامرة (الشازب: الضامر)، وخيل شرب: ضامرة البطن. وصدي يصدي: عطش.

لَا أَسْتَغْنِيكُمْ لَمَثَلٍ فُتَوَحُّهُمْ
لَكِنْ إِلَى حِفْظِ الْبَقَايَا الْبَاقِيَةِ
أَتَذِلُّ أَنْفَافَ الْمَلُوكِ جُودُكُمْ
وَتَسْوِمُكُمْ خَسْفًا رُعَاةُ الْمَاشِيَةِ؟
كَمْ تَصْبِرُونَ عَلَى الْهَوَانِ كَأَنَّكُمْ
فِي غَبْطَةٍ وَالذِّلُّ نَارُ حَامِيَةٍ
يَا لِرَجَالٍ! أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّكُمْ
إِنْ لَمْ تَثْبُرُوا، أَمَةٌ مُتَلَاشِيَةٍ؟



«دار السلام» تحيةً من شاعرٍ
حَسَدَتْ مَدَامُوعُهُ عَلَيْكَ قَوَافِيَهُ
فَأَرَاكَ مَاءَ شَوْوْنِهِ وَلَوْ أَنَّهُ
فِي الْغَادِيَاتِ أَرَاكَ مَاءَ الْغَادِيَةِ^(١)
لَوْ كَانَ مَجْدُكَ مُسَالِّحًا لَمَكَ
قَطَرَتْ مَحَاجِرُهُ الدَّمَاءَ الْقَانِيَةَ
فَعَلَيْكَ تَذَهَبُ كُلُّ نَفْسٍ حَسْرَةً
وَلَمَثَلِ خَطْبِكَ تُسْتَعَارُ الْبَاكِيَةُ!!



(١) الغادية: السحابة تنثأ عند الصباح.

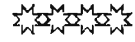
١١ - لم أجد أحدا...

[الكامل]

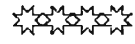
قالت: سَكَتَ وما سَكَتَ سُدى
أَعْيَا الكلامُ عَلَيْكَ أم نَفَدَا؟
إِنَّا عَرَفْنَا فَيْكَ ذَا كَرَمٍ
مَا إِن عَرَفْنَا فَيْكَ مُقْتَصِدَا
فَاطْلُقْ يِرَاعَكَ يَنْطَلِقْ خَبِيبَا
وَاحْلُلْ لِسَانَكَ يَحْلُلْ الْعُقْدَا
مَا قِيَمَةُ الْإِنْسَانِ مُعْتَقِدَا
إِن لَمْ يَقلْ لِلنَّاسِ مَا اعْتَقَدَا؟
وَالْجَيْشِ تَحْتَ الْبَنْدِ مُحْتَشِدَا
إِن لَمْ يَكُنْ لِلْحَرْبِ مُحْتَشِدَا؟
وَالنُّورِ مُسْتَتِرَا؟ فَقُلْتُ لَهَا:
كُفِّي الْمَلَامَةَ وَأَقْصُرِي الْفَنَدَا^(١)
مَاذَا يُفِيدُ الصَّوْتُ مُرْتَفِعَا
إِن لَمْ يَكُنْ لِلصَّوْتِ ثَمَّ صَدَى؟
وَالنُّورُ مُنْبَثِقَا وَمُنْتَشِرَا
إِن لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ فِيهِ هُدَى؟
إِن الْحَوَادِثَ فِي تَتَابُعِهَا
أَبَدَلْنَنِي مِنْ ضَلَّتِي رَشَدَا

(١) قَصُرُ: ضد طَال (يَقْصُرُ - قَصُرَا) والفَنَدُ هُنَا: اللوم والعَدْلُ.

ما خائنني فكري ولا قلّمي
لكن رأيتُ الشّعْر قد كَسدا!

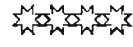


كان الشُّبَّابُ، وكان لي أَمَلُ
كالبحر عُمَقاً، كالزمانِ مَدَى
وصحابةٌ مثلُ الرياضِ شَذّاً
وصواحبُ كورودها عُددا
لكنني لمّا مددتُ يدي
وأدرتُ طَرْفي لم أجِدْ أحداً!...

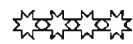


ذهب الصبأ ومضى الهوى معَه
أصيبابُهُ والشَّيْبُ قد وَقَدا؟
فاليوم إن أبصرتُ غانيَّةً
أَغْضِي كأنَّ بمقلتي رمدا
وإذا تُدارُ الكأسُ أَصْرِفُهَا
عني، وكنتُ أَلومٌ من زَهدا
وإذا سمعتُ هُتَافَ شادية
أَمْسَكْتُ عنها السَّمْعَ والكَبِدا
كفّنتُ أحلامي وقلتُ لها:
نامي! فإنَّ الحبَّ قد رَقَدا
وَقَعَ الخُطوبُ عليّ أَخْرَسَني
وكذا العواصفُ تُسَكَّتُ الغَرِدا
عمرو صديقُ كان يحلفُ لي
إن نُحِتْ نَاحٍ وإن شَدَّوتُ شَدا
وإذا مَشَيْتُ إلى المَنونِ مَشَى
وإذا قَعَدْتُ لِحاجةٍ قَعَدَا

صَدَّقْتُهُ، فَجَعَلْتُهُ عَضُدِي
وَأَقَمْتُ مِنْ نَفْسِي لَهُ عَضُدًا
لَكُنِّي لِمَا مَدَدْتَ يَدِي
وَأَدَرْتُ طَرْفِي لِمَ أَجِدُ أَحَدًا!..

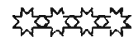


هَنَدُ، وَأَحْسَبُنِي إِذَا ذُكِرْتُ
أَطْلَأُ الْأَفْعَامِي، أَوْ أَجْسُ مُدَى^(١)
كَانَتْ إِلَهَاءَ، كُنْتُ أَعْبُدُهُ
وَأُجِلُّهُ، وَالْحُسْنُ كَمْ عُيِّدَا
كَمْ زُرْتُهُمَا وَالْحَيُّ مِنْتَبِهٌ
وَتَرَكْتُهُمَا وَالْحَيُّ قَدْ هَجَدَا
وَلَكُمْ وَقَفْتُ عَلَى الْغَدِيرِ بِهَا
وَالرَّيْحُ تَنْسِجُ فَوْقَهُ زَرْدَا
وَالْأَرْضُ تَرْقُصُ تَحْتَنَا طَرِبًا
وَالشُّهُبُ تَرْقُصُ فَوْقَنَا حَسَدَا
وَلَكُمْ جَلَسْنَا فِي الرِّيَاضِ مَعًا
لَا طَائِرًا نَخْشَى وَلَا رَصَدَا
وَاللَّيْلُ فَوْقَ الْأَرْضِ مَنْسَدِلُ
وَالْغَيْمُ فَوْقَ الْبَدْرِ قَدْ جَمَدَا
قَدْ كَاشَفْتَنِي الْحَبَّ مُقْتَرِبًا
وَشَكَتْ إِلَيَّ الشُّوقَ مَبْتَعَدَا
لَكُنِّي لِمَا مَدَدْتَ يَدِي
وَأَدَرْتُ طَرْفِي لِمَ أَجِدُ أَحَدًا!..



(١) المُدِيَّة: السكين (والجمع: مُدَى).

قومي، وقد أطربتُهمَ زمناً
ساقوا إليَّ الحُزْنَ والكَمدا
هم عاهدوني إنَّ مَدَدْتُ يدي
لَيَمُدُّ كُلُّ فَتًى إليَّ يدا
قالوا غداً تهمني سحائبُنا
فرجعتُ أدراجي أقول غدا
وظننتُ أني مَدركُ رَبِّي
إن غار تحت الأرض أو صعدا
فذهبتُ أمشي في الثُّرى مرِحاً
ما بين جالَسي، ومُنْفردا
تِيهَ المجاهد نال بُغْيَتَه
أو تِيهَ مسكينٍ إذا سُعدا
لكننني لما مَدَدْتُ يدي
وأدرتُ طَرْفي لم أجِد أحدا!!..



هُم هَدَّوْنِي حِينَ صَحْتُ بِهِمْ
صِيَّحَاتِي الشَّعْواءَ مَنَتَقدا
ورأيتُ في أحداقهم شُوراً
ورأيتُ في أشداقهم زَبَدا
وسمعتُ صائِحهم يَقُول لهم:
أَنْ أَقْتُلُوهُ حَيْثُ مَا وَجدا
فرجعتُ أحسبُهم برابرةً
في مَهْمِهِ وَأَظُنُّنِي وَلَدا^(١)

(١) المهمة: المفازة البعيدة (والجمع: مهامه).

مَرَّتْ لِيَالٍ مَا لَهَا عَدُّ
وَأَنَا حَزِينٌ بَاهِتٌ كَمَدَا^(١)
أَرْتَاعُ إِنْ أَبْصَرْتُ وَاحِدَهُمْ
ذُعِرَ الشُّوَيْهَةَ أَبْصَرْتُ أَسَدَا
وَإِذَا رَقَدْتُ رَقَدْتُ مُضْطَرِباً
وَإِذَا صَحَوْتُ صَحَوْتُ مُرْتَعِداً
لَكِنِّي لِمَا مَدَدْتُ يَدِي
وَأَدْرْتُ طَرْفِي لَمْ أَجِدْ أَحَدًا!..



لَا تَذْكُرُوهُمْ لِي، وَإِنْ سَأَلُوا
لَا تَذْكُرُونِي عَنْهُمْ أَبَدَا
لَا يَمَلَأُ السَّرِيَالَ وَاحِدُهُمْ
وَلَهُ وَعُودٌ تَمَلَأُ الْبَاءَدَا^(٢)
يَا لَيْتَنِي ضَيَّعْتُ مَعْرِفَتِي
مَنْ قَبْلَ أَعْرِفَ مِنْهُمْ أَحَدًا^(٣)



(١) الكَمْدُ والكَمِيدُ: الحزين الذي يكتم حزنه.

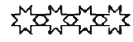
(٢) السَّرِيَالُ: القميص.

(٣) التقدير: أَنْ أَعْرِفَ.

١٢ - السرف في الأرواح

[الكامل]

قال الغرابُ وقد رأى كَلَفَ الورى
وهُيامهم بالبالِ الصَّدَّاحِ:
«لِمَ لَا تَهَيِّمُ بِي المِسامِعُ مِثْلَهُ
ما الفرقُ بين جناحه وجناحي؟
إنني أشدُّ قُوًى وأمضى مَخْلَباً
فعلام نام الناسُ عن تَمْدَاحي؟»



أُمُفِرَّقَ الأَحبابِ عن أَحبابهم،
ومَكْدَرَ الـذَّاتِ والأَفراحِ!
كم في السوائِلِ من شَبِيهِه بِالطَّلَا
فعلام ليس لها مقامُ الراحِ؟
ليس الحُظُوظُ من الجِسومِ وشَكْلِها
السُّرُّ كُلُّ السُّرْفِ في الأرواحِ
والصوتُ من نَعَمِ السَّماءِ، ولم تكن
تَرْضَى السُّمَّا إلا عن الصَّدَّاحِ
حُكْمُ القِضاءِ فإن نَقَمْتَ على القِضا
فَأَضْرِبْ بِعُنُقِكَ مُدِيَةَ الجِراحِ



١٣ - بنت سوريّة

[الرمل]

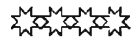
ليس يدري الهمّ غيرُ المُبتلي^(١)
طالَ جنحُ الليلِ أو لم يطُلِ
ما لهذا النجمِ مثلي في الثرى
طائرُ النومِ شديدُ الوجَلِ
أُتِراهُ يَتَّقِي طارئةً
أم به أني غريبُ المنزل؟
كلّما طالعتُ خطباً جلالاً
جاغني الدهرُ بخطبٍ جَلَلِ
أشتكي الليلَ ولو ودّعته
بتُّ من همّي باليلِ ألي^(٢)
يا بناتِ الأفقِ ما لصبٍّ من
مُسعدٍ في الناس؛ هل فيكنّ لي؟
لا عرفتنّ الرزايا إنها
شيّبت رأسي ولم أكتَهلِ
سهدتُ سُهدي الدُّراري^(٣) إنما
شدّ ما بين المُعنى والخلي
ليت شعري ما الذي أعجبها
فهي لا تنفكُ ترنو من علِ

(١) يريد: المبتلى.

(٢) شديد الظلمة

(٣) النجوم لأنها تلمع في السماء كالدرر.

أنا لا أغبطُها خالدةً
 ولقد أحسُّدها لم تعقل
 كلُّما راجعتُ أحلام الصبا
 قلت: يا ليت الصبا لم يزل!..
 أيها القلبُ الذي في أضلُّعي
 إنما اللذةُ جهلاً فاجهل^(١)
 تجملُ «الرقَّة» في العضبِ فإنَّ
 كنت تهواها فكن كالمنصل^(٢)
 هي في الغيد الغواني قوَّةُ
 وهي ضعفُ في فؤاد الرجل
 لا يغرُّ الحسنُ ذا الحُسنِ فقد
 يصرعُ البلبُ صوتُ البلبِ
 تُقتلُ الشاةُ ولا ذنبُ لها
 هي، لولا ضعفُها، لم تُقتل
 إن تكن في الوحش كن ليثَ الشرى^(٣)
 أو تكن في الطير كن كالأجدل^(٤)
 أو تكن في الناس كن أقواهم
 ليست العلياءُ حظُّ الوكل^(٥)!



ما القومي - لا وهي حبُّهم -
 قنعوا من دهرهم بالوشل^(٦)

(١) الصحيح: إنما اللذة جهل.. إلا إذا لجأنا إلى التقدير!

(٢) المنصل: حديد السيف، والمنصل: السيف.

(٣) موضع تُنسب إليه الأسود.

(٤) الصقر.

(٥) أرادها جمعاً للوكل. البليد الجبان، المتكل على غيره.

أَنَا مِنْ أَمْرِهِمْ فِي شُغْلٍ
وَهُمْ عَنْ أَمْرِهِمْ فِي شُغْلٍ
كَأَمَّا فَكَّرْتُ فِي حَاضِرِنَا
عَاقَنِي الْيَأْسُ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ
نَحْنُ فِي الْجَهْلِ عَبِيدُ الْهَوَى
وَمَعَ الْعِلْمِ عَبِيدُ الدُّوَلِ
نَعِشُّ الشَّمْسَ وَنَخْشَى حَرَّهَا
مَا صَعِدْنَا وَهِيَ لَمَّا تَنْزِلُ
قَدْ مَشَى الْغَرْبُ عَلَى هَامِ السُّهَى
وَمَشِينَا فِي الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ
سَجَلُ الْعَارِ عَلَيْنَا مَعْشَرُ
سَجَّلُوا الْمِرَاةَ بَيْنَ الْهَمَلِ
فَهِيَ إِمَّا سَاعَةً حَامِلَةٌ
سَاعَةً أَوْ آلَةً فِي مَعْمَلِ
أَرْسَلُوهَا تَزْرَعُ الْأَرْضَ خُطًى
وَتُبَارِي كُلَّ بَيْتٍ مِثْلُ^(١)
تَتَهَادَاهَا الْمَوَامِي وَالرُّبَا^(٢)
فَهِيَ كَالْبَيْنَارِ بَيْنَ الْأَنْمَلِ
لَا تُبَالِي الْقَيْظَ يَشْوِي حَرُّهُ
لَا وَلا تَحْذَرُ بَرْدَ الشَّمَمَالِ
وَلَهَا فِي كُلِّ بَابٍ وَقْفَةٌ
كَامِرٍ الْقَيْسِ حِيَالِ الطَّلَلِ^(٣)

(١) فِي عِزِّ الْبَيْتِ رِكَازَةٌ وَغَمُوضٌ. لَمْ أَجِدْ لَهُ فِي النُّسخِ بَيْنَ يَدَيَّ، صُورَةٌ أُخْرَى!

(٢) الْمَوَامِي: الْمَفَارِزُ الْوَاسِعَةُ، وَالْفَلَاةُ الَّتِي لَا مَاءَ فِيهَا (وَجَمْعُهَا: الْمَوَامِي).

(٣) إِشَارَةٌ إِلَى مَطْلَعِ مَعْلَقَتِهِ الَّتِي طَلَبَ فِيهَا مِنْ صَاحِبِيهِ الْوُقُوفَ عَلَى الْحَبِيبِ وَمَنْزِلَهُ، بِسِقْطِ اللَّوَى..

تَنَّقِي قَوْلَ «اغْرُبِي» خَشِيَتَهَا
قَوْلَةَ الْقَائِلِ «يَا هَذَا ادْخُلِي»
فَهِىَ كَالْعَصْفُورِ وَافِي صَادِيًا^(١)
فَرَأَى الصَّيَّادَ عِنْدَ الْمَنَهِلِ
كَامِنًا، فَانْصَاعَ يُدْنِيهِ الظُّمَأُ
ثُمَّ يُقَصِّصُ عَلَيْهِ اتِّقَاءَ الْأَجَلِ
وَلَكُمْ طَافَتْ بِهِ أَمَانَةٌ
وَانْتَنَتْ تَقْطَعُ خَيْطَ الْأَمَلِ
وَلَكُمْ مَدَّتْ إِلَى الرَّفْدِ^(٢) يَدًا
خُلِقَتْ فِي مِثْلِهَا الْقُبُلُ
مَا بِهَا؟ لَا كَانَ شَرًّا مَا بِهَا
مَا لَهَا مِنْ أَمْرِهَا فِي خَبَلٍ؟
سَأَلُوهَا أَوْ سَأَلُوا عَنْ حَالِهَا،
إِنْ جَهِلْتُمْ، كُلُّ طِفْلِ مُحْوِلٍ^(٣)
فِي سَبِيلِ الْمَالِ أَوْ عُشَّاقِهِ
تَكْكَدُ الْمَرْأَةُ كَدَّ الْإِبِلِ
مَا تَرَاهَا وَهِيَ لَا حَوْلَ لَهَا
تَحْتَ عِبٍّ فَادِحٍ كَالْجَبَلِ
شَدَّتِ الْأَمْرَاسُ فِي سَاعِدِهَا
مَنْ رَأَى الْأَمْرَاسَ حَوْلَ الْجَدُولِ؟
جَشْمُوهَا كُلُّ أَمْرِ مُغْضِلٍ
وَهِيَ لَمْ تُخْلَقْ لِغَيْرِ الْمَنْزِلِ

(١) صدى - يصدى. عطش. والصادي: العطشان.

(٢) الرفد: العطاء.

فإذا فارت الدار ضُحى
لم تعد إلا قُبيل الطُّفَل^(١)
ألفت ما عوَّبوها مثلاً ما
تألف الطَّبيَّة طعم الحنظل!
بنت سُورِيَا التي أبكى بها
همَّة البيتِ وروح الحمل
ما أطاعوا فيك أحكام النُّهى
لا ولا قول الكتاب المُنزل
قد أضاعوك وما ضيَّعتهم
فأضاعوا كلَّ أمٍّ مُشْبِل^(٢)

(١) الدخول في المساء.

(٢) قامت على أولادها بعد زوجها، ولبوة مشبل: معها أولادها

١٤ - الفقير

[الفقير]

هَمُّ أَلَمٍ بِهِ مَعَ الْخُطَا مَمَاءُ
فَنَأَى بِمَقَالَتِهِ عَنِ الْإِغْفَاءِ
تَعَسُّ أَقَامَ الْحَزْنَ بَيْنَ ضُلُوعِهِ،
وَالْحَزْنَ نَارُ غَيْرُ ذَاتِ ضِيَاءِ
يَرَعَى نَجُومَ اللَّيْلِ لَيْسَ بِهِ هَوَى
وَيَخَالُهُ كَلْفًا بِهِنَ الرَّائِي
فِي قَلْبِهِ نَارُ (الْخَلِيلِ) وَإِنَّمَا
فِي وَجَنَّتِيهِ أَدْمَعُ (الْخَنَسَاءِ) (١)
قَدْ عَضَّهَ الْيَأْسُ الشَّدِيدُ بَنَابِهِ
فِي نَفْسِهِ، وَالْجُوعُ فِي الْأَحْشَاءِ
يَبْكِي بِكَاءٍ الْطِفْلُ فَارِقَ أُمِّهِ
مَا حِيلَةُ الْمُحْزُونِ غَيْرُ بَكَاءٍ!
فَأَقَامَ حُلْسَ الدَّارِ وَهُوَ كَأَنَّهُ
- لَخُلُوتُكَ الدَّارِ - فِي بَيْدَاءِ
حَيْرَانَ لَا يَدْرِي أَيَقْتُلُ نَفْسَهُ
عَمْدًا فَيَخْلُصَ مِنْ أَذَى الدُّنْيَاءِ (٢)
أَمْ يَسْتَمِرُّ عَلَى الْغَضَاضَةِ وَالْقَذَى
وَالْعَيْشُ لَا يَحْلُو مَعَ الضَّرَاءِ

(١) النبي إبراهيم الخليل عليه السلام. انظر سورة الأنبياء في القرآن الكريم الآية ٦٩ والخنساء الشاعرة المخضرمة التي بكت أخاها (صخرأ) بكاءً مرأً
(٢) أرادها جمعاً (لدنيء).

طرد الكرى وأقام يشكو ليله
يا ليل طُلْتَ، وطالَ فيك عنائي!
يا ليلُ قد أغريت جسمي بالضنا
حتى ليؤلمُ فقدُهُ أعضائي
ورميتني يا ليلُ بالهم الذي
يفري الحشا، والهمُّ أعسرُّ داء
يا ليلُ! مالك لا تَرِقُ لحالتي
أتُراكَ والأَيَّامُ من أَعْدائي؟
يا ليلُ! حسبي ما لقيتُ من الشُّقَا
رحمأك لستُ بِصخرةٍ صمَّاء
بن^(١) يا ظلامُ عن العيون فربما
طلع الصُّباحُ وكان فيه عزائي
وارحمنا للبائسينَ فإنهم
موتى وتحسبُهم من الأحياء
إني وجدتُ حظوظَهم مُسودَّةً
فكأنما قُذِّت من الظُّلُماء
أبدًا يُسرُّ بنو الزمان وما لهم
حظٌ كغيرهم من السُّراء
ما في أكفِّهم من الدنيا سوى
أن يُكثِّروا الأحلامَ بالنُّعماء
تدنو بهم أمالُهم نحو الهنا
هيهات يدنو بالخيال النائي
بطر الأنام من السُّرور وعندهم
أنَّ السُّرور مرادفُ «العنقاء»

(١) بان، يبين: بعد.

إِنِّي لِأَحْزَنُ أَنْ تَكُونَ نَفُوسُهُمْ
 غَرَضَ الْخُطُوبِ وَعُرْضَةَ الْأَرْزَاءِ
 أَنَا مَا وَقَفْتُ لَكِي أَشَبُّ بِالْطَّلَا
 مَا لِي وَلِلتَّشْبِيبِ بِالصُّهْبَاءِ؟
 لَا تَسْأَلُونِي الْمَدْحَ أَوْ وَصْفَ الدُّمَى
 إِنِّي نَبَذْتُ سَفَاسِفَ الشُّعْرَاءِ
 بَاعُوا لِأَجْلِ الْمَالِ مَاءَ حَيَاتِهِمْ
 مَدْحًا وَبِتُ أَصُونُ مَاءَ حَيَاتِي
 لَمْ يَفْهَمُوا مَا الشُّعْرُ، إِلَّا أَنَّهُ
 قَدْ بَاتَ وَاسْطَةً إِلَى الْإِثْرَاءِ
 فَلِذَاكَ مَا لَاقَيْتُ غَيْرَ مَشَبِّ
 بِالْغَانِيَاتِ وَطَالِبِ الْعَطَاءِ
 ضَاقَتْ بِهِ الدُّنْيَا الرَّحِيبَةُ فَانْتَنَى
 بِالشُّعْرِ يَسْتَجِدِّي بَنِي حَوَاءِ
 شَقِي الْقَرِيضُ بِهِمْ وَمَا سَعَدُوا بِهِ
 لَوْلَاهُمْ أَضْحَى مِنَ السُّعْدَاءِ
 نَانُوا عَلَيْنَا بِالْمَحَبَّةِ وَالْهَوَى
 وَصُدُّورُهُمْ طُبِعَتْ عَلَى الْبَغْضَاءِ
 أَلْفُوا الرِّيَاءَ فَصَارَ مِنْ عَادَاتِهِمْ
 لَعَنَ الْمَهِيْمُنُ شَخْصَ كُلِّ مُرَاءِ
 إِنْ يَغْضِبُوا مِمَّا أَقُولُ فَطَالَمَا
 كَرِهَ الْأَدِيبُ جَمَاعَةَ الْغَوَغَاءِ
 أَوْ يَنْكَرُوا أَدْبِي فَلَا تَتَعَجَّبُوا
 فَالرُّمْدُ يُؤْلَهُمْ طُلُوعُ نُكَاءِ^(١)

(١) نكاء. الشمس. والرُّمْدُ. من الرُّمْدِ (أرمد ورمداء).

أَوْ كَلِمَا نَصَرَ الْحَقِيقَةَ فَاضِلٌ
قَامَتْ عَلَيْهِ قِيَامَةُ السُّفْهَاءِ!
أَنَا مَا وَقَفْتُ الْيَوْمَ فَيْكُمْ مَوْقِفِي
إِلَّا لِأَنْدُبُ حَالَةَ النَّعْسَاءِ
عَلِّي أَحْرَكَ بِالْقَرِيضِ قُلُوبَكُمْ
إِنْ الْقُلُوبُ مَوَاطِنُ الْأَهْوَاءِ
لَهْفِي عَلَى الْمَحْتَاجِ بَيْنَ رَبِوَعِكُمْ
يُمَسِّي وَيُصْبِحُ وَهُوَ قَيْدُ شِقَاءِ
أَمْسَى سَوَاءً لَيْلُهُ وَصَبَاحُهُ
شَتَانُ بَيْنِ الصُّبْحِ وَالْإِمْسَاءِ
قَطَعَ الْقَنُوطُ عَلَيْهِ خِيَطَ رَجَائِهِ
وَالْمَرْءُ لَا يَحْيَا بِغَيْرِ رَجَاءِ
لَهْفِي! وَلَوْ أَجْدَى التَّعْيِيسِ تَلَهَّفِي
لَسَفَكْتُ دَمْعِي عِنْدَهُ وَدُمَائِي
قَلَّ لِلْغَنِيِّ الْمُسْتَعَزِّ بِمَالِهِ:
مَهْلًا لَقَدْ أَسْرَفْتُ فِي الْخِيَلَاءِ
جُبِلَ الْفَقِيرُ أَخْوَكَ مِنْ طَيْنٍ وَمِنْ
مَاءٍ، وَمِنْ طَيْنٍ جُبِلَتْ وَمَاءٍ
فَمِنْ الْقِسَاوَةِ أَنْ تَكُونَ مُنْعَمًا
وَيَكُونَ رَهْنًا مَصَائِبٍ وَبِلَاءِ
وَتَظَلُّ تَرْفُلُ بِالْحَرِيرِ أَمَامَهُ
فِي حِينَ قَدْ أَمْسَى بِغَيْرِ كِسَاءِ
أَتَضَنُّ بِالْدِينَارِ فِي إِسْعَافِهِ
وَتَجُودُ بِالْآلَافِ فِي الْفَحْشَاءِ
انْصَرُ أَخَاكَ فَإِنْ فَعَلْتَ كَفَيْتَهُ
ذُلُّ السُّؤَالِ وَمَنْنَةُ الْبُخْلَاءِ

أَذْوِي الْيَسَارِ! وَمَا الْيَسَارُ بِنَافِعٍ
إِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُوه أَهْلَ سَخَاءٍ
كَمْ ذَا الْجُحُودُ وَمَا لَكُمْ رَهْنُ الْبِلَى
وَبِمِ الْغُرُورِ وَكُلِّكُمْ لِفَنَاءٍ؟
إِنْ الضَّعِيفُ بِحَاجَةٍ لِنُضَارِكُمْ
لَا تَقْعُدُوا عَنْ نُصْرَةِ الضَّعِيفِ
أَنَا لَا أَذْكُرُ مِنْكُمْ أَهْلَ النُّدَى
لَيْسَ الصَّحِيحُ بِحَاجَةٍ لِدَوَاءٍ
إِنْ كَانَتْ الْفَقْرَاءُ لَا تَجْزِيكُمْ
فَاللَّهُ يَجْزِيكُمْ عَنِ الْفَقْرَاءِ

١٥ - بين الكاس والطاس

[الرمل]

حَمَلَ الشَّمْسُ إِلَيْنَا قَمَرُ
فِي سَمَاءٍ نَحْنُ فِيهَا أَنْجَمُ
شَايِنُ حَكْمَهُ الْحُسْنُ بِنَا
وَسَوَى الْحُسْنِ بِنَا لَا يَحْكُمُ
أَسْبَلَ الشَّعْرَ فَيَا عَيْنِي اسْهَرِي
إِنَّهُ لَيْلٌ طَوِيلٌ مُظْلِمُ
وَاحْذَرِي يَا مُهْجَتِي مِنْهُ فَمَا
ذَلِكَ الْأَسْوَدُ إِلَّا أَرْقَمُ^(١)
كَادَ أَنْ يُشَبِّهَ جِسْمِي خَصْرَهُ
إِنَّمَا رَقَّتْهُ بِي سَقَمُ
يَتَنَاظَرُ الْخَالُ فِي وَجْنَتِهِ
أَرَأَيْتُمْ كَيْفَ يَصَلَّى الْمُغْرَمُ؟
صَنَمٌ فِي خَدِّهِ النَّارُ وَفِي
كَفِّهِ ضَرْبَتُهَا تَضْطَرِمُ^(٢)
بَنْتُ كَرَمٍ لَمْ يَهْمُ فِيهَا سَوَى
كُلِّ صَبٍّ هَامٍ فِيهِ الْكَرَمُ
حُبِسَتْ فِي دَنِّهَا مِنْ قَدَمِ
مَا لَهَا ذَنْبٌ وَلَكِنْ ظَلَمُوا

(١) الحية فيها سواد وبياض.

(٢) يقصد الخمرة وما تفعل حرارتها في النفس.

حَرِّمُوهَا حِينَ مَا خَافُوا عَلَيَّ
— هَا سَوَاهُمْ فَاسْقِنِي مَا حَرِّمُوا
إِنَّهَا سِرٌّ فَشَا بَيْنَ الْوَرَى
وَإِذَا السِّرُّ فَشَا لَا يُكْتَم

١٦ - في السفينة

[مجزوء الوافر]

تَسِيرُ بِنَا عَلَى عَجَلٍ
وَإِنْ شَاءَتْ عَلَى مَهْلٍ
وَتَسْعَى سَعْيَ مُشْتَاقٍ
بِلا قَلْبٍ وَلَا عَقْلٍ
وَتَمْشِي فِي عُبَابِ الْمَا
ءٍ مَشْيَ الصَّلِّ فِي الرَّمْلِ^(١)
فَمَا تَعْبِسُ الْحَزْنَ
وَلَا تَضْحَكُ الْبُسْهْلَ^(٢)
أَبَتْ أَنْ تَعْرِفَ الشُّكُوى
مَنْ الْتَوَّحُّرُ حَالٍ وَالْحَلْ
فُطُوراً فِي قَرَارِ الْيَمِ
لِغَامِضٍ تَسْتَجْلِي
وَأَوْنَهُ تُنَاجِيهَا
دِرَارِي الْأَفْقِ بِالْوَصْلِ^(٣)
وَأَحْيَاناً تُوَالِي سَيْدَ
رَهَا سَاكِنَةَ الظِّلِّ
وَلِلْمَوْجِ حَوَالِيهَا
زَيْرُ الْيَثِ ذِي الشُّبْلِ

(١) الصَّلِّ: الحية التي تقتل، من ساعتها، إذا نهشت.

(٢) الحزن: غلظة الطريق.

(٣) الدراري: النجوم لأنها تضيء في السماء، مثل الدرر.

رَكِبْنَاهَا وَنَارُ الشَّوْ
 قِ فِي أَحْشَائِهَا تَغْلِي
 فَيَا لِهَ حَتَّى السُّفْ
 نِ مِثْلِي مَا لَهَا مُسَلٌ^(١)
 فَلَا تَعَجَبْ إِذَا أُعْجِ
 بَ مِنْ أَطْوَارِهَا مِثْلِي
 فَمَا أَعْرِفُ مَرْكُوباً
 سَوَى الْأَفْـ رَاسِ وَالْإِبِلِ
 وَمَا أَعْلَمُ قَبْلَ الْآ
 نِ أَنَّ السَّطَّوْدَ نَاقٌ لِي^(٢)
 تَرْكَبُنَا «غَادَةَ الشُّرْقِ»
 إِلَى «لَبْنَانِ» ذِي الْفَضْلِ
 فَمِنْ وَطَنِ إِلَى وَطَنِ
 وَمِنْ أَهْلِ إِلَى أَهْلِ

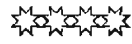
(١) أسلاه عن همّة فتسلى (من السلوان).

(٢) يريد. ناقة لي، وقد شبه السفينة بالجبل.

١٧ - يا صاح !...!

[السريع]

يا صاح كم تَفْأَحة غَضَّة
يحملها في الرُّوض غُصْنُ رَطِيبٍ
ناضجة ترتجّ في جَوْهَا
مثل ارتجاج الشُّمسِ عند المَغِيبِ
حرّضَكَ الوجدُ على قَطْفِهَا
لَمَّا غفا الواشي ونام الرقيب
لكنّ لأمرٍ أنت أدري به
رجعت عنها رجعة المُستَرِيبِ
تقول للنفس الطَّموح: اقصري
ما سرقة التفاح شأن الأريب



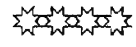
وربّ صفراء كلون الضُّحى
ينفي بها أهل الكروبِ الكروبُ
دارت على الشُّرب بها عادة
كانّها ظبي الكناسِ الرّبيب^(١)
في طرفك الساجي هُيامُ بها
وبين أحشائك شوقٌ مُذِيب
لكنّ لأمرٍ أنت أدري به

(١) الكناس: موضع الظبي في الشجر، يكتنّ فيه ويستتر. والرّيب: المربوب (من ربّه: أنشأه).

رجعت عنها رجعة المستريب
تقول للنفس الطموح اقصري
ما غر بالصهبا يوماً لبيب
إياك إياك وأكوابها
أخت الخنا هذي وأم الذنوب
وكم شفاها أرجوانية
كانها مخضوبة بالهيب
ساعدك الدهر على لئمها
ورشف ما خلف الهيب العجيب
لكن لأمر أنت أدري به
رجعت عنها رجعة المستريب
تعتف القلب على غييه
وتعذل العين التي لا تنيب
قتلت نزعاً في مهدها
ولم تطع في الحب حتى الحبيب



والآن لما انجاب عنك الصبا
ولاح في المفرق ثلج المشيب
واستسلم القلب كما استسلمت
نفسك لليأس المخوف الرهيب
أراك للحسرة تبكي كما
يبكي على النائي الغريب الغريب
تود لو أن الصبا عائد
هيهات قد مر الزمان القشيب



خَلِّ الْبُكَايَا صَاحِبِي وَالْأَسَى
الَّيْلُ لَا يُقْصِيهِ عَنْكَ النَّحِيبُ
لَا خَيْرَ فِي الشَّيْءِ انْقَضَى وَقْتُهِ
مَا لِقَتِيلٍ حَاجَةٌ بِالطَّبِيبِ!



١٨ - بلاء أم نعمة

[المقارب]

أحبُّ معانقة النرجسِ
لعينيك يا ابنة كُولَمْبُس^(١)
وأهوى الشَّقِيقَ وَلِئَمَ العَقِيقِ
لخدك والتُّغْرِ الأَلْعَسِ^(٢)
أعندك إن غبَّت عن ناظري
مشيتُ من الصبح في حُنْدَس
وأنَّ الظلام على هـولِهِ
إذا جئتِ حالٍ إلى مُشْتَمَس
وفي الصدرِ قلبٌ ولا كالقُأوبِ
متى شئتِ يسعدُ أو يتنَّعَسِ
وددتُ الإفاضة قبل اللقاء
فلَمَّا لقيتُك لم أنْبَسِ
وبتُ وإيَّاك في مَعْرَزلِ
كأنِّي وإيَّاك في مَجْلَسِ
ولو أن ما بي بالطَّود دُكَّ
وبالأسد الورْد لم يَفْرِسِ^(٣)
هممتُ فأنكرنِي مَقْولِي
وشاء الغرام فلم أهْجِسِ^(٤)

(١) وجَّهها إلى زوجته دوروثي، بصفتها مقيمة في أمريكا مع والدها نجيب موسى نياي صاحب (مرآة الغرب)

(٢) اللعس: لون الشفة إذا مال إلى السواد

(٣) الفرس. الكسر وبق العنق.

كأنني لستُ أمير الكلام
ولا صاحب المنطق الأنفسِ
جلالك، والليلُ في صمته
فلا غرورَ أن رُحْتُ كالآخرس
ومررتُ بنا ساعةً خلَّتْنا
خلَّعَنا الجسم عن الأنفسِ
وأنا من الـروض في جنَّة
وأنا من العُشب في سُندُس
كذاك الهوى فعَّله في النفوس
كفعل المدامة في الرؤس
تنبَّهَ فيها وفيَّ الهوى
فلَوْنَعِس النجم لم نَنعِس
وكلُّ فؤادٍ شديد العُرام
إذا رُضَّتْه بالهوى يُستأس
فمالت فطوقها ساعدي
منعمةً بضئة الملمس
وإن العفاف لفي بُردها
وإن الإباء لفي معطسي
وقلتُ وكفِّي في كفُّها:
ألا صرحي لي أوفاهمسي
بلاء هو الحبُّ أم نعمة؟
أجابت: تجلِّد ولا تيأس!

١٩ - الخلود

[الرمل]

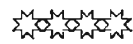
غاطَّ القائلُ: إِنَّا خالِدُونَ
كلَّنا، بعد الردى، هيُّ بن بي^(١)



لو عرفنا ما الذي قبل الوجود
لعرفنا ما الذي بعد الفناء
نحن لو كنَّا «كما قالوا» نعود
لم تخف أنفسنا ريب القضاء
إنما القولُ بأننا لخالدون
فكرة أوجدها حبُّ البقاء
نعشقُ البُقيا لأننا زائلون
والأمانى حياءُ في كلِّ حي



زعموا الأرواح تبقى سرمداً
خدعوننا... نحن والشمع سواء
يا لبث النور بها مُتَّقدا
فإذا ما احترقت باد الضياء
أين كان النور؟ أنى وجد؟
كيف ولَّى عندما زال البناء؟
شمعتي فيها لطلاب اليقين
أيُّهُ تدفع عنهم كلَّ غي^(٢)



(١) هيُّ بن بي: كناية عن لا يُعرف ولا يُعرف أبوه.
(٢) الضلال (غوى - يغوى فهو غوي).

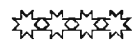
ليست الروح سوى هذا الجسد
معه جاءت ومعه ترجع
لم تكن موجودة قبل وجود
ولهذا حين يمضي تتبع
فمن الزور الموشى والفند^(١)
قولنا: الأرواح ليست تُصرع
تثبت الأفياء ما دام الغصون

فإذا ما ذهب لم يبق في



لو تكون الروح ما لا يضمحل
ما جزعنا كلما جسم همد
لو تكون الروح جسماً مستقل
لرأها من يرى هذا الجسد
كل ما في الأرض من عين وظل
سوف ينحل كما انحل الزبد
ولئن صح بأننا منشرون

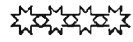
جاز أن يعقب ذاك النشر طي



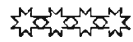
ليت من قالوا بأننا كالزهور
خبرونا أين تمضي الرائحة؟
أترى تبقى كألحان الدهور؟
أم تلاشي مثل صوت النائحة؟
ليت شعري أي خلد البذور
بعد أن تلقى بنار لافحة؟

(١) الفند: الكذب (أفند: كذب).

قل لمن يخبِطُ في لَيْلِ الظُّنُونِ
ليس بعد الموتِ للظالمِ رِي



مثالما يذهبُ لونُ الورقةِ
عندما تَيْبَسُ في الأرضِ الأصولُ
مثالما يُفقدُ نورُ الحديقةِ
حينَ أقضي.. هكذا نفسي تَزولُ
كتلاشي الشمعة المحترقة
تتلاشى بين ضحك وعويلٍ
أنا بعد الموت شيئاً لا أكونُ
حيثُ إنني لم أكن من قبلُ شيء!



إيه أبناءَ الثُّرى نَسَلِ القُرودِ^(١)
علّوا أنفسكم بالثُّرّياتِ
إلبسوا في صحوكم ثوبَ الجمودِ
واحلموا في نومكم بالمُعجزاتِ
فسياتي زمنٌ غيرُ بعيدٍ
تتهادى بينكم فيه آيات^(٢)!
ويحلُّ الله في ماءٍ وطينٍ
فيراه الشيخُ والشابُّ الأحي^(٣)!



(١) إشارة إلى نظرية داروين في أن أصل الإنسان قرد.

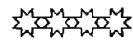
(٢) قرأناها: آيات - آيات!

(٣) الأكثر حياة (صيغة خاصة بالشاعر).

٢٠ - عيناك

[السريع]

عيناك والسحرُ الذي فيهما
صَيَّرَتَانِي شاعراً ساحراً
عَلَّمَتَانِي الحبَّ عَلَّمَتْهُ
بدر الدُّجى والغصن والطائرا



إِنْ غَبِيتِ عَنْ عَيْنِي وَجَنِّ الدُّجَى
سَأَلْتُ عَنْكَ الْقَمَرَ الزَّاهِراً
وَأَطْرُقُ الرُّوضَةَ عِنْدَ الضُّحَى
كَيْمَا أُنَاجِيَ الْبَلْبَلَ الشَّاعِراً



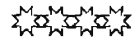
وَأَنْشِقُ الْوَرْدَةَ فِي كُمْهَا
لَأَنَّ فِيهَا أَرْجَاءَ عَاطِرَا
يُذَكِّرُ الصَّبَّ بِذَاكَ الشَّيْءِ
هَلْ تَذَكِّرِينَ الْعَاشِقَ الذَّاكِرَا؟



كَمْ نَائِمٍ فِي وَكْرِهِ هَانِيٍّ
نَبَّهَتْهُ مِنْ وَكْرِهِ بَاكِرَا
أَصْبَحَ مِثْلِي تَائِهًا حَائِرًا
لَمَّا رَأَنِي فِي الرُّبَا حَائِرَا



وراح يشكولي وأشكوله
بطش الهوى والهجر والهجرة
وككب أسمعتُه زفرتي
فبات مثلي ساهياً ساهراً



زجرتُ حتى النوم عن مُقلتي
ولم أبال اللائم الزاجرا
يا ليت أني مثَّلُ سائرُ
كيما تقولي المثلَ السَّائرا



[المقارب]

ليطرب من شاء أن يطربا
 فاست بمستمطر خبا^(١)
 عرفت الزمان قريب الأذى
 فصرت إلى خوفه أقربا
 وهذا الجديد أبوه القديم
 ولا تالد الحية الأربا
 أرى الكون يرمقه ضاحكاً
 كمن راء في تيهه كوكبا^(٢)
 ولو علم الخلق ما عنده
 أهّلوا إلى الله كي يغربا^(٣)
 ولو علم العيد ما عندهم
 أبى أن يمزق عنه الخبا
 ألا لا يغرك تهايلهم
 وقولت لهم لك: يا مرحبا!
 فقد لبسوك لكي يخالعوك
 كما تخالع القدم الجوربا
 ولوعون بالغدر من طبعهم

(١) ليطرب: تحرك الباء بالفتح ليستقر الوزن.

(٢) راء: رأى.

(٣) أهّلوا إلى الله: أرادها هنا بمعنى: رفع الصوت بالدعاء.

فَمَنْ لَمْ يَكُنْ غَادِرًا جَرِّبَا
 وَكَائِنٌ فَتَى هَزَنِي قَوْلُهُ
 أَنَا خَدْنُكَ الصَّادِقُ الْمُجْتَبَى
 أُرَافِقُ مِنْ شَكْلِهِ ضَيْغَمًا
 يُرَافِقُ مِنْ نَفْسِهِ تَعَالِيَا
 هُمُ الْقَوْمُ أَصْحَابُهُمْ مُكْرَهًا
 كَمَا يَصْحَبُ الْقَمَرُ الْغَيْهَبَا^(١)
 أَرَانِي أَوْحَدًا مِنْ نَاسِكَ
 عَلَى أَنْنِي فِي عِدَادِ الدَّبَى^(٢)
 وَأَمْرُحُ فِي بِلَادٍ عَامِرٍ
 وَأَحْسِبُنِي قَاطِنًا سَبْسَبَا^(٣)
 وَقَالَ خَلِيلِي: الْهِنَاءُ الْقَصُورُ
 وَكَيْفَ وَقَدْ مَلَأْتُ أَنْوْبَا
 أَلْفَتْ الْهَمُومَ فَلَوْ أَنْنِي
 قَدَرْتُ تَمَنَّعْتُ أَنْ أَطْرِبَا
 كَأَنَّ الْجِبَالَ عَلَى كَاهِلِي
 كَأَنَّ سُرُورِي أَنْ أَغْضِبَا
 وَكَيْفَ ارْتِيَا حُ أَخِي غُرْبَةً
 يُصَاحِبُ مِنْ هَمِّهِ عَقْرِبَا
 عَتَبْتُ عَلَى الدَّهْرِ لَوْ أَنْنِي
 أَمَنْتُ فَوَادِي أَنْ يَمْعَتَبَا
 ❖❖❖❖❖

(١) الغيهب: شدة سواد الليل. أو الظلمة إطلاقاً

(٢) الدبى: الجراد قبل أن يطير.

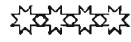
وجدتك والشَّيبُ في مَفْرِقي
 وودَّعني وأخوك الصَّيْبَا
 فليس بُكائي عاماً خلا
 ولكنَّ شَبَابِي الذي غُيِبَا
 فيا فرحاً بمجيء السنين
 تجيءُ السنون لكي تذهبَا
 عجيبٌ مشيبي قبل الأوانِ
 وأعجبُ ألا أرى أشْيِبَا
 فإنَّ نوائب عاركنها
 تَرُدُّ فتى العشرِ مُحَدِّبَا
 ويا بنت «كولب» كم تضحكين
 كأنك أبصرتِ مُستغربَا^(١)
 أليس البياضُ الذي تكرهين
 يُحبِّبُني نَغْرَكَ الأَشْنَبَا^(٢)
 فمن كان يكرههُ إشْرَاقُهُ
 فإنني أكرههُ أن يُخْضِبَا
 أحبك يا أيها المُسْتَنْيرُ
 وإن تَكُ أَشْمَتُ بي الرِّبْرِبَا^(٣)
 وأهوى لأجلك لَمْعُ البُرُوقِ
 وأعشقُ فيك أقْصاح الرُّبَا
 ✽✽✽✽✽
 ويا عامٌ هل جئتنا مُحْرِمَاً
 فنرجوك أم جئتنا مُحْرِبَا

(١) إشارة إلى أنها تسكن أمريكا (كريستوف كولب).

(٢) الشنب: برودة تُحمد في الأسنان.

(٣) الريرب: القطيع من بقر الوحش (في الأصل).

تولّى أخوك وقد هاجها
أقلُّ سلاحٍ بنيها الخُلبى
يُجندلُ فيها الخميسُ الخميس
ويصطُرِعُ المَقْنَبُ المَقْنَبُ (١)
إذا ارتفع الطَّرْفُ في جوّها
رأى من عجاجتها هيديبا (٢)
وجياشة برقها رَعْدُها
تدكُّ من الشاهق المنكبا
يسير بها الجُنْدُ محمولةً
قضاءً على عجل رُكبا
يودُّ الففتى أنه هاربُ
ويمنعه الخوفُ أن يهرُبا
وكيف النجاةُ ومقنوفُها
يطولُ من الشَّرْقِ من غرُبا؟
ولو أنه في ثنايا الغيومِ
لما أمن الغيمُ أن يُطالبا
تَسحُّ فأوَّ أن تهْتانها
حياً أنبت القاحلَ المُجْدبا (٣)
فما المنجنيقُ وأحجاره
وما الماضياتُ الرُّقاقُ الشُّبا؟ (٤)



(١) أَقْنَبَتِ الخيل نحو العدو. تجمعت وصارت مقنَّباً
(٢) العجاجة: الغبار (وجمعها: عجاج). والهَيْدَبُ: السحاب القريب من الأرض.
(٣) التهتان والحيا: المطر الخفيف.
(٤) الماضيات: السيوف. وشباها: حدّها.

إِنْ شَكَتِ الْأَرْضُ حَرَّ الصُّدَى
 سَقَاهَا النَّجِيعُ الْوَرَى صَيْباً^(٥)
 فَيَا لِحَرْوبٍ وَأَهْوَالِهَا
 أَمَا حَانَ يَا قَوْمُ أَنْ تُشْجِبَا
 هُوَ الْمَوْتُ أَتِ عَلَى رَغْمِكُمْ
 فَأَلْقُوا الْمَسَدَّ وَالْأَشْطَبَا^(١)
 وَلَا خَالِقَ الْمُؤَلِّكُ وَالْمَالِكُونَ
 فَلَا تَتَّبِعُوا فِيكُمْ أَشْعَبَا^(٢)
 وَلَمْ أَنْسَ مَصْرِعَ «تَيْتَانِكِ»
 وَمَصْرَعَنَا يَوْمَ طَارَ النَّبَا^(٣)
 فَمَنْ شِدَّةَ الْهَوْلِ فِي صَدْقِهِ
 رَغِبْنَا إِلَى «الْبَرْقِ» أَنْ يَكْذِبَا
 لِيَالِي لَا نَسْتَطِيبُ الْكَرَى
 وَلَا نَجِدُ الْمَاءَ مُسْتَعَذَّبَا
 وَبَاتَ فَوَادِي، بِهِ صَدَعُهَا
 وَبِتُّ أَحَاذِرُ أَنْ يُرَآبَا
 وَلِي نَاطِرُ غَرِقٍ مِثْلُهَا
 مِنْ الدَّمْعِ، بِالْبَحْرِ مُسْتَوَثَّبَا
 إِذَا مَا تَذَكَّرْتُهَا هَجَّتْ بِي
 أَسَى تَتَّقِيهِ الْحِشَا مَخْلَبَا
 فَأُمْسِي عَلَى كِبْدِي رَاحَتِي
 أَخَافُ مَعَ الدَّمْعِ أَنْ تَسْرِبَا^(٤)

(١) السيف يترك خطوطاً في الجسم (وهي الشُّطَبُ الواحدة: شُطْبَةٌ).

(٢) رمز الطمع في تراث العرب (ت ١٥٤ هـ).

(٣) تَيْتَانِك: الباخرة المعروفة التي غرقت في رحلتها الأولى.

(٤) سَرَب: ذهب على وجهه في الأرض.

حُطُوبٌ يراها الورى مثَلَهَا
لذلك أشفقُ أن تُكتبَبا



لقد نكب الشُّرقَ نكباته
وحاول أن ينكب المغربا
وأشقى نفوس بني آدم
ليُرْضي السراحين والأعقاب^(١)
ولو جاز بين الضُّحى والدُّجى
لقاتل فيه الضُّحى الغيَّهبا
لعلَّك تمحو جنائياته
فننسى بك الذنب والمُذنبَا
إذا كنت لا تستطيعُ الخُلود
فعش بيننا أثراً طيباً
فإنك في إثمِّه راحلٌ
مشيت السُّوكَ أو الهيدى!^(٢)



(١) السراحان. الذنب. والأعقاب. العُقبان (جمع عُقاب).
(٢) السواك: السير الضعيف. والهيدى: ضرب من مشي الخيل.

٢٢ - بلادي

[الوافر]

تركت النجم منك مُستَهَامَا
فإن تَسَّهُ سَهَا أو نَمَتَ نَامَا
بنفسك لوعةً لوفي الغوادي
لصارت كلُّ ماطرةٍ جهَامَا^(١)
وفيك صبابهً لوفي جمارٍ
لأشبهَ دمَعك الجاري أنسجامَا
هوى بك في العظام له دبيبُ
أشَابَكَ^(٢) وهو لم يبرح غلامَا
يظنَّ الليلُ يحوي فيك شخصاً
وما يحوي الدُّجى إلا عظامَا
نفيت الغمض عن جفنيك يأتي
كأنك واصلٌ فيه الملامَا
أتأرقُ ثم ترجو الطَّيف يأتي
شكاك الطيف لوملك الكلامَا
شجتك النائحاتُ بجَنح ليلٍ
فبت تُساجِلُ النُّوح الحمَامَا
لَكدت تُعلمُ الطير القوافي
وكدت تُعلمُ الليلَ الغرامَا

(١) السحاب الذي لا ماء فيه

(٢) جعل الشيب يلحق بك.

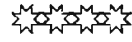
إذا ذُكِرَ الشَّامُ بِكِيتٍ وَجَدًا
وما تَنَفَّكَ تُدَكِّرُ الشَّامَا
وَكُنْتَ سَالُوتَهُ إِلَّا قَلِيلًا
وَكُنْتَ هَجَرَتَهُ إِلَّا لِمَامَا



رُويَدَكَ أَيُّهَا الْلاحي رُويَدًا
لَكَ الْوِيلاتُ لَيْتَ سَوَاكَ لَامَا
أَرْقُدُ وَالْخَطُوبُ تَطُوفُ حَوْلِي
وَأَقْعُدُ بَعْدَمَا التَّقْلَانِ قَامَا
وَيَشْقَى مَوْطِنِي وَأَنَامُ عَنْهُ
إِذَا مَنْ يَدْفَعُ الْخَطَرَ الْجُسَامَا؟
بِلَادِي! لَا عَمْرَأَ شَرُّ بِلَادِي
وَلَا بَلَغَ الْعَدَا مِنْهَا مَرَامَا
لَبِسْتُ اللَّيْلَ إِشْفَاقًا عَلَيْهَا
وَإِنْ شَاءَتْ لَبِسْتُ لَهَا الْقَتَامَا
وَقَفْتُ لَهَا الْيِرَاعَ أَذْبُ عَنْهَا
فَإِنْ يَكُ هَمٌّ^(١) وَقَفْتُ لَهَا الْحُسَامَا
سَقَى قَطْرَ الشَّامِ الْقَطْرُ عَنِي
وَحَيًّا أَهْلَهُ الصَّيْدَ الْكَرَامَا
دَوَتْ صِيحَاتُهُمْ فِي كُلِّ صُقْعٍ
فَكَادَتْ تَنْشُرُ الْمَوْتَى الرَّمَامَا
وَتَطْبَعُ فِي الْمُحْيَا الْجَهْمَ بِشْرًا
وَتُغْلِقُ فِي فَمِ التَّكْلِ ابْتِسَامَا
فَحَوَّلْتُ الْقَنْوُوطَ إِلَى رَجَاءٍ
وَصَيَّرْتُ الْوَنَى فِينَا اعْتِزَامَا

(١) يعني. البطء والتراخي في النجدة (كهم - يكهم).

عَدُونَا كُلَّمَا ذُكِرُوا طَرِينَا
كَأَنَّ بِنَا الْمُعْتَقَّةَ الْمُدَامَا
وَلَمْ أَرْ كَالضَّمِيرِ الْحَرْفُ فُخْرًا
وَلَمْ أَرْ كَالضَّمِيرِ الْعَبْدَ ذَامَا
إِذَا غَابَ الدَّلِيلُ النَّفْسَ عَنِّي
نَظَرْتُ إِلَى الَّذِي حَمَلَ الْوَسَامَا
إِذَا جَلَبَ الْكَلَامُ عَلَيَّ عَارًا
هَجَرْتُ النَّطْقَ أَحْسَبُهُ حَرَامَا
وَأَجْفُو الْقَصْرَ يُلْزِمُنِي هَوَانًا
وَأَهْوَى الْعِزَّ يُلْزِمُنِي الْحَمَامَا



رَجَالَ التُّرْكِ مَا نَبْغِي انْتِقَاضًا
لَعَمْرُكُمْ وَلَا نَبْغِي انْتِقَامَا
وَلَكِنَّا نُنْطَالِبُكُمْ بِحَقٍّ
وَنَكْرَهُ مَنْ يَرِيدُ لَنَا اهْتِضَامَا
حَمَلْنَا نِيرَ ظُلْمِكُمْ قُرُونًا
فَأَبْلَاهَا وَأَبْلَانَا وَدَامَا
رَعِيْتُمْ أَرْضَنَا فَتَرَكْتُمُوهَا
إِذَا وَقَعَ الْجَرَادُ رَعَى الرَّغَامَا^(١)
فَبَاتَ الذَّنْبُ يَشْكُوكُمْ عُوَاءً
وَبَاتَ الظُّبْيُ يَشْكُوكُمْ بُغَامَا^(٢)
جَرِيْتُمْ (بِالْهَلَالِ) إِلَى مُحَاقٍ
وَلَوْلَا جَهْلُكُمْ بَلَغَ التَّمَامَا

(١) الرغام: التراب.

(٢) البغام: صوت الظبية.

وَكُنْتُمْ كُلُّ مَا زِدْنَا لِيَاناً
 لِنَسْبُرَ غَوْرَكُمْ زِدْتُمْ غُرَامَا
 فَمَا رَاقِبْتُمْ فِينَا جَوَاراً
 وَلَا حَفَظْتُمْ لَنَا يَدُكُمْ ذِمَامَا
 أَثَرْتُمْ بَيْنَنَا الْأَحْقَادَ حَتَّى
 لَيَقْتُلُ بَعْضُنَا بَعْضاً خَصَامَا
 وَشَاءَ اللَّهُ كَيْدَكُمْ فَبِتَّنَا
 كَمِثْلِ الْمَاءِ وَالْخَمْرِ التَّنَامَا
 فَجَهَلًا تَبِعْتُمُ الرُّسُلَ فِينَا
 تَدِيفُ لَنَا مَعَ الْأَرْيِ السَّمَامَا (١)
 سَنَرْمُقُهُمْ إِذَا طَلَعُوا عَلَيْنَا
 كَأَنَّا نَرْمُقُ الدَّاءَ الْعُقَامَا (٢)
 فَإِنْ عُرِيَ شَدَدْنَاهَا وَثَاقاً
 نَمُوتُ وَلَا نُطِيقُ لَهَا انْفِصَامَا
 خَفَ التُّرْكِي يَحْلِفُ بِالْمَثَانِي
 وَخَفَّةُ كُلِّ مَا صَلَّى وَصَامَا
 وَمَنْ يَسْتَنْزِلِ الْأَتْرَاكَ خَيْراً
 كَمَنْ يَسْتَقْقِسُ الْمَاءَ الضَّرَامَا
 هُمْ نَزَعُوا لَوَاءَ الْمُلْكِ مِنَّا
 وَنَارَعَنَا طَغَامُهُمْ (٣) الطَّعَامَا
 وَقَالُوا: نَحْنُ لِلْإِسْلَامِ سُورُ
 وَإِنْ بَنَّا الْخِلَافَةَ (وَالْإِمَامَا)

(١) داف: خلط. والأرّي: العسل. والسّم: القاتل، وجمعه: سِمَام.

(٢) الداء الذي لا يبرء منه.

(٣) الطعام: الغوغاء.

فهل في دين أحمد أن يجوروا
وهل في دين أحمد أن نضاماً؟
إلى كم يحصرون الحكم فيهم
وكم ذا يبتغون بنا احتكاماً
السُّننا نحن أكثرهم رجلاً
إذا عُلِّوا وأرفعهم مقاماً
إذا طلعت ذُكاءٌ فليس تخفى
ولو حاكوا الظلام لها لثاماً
❖❖❖❖❖

مخوَّفنا المثقَّفَة العوالي
لقد هدَّتْ بالجمر النُّعاماً^(١)
سنوقدها تُعير الشمس ناراً
ويُعَيي أمرها الجيش اللُّهاماً^(٢)
وعلم المرء أن الموت أت
يُهونُ عنده الموت الزُّواماً

(١) المعروف أن النعامة تدفن رأسها في الرمال الحارة.

(٢) اللُّهام الجيش الكثيف الذي يلتهم كل شيء.

٢٣ - البلبل السجين

[مطلع البسيط]

يَا رَبَّ لَيْلٍ بَلَا سَنَاءٍ^(١)
كَأَنَّمَا بَدْرُهُ يَتِيمٌ
مَشَى بِهِ الْيَأْسُ فِي الرَّجَاءِ
كَأَنَّهُ النَّارُ وَالْهَشِيمُ
❖❖❖❖❖

لَيْتَ الدُّجَى رَقَّ لِمَحَبِّ
أَوْ لَيْتَ لِي مَهْجَةً حَجَرٌ
أَقْضُ هَذَا الْفِرَاشُ جَنَنِي
كَأَنِّي فِي مَضْجَعِي الْإِبْر^(٢)
هَلْ بَكَ يَا نَجْمٌ مِثْلُ كَرْبِي؟
أَمْ أَنْتَ مِنْ طَبْعِكَ السَّهَرُ؟
سَهَرْتَ شَوْقاً إِلَى ذُكَاءٍ؟
أَمْ عِنْدَكَ الْمُقْعَدُ الْمُقِيمُ؟
أَبْكِي وَتُصْغِي إِلَى بَكَائِي
يَا رَبُّ! هَلْ تَعْشِقُ النُّجُومُ؟
❖❖❖❖❖

قَدْ نَالَ قَرْطُ السُّهَادِ مِنِّي
وَاشْتَقَاقُ طَرْفِي إِلَى الْهُجُوعِ

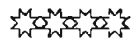
(١) يريد: السنا، وهو النور.

(٢) أقض المضجع، وأقض عليه المضجع: خشن، أو جعله خشناً

وَقَرَّحَ الْجَفْنَ مَاءً جَفُّنِي
فِي الْحَبِّ، مَا فَاضَ مِنْ دَمُوعِي
وَشَابَ رَأْسِي مِنَ التَّجَنُّي
يَا لَيْتَ ذَا الشَّيْبِ فِي الْوُلُوعِ^(١)
لَعَلَّ فِي سَالُوتِي شِفَائِي
هِيَ هَاتِ دَاءُ الْهُوَى قَدِيمُ
مَا يَحْسِبُ النَّاسُ فِي رَدَائِي؟
فِي بُرَّتِي هِيَ كُلُّ رَمِيمِ!



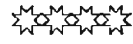
قَدْ طَالَ يَا لَيْلُ فَيْكَ صَبْرِي
وَأَشْبَهْتُ سَاعُكَ الْقُرُونَا
فَقُلْ لِهَذَا النُّجُومِ تَسْرِي
أَوْ فَاسْأَلِ الصُّبْحَ أَنْ يَبِينَا
وَإِنْ تَشَاءُ أَنْ تَكُونَ قَبْرِي
فَكُنْ كَمَا شِئْتَ أَنْ تَكُونَا
فَلَبِي سَكُونُ إِلَى الْبَلَاءِ
قَدْ يَأْلَفُ الْعِلَّةَ السُّقْيِمُ
مَنْ كَانَ فِي قَبْضَةِ الْهَوَاءِ
هَانَ عَلَى نَفْسِهِ النَّسِيمُ!



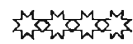
قَرَّبَ بَيْنَ الضُّنَى وَجِسْمِي
مَا أَبْعَدَ النَّوْمَ عَنْ جُفُونِي
يَا لَيْلُ فَيْكَ الرَّقَادُ خَصْمِي
يَا لَيْلُ مَا فَيْكَ مِنْ مُعِينِ

(١) الولوع: مثل الولع (ولع - يولع - ولعاً).

سوى شج هممه كهمي
ينشد والليل في سكون
أيمرح اليوم في الخلاء
وتمسك البابل الهموم؟
هذا ضلال من القضاة
فلا تمنني إذا ألوم

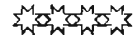


يا سيد المنشدين طراً
وصاحب المنطق المبين
لو كنت يوماً أو كنت نَسْراً
ما بت في أسرك الممهين
خُلقت، لمّا خُلقت، حُرّاً
فَرَجَّك الحُسْنُ في السُّجونِ
وأطلق اليوم في الفضاء
زعم الـورى أنه دميم
وأنه غـيـرُ ذي رُوء
ولا له صوتك الـرخـيم!



تيمك الـروض فيه حتى
تخذت باحاته مقاماً
رأيت فيه النعيم بحناً
ولم تر عنده الأنعاماً
ملؤوا الأحابيل فيه شتى
أقلها يـجلبُ الحماماً

لو كنت كالْبُوم في الجفاء
ما صادك المنظرُ الوسيمُ
أصبحت تبكي من الشُّقاء
ليضحك الأسرُ المُضيمُ!



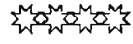
والمرء وحشٌ فإن تَرَقَّى
أصبح شَرّاً من الوحوشِ
فَخَفَهُ حُرّاً وخَفَهُ رِقّاً
وخَفَهُ مَلِكاً على العُروشِ^(١)
فالشَّرُّ في الناس كان خَلْقاً
وأيُّ طيرٍ بغير ريش؟
ما قام فيهم أخو وفاء
يحفظ عهداً ولا رحيمُ
فكلُّ مُستضعفٍ مُراءٍ
وكلُّ ذي قُوّةٍ غَشُومُ!



إن كان للوحش من نُيُوبٍ
فالناسُ أنيابُهم حديدُ
ما كان، والله، للحروبِ
لولا بنو آدم وجودُ
لو أمّحى عالمُ الخُطوبِ
لقام منهم لها مُعيدُ
قد نسبوا الظالم للسماءِ
وكلّهم جائرٌ ظالمُ

(١) يريد بالرق: الرقيق.

لَمْ يَخْلُ مِنْهُ أَخُو النُّرَاءِ
وَلَا الْفَتَى الْبَائِسُ الْعَدِيمُ



أَعْجَبُ مَا فِي بَنِي التُّرَابِ
قَتَلَهُمْ فَوْقَهُ عَالِيَهُ
قَدْ صَيَّرُوا الْأَرْضَ كَالْكِتَابِ
وَانْحَشَرُوا بَيْنَ دَفْنَيْهِ
وَاسْتَعْجَلُوا الْمَوْتَ بِالْعَذَابِ
وَكَلُّهُمْ صَائِرٌ إِلَيْهِ

مَا خَابَ دَاعٍ إِلَى الْعَدَاءِ
وَلَمْ يَفُزْ نَاصِحٌ حَكِيمٌ
مَا رَغِبَ النَّاسُ فِي الْفَنَاءِ
لَكِنَّمَا ضَاعَتِ الْحُلُومُ^(١)

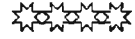


لَوْلَمْ يَكُ الظُّلْمُ فِي الطَّبَائِعِ
مَا اسْتَنْصَرَ الْعَاجِزُ الْعِدَالَةَ
لَوْ عَدَلَتْ فِيهِمُ الشَّرَائِعُ
مَا اسْتَحْدَثُوا لِلْقِتَالِ آلَةً
عَجِبْتُ لِلْقَاتِلِ الْمُدَافِعِ
جَزَاؤُهُ الْمَوْتُ لَا مَحَالَةَ
لَكِنَّمَا سَافَكُوا الدِّمَاءَ
يَوْمَ الْوَعَى قَادَةُ قُرُومٍ^(٢)

(١) الْحُلُومُ: العقول، مفردها: حِلْمٌ.

(٢) الْقُرْمُ: السيد المكرم.

وهكذا المجرمُ الفدائي
في عُرفهم فاتحٌ عظيمٌ!



أقربُ من هذه الضلالة
أن يحكم الواحدُ الألوفا
ويدعي الفضلَ والنُّباله
من يسلبُ العاملَ الرغيفا
يا قومُ ما هذه الجهالة
قد حان أن تُنصفوا الضعيفا
فراقبوا ذمّة الإخاء
ولتنس أحقادها الخُصومُ! (١)
لا تتبعوا سنّة البقاء
فإنّها سنّةُ ظالمٍ!



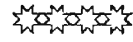
(١) جعل الخصوم في مقام الجماعة.

٢٤ - أنت....

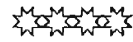
[الخفيف]

مهبِطُ الوحي مطلع الأنبياء
كيف أمسيت مهبِطَ الأرزاء؟
في عُيونِ الأنعامِ عنك نُبوُّ
لم يكن في العيونِ لو لم تُسائي
أنتِ كالحرّةِ التي انقلب الدهرُ
رُ عليها فأصبحت في الإماء
أنتِ كالبردة الموشاة أبلى الطُّ
طَيُّ والنشرُ ما بها من رواء
أنتِ مثلُ الخميالة الغنّاء
عُرِيتُ من أوراقها الخضراء
أنتِ كالليث قَلَمَ الدهرِ ظفيري
له وأخني عليه طولُ التّواء
أنتِ كالشّاعرِ الذي ألف الوحد
دّة.. في محفلٍ من الغوغاء
أنتِ مثل الجبار يرسفُ في الأعْد
لال، في مشهدٍ من الأعداء
لو تشائين كنتِ أرفهَ حالاً
أو لستِ قديرةً أن تشائي
أنا ما زلتُ ذا رجاءٍ كثيرٍ
ولئن كنتُ لا أرى ذا رجاء

قد بكى التَّارِكُوكُ مِنْكَ قُنُوطاً
فبكى السَّاكِنُوكُ خَوْفَ التَّنَائِي
كثُرَ النَّائِحُونَ حَوْلَكَ حَتَّى
خَلَّتْ أَنِي فِي حَاجَةِ الْعِزَاءِ
بَذَلُوا دِمْعَهُمْ وَصُنَّتْ دُمُوعِي
إِنَّمَا الْيَائِسُونَ أَهْلُ الْبِكَاءِ
لَوْ تَفِيدُ الدَّمُوعُ شَيْئاً لَأَحْيَتْ
كُلَّ عَافٍ^(١) مَدَامْعُ الشُّعْرَاءِ
أَنْتِ فِي حَاجَةٍ إِلَى مِثْلِ (مُوسَى)
لَسْتَ فِي حَاجَةٍ إِلَى (إِرْمِيَاءَ)^(٢)



مُقَلَّةَ الشَّرْقِ! كَمْ عَزِيزٌ عَلَيْنَا
أَنْ تَكُونِي رَمِيَّةَ الْأَقْدَاءِ^(٣)
شَرَدْتَ أَهْلَكَ النَّوَائِبُ فِي الْأَرْضِ
ضَوْكًا وَكَانُوا كَأَنْجُمِ الْجُوزَاءِ
وَإِذَا الْمَرْءُ ضَاقَ بِالْعَيْشِ ذَرْعاً
رَكِبَ الْمَوْتَ فِي سَبِيلِ الْبَقَاءِ
لَا يُبَالِي مُغْرَبٌ فِي نَوَاهِ
أَنْ يَرَاهُ نَوَاهِ فِي الْغُرَبَاءِ



أَرْضِ أَبَائِنَا عَلَيْكَ سَلَامٌ
وَسَقَى اللَّهَ أَنْفُسُ الْأَبَاءِ

(١) العافي. طالب المعروف، والجمع عفاة.

(٢) النبي موسى سعى في خلاص شعبه، أما إرمياء (وهو من كبار أنبياء بني إسرائيل - القرن السابع ق.م) فعكف يبكي ما هم فيه بعد أن تنبأ بسقوط (أورشليم) في يد البابليين. نسب إليه كتاب يجمع مراثيه!

ما هجرناك إذ هجرناك طَوْعاً
 لا تَظَنِّي العَقُوقَ في الأَبْناءِ
 يُسَامُ الخُلْدُ والحَيَاةُ نَعِيمٌ
 أَفَتَرْضَى الخُلُودَ في البِئْسَاءِ؟
 هذه أَرْضُنَا بَلَّاقِعٌ، تَمْشِي
 فوقها كُلُّ عاصِفٍ هَوَّجاءٍ^(١)
 هذه دُونُنَا مَنَازِلُ اللَّبُوءِ
 مِمْكَانَتِ مَنَازِلِ الوَرَقَاءِ^(٢)
 بَدَّلَتْهَا السَّنُونُ شُوكاً مِنَ الزَّهْرِ
 رِجْلُهَا وبِالْوَحْشِ مِنْ بَنِي حَوَّاءِ
 مَا طَوَتْ كَارِثاً يَدُ الصُّبْحِ إِلَّا
 نَشَرَّتْهُ لَنَا يَدُ الإِمْسَاءِ
 نَحْنُ فِي الأَرْضِ تَائِهُونَ كَأَنَّا
 قَوْمُ مُوسَى^(٣) فِي اللَّيْلَةِ اللَّيْلَاءِ
 تَتَرَامَى بِنَا الرِّكَائِبُ فِي البَيْدِ
 سَدَاءُ طُوراً؛ وَتَارَةً فِي المَاءِ
 ضُعُوفَاءُ مُحَقَّقُونَ كَأَنَّا
 مِنْ ظِلَامٍ وَالنَّاسُ مِنْ لَأَلَاءِ
 وَاغْتِرَابُ القَوِيِّ عَزٌّ وَفَخْرٌ
 وَاغْتِرَابُ الضَّعِيفِ بَدءُ الفَنَاءِ
 عَابَنَا البَيْضُ أَنَّنَا غَيْرُ عُجْمٍ
 وَالْعَبْدِيُّ^(٤) بِالسُّحْنَةِ البَيْضَاءِ

(١) البلقع والبلقعة: الأرض الفقر التي لا شيء فيها وأراد بالعاصف: العاصفة.

(٢) الورقاء: الحمامة

(٣) يشير إلى تيه موسى وقومه، في صحراء سيناء، بعد خروجهم من مصر.

(٤) العبدى: أحد جموع العبد، وهي كثيرة.

ويح قومي قد أطمع الدهرُ فيهم
كلَّ قومٍ حتى بني السَّوداءِ
فإذا فاتنا عدوٌّ تجنَّيْ
فأرانا الأحباب في الأعداءِ
أطربتنا الأقلامُ لمَّا تَغَنَّتْ
بالمساواة بيننا والإخاءِ
فسكرنا بها فلمَّا صحونا
ما وجدنا منها سوى أسماء!



نحن في دولة تلاشت قُوأها
كالنُّضار^(١) المدفون في الغبراءِ
أو كمثِّل الجنينِ ماتت به الحا
ملٌ حيًّا يَجول في الأحشاءِ
عجباً كيف أصبح الأصلُ فرعاً
والضحى كيف حلَّ في الظُّلِّماءِ
ما كَفَتْنَا مَظالمُ التُّرك حتى
زحفوا كالجراد أو كالوباءِ
طُردوا من ربوعهم فأرادوا
طَرَدْنَا من ربوعنا الحسناءِ^(٢)
ما لنا، والخطوبُ تأخذُ منَّا
نَتَلَهَّى كأننا في رخاءِ
ضيم أحرارنا وريع حمانا
وسكَّتْنَا، والصَّمْتُ للجُبْناءِ

(١) الذهب الخالص.

(٢) يعني: اليهود.

نهضة تكشفُ المذلةَ عنّا
فلقد طال نومُنا في الشقاء
نهضةً تلفت العيونَ إلينا
إنّ خوف البلاء شرُّ بلاء
نهضةً يحمل الأثيرُ صداها
للبرايا في أولِ الأنبياء
نهضةً تُبلغ النفوسَ منهاها
فهي مشتاقةٌ إلى الهيجاء
إنّ ذا الملك هيكٌ نحن فيه الـ
قلبُ، والقلبُ سيّدُ الأعضاء
زعم الخائنون أنّا بما نبغ
فيه نبغي الوصولَ للعنقاء^(١)
سوف يدرون أنّما العُربُ قومٌ
لا يُبالون غير ربّ السماء
يوم لا تُنبِت السهولُ سوى النّـا
س، وغير الأسنة السّمراء
يوم تمشي على جبالٍ من الأشـ
لاء، تمشي في أبحرٍ من دماء
يوم يستشعرُ المراءون منّا
إنّما الخاسرون أهلُ الرياء

(١) أصل العنقاء طائر عظيم، معروف الاسم، مجهول الجسم، خلقته المخيّلة، وأصبح يعني: الداهية.

٢٥ - معركة بورغاس^(١)

[الكامل]

هذي الوغى مشبوبة النيران
مشدودة الأسباب والأقتران^(٢)
شابت مفارقها وكانت طفلة
عذراء منذ دقائق وثوان
طوي السلام فليس ينشر بعدها
أو يبعث الملوذ في الأكفان
شقوا الطروس وحطّموا أقلامكم^(٣)
اليوم يوم شواجر المُرّان^(٤)
هانت على الصمصام كل يراعة
ما لليراعة في الحروب يدان^(٤)
يا صاحبي! ليس الوغى من مذهبي
هاتيك وسوسة من الشيطان
فالناس إخوان وليس من النّهي
أن يفتك الإخوان بالإخوان
لو تعقل الأجناد أن ملوكها
أعداؤها انقلبّت على التّيجان

(١) Burgos مدينة في شمال إسبانية كانت فيها وقعة بين الجيش العثماني وقوى أوروبا الشرقية، بعد سقوط

مقدونيا (في شبه جزيرة البلقان) في القرن الرابع عشر.

(٢) يريد: مشدودة حبالها: السبب والقرن، كلاهما يعني: الحبل.

(٣) المُرّان: الرماح الصلبة اللدنة واشتجرت: دخل بعضها في بعض، كغصان الشجر. كناية عن المواجهة.

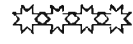
(٤) اليراعة: القصب، والجمع: يراع.

قومُ إذا شأؤوا الصعود لطلبِ
تَخذوا مراقبيهم من الأديان
أو إن كرهت الحرب كنت يراعه
وإذا قتلت أخاك غير جبان؟
إن كان قتلي النفس غير مُحرمٍ
ما الفرقُ بين المرءِ والحيوان؟
الحربُ مجلبةُ الشُّقاوة للورى
والحربُ يعشُّقُها بنو الإنسان
لن الخَميسُ خوافقُ راياته
مُتماسكُ الأجزاء كالبنيان
متألبُ كالليل جنُّ سواده
مُستوفزُ كالقدرِ في الغَليان
مُتدفِّقُ كالسَّيل في الغُدرانِ
متدفعُ كالعاصفِ المرَّنان^(١)
تتزلزلُ الأطوادُ من صدماته
وتظلُّ منه الأرضُ في رجفان
عجلانُ يكتسحُ البلادَ وأهلها
إن الشَّقِي العاجزُ المتَّواني
في كلِّ سرجٍ ضيغمُ متحفَّزُ
في كَفِّه ماضي الشُّبابة يمان^(٢)
سمَحُ إذا ضنَّ الجبانُ بروحه
فكأنَّما في جسمه رُوحان
ما صانَ مُهجَّتَه التي في صدره
إلا ليَبْذُلها بيوم طعان

(١) نو الرنين، لخفق رياح العاصفة.

(٢) الشبابة: الحد. يريد: الحد الماضي.

لا شيء، يوم الروع، أجملُ عنده
من أن يُرى والقرنَ يصطَرمَان^(١)



يا ربُّ معركة تراكم نَقْعُها
حتى اختفى في ظلّها الجيشان^(٢)
باتت صقالُ الهند في أقيائها
كالبرقِ يسطَعُ من خلال نُخان
والخيلُ طائرةً على أرسانها
تهوى لو انعتقت من الأرسان
نوت المدافع كالرعود قواصفًا
نطقَ الحديدُ فعيَّ كلُّ لسان^(٣)
ترمي بأشباه الرُّجوم تخالها
حمرَاءُ قد صيغت من المَرَّجان
ما إن تطيشُ وإن نأت أغراضُها
ولكم تطيشُ قذائفُ البُركان
صخَّابةٌ تذرُّ الحصونَ بلاقعاً
وتدكُّها دكًّا إلى الأركان
تنقضُّ والفرسانُ في آثارها
تنقضُّ مثلَ كواسرِ العُقْبَان^(٤)
هي وقعه ضجَّت لها الدنيا كما
ضجَّت وضجَّ الناسُ في «سيدان»

(١) القرن: هو القرن المساوي.

(٢) النقع: غبار المعركة. والجيشان هما الجيش العثماني وقوى أوروبا الشرقية.

(٣) عيٌّ وعيي - يعيا: من الإعياء والتعب.

مشّت المنايا حاسراتٍ عندها
تتطَلَّبُ الأرواحُ في الأبدانِ
فعلى أديمِ الجوِّ ثوبٌ أسودٌ
وعلى أديم الأرض ثوبٌ قانٍ
وإذا نظرت إلى الجُسومِ على التُّرى
أبصرت كُثباناً على كُثبانٍ
لَمَّا رأوا (بورغاس) ضرةً (مَكْدَن)
حملوا عليها حملةً اليابان^(١)
وقد انجلت فإذا الهلالُ منكسٌ
عَلَمٌ طَوَّتهُ رايةُ الصُّلحانِ
رجحت قُواهرهم أيما رُجَّحانٍ
فيها، وشالَ التُّركُ في الميزانِ
نفروا لكَالحُمُرِ^(٢) التي رُوِّعَتْها
بابن الشُّرى المتجهِم الغَضبانِ
وقلوبهم قد أسرعَتْ ضرباتُها
وتظنُّها وقفت عن الخفقانِ
مُتلفَّتَيْنِ إلى الوراءِ بأعينٍ
تَتَخَيَّلُ الأعداءَ في الأجفانِ
يتأمَّسون من المنية مهرباً
هيهات إنَّ الموت كلُّ مكانٍ
والله ما ينجُّونَ من أشراكه
ولو استعاروا أرجلَ الغزلانِ

(١) يريد. مكدونيا (مقيدونية) Macédoine التي سقطت في يد العثمانيين في القرن الرابع عشر.

(٢) يُجمع (الحمار) على حُمُرٍ وحُمُرٍ وأحْمرة.

أَسْلَابُهُمُ لَلظَّافِرِينَ غَنِيمَةٌ
وَجُسُومُهُمُ لِلحَاجِلِ الْغَرَثَانِ^(١)
إِنْ يَأْمَنُوا وَقَعَ الْأَسِنَّةُ وَالطُّبَى
فَالذُّعْرُ طَاعَنُهُمْ بِشَرِّ سَنَانٍ
❖❖❖❖❖

مَا أَنْسَى لَا أَنْسَى عَصَابَةَ خُرْدٍ
فِي اللَّهِ مَسْعَاهُنَّ وَالْإِحْسَانِ^(٢)
عَفْنُ الْوَثِيرِ إِلَى وَسَائِدِ قَضَّةٍ
وَنَزْحَنُ عَنْ أَهْلِ وَعَنْ أَوْطَانِ^(٣)
وَوَقَفْنَ أَنْفُسَهُنَّ فِي الدُّنْيَا عَلَى
تَأْمِينَ مُلْتَاعٍ وَنُصْرَةٍ عَانٍ
يَحْمِلُنَ أَلْوِيَةَ السَّلَامِ إِلَى الْأَلَى
حَمَلُوا لَوَاءَ الشَّرِّ وَالْعُدْوَانِ
كَمْ مِنْ جَرِيحٍ بِالنَّجِيعِ مُخَضَّبٍ
فِي الْأَرْضِ لَا يَحْنُو عَلَيْهِ حَانٍ
مَا رَاعَهُ طَيْفُ الْمَنِيَّةِ مَثَلَمَا
رَاعَتْ حَشَاهُ فُرْقَةُ الْخُلَانِ
فَلَهُ، إِذَا ذَكَرَ الدِّيَارَ وَأَهْلَهُ،
أَهُّ الْغَرِيبِ وَأَنَّهُ النَّكْلَانِ
نَفْسُنْ مِنْ بُرَحَائِهِ، وَأَسْوَنَهُ
وَأَعْضَنَهُ مِنْ خَوْفِهِ بِأَمَانِ^(٤)

(١) حَجَل - يحجل: مشى مشية المقيّد. والغرثان: الجانح (غرث - يغرث: جاع).

(٢) الخريدة: البكر من النساء.

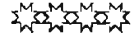
(٣) القضة: من قضّ المضجع وأقض. نيا وخشن.

(٤) البرحاء: الشر والعذاب الشديد. أسوئته: من أساه (داوئنه). أعضنه: عوّضه.

ما حَبَّبَ الْجَنَّاتِ عِنْدِي أَنَهَا
مَثْوَى سَلامٍ، مُسْتَقَرٌّ حَسَنان
لَوْلا حَنانُ الْغَانِيَاتِ وَعَطْفُهَا
مَا كَانَتِ الدُّنْيَا سِوَى أَحْزَان



مَنْ مُسْمِعِ الْأَيَّامِ عَنِّي نَبَأَةً
يَرْتَاعُ مِنْهَا كُلُّ ذِي وَجْدَان
إِنَّ الْأَلَى جَبُنُوا أَمَامَ عُدَاتِهِمْ
شَجَعُوا عَلَى الْأَطْفَالِ وَالنِّسْوَان
وَصَوَارِمًا قَدْ أُغْمِدَتْ يَوْمَ الْوَعَى
شُهِرَتْ عَلَى الْأَضْيَافِ وَالْقُطَّان
أَكْذَا يُجَازَى الْأَمْنُونَ بِدُورِهِمْ
أَوْ هَكَذَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ؟



أَخْنَى عَلَى الْأَثَرِكَ دَهْرٌ حَوْلُ
أَخْنَى عَلَى الْيُونَانِ وَالرُّومَان
وَطَوَى مُحَاسِنَ «يَلْدِز» قَدَرُ طَوَى
رَبُّ السُّدَيْرِ وَصَاحِبُ الْإِيوَان^(١)
فَالْيَوْمَ لَا أَسْتَانُهُ أَسْتَانُهُ
تَزْهَوُولا السُّلْطَانُ بِالسُّلْطَانِ^(٢)
دَارَتْ دَوَائِرُهُ عَلَيْهَا مِثْلًا مَا
دَارَتْ دَوَائِرُهُ عَلَى «طَاهِرَان»

(١) (يلدز): قصر السلطان عبد الحميد الثاني. و(السدير) أخو (الخورنق) في الحيرة عاصمة المناذرة. و(الإيوان) إيوان كسرى وهو قائم إلى اليوم.

أُمنِهي الأضغانِ كيف هجَعْتُم
لَمَّا تَنبَهَ نائمُ الأضغانِ
وحكومةُ الأشياخِ ويحك ما الذي
خالفت فيه عُصبةَ الفتیانِ
قالوا: لنا المُلْكُ العريضُ وجأههُ
كَذَبُوا، فإنَّ المُلْكُ للرحمنِ
ما بالُ قومي كلما استصرختُهُم
وضَعُوا أصابعهم على الأذانِ
أبناءُ سورياَ الفتاةَ تضافروا
وَحُنُوا مَنَّا لَتَكُم عن البلقان^(١)
ما التركُ أهلٌ أن يُسودوا فيكمُ
أو تُحَكِّمَ الأسادُ بالظُّلُمانِ^(٢)
هم ألبسُوا الشرقيَّ ثوبَ غَضاضةٍ
وسَقَّوهُ كأسِي ذلَّةٍ وهوانِ
فإذا جرى ذكرُ الشُّعوبِ بموضعٍ
شمخت، وطأطأ رأسه العثماني!..

(١) أراد بالثألة: المِثال (في المعاجم: حسن الحال).

(٢) الظليم: ذكر النعام (وجمعه: ظُلُمان).

٢٦ - خير شيء

[الوافر]

ذهبتُ مُسأئلاً عن خَيْرُ شَيْءٍ
لأَعْرِفَ كُنْهَ أَخْلَاقِ الْبِرِّ
فَقَالَتْ لِي الْكُنَيْسَةُ: خَيْرُ شَيْءٍ
هُوَ الزُّهْدُ الَّذِي يَمْحُو الْخَطِيئَةَ
وَقَالَتْ لِي الشَّرِيعَةُ: خَيْرُ شَيْءٍ
شُؤْمُ الْعَدْلِ أَبْنَاءِ الرِّعْيَةِ
وَقَالَ: الشُّهْرَةُ، الْجَنْدِيُّ، خَيْرُ
وَإِنْ كَانَتْ تَقُودُ إِلَى الْمَنِيَّةِ^(١)
وَقَالَ أَخُو الْحَصَافَةِ: خَيْرُ شَيْءٍ
هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ بِلَا مَرِيَّةٍ
وَقَالَ أَخُو الْجَهَالَةِ: خَيْرُ شَيْءٍ
سُرُورُ النَّفْسِ فِي الدُّنْيَا الدُّنْيَا
وَقَالَ لِي الْفَتَى: وَصَلُ الصَّبَابَا
وَقَالَتْ لِي: الْهُوَى، الْبَنْتُ الصَّبِيَّةُ^(٢)
وَلَمَّا أَنْ خَلَوْتُ سَأَلْتُ نَفْسِي
لأَعْرِفَ رَأْيَهَا فِي ذِي الْقَضِيَّةِ
فَقَالَتْ: لَا أَرَى خَيْراً وَأَبْقَى
مِنَ الْإِحْسَانِ لِلنَّفْسِ الشَّقِيَّةِ

(١) فاعل الفعل في البيت، هو الجندي.

(٢) فاعل الفعل هي البنت الصبية.

٢٧ - حكاية حال

[مجزوء الكامل]

الحشـدُ ملءُ الدارِ لـ
— كنْ لم يرَ أحداً سواها
فَنَنْـانَـهُ خَلاَّبَـهُ
كالياسمينة في شذاها
أوفى عليها وهي تَحْـ
— طرُّ كالفراشة فاشتتهاها
شكَّتِ الصَّبَابَةَ مُقَاتِـا
هـُ فجاوبته مُقَاتِـاها
حتى إذا ما اختار كُـا
لُ فتى رفيقته اصطفاها
ورأت به من تبـتبـغي
وكمما رآته كذا رآها
وتقدِّمًا لـ لـرقص يقـ
— راً ناظره ناظراها
متلاصقي^(١) الجسمين يسـ
— نُدُّ ساعديه ساعداها
وتكاد لولا الخوفُ تَلـ
— مسٌ وجنتيه وجنتهاها
متدافعين كموجتَيـ
ن، خُطاه تتبعُها خُطاهـا

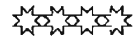
(١) يريد: «متلاصقي».

يَمْشِي فَتَمْشِي وَهِيَ تَحْ
سَبَّهْ يَسِيرُ عَلَى حَشَاهَا
هِيَ فِي لَيْثَامٍ كَالدُّجَى
مُحَاوَلِكٍ وَكَذَا فَتَاهَا
لَكِنَّمَا الْأَلْحَاطُ تَخْ
تَرِقُ السُّتُورَ وَمَا وِزَاهَا
فَاضِ الْغُرَامُ فَقَالَ أ
هْ وَقَالَتِ الْحَسَنَاءُ أَهْ
فَانْسِلْ مِنْ أَصْحَابِهِ
سِرًّا، وَأَغْضَتْ جَارَتَاهَا
وَمَشَى بِهَا فِي رَوْضَةٍ
قَدْ نَامَ عَنْهَا حَارِسَاهَا
حَتَّى إِذَا أَمْنَا الْوَرَى
وَشَكَ الْهَوَى وَشَكَتْ هَوَاهَا
طَارَتْ بِبُرْقُعِهَا وَبُرْ
قُوعِهِ عَلَى عَجَلٍ يَدَاهَا
كَيَمَا تُقَبِّلُ نَغْرَهُ
وَيُقَبِّلُ الْمُعَشَّوقُ فَاَهَا
فَرَأَى الْمُتَتِيماً بِنْتَهُ
وَرَأَتْ مَلِيحَتُنَا أَبَاهَا!

٢٨ - شكوى

[الرمل]

نَسِيتُ عَهْدِي، فَلَمَّا جِئْتُهَا
زَعَمْتُ أَنِّي تَنَاسَيْتُ الْعُهُودَ
وَادَّعَيْتُ أَنِّي خُلِي زَاهِدٌ،
أَنَا لَوْ كُنْتُ كَذَا كُنْتُ سَعِيدٌ



رَغِبْتُ فِي الصَّدِّ عَنِّي بَعْدَمَا
بِتَّ لَا يَحْزُنُنِي مِثْلُ الصُّبُودِ
مِثْلَمَا أَنْكَرْتُ غُرِّي خُدُّهَا
أَنْكَرْتُ فَاتَنَنْتِي تِلْكَ الْوَعُودُ

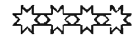


يَا شُهُودِي عِنْدَمَا كُنَّا مَعًا
ذَكَّرُوهَا.. أَيْنَ أَنْتُمْ يَا شُهُودٌ؟
سَكَتَ الْبَدْرُ الَّذِي رَاقِبُنَا
وَذَوَتْ فِي الرُّوضِ هَاتِيكَ الْوُرُودُ



وَمَشَتْ رِيحُ الصَّبَا حَائِرَةً
فِي الْمَغَانِي حَيْرَةَ الصَّبِّ الْعَمِيدُ

يا هواها قل متى تتركني
قال: أو تصفر^(١) هاتيك الخدود



أنا لا أدعو عليها بالضنى
أتقى أن يشمت القالي^(٢) الحسود...



(١) التقدير: لن أتركك أو تصفر.

(٢) المبغض (قلاه - يقلبه).

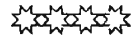
٢٩ - بائعة الورود

[البسيط]

مِنِ الْفَرَنْسِيسِ قَيَّدَ الْعَيْنَ صَوْرَتُهَا
عِذْرَاءُ قَدْ مُلِئَتْ أَجْفَانُهَا حُورًا
كَأَنَّمَا وَهَبَتْهَا الشَّمْسُ صَفْحَتَهَا
وَجْهًا، وَحَاكَتْ لَهَا أَسْلَاكُهَا شَعْرًا
يَدُ الْمَنِيِّ طَاحَتْ غَبَّ مَوْلِدِهَا
بِأُمِّهَا، وَأَبُوهَا مَاتَ مِنْتَحِرًا
فِي قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى بَارِيسَ مَا صَغُرَتْ
عَنِ الْفَتَاةِ، وَلَكِنْ هُمُّهَا كَبُرًا
وَالنَّفْسُ تَعَشِّقُ فِي الْأَهْلِينَ مَوْطِنَهَا
وَلَيْسَ تَعَشِّقُهُ يَحْوِيهِمْ حُفْرًا
وَتَعْظُمُ الْأَرْضُ فِي عَيْنِكَ مُحْتَرَمًا
وَلَيْسَ تَعْظُمُ فِي عَيْنِكَ مُحْتَقَرًا
فَعَادَرَتْهَا وَمَا فِي نَفْسِهَا أَثَرُ
مِنْهَا، وَلَا تَرَكَتْ فِي أَهْلِهَا أَثَرًا
إِلَى الَّتِي تَفْتِنُ الدُّنْيَا مُحَاسِنُهَا
وَحُسْنُ مَنْ سَكَنُوهَا يَفْتِنُ الْبَشَرَا
إِلَى الَّتِي تَجْمَعُ الْأَضْدَادَ دَارَتُهَا
وَيَحْرُسُ الْأَمْنُ فِي أَرْجَائِهَا الْخَطَرَا^(١)
إِذَا رَأَاهَا تَقِي ظَنُّهَا «عَدْنًا»

(١) الدارة أخص من الدار. وهي الهالة من حول القمر أيضاً

وإن رآها شقيٌّ ظنَّها «سَقَرًا»
تودَّ شمسُ الضُّحَى لو أنها فلَكُ
والأفقُ لو طَلَعَتْ في أوجِه قَمَرَا
والغربُ لو كان عُوداً في منابرها
والشرقُ لو كان في جُدرانها حجرا
في كلِّ قلبٍ هوى منها كأن له
في أهلها صاحباً، في أرضها وطراً
(باريس) أعجوبة الدنيا وجنتُها
وربَّة الحُسْن مطروقةً ومبتَكرا



حلَّت عليها فلم تُنكر زخارفها
فطالما أبصرت أشباهها صُورا
ولا خلَّاتُ أهليها وزِيَّهمُ
فطالما قرأت أخلاقهم سيرا
وإنما أنكرت في الأرض وحدتها
كذلك الطيرُ إمَّا فارق الوكرا
يتيمم ما لها أم تلوذُّ بها
ولا أبٌ إن دعتْه نحوها حضرا
غريبةٌ يقتفيها البؤسُ كيف مشتُ
ما عزَّ في أرض «باريس» من افتقرا
مرت عليها ليالٍ وهي في شغلٍ
عن سالف الهمِّ بالهمِّ الذي ظهرا
حتى إذا عضَّها نابُ الطَّوى نفرتُ
تستنزلُ الرزقَ فيها الفردَ والنَّفرا
تجني اللُّجينَ ويجني الباذلوه لها

من كَفَّها الوردَ منظوماً ومنثثراً
 لا تَتَّقِي اللهَ فيه وهو في يدها
 وتَتَّقِي فيه فوقَ الوجنة النَظْراً
 تغارُ حتَّى من الأرواح ساريةً
 فلو تمرَّ قَبولٌ^(١) أطرقتْ خَفْراً
 أذالتِ الورد قانيه وأصفَرَه
 كيما تصونَ الذي في خَدَّها نَضْراً^(٢)
 حمته عن كل طرفٍ فاسقٍ غَزَلٍ
 لو استطاعتْ حمته الوهمَ والفكراً
 تُضاحكُ الخَلْقَ لا زهواً ولا لعباً
 وتجحدُ الفقرَ لا كِبَراً ولا أَشْراً^(٣)
 فإن خَلَّتْ حاجتِ الذكرى لواعجها
 فاستنفدتْ طَرْفها الدَّمع الذي ادَّخرا



تعلَّقَتْهُ فتى كالغصن قامته
 حلو اللسان أغرَّ الوجه مُزدهراً
 وهام فيها ثريه الشمس غُرَّتْها
 والفجر مرتصفاً في ثغرها دُرّاً
 إذا دنا رغبتُ ألا يُفارَقَها
 وإن نأى أصبحتُ تشتاقُ لو ذُكِّرا
 تُغالبُ الوجد فيه وهو مقتربُ
 وتهجرُ الغمض فيه كلما هجرا
 كانت توقى الهوى إذ لا يُخامرُها

(١) القَبول: ربح الصِّبا (ضد: الدُّبور).

(٢) أذال: أهان وامتهن. نَضْر: حسن ونعم.

(٣) البَطَر (أشْر - يَأْشُر).

فأصْبَحْتَ تَتَوَقَّى فِي الْهُوَى الْحَذْرَا
قَدْ عَرَضْتَ نَفْسَهَا لِلْحُبِّ وَاهِيَةً
فَنَالَ مِنْهَا الْهُوَى الْجَبَّارُ مُقْتَدِرَا
وَالْحُبُّ كَاللَّصِّ لَا يُدْرِيكَ مَوْعِدَهُ
لَكِنَّهُ قَلَمًا، كَالسَّارِقِ، اسْتَتَرَا
~~~~~

وليلة من ليالي الصيف مُقَمَّرَةً  
لا تَسَامُ الْعَيْنُ فِيهَا الْأَنْجَمَ الزُّهْرَا  
تَلَاقِيَا فَشَكَاهَا الْوَجْدُ فَاضْطَرَبْتَ  
ثُمَّ اسْتَمَرَّ فَبَاتَتْ كَالَّذِي سُحِرَا  
شَكَاهُ فَحَرَّكَ بِالشَّكْوَى عَوَاطِفَهَا  
كَمَا تُحَرِّكُ كَفُّ الْعَازِفِ الْوَتَرَا  
وَزَادَ حَتَّى تَمَنَّتْ كُلُّ جَارِحَةٍ  
لَوْ أَصْبَحَتْ مَسْمَعًا أَوْ أَصْبَحَتْ بَصْرَا  
رَانَ الْهَيْامُ عَلَى الصَّبِيِّينَ فَاعْتَنَقَا  
لَا يَمْلِكُ الْنَهْيُ وَرَدًّا وَلَا صَدْرَا<sup>(١)</sup>  
«وَكَانَ مَا كَانَ مِمَّا لَسْتُ أَذْكُرُهُ»  
تَكْفِي الْإِشَارَةُ أَهْلَ الْفُطْنَةِ الْخَبْرَا  
~~~~~

هَامَتْ بِهِ وَهِيَ لَا تَدْرِي لَشَقَوَتِهَا
بِأَنَّهَا قَدْ أَحَبَّتْ أَرْقَمًا ذَكَرَا^(٢)
رَأَتْهُ خَشْفًا فَأَدْنَتْهُ، فَرَاءَ بِهَا

(١) يعني: لا أخذاً ولا رداً

(٢) الحية فيها بياض وسواد. ويريد بها هنا أن تكون: الثعبان.

(٣) راء من (رأى - راءة) - راء - يَرء.

شاةً، فأنشِبَ فيها نابهٌ نَمرا^(٣)
 ما زال يؤمّنُ فيها غير مكثرٍ
 بالعاذلين، فلَمّا أمنتُ كَفَرا
 جنى عليها الذي تَخْشى، وقاطعها
 كأنّما قد جنتُ ما ليس مُغتَفَرا
 كانتُ وكان يرى في خدّها صِعرا^(١)
 عنه، فبانت تَرى في خدّه صِعرا^(٢)
 فكَلّما استعطفتّه ازور مُحْتَدِماً
 وكلّما ابتسمتُ في وجهه كَشَرا
 طال النُّفارُ و«فرجيني» على مضضٍ
 تجرّع الأنقَعَيْنِ: الصَّابَ والصَّبِرا^(٢)
 قالت، وقد زارها يوماً، مُعْرِضَةً:
 متى، لعمرك، يجني الغارسُ الثمرا؟
 كم ذا الصُّدودُ ولا ذنبُ جنته يدي
 أرجو بك الصَّفْوَ لا أرجو بك الكدرا
 تركتني لا أنوقُ الماءَ من وآهي
 كما تركت جفوني لا تنوقُ كَري
 أشفقُ علي ولا تنسِ وعودك لي
 فإنّ ما بي لو بالصَّخِرِ لا نَقَطَرا
 أطالتِ العتَبَ ترجو أن يرقّ لها
 فؤادُه فأطال الصِّمتُ مُختَصِرا
 وأحرجته لأنّ الهمَّ أحرجها
 وكلّما أحرجته راغَ معتذرا
 وضاق ذرعاً بما يُخفي فقال لها:

(١) صعر خده: أماله من الكبر.

(٢) يريد: النقيع، لأنهما يُنقعان في الماء. الصاب: عصارة شجر مرّ (واحدته: صابة) والصبر: مثله.

إلَامَ أَلَزَمُ فَيْكَ الْعِي وَالْحَصْرَا
أَهْوَاكَ صَاحِبَةً.. أَمَّا اقْتِرَانُكَ بِي
فَلَيْسَ يَخْطُرُ فِي بَالِي وَلَا خَطَرَا
أَهْوَى رِضَاكَ وَلَكِنْ إِنْ سَعَيْتُ لَهُ
أَغْضَبْتُ نَفْسِي وَالِدَيَّانَ وَالْبَشْرَا
عَنَيْتُ مَا لِي مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَسَدِي
وَلَيْسَ قَلْبِي إِلَى قِسْمَيْنِ مُنْشَطَرَا
تُطَالِبِينِي فَوَادِي وَهُوَ مَرْتَهَنُ
فِي كَفِّ غَيْرِكَ، رُمْتُ الْمَطْلَبَ الْعَسْرَا
يَكْفِيكَ أَنِّي فَيْكَ خُنْتُ إِمْرَاتِي!
وَلَمْ يَخُنْ قَلْبُهَا عَهْدِي وَلَا خَفَرَا
قَدْ كَانَ طَيْشاً هَيَامِي فَيْكَ بَلْ نَزَقَا
وَكَانَ حَبِّكَ ضَعْفاً مِنْكَ بَلْ خَوْرَا
قَالَتْ: مَتَى صُرْتُ بَعْلَاً؟ قَالَ: مِنْ أَمَدٍ
لَا أَحْسِبُ الْعُمْرَ إِلاَّهَ وَإِنْ قَصُرَا
يَا هَوْلَ مَا أَبْصَرْتُ! يَا هَوْلَ مَا سَمِعْتُ!
كَادَتْ تُكَذِّبُ فِيهِ السَّمْعَ وَالْبَصْرَا
لَوْلَا بَقِيَّةُ صَبْرٍ فِي جَوَانِبِهَا
طَارَتْ لَهُ نَفْسُهَا مِنْ وَقْعِهِ شَذْرَا
يَا لَلْخِيَانَةِ! صَاحَتْ وَهِيَ هَائِجَةٌ
كَمَا تَهَيَّجُ لَيْثٌ بِأَبْنِهِ وَتِرَا
الآنَ أَيْقَنْتُ أَنِّي كُنْتُ وَاهِمَةً
وَأَنَّ مَا كُلُّ بَرْقٍ يَصْحَبُ الْمَطْرَا
وَهَبْتُ قَلْبَكَ غَيْرِي وَهُوَ مَلِكُ يَدِي
مَا خَفْتُ شَرْعاً وَلَا بِالَيْتِ مُزْجَرَا
لَيْسَتْ شَرَائِعُ هَذِي الْأَرْضِ عَادِلَةً

كان الضعيفُ ولا ينفكُّ مُحْتَقَرًا
قد كنتُ أخشى يدَ الأقدارِ تصدَعُنَا
وكان أجدر أن أخشاك لا القَدرا
وصلَّتني مثلَ شمسِ الأفقِ ناصعةٌ
وعفَّتني مثلَ جُنحِ الليلِ مُعتكرا
كما تعافُ السَّراةُ الثُّوبُ قد بليتُ
خيوطُه والرُّوأةُ المَوردُ القَدرا
خفت الأقاويلَ بي قد نام قائلُها
هلاً خشيت انتقامي وهو قد سهر
يا سالي عَفَّتِي من قَبْلِ تهجرني
أُرِدُّ علي عفا في وارِدُ الطُّهْرَا^(١)
هيهات هيهات ما من عَفَّتِي عوضُ
لاح الرِّشادُ وبانَ الغي وانحسرا...



وأقبلت نحوه تَغْلِي مَراجِلُها
كأنها بركانُ نارٍ وانفَجرا
في صدرها النارُ، نارُ الحقدِ، مُضِرْمَةٌ
لكنَّما مُقاتِلَتاها تقذفُ الشُّرا
وأبصر النصلُ تُخفيه أناملُها
فراح يركضُ نحو البابِ مُنذعرا
لكنها عاجلته غير وانية
بطعنة فَجَرَّتْ في صدره نَهرَا
فَحَرَّ في الأرضِ جسمًا لا حراكَ به

(١) أراد من قبل أن تهجرني.

لكن «فرجين» ماتت قبلما احتضرا
جئت من الرعب والأحزان فانتحرت
ما حبت الموت لكن خافت الوضرا
❖❖❖❖❖

كانت قبيل الردى منسية فغدت
بعد الحمام حديث القوم والسمر
تتلو الفتاة عظات في حكايتها
كما يطالع فيها الناشئ العبرا

[الرمل]

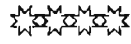
طُوي العامُ كما يُطوى الرِّقِيمُ^(١)
وهوى في لُجَّةِ الماضي البعيدِ

لم يكنْ.. بل كان لَكنْ ذَهَبَا
وانقضى حتَّى كأنْ لم يكنْ
لو درى حين أتى المُنْقَلَبَا^(٢)
لَتَمَنَّيْ أَنَّهُ لم يَـبِينِ^(٣)
أَيُّ نَجْمٍ شَارِقٍ مَا غَرِبَا
أَيُّ قَلْبٍ خَافِقٍ لَمْ يَسْكُنْ
جَاهِلٌ مَنْ حَسَبَ الْآتِي يَدُومُ
أَحْمَقُ مَنْ حَسَبَ الْمَاضِي يَعُودُ

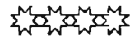
مَالِنَا يَأْخُذُ مِنَّا الطَّرْبُ
كَلِّمَا عَامٌ تَلَاشَى وَاضْمَحَلُ
أَفْرَحِنَا أَنْنَا نَقْتَرِبُ
مَنْ غَدٍ؟ إِنَّ غَدًا فِيهِ الْأَجَلُ
عَجَبٌ هَذَا وَمِنْهُ أَعْجَبُ
إِنَّنَا نَفْنَى وَلَا يَفْنَى الْأَمَلُ

(١) الرقيم. الكتاب.
(٢) حيث ينقلب مبتعداً

فكأنَّما ما سمعنا بالحُتومِ
أو كأنَّما قد نعمنا بالوجودِ



يا رعاهُ اللهُ من عامٍ خلا
فلقد كان سلاماً وأماناً
صافح الجحفلُ فيه الجحفاً
واستراح السيفُ فيه والسنانُ
ما انجلى حتى رأى النُّقْعَ^(١) انجلى
وخبث نارُ الوغى في «البلقان»^(٢)
لست أنسى نهضة الشعبِ النُّومِ
إنَّ فيها عبرةً للمستفيدِ



والتقى البحران فيه بعدما
مرت الأجيالُ لا يلتقيانُ
أصبح السدُّ الذي بينهما
تُرعةً يزخرُ فيها الأزرقانُ
فلتدم (أميركا) ما التظما
ما لهذا الفتح في التاريخ ثانُ
ولتعش رايتها ذاتُ النجومِ
أجملُ الرّيايات، أولى بالخلودِ!



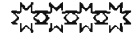
واعتلى الناسُ به متنُّ الهواءِ
فهمُ حول الدَّراري^(٣) يمرحونُ

(١) الغبار (غبار المعارك).

(٢) هي المنطقة الجبلية في جنوب أوروبا وتضم رومانيا وألبانيا وبلغاريا واليونان ويوغوسلافيا وصربيا والجانب الأوروبي من تركية.

(٣) النجوم المضيئة بلون الدر.

يَمْحُرُ الْمَنْطَادُ فِيهِمْ فِي الْفَضَاءِ
مِثْلَمَا يَمْحُرُ فِي الْبَحْرِ السُّفِينُ
مُعْجَزَاتُ مَا أَتَاهَا الْأَنْبِيَاءُ
لَا وَلَمْ يَطْمَحْ إِلَيْهَا الْأَقْدَمُونَ
سَخَّرَ الْعِلْمُ لَهُمْ حَتَّى الْغِيَوْمُ
فَهُمْ، مِثْلُهُمْ، فَوْقَ الصَّعِيدِ^(١)



حَلَّقَ الْغَرْبِيُّ فَوْقَ السَّمَوَاتِ
وَلَبِثْنَا نَنْدُبُ الرَّسْمَ الْمَحِيلَ^(٢)
فَإِذَا مَا قَالَ أَهْلُ الْمَكْرُمَاتِ
مَا وَجَدْنَا، وَأَبْيَكُمْ، مَا نَقُولُ
لَوْ فَقَهْنَا مِثْلَهُمْ مَعْنَى الْحَيَاةِ
مَا أَضْعَعْنَاهَا بِكَاءٍ فِي الطُّلُولِ
أَلَفَتْ أَنْفُسُنَا الضَّيْمَ الْمُقِيمَ
مِثْلَمَا يَسْتَعَذِبُ الظُّبْيُ الْهَبِيدَ^(٣)



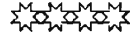
أَدْرَكْتَ غَايَاتَهَا كُلُّ الشَّعُوبِ
نَهَضَ الصَّيْنِيُّ وَمَا زَلْنَا نِيَامَ
عَبِثَتْ فِينَا الرِّزَايَا وَالْخَطُوبُ
مِثْلَمَا يَعِثُّ بِالْحُرِّ اللَّئَامُ
صَوِيرِ الْكَاتِبِ مِنَّا وَالْخَطِيبِ
مُنَعَتْ أَلْسُنُنَا حَتَّى الْكَلَامُ

(١) الصَّعِيد: التراب، يريد: سطح الأرض.

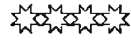
(٢) المحيل: حال عليه الحول، يريد الزمان على الإطلاق. يشير إلى بكاء الديار وأطلالها عند الشعراء العرب في القديم.

(٣) الهبيد: الحنظل، أو حَبَّة (يُطْبَخ بعد أن ينقع في الماء لتذهب مرارته).

نحن في الغفلة أصحاب الرقيم^(١)
نحن في الذلة إخوان اليهود^(٢)



ليت أننا حين مات الشَّمَمُ
لحقت أرواحنا بالغابرين
ما تمرّدنا على من ظلموا
لا ولم نفكك وثاقاً عن سجين
ليس يمحوا عارنا إلا الدم
فإلى كم نذرف الدمع السّخين؟
قام فينا ألف جبار غشوم
غير أننا لم يمت منا شهيد



يا لقومي بلغ السّيل الزّبي^(٣)
واستطال البغي واستشرى الفساد
فاجعلوا أقلامكم بيض الظُّبا^(٤)
واستعيروا من دم الباغى المداد
كتب السيف.. اقرؤوا ما كتبنا:
«لا يُنال المجد إلا بالجهاد»
أي رجال الشرق أبناء القُروم^(٥)
لا تناموا. أفه الماء الرُّكود!!



(١) يشير إلى قصة «أهل الكهف» الذين «لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً» انظر سورة الكهف، في القرآن الكريم (الآية ٩).

(٢) إشارة إلى الآية الكريمة «وضربت عليهم الذلة والمسكنة» سورة البقرة، الآية ٦١

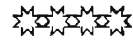
(٣) الزّبية: الراية لا يعطوها الماء.

(٤) الظبة: حد السيف. والجمع: الظبا

٣١ - بنت الدوالي

[الرجز]

هاتِ اسقني بالقَدَحِ الكبيرِ
صفراءَ لونَ الذهبِ المصهورِ
كأنها في أكْوَسِ البُلُورِ
شُعْلَةٌ نارٍ في بقايا نورِ



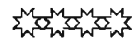
عجبتُ للكأسِ التي تحويها
كيف استقرتْ والحياةُ فيها
لولم يُدرها بيننا ساقِها
دارتْ على القومِ بلا مُديرِ



هاتِ اسقنيها مثلَ عينِ الديكِ
صافيةً تنهضُ بالصُّعْلوكِ
حتى يرى التَّيَّةَ على الملوكِ
ولا يُبالي سَطوَّةَ الأميرِ



بنت الدوالي ضرة الرضاب^(١)
أخت التَّصافي زوجة السُّحابِ
أنتِ، وإن لام السُّورى شـرابي
في الخالدين: القروا الهجير^(٢)



(١) الرِّيقُ. يريد. طيبه حين يرشفه.

أَشْرَبُهَا بِلِأَشْرَبِ الْإِكْسِيرِ^(١)
تَخْلُقُ فِي شَارِبِهَا السُّرُورِ
فَقُلْ لِمَنْ يَحْسِبُهَا غُرُورِ
مَا الْعَيْشُ إِلَّا سَاعَةٌ الْغُرُورِ

(١) الشراب.

٣٢ - الطيران

[الخفيف]

لو رأى «أدم» فتاه لزال الـ
— حَقْدُ من قلبه على حواء
صَيَّر الأرض جَنَّةً بونها الجنـ
نَـةً في الحُسْنِ والبها والرؤاء
ما أظنَّ النعيم فيه الذي في الـ
أرضٍ من بهـجـةٍ ومن لآلاء
كلِّ ما في الوجود للمرء عبـد
وهو عبـدُ الشَّهَوَاتِ والأَهْوَاء
كائنٌ كلُّ كائنٍ حار فيه
فهو حُرٌّ ومُرٌّ ودانٍ ناء
وهو طوراً يكون نصف إله
وهو طوراً أدنى من العجـماء
عجـباً كيف طاعة الطَّيْنِ والماء
ءٌ وما كان غير طينٍ وماء؟
ساد في الكون مثلاً ما ساد فيه
خالقُ الكون مُبدعُ الأشياء
فهو في الماء سابحٌ وعلى الغبـ
راء ماشٍ وطائرٌ في الفضاء
تَخذُ الجوَّ ملعباً ثمَّ أمسى
راكضاً في الهواء ركض الهواء

فهو فوق السحاب يحكيه في مسد
—رأه لـكنه أخو خيلاء
وهو بين الطيور تحسبه العذ
لقاء لولا استحالة العنقاء
أبصرته فأكبرت أن ترى في الـ
جوّ صيادها على الغبراء
فاستوى في قلوبها الذعر حتى
كاد يحكي البلاء خوف البلاء
وتناجت تبغي النجاة فراراً
أين أين المفر من ذا القضاء
ويح هذي الطيور تجني على المو
تى وترجو سُلماً من الأحياء
اهبطي أو فحلقي أو فسييري
إنما المنتهى إلى الأرزاء!



وهو بين النجوم يسترق السّم
مع ولا يتّقي رجوم السماء
مشهد روع الدّاري فباتت
حائرات في القُبّة الزّرقاء
نافرات كأنّها ظبيات
رأت القانصين في الببغاء
سائلات أذا رسول سلام
من بني الأرض أم نذير فناء؟
هالها أن ترى من الإنس قوماً
يتهاون مثلاًها في الفضاء
فرأيت الجوزاء تشكو الثّريّا
والثّريّا تشكو إلى الجوزاء

لَا تُرَاعِي يَا شَهْبُ مَنْنَا فَإِنَّا
 مَا حَمَلْنَا إِلَيْكَ غَيْرَ الْوَلَاءِ
 قَدْ كَرِهْنَا الْمَقَامَ فِي الْأَرْضِ لَمَّا
 قِيلَ إِنَّ السَّمَاءَ مَقَرُّ الْهِنَاءِ
 إِنَّمَا شَوْقُنَا إِلَيْكَ الَّذِي أَسَى
 رَى بِنَا لَا الْهَيْامُ فِي الْإِسْرَاءِ
 فَصَالِيْنَا نَزِدُّ غَرَاماً وَوَجْداً
 غَيْرُ مُسْتَحْسِنٍ كَثِيرُ الْإِبَاءِ
 نَحْنُ يَا شَهْبُ فِي حِمَاكَ ضَيُوفُ
 وَجَمِيلُ رَعَايَةِ الْغُرَبَاءِ
 أَكْرَمِي ذَلِكَ الْمَخْلُوقَ فَوْقَ السُّ
 سَحَبٍ يُثْنِي عَلَيْكَ خَيْرَ ثَنَاءِ
 وَأُنِيرِي طَرِيقَهُ إِنْ دَجَا الْأَيُّ
 لُ وَدَبَّتْ عَقَارِبُ الظُّلُمَاءِ
 صَاغَكَ اللَّهُ شُعْلَةً مِنْ ضِيَاءِ
 وَبِرَّ الْمَرْءِ شُعْلَةً مِنْ ذَكَاءِ
 تَخْذِيهِ أَخَا يَكُنْ لَكَ عَوْناً
 كُلُّ نَفْسٍ مُحْتَاجَةٌ لِلْإِخَاءِ
 لَا تَفَاخَرْ بِالْوَاخِدَاتِ وَلَا بِالْخَيْدِ
 لِمَنْ مِنْ أَدْهَمٍ وَمِنْ شَهْبَاءِ^(١)
 هَانَ عَصْرُ النَّيَاقِ وَالرَّكَابِيهَا
 عِنْدَ عَصْرِ الْبُخَارِ وَالْكَهْرِبَاءِ!

(١) الْوَحْدُ: سَعَةُ الْمَشْيِ وَالْإِسْرَاعُ فِيهِ

٣٣ - العاشق المخدوع

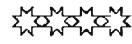
[الكامل]

أبصرتُها في الخمسِ والعشرِ
فرأيتُ أخت الرُّئم والبدرِ
عذراءُ ليس الفجرُ والدها
وكأنَّها مودةُ الفجرِ
بسَّامةٌ في ثغرها دُرٌّ
يهفو إليها الشاعرُ العصري
ولها قَوامٌ لو أشبَّهه
بالغصنِ بَاءَ الغصنِ بالفخرِ
مثلُ الحمامةِ في وداعتها
وكزهرةِ النَّسرِينِ في الطُّهرِ
مثلُ الحمامةِ غير أنَّ لها
صوتَ الهزارِ ولفظةَ الصَّقَرِ



شاهدتُها يوماً وقد جلستُ
في الروضِ بين الماءِ والزُّهرِ
ويدُ الفتى «هنري» تطوَّقها
فحسدتُ ذاك الطَّوقَ في الخَصَرِ
وحسدتُ مقلَّتَهُ ومسمَعَهُ
لجمالها وكلامها الدُّرِّي
أغمضتُ أجفاني على مَضضِ
وطويتُ أحشائي على الجَمَرِ

وَحَشِيتُ أَنَّ الْوَجْدَ يَسْأَلُنِي
حُلْمِي^(١)، وَيَغْلِبُنِي عَلَى أَمْرِي
فَرَجَعْتُ أَدْرَاجِي أُغَالِبُهُ
بِالْيَأْسِ أَوْنَةً وَبِالصَّبْرِ
ثُمَّ انْقَضَى عَامٌ وَأَعْقَبَهُ
ثَانٍ وَذَاكَ السَّرُّ فِي صَدْرِي
فَعَجِبْتُ، مَنِي كَيْفَ أَذْكُرُهَا
وَقَدْ انْقَضَى حَوْلَانِ مِنْ عُمْرِي
خَلَّتْ اللَّيَالِي فِي تَتَابُعِهَا
تُزْرِي بِهَا عِنْدِي فَلَمْ تُزِرْ
زَادَتْ مَلَا حَتُّهَا فَزِدْتُ بِهَا
كَأَفَاءً، وَمَوْجِدَةً عَلَى «هَنْرِي»



وَسُئِمْتُ دَارِي وَهِيَ وَاسِعَةٌ
فَتَرَكْتُهَا وَخَرَجْتُ فِي أَمْرٍ
فَرَأَيْتُ فَتْيَانَ الْحَمَى انْتَضَمُوا
كَالْعَقْدِ، أَوْ كَالْعَسْكَرِ الْمَجْرِ^(٢)
يَتَفَكَّهُونَ بِكُلِّ نَادِرَةٍ
وَعَلَى الْوُجُوهِ عِلَائِمُ الْبِشْرِ
سَارُوا فَأَعْجَبُنِي تَدْفُقُهُمْ
فَتَتَبِعُونَهُمْ أَدْرِي وَلَا أَدْرِي
مَا بَالُهُمْ؟ وَلَا يَتَوَقَّفُوا؟
لَمَنِ الْبِنَاءُ يَلُوحُ كَالْقَصْرِ

(١) الحلم: العقل.

(٢) الجيش العظيم.

أَوَاهُ! هَذِي دَارُ فَاتَنَنْتِي
من قال: ما الشمس من خدر؟
وعرفتُ من «فرجين» جارتها
ما زادني ضُراً على ضُر
قد كان هذا يوم خُطبتُها
يا أرضُ ميدي! يا سما خُري
ورأيتُ ساعدها بساعده
فَوَدَدْتُ لو غُيِّبْتُ في قَبْرِ
وَشَعَرْتُ أن الأرضَ واجِفَةٌ
تحتي، وأنَّ النارَ في صدري
وخشيتُ أن الوجودَ يسُلبني
حلمي ويغلبني على أمري
فرجعتُ أدراجي أغالبهُ
باليأسِ أونةً وبالصبر



قالوا: الكنيسةُ خيرُ تعزية
لمن ابتُلِيَ في الحبِّ بالهجر
فنذرتُ أن أقضي الحياةَ بها
وقصدتُها كيما أفي نَذري
لازمتُها بدرينِ ما التفتتُ
عيني إلى شمسٍ، ولا بدرٍ
أتلو أناشيدَ النبي ضُحى
وأطالعُ الإنجيلَ في العصرِ
حيناً مع الرهبانِ، أونةً
وحدي، وأحياناً مع الحَبْرِ^(١)

(١) الحَبْر. واحد الأخبار من رجال الكنيسة.

في الغابِ فوقَ العشبِ مضطجعاً
في السّفحِ، مُستنداً إلى الصّخر
في غرفتِي، والريحُ راكدةٌ
بين المغارسِ، والصّبا تسري
حتى إذا ما القلبُ زايله
تبريحه، وصحوتُ من سُكري
وسلوّتها وسأوتُ خاطبها
وألفتُ عيش الضّنك والعُسْر
عاد القضاء إلى مُحاربتِي
ورجعتُ للشكوى من الدهر

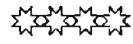


في ضحوةٍ وقف النسيمُ بها
متردداً في صفحة النّهر
كالشاعر الباكي على طللٍ
أوقاريٍّ حيرانٍ في سقَر
والشمسُ ساطعةٌ ولامعةٌ
تكسو حواشي النّهر بالتّبر
والأرضُ حاليةٌ جوانبها
بالزّهر من قانٍ ومُصفّر
فكانّها بالعشب كاسيةٌ
حسناءٌ في أثوابها الخضّر
وعلا هُتافُ الطيرِ إذ أمنتُ
بأس العقابِ وصوله النّسر
تتلو على أهل الهوى سُوراً
ليست بمنظومٍ ولا نثر

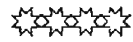
يحنو الهزارُ على اليَفْتَه
ويداعبُ القُمرِيَّة القُمرِي^(١)
وانساب كلُّ مصفّقٍ عذبٍ
واهتز كلُّ مُهفّفٍ نَضْر
فتذكّرتُ نفسي صباَبَتَها
ما أولع المَهْجور بالذّكر
أرسلتُ طرفي رائداً فجري
وجري على آثاره فكمري
حتى نوى صوتُ الرئيس بنا
فهُرعتُ والرهبانُ في إثري
وإذا بنا نلقى كنيسةَنا
بالوافدين تَمُوجُ كالبحر
وإذا «بها» وإذا الفتى «هنري»
في حُلّة بيضاء كالفجر
تمشي ويمشي بين ذي أدبٍ
حُلّو، وبين ماريحة بَكر
رفع الرئيسُ عليهما يده
وأنا أرى ويدي على صدري
يا قلبُ ذُبْ! يا مُهجّتي انقَطري
يا طَرْفُ فضِّ بالأدمع الحُمُر
أغمضتُ أجفاني على مضضٍ
وطويتُ أحشائي على الجُمُر
وخشيتُ أنَّ الوجود يسأُبني
حلّمي، ويغلِبْني على أمري

(١) القُمرِي. طير أبيض. ومؤنثه قُمرِيَّة.

فرجعتُ أدراجي أغالبهُ
باليأسِ أونهً وبالصَّبْرِ
وخرجتُ لا ألوي على أحدٍ
ورضيتُ بعد الزُّهد بالكُفْرِ



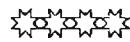
أشفقتُ من همِّي على كَيْدي
وخشيتُ من دمعي على نَحْري
فكلفتُ بالصَّهْبَاءِ أَشْرِبُهَا
في منزلي، في الحان، في القَفْرِ
أبغي الشفاءَ من الهموم بها
فتَزِيدُنِي وَقَرَأَ على وَقَرِ^(١)
وتَزِيدُنِي وَلَعاً بها وهوى
وتَزِيدُنِي حَقْداً على «هنري»
قال الطبيبُ وقد رأى سَقَمِي
لله من فعل الهوى العُذْري
مالي بدائك يا فتى قبلُ
السحرُ محتاجٌ إلى سحر^(٢)
ومضى يقلبُ كفه أسفاً
ولبثتُ كالقتول في الوُكْرِ
ما أبصرتُ عيناى غانيةً
إلا ذكرتُ إلى الدُّمى فقُري



وسئمتُ داري وهي واسعةُ
فتركتُها وخرجتُ في أمر

(١) الثقل.

فَرَأَيْتُهَا فِي السُّوقِ وَقَفَةً
وَدُمُوعُهَا تَنْهَلُ كَالْقَطَرِ
فِي بُرْدَةٍ كَاللَّيْلِ حَالِكَةٍ
لَهْفِي عَلَى أَثْوَابِهَا الْحُمْرِ
فَدَنُوتُ أَسْأَلُهَا وَقَدْ جَزَعْتُ
نَفْسِي، وَزَلْزَلَ حَزْنُهَا ظَهْرِي
قَالَتْ: قُضِيَ «هَنْرِي»! فَقُلْتُ: قُضِيَ
مَنْ كَادَ لِي كَيْدًا وَلَمْ يَدْرْ
لَا تَكْرَهُوا شَرًّا يُصِيبُكُمْ
فَأَرْبَ خَيْرٍ جَاءَ مِنْ شَرِّ
وَهَفَا هَوَاهَا بِي فَقُلْتُ لَهَا:
قَدْ حُلَّ هَذَا الْمَوْتُ مِنْ أَسْرِي
قَالَتْ: وَمَنْ أَسْرِي! فَقُلْتُ: إِنَّ
لِي أَنْتِ؟ قَالَتْ: أَنْتِ نَوَ الْأُمْرِ
فَأَدْرْتُ زَنْدِي حَوْلَ مَنْكِبِهَا
وَلْتَمْتُهَا فِي النُّحْرِ وَالتُّغْرِ
وَشَفَيْتُ نَفْسِي مِنْ لَوَاعِجِهَا
وَتَأْرْتُ بِالتَّصْرِيحِ مِنْ سَرِّي
ثُمَّ انْتَنَيْتُ بِهَا عَلَى عَجَلٍ
بَابَ الْكَنِيسَةِ جَاعِلًا شَطْرِي^(١)
وَهَذَا بَارَكْنِي وَهَنَّا نِي
مَنْ هَنُّوْا قَبْلِي الْفَتَى «هَنْرِي»



(١) جعله شطره: اتجه نحوه.

من بعد شهرٍ مرَّ لي معها
أبصرتُ وضُحَ الشَّيْبِ في شَعْرِي
ما كنتُ أدري قَبْلَ صُحْبَتِهَا
أَنَّ المَشْيِبَ يَكُونُ في شَهْرٍ
فَكَّرْتُ في «هنري» وكيفَ قَضَى
فوجدتُ «هنري» واضحَ العُذْرِ
يا طالما قد كنتُ أحسُّدُهُ
واليومَ أحسُّدُهُ على القَبْرِ!

٣٤ - أهلها عرب

[مجزوء الوافر]

أَقْبَحُ ذَاكَ أُمُّ شَيْءٍ نَبُ
وَرِيْقُ ذَاكَ أُمُّ ضَرْبٍ^(١)
وَوَجْهُ ذَاكَ أُمُّ قَمَرٍ
وَحَدُّ ذَاكَ أُمُّ ذَهَبٍ
جَمَالٌ غَيْرُ مُكَتَسَبٍ
وَبَعْضُ الْحُسْنِ يُكْتَسَبُ
تَكَلُّتُ الظَّرْفَ، عَاذِلَتِي
أَهَذَا الْحُسْنِ يُجْتَنَبُ؟
عَدَدْتُ لَهَا الْعَيُوبَ وَالْإِ
سَ إِلَّا الظَّرْفَ وَالْأَدَبُ
فَتَاةٌ بَيْنَ مَبْسُومِهَا
وَبَيْنَ عُقُودِهَا نَسَبُ
لِوَاظُهَا نَمَتْهَا الْهِنْدُ
سَدُّ لَكِنْ أَهْلُهَا عَرَبُ
مَرْنَحُهُ إِذَا خَطَرَتْ
رَأَيْتُ الْغَصْنَ يَضْطَرِبُ
مَشَتْ وَوَنَّتْ رَوادِفُهَا
فَكَادَ الْخَصِرُ يَنْقَضِبُ^(١)

(١) الضرب: العسل الأبيض. والشنب: صفة في الأسنان: برودتها

يُسِرُّ الْعَاذِلُونَ إِذَا
نَأَتْ وَيَعُوذُنِي الْوَصْبُ^(١)
وَيَصْطَلِبُونَ إِنْ قَرُبْتُ
وَعِنْدِي يَحْسُنُ الطَّرِبُ
فَأَبْكِي كَأَمَّا ضَحِكُوا
وَأَضْحَكُ كَأَمَّا غَضِبُوا!

(١) الوجع.

٣٥ - صاحب القلم

[البسيط]

أشقى البرية نفساً صاحبُ الهمم
وأتعسُ الخلقِ حظاً صاحبُ القلم
عاف الزمانُ بني الدنيا وقيدَهُ
والطيرُ يحبسُ منها جيدُ النعم
وحكمتُ يدهُ الأقلام في دمه
فلم تصنَّه ولم يعدلْ إلى حكم
فيا له عاشقاً طاب الحمام له
إن المحبَّ لمجنونٌ فلا تلم
لكلِّ ذي همٍّ في دهره أملٌ
وكلُّ ذي أملٍ في الدهرِ نوألم
ويلَّ الليالي لقد قلَّدتني ذريعاً
أدنى إلى مهجتي من مهجة الخصم^(١)
ما حدَّثتني نفسي أن أحطَّمة
إلا خشيتُ على نفسي من الندم
فكأما قلتُ: زهدي طاردٌ كلفني
رجعتُ والوجدُ فيه طاردٌ سأمي
يأبى الشقاءُ الذي يدعونه ألباً
أن يضحكَ الطرسُ إلا إن سفتُ دمي
لقد صحبتُ شبابي واليراعُ معاً

(١) اللسان الذرب. الحاد (ذرب لسانه - يذرب: فصيح).

أودى شبابي.. فهل أبقى على قلبي
كأنما الشعرات البيض طالعة
في مفريقي، أنجم أشرقن في الظلم
تضاحك الشيب في رأسي فعرض بي
نو الشيب عند الغواني موضع التهم
فكل بيضاء عند الغيد فاجعة
وكل بيضاء عندي تغر مبتسم
قل للتي ضحكت من لمتي: عجباً
هل كان ثم شباب غير منصرم؟
أصبحت أنحل من طيف، وأخير من
ضيف، وأسهر من راع على غنم
وليلة بت أجني من كواكبها
عقداً كآني أنال الشهب من أمم^(١)
لا ذاق جفني الكرى حتى تنال يدي
ما لا يفوز به غيري من الحلم
ليس الوقوف على الأطلال من خلقي
ولا البكاء على ما فات من شيمي
لكن (مصرأ)، وما نفسي بناسية
مليكة الشرق ذات النيل والهرم
صرفت شطر الصبا فيها فما خشيت
نفس العنار، ولا نفسي من الوصم
في فتية كالنجوم الزهر أوجههم
ما فيهم غير مطبوع على الكرم
لا يقبضون مع اللأواء أيديهم

(١) يعني. طوع يده (من أمامه).

وَقَلَّ مَا جَادَ نَوَافِرُ مَعَ الْأَزَمِ^(٢)
 حَسْبِي مِنَ الْوَجْدِ هُمُّ مَا يُخَامِرُنِي
 إِلَّا وَأَشْرَقَنِي بِالْبَارِدِ الشَّبِيمِ^(١)
 فِي ذِمَّةِ الْغَرْبِ مَشْتَاقٌ يُنَازِعُهُ
 شَوْقٌ إِلَى مَهْبِطِ الْآيَاتِ وَالْحَكَمِ
 مَا تَغْرُبُ الشَّمْسُ إِلَّا أَدْمَعِي شَفَقُ
 تَنْسَى الْعَيُونَ لَدَيْهِ حُمْرَةَ الْعَنَمِ^(٢)
 وَمَا سَرَتْ نَسَمَاتٌ نَحْوَهَا سَحَرًا
 إِلَّا وَدِدْتُ لَوْ أَنِّي كُنْتُ فِي النَّسَمِ
 مَا حَالُ تِلْكَ الْمَغَانِي بَعْدَ عَاشِقِهَا
 فَإِنِّي بَعْدَهَا لِلْهَمِّ وَالسَّقَمِ
 جَادَ الْكِنَانَةَ عَنِّي وَابِلُ غَدَقُ
 وَإِنْ يَكُ النَّيْلُ يُغْنِيهَا عَنِ الدِّيمِ
 الشَّرْقُ تَاجٌ، وَمَصْرٌ مِنْهُ دُرَّتُهُ
 وَالشَّرْقُ جَيْشٌ، وَمَصْرٌ حَامِلُ الْعِلْمِ
 هِيَاهُ تَطْرَفُ فِيهَا عَيْنُ زَائِرِهَا
 بِغَيْرِ ذِي أَدَبٍ أَوْ غَيْرِ ذِي شِمَمِ
 أَحَنَّى عَلَى الْحُرِّ مِنْ أُمٍّ عَلَى وَلَدٍ
 فَالْحُرُّ فِي مَصْرٍ كَالْوَرَقَاءِ فِي الْحَرَمِ^(٣)
 مَا زِلْتُ وَالِدَهُرُ تَنْبُو عَنْ يَدِي يَدُهُ
 حَتَّى نَبَتْ ضِلَّةً عَنْ أَرْضِهَا قَدَمِي^(٤)
 أَصْبَحْتُ فِي مَعْشَرٍ تَقْذَى الْعَيُونَ بِهِمْ

(١) الشَّبِيمِ: البارد (تأكيد للماء البارد)

(٢) العَنَمُ: أطراف الخرنوب الحُمْر، أو هو الزُّعُرور.

(٣) الورقاء: الحمامة.

(٤) الضِّلَّة: الغيبوبة في خير أو شر.

شَرُّ مِنَ الدَّاءِ فِي الْأَحْشَاءِ وَالنُّحْمُ
مَا عَزَّ قَدْرُ الْأَدِيبِ الْحُرِّ بَيْنَهُمْ
إِلَّا كَمَا عَزَّ قَدْرُ الْحَيِّ فِي الرَّمَمِ
مَنْ كُلَّ فَظٍّ يُرِيكَ الْقِرْدَ مُحْتَشِمًا
وَيُضْحِكُ الْقِرْدُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَشِمٍ
إِذَا بَصُرَتْ بِهِ لَا فَاتَهُ كَدَرُ
رَأَيْتَ أَسْمَجَ خَلَقِ اللَّهِ كَأَنَّهُمْ
مِنَ الْأَعَارِبِ لَكِنْ حِينَ أَنْشَدَهُ
جَوَاهِرَ الشَّعْرِ أَلْقَاهُ مِنَ الْعَجَمِ
مَا إِنَّ تَحَرُّكُهُ هَمًّا وَلَا طَرِبًا
كَأَنَّمَا أَنَا أَتْلُوهَا عَلَى صَنَمٍ
لَا عَيْبَ فِي مَنْطِقِي لَكِنْ بِهِ صَمَمٌ
إِنَّ الصَّوَادِحَ خُرْسٌ عِنْدَ ذِي الصَّمَمِ
حَجَبْتُ عَنْ كُلِّ مَعْلُومٍ النُّهَى دُرِّي
إِنِّي أَضِنُّ عَلَى الْأَنْعَامِ بِالنَّعَمِ
قَوْمٌ أَرَى الْجَهْلَ فِيهِمْ لَا يَزَالُ فِتْنَى
فِي عُنفَوَانِ الصَّبَا، وَالْعِلْمَ كَالْهَرَمِ

٣٦ - إلى الله راجعون

[مخلع البسيط]

بينني وبين العيون سرُّ
الله في السر والعيون
إذا عصت فكرتي القوافي
أوحى لنفسي بها الجفون
هات اسقني الخمر جهراً
ولا تبالي بما يكون
إن كان خيراً أو كان شر
إننا إلى الله راجعون!!

٣٧ - نزوة ألم

[الوافر]

دعي لومي وقاك الله ما بي
فغير الحُرّ أولى بالعتاب
إلى كم تعجبين من انفرادي
وكم ذا تعدّلين على اكتئابي
وإنك لو خبرت الخلق خبري
زهدت الخلق زهد أبي تُراب^(١)
هُمَّ إمّا غبي ليس يدري
ونو علم ولوع بالتغابي
لهم صُور الملائك والأناسي
وأخلاق الأبالس والذئاب
أعاذل، ربما مرّت برأسي
خطوب لا يمرُّ بها حسابي
أبت نفسي النزول إلى الدنيا
وقلبي أن يميل إلى التّصابي
فما دانيت أقداح الحميا
ولم أهمم بغانية كعاب^(٢)
ومما منع الزّهادة فيّ أني
حديد ناظري، غضّ إهابي

(١) كنية للإمام علي بن أبي طالب

(٢) الحميا: الخمرة. والكعاب: التي كعب ثديها (بدا للنهود).

وما كان الشبابُ ليزْدَهيني
لأنني ما أمنتُ على شبابي
أضنُّ به على الشَّهواتِ ضنِّي
على «هَنَدٍ» بشِعْري «والرَّبابِ»
ربيعُ العُمُرِ إن يذهبْ جُزافاً
أَكُنْ من بعده صفراً الوطاب^(١)
ذريني أضطربُ في الأرض، إني
رأيتُ السيفَ يصدأ في القراب^(٢)
وما أنا بالغريبِ الدَّارِ وحدي
فكلُّ الناسِ عندي في اغتراب
أفكّرُ كيف جئتُ، وكيف أمضي
على رغمي، فأعيا بالجواب
أتيتُ ولم أكن أدري مجيئي
وأذهبُ غير دارٍ بالإياب
إذا كان المصيرُ إلى التلاشي
فلمْ جئنا وكنا في حجاب؟
وإن كان المصيرُ إلى خُلودٍ
فما معنى المنية والتُّباب؟^(٣)
أمرٌ لا يُحيطُ بهنَّ فكُرُ
ولو أمسى يُحيطُ بكلِّ باب
أرقتُ لها وأصحابي هُجودُ
باليلٍ مثلِ خافية الغُراب^(٤)

(١) الوطاب: سقاء اللبن - أنية الزاد (ومثله: الوطْب).

(٢) القراب: غمد السيف والسكين (الجمع: قُرْب).

(٣) التُّباب: الهلاك.

(٤) خافية الغراب: ريشة تختفي تحت جناح كل طائر.

سجاً فازَّوَرْتُ الأَقْمَارُ دُعْرَاً
كما رُعْتُ الحَمَائِمُ بِالْعُقَابِ^(١)
فَبِتُّ أَبْنُوهَا هَمِّي وَبَاتَتْ
مُسَهَّدَةً كَأَن بِهَا مُصَابِي
وَالْحُظُّهَا زَهَوْرًا فِي رِيَاضٍ
وَأَقْرُوهَا حُرُوفًا فِي كِتَابٍ
وَمَا هَمِّي سِوَى شَعْبٍ تَعِيسٍ
شَتَّيْتُ الشَّيْءَ لِمِ جَمِّ الإِضْطِرَابِ
يَحَاوِلُ رِزْقَهُ فِي الْمُدُنِ أَنَا
وَأَنَا فِي السَّبَّاسِ وَالْهَضَابِ^(٢)
وَلَوْ عَرَفَ السَّحَابُ يُدِرُّ مَا لَّا
لَأَصْبَحَ رَاكِبًا مَتْنِ السَّحَابِ
رَمَتْهُ الْحَادِثَاتُ بِكُلِّ سَهْمٍ
وَحَدَّثَهُ الزَّمَانُ بِكُلِّ نَابٍ
فَرَاخَ كَأَنَّمَا هُوَ شَعْبٌ مُوسَى
غَدَاةَ التَّيِّهِ فِي الْقَفْرِ الْيَبَابِ^(٣)
نَأَى عَنِ أَرْضِ مِصْرٍ حَذَارٍ ضَمِيمٍ
فَفَرَّ مِنَ الْعَذَابِ إِلَى الْعَذَابِ
❖❖❖❖❖
بِأَيِّتُنَا صَحَافِيٌّ مُرَاءٍ
يُدَاجِينَا وَمَالِيٌّ مُرَابٍ
وَصَحْفٌ لَسْتُ أَدْعُوهَا بِصَحْفٍ
فَمَا هِيَ بِالْقَشُورِ وَلَا اللَّبَابِ

(١) سجاً الليل: سكن وامتدَّ
(٢) السَّبَّاسِ: المفازة الواسعة، لا شيء فيها

أرى أنهارها فآظنُّ ماءً
كذاك العينُ تُخدعُ بالسُّرابِ
فلم أعثُرْ على لفظٍ سَليمٍ
ولم أظفُرْ بمعنى مُستَطابٍ
ولا حُسْنُ هـنَّاك ولا رِواءُ
وأنتى الحُسْنُ لِطَلَلِ الخَرابِ^(١)
فإنَّ تَشَكُّكُ من القُرَّاءِ عاباً
شكا القراءُ منها ألف عابٍ^(٢)



نوي الأقلامُ إنَّنا في احتياجٍ
إلى غيرِ الشُّتائمِ والسُّبَابِ
فهل من قائدٍ فيكمْ حَكِيمٍ
يسيرُ بنا إلى القَصْدِ الصُّوابِ
فنظفرُ بالرجاءِ على يديه
ويظفرُ بالأمانِ والتُّوابِ!



(١) الرِّواءُ: المنظر.

(٢) العاب: العيب.

٣٨ - الكأسان

[الرجز]

كَأَنَّ عَلِيَّ خُوانِ رَبِّ الْمَالِ
كَأَسْـان: مِنْ خَمْرٍ وَمِنْ زُلَالِ^(١)
هَاتِيكَ فِي الْحُمْرَةِ مِثْلُ الْعَنْدَمِ^(٢)
وَتِلْكَ فِي بِياضِهَا كَالدَّرْهِمِ
فَقَالَتِ السُّلَافَةُ النَّثْرَتَارَةَ
عَنْدِي حَدِيثٌ فَاسْمَعِي يَا جَارَةَ
أَنَا الَّتِي تَخَضَعُ لِي الرَّؤُوسُ
أَنَا الَّتِي يَعْبُدُنِي الْمَجُوسُ
كَمْ قَائِدٍ أَضْحَكَتُ مِنْهُ جُنْدَهُ
وَسَيِّدٍ حَكُمْتُ فِيهِ عِبْدَهُ!
وَمَلِكٍ أَسْقَطْتُ عَنْهُ التَّاجَا
وَسَاكِنٍ هَيَّجَتُهُ فَهَاجَا
وَزَوْجَةَ عَامَتُهَا الْخِيَانَةَ
وَوَالِدٍ أَنْسَسِيَتْهُ الْأَمَانَةَ
وَحَدَّثَ خَدَعَتُهُ فَأَنْخَدَعَا
حَتَّى إِذَا مَا شَبَّ عَضَّ الإِصْبَعَا
إِنَّ الْغَفْنَى وَالصَّيْتِ وَالذَّكَا
مَتَى أُرِدَّ صَيَّرْتُهَا هَبَاءَ

(١) الماء الزلال: الصافي.

(٢) العندم: نبات يُستخرج منه صباغ أصفر.

فسمع الماء فهاج غَضَباً
 وقال: مهلاً، بلغ السَّيْلُ الزُّبَى^(١)
 إن تفخري، يا جارتِي، بالشَّر
 فإنَّ بالفعل الجميل فخري
 أنا الذي تُغسلُ بي الكُومُ^(٢)
 ويرتوي الظَّامُ والمَحْمومُ
 يُحبُّني المالكُ والمملوكُ
 والسَّيِّدُ المُطاعُ والصَّعْلوكُ
 حيثُ أكونُ جارياً يَكُونُ
 الوردُ والأقحاحُ والنَّسْرِينُ
 إنَّ المروجَ الخضِرَ لا يُحييها
 غيرُ وجودي حولها وفيها
 كم سرتُ في الوادي وفي الغدير
 على شِيبِيه الدُّرُّ والكافور^(٣)
 وجلس العِشاقُ حولي في السَّحرِ
 على بساط العُشْبِ في ضوءِ القمرِ
 كم اشتَهوا، إذ سمعوا خريري،
 لو أنني أسيرُ في الصُّدورِ
 أنا الذي لولاهُ مات النَّاسُ
 والطيرُ والأسماكُ والأغراسُ
 يا خمِرُ كم ذا تدَّعين الفَضلاً

(١) يقال: بلغ السيل الزبي. أي اشتد الأمر، والزبية: الهضبة التي لا يصل إليها الماء.

(٢) الجراح (مفرداً: كَلَم)

(٣) نبات له زهر أبيض.

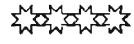
وَبِالْمِيَاهِ تُفْقَتُ أَلْسِنُ قَنَاقِلًا
وَأَمُّكَ الْكَرْمَةُ يَا صَهْبَاءُ^(١)
مَا وَجِدْتُ فِي الْأَرْضِ لَوْلَا الْمَاءُ!

(١) الخمرة للونها الأصهب.

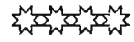
٣٩ - أقوى من الشيب والهزم

[البسيط]

ما زلتُ أحسبُ أنَّ الحبَّ زايأني
حتى نظرتُ إليها وهي تَبْتَسِمُ



فاهتزَّ قلبي كما تهتزُّ نابتةٌ
في القفر مر عليها النُّورُ والنَّسَمُ^(١)



يا حُبُّها لا تخفْ شيباً ولا هزماً
فليس أقوى عليك الشَّيبُ والهزمُ



(١) النَّسَمُ والنَّسْمَةُ: نفْسُ الروح.

٤٠ - لأرفعنَّ لِسْمًا احتجاجي

[الرجز]

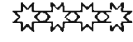
جاء الشتاء جِيئةً المُفاجي
كأنَّما قد كان في الرُّتَّاج
فجمد السَّائلُ في الرُّجَّاج
واكتست الأرضُ بمثل العجاج
فامتنع المرعى على النُّعاج
وامتنع الحبُّ على الدُّجَّاج
وامتنع السَّيرُ على النُّواجي^(١)
رُبَّ جـــــــــــــوادٍ لاحقٍ هـــــــــــــمَّلاج^(٢)
مُـــــــــــــودٍ إلَّجـــــــــــــامٍ وإســـــــــــــراج
والوخذ والذَّمِيلُ والإهـــــــــــــماج^(٣)
أصبح مثل العرْق في اختلاج
مُنْعرجاً في غيرِ ذي انْعراج
لو هاجه الرَّاكِبُ بالكُرباج
لما مشى به سوى اعوجاج
لولا الجليدُ طار بالمهْتاج
مثل البُرَّاقِ بفتى المعراج

(١) الناجية: الناقة السريعة التي تنجو بمن يركبها (وجمعها: النواجي).

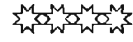
(٢) حسن السير في سرعة وبختره.

(٣) الوخذ والذميل والإهماج: ضروب من عو الإبل.

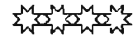
وحطّة والشمس في الأبراج
لكنه منه على الزجاج^(١)



وأمسك الناس عن الأجاج
أما ترى نداءهم تناج
كانما الجموع في الملاهي
على « منى » مواكب الحجاج
ورغب المُنْتَرِي عن الديباج
إلى اللباس الخشن النّسّاج
وكان أن جيء له بالنتّاج
أعرض عنه وارم الأوداج^(٢)



وانقبض النهار عن الهياج
وكان مثل الزّأخر العجاج
يصارع الأمواج بالأمواج
يما سبّح الإوز والدرّاج
كيف غدت موطئ الأحداج^(٣)
ومعبر الخلق إلى الخراج؟



مالي والصّبح على أنبلاج
أخبط كالعشواء في الدّياج
إذا أردت السّير في منهاجي

(١) بسبب الجليد.

(٢) الودج: عرق في العنق (وهما ودجان)

(٣) الحدج: المحفة، من مراكب النساء.

طالَ عثاري فيه وانزلاجي
كانني أمشي على زجاج
محتذياً بالزئبق الرجاج
خيل لي، لشدة ارتجاجي
أن دمي يرتج في أوشاجي^(١)
أرى الدُّنْيا ضيقة الفجاج
ولم تضق، لكنما احتياجي
إلى طريق واضح الشجاج^(٢)
أسألك فيه غير ما انزعاج
وحاجتي بالكوكب الوهاج
كحاجة الأعمى إلى سراج!
إن لج هذا القُرْفى إحراجي
لأرفعن لاسم ما احتجاجي!

(١) وشج وشجاً ووشيجاً: تداخل وتشابك. والوشائج: عروق الأذنين.
(٢) أصل الشجة: الجرح في الوجه والرأس، وجمعه شجاج. يريد هنا المسالك.

٤١ - أنتم معي

[الكامل]

فِي الْمَنْزِلِ الْمَهْجُورِ أَذْكَرُكُمْ
فَاِخَالَنِي فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ

أَنْتُمْ مَعِي فِي كُلِّ أَوْنَةٍ
وَالنَّاسُ تَحْسِبُ أَنَّني وَحْدِي!

٤٢ - الحرب العظمى

[الكامل]

لو أستطيعُ كُتبتُ بالنيرانِ
فلقد عيّيتُ بكمُ وعي بياني
ولكدتُ أستحيي القريض وأتقي
أن يستريب يراعتي وجناني
أمسى يُعاصيني لما جشمتُهُ
فيكمُ، وكنتُ وكان طوعَ بناني
يشكو إلي وأشتكي إعراضكمُ
اللة في عانٍ يلوذُ بعانٍ
عاهدتُهُ ألا أثير شُجُونَهُ
أو يستثير كوامنَ الأشجان
يا طالما استبكيته فبكي لكمُ
لولا الرجاءُ بكيته وبكاني
كم ليلة أحييتها مُتمللاً
طرفي وطرفُ النجم مُلتقيان
تحنو على قلبي يميني، والُدجى
حانٍ على الفتَيَاتِ والفتيان
أجلو عرائسه لكم وأزفوها
ما بين بكرٍ كاعبٍ وعوان^(١)
متألماً فيكم وفي أبنائكم
وهم وأنتم نائموا الأحزان

(١) العوان: النصف (الجمع: عُون).

ما غَالَ نومي حُبُّ معسولِ اللَّمى
ممنوعه، لكنْ هوى الأوطان
أنفقتُ أَيَّامَ الشبابِ عليكمُ
في ذمّة الماضي الشبابُ الفاني
~~~~~

كم تسألوني أن أُعيدَ زمانه  
يا قومُ، مر زمانه وزماني  
هان اليراعُ على البواتر والقنا  
ما تصنعُ الأقلامُ بالمرَّان<sup>(١)</sup>  
ليس الكلامُ بنافعٍ أو تفتدي  
حُمُرُ المضاربِ خُفَّ كلُّ لسان<sup>(٢)</sup>  
والشعبُ ليس بمدرِكٍ أماله  
حتى يسير على النَجيع القاني!  
~~~~~

صلَّ الحديدُ وشَمَرَتْ عن ساقها
وتنكَّر الإخوانُ للإخوان^(٣)
فالخيلُ غاضبةٌ على أرسانها
والبيضُ غاضبةٌ على الأجفان^(٤)
والصوتُ من قُدامهم وورائهم
والهولُ كلُّ ثنيّة ومكان
بسَطَتْ جناحيها ومدَّت ظلّها
فإذا جناحا السَّلم مقصُوصان

(١) المرَّان: الرماح (واحدة: مرَّانة)

(٢) المضرب: ما ضُرب به، والجمع: مضارب.

(٣) صلَّ وصلصل: صوت.

تَغْشَى مَوَاكِبَهَا ثَلَاثُ غِيَاهِبٍ
مِنْ قَسْطٍ طَلٍّ وَدُجْنَةٍ وَدُخَانٍ^(١)
وَيَرْدٌ عَنْهَا كُلُّ خَائِضٍ لُجَّةٍ
سَيَّلَانٍ: مِنْ مَاءٍ وَمِنْ نِيرَانٍ
أَنْتَى التَّفَتُّ رَأَيْتَ رَأْسًا طَائِرًا
أَوْ مَهْجَةً مَطْعُونَةً بِسِنَانٍ
يَمْشِي الرَّدَى فِي إِثَرِ كُلِّ قَذِيفَةٍ
فَكَأَنَّمَا تَفْتَادُهُ بِعِنَانٍ
فَالْجُومُ مِمَّا فَاضٍ مِنْ أَرْوَاحِهِمْ
لَا تَسْتَبِينُ نُجُومُهُ عَيْنَانِ
وَالنَّهْرُ مِمَّا سَالَ مِنْ مُهْجَاتِهِمْ
يَجْرِي عَلَى أَرْضٍ مِنَ الْمَرْجَانِ
وَالْأَرْضُ حَمْرَاءُ الْأَدِيمِ كَأَنَّهَا
خَدُّ الْحَيَّةِ أَوْ خَضِيبُ بَنَانٍ
كَمْ مِنْ مُبِيحٍ لِلضِّيَوفِ طَعَامُهُ
أَمْسَى طَعَامُ الْأَجْدَلِ الْغَرْتَانِ^(٢)
وَمَقَاتِلٍ نَاشٍ الْكَتِيبَةُ، نَاشَةٌ
ظُفَرُ الْعُقَابِ وَمُخْلَبُ السَّرْحَانِ
وَمُحَلِّقٍ بَيْنَ الْمَجَرَّةِ وَالسُّهَى
صَعِدَ الْحَمَامُ إِلَيْهِ فِي الطَّيْرَانِ
وَمُشَيِّدٍ وَقَفَ الزَّمَانُ حِيَالَهُ
مُتَحَيِّرًا بِجَمَالِهِ الْفَتَّانِ

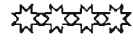
(١) القسطل: الدخان.

(٢) الأجدل: الصقر، والغرتان: الجائع.

أخـنـى عـلى ذكـر «الخـورنق» ذكـره
وسـمـا عـلى «الـحـمراء» و«الإيوان»^(١)
وقضى العصور الناس في تشييده
أودت به مقذوفه وتوان
ومدينة زهراء أمنة الحمى
هدمت منازلها على السكان
خرست بلبائها الشوادي في الضحى
وعلا صياح البوم والغربان
وتعطلت جناتها وقصورها
ولقد تكون بغبطة وأمان
حرب أذل بها التمدن أهله
وجنى الشيوخ بها على الشبان
سحق القوي بها الضعيف وداسه
ومشى على أرض من الأبدان
بئس الوغى، يجني الجنود حتوفهم
في ساحها، والفخر للتيجان
ما أقبح الإنسان يقتل جاره
ويقول هذي سنة العمران
بلي الزمان وأنت مثلك قبله
يا شرعة قد سننها الجدان
فالقاتل الآلاف غانٍ فاتح
والقاتل الجاني أثير جان
لاحق إلا ما تؤيده الظبـا
ما دام حب الظلم في الإنسان

(١) (الخورنق والسدير): قصر المنذر في الحيرة، و(الحمراء) في غرناطة. والإيوان (إيوان كسرى) في العراق.

لو خُير الضعفاءُ لاختاروا الردى
لكن عيش الأَكثَرين أمانى



ما بال قومي نائمين عن العُلا
ولقد تنبّه للعُلا النُّقلان
تُبَّاعُ أحمد والمسيح، هوادة
ما العهدُ أن يتنكّر الأخوان
اللهُ ربُّ الشُّرعتين وربُّكم
فإلى متى في الدين تَخْتَصِمَان؟
مهما يكن من فارق، فكلاكما
يُنَمَى إلى قحطان أو غسان^(١)
فخذوا بأسباب الوفاق وطهروا
أكبادكم من لُوثَةِ الأَضْغان
في ما يحيقُ بأرضكم ونفوسكم
شُغْلُ لَشْتِغَلٍ عن الأديان
نمتّم وقد سهر الأعادي حولكم
وسكنتم والأرضُ في جيشان
لا رأي يجمعكم إذا اختلف القنا
وتلاقت الفرسان بالفرسان
لا رايه لكم يدافع دونها
مُردُّ العوارض، والحُتوفُ دواني^(٢)
لا ذنب للآقِدار في إذلالكم
هذا جزاء الغافل المُتَواني

(١) نماه وأنماه: نسبه.

لو لم يعزَّ الجهلُ بين ربوعكم
ما هان جمعكم على الحدثان
المرء، قيمته المعارفُ والنهى
ما نفعُ باصرةٍ بلا إنسان
ما بالكم لا تغضبون لجدكم
غضباتٍ ملطوم الجبين مهان
أو لستم كالنَّاسِ أهلَ حفاظٍ
أم أنتم لستم من الحيوان؟
أبناءؤكم، لهفي على أبناءكم
يلهوبهم أبناءُ جنكيز خان
النَّازعون المُلْك من أيديكم
العابثون بكم وبالقرآن
أو كما طاعت عليهم أزمه
هاجوا ضغائنكم على الصُّلَّبان
لا تخذعنكم السياسةُ إنَّها
شتَّى الوجوه كثيرةُ الألوان
لو تعقلون عمأتكم لخلاصكم
من دولة القَيْناتِ والخصيان
عارُ على نسلِ الملوك بني العُلا
أن يستذلَّهم بنو الرُّعيان
ثوروا عليهم واطلبوا استقلالكم
وتشبَّهوا بالصرْب واليونان
ماذا يروعُ نفوسكم، ما فيكم

وَكُلُّ وَلَا فِي التُّرْكُ غَيْرُ جَبَانٍ^(١)
وَهَبُوهُمْ الرُّومَانَ فِي غُلَّوَانِهِمْ
أَفَمَا غَلَبْتُمْ أُمَّةَ الرُّومَانِ^(٢)
مَا الْمَوْتُ مَا أَعْيَا النُّطَاسِي رَدُّهُ
مَوْتُ الذَّلِيلِ وَعَيْشُهُ سَيِّئَانِ^(٣)

(١) الغُلَّوَاءُ: الغُلَّوْ، وحدة الشباب.
(٢) النُّطَاسِي: العالم الماهر، والطبيب الحاذق.

٤٣ - دموع وتنهدات

[الطويل]

ألا ليت قلباً بين جنبي دامياً
أصاب سُلوّاً أو أصاب الأمانيا
أجنّ الأسى حتى إذا ضاق بالأسى
تدفّق من عينيّ أحمر قانيا^(١)
تَهيجُ بي الذكرى البروق ضواحكاً
وتُغري بي الوجد الطيور شواذيا
فأبكي لما بي من جوى وصباة
وأبكي إذا أبصرتُ في الأرض باكيا^(٢)
فلا تحسباني أذرفُ الدمع عادةً
ولا تحسباني أنشدُ الشّعْر لاهيا
ولكنها نفسي إذا جاش جاشُها
وفاض عليها الهمُّ فاضتْ قوافيا
يشقُّ على الإنسان خدعُ فؤاده
وإن خادع الدنيا وداجي المُداجيا^(٣)
طلبتُ على البلوى مُعيناً ففاتني
يُؤاسيك من يحتاج فيك مؤاسيا
ومن لم تُضرسه الخطوبُ بنابها
يظنُّ شكاياتِ النفوسِ تشاكيا

(١) أجنّ: ستر وأخفى.

(٢) الجوى: الحرقه وشدة الوجد من الهوى أو الحزن.

رُمِيتُ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا لَوْ قَلِيلُهُ
 رُمِيتُ بِهِ الْأَيَّامُ صَارَتْ لِيَالِيَا
 فَلَا يَشْتَكُ غَيْرِي الْبُؤْسُ فَإِنِّي
 ضَمَنْتُ الرِّزَايَا، وَاحْتَكِرْتُ الْعَوَادِيَا^(١)
 تَمُرُّ اللَّيَالِي لَيْلَةً إِنْ تَرَى لَيْلَةً
 وَأَحْزَانُ قَلْبِي بِأَقْيَاتُ كَمَا هِيَ
 وَلَوْ أَنَّ مَا بِي الْخَمْرُ أَوْ بَارِدُ اللَّمَى
 سَلَوْتُ، وَلَكِنْ أَمَّتِي وَبِلَادِيَا^(٢)
 إِذَا خَطَرْتُ مِنْ جَانِبِ الشَّرْقِ نَفْحَةً
 طَرِبْتُ فَأَلْفَى مِنْكَ بَايَ رِدَائِيَا
 أَحْنُ إِلَى تِلْكَ الْمَغَانِي وَأَهْلَهَا
 وَأَشْتَاقُ مِنْ يَشْتَاقُ تِلْكَ الْمَغَانِيَا
 وَمَا سَرَّنِي أَنْ الْمَلَاهِي كَثِيرَةٌ
 وَفِي الشَّرْقِ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ الْمَلَاهِيَا
 إِذَا مَنُّوا وَالنَّوْمُ يَأْخُذُ مُقْلَتِي
 بِأَهْدَابِهَا، أَمْسَيْتُ وَسَنَانُ صَاحِيَا
 وَكَيْفَ اغْتَبَاطُ الْمَرْءِ لَا أَهْلَ حَوْلَهُ
 وَلَا هُوَ مَنْ يَسْتَعِذُّ الصَّفْوَنَائِيَا
 ❖❖❖❖❖
 تَبَدَّلَتِ الدُّنْيَا مِنَ السَّلَامِ بِالْوَعَى
 وَصَارَ بَنُوهَا الْعَاقِلُونَ ضَوَارِيَا
 فَمَا تُنْبِتُ الْغَبْرَاءُ غَيْرَ مَصَائِبِ
 وَمَا تُمَطِّرُ الْأَفْلَاكُ إِلَّا بَوَاهِيَا

(١) العوادي. ما يشغل الإنسان عن أموره (المفرد. عادية).

(٢) اللَّمَى: سواد مرغوب في الشفة، لامتلأها بالدم.

وناكر حتى الليل زهر نجومه
 وماء الخضم المنشآت الجواريا
 وبات سبيلُ كان يسري به الفتى
 بلا حارسٍ، يمشي به الجيشُ خاشيا
 تَقَطَّعتِ الأسبابُ بيني وبينهم
 فليس لهم نحوي وصولٌ ولا ليا
 وكان لنا في الكُتُبِ عونٌ على الأسى
 وفي (البرق) ما يُدني المدى المُتراميا
 فلم تَأْمَنِ الأسرارُ في (السَّلكِ) سارقاً
 ولم تَأْمَنِ الأخبارُ في الطُّرسِ ماحياً^(١)
 إذا قيلَ هذا مُخْبِرٌ مَلَّتْ نحوه
 بسمعي ولو كان المُحدثُ واشيا
 وتَعَلَّمُ نفسي أنه غيرُ عالمٍ
 ولكنني أَسْتَدْفِعُ اليأسَ راجيا
 سرى الشكُّ حتى ما نُصَدِّقُ راوياً
 وطالَ فَبِتْنَا ما نُكْذِبُ راوياً
 أَقْضِي نَهاري طائرَ النَّفْسِ حائراً
 وأَقْطَعُ ليلي كاسفَ البالِ ساهياً
 فما هُمَّ بأمواتٍ فَنَبْكي عليهمُ
 ولا هُمَّ بأحياءٍ فَنَرْجو التَّلَاقِيا



كَأَنِّي بِهِمْ قَدْ أَخْرَجُوا مِنْ بُيُوتِهِمْ
 حُفَاةً عِراءَ جَائِعِينَ صَوَادِيَا^(٢)
 كَأَنِّي بِالْغَوَغَاءِ ثَارَتْ عَلَيْهِمْ
 وَبِالْجُنْدِ تَعْطِي الثَّائِرِينَ الْمَوَاضِيَا

(١) يعني: أسلاك البرق.
 (٢) الصوادي: العطاش (صدي - يصدى).

كَأَنِّي بِهِمْ قَدْ أَعْمَلَ السَّيْفُ فِيهِمْ
 كَأَنَّ الدَّمَ الْقَانِي يَسِيلُ سَوَاقِيَا
 كَأَنِّي بِالذُّورِ الْحَسَنِ خَرَّابُ
 كَأَنِّي بِالْجَنَاتِ صَارَتْ فَيَافِيَا^(١)
 مَشَاهِدٌ لَاحَتْ لِي فَهَزَّتْ فَرَائِصِي
 كَمَا ذُعِرَ الْمَلْسُوعُ رَأَى الْأَفَاعِيَا^(٢)
 فَبِتُّ كَأَنَّ السَّهْمَ بَيْنَ أَضَالَعِي
 كَأَنِّي أَقْلُ الشَّاهِقَاتِ الرُّوَاسِيَا
 وَلَوْ أَجْنَبِيٌّ لَا تَقِينَا سَهَامَهُ
 وَلَكِنَّمَا الْإِخْوَانُ صَارُوا أَعَادِيَا
 أَطَاعُوا طُغَاةَ التُّرْكِ فِينَا وَطَالَمَا
 عَصَى فِيهِمُ التُّرْكِ وَفِينَا النَّوَاهِيَا
 وَكَمْ رَاغَ مَا بَيْنَ الْمَسِيحِ وَأَحْمَدِ
 وَحَارِبِ «بِالسُّورِي» أَخَاهُ «الْيَمَانِيَا»^(٣)
 فَإِنْ يَنْسُ «حُورَانًا» فَتَاهُ وَجَارُهُ
 فَإِنْ رُبَا حُورَانٍ لَمْ تَنْسُ (سَامِيَا)^(٤)
 أَلَا لَيْتَ مَنْ بَاعُوا عَلَى الْغَبْنِ وَدُنَا
 مِنَ التُّرْكِ بَاعُوا ذَلِكَ الْوُدَّ غَالِيَا
 وَيَا لَيْتَ مَنْ بَاعَ الْبِلَادَ وَأَهْلَهَا
 «بِفُلْكَينَ» لَمْ يَخْتَرْ لَهَا الْبُؤْسَ شَارِيَا^(٥)
 ❖❖❖❖❖

(١) الفيفاء (الفيافي) البراري الواسعة البعيدة من الماء.

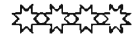
(٢) الفريضة: لحمه عند منبض القلب. وراء: رأى.

(٣) راغ: حاد ومال إليه سرّاً (والاسم الروغان).

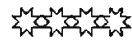
(٤) يبدو أنه اسم علم لرجل كانت له صلة معروفة بحوران.

(٥) (الفلك) من العملة العثمانية.

فيا أمةً قد طالَ عهدُ سُبَّاتها
متى يكشفُ الإصباحُ عنك الدِّياجِيا
إلى كم تودَّين البقاءَ لعشرٍ
بقاؤهم يُدني إليك التَّلاشِيا
ثلاثةُ أجيالٍ تقضتِ وأنتم
تُسامونَ منهم ما تُسامُ المواشِيا
أما أن يسترجع التَّاجُ أهلهُ
ويسترجع التَّاجُ المهابةَ ثانيا
متى كان (جنكيزُ) «لقطحانَ» سيِّداً
فيمسي بنو هذا لذاك موالِيا؟



ويا عقلاءَ العُربِ هذا زمانُكم
فكونوا لمن ضلَّ المحجَّةُ، هادِيا^(١)
إذا عذرَ الأعمى الورى في ضلاله
فلا يعذرون الناظر المتعامِيا
أرى ظُلُماتٍ مُطَبِّقاتٍ حوالِكا
فإن تطلَّعوا فيها رأيتُ الدُّرارِيا^(٢)
غداً ينشرُ التاريخُ عنكم حديثه
ويتلو الذي يتلوه ما كان خافِيا
فإن شئتُم أمسى عليكم محامداً
وإن شئتُم أمسى عليكم مساويا



ويا أيُّها الجالون إنَّ بلادكم
تُناديكم لو تسمعون مُنادِيا

(١) المحجة: الطريق المقصودة.

لقد عَقَّدَتْ فِيهَا الْخُطُوبُ عِجَاجَةً
وَسَاقَ عَلَيْهَا جَيْشَهُ الْجُوعِ غَازِيَا^(١)
وَبَاتَ نَوُوكُكُمْ يَجْهَلُونَ مَصِيرَهُمْ
كَأَنَّهُمْ مَاءٌ أَضَاعَ الْمَجَارِيَا
مِنَ الْعَارِ أَنْ يَغْشَى الرُّقَادُ جُفُونَكُمْ
عَلَى حِينٍ يَغْشَى الدَّمْعُ تِلْكَ الْمَاقِيَا
مِنَ الْعَارِ أَنْ يَكْسُو الْحَرِيرُ جَسُومَكُمْ
وَلَمْ تُبْقِ مِنْهُمْ شِدَّةُ الضَّنْكِ كَاسِيَا
مِنَ الْعَارِ أَنْ يَبْقَى عَلَيْكُمْ جُمُودُكُمْ
وَقَدْ بَلَغَتْ تِلْكَ النَفُوسُ التَّرَاقِيَا^(٢)
إِذَا الْمَالُ لَمْ يُنْفَقْهُ فِي الْخَيْرِ رَبُّهُ
رَأَاهُ عَلَيْهِ الْعَالَمُونَ مَخَازِيَا
إِنْ الْمَرْءُ لَمْ يَسْعَ لْخَيْرِ بِلَادِهِ
يَكُنْ كَالَّذِي فِي ضُرَّهَا بَاتَ سَاعِيَا

(١) العجاجة: الغبار والدخان.

(٢) التراقي جمع (الترقوة): العظم الواصل بين ثغرة النحر والكتف.

٤٤ - أخت البلجيك

[الكامل]

يا لوعةً حار النُّطاسي فيك
كم يشتكى غيري وكم أخفيك
إن بُحْتُ بالشكوى فغايةً مُجهد
لم تُبق لي كِبِداً فاستَبَقيك
أجناية الطُّرف الكحيل على الحشا
الله حسبي في الدَّم المسفوك
ما في الشرائع لا ولا في أهلها
من يستحل الأخذ من جانبيك
يا هذه كم تشحذين غراره
أو ما خشيت حده يُؤذيك^(١)
يا أخت ظبي القاع لو أعطيته
لحظيك صاد الصائدیه أخوك
روحي فدى عينيك مهما جارتا
في مهجتي وأبي فداءً أبوك
رمتا فكلُّ مُصممٍ ومقومٍ
نابٍ، وكلُّ مُسرِّدٍ وحببيك^(٢)
الله في قتلى جُفونك إنهم
ظالموا نفوسهم وما ظالموك

(١) الغرار. حدّ الرمح.

(٢) مسرّد. مثل تسريد النرع (تداخل الحلق بعضها في بعض).

إِن تُبْصِرْنِي أَتَقِي فَتَكَاتِهَا
 فَلَقَدْ أَصُولُ عَلَى الْقَنَا الْمَشْبُوكِ^(١)
 كَمْ تَجْحَدِينَ دَمِي وَقَدْ أَبْصَرْتَهُ
 وَرَدًّا عَلَى خَدِّكَ غَيْرَ مَشُوكِ^(٢)
 رُدِّي حَيَاتِي إِنَّهَا فِي نَظَرَةٍ
 أَوْ زُورَةٍ أَوْ رَشْفَةٍ مِنْ فَيْكِ
 لَوْ تَنْظُرِينَ إِلَى قَتِيلِكَ فِي الدُّجَى
 يَرَعَى كَوَاكِبَهُ وَيَسْتَرْعِيكَ
 وَاللَّيْلُ مِنْ هَمِّ الصَّبَاحِ وَضُوئِهِ
 حَيْرَانٌ حَيْرَةً عَاشِقٍ مَهْتُوكِ
 لَعَجِبْتَ مِنْ زُورِ الْوَشَاةِ وَإِفْكَهِمْ
 وَمَنْ الَّذِي قَاسَيْتُ فِي حُبِّكَ
 حَوْلِي إِذَا أَرَخَى الظَّلَامُ سَجُوفَهُ
 لَيْلَانِ: لَيْلُ دُجَى وَلَيْلُ شُكُوكِ
 تَمْتَدُّ فِيهِ بِي الْكَابَةِ وَالْأَسَى
 مِثْلَ امْتِدَادِ الْحَرْفِ بِالتَّحْرِيكِ
 مَا لِي إِذَا شِئْتُ السَّلَوُ عَنْ الْهُوَى
 وَقَدِرْتُ أَنْ أَسْأَلُوكَ لَا أَسْأَلُوكَ
 فُكِّي إِسَارِي إِنَّ خَلْفِي أَمَّةٌ
 مَضْنُوكَةٌ فِي عَالَمٍ مَضْنُوكِ
 وَأَحَبَّةٌ سَدَّ الْقُنُوطُ عَلَيْهِمْ
 وَالْخَوْفُ كُلُّ مَعْبُدٍ مَسْأُوكِ
 لَا تَسْأَلْنِي كَيْفَ أَصْبَحَ حَالُهُمْ
 إِنِّي أَخَافُ حَدِيثَهُمْ يَشْجِرُكَ

(١) أراد (التبصير) بمعنى التعريف والإيضاح.

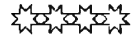
باتوا برغمهم كما شاء العدا
 لا حزنهم واهٍ ولا بركيك
 لا يملكون سوى التحسّر، إنه
 جهدُ الضعيف الواجد المفلوك^(١)
 تترقرق العبرات فوق خدودهم
 يا من رأى درراً بغير سلوك^(٢)
 أخذ العزيز الدلّ من أطواقه
 والجوع يأخذ مُهجة الصُّعْلوك
 قل للمبذر في الملاهي ماله
 ماذا تركت لذي الأسى المتروك
 أيبت يشرب من معين دُمّوعه
 وتبيت تحسوها كعين الديك^(٣)؟
 ويروح في أطماره، وتَميسُ في
 ثوبٍ لأيام الهناء محوك
 إن كنت تأبى أن تُشاركه سوى
 نُعمى الحياة فانت غير شريك
 يا ضرة البلجيك في أحزانها
 تبكيك حتى أمّة البلجيك
 حُمّلت ما يُعيب الشواهِق حملُه
 يا ليت ما حُمّلت في شانيك
 سلّ البُغاة عليك حُمّر سَيوفهم
 لا أنت جانبيّة ولا أهْلوك

(١) المفلوك: الفقير، وجمعه: مفلوك.

(٢) يريد: درراً لا ينتظمها السلك.

(٣) شراب صافٍ كعين الديك: صافٍ شديد الصفاء.

جَنَّ الْقَضَاءُ فَعَالَ حَسَنَكَ قُبْحُهُ
وَأَذَلَّ أَبْنَاءَ الطَّغَامِ بَنِيكَ^(١)
لَا أَشْتَكِي الدُّنْيَا وَلَا أَحْدَاثَهَا
هَذِي مَشِيئَةٌ ذِي الْمَشِيئَةِ فَيْكَ
لَوْ أَمَلَكَ الْأَقْدَارُ أَوْ تَصَرَّفَهَا
لَأَمَرْتُهَا فَجَرْتُ بِمَا يُرْضِيكَ
وَلَوْ أَنَّهُ تَدْرِي وَتَعْقِلُ لَانْتَنَتْ
تَرْمِي بِأَسْهُمِهَا الَّذِي يَرْمِيكَ
إِنْ يَفْتَدِيكَ أَخُو الْغَنَى بِنُضَارِهِ^(٢)
فَبِدْرَهَمِي وَبِمُهِجَتِي أَفْدِيكَ^(٣)
وَمَنْزَلُ الْبُؤْسَاءِ أَوْلَى بِالْأُنْدَى
وَلَأَنْتِ أَوْلَاهَا بِمَالِ نَوِيكَ



يَا أُمَّةً فِي الْغَرْبِ يَنْعُمُ شَطْرُهَا
رَفِيقًا بِشَطْرِ بَائِسٍ مَنَّهُوَك
جَادَتْ عَلَيْكُمْ، قَبْلَ مَا كُنْتُمْ بِكُمْ
جُودُوا بِبَعْضِ الْعَسْجِدِ الْمَسْجُوكِ!!^(٣)



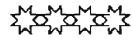
(١) الطَّغَام: الأوغاد.

(٢) النُّضَار: الذهب.

٤٥ - بين الضحك واللعب

[السريع]

أعطيتُ من أعشْقُها وردةً
من بعد أن أودعْتُها قلبي
فجعلتُ تنزُّر أوراقها
بأنملٍ كالعنَمِ الرطْبِ^(١)
لا تسألوا العاشقَ عن قلبه
قد ضاع بين الضحك واللعبِ



لم أقطف الوردَ من غصنها
لو لم تكن كالخدِّ في الإِتْقَادِ
ولم تُمزقْ هندُ أوراقها
لولا اشتباهُ بينها والفؤادِ!..



(١) العنَم. شجر أغصانه لينّة، يُشبه به بنان المرأة.

٤٦ - أمة تظني وأنتم تلعبون

[الرمل]

أُ على عيني من الدمع غشاءً
أم على الشمس حجابٌ من غمام؟
غاض نور الطُرف أم غارت ذُكاء
لست أدري غير أني في ظلام



ما لنفسي لا تُبالي الطُربا
أين ذاك الزهُو، أين الكأف؟
عجباً ماذا دهاها عجباً
فهي لا تشكو ولا تستعطف
ليتها ما عرفت ذاك النُبا
فالسعيد العيش من لا يعرف
لا ابتسام الغيد، لا رقصُ الطلاء^(١)
يتصبَّأها ولا شدو الحمام
بالكرى عني وبني عنه جفاء
أنا وحدي... أم كذا كلُّ الأنام؟



لا أرى لي من همومي مهرباً
فهي في هذا وذِيَّاك الطريق
في الرُّبَا فوق الرُّبَا تحت الرُّبَا
في الفضاء الرَّحْب، في الروض الأنيق

(١) يريد. الطلاء: الخمرة.

في اهتزاز الغُصْنِ في نَفْحِ الصُّبَا

في انسجام الغيثِ في لمح البروق^(١)

كَلَمَّا أومض برقٌ أو أضاءَ

بِتُّ أشكو في الدُّجَى وَقَعَ السَّهَامُ

في ابتسام الفجر للمرضى شفاءً

وابتسام الفجر فيه لي سقامٌ



تعتريني هزّةٌ كالكَهْرِبَا

كَلَمَّا حنَّ مشوقٌ لمشوقٍ

علّمتُ عيني السُّهاد الكوكبا

وفؤادي علّمَ البرقَ الخُفُوق

ما دعوتُ الدَّمْعَ إلا انسكبا

يا دُمُوعي أنتِ لي أوفى صديق

لم أر كالينس يغري بالبكاء

لا ولا كالأدمع يشفي المستهام

فاستعينوا بالبُكا يا تُعَسَاءُ

كلما اشتدَّتْ بكم نارُ الهَيَام



خلتُ قلبي بالأسى منفردا

وأنا وحدي صريعُ المحنِ

وتوهمتُ الأسى لن يجدا

سكناً في غير قلبي المُنْخَن

وظننتُ الدهر مهما حقّدا

سوف لا يفجعني في وطني

(١) الصُّبَا: الريح الندية (القادمة من نجد، في الأصل).

فإذا تلك المغانى في شقاء
وإذا كلُّ فؤادٍ في ضرام
ذهبت كلُّ ظنوني في الهواء
وتولت مثل أضغاث المنام



لا تلمني إن أنا لمت القضا
ولم الدهر الذي أخنى علي
لم تدع في الليالي غرضاً
والضنى لم يُبق مني غير في
لا تسألني: أي خطب عرضاً
في الحشا وجد وفي القول^(١) عي

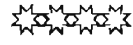
فل غربي سالب السيف المضاء^(٢)
والشذا الزهرة والعقد النظام
وإذا ما غلب اليأس الرجاء
هانت الشكوى ولم يجد الكلام



صرت لكن مثلاً ما شاء الكمد
شاعراً من مقلاتي أرتجل
صد ما كان بنفسه عنه صد
وتجافاني الكلام المرسل
عقد الحزن لسانى فأنعقد
أي سيف ما اعتراه الفأل؟

(١) القول: اللسان. والعي: انحباس الكلام.

بي هموم كَأَمَّا لَاحِ الضِّيَاءُ
ضربتُ فوقَ عيوني بالثَّامِ
وشَجُونُ كَأَمَّا جَنَّ السَّاءِ
قطعتُ بينَ جُفُونِي والمَنَامِ



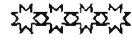
لا أرى غيرَ خيالاتٍ تَسِيرُ
مُهْطَعَاتٍ^(١) عن يساري واليمينِ
فوق أرضٍ من دماءٍ وسَعِيرُ
في فضاءٍ من همومٍ وشَجُونِ
عجبا.. أين ابتساماتُ التُّغُورِ
ما لِقَومِي كَأَنَّهُم بَاكِ حَزِينِ
كلُّ ما أسمعُ نوحٌ وبكاءُ
كلُّ ما أبصرُ «صرعى ورمام»
زلزلتْ زلزالها هذي السماءُ
أم تُرى فضتْ عن الموتى الرجاءُ^(٢)



وقع الأمرُ الذي لا يُدْفَعُ
وجنى الجاني على تلك الربوعِ
واحتواها نَهْمٌ لا يشبعُ
فاحتوى سكانها خوفٌ وجوع
فهِيَ إما دمنَةٌ أو بَلَقْعُ
وهمٌ إمَّا قَتِيلٌ أو صَرِيعُ

(١) أھطع في السير أسرع.

إن شكتِ قالت على الدُّنيا العفاءُ
أو شكّوا قالوا على الناس السلامُ
عبثَ الإنسان فيها والقضاءُ
أه من جور الليالي والطُّغام^(١)



رُبَّ طفلٍ طاهرٍ ما أثمّا
مات موت الأثم المُجْتَرِمِ^(٢)
كان ممن يُرتجى لو سلما
للعُلا لکنّه لم يسلم
كوكبٌ ما كاد يبدو في السّما
طالعاً حتى اختفى كالحُم
غاض مثل الماء في الأرض العراءُ
ما عهدتُ البدر مَنّواه الرُّغام^(٣)
هكذا أودت به ریحُ الشّتاء
زهرةٌ لم تَنفتح عنها الكمام^(٤)



رُبَّ شيخٍ أقعدته الحائثاتُ
ومشي «الأبيض» في لَمّته
وثناه الضعف عن حمل القنّاة
وعن السابق في حُلبته^(٥)
كان من قبل حُلُولِ الكارثاتِ
أمنّاً كالنُّسر في وُكْنَتِه^(٦)

(١) الطُّغام: الأوغاد والأويّاش.

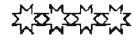
(٢) المجترّم: المرتكب الجرم.

(٣) الرُّغام: التراب.

(٤) الكمام: غطاء نور الزهرة.

(٥) القنّاة: الرمح (والجمع: القنّاء). ويقصد بالسابق: الحصان.

لاهيأ يذكُر أيام الصبأ
ولياليه وفي النُّغر ابتسام
حكَم العاتي عليه بالفناء
وأبى المقدور إلا أن يُضام



وفتى كالغصن ريان نَضِير
تحلُم الخُودُ به إذ تحلُم^(١)
وتراه لـهوى بين البُور
فتراه فوقهنَّ الأنجم
ألمعي الذَّهن والقلب الكبير
ملك في بُردتيه ضيغم^(٢)

بات لا يقوى على حمل الرداء
منكباه وهو في العشرين عام
ما به عجز ولا داء عياء^(٣)
غير أن الجوع قد هدد العظام



وصغار مثل أفراخ القطا
يتضاغون من الجوع الشديد^(٤)
وهنت أعصابهم لمّا سطا
والطوى يؤهن عزمات الأسود
أرأيت العقد إمّا انفرطا
هكذا دمعهم فوق الخُود

(١) الخود. الفتاة البكر.

(٢) الضيغم. الأسد.

(٣) الداء العياء: الصعب الذي يعيي الطبيب.

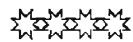
(٤) القطا (ومفرده. قطاة) الطائر. وضفا: صاح من الألم.

زَهَقَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي شَكْلِ مَاءٍ
لِلأَسَى، لِهَ مَا أَقْسَى الْحَمَامِ
يَا رَعَى اللَّهُ نَفُوسَ الشَّهْدَاءِ
وَسَقَى أَجْدَانَهُمْ صَوْبُ الْغَمَامِ^(١)



أَيُّهَا الْجَائُونَ عَنْ ذَاكَ الْحَمَى
إِنَّ فِي ذَاكَ الْحَمَى مَا تَعْلَمُونَ
ضَمِيمٌ فِي أَحْرَارِهِ وَاهْتِضَمَّا
وَوَقَفْتُمْ مِنْ بَعِيدٍ تَنْظُرُونَ
لَا، وَمِنْ شَاءِ لَنَا أَنْ نَنْعَمَا

مَا كَذَا يَجْزِي الْأَبَّ الْبِرَّ الْبَنُونَ
كُلُّكُمْ يَا قَوْمُ فِي الْبِلَوى سَوَاءٌ
لَا أَرَى فِي الرُّزْءِ لُبْنَاناً وَشَامَ
فِي رَبِّا لِبْنَانَ قَوْمِي الْأَصْفِيَاءِ
وَيَأْرُضُ الشَّامَ أَحْبَابِي الْكَرَامَ



الْإِيَالِي غَادِيَاتُ رَائِحَةٍ
بِالدَّوَاهِي وَأَرَاكُمُ تَضْحَكُونَ
مَا اتَّعَظْتُمْ بِالسَّنَنِ الْبَارِحَةِ
لَا وَلَا أَنْتُمْ غَدًا مُتَّعِظُونَ
يَا لَهَوْلِ الْخُطْبِ!... يَا لَفَاحَةِ
أُمَّةٍ تَفَنَّى وَأَنْتُمْ تُلْعَبُونَ

(١) صوب الغمام: مطره النازل.

فادفنوا أضعفانكم يا زعماء
يبعث الله من القبر الوئام
وابسطوا أيديكم يا أغنياء
أبغض السُّحبِ إلى الصَّادي الجَهَام^(١)

(١) الجَهَام. السحاب الذي لا ماء فيه.

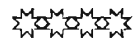
٤٧ - (في الليل)

متى يذكر الوطن النوم

[المتقارب]

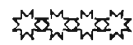
جَلَسْتُ وَقَدْ هَجَعَ الْغَافِلُونَ
أَفْكَرُ فِي أَمْسِنَا وَالْقَدِ
وَكَيْفَ اسْتَبَدَّ بِنَا الظَّالِمُونَ
وَجَارُوا عَلَى الشَّيْخِ وَالْأَمْرَدِ
فَخَلَّتْ اللِّوَاعِجُ بَيْنَ الْجِفُونَ
وَأَنَّ جَهَنَّمَ فِي مِرْقَدي
وَضَاقَ الْفُؤَادُ بِمَا يَكْتُمُ

فَأَرْسَلْتُ الْعَيْنُ مَدْرَارَهَا

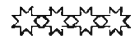


زَكَرْتُ الْحُرُوبَ وَوِيْلَاتَهَا
وَمَا صَنَعَ السَّيْفُ وَالْمَدْفَعُ
وَكَيْفَ تَجَوَّرَ عَلَى ذَاتِهَا
شَعُوبٌ لَهَا الرِّتْبَةُ الْأَرْفَعُ
وَتَخَضَّبُ بِالدَّمِ رَايَاتُهَا
وَكَانَتْ تَذُمُّ الَّذِي تَصْنَعُ
فَبَاتَتْ بِمَا شِئِدَتْ تَهْدِمُ

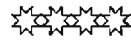
صُرُوحَ الْعُلُومِ وَأَسْرَارَهَا



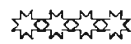
نَسَاءٌ تَجُودُ بِأَوْلَادِهَا
عَلَى الْمَوْتِ، وَالْمَوْتُ لَا يَرْحَمُ
وَجُنْدٌ تَجُودُ بِأَكْبَادِهَا
عَلَى الْأَرْضِ، وَالْأَرْضُ لَا تَعْلَمُ
وَتَغْدُو الطَّيُورُ بِأَجْسَادِهَا
فَإِنْ عَطِشْتَ فَالْشَّرَابُ الدَّمُ
وَفِي كُلِّ مَنَزَلَةٍ مَأْتَمٌ
تَشُقُّ بِهَا الْغَيْدُ أَرْزَارَهَا



لَقَدْ شَبِعَ الذَّنْبُ وَالْأَجْدَلُ
وَأَقْفَرَتِ السُّورُ وَالْأَرْبَعُ
فَكَمْ يَقْتُلُ الْجَحْفَلَ الْجَفْلُ
وَيُفْسِتُكَ بِالْأَرْوَعِ الْأَرْوَعُ
وَلَنْ يُرْجِعَ الْقَتْلُ مَنْ قُتِلُوا
وَلَنْ يَسْتَعِيدَ الَّذِي ضَيَعُوا
فَبَيْئَسَ الْأَلَى بِالْوَعَى عَالَمُوا
وَبَيْئَسَ الْأَلَى أَجْجُوا نَارَهَا



أَمِنْ أَجْلِ أَنْ يَسْلَمَ الْوَاحِدُ
تُطَلُّ الدِّمَاءُ وَتَفْنَى الْأَلُوفُ؟
وَيُزْرَعُ أَوْلَادُهُ الْوَالِدُ
لِتَحْصِدَهُمْ شَفَرَاتُ السَّيُوفِ؟
أَمْوَرٌ يُحَارِبُ بِهَا النِّاقِدُ
وَتُدْمِي فُؤَادَ اللَّبِيبِ الْحَصِيفُ
فِيَا لَيْتَ شَعْرِي مَتَى يَفْهَمُ
مَعَانِي الْحَيَاةِ وَأَسْرَارَهَا



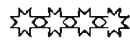
وحولتُ طرفي إلى المشرقِ
فلم أرَ غيرَ جبالِ الغيومِ
تحومُ على بدره المشرقِ
كما اجتمعتُ حول نفسي الغُمومِ
فأسندتُ رأسي إلى مرفقي
وقلتُ، وقد غلبتني الهُمومِ
بربك، أيتهها الأنجمُ

متى تضعُ الحربُ أوزارها؟



كما يُقتلُ الطيرُ في الجنةِ
ويُقْتَنَصُ الظُّبْيُ في السَّبَبِ^(١)
كذلك يُجَنِّي على أمّتي
بلا سببٍ وبلا مُوجبِ
فحتّامٌ تُؤخذُ بالقوةِ
ويُقْتَصُّ منها، ولم تُذنب؟
وكم تستكينُ وتستسلمُ

وقد بلغ السَّيْلُ زُنارها



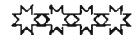
وسيقَّتْ إلى النُّطعِ سوقَ الغنمِ
مغاويرُها ورجالُ الأدبِ^(٢)
وكلُّ امرئٍ لم يمتِ بالخِذَمِ
فقد قتلوه بسيفِ السُّغَبِ^(٣)

(١) السبب: المفازة الواسعة الخالية.

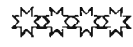
(٢) النطع: بساط من جلد، تقطع فوقه الرؤوس.

(٣) الخدم: سرعة القطع، والمخِذَم: السيف القاطع. السُّغَب: الجوع.

فَمَا حَرَّكَ الضَّيْمُ فِيهَا الشَّمَمُ
وَلَا رَوَّيَهُ الدَّمُ فِيهَا الْغَضَبُ
تَبَدَّلَتِ النَّاسُ وَالْأَنْجَمُ
وَلَمَّا تَبَدَّلَ أَطْوَارُهَا



أَرَى الْإِيْثَ يَدْفَعُ عَنْ غَيِّضَتِهِ
بِأَنْيَابِهِ وَيَأْظِفُ فَارِهِ
وَيَجْتَمِعُ النَّمْلُ فِي قَرِيَّتِهِ
إِذَا خَشِيَ الْغَدْرَ مِنْ جَارِهِ
وَيَخْشَى الْهَزَارَ عَلَى وَكْنَتِهِ
فَيَدْفَعُ عَنْهَا بِمَنْقَارِهِ^(١)
فَلَا الْكَاسِرَاتُ وَلَا الضَّيْغُ
وَلَا الشَّاةُ تَمْدَحُ جَزَارَهَا



عَجِبْتُ مِنَ الضَّاحِكِ اللَّاعِبِ
وَأَهْلُوهُ بَيْنَ الْقَنَا وَالسُّيُوفِ
يَبْيُتُونَ فِي وَجَلٍ نَاصِبٍ
فَإِنْ نَصَبُوا أُلْجِئُوا لِلْكَهْوفِ
وَمِمَّنْ يُصَفِّقُ الضَّارِبِ
وَأَحِبَّابُهُ يَجْرِعُونَ الْحَنْتُوفِ
مَتَى يَذْكُرُ الْوَطْنَ النُّومُ
كَمَا تَذْكُرُ الطَّيْرُ أَوْكَارَهَا؟



(١) الْوَكْنُ: عَشِ الطَّائِرِ أَوْ مَأْوَاهُ فِي جَبَلٍ أَوْ جِدَارٍ.

٤٨ - سقوط أرضروم^(١)

[البسيط]

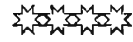
أعدُّ حديثك عندي أيها الرجلُ
وقلْ كما قالتِ الأنبياءُ والرُّسلُ
قد هاج ما نقل الراوون بي طرباً
ما أجمل الرُّسل في عيني وما نَقَلُوا
فاجمع رواياتهم واملاً بها أنني
حتى تراني كآني شاربٌ ثمل
دعْ زُخْرُفَ القولِ فيما أنت ناقله
إنَّ المليحة لا يُزري بها العطل^(٢)
فكلُّ سمعٍ إذا قلت «السُّلاف» فمُ
وكل قولٍ، إليهم ينتهي، عسل
لا تسقني الراح إلا عند ذكرهم
أو ذكرِ قائدهم أو ذكرِ ما فعلوا
همُ المساميحُ يحيي الأرض جودهم
إذا تنكَّب عنها العارضُ الهطل^(٣)
همُ المصابيحُ تستهدي العيونُ بها
إذا اكفهر الدُّجى واحتارت المقل

(١) «إيالة» شرقي تركية، احتلها الروس لثالث مرة سنة ١٩١٦ خلال الحرب العالمية الأولى، وعنّها كتب أبو ماضي نصه الشعري.

(٢) العطل: المرأة الخالية من الحلي.

(٣) العارض: السحاب يعترض في الأفق.

هَمْ الْغَزَاةُ بَنُو الصَّيْدِ الْغَزَاةُ، بِهِمْ
وَبَطَّشَهُم بِالْأَعَادِي، يُضْرَبُ الْمَثَلُ
قَوْمٌ يَبِيْتُ الضَّعِيفُ الْمُسْتَجِيرُ بِهِمْ
مَنْ حَوْلَهُ الْجَنْدُ وَالْعَسَالَةُ الذُّبُلُ^(١)
فَمَا يُلَمُّ بِمَنْ صَافَاهُمْ أَلَمٌ
وَلَا يَدُومُ لِمَنْ عَادَاهُمْ أَمَلٌ



أَيْطَلِبُ التُّرْكَ أَنْ تَعْلُوا أَهْلَانَهُمْ
(٢)

«وَالْفَرَنْدُقُ» رَأْيٌ مِثْلُ صَارِمِهِ
يَزِلُّ عَنْ صَفْحَتَيْهِ الْحَادِثُ الْجَلَلُ^(٣)
الْمُقْبِلُ الصَّدْرُ، وَالْأَبْطَالُ نَاكِصَةٌ
تَحْتَ الْعَجَاجَةِ لَا يَبْدُو لَهَا قُبْلُ^(٤)
وَالْبَاسِمُ النَّغْرُ، وَالْأَشْلَاءُ طَائِرَةٌ
عَنْ جَانِبِيهِ، وَحَرُّ الطُّعْنِ مِتَّصِلُ
سَعْدُ السُّعُودِ عَلَى السُّؤَالِ طَالَعُهُ
لَكِنَّهُ فِي مِيَادِينِ الْوَعْيِ رُحَلُ^(٥)
فِي كُلِّ سَيْفٍ سِوَى بَتَّارِهِ قَلْلُ
وَكُلُّ رَأْيٍ سِوَى آرَائِهِ زَلْلُ!



(١) عَسَلَ الرَّمْحُ: اهْتَزَّ. وَالرَّمْحُ الذَّابِلُ: الدَّقِيقُ.
(٢) عَجَزَ الْبَيْتُ مَحْنُوفٌ فِي سَائِرِ الْمَصَادِرِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَيَبْدُو أَنَّ فِيهِ مَوَاجَهَةً بَيْنَ الْهَلَالِ وَالصَّلِيبِ وَهِيَ مَوَاجَهَةٌ كَانَتْ
عَرَضَ لَهَا أَبُو مَاضِي فِي قَصِيدَةٍ أُخْرَى.
(٣) Qrand-DUC، أَمِيرُ الْأَسْرَةِ الْحَاكِمَةُ فِي رُوسِيَّةِ
(٤) الْعَجَاجُ وَالْعَجَاجَةُ: الْغُبَارُ وَالنِّخَانُ أَيْضاً وَالْقُبْلُ: عَكْسُ الدُّبُرِ.
(٥) رُحَلُ: الْكُوكَبُ الْمَعْرُوفُ، وَيُقَدَّرُ اسْمُهُ: الزُّلُّلُ وَالتَّنْحِي، وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى يُقَدَّرُ أَبُو مَاضِي.

يا ابن الملوك الألى قد شاد واحدُهُم
ما لم تُشَيِّدْهُ أَملاكٌ ولا دُولٌ
وقائد الجيشِ ما للريحِ مُنْفِرَجٌ
فيه، ولكن لها من حولها زَجَلٌ^(١)
توهُمَ التَّركُ لَمَّا حانَ حَيْنُهُم
أَنَّ الألى وتَروا أباَهُم غَفَلوا
حتى طلعت من «القوقاس» في لَجِبٍ
تضيق عنه فِجَاجُ الأرضِ والسُّبُلِ
فأدركوا أنهم ناموا على غَرَرٍ
وأَنَّ البَدْرُ في الأفلاكِ تَنَتَقَلُ^(٢)
يا يوم صَبَّحَتْهُمْ والنَّقْعُ مَعْتَكِرٌ
كَأنه الليلُ فوق الأرضِ مُنْسَدَلِ
ليلٌ يسير على ضوءِ السيوفِ به
ويَهْتَدِي بالصَّليلِ الفارسُ البَطَلُ
بكل أروغ ما في قَلْبِهِ خَوَرٌ
عند الصِّدامِ، ولا في زَنَدِهِ شَلَلٌ
وكلُّ مَنْجَرٍ في سَرَجِهِ أَسَدٌ
في كَفِّهِ خَنَازِيرٌ، في حِدِّهِ الأَجَلُ^(٣)
وكلُّ راعِفةٍ بالموتِ هادِرَةٌ
كَأنها الشاعِرُ المطبوعُ يَرتَجِلُ
سوداءُ تَقْذِفُ من فوهاتِها حمما
هي الصَّواعقُ إلا أَنها شُعَلُ

(١) الزُّجَلُ: الصوت.

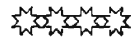
(٢) الغَرَرُ: الخطر.

(٣) الخَنَازِيرُ: السيف الحاد (الخُنْمُ: الحدة).

لا تحفظُ الدرعُ منها جسمَ لابسها
ولا يُنجي الحصونَ الصخرُ والرملُ
فالبَيْضُ تأخذُ منهمُ كيفما انفتلت
والدُّعْرُ يمعنُ فيهمُ كيفما انفتلوا
وكلما وصلوا ما انبتَ باغتَهمُ
ليثٌ يقطعُ بالفصالِ ما وصلوا
فأسلموا «أرضروما» لا طواعيةً
لو كان في وسعهمُ إمساكها بخلوا
كم حوَّطوها وكم شادوا الحصونَ بها
حتى طلعت فلا حصنٌ ولا رجلُ
وفرَّ قائدهمُ لما عرضت له
كما يفرُّ أمامَ القشعِ الحجلُ^(١)
ومن يشكُّ بأنَّ الوعلَ منهزمٌ
إذا التقى الأسدُ الضرعَ غامٌ والوعلُ؟
لم يقصُرِ الرمحُ عن إدراكِ مهجته
لكنَّ حمى صدره وقَّعَ الظُّبَا، الكفلُ^(٢)
تعلَّمُ الركضَ حتى ليس تلحقهُ
هوجُ الرِّيحِ ولا خيلٌ ولا إبلُ
يخال من رُعبه الأطوادُ راكضةً
معهُ وما ركضتْ قدامه القُللُ
ويحسبُ الأرضُ قد مادتْ مناكبُها
كذاك يمسحُ عينَ الخائفِ الوجَلُ

(١) القشع من النسور: المسن.

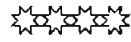
وبات «أنور» في «يلدين» مختبئاً
 لأمّه وأبيه التُّكُلُّ والهَبَلُ^(١)
 يطير، إن صرّت الأبواب، طائرهُ
 ويصرُخُ «الغوث» إمّا وسّوس القُفْلُ
 في جفنه أرق، في نفسه فرقُ
 في جسمه سقم، في عقله دخلُ^(٢)
 في وجهه صُفرةٌ حار الطَّبيبُ بها
 ما يصنع الطُّبُّ فيمن داؤه الخَبَلُ؟
 لم يبقَ فيه دمٌ كيما يجمّعه
 في وجهه، عند ذكر الخيبة، الخَجَلُ
 يطوف في القصرِ لا يلوي على أحدٍ
 كأنه ناسكٌ في القفر معتزلُ
 لا بهجةُ المُلْكِ تُنسيه هواجِسُه
 ولا تروح عنه الأعينُ النُّجُلُ
 يزيد وحشَتَه إعراضُ عُوْدِه
 وينكأ الجرح في أحشائه العدْلُ
 إذا تمثّل جيش التُّرك مندحراً
 ضاقت به، مثلما ضاقت بذا، الحيلُ



يا كاشف الضرِّ عمّن طال صبرهمُ
 على الفوائب، لا مرّت بك العللُ
 أطلقْتهم من قيود الظلم فانطلقوا
 وكلُّهم ألسُنٌ تدعو وتبتهلُ

(١) «أنور باشا»: قائد تركي وزعيم سياسي، كانت سلطته هي العليا ويلدن. قصر السلطان «عبد الحميد الثاني» في تركيا، خلال الحرب العالمية الأولى، وقت سقوط أرضروم في أيدي الروس. والهَبَلُ: الهلاك.
 (٢) الدُّخْلُ: الفساد في العقل أو الجسم.

لو كان ينشرُ ميثًا غيرُ بارئه
نشرت، بعد الردى، أرواح من قُتلوا
بغى عليهم علوجُ التُّركِ بغيهم
لم يشحنوا للوغى سيفًا ولا صقلوا
خانوهم وأذاعوا أنهم نفَرُ
خانوا البلاد بما قالوا وما عملوا
يا لَطْغام! ويا بُهتانَ ما زعموا
متى أساء إلى ذي المخلب الحمل؟
هَبُّوا الرجالَ لأمرٍ أحدثوا حدثًا
فما الذي جنتِ العذراءُ والطفلُ؟
أجدُّكم، كلُّما جوَّ خلا، «أسدُ»
وجدُّكم، كلُّما شبتِ وغي، «ثعل»؟^(١)
قد جاء من يمنع الضعفى ويرغمكم
أن تحملوا عنهم النير الذي حملوا
أمّنت «أرمينيا» مما تُحاذره
فلن تَعيثَ بها الأوغادُ والسفَلُ



ظنوك في شُغلٍ حتى دهمتهم
فأصبحوا ولهم عن ظنهم شُغل
مزّقت جمعهم تمزيقَ مقتدرٍ
على المهند، بعد الله، يتكل
فهم شرادِمٌ حيرى لا نظامَ لها
كأنهم نورُ الأفاقِ أو همَلُ^(٢)

(١) ثعالة وثعل: أنثى الثعالب.

(٢) النور: الأوباش والهمج. والهمَل: المتروكون سدى.

أَلْبَسَتْهُمْ ثَوْبَ عَارٍ لَا تُطَهِّرُهُ
 نَارُ الْجَحِيمِ وَلَوْ فِي حَرِّهَا اغْتَسَلُوا
 «جاويد» فوق فراشِ الذُّلِّ مضطجعُ
 و «طلعت» برداءِ الخوفِ مُشْتَمِلٌ^(١)
 اتستقرُّ جُنُوبٌ فِي مضاجعها
 وفي مضاجعها الأرزاءُ والغِيلُ؟
 وتعرفُ الأمنَ أرواحُ تروّعها
 ثلاثة: أنت والنَّيْرانُ والأَسَلُ؟
 لو لم تقاتلهمُ بالجيشِ قاتَلهمُ
 جيشُ بغيرِ سلاحٍ إسمه الوَهْلُ^(٢)
 أجريتِ خوفَ المنايا في عُرُوقهمُ
 فلنَ يعيشَ لهم نسلٌ إذا نَسَلُوا
 قد ماتَ كهلهمُ من قبلِ ميته
 وشاخَ ناشئهمُ من قبلِ يَكْتَهَلِ
 وقد ظفرتَ بهم والرأسُ مشتعِلُ
 كما ظفرتَ بهم والعمرُ مُقْتَبِلُ
 فَتَحْ تَهْلُتِ الدنْيا به فَرَحًا
 فكل رُبْعٍ، خلا «أستانة» جذل^(٣)
 الشعبُ مَبْتَهَجٌ، والعرشُ مَغْتَبِطُ
 وروحُ جدك في الفربوسِ تحْتَفِلُ!..

(١) (جاويد) و (طلعت) من رجال الترك، ومن رجال حزب تركية الفتاة. رأس الثاني الوزارة التركية ١٩١٧ - ١٩١٨

(٢) الوَهْلُ. الخوف والفرع.

(٣) الأستانة: دار الخلافة (استانبول).

٤٩ - سبيل التوحيد

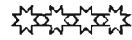
[البسيط]

ما كان أحوج سورياً إلى بطلٍ
يردُّ بالسيف عنها كلُّ مُفْتَرِسٍ
ولا يزال بها والسيفُ في يده
حتى يطهرها من كلِّ ذي دَنَسٍ
ويجعل الحبَّ دينَ القاطنينَ بها
دينُ يقرب بين «البيتش» والقدُّس
حتى أرى ضارب الناقوس يُطربهُ
صوتُ الأذنين^(١)، وهذا رنُّه الجرس

(١) الأذنين والأذان واحد.

[الكامل]

كم، قَبْلَ هَذَا الْجِيلِ، وَلَى جِيلٌ
هيهات، ليس إلى البقاء سَبِيلُ
ضحك الشبابُ من الكُهلِ فأغرقوا
واستيقظوا، فإذا الشبابُ كُهل
نأتِي ونمضي والزمانُ مَخْلَدُ
الصباحُ صَبَحُ والأصيلُ أَصِيلُ
حُرُوقُ رُبُلِيَّانِ جُسُومِنَا
ليت الزمانُ، كما نَحُولُ، يَحُولُ^(١)
إِنَّ التَّحَوَّلَ فِي الْجَمَادِ تَقْلَاصُ
فِي الْحَيِّ مَوْتُ؛ فِي النَّبَاتِ ذُبُولُ
قَفٌّ بِالْمَقَابِرِ صَامِتًا مُتَأَمِّلًا
كم غابَ فِيهَا صَامِتٌ وَسُؤُولُ
وَسَلِ الْكَوَاكِبِ كَم رَأَتْ مِنْ قَبْلَانَا
أَمَّا، وَكَمْ شَهِدَ النُّجُومُ قَبِيلُ^(٢)
تَتَبَدَّلُ الدُّنْيَا تَبَدُّلَ أَهْلِهَا
وَاللَّهُ لَيْسَ لِأَمْرِهِ تَبْدِيلُ



يَا طَالِعَا لَفَتِ الْعَيُونَ طُلُوعَهُ
بَعْدَ الطُّلُوعِ، وَإِنْ جَهِلْتُ، أَفُولُ

(١) حال - يحول: انقلب عن حاله الأولى.

عطفًا ورفقًا بالقلوب، فإنما
 حَقُّدُ القلوبِ على أخيك طَوِيلُ
 أَنْظِرْ! فوجَّهْ الأرضَ أَغْبِرْ شاحِبُ
 واسمَعْ! فأصواتُ الرياحِ عَوِيلُ
 ومنَ الحديدِ صواعقُ، ومنَ العجا
 جِ غمائمُ، ومنَ الدماءِ سُيُولُ
 ما كنتُ أعلمُ قَبْلَما حمسَ الوغى
 أَنَّ الضواري والأَنامَ شُكُولُ^(١)
 يا أرضِ أوريِّيا ويا أبْناءَها
 في عُنُقٍ من هذا الدَّمِّ المَطْلُولِ؟
 في كلِّ يومٍ مِنْكُمْ أوْ عَنْكُمْ
 نَبَأٌ تَجِيءُ به الرُّوَاةُ مَهُولُ
 مَرَقَتُمْ أَقْسَامَكُمْ وعهودكم
 ولقد تكونُ كأنها التَّنْزِيلُ
 وبعثتُمُ الأَطْماعَ فَهِيَ جَحافلُ
 من خالفهنَّ جَحافلٌ وخُيُولُ
 ونشرتُمُ الأحقادَ فَهِيَ مَدافعُ
 وقذائفُ وأَسِنَّةٌ ونُصُولُ
 لو لم تكن أضغانُكُمْ أَسِيافُكُمْ
 أَمسى بها، ممَّا تُسامُ، فُلُولُ
 علَّمتُمُ «عزَّيِلَ» في هذي الوغى
 ما كان يجهلُ عالمه «عزَّيِلُ»
 إن كان هذا ما يُسمَّى عندكم
 علِّما، فأين الجهْلُ والتَّضَلُّيلُ

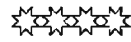
(١) حمسِ الوغى. اشتدَّ القتال.

إن كان هذا ما يسمي عندكم
دينًا فآين الكُفْرُ والتَّعْطِيلُ
عوداً إلى عصرِ البِداوةِ، إنه
عصرٌ، جميلٌ أن يُقالَ جميل
«قابيل»، يا جدَّ الوري، نم هانئاً
كلَّ امرئٍ في ثوبه «قابيل»
لا تفخروا بعقولكم ونتائجها
كانت لكم، قبلَ القتال، عُقول
لا أنتم أنتم ولا أرباضكم
تلك التي فيها الهناء يَقل^(١)
لا تطلبوا بالمرهفاتِ نُحوَلكم
في نيلها بالمرهفاتِ نُحول^(٢)
إن الأنامَ على اختلاف لغاتهم
وصفاتهم، لو تذكرون، قَبِيل
يا عالمنّا! هل فيك ثَمَّةٌ مَطْمَعُ
بالسُّلم أم هذا الشُّقاء يطول
مرّت عليها حجّتان ولم تزلْ
تتلو الفصولَ مشاهدٌ وفُصول
لم يعشقِ الناسُ الفناءَ وإنما
فوقَ البصائرِ والعُقولِ سُدول
أنا إن بسمتُ، وقد رأيتك مقبلاً
فكما يهشُّ لعائديه عليل
وإذا سكنتُ إلى الهموم فمثلاً
رضي القيود الموثَّق المَكْبُول

(١) الرِّبُض: ما يكون من حول المدن. وقال يقييل: من القيلولة.

(٢) النُّحُل: الحقد والعداوة.

لا يستوي الرجلان، هذا قلبه
خالٍ، وهذا قلبه (مَجْبُول)^(١)
لا يخدعن العارفون نفوسهم
إن المُخادِعَ نفسه لجهول
في الشرق قومٌ لم يسألوا صارماً
والسيفُ فوق رؤوسهم مسلول
جهلوا ولم تجهل نفوسهم الأسي
أشقى الأنام العارفُ المجهول^(٢)
أكبادهم مقروحة كجفونهم
وزفيرهم بأنينهم موصول
أما الرجاء، وطالما عاشوا به
فالدمع يشهد أنه مقتول
والياس موتٌ غير أن صريعه
يبقى، وأما نفسه فتزول
رباه، قد بلغ الشقاء أشده
رحمك إن الراحمين قليل



في الله والوطن العزيز عصابة
نُكبوا، فذا عانٍ وذاك قتيل
لو لم يمت شمم النفوس بموتهم
ثار الشأم، لموتهم، والنيل
يا نازحين عن الشأم تذكروا
من في الشأم وما يليه نزول

(١) اضطراب في الأصل، وأقرب الكلمات إلى المعنى الذي يريده الشاعر كلمة (مَجْبُول) بالهموم.

هَمْ الممالك في الجهاد، وهمُّكم
قالُ تسير به الطُّروس وقيل
هَبُّوا اعملوا لبلادكم ولنسلكم
بئس الحياةُ سكينَةٌ وخُمُول
لا تَقْبِضُوا الأيدي فهذا يومُكم
شَرُّ الوری جَعْدُ البنانِ بخيل^(١)
وعد الألهُ الحسنينَ ببرّه
وكما علمتم، وعدهُ تنوِيل

(١) البنان الجعد. كناية عن البخل.

٥١ - ما للكواكب

[الكامل]

شوقٌ يروحُ مع الزمانِ ويغتدي
والشُّوقُ، إنْ جددتُهُ يتجدد
دعْ عنك نُصحي بالتبَلُّدِ ساعةً
يا صاح، قد ذهب الأسي بتبَلُّدي
ما زاد في أسف الحزينِ وشجوه
شيءٌ كقولك للحزين: تَجَلَّد!
ما زلتُ أعصيه إلى أن هاجني
ذكرُ الحمى فعصيتُ كلَّ مُفَنِّد^(١)
وأطار عن جفني الكرى وأطارني
عن مرَّقدي مشيُّ الهمومِ بمرَّقدي
في جنح ليلٍ مثل حظي حالكِ
كالبحرِ ساجٍ... مقفرٍ كالْفَدْفَد^(٢)
أقبلتُ أنظرُ في النُّجومِ مصعداً
عينني بين مصوبٍ ومُصعد
أو واجفٍ أو راجفٍ مترجرجِ
أو نافرٍ أو حائرٍ مترددٍ
يمشين في هذا الفضاءِ وفوقه
وكانما يمشين فوق الأكبِد

(١) التفنيد: اللوم وتضعيف الرأي.

(٢) سجا: امتدَّ وسكن. والفدْفد: المفازة الواسعة الخالية

والبدرُ منبعتُ الشعاعِ لطيفهُ
صافٍ كذهنِ الشاعرِ المتوقِّدِ
ما زال ينفذُ في الدُّجى حتى استوى
فيه، فيا لك أبيضاً في أسود
والشُّهبُ تلمع في الرُّقيع كأنها
أحلامُ أرواح الصغارِ الهُجْدِ
ينظُرُنَ عن كُتُبٍ إليه خلسةً
نظر الملاح إلى الغرير الأُمرد^(١)
فعجبتُ ممَّن نام ملء جفونه
والكونُ يشهدُ مثلَ هذا المشهدِ
ورأيتُني فوق الغمامِ مُحَلَّقاً
في الأفق ما بين السُّها والفرقدِ
فسمعتُ صوتاً من بعيدٍ قائلاً
يا أيُّها الساري مكانك تُحمد
ما دمت في الدنيا فلا تزهد بها
فأخو الزَّهَّادة ميَّت لم يُأحد
لا تَقْنَطَنَّ من النجاحِ لعُترةٍ
ما لا يُنالُ اليوم يُدرِكُ في غدٍ
كم أكلِ ثمرًا سقاهُ غيره
دمه، وكم من زارعٍ لم يحصد
لو كان يحصدُ زرعه كلُّ امرئٍ
لم تُخلَقِ الدنيا ولم تتجدد
بالذكرِ يحيا المرءُ بعد مماته
فانهضُ إلى الذكرِ الجميلِ وخُذْ

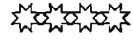
(١) الغرير والغِر. الشاب الذي لا تجربة له.

فلئن ولدت ومُتَّ غير مخلدٍ
أثراً فأنت كأنما لم تولد
حتّام في لا شيء يقتتل الورى
إن الحمام على الجميع بمرصد
طاشت حُلوم المالكين، فذاهلُ
لا يستفيق، وحائرُ لا يهتدي
وأفقتُ، إذ قطع الكلام مكّامي
فنظرتُني فإذا أنا لم أصعد
❖❖❖❖❖

ما لكواكب لا تنام ولا تني
قد طال سُهْدك يا كواكبُ فارقُدي
كم تنظرين إلى الثرى من حالقٍ
ما في الثرى لأخي الأسي من مُسعدٍ
أو ما تريّني عندما اشتدّ الدجى
واشتدّ دائي نام عني عُوْدِي
حتى لقد كاد القريضُ يعُقُّني
ويصونُ عني ماءه وأنا الصّدي
أمسي أهُمُّ به ويظلّع خاطري
فكأنما أنا ماتح من جلمد^(١)
لا تسأليني لمّ شهدتُ فإنني
لو كان في وسّعي الكرى لمّ أسهد
صرفتُ يدُ البلوى يدي عن أمرها
ما خلتُ أمري قطّ يخرج من يدي
في أضلعي نارُ أذابت أضلعي
ومشت إلى كَبدي ولمّا تخمد

(١) ظلع. عرج وغمز في مشيته ومتح الدلو: جذبته إليه ليستقي منه

أخشى على الأحشاء من كتمانها
وأخاف أن أشكو في شمت حسدي



ومليحة لا هند من أسمائها
كلا، وليست كالحسان الخرد^(١)
نشز الجواري، والإماء تمردت
وونت فلم تنشز ولم تتمرد
في النفس منها ما بها من دهرها
أزكى السلام عليك أرض الموعد
يا ليت شعري كم أقول لها: انهضي
وتقول أحداث الزمان لها: اقعدي
ليس الذي لا قتة هيئنا إنما
حمل الأذى هيئ على المتعود!



(١) الخريدة: البكر.

٥٢ - الحاجة إلى الخرس

[البسيط]

ما كان أحوجني يوماً إلى أننِ
صمّاءَ إلا عن المحبوب ذي الأنسِ
كي لا يُصدّع رأسي صوتُ نائحة
ولا تُقطعَ قلبي أنّةُ التّعسِ
ولا يمرر نفسي الأدعياءُ ولا
ذمّ الأفاضل من ذي خسة شرسِ
أقولُ هذا عسى حُرّ يقول معي:
ما كان أحوج بعض الناس للخرس!

٥٣ - البغضاء^(١)

(معرّبة)

[البسيط]

لَا نُبْغِضُ «الروس» لَكِنْ لَا نُحِبُّهُمْ
فَحَرْبُنَا حَرْبُ أَقْرَانٍ لِأَقْرَانٍ
وَلَا «الفرنسيّس» مَا هُمْ بِالْعُدَاةِ لَنَا
لَكِنَّهُمْ غَيْرُ أَصْحَابٍ وَإِخْوَانٍ
إِنَّا نَبَادُلُهُمْ وَالنَّقْعُ مُنْسَدِلٌ
طَعْنًا بَطْعِنَ وَنِيرَانًا بَنِيرَانٍ^(٢)
وَذِي بِيَارِقُنَا فِي «الْفُوج» خَافِقُهُ
وَجِيْشُنَا ظَافِرٌ فِي كُلِّ مِيدَانٍ^(٣)
قُلُوبُنَا لَيْسَ فِيهَا غَيْرٌ مُّوْجِدَةٌ
نُو الشَّيْبِ فِيهَا وَفَحْمُ الشَّعْرِ سِيَّانٍ
نَهْوَى وَنَحْنُ جَمُوعٌ لَا عِدَادَ لَهَا
كَوَاحِدٍ وَكَذَا نَقْلِي^(٤) كإِنْسَانٍ
عَدُونًا وَاحِدٌ، الْكُلُّ يَعْرِفُهُ
ذَاكَ الْحَسُودُ الْخَبِيثُ الْمَاكِرُ الشَّانِي

(١) وردت الملاحظة التالية في الديوان الأصل: «هي القصيدة المشهورة التي نظمها الشاعر الألماني «ارنست ليسوار» في غضون الحرب، فكان لها في ألمانيا نوي ورنين. وقد نال ناظمها من إمبراطوره وساماً عالمياً من نوع «الصليب الحديدي» دلالة على الاستحسان والرضا ولما كانت هذه القصيدة قد نقلت إلى أكثر اللغات فقد اقترحت جريدة «مرآة الغرب» اليومية على صاحب الديوان أن ينقلها إلى عالم الشعر العربي ففعل «أحسبه يُسقطها على (الأتراك العثمانيين)»

(٢) النقع: غبار المعارك.

(٣) الفُوج: Vosges جبال في شرقي فرنسا، تمتد إلى ١٢٠ كم، كانت ساحة لمعارك كبيرة في الحرب العالمية الأولى.

(٤) قلاه - يقليه: أبغضه (والاسم: القلى).

تردُّنا عنه أمواجٌ يلوذُّ بها
 سميكةٌ كالنَّجيع^(١) اليابسِ القاني
 أرى به، وهو في الطوفانِ مختبئٌ،
 طوفانٌ غيظتواري خلف طوفان
 قد أصبح الماءُ يحميه ويمنعه
 الويلُّ للماءِ منّا، إنه جانٍ
 قفوا أمامَ القضاءِ العدلِ كُلِّكُمْ
 وليحلفنَّ يميننا كلُّ ألماني
 غليظةٌ كالحديدِ الصلبِ، صارمةٌ
 كالموتِ، تبقى لأدهارٍ وأزمان
 أنْ يُبغضَ البُغضُ لا تبلى مرائرُهُ
 ولا يُقاسُ ولا يُحصى بميزان
 وأنْ نردِّده في كلِّ ناحيةٍ
 وأنْ نكرِّره تكررَ أَلحان
 وأنْ نُعلمَ منّا كلَّ ذي كبدٍ
 أنْ يُبغضَ القومَ في سرٍّ وإعلان
 بغضا إلى نَسَلنا بالإرث منتقلاً
 إلى بنيهم ومن جيلٍ إلى ثانٍ
 عدوُّنا واحدٌ، الكلُّ يعرفُهُ
 ذاكَ الحسودُ الخبيثُ الماكرُ الشَّاني^(٢)
 إنكَلترا
 ألا اسْمَعُوا أيها الألمانُ واعتبروا
 فأنتمُ أهلُ البابِ وأذهانٍ
 في محفلٍ جالسِ القوَّادِ كُلُّهُمْ
 كمُحكِّمِ العقدِ أو مرصوصِ بُنيان

(١) النجيع: دم الجوف.

وقام واحدُهُم والكأسُ في يده
 كأنها قَبسٌ أو عَيْنٌ غَضْبَانِ
 فقال: يا قومُ «هذا سرُّ يومكم»
 ألا اشربوا إن سرَّ اليوم سرَّانِ
 مقالُهُ فعلتُ في الجمعِ فعلتُها
 فأصبحوا وكأنَّ الواحدِ اثنانِ
 ما ضربهُ السَّيفُ من ذي مرَّةٍ بطلِ
 ومستطيرُ اللَّطَى من قلبِ صَوَّانِ^(١)
 ولا السفينةُ في التَّيَّارِ جاريةً
 ولا الشَّهابُ هوى في إثرِ شيطانِ
 أمضي وأنفذُ منها وهي خارجةُ
 من فيه كالسَّهمِ من أحشاءِ مرَّنانِ^(٢)
 فضاءً من كان، في الكأسِ التي ارتفعت
 ومن يريد ويعني القائلُ العاني؟^(٣)
 إنك لترا
 بني بريتانيا نالوا جموعكمُ
 واستصرخوا الخَلْقَ مِن إنسٍ ومن جانِ
 وابنوا المعاقِلَ والأسوارَ من ذهبِ
 واستأجروا الجُنْدَ من بيضٍ وعبدانِ
 مُرُوا أساطيلكمُ في البحرِ ترصدنا
 وترصدُ البحرَ من موجٍ وحيَتانِ
 تالله لا ذي ولا هذي تردُّ يدًا
 إذا رمت دكَّتِ البُنَيانَ والباني
 ❖❖❖❖❖

(١) المرَّة: القوة وشدة العقل.

(٢) المرَّنان: القوس الذي ينطلق منه السهم.

(٣) ضاء الشيء: أثار وأشرق.

لَا نُبْغِضُ الرُّوسَ لَكِنْ لَا نُحِبُّهُمْ
فَحَرِبْنَا حَرْبَ أَقْرَانٍ لِأَقْرَانٍ
وَلَا الْفَرَنْسِيِّسَ، مَا هُمْ بِالْعُدَاةِ لَنَا
لَكِنَّهُمْ غَيْرُ أَصْحَابٍ وَإِخْوَانٍ
إِنَّا نَبَادِلُهُمْ وَالنَّفْعُ مَنْسَدٌ
طَعْنَا بِطَعْنٍ وَنِيرَانًا بِنِيرَانٍ
نَاتِي وَيَأْتُونَ وَالْهَيْجَاءُ قَائِمَةٌ
بِكُلِّ مَاضٍ وَفَتْكَ وَطَعْنٍ
لَكِنَّمَا فِي غَدٍ يُرْخِي السَّلَامُ عَلَى
هَذِي الْوَعَى وَعَلَيْهِمْ سَتْرٌ نَسِيَانٍ
وَيَمْحِي كُلَّ بَغْضٍ غَيْرَ بَغْضِكُمْ
فَإِنَّهُ أَمِنْ مَنْ كُلُّ نَقْصَانٍ
حَقْدُ الْقُلُوبِ عَلَيْكُمْ لَا يَزُولُ وَإِنْ
زَلْتُمْ وَزَلْنَا وَزَالَ الْعَالَمُ الْفَانِي
فِي الْأَرْضِ بَغْضُكُمْ وَالْمَاءُ مِثْلُهُمَا
وَالْبَغْضُ فِي الْحَرِّ مِثْلُ الْبَغْضِ فِي الْعَانِي^(١)
الْكُوْخُ يُبْغِضُكُمْ وَالْقَصْرُ يُبْغِضُكُمْ
وَكُلُّ ذِي مُهْجَةٍ مِنَّا وَوِجْدَانٍ
نَهْوَى وَنَحْنُ جَمُوعٌ لَا عِدَادَ لَهَا
كَوَاحِدٍ، وَكَذَا نَقْلَى كَأِنْسَانٍ
عَدُونًا وَاحِدٌ، الْكُلُّ يَعْرِفُهُ
ذَاكَ الْحَسُودُ الْخَبِيثُ الْمَاكِرُ الشَّانِي
إِنْ كَلْتُمْ رَا

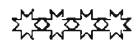
(١) العاني: الذليل والأسير.

٥٤ - حكاية قديمة

[الطويل]

وربت أمريكية خلت ودّها
يلوم، ولكن ما لغانية ودّ
صبت إلى هند فلما رأيتها
سلوت بها هنداً وما صنعت هند
وأوحت لها عيناي أن صباية
تلجج في صدري وأحذر أن تبو
فألت إلى أترابها وتبسمت:
أعي سكوت الصب أم صمته عمّد؟
فقلت: سلام الله، قالت: وبره،
فقلت: أهزل ذلك القول أم جدّ؟
وأمسكت أنفاسي وأرهفت مسمعي
ففي نفسي جزر وفي مسمعي مدّ
فقلت: وددنا لو عرفنا من الفتى
وما يبتغيه؟ قلت: ما يبتغي العبد؟
له كبّد حرّ، وقلب مكمّم
غلطت، فما للصبّ قلب ولا كبّد
قتيل ولكن ثوبه كفّن له
وكل مكان يستريح به لحد
فإن لم يكن من نظرة تراب الحشا
فردي عليه قلبه وبه زهد

فَضَرَجَ خَدَّيْهَا احْمَرَارُ كَأَنَّمَا
تَصَاعَدُ مِنْ قَلْبِي إِلَى خَدَّهَا الْوَجْدُ
وَقَرَّبَهَا مِنِّي وَقَرَّبَنِي الْهُوَى
إِلَى أَنْ ظَنَنْنَا أَنَّنَا وَاحِدٌ فَرْدُ
وَكَهَرَبَ رُوحِينَا فَلَمَّا تَنَهَّدْتُ
تَنَهَّدْتُ حَتَّى كَادَ صَدْرِي يَنْهَدُ
وَكَانَ حَدِيثُ خَلَّتْ أَنِّي حَفَظْتُهُ
فَأَذْهَلَنِي عَنْهُ الَّذِي كَانَ مِنْ بَعْدُ



أَمَرْتُ فَوَادِي أَنْ يُطِيعَ فَوَادَهَا
فِيَبْكِي كَمَا تَبْكِي وَيَشْدُو كَمَا تَشْدُو
وَقُلْتُ لِنَفْسِي: هَذِهِ مِنْتَهَى الْمُنَى
وَهَذَا مَجَالُ الشُّكْرِ إِنْ فَاتَكَ الْحَمْدُ
فَإِنْ تَرَعَّبِي عَنْهَا، وَفِيكَ بَقِيَّةُ،
فَمَا أَنْتَ نَفْسِي إِنَّمَا أَنْتَ لِي ضِدٌّ
وَمَرَّتْ لَيَالٍ وَالْمُنَى تَجْذِبُ الْمُنَى
وَقَلْبِي، كَمَا شَاءَتْ، يَلِينُ وَيَشْتَدُّ
نَرُوحُ وَنَغْدُو وَاللَّيَالِي كَأَنَّهَا
وَقُوفُ لَأَمْرٍ لَا تَرُوحُ وَلَا تَغْدُو
وَمَا زِلْتُ تَسْتَخْفِي عَلَيَّ عُيُوبُهَا
إِلَى أَنْ تَوَلَّى الْغَيُّ وَاتَّضَحَ الرُّشْدُ
رَأَى الدَّهْرُ سَدًّا حَوْلَ قَلْبِي وَقَلْبِهَا
فَمَا زَالَ حَتَّى صَارَ بَيْنَهُمَا السَّدُّ
خُدَعْتُ بِهَا وَالْحُرُّ سَهْلٌ خِدَاعُهُ
فَلَا طَالَعِي يُمَنِّ وَلَا كُوكَبِي سَعْدُ

وكنّا تعاهدنا على الموتِ في الهوى
فما لبثتُ إلا كما يلبث الورد
كأنّي ما ألصقتُ ثغري بثغرها
ولا بات زندي وهو في جِدها عقد
ولم نشتَمَلْ بالليل والحي نائمٌ
ولم نستترْ بالروض والليل مُمتدٌ
ولا هزنا شدو الحمام في الضحى
ولا ضمنا بيت ولم يحونا بُرد



إنّ لاح في فُودي القَتِيرُ نَكَرتني
أيزهدُ في الصَّمصامِ إنْ أخلُقَ الغمدُ^(١)
لئن كان لونُ الشُّعرِ ما تعشقينّه
فدمٌ أبيضاً ما دمت يا شعري الجعد
فلا تشمتني مني فليست بمأمنٍ
ولا تزهدي فيه، فليس به زهدٌ
هو الفاتحُ الغازي الذي لا ترده
عن الفاتح الغازي قلاعٌ ولا جُند
فلو كان غير الشَّيبِ عني صرفته
ولكن حُكم الله ليس له ردٌّ
وإن تُعرضي عن مفرقي وهو أبيضٌ
فيا طالما قبّلتَه وهو مُسودٌ
شفى الله نفسِي لا شفى الله نفسها
ولا غاب عن أجفانها الدمعُ والسُّهد

(١) القَتِير. الشيب أو أوائله وخلق - يخلق: بلي (وأخلق أيضاً).

فلا تَغْرُها دُرُّ ولا أَقْحوانُهُ
ولا دَمْعُها طَلٌّ ولا ريقُها شَهْد
ولا قَدُّها غَصْنٌ ولا خيزرانُهُ
ولا خَصْرُها غَوْرٌ ولا رِدْفُها نَجْد
ولا وَجْهُها شَمْسٌ ولا شَعْرُها نُجى
ولا صَدُّها حَرٌّ ولا وَصْلُها بَرْد
أَحَبُّ إلى نَفْسِي الرَّدَى من لِقائِها
وأَجْمَلُ في عَيْنِي من وَجْهِها القَرْدُ!
فإن تَلَمَسِ الثَّوبَ الَّذِي أنا لابسٌ
قَدَدْتُ بِكَفِّي الثَّوبَ من قَبْلِ يَنْقَدُ^(١)
وإن تَقَرَّبِ الدارَ الَّتِي أنا ساكنٌ
هَجَرْتُ مِغانِيها ولو أَنها الخُلدُ
فإن كان غَيْرِي لم يَزَلْ دِينُهُ الهوى
فإني، ولا أَخشى المَلامَةَ، مَرْتَدُّ!

(١) التقدير. من قبل أن ينقد (قده: شقّه بالطول).

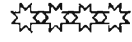
٥٥ - لمن الديار

[الكامل]

لمن الديارُ تنوحُ فيها الشَّمْلُ
ما مات أهلُوها ولم يترحَّلوا
ماذا عراها، ما دها سگانها
يا ليت شعري كُبلوا أم قُتلوا؟
مئآتُها فتمثَّلت في خاطري
دمناً لغير الفكر لا تتمثَّل
تمشي الصَّبَا منها برسمِ دارسٍ
لا رُكز فيه كأنما هي هَوَجَل^(١)
وإذا تاملَ زائرٌ آثارها
شخصتْ إليه كأنها تتأمل
أصبحتْ أندبُ أسدها وظبَاءها
ولطالما أبصرْتُني أتغزل
أيام أنظرُ في الحمى مُتهللاً
وأرى الديار كأنها تتهلَّل
وأروح في ظلِّ الشَّباب وأغتدي
جذلان لا أشكو ولا أتعلَّل
إذ كلُّ طيرٍ صادقٍ مُترنِّمٌ
إذ كلُّ غصنٍ يانعٍ مُتهدِّل
والأرضُ كاسيةٌ رداءً أخضرًا
فكأنها ديباجةٌ أو مُخمل

(١) الرِّكز. الصوت. والهَجْل والهوجل: المفاضة الواسعة

يجري بها، فوق الجُمانِ من الحصى
بين الزَبَرَجْدِ^(١) والعقيق، الجدولُ
والزهرُ في الجنّاتِ فيّاحُ الشَّدَا
بِنَدَى الصَّبَّاحِ متوجُّ ومُكَلَّل
والشمسُ مشرقةٌ يلوحُ شعاعُها
خلالَ الغصونِ، كما تلوحُ الأنصُلُ
والظلُّ ممدودٌ على جنباتها
والماءُ مغمورٌ به المُخضوضِلُ
لله كيف تبدلتُ آياتُها
من كان يحسبُ أنها تتبدّل؟



زحف الجرادُ بقضه وقضيضه
سير الغمامِ إذا زَفَتَه الشَّمَالُ^(٢)
حجب السَّمَاءَ عن النواظر والنُّرى
فكانه الليلُ البهيمُ الأليل^(٣)
من كلِّ طيارٍ أرقَّ جناحه
لفحُ الحرورِ وطولُ ما يتنقلُ
عجلٍ إلى غاياته مُستوفزٍ
أبدًا يشدُّ العَجَرَ منه الكَلَلُ^(٤)
خَشِنَ الإهابُ كأنه في جوشنٍ
وكانما في كلِّ عضوٍ منجَلُ^(٥)

(١) الزبرجد: الزمرد.
(٢) زفته: دفعته ريح الشمال.
(٣) الأليل: الممتد الطويل.
(٤) الكلكل: الصدر.
(٥) الجوشن: الدرع.

وكانما حلقُ الدُّروعِ عُيُونُهُ
وكانهنَّ شواخصاً تُتَخَيَّلُ
مصقولةً صقْلَ الرُّجَاجِ يخالها
في معزِلٍ عن جسمه، المستقبلِ
ومنَّ العجائبِ معَ صفاءِ أديمِها
ما إن ترفُّ كأنما هي جنْدلٌ^(١)
ضيفٌ أخفُّ على الهواءِ من الهوا
لكنَّه في الأرضِ منها أنقل
ملاً المسارحِ والمطارحِ والرُّبَا
فإذا خَطَّتْ فَعَلَيْهِ تَخْطُو الأرجُلُ
حصد الذي زرعَ الشيوخُ لنسْلهمْ
وقضى على القُطَّانِ أن يتحوَّلوا
ما ثَمَّ من فَنَنٍ إلى أوراقه
يأوي؛ إذا اشتدَّ الهجيرُ، البلبُلُ
وإذا القضاؤُ رمى البلادَ ببؤسه
جَفَّ السَّحَابُ بها وجَفَّ المنهلُ



وقع الذي كنَّا نخافُ وقوعه
فعلى المنازلِ وحشةٌ لا ترحلُ
أشتاقُ لو أدري بحالة أهلها
فإذا عرفتُ وددتُ أني أجهلُ
لم تُبقِ أرجالُ الدُّبِّي في أرضهم
ما يُستَظَلُّ به ولا ما يُؤكلُ^(٢)

(١) الجنْدل. الحجارة.

أَمَسَتْ سَمَاوُهُمْ بِغَيْرِ كَوَاكِبٍ
وَلَقَدْ تَكُونُ كَأَنَّهَُا لَا تَأْفُلُ
يَمْشُونَ فِي نَوْرِ الضُّحَى وَكَأَنَّهُمْ
فِي جُنْحِ لَيْلٍ حَالِكٍ لَا يَنْصُلُ^(١)
فَإِذَا اضْمَحَلَّ النُّورُ وَاعْتَكَرَ الدُّجَى
فَالْخَوْفُ يَعْلُو بِالصُّدُورِ وَيَسْفُلُ
يَتَوَسَّلُونَ إِلَى الظُّلُومِ وَطَالَمَا
كَانَ الظُّلُومُ إِلَيْهِمْ يَتَوَسَّلُ
أَمَسَى الدُّخِيلُ كَأَنَّهُ رَبُّ الْحَمَى
وَإِبْنُ الْبِلَادِ كَأَنَّهُ مُتَطَقِّلُ
يَقْضِي، فَهَذَا فِي السَّجُونِ مُغَيَّبُ
رَهْنٌ، وَهَذَا بِالْحَدِيدِ مُكَبَّلُ
وَيَرَى الْجَمَالَ كَأَنَّمَا هُوَ لَا يُرَى
وَيَرَى الْعَيُوبَ كَأَنَّمَا هُوَ أَحْوَلُ
حَالٌ أَشَدُّ عَلَى النَفُوسِ مِنَ الرَّدَى
الصَّبَابُ شَهِدٌ عِنْدَهَا وَالْحَنْظَلُ^(٢)



مَا لِي أَنْوَحُ عَلَى الْبِلَادِ كَأَنَّمَا
فِي كُلِّ أَرْضٍ لِي أَخٌ أَوْ مَنَزَلُ
يَا لَيْتَ كَفًّا أَضْرَمْتَ هَذِي الْوَغَى
يَبِستَ أَنَامُلُهَا وَشُلَّ الْمَقْصَلُ
تَتَحَوَّلُ الْأَفْلاكُ عَنْ بُورَانِهَا
وَالشَّرُّ فِي الْإِنْسَانِ لَا يَتَحَوَّلُ

(١) نَصَلُ: ظَهَرَ وَخَرَجَ.

(٢) الصَّبَابُ: عَصَاةُ شَجَرٍ مَرَّ (الْمَفْرَدُ: صَابَةٌ).

ما زال حتى هاجها من هاجها
 حربا يشيب لها الرضيعُ المَحُولُ^(١)
 فالشَّرْقُ مُرتعدُ الفرائصِ جازعُ
 والغربُ من وقعاتها مُتزلزلُ^(٢)
 والأرضُ بالجُرْدِ الصَّوَاهِلِ والقَنَا
 ملأى تَجيش كما تَجيش المَرَجَلُ
 والطَّودُ آفاتُ تلوح وتختفي
 والسَّهْلُ أرصادُ تجيء وتَقْفُلُ
 والجوُّ بالنَّقْعِ المُنْثَارِ ملثمُ
 والبحرُ بالسُّفْنِ الدَّوَارِعِ مُنْقَلُ^(٣)
 في كلِّ منفرجِ الجوانبِ جَحْفَلُ
 لجبُّ يُنازعه عليه جَحْفَلُ
 مات الحنانُ فكل شيءٍ قاتلُ
 وقَسا القضاءُ فكلُّ عضوٍ مَقْتَلُ
 فَمُعَقَّرُ بَثِّيابه متكفَّنُ
 ومُجَرَّحُ بدمائه مُتَسَرِّبِلُ
 كم ناكصٍ عن مأزِقِ خَوْفِ الرَّدَى
 طلع الردى من خلفه يتصاَلُ^(٤)
 شقي الجميعُ بها وعزَّ ثلاثةُ
 ذئبُ الفلاة ونَسْرُها والأَجْدَلُ^(٥)

(١) مضى عامه الأول.

(٢) الفريضة: لحمه في وسط الجنب (الجمع: فرائص).

(٣) النقع: غبار المعارك.

(٤) الصلصلة في الأصل: صفاء صوت الرعد، أو صوت الحديد إذا حرك.

(٥) الأجدل: الصقر.

حَامَتْ عَلَى الْأَشْلَاءِ فِي سَاحَاتِهَا
 فَرَقًا تَعْلُ مِنَ الدَّمَاءِ وَتَنْهَلُ^(١)
 لَهْفِي عَلَى الْأَبَاءِ كَيْفَ تَطْوَحُوا
 لَهْفِي عَلَى الشُّبَّانِ كَيْفَ تَجْنَدَلُوا
 حَرْبُ جَنَاهَا كُلُّ عَاتٍ غَاشِمٍ
 وَجَنَى مَرَارَتِهَا الضَّعِيفُ الْأَعْزَلُ
 مَا لِلضَّعِيفِ مَعَ الْقَوِيِّ مَكَانُهُ
 إِنَّ الْقَوِيَّ هُوَ الْأَحَبُّ الْأَفْضَلُ
 تَتَنَصَّلُ السُّوَّاسُ مِنْ تَبِيعَاتِهَا
 إِنَّ الْبَرِيَّ الذَّيْلَ لَا يَتَنَصَّلُ^(٢)
 قَدْ كَانَ قَتْلُ النَّفْسِ شَرَّ جَرِيْمَةٍ
 وَالْيَوْمَ يُقْتَلُ كُلُّ مَنْ لَا يَقْتُلُ
 وَالْمَالُ كَوْنٌ عَلَى الْخَلَائِقِ، عَدْلُهُمْ
 جَوْرٌ، فَكَيْفَ إِذَا هُمْ لَمْ يَعْدِلُوا
 كَتَبُوا بِمَسْفُوكِ النَّجِيعِ نُعُوتَهُمْ
 وَبَنَوْا عَلَى الْجُثَثِ الْعُرُوشَ وَأَثَلُوا
 صَرَفَ الْجَنُودَ عَنِ الْمُلُوكِ وَظَلَمَهُمْ
 قَوْلُ الْمُلُوكِ لَهُمْ: جَنُودُ بُسْلٍ
 يَا شَرَّ أَفَاتِ الزَّمَانِ الْمُنْقِضِي
 لَا جَاءَنَا فَيْكِ الزَّمَانُ الْمُقْبِلُ



إِنَّ أَبَاكَ سَوْرِيًّا فَقَبِّلِي كَمْ بَكَى الدَّ
 «أَعَشَى» مَنَازِلَ قَوْمِهِ «وَالْأَخْطَلُ»^(٣)

(١) النَّهْلَةُ: الشَّرْبَةُ الْأُولَى. وَالْعَلَّةُ: الشَّرْبَةُ الثَّانِيَّةُ.

(٢) السُّوَّاسُ: السَّاسَةُ.

(٣) «الْأَعَشَى» مِنْ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَ«الْأَخْطَلُ» مِنْ شُعْرَاءِ بَنِي أُمِيَّةٍ.

ما بي الديار وإنما قُطَّانُها
 إن النفوس لها المقام الأول
 يا قوم إن تَنَسَّوْا فلا تَنَسَّوْهُمْ
 أو تَبْخُلُوا فعليهم لا تَبْخُلُوا
 لبوا نداء نوي المروءة والندى
 ليُقال أم الشام أم مُشَبِّل^(١)
 لا تبتغوا شُكْر الأنعام وأجرهم
 عَفُو الإله هو الثناء الأجل
 في كل يوم بينكم مسترفِدُ
 أو طالب أو راهب مُتَجَوِّل^(٢)
 يأتىكم بادي الوفاض فينثني
 وكأنما في بُرده «المُتَوَكِّل»^(٣)
 يبني بمالكُم القصور لأهله
 وقصوركم أثوابكم «والمُعْمَل»
 قد حان أن تستيقظوا فاستيقظوا
 كم تَخْجأون وكلُّهم لا يَخْجَل
 يا ليت من بذلوا نُضارهم لمن
 خبؤوه في أكياسهم لم يَبْذُلُوا
 بل ليتهم جادوا على ذي فاقة
 فحر بعطف المحسنين المُرْمَل^(٤)
 ❖❖❖❖❖

(١) ذات أشبال (ولود).

(٢) المسترفد: طالب الرغد (العون).

(٣) الوفضة: وعاء الزاد (والجمع: أوافاض). و"المتوكل" الخليفة العباسي.

(٤) المُرْمَل: من نفد زاده.

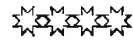
يا من نريدُ صلاحَهُ وصلاحنا
إنَّ العُدُولَ عن الهوى بك أجمل
أيبيتُ قومُكَ فوق أشواك الغضا
وتبيتُ تخطرُ بالحرير وترفُل؟
أين الهدى، يا من يبشّرُ بالهدى
أين التُّقى، يا أيها المزمِّل^(١)
ظننتُ بك الناسُ الظنونَ وإنني
لأخافُ بعد الظنُّ أن يتقولوا
لك مقله فأنظرُ بها متأملاً
قد يستفيدُ الناظرُ المتأمل
لا قدرَ للجُهلاء حتى يعملوا
لا فضلَ للعلماء حتى يعملوا
سُكَّانُ لبنان العزيز وجلُّ
حيّاكمُ عنّا النسيمُ المُرسَل
لا نابَ غيرِ عدوكمُ ما نابكمُ
وبلغتُم ما تأملُون ونأمل
كم تتَّقون الطارئاتِ وتتَّقِي
كم تحملون الكارثاتِ ونَحْمِل
لو يعقلُ القدرُ الخؤونُ عذاتهُ
وعذاتهُ، لكنه لا يعقل
أبكي وأستبكي العيونَ عليكمُ
أيُّ الدموعِ عليكمُ لا تهطلُ
إن تغفلِ الدنيا ويغفلُ أهلُها
عنكم، فَخَالِقُ أهلها لا يغفلُ

(١) المزمِّل: المتلفف بالثوب.

٥٦ - يا بلادي

[الخفيف]

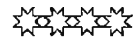
مثالما يكمنُ الأظى في الرُماد
هكذا الحبُّ كامنٌ في فؤادي
لستُ مُغرى بشادنٍ أو شاد
أنا صبُّ متيمٌ ببلادي
يا بلادي عليك ألفُ تحية



هو حبُّ لا ينتهي والمنية
لا ولا يضمحلُّ والأمنية
كان قبلي وقبل نفسي الشجية
كان من قبل في حشا الألية
وسيبقى ما دامت الأبدية!

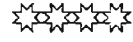


خائاني من ذكر ليلى وهند
واصرفاني عن كلِّ قد وخذ
كلُّ حسناء غيرُ حسناء عندي
أو أرى وجدها بقومي كوجدي
لا حياءُ في الحبِّ والوطنية

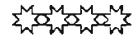


كل شيءٍ في هذه الكائنات
من جمادٍ وعالمٍ ونبات

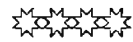
وقديمٍ وحاضرٍ أو أتِ
صائرُ الزَّوالِ أو المماتِ
غير شوقي إليك يا سوريَّة



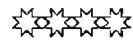
أنتِ ما دُمْتَ في الحياة حياتي
فإذا ما رجعتُ للظُّلماتِ
واستحالتْ جوارحي ذراتِ
فألتقلُّ كلُّ ذرَّةٍ من رُفاتي
عاش لبنانُ، ولتعشَّ سوريَّة



ولتقلُّ كلُّ نفحةٍ من نَد
ولتقلُّ كلُّ دُمعةٍ في خَد
ولتقلُّ كلُّ غرسةٍ فوق لحدي
وليقلُّ كلُّ شاعرٍ من بعدي
عاش لبنانُ، ولتعشَّ سوريَّة

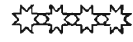


رُبَّ ليلٍ سهرتهُ الصباحِ
حائراً بين عسكرِ الأشباحِ
ليس لي مؤنسٌ سوى مصباحي
ونداء الملاحِ الملاحِ
وصراخِ الزَّوارقِ اللياليَّة

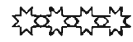


تتهادى في السيرِ كالملكاتِ
أو كسربِ النُّعامِ في الفلواتِ

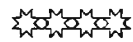
مُقبَلاتٍ في النهر أو رائحاتٍ
تحت ضوءِ الكواكب الزاهراتِ
فوق ماءٍ كالبردة اليمنيّة



تتمشّى في صفحتيّهِ النسائمُ
فترى الموج فيه مثل الأرقامِ
يتلوّى، وتارةً كالمعاصمِ
كأف الماء بالنسيم الهائمِ
ليتني كنتُ نسمةً شرقيّة



هجع الناس كلُّهم في المدينة
وتولّت على «نيويورك» السكينة
وجفوني، بغمضها، مستهينّة
لا ترى غير طيفِ تلك الحزينة
لستُ أعني بها سوى سوريّة

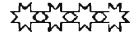


ذاك ليلٌ قطعتُه أتأملُ
رسمها الصامت الذي ليس يعقلُ
وبناني مع خاطري تتنقلُ
بين هذا الحمى وذاك المنزلِ
والربّيا والخمائل السُّنديّة

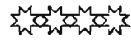


ههنا رسمٌ منزلٍ أشتهيه
ههنا مربعٌ أحبُّ نويه

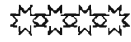
ههنا رسمٌ معهدٍ كنتُ فيه
معَ رفاقي أجرٌ ذيلَ النَّيِّه
في الضُّحَى، في الأصيل، بعد العشيَّة



كم تطلَّعتُ في الخطوط الدقيقَّة
ولنَّمتُ الطرائقَ المنسُوقَّة
قنعتُ بالخيالِ نفسي المشوَّقة
ليت هذا الخيالُ كان حقيقةً
فَعَذَابِي فِي لَذَّتِي الوهميَّة



يا رُسُوما قد هيَّجتُ أشواقِي
طالَ، لو تعلَّمينَ، عهدُ الفراقِ
أين تلك الكؤُوسُ، أين السَّاقِي؟
أين تلك الأيامُ، أين رفاقي؟
أين أحلامي الحسانَ البهيَّة؟



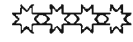
يا رسومَ الرُّبُوعِ والأصْحَابِ
بِحياتِي عليك بالأحبابِ^(١)
أخبريني فقد عرَّفتُ مُصابِي
أُتْرَى عائدُ زمانُ التَّصَابِي
أم طوَّتهُ عَنَّا يدُ الأبدِيَّة؟



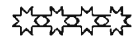
سبقتُني دنيا أرادتُ لحاقي
فأنا الآن أخرُفي السَّباقِ

(١) الرسوم: الآثار

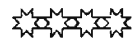
نصفُ عمري يرثيه نصفِي الباقي
كـرثاء الأوراقِ للأوراق
يـبس الأصل والفروعُ نديّة



ما تُراني إذا تغنّى الشّادي
ومضى في الغناء والإنشاد
فأطار الأسى عن الأكباد
أحسبُ العُود في يديه يُنادي
أيها القومُ أنقذوا سوريّة!



وإذا ما جالستُ تحت الظّلامِ
أرقُبُ البدر من وراء الغمامِ
رنّ في مسّمي فهزّ عظامي
شبهه صوتٍ يقول للنّوأمِ
أيها القومُ أنقذوا سوريّة!



وإذا ما ذهبْتُ في البُستانِ
بين زهرِ الخُزام والأقحوانِ
أسمعُ الهاتفاتِ في الأقنانِ
قائلاتٍ ولامِ كلامِ معانِ
أيها القومُ أنقذوا سوريّة!

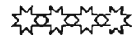


وإذا ما وقفتُ عند الغديرِ
حيث تمشي الطيورُ خلف الطيورِ

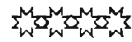
خَلَّتْ أَنْ الْأَمْوَاهَ ذَاتَ الْخَرِيرِ
قَائِلَاتٌ مَعِيَ لِأَهْلِ الشُّعُورِ
أَيُّهَا الْقَوْمُ أَنْقِذُوا سُورِيَّةَ!



مَا لِقَوْمِي وَقَدْ دَهَنَتْهَا الدَّوَاهِي
بِالَّذِي يُطْفِئُ النُّجُومَ الزَّوَاهِي
وَيُثِيرُ (الْحَمَّاسَ) فِي الْأَمْوَاهِ
قَمْعِدُوا بَيْنَ ذَاهِلٍ أَوْ لَاهٍ
أَيْنَ أَيْنَ الْحَفِيفَةُ الْعَرَبِيَّةُ؟



هِيَ أُمُّ لَكُمْ وَأَنْتُمْ بَنُوهَا
حَفِظْتُ عَهْدَكُمْ فَلَا تُنْكِرُوهَا
أَنْتُمْ أَهْلُهَا وَأَنْتُمْ ذَوُّهَا
لَا تُعِينُوا بِالصَّمْتِ مَنْ ظَلَمُوهَا
ذَاكَ عَارٌ عَلَى النُّفُوسِ الْأَبْيَةِ



كُنْ نَبِيًّا يَسْتَنْزِلُ الْإِلَهَامَا
كُنْ مَلِيكًا يُصَدِّرُ الْأَحْكَامَا
كُنْ غَنِيًّا، كُنْ قَائِدًا، كُنْ إِمَامَا
كُنْ حَيَاةً، كُنْ غِبْطَةً، كُنْ سَلَامَا
لَسْتُ مَنِي أَوْ تَعِشَقَ الْحُرِّيَّةَ!



٥٧ - الفردوس الضائع^(١)

[الكامل]

ما زال يمشي في الأمور بفكره
حتى تمشى النوم في الأجفان
وكما يرى الوسنان راء كأنه
في النعش ميت هامد الجثمان
وعلى جوانب نعشه صفان
من جند «البرت» الرفيع الشان
يبكونه لا شامتين بموته
ليس الشماتة عادة الشجعان
ورأى حوآليه جماهير الورى
تستعرض الأهود في الأكفان
وكانما كره اختلاط رفاته
في الأرض، بالضعفاء والعبدان
أو أن مرأى الحشد أقلق روحه
في جسمه فهفا إلى الطيران
ومن العجائب في الكرى أن الفتى
يغدو به وكأنه شخصان
~~~~~  
أم السماء وقد توهم أنه  
لا شك والجها بلا استئذان

---

(١) أو رؤيا القيصر الألماني.

ما زال يرقى صاعداً حتى انتهى  
 حيثُ الغناءُ مثالثٌ ومثاني  
 فرمى بناظره فأبصر بابها  
 فمشى إليه مشية العجلان  
 وأقام يقرعه فاتقبل «بطرس»  
 ذو الأمر في الفربوس والسلطان  
 وأدار فيه لحظه فإذا به  
 ضيفٌ، ولكن ليس كالضيفان  
 ما جاعنا بك؟ صاح «بطرس» غاضباً  
 يا شرَّ إنسانٍ على الإنسان  
 اذهب فما لك في السَّما من موضعٍ  
 يا أيها الرجلُ الأثيم الجاني  
 ثم انتننى للباب يحكمُ سدهُ  
 والضيفُ لم ينبسْ ببنتِ لسان  
 ما ذي الفظاظَةُ؟ قال: «وليم»، وانتننى  
 لليأس كالمصْفود في الأقران<sup>(١)</sup>  
 وبمثل لَمَحِ الطَّرْفِ أسرعَ هابطاً  
 نحو الجحيم يقول: ذاك مكاني  
 هيهات يُحرَّمُ من جهنَّم عائدُ  
 من جانب الفربوس بالحرَّمان  
 حتى إذا صار نون رتاجِها  
 سمع «الزعيم» يصيحُ بالأعوان  
 أ بني جهنَّم أوصدوا أبوابكم  
 واستعصموا كالطير بالأوكان<sup>(٢)</sup>

(١) جمع القَرْن الذي هو الحبل، قرون.  
 (٢) الوكن: عش الطائر في الجبل أو في الجدار



كونوا على حذرٍ ففي هذا الضُّحى  
يأتي إلينا قيصراً الألمان  
إن كنتم لم تعرفوه فإنه  
رجلٌ بلا قلبٍ ولا وجَدان  
أخشى على أخلاقكم إن زاركُم  
وهي الحسانُ تصيرُ غير حسان  
إياكم أن تسمحوا بدخوله  
فدخوله خطرٌ على السُّكان  
أمري لكم أصدرته، فخذوا به  
وحذارٍ ثم حذارٍ من عصياني  
ماذا تراني؟ صاح «وليم» باكيا  
حتى الأبالسُ لا تُحبُّ تراني  
إبليسُ، يا شيخَ الزبانيةِ الألى  
كانوا لأخذاني من الأخدان  
رحمك بي، فالليلُ قاسٍ برده  
والهولُ يملأ ناظري وجناني  
بجهنمٍ، بالسَّاكني حُجراتها  
بمواقد النيران، بالنيران  
وبكلِّ شيطانٍ مريدٍ ماکرٍ  
وبكلِّ تابعٍ ماردٍ شيطان<sup>(١)</sup>  
مُرٍ ينفِتِحُ بابُ الجحيمِ فإنني  
قد كاد يجمدُ للصقيعِ لساني

---

(١) التابع في التراث من الجن الذي يتبع الشعراء، ويوحى إليهم.

يا ليت شعري أين أذهب بعدما  
سُدَّ السبيلُ وأُوصد البابان  
مُرَّ لي بزاوية أزجُّ بمُهْجتي  
فيها، وإن تكُّ من حميمٍ أن  
هلاً قَبِلت تضرُّعي؟ فأجابه  
إبليسُ، وهو يروغُ كالسرحان: (١)  
لو كنتُ أعلمُ ما سكتُ فلا تزد  
لا رأيي للحيَّرانِ في الحيَّرانِ  
عبثاً تُحاولُ أن تُصادفَ عندنا  
نُزْلاً، فهذا ليس بالإمكان  
لا تذكُرنَّ لي الحنانَ وما جرى  
مجرأه، إني قد قَتَلْتُ حناني  
لا يدخلنَّ جهنماً نو مطمعٍ  
بالمجد أو بالأصْفَرِ الرِّئانِ  
إن كنتِ تشْتاقُ الإقامَةَ في اللُّطى  
فالنارُ والكَبْرِيتُ كُلُّ مكان  
فاجمعهُما واصنعْ لنفسكَ منهما  
ولن تحبُّهُمُ جحيماً ثانٍ  
وهنا تقهَّه قهر «وليم» ثم اختفى  
ما بين ليلٍ حالكٍ ودُخَانِ  
فأفاقَ مذعوراً يقلبُ طرفه  
للرعبِ في الأبوابِ والحيطان

---

(١) السرحان: الذئب.

ويقول: لا أنساك يا حُلُمي ولو  
نَسِيتُ عليّ عِناكُ النُّسيان  
ما راعني أني طُردتُ من السَّمَا  
أنا قانطُ من رحمة الشَّيطان  
لكنَّ طردي من جَهَنَّمَ، إنه  
ما دار في خَلْدي ولا حسْباني

\*\*\*\*\*

## ٥٨ - مسرح العشاق

[مجزوء الكامل]

مِنْ سَحَرِ طَرْفِكَ مِنْ مُجِيرِي  
يَا ضَرَّةَ الرَّشَاءِ الْغَرِيرِ  
جِسْمٌ كَخَصْرِكَ فِي النُّحُو  
لِ، وَمِثْلُ جَفْنِكَ فِي الْفُتُورِ  
أَصْبَحْتُ أَضْأَلُ مِنْ هَلَا  
لِ الشُّكِّ فِي عَيْنِ الْبَصِيرِ  
مَحَقَّ الضَّنَى جِسْدِي فَبِتُّ  
تُ مِنْ الْهَلَاكِ عَلَى شَفِيرِ  
وَمَشَى الرَّدَى فِي مُهْجَتِي  
الْهَلَا، فِي النَفْسِ الْأَخِيرِ  
جَهْلَ النُّطَاسِيِّ عَأَّتِي  
(١) لَه مِنْ جَهْلِ الْخَبِيرِ  
كَمْ سَامَنِي جَرْعَ الدَّوَا  
(٢) ء، وَكَمْ جَرَعْتُ مِنَ الْمَرِيرِ  
دَعْ، أَيُّهَا الْأَسِي، يَدِي  
(٣) الْحَبُّ يُدْرِكُ بِالشُّعُورِ  
يَدْرِي الصَّبَابَةُ وَالْهُوَى  
مَنْ كَانَ فِي الْبَلَاوَى نَظِيرِي!  
❖❖❖❖❖

---

(١) النُّطَاسِي. الْعَالَمُ الْخَبِيرُ وَالطَّبِيبُ الْحَاقِقُ.

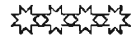
(٢) يَرِيدُ. الْمَرْءَ وَالْمَرِيرُ. هُوَ الْحَبْلُ الْمَقْتُولُ.

(٣) الْأَسِي. مَنْ يَعَالِجُ الْجَرَاحَاتِ (وَالْجَمْعُ. أَسَاءَةٌ).

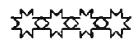
لو تَنظَرِينَ إِلَيَّ كَالْـ  
 مَيِّتِ الْمُسْجَى فِي سِرِيرِي  
 يَتَهَامَسُ الْعُودَادُ حَوَ  
 لِي كَأَمَّا سَمِعُوا زَفِيرِي  
 وَأَظُنُّهُمْ قَدْ أَدْرَكُوا  
 لَا أَدْرِكُوا، مَا فِي ضَمِيرِي  
 فَأَبَيْتُ مِنْ قَلْبِي عَالِي  
 كَ كَأَنَّنِي فَوْقَ السَّعِيرِ  
 وَأَدْرْتُ طَرْفِي فِي الْحُضُورِ  
 رَ لَعَلَّ شَخْصَكَ فِي الْحُضُورِ  
 فَارْتَدَّ يَعْزُّرُ بِالْدمِ  
 عِ تَعَزُّرُ الشَّيْخِ الضَّرِيرِ  
 قَدْ زَارَنِي مِنْ لَا أَحَبُّ  
 بٌ وَأَنْتِ أَوْلَى أَنْ تَـ زُورِي  
 صَدَّقْتَ مَا قَالِ الْحَوَا  
 سِدُ فِي مَنْ هُجِرَ وَزُورِ<sup>(١)</sup>  
 وَأَطَعْتَ بِي حَتَّى الْعُودَا  
 وَضَنْتِ حَتَّى بِالْيَسِيرِ  
 أَمَّا خَيْالُكَ، يَا بَخِي  
 لَةً، فَهُوَ مَثَلُكَ فِي النُّفُورِ  
 رُوحِي فَـ دَاوُكُ، وَهِيَ لـ  
 تَدْرِينُ تُفْدِي بِالْكَثِيرِ  
 تِيهِي عَلَى الْعَانِي كَمَا  
 تَاهَ الْغَنِيُّ عَلَى الْفَقِيرِ

(١) الهُجْر. الباطل والهنديان.

أنا لا أبالي بالمصير  
وأنت أدري بالمصير  
أهواك رغم مُعَذِّفِي  
ويأذ نفسي أن تجُوري  
ليس المحبُّ بصادقٍ  
حتى يكونَ بلا عذير



كم لي لالة ساهرتُ في  
ها النُّجْمَ أحسبه سُميري  
والشُّهْبُ أقعدها الوئى  
والليلُ يمشي كالأسير  
أرعى البـدور وليس لي  
من حاجة عند البـدور  
مُتذكِّراً زمن الصُّبَا  
زمن الغواية والغُرور  
أيام أخطرُ في المـجا  
مع والمعاهد كالأمير  
أيام أمـري في يدي  
أيامَ نَجْمِي في ظُهور  
لَمع القَتِيرُ بِالمُتِي  
ويلَ الشَّبَابِ مِنَ القَتِيرِ<sup>(١)</sup>



لا «بالغُوَيْرِ» ولا «النُّقَا»  
كَأَفِي ولا أهل «الغُوَيْرِ»<sup>(٢)</sup>

---

(١) القَتَر، والقَتِير. الغبار، يريد. الشيب.  
(٢) الغوير والنقا. مواضع بعينها والنقا. من كتاب الرمل.

أرض (الجزيرة) كيف حـا  
لُكْ بَعْدَ وَقْعِ الزَّمْهَرِيرِ  
نَزَلَ الشِّتَاءُ فَأَنْتَ مَا  
سَعْبُ كُلِّ سَافِيَةٍ دُبُور<sup>(١)</sup>  
وَتَبَدَّلْتَ تِلْكَ الْعُورَا  
صُ مِنْ النُّضَارَةِ بِالدُّنُورِ  
أَمْسَيْتِ كَالطَّلِّ الْمُحْيِ  
لِ وَكُنْتَ كَالرُّوضِ النُّضِيرِ  
أَهَاءَ عَالِيكَ وَأَهَ كَيْدِ  
فَ نَأْتُكَ رَبَّاتُ الْخُـدُورِ  
الْمَائِسَاتُ عَنِ الْغُصُورِ  
نِ، السَّافِرَاتُ عَنِ الْبُـدُورِ  
الذَاهِبَاتُ مَعَ النَّهْودِ،  
الذَاهِبَاتُ مَعَ الصُّدُورِ  
الْحَاسِرَاتُ عَنِ السُّـوَا  
عَدُ وَالتَّرَائِبُ وَالنُّحُور<sup>(٢)</sup>  
الْقَاسِيَاتُ عَلَى الْقَلُورِ  
بِ، الْجَانِيَاتُ عَلَى الْخُصُورِ  
الْمَالِكَاتُ عَلَى الْمَلَا  
لِي فِي الْقَلَائِدِ وَالنُّعُورِ  
الضَّاحِكَاتُ مِنَ الدُّلَا  
لِ اللَّاعِبَاتُ مِنَ الْحُبُورِ  
الْأَخَذَاتُ قَلُوبُنَا  
فِي زِيِّ طَاقَاتِ الزُّهُورِ

(١) الدُّبُورُ تَقَابِلُ الْقَبُولِ مِنَ الرِّيَاحِ. وَجَعَلَهَا لِلْسَّوَافِي.

(٢) التَّرَائِبُ: مَوْضِعُ الْقَلَادَةِ مِنَ الصَّدْرِ (مُفْرَدُهَا تَرِيْبَةٌ).

بِيضُ نَوَاعِمُ كَالدُّمَى  
يَرْفُلُنَ فِي حُلِّ الْحَرِيرِ  
مِثْلُ الْحَمَائِمِ فِي الْوُدَا  
عَةِ، وَالْكَوَاكِبِ فِي السُّفُورِ  
مِنْ كُلِّ ضَاكِكَةٍ كَانَتْ  
مِنْ بَوَاجِهَا وَجَهَ الْبَشِيرِ  
أَنَّى أَدْرَتِ السُّطْرُفُ فَيَدِ  
— هَا جَالٌ فِي قَمَرٍ مُنِيرِ  
❖❖❖❖❖

يَا مَسْرُوحَ الْعُشَّاقِ، كَمْ  
لِي فَيْكِ مِنْ يَوْمٍ مَطِيرِ  
تَنْسَى الْبَرِيَّةُ عِنْدَهُ  
يَوْمَ الْخَوَرْنَقِ وَالسَّيْدِيرِ<sup>(١)</sup>  
وَلَكُمْ هَبْطُكَ وَالْحَبِيدِ  
سَبَّةٌ فَازَعَيْنَ مِنَ الْهَجِيرِ  
فِي زَوْرَقِ بَنِي السُّزَا  
رَقٍ كَالْحَمَامَةِ فِي الطُّيُورِ  
مَتَمَّهَلٍ فِي سَيِّرِهِ  
وَالْمَاءُ يُسْرِعُ فِي الْمَسِيرِ  
وَالشَّمْسُ إِبَّانَ الضُّحَى  
وَالْجَوُّ صَافٍ كَالْغَدِيرِ  
وَلَكُمْ وَثْبُنَا فِي التَّلَا  
لِوَكَمْ رَكْضُنَا فِي الْوُورِ  
وَلَكُمْ أَصْخُنَا الْحَفِيدِ

---

(١) قصرا الحيرة في العراق، أيام المنانرة.

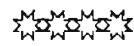


ف وكم شَجِينَا بِالْخَرِيرِ  
 وَلَكُمْ جَالِسُنَا فِي الرِّيَا  
 ض، وكم نَشَقَّنَا مِنْ عَبِيرِ  
 وَلَكُمْ تَبَرَّدْنَا بِمَاءِ نُهَيْدٍ  
 رِك الصَّافِي النَّمِيرِ  
 طَوْرًا نَنَامُ عَلَى النَّبَا  
 تِ وَتَارَةً فَوْقَ الْحَصِيرِ  
 لَا نَتَّقِي عَيْنَ الرُّقْدِ  
 بٍ وَلَا نُبَالِي بِالْغَيُورِ  
 فَكَأَنَّهَُا وَكَأَنَّنِي الْ  
 أَبْوَانِ فِي مَاضِي الْعَصُورِ  
 حُسُودَتْ عَلَيَّ مِنَ الْإِنَا  
 ثَ كَمَا حُسُودَتْ مِنَ الذُّكُورِ  
 ظَنَّ الْأَنَامُ بِنَا الظَّنُّو  
 نَ وَمَا اجْتَرَحْنَا مِنْ نَكِيرِ  
 قَدْ صَانَ بُرْدَتَهَا الْحَيَا  
 ءُ، وَصَانَنِي شَرْفِي وَخَيْرِي<sup>(١)</sup>  
 ✽✽✽✽✽✽  
 وَمَطِيَّةَ رَجْرَاجَةٍ  
 لَا كَالْمَطِيَّةِ وَالْبَعِيرِ  
 مَا تَأْتِي فِي سَيْرِهَا  
 صَخَّابَةً لَا مِنْ نُبُورِ<sup>(٢)</sup>  
 تَجْرِي عَلَى أَسْلَاقِهَا

(١) الخيرة: التخير.

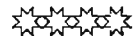
(٢) الألؤ: التقصير.

جـري الأراقم<sup>(٣)</sup> في الحُـدور  
طُوراً تُرى فوق الجُـسـو  
رِوتارةً تحت الجُـسـو  
أنا على قـمـمـوا  
نُا في كهوفٍ كالقـبـور  
ترقى كما ترقى (المصا  
عد) ثم تهبط كالصخور  
فإذا علتُ حسب الـورى  
أنا نُصعدُ في الأثير  
وإذا هوتُ من حـالقـي  
هوت القلوبُ من الصـور  
والركبُ بين مُصـفـقـي  
ومُهـلـلٍ جـذلٍ قـريـر  
أو خائفٍ مُتـطـيـر  
أو صارخٍ أو مُسـتـجـير  
هي في التَّـقـلُّبِ كالزَّما  
نٍ وإنما هي الـسـرور



ومُدارةً في الجـو يدُ  
سبها الجهولُ بلا مُدير  
لو شئتُ نيل النُّجم منْ  
ها ما صبوتُ إلى عسير  
مشـدودةً لـكنها

أَجْرَى مِنَ الْفَرَسِ الْمُغِيرِ  
زَفَافَةً زَفَّ الرَّئُفَا  
لِتُسْفُفُ إِسْفَافُ النَّسُورِ<sup>(١)</sup>  
وَلَهَا حَفِيفٌ كَالرِّيَا  
حِوْهْدَرَةٌ لَا كَالْهَدِيرِ  
كَالْأَرْضِ فِي ثَوْرَانِهَا  
وَلَكَا مِظْلَّةٌ فِي النَّشُورِ  
الْقَوْمُ فِيهَا جَالِسُونَ  
نَ عَلَى مَقَاعِدٍ مِنْ وَثِيرِ  
وَالرَّيْحُ تَخْفُقُ حَوْلَهُمْ  
وَكَا أَنْمَا هُمْ فِي قِصُورِ  
وَالْجَمْعُ يَهْتَفُ كَأَمَّا  
مَرَّتْ عَلَى الْحَشْدِ الْغَفِيرِ



وَلَكُمْ تَأَمَّنَّا الْجُمُورِ  
عَ تَمُوجُ كَالْبَحْرِ الرَّخُورِ  
يَمْشِي الْخَطِيرُ مَعَ الْحَقِيرِ  
رِ كَانَمَا هُوَ مَعَ خَطِيرِ  
وَتَرَى الْمَهَاةَ كَانَهَا  
لَيْثٌ مَعَ الْبَيْثِ الْهَاصُورِ  
مُتَوَافِقُونَ عَلَى التُّبَا  
يُنْ كَالْقَبِيلِ أَوْ الْعَشِيرِ<sup>(٢)</sup>  
لَا يَرْهَبُونَ يَدَ الْخُطُو

---

(١) الرّال: ولد النعام. والزفّة: سرعة المشي.

(٢) القبيل: الجماعة من أمم شتى.

بِكَائِنَمَا هُمْ خَلْفَ سُورٍ  
يَمْضِي النَّهَارُ وَنَحْنُ نَحْدُ  
سَبَبِ مَا بَرَحْنَا فِي الْبُكُورِ  
أَبْقَيْتَ يَا زَمَنَ الْحُرُورِ  
رِ بِمَهْجَتِي مِثْلَ الْحُرُورِ  
وَلَيْتَ شَهْرُورُ كُنْتُ أُرِ  
جَوْ أَنْ تُخَادَ كَالْدَهْورِ  
وَأَتَتْ شَهْرُورُ بَعْدَهَا  
سَاعَاتُهَا مِثْلُ الشُّهُورِ  
لَيْسَتْ حَيَاةُ الْمَرْءِ فِي الدَّ  
دُنْيَا سِوَى حُلْمٍ قَصِيرِ  
وَأَرَى الشُّبَابَ مِنَ الْحَيَا  
ةِ كَالْأُبَابِ مِنَ الْقُشُورِ  
زَهَبَ الرَّبِيعُ زَهَابَهُ  
وَأَتَى الشِّتَاءُ بِلَا نَذِيرِ  
وَتَبَدَّدَ الْعُشَّاقُ مَدُّ  
لَ تَبَدَّدَ الْوَرَقَ النَّثِيرِ  
رَضِيَ الْمُهَيَّمُنُ عَنْهُمْ  
وَاللَّهُ يَعْفُو عَنْ كَثِيرِ

\*\*\*\*\*

## ٥٩ - حكاية حال

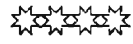
[الطويل]

هَجَرْتُ الْقَوَافِي مَا بِنَفْسِي مَلَالُهُ  
سِوَايَ، إِذَا اشْتَدَّ الزَّمَانُ، مَلُولُ  
وَلَكِنْ عَدَّتْنِي أَنْ أَقُولَ حَوَادِثُ  
إِذَا نَزَلْتُ بِالطُّودِ كَادَ يَزُولُ  
وَبَغَضَنِي الْأَشْعَارُ أَنْ دَعَا تَهَا  
كَثِيرٌ، وَأَنْ الصَّادِقِينَ قَلِيلُ  
وَأَنْ الْفَتَى فِي ذِي الرِّبْعِ عَقَارُهُ  
وَأَمْوَالُهُ، وَالْبَاقِيَاتُ فُضُولُ  
سَكْتُ سَكُوتِ الطَّيْرِ فِي الرُّوضِ بَعْدَمَا  
ذَوَى الرُّوضُ وَاجْتَا حَ النِّبَاتِ ذَبُولُ  
فَمَا هَزَّنِي إِلَّا حَدِيثُ سَمْعَتِهِ  
عَنِ الْغَيْدِ كَالْغَيْدِ الْحَسَنِ جَمِيلُ  
فَمَا أَنَا فِي هَذِي الْحَاكِيَةِ شَاعِرُ  
وَلَكِنْ كَمَا قَالَ الرَّوَاةُ أَقُولُ



فَتَى مِنْ سِرَاةِ النَّاسِ، كُلُّ جُدُودِهِ  
سَرِيٌّ، كَرِيمُ النَّبْعَتَيْنِ، نَبِيلُ  
قَضَى فِي ابْتِنَاءِ الْمَكْرُمَاتِ زَمَانَهُ  
يُنَالُ وَيَرْجُوهُ السَّوَى قَيْنِيلُ  
فَدَكُّ مَبَانِي عِزِّهِ الدَّهْرُ بَغْتَةً  
وَقَلَّمَ مِنْهُ الظُّفْرُ فَهُوَ كَالِيلُ

هوى مثلما يهوي إلى الأرض كوكبٌ  
كذاك الليالي بالأنام تدول  
وكان له في الدهر بطشٌ وصولُهُ  
فأمست عليه الحادثات تصول  
وكان له ألفا خليلٍ وصاحبٍ  
فأعوزَه، عند البلاء، خليل  
تفرَّق عنه صحبُهُ فكانما  
به مرضٌ، أعيا الأساة، وبيل  
وأنكره من كان يحلفُ باسمه  
كما يُنكر الدين القديم عميل  
فأصبح مثلُ الفُك في البحر ضائعاً  
يميل مع الأمواج حيثُ تميل  
يكاد يمدُّ الكفَّ لولا بقيه  
من الصبر في ذاك الرداء تجول



زوى نفسه كي لا يرى الناسُ ضره  
فيشمت قال<sup>(١)</sup> أو يُسر عذول  
بدارٍ.. أناخ البؤسُ فيها ركابه  
وجرَّت عليها الخراب ذُيول  
مُهْدَمَة الجدران مثل ضلوعه  
بها اليأسُ صمتٌ والسقامُ مجول  
تمر عليها الريحُ ولهى حزينه  
ويرنو إليها النجمُ وهو ضئيل  
إذا ما تجلَّى البدرُ في الأفق طالعاً  
رعاه، إلى أن يعتريه أفول

---

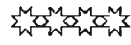
(١) الفالي: المبغض (قلى - يقلى)

حبال الأمانى عند قوم شعاعه  
ولكنه في مقالبته نصول  
فيا عجبا حتى النجوم تضله  
وفي نورها المداجين داليل  
وهل تهتدي بالبدر عين قريحه  
عليها من الدمع السخين سدول؟



غفا الناس، واستولت عليهم سكينه  
فما بالله استولى عليه ذهول؟  
تأمل في أحزانه وشققائه  
فهان عليه العيش وهو جميل  
فمد إلى السكين كفا نقيه  
أبت أن يراها تستغيث بخيل  
وقربها من صدره ثم هزها  
وكاد بها نحو الفؤاد يميل  
وإذ شبح يستعجل الخطو نحوه  
وصوت لطيف في الظلام يقول:  
رويدك، فالضئك الذي أنت حامل  
متى زال هذا الليل سوف يزول  
نعم؛ هي إحدى محسنات نساءنا  
ألا إن أجر المحسنات جزيل  
أبت نفسها أن يحل النوم جفنها  
وجفن المعنى بالسهاد كحيل  
وأن تتولى الابتسامات ثغرها  
وفي الحي مكلوم الفؤاد عليل

فَأَلْقَتْ إِلَيْهِ صُورَةً وَتَرَا جَعَتْ  
وَفِي وَجْهَهَا نُورُ السُّرُورِ يَجُولُ  
فَلَمْ تَتَنَاوَلَ صُنْعُهَا أَلْسُنُ الْوَرَى  
وَلَا قُرِعَتْ فِي الْخَافَقَيْنِ طُبُولُ  
وَلَا أَحْسَنْتُ كَيْ تَعْلَنَ الصُّحُفُ اسْمَهَا  
فَتَعْلَمَ جَارَاتُ لَهَا وَقَبِيلُ  
كَذَا فَلْيُؤَاسِ الْبَائِسِينَ ذَوُو الْغَنَى  
وَإِنِّي لَهُمْ بِالصَّالِحَاتِ كَفِيلُ  
فَإِنَّ الْقُصُورَ الشَّاهِقَاتِ إِذَا خَلَتْ  
مِنَ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ فَهِيَ طُلُولُ  
وَأَخِيرُ دُمُوعِ الْبَاكِياتِ هِيَ الَّتِي  
مَتَى سَالَ دَمْعُ الْبَائِسِينَ تَسِيلُ!



أَلَا إِنَّ شَعْبًا لَا تَعَزُّ نَسَاؤُهُ  
وَإِنْ طَارَ فَوْقَ الْفَرَقْدِينَ، ذَلِيلُ  
وَكُلُّ نَهَارٍ لَا يَكُنُّ شُمُوسُهُ  
فَذَلِكَ لِيلِ حَالِكٍ وَطَوِيلُ  
وَكُلُّ سُرُورٍ غَيْرُهُنَّ كَابَةٌ  
وَكُلُّ نَشَاطٍ غَيْرُهُنَّ خُمُولُ





## ٦٠- يا جارتى

[البسيط]

قالت لجارتها يوما تُسأئُها  
عنِّي، وفي طَرْفها الوسنانِ أشجانُ:  
ما بالُ هذا الفتى في الدار معتزلاً  
كما توحَّد نُسَّاكُ ورهبانُ  
يأتى المساءُ عليه وهو مكتئبُ  
ويرجع الليلُ عنه وهو حيرانُ  
يُمِرُّ بالقُربِ مِنَّا لا يكلمُنَّا  
وللحديثِ مجالُ، وهو مُلسانُ<sup>(١)</sup>  
وإنَّ نكلمةً لا يفقهَ مقالَتُنَا  
إلا كما يفقهُ التسبيحُ سكرانُ  
إذا تبسَّم، لا تبسو نواجذهُ  
وإن بكى، فله نَزْعُ وإرنانُ<sup>(٢)</sup>  
كأنما نيطتِ الدنيا بعاتقه  
كأنما كلُّ عضوٍ فيه بُركانُ  
فلا ابتسامُ ذواتِ الغُنَجِ يُطرِبُهُ  
ولا ابنَةُ الحانِ تُصَبِّيه ولا الحانُ  
أماله أملٌ حلوٌ يألذُّ به  
كما تلذُّ بمراى النُّورِ أجفانُ

---

(١) ملسان: صاحب لسان نرب.

(٢) النزع: المجازية والحنين والمغالبة. والإرنان: تصعيد الرنّة، والتصويت.

أماله جيرة في الأرض يالفهم؟  
يا جارتى! كان لي أهل وجيران  
فَبَتَّتِ الحربُ ما بيني وبينهم  
كما تُقَطِّعُ أمراسُ وخيطان  
فاليوم كلُّ الذي في مُهْجتي أَلَمٌ  
وكلُّ ما حولهم بؤسٌ وأحزان  
وكان لي أملٌ إذا كان لي وطنٌ  
فيه لنفسي لباناتٌ وخلآن  
فجرَّتهُ الأيالي من محاسنه  
كما يُعرَى من الأشجار بُستان  
فلا المغاني التي أشتاقُ رؤيتها  
تلك المغاني، ولا السُّكَّانُ سُكَّان  
لو المروءةُ تدري أيَّ فاجعة  
بالشام، ناح عليها الإنسُ والجانُ  
ولو يبتُّ بنو لبنانَ لوعتَهُمُ  
لاهتزَّتْ الأرضُ لما اهتزَّ لبنان  
قالت: شكوت الذي بالخلق كلُّهمُ  
وما كذبتُك إن الحرب طوفان  
تساوتِ الناسُ في البلوى، فقلتُ لها  
هيهات، ما هانَ قومٌ مثلما هانوا  
أمنٌ يموتُ ولا سترٌ يظللُهُ  
كمن عاياه أكاليلٌ وتيجان؟  
قالت: ويا ويح نفسي من مقالتها  
كَفَّكَ دموعك، بعضُ الحزن أهوان<sup>(١)</sup>

---

(١) الهُون: الشدة والمضرة.

لو كان قومك أهلاً للحياة لما  
ماتوا وفي أرضهم تُركُ وألمان  
وكلُّ من لا يرى في الذلَّ منقصةً  
لا يستحقُّ بأن يبكيه إنسان  
كُفِّي ملامك يا حسناءً واتئدي  
فإن مدح ذوي العُدوان عُدوان  
وأنتِ من أمةٍ تأبى خلائقُها  
أن يقتلَ الطير في الأقفاصِ سجان  
وإن قومي طيورٌ غيرُ كاسرةٍ  
سَطَّتْ عليها شواهينٌ وعقبان<sup>(١)</sup>  
لا تحسبي أنني أبكي لصرعهم  
فكأننا للردى شيبٌ وشُبَّان  
لكن بكيتُ من الباغِي يُعذبُّهم  
وهم شيوخٌ وأطفالٌ ونِسوان  
ورحمتُ أشكو إليها وهي ساهيةٌ  
لكنما قلبُها الخفاقُ يقظان  
حتى انتهيتُ فصاحتُ وهي مُجهشةٌ:  
يا ليت ما قلتَه زورٌ وبُهتان  
بل ليتني لم أسألكَ جارتنا  
بل ليت قلبي إذ ساءلتُ صوّان  
يا ليت شعري وهذي الحربُ قائمةٌ  
هل تنجلي ولنا في الشَّامِ إخوان؟  
وهل تعودُ إلى لبنانَ بهجتهُ  
وهل أعود وفي لبنانَ نيسان؟

---

(١) الشاهين والعقاب: من سباع الطير.

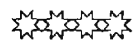
فأسمع الطَّير تشدو في خمائله  
وأبصرُ الحقلَ فيه الشَّيخُ والبان؟  
بني بلادي! ولا أدعو بخيائكم  
غيرُ البخيلِ له قلبٌ ووجدان  
بني بلادي! ولا أدعو جبانكم  
ما للجبان ولا لي فيه إيمان  
بني بلادي! وكم أدعو.. أليس لكم  
كسائر الخلق أكبادُ وأذان؟  
لا تضحكوا وبأرض الشام نائحة  
ولا تناموا وفي لبنان سهران!

\*\*\*\*\*

## ٦١ - هَمَلَتْ

[السريع]

يَا نَبِيَّ سُرِبَهِ مَسْمَعِي  
حَتَّى تَمْنَى أَنَّهُ النَّاقِلُ  
أَنْعَشَ فِي نَفْسِي الْمُنَى مَثَلَمَا  
يُحْيِي الْجَدِيبُ الْوَكَفُ الْهَاطِلُ  
عَرَفْتُ مِنْهُ أَنَّ ذَاكَ الْحَمَى  
بِالصَّيْدِ مِنْ فَتْيَانِنَا أَهْلُ  
عَصَابَةٍ كَالْعَقْدِ فِي «أَكْرَنِ»  
يَعْتَزُّ فِيهَا الْفَضْلُ وَالْفَاضِلُ  
مِنْ كُلِّ مَقْدَامٍ رَجِيحِ النَّهْيِ  
كَالسَّيْفِ إِذْ يَصْقُقُهُ الصَّاقِلُ  
الْبَبْدَرُ مِنْ أَزْرَارِهِ طَالِعُ  
وَالْغَيْثُ مِنْ رَاحَتِهِ هَامِلُ  
وَكُلُّ طَلْقٍ الْوَجْهَ مَوْفُورِهِ  
فِي بُرْدَتَيْهِ سَيِّدُ مَائِلِ



شَبِيهَةَ الشَّرْقِ، انْعَمِي وَاسْلَمِي  
كِي تَسْلِمَ الْأَمْالُ وَالْأَمَلُ  
بِكُمْ وَبِالرَّاقِينَ أَمْثَالِكُمْ  
يَفْتَخِرُ الْعَالِمُ وَالْعَامِلُ  
بِعَثْنَتُمْ «هَمَلَتْ» مِنْ رَمْسِهِ  
«فَهَمَلَتْ» بَيْنَكُمْ مَائِلُ

يمشي ويمشي الطيفُ في إثره  
كلاهما ممّا ممّا به ذاهل  
لا يضحك السّامعُ من هزّله  
كم عظة جاء بها الهازل  
روايةٌ يظهر فيها لكم  
كيف يُداجي الصادقُ الخاتل<sup>(١)</sup>  
وتنكّثُ المرأةُ ميثاقَها  
وكيف يُجرى المجرمُ القاتل  
وإنّما الإنسانُ أخلاقه  
لا يستوي الناقصُ والكامل  
والنفسُ كالمرأة إن أُهملتْ  
يعلو عليها الصّدأُ الأكل  
والنّاسُ أنوارُ، فذا صاعداً  
يرaudُ الشُّهبُ وذا نازل  
والدهرُ حالاتٌ، فيومٌ به  
نحسُ، ويومٌ سعدُه كامل  
فمَنّاوا الجَهْلَ وأضراره  
حتى يُعادي جهْلَه الجاهل  
ومَنّاوا الفضلَ وأياته  
كي يستزيد الرجلُ الفاضل  
وصوّروا المجد بلآلئه  
عسى يُفريقُ الهاجعُ الغافل  
ويُرجعُ الشُّرقُ إلى أوجه

---

(١) المداجة: المداراة والمخاطبة.

كما يعود القمر الأفل  
وابنوا إلى الآتين من بعدكم  
يبين لمن يخلفه القابل  
ما دمتم للحق أنصاره  
هيهات أن ينتصر الباطل

\*\*\*\*

## ٦٢ - العيون السود

[الكامل]

ليت الذي خَلَقَ العيونَ السودا  
خَلَقَ القلوبَ الخافقاتِ حديدا  
لولا نواعسُها ولولا سحرُها  
ما ودَّ مالكِ قلبه لو صيدا  
عوذَّ فؤادك من نبال لحاظها  
أو مُتَّ كما شاء الغرامُ شهيدا  
إنَّ أنت أبصرت الجمالَ ولم تَهَمَّ  
كنت امرءاً خشنَ الطُّباعِ، بليدا  
وإذا طلبت مع الصَّبابَةِ لذةً  
فلا قد طلبت الضائعَ الموجودا  
يا ويح قلبِي إنه في جانبي  
وأظنُّه نائي المزارِ بعيدا  
مُسْتَوْفِرٌ شوقاً إلى أحبابه  
المرءُ يكره أن يعيش وحيدا  
برأ الإلهُ له الضلوعَ وقايه  
وأرثه شقوته الضلوعَ قُيودا  
فإذا هَفَا برقُ المنى وهفاه  
هاجت دَفَائِنُه عليه رُعودا  
جشمتُه صبرا فلما لم يُطِقْ

---

(١) التصويب: انخفاض التنفس. والتصعيد: تنفس الصُعْداء، وهو تنفّس يمتد.



جَشْمَتُهُ التَّصَوِّيبُ وَالتَّصْعِيدُ<sup>(١)</sup>  
لو أَسْتَطِيعُ وَقَيْتُهُ بِطُشِّ الْهُوَى  
ولو اسْتَطَاعَ سَلَا الْهُوَى مُحْمُودَا  
هي نَظْرَةٌ عَرْضَتْ فَصَارَتْ فِي الْحَشَا  
نَارًا، وَصَارَ لَهَا الْفُؤَادُ وَقُودَا  
وَالْحُبُّ صَوْتُ، فَهُوَ أَنَّهُ نَائِحٌ  
طَوْرًا وَأَوْنَةً يَكُونُ نَشِيدَا  
يَهْبُ الْبَوَاغِمُ أَلْسُنًا صَدَاحَةً  
فَإِذَا تَجَنَّى أَسْكَتَ الْغَرِيدَا<sup>(٢)</sup>  
مَا لِي أَكَلَفْتُ مُهْجَتِي كَتَمِ الْأَسَى  
إِنْ طَالَ عَهْدُ الْجَرْحِ صَارَ صَدِيدَا  
وَيَلَذُّ نَفْسِي أَنْ تَكُونَ شَقِيَّةً  
وَيَلَذُّ قَلْبِي أَنْ يَكُونَ عَمِيدَا<sup>(٣)</sup>  
إِنْ كُنْتَ تَدْرِي مَا الْغَرَامُ فِدَاوَنِي  
أَوْ لَا، فَخَلَّ الْعَذْلُ وَالتَّفْنِيدَا  
❖❖❖❖❖  
يَا هِنْدُ قَدْ أَفْنَى الْمَطَالُ تَصَبُّرِي  
وَفَنَيْتُ حَتَّى مَا أَخَافُ مَزِيدَا  
مَا هَذِهِ الْبَيْضُ الَّتِي أَبْصَرْتِهَا  
فِي لَمَّتِي إِلَّا الْيَالِي السُّودَا  
مَا شَبَبْتُ مِنْ كِبَرٍ وَلَكِنَّ الَّذِي  
حَمَلْتُ نَفْسِي حَمْلًا تَهُ الْفُودَا<sup>(٣)</sup>  
هَذَا الَّذِي أَبْلَى الشَّبَابَ وَرَدَّهُ

(١) الْبُغَامُ: عَدَمُ الْإِفْصَاحِ فِي الْحَدِيثِ، وَبُغَامُ الظَّيْبَةِ: صَوْتُهَا (بَغَمَتْ - تَبْغُمُ).

(٢) الْعَمِيدُ: الشَّدِيدُ الْحَزَنُ (مِثْلُ الْعَمُودِ).

خَلَقًا وَجَعَدَ جِبْهَتِي تَجْعِيدًا  
عَلَّمَتِ عَيْنِي أَنْ تَسْحَ دُمُوعُهَا  
بِالْبُخْلِ عَلَّمَتِ الْبُخِيلَ الْجُودَا  
وَمَنْعَتِ قَلْبِي أَنْ يَقَرَّ قَرَارُهُ  
وَلَقَدْ يَكُونُ عَلَى الْخُطُوبِ جَلِيدًا  
دَلَّهْتَنِي وَحَمَيْتَ جَفَنِي غُمْضَهُ  
لَا يَسْتَطِيعُ مَعَ الْهَمُومِ هُجُودَا  
لَا تَعْجِبِي أَنَّ الْكَوَاكِبَ سُهُودُ  
فَأَنَا الَّذِي عَلَّمْتُهَا التَّسْهِيدَا  
أَسْمَعْتُهَا وَصَفَ الصَّبَابَةِ فَاثْنَتُ  
وَكَأَنَّمَا وَطِئَ الْحُفَاةُ صُرُودَا<sup>(١)</sup>  
مَتَعَثَّرَاتٍ بِالظَّلَامِ كَأَنَّمَا  
حَالَ الظَّلَامُ أَسَاوِدًا وَأُسُودَا<sup>(٢)</sup>  
وَلَوْ أَنَّهَا عَرَفَتْ مَكَانَكَ فِي الثُّرَى  
صَارَتْ زَوَاهِرُهَا عَلَيْكَ عُقُودَا  
أَنْتِ الَّتِي تُنْسِي الْحَوَائِجَ أَهْلَهَا  
وَأَخَا الْبَيَانِ بَيَانَهُ الْمَعْهُودَا  
مَا شَمَمْتُ حُسْنَكَ قَطُّ إِلَّا رَاعَنِي  
فَوَدِدْتُ لَوْ رَزَقَ الْجَمَالَ خُلُودَا  
وَإِذَا ذَكَرْتُكَ هَزَّ ذِكْرُكَ أَضْلَاعِي  
شَوْقًا كَمَا هَزَّ النِّسِيمُ بُنُودَا  
فَحَسِبْتُ سَقَطَ الْطَلَّ نَوْبَ مُحَاجِرِي  
لَوْ كَانَ دَمْعُ الْعَاشِقِينَ نَضِيدَا  
وَضَنْنْتُ خَافَقَةَ الْغُصُونِ أَضَالَعَا

(١) الصرود: مسمار في سنان الرمح، وجمعه: صُرُود.

(٢) الأساود (جمع الأسد). جمع الجمع.

وَتِمَارِهِنَّ الْفَانِيَاتُ كُبُودًا  
وَأَرَى خَيْالَكَ كُلَّ طَرْفَةٍ نَاطِرٍ  
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ أَرَاهُ جَدِيدًا  
وَإِذَا سَمِعْتُ حِكَايَةَ عَنْ عَاشِقٍ  
عَرَضًا حَسِبْتُ أَنَّ الْفَتَى الْمَقْصُودًا  
مُسْتَيِقِظٌ وَيُظَنُّ أَنِّي نَائِمٌ  
يَا هِنْدُ، قَدْ صَارَ الذَّهُولُ جَمُودًا  
وَلَقَدْ يَكُونُ لِي السُّؤَالُ عَنْ الْهَوَى  
لَكِنَّمَا خُلِقَ الْمُحِبُّ وَدُودًا

\*\*\*\*\*

## ٦٣ - هاتها

[مجزوء المديد]

|                  |                              |
|------------------|------------------------------|
| هاتها في القدح   | نسممة في شبح                 |
| هاتها فالنفس في  | حاجة لافرح                   |
| واسقنيها كوثراً  | وعلي اقترح                   |
| إن تكن قد حُرمت  | فعلى المستقيم                |
| هي في صُفرتها    | طلعة المفتاح <sup>(١)</sup>  |
| وهي في حُمرتها   | كخديد <sup>(٢)</sup> المستحي |
| وهي في شدتها     | ثورة الجترح <sup>(٣)</sup>   |
| وهي في رقتها     | خاطر لم يألح                 |
| أتراها شفقاً     | كألت بالصبح                  |
| أم هي الوجنات قد | نُويت في قـدح؟               |

\*\*\*\*

---

(١) تغير اللون عند الافتضاح.

(٢) تصغير الخد.

(٣) المرتكب أو المكتسب.

## ٦٤ - إلى صديق

[الكامل]

ما عزَّ من لم يصحب الخَـذَما  
فأحطَ دواتك؛ واكسر القلما<sup>(١)</sup>  
وارحم صباك الغض، إنهم  
لا يحملون، وتحمل الألما  
كم ذا تُناديهم وقد هجعوا  
أحسبت أنك تُسمع الرمما  
ما قام في أذانهم صمم  
وكان في أذانهم صمما  
القومُ حاجتُهم إلى همم  
أو أنت ممن يخلق الهمما؟  
تأله لو كنت «ابن ساعدة»  
أدبا «وحاتم طيٍّ» كرما<sup>(٢)</sup>  
وبذت «جالينوس» حكمتة  
والعلم «رسطاليس» والشُّمما<sup>(٣)</sup>  
وسبقت «كولبوس» مكتشفًا  
وشأوت «أديسون» مُعترِما  
فَسَلَّبت هذا البحر لؤلؤة  
وحبوتهم إياه مُنتظما

---

(١) الخَـذَم سرعة القطع. يريد: السيف.

(٢) قسَّ بن ساعدة الإيادي. من حكماء العرب، وحاتم من كرمائهم.

(٣) جالينوس Galènes. الطبيب اليوناني الذي اعتمده أطباء العرب.

وكشفت أسرار الوجود لهم  
وجعلت كلَّ مُبْعَدٍ أَمَمًا<sup>(١)</sup>  
ما كنت فيهم غير متَّهم  
إني وجدتُ الحُرَّ مُتَّهَمًا  
هانوا على الدنيا فلا نعمة  
عرفتُهم الدنيا ولا نَقَمًا  
فكانما في غيرها خالقوا  
وكانما قد أثروا العدم  
أوما تَراهم، كلُّما انتسبوا  
نَصلوا<sup>(٢)</sup> فلا عُرْبًا ولا عجمًا  
ليسوا نوي خَطرٍ وقد زعموا  
والغربُّ نو خطِرٍ وما زعموا  
مُتَخَذِينَ على جهالتهم  
إنَّ القويَّ يهونُ منقَسِمًا  
فالبحرُ يعظُمُ وهو مجتمِعُ  
وتراه أهونَ ما يُرى ديمًا  
والسُّورُ ما ينفكُ ممتنعًا  
فإذا يُناكرُ بعضه انهدما  
والشعبُ ليس بناهضٍ أبدًا  
ما دام فيه الخُلفُ مُحْتَكَمًا  
يا للأديبِ وما يُكابِدُه  
في أُمَّةٍ لا تشبُه الأُمَمَ  
إن باح لم تَسْلَمْ كرامتُه

(١) أمامهم، في أنظارهم.

(٢) فصل ونزع.

والإثمُ كلُّ الإثمِ إنْ كَتَمَ ما  
يبكي فتضحكُ منه لاهيةً  
والجهلُ إنْ يبكُ الحجا ابتسما  
جاءت وما شعر الوجودُ بها  
ولسوف تمضي وهو ما علما  
سار الشُّعوبُ إلى العُلا عنقًا  
وونت فلم تنقل لها قدما<sup>(١)</sup>  
ما أحدثت في الدهر طارفةً  
تبقى، وليس تليدها علما  
ضعفت فلا عجب إذا اهتضمت  
الليث، لولا بأسه، اهتضما  
فأقد رأيتُ الكون، سُنَّتُهُ  
كالبحر ياكل حوته البِلما<sup>(٢)</sup>  
لا يرحمُ المقدامُ ذا خورٍ  
أو يرحمُ الضَّرغامةُ الغنما؟



يا صاحبي، وهواك يجذبني  
حتى لأحسبُ بيننا رحما  
ما ضرنا، والودُّ ملتممٌ  
ألا يكون الشُّملُ ملتمما  
الناسُ تقرأ ما تُسطِّره  
حبراً، ويقروهُ أخوك دما  
فاستبقِ نفساً، غير مُرجعها

---

(١) العنق: السير الفسيح السريع. والونى: البطء والتراخي.

(٢) البلم: السمك الصغير

عَضُّ الْأَنَامِلِ بَعْدَهَا نَدَمًا  
مَا أَنْتَ مُبَدِّلُهُمْ خِلَافَهُمْ  
حَتَّى تَكُونَ الْأَرْضُ وَهِيَ سَمَا  
زَارَتْكَ لَمْ تَهْتِكْ مَعَانِيَهَا  
غَرَاءُ يَهْتِكُ نَوْرَهَا الظُّلَمَا  
سَبَقَتْ يَدِي فِيهَا هَوَاجِسُهُمْ  
وَنَطَقْتُ لَمَّا اسْتَصْحَبُوا الْبُكْمَا  
فَإِذَا تُقَاسُ إِلَى رَوَائِعِهِمْ  
كَانَتْ رَوَائِعُهُمْ لَهَا خَدَمَا  
كَالرَّاحِ لَمْ أَرَقَبْ سَامِعَهَا  
سُكْرَانٌ، جِدُّ السُّكْرِ، مُحْتَشِمًا<sup>(١)</sup>  
يَخْدُ الْقَفَارَ بِهَا أَخْوَالِجٍ  
يُنْسِي الْقَفَارَ الْأَيْنُقَ الرَّسْمَا<sup>(٢)</sup>  
أَقْبَسَتْهُ شَوْقِي فَأَضْلَعُهُ  
كَأَضَالِعِي مَمْلُوءَةٌ ضَرْمَا  
إِنَّ الْكَوَاكِبَ فِي مَنْزِلِهَا  
لَوْ شِئْتُ لَأَسْتَنْزِلْتُهَا كَلَمَا

\*\*\*\*\*

---

(١) جِدُّ السُّكْرِ: غَايَتُهُ وَقُوَّتُهُ.

(٢) الْوَحْدُ: الْإِسْرَاعُ وَتَوْسِيعُ الْخَطِّ وَالْأَيْنُقُ الرَّسْمُ. صِفَةُ لِلنُّوْقِ.



## ٦٥ - باخرة الإغاثة

[الكامل]

سيرى تُراعيك النجومُ السَّاهِرةُ  
ليلاً، وعينُ الشمس عند الهاجرة  
فلأنت عند الشُّرقِ أجملُ باخره  
تجري إليه بها المياهُ الزَّاخره

يا ليت أني فيك أو إيَّاك  
سيرى تداعبُ فوقك الريحُ العَلَمُ  
وتُلاطفُ البحرُ الخضمَّ إذا احتدمَ  
بُوركتِ باخرةً وبُوركِ من عِلَمَ  
فيك الخلاصُ لساكني تلك الأكم

يا ليت أني فيك أو إيَّاك  
في الشُّرقِ أحبابٌ على جمرِ الغَضَا<sup>(١)</sup>  
نَقَمَ الزمانُ عليهم بعد الرضا  
هَجَرُوا الكَرى وتطلَّعوا نحو الفضا  
يتوقَّعونك كلما برَّقَ أضَا

سيرى فإن الحرب<sup>(٢)</sup> في مسرَّك  
بيروت... يا بنت البُخارِ الجارية

---

(١) شجر خشبه صلب، تحرق غصونه، وفحمة صلب. يكثر في نجد.

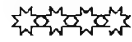
فإذا سُئِلت من البقايا الباقيه  
قولي لهم: إنّ الحياة الهانيه  
لم تُنسنا سُكَّان تلك الناحيه  
أمّا الدليل، فحسبنا إِيّاك!

\*\*\*\*

## ٦٦ - مصرع القمر

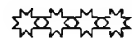
[مختلط]

لوعَةٌ في الضُّلُوعِ مِثْلُ جَهَنَّمَ  
تَرَكْتُ هَذِهِ الضُّلُوعَ رَمَادًا  
بِتُّ مَرْمَى لِدَهْرِ بِي يَتَعَلَّمُ  
كَيْفَ يُصَمِّي الْقُلُوبَ وَالْأَكْبَادَا  
كَيْفَ يَنْجُو فُؤَادُهُ أَوْ يَسْلَمُ  
مَنْ تَمَادَى بِهِ الْأَسَى فَتَمَادَى  
أَنَا لَوْلَا الشُّعُورُ لَمْ أَتَلَمَّ  
لَيْتَ هَذَا الْفُؤَادَ كَانَ جَمَادَا



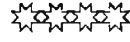
كَيْفَ لَا أَبْكِي وَفِي الْعَيْنِ دُمُوعُ  
كَيْفَ لَا أَشْكُو وَفِي الْقَلْبِ صُدُوعُ  
قَلٌّ فِي النَّاسِ مِنْ صَبْرٍ

مختارًا

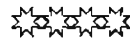


لَحْظَةً، ثُمَّ صَارَ ضَحْكَي وَجِيبًا  
وَنَشِيجًا، وَالنُّوْمُ صَارَ سُهَادًا  
رَبُّ لَمَّا خَلَقْتَ هَذَا الْخُطُوبَا  
لَمْ تَخْلُقِ الْحَشَا فُلُودَا  
كُلَّمَا قُلْتُ قَدْ وَجَدْتُ حَبِيبًا  
طَلَعَ الْمَوْتُ بَيْنَنَا يَتَهَادَى

صرتُ في هذه الحياة غريباً  
ليت سُهدي الطويلَ كان رُقّاداً



فتجلّد أيها القلبُ الجزوعُ  
أو تدفقْ كما شاء الوُوعُ  
عندما أو دما هُديرُ  
أوناراً<sup>(١)</sup>



كان بين الكرى وبينني صلحُ  
فأراد القضاء أن نتعادي  
لم أكدْ أخلعُ السُّود وأصحو  
من ذُهوري، حتى لَبِستُ السُّوداً  
في فؤادي، لو يعلمُ الناسُ، جُرْحُ  
لا يُلاشَى حتى يُلاشي الفؤادُ  
يا خَليلي! هيهات ينفعُ نُصحُ  
بعدما ضيّعَ الحزينُ الرُّشادَ



أنت لا تسطيعُ إحياءَ الصُّريعِ  
وأنّا، حملَ الأسي لا أستطيعُ  
ذا الذي صيّرَ الكَدْرَ  
أكداراً<sup>(٢)</sup>

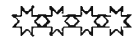


---

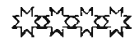
(١) العنّدم: نبت يستخرج منه صباغ أحمر.

(٢) الإكدار: جمع الكدر.

يا ضريحاً على ضفاف الوادي  
جاد من أجلك الغمامُ البلاداً  
فيك أودعتُ، منذُ ستُّ، فؤادي  
وبرغمي أطلتُ عنك البُعاداً  
غير أني، وإن عدتني العوادي  
ما عدتني بالروح أن أرتاداً  
أنبتتُ حولك الزهور الغوادي  
والليالي أنبتتُ حولي القَتَاداً



وذبولُ الغصنِ في فصلِ الربيعِ  
لوراه شجرُ الروضِ المريعِ  
جمد الماءُ في الشجرِ  
مُحتاراً



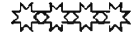
كيف لا يتَّقِي الكَرى أجفاني  
وجفوني قد استَحْلَن صعاداً  
ودموعي بالونها الأرجواني  
منهلٌ ليس يُعجِب الورَّاداً  
والذي في الضلوع من نيرانِ  
صار ثوباً ومقعداً ووساداً  
كيف يقوى على الشَّدائد عانِ  
أكل السُّقْمُ جسمه أو كاداً



فإذا ما غَشِي الطرفُ النجيعُ  
فتذكَّر أنه القلبُ الصَّدِيعُ

كَظَّةُ الْحُزْنِ فَاَنْفَجِرْ

انفجارا



طَائِرُكَانِ فِي الرَّبِّا يَتَغَنَّى

أَصْبَحَ الْيَوْمَ يَحْمِلُ الْأَصْفَادَا

غَصْنُكَانِ وَالصَّبَا يَتَثَنَّى

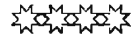
هَصْرَتُهُ يَدُ الرُّدَى فَانْأَادَا

نَالَ مَنِي الزَّمَانُ مَا يَتَمَنَّى

وَأَبَى أَنْ أَنْوَالَ مِنْهُ مُرَادَا

وَتَجَنَّى مَا شَاءَ أَنْ يَتَجَنَّى

وَاسْتَبَدَّتْ صُرُوفُهُ اسْتَبَدَادَا



حَطَمَ السَّيْفُ وَمَا أَبْقَى الدَّرْعُ

وَتَدَاعَى دُونَهُ السُّورُ الْمَنِيْعُ

وَأَرَانِي مِنَ الْعَبْرِ

أطوارا



مَا لَهْذِي النُّجُومُ تَأْبَى الشُّرُوقَا

أَتَخَافُ الْكَوَاكِبُ الْأَرْضَادَا

فَرَطَ الْبَيْنُ عَقْدَهَا الْمُنْسُوقَا

أُمُّ لِمَا بِي أَرَى الْبَيَاضَ سَوَادَا

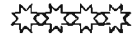
أُمُّ فَقَدَنْ كَمَا فَقَدْتُ شَقِيْقَا

فَلَأَبْسَنَ الدُّجَى عَلَيْهِ حَدَادَا<sup>(١)</sup>

---

(١) فقد أبو ماضي ثلاثة من إخوته، والأول أصغر منه، ولعله هو الذي يذكره هنا وكان رثاه في قصيدته (البدر

ما لعيني لا تُبصرُ العيُّوقا  
ولقد كان ساطعاً وقَّاداً<sup>(١)</sup>



سافراً يختالُ في هذا الرقيعِ  
هل أتاه نَبأُ الخطبِ الفظيعِ<sup>(٢)</sup>  
أم رأى مَصراعَ القمرِ

فتواری



سدَّ الدهرُ قوسه ورماني  
لم تَحْدُ مُهجتي ولا السَّهمُ حادا  
هكذا أسكتتُ صُروفَ الزمانِ  
بُلبلاً كان نوحه إنشادا  
فهو اليوم في يد السَّجَّانِ  
يشتهي كلَّ ساعة أن يُصَّادا  
فاحسبوني أُدرجتُ في الأكفانِ  
إن أنفُتُم أن تحسبوا القولَ بادا



ليس في هذي ولا تلك الربوعِ  
ما يسلي النفس عن ذاك الضجيعِ  
قبره، جادك المطرُ  
مـدّارا



---

(١) العيُّوق: نجم أحمر مضيء، في طرف المجرة الأيمن.

(٢) الرقيع: الرقعة، ويقصد رقعة السماء.

## ٦٧ - في فراش المرض

[الطويل]

مرضتُ فأرواحُ الصباحِ كئيبَةٌ  
بها ما بنفسي، ليت نفسي لها فدا  
تُرفّ حَيالي كلما أغمض الكرى  
جفوني جماعاتٍ ومُننًى وموَحدا  
تُرايَ فأنّا كالبدورِ سوافراً  
وأونّةً مثلَ الجُمانِ مُنَضّدا  
وطوراً أراها حائراتٍ كأنّها  
فراقِدٌ قد ضيّعن في الأرض فرقدا  
وطوراً أراها جازعاتٍ كأنّما  
تخاف مع الظّلماء أن تتبدّدا  
أحنّ إليها رائحاتٍ وعوداً  
سلامٌ عليها رائحاتٍ وعوداً  
تهشُّ إليها مقبلاتٍ جوارحي  
كما طُرب السّاري رأى النور فاهتدى  
وألقى إليها السمع ما طال همسُها  
كذلك يسترعي الأذانُ الموحدا  
ويغلبُ نفسي الحزنُ عند رحيلها  
كما تَحزنُ الأزهارُ زايِلها الندى  
كرهتُ زوالَ الليلِ خوفَ زوالها  
وعودتُ طرفي النوم حتى تعوداً



ولو أنها في الصبح تطرُق مضجعي  
حميتُ الكرى جفني وعشتُ مُسهّدا  
ولو لم تكن تعتاد مني مثلاًها  
خيالاتُها همتُ بأن تتقيّدا  
فيا ليتني طيفُ أروح وأغتدي  
ويا ليتّها تسطيعُ أن تتقيّدا  
نحلتُ إلى أن كدتُ أنكرُ صورتي  
وأخشى لفرط السُّقم أن أتهدّدا  
مبיתי على مثلِ الوثيرِ ليانةً  
وأحسبني فوق الأسنة والمُدَى  
كان خيوطُ المهد صارت عقارباً  
كان وسادي قد تحولَ جُلُماًدا  
لقد توشك الحمى، إذ جدّ جدُّها  
تُقومُ من أضلاعي المتأوداً<sup>(١)</sup>  
تُصورُ لي طيفَ الخيال حقيقَةً  
وأحسب شخصاً واحداً متعدداً  
لقد ضعفتني، وهي سرٌّ، ولم يكن  
يُضعفُني صرفُ الزمان إذا عدا  
إذا ما أنا أسندتُ رأسي إلى يدي  
رمتني منها بالذي يوهنُ اليدا  
تغلغلَ في جسمي النحيل أوارها  
فلو لم أقُدَّ<sup>(٢)</sup> الثوب عنه توقّدا  
رأيتُ الذي لم يُبصرِ الناسُ نائماً  
وطُفتُ الدُّنا شرقاً وغرباً مُوسدا

---

(١) المتأود: المتمايل.

يقول النُّطَاسِي لو تَبَلَّدت ساعةً  
 تَبَلَّدتُ لو أَنِي أُطِيقُ التَّبَلُّدَا<sup>(١)</sup>  
 تهامس حولي العائدونَ ورجِّموا  
 وعنفَ بعضُ الجاهلِين وفنِّدا  
 فما ساءَني إلا شِمَاتُهُ معشرِ  
 رجوتُ بهم عند الشدائدِ مُسعدَا<sup>(٢)</sup>  
 أسأتُ إليهم، بل أسأؤوا فإنني  
 ظننتهمُ شرواي خُلُقًا ومحتدَا  
 أحبُّ الضُّنَى قومٌ لأنِّي نَقِيتُهُ  
 وأحببته، كيما يُحبُّ ويُحسدا  
 وودَّ أناسٌ لو يعاجِلُنِي الرَّدَى  
 كَأَنِّي أرجو فيهمُ أن أُخلِّدَا  
 وما ضمِنوا ألا يموتوا، وإنما  
 يودُّ زوالَ الشمسِ من كان أرمدا<sup>(٣)</sup>  
 إذا الليلُ أعياه مساجِلُهُ الضُّحَى  
 تمنَّى لو أن الصُّبْحَ أصبح أسودا  
 على أنني والداء يَأْكُلُ مُهْجَتِي  
 أرى العارَ، كلَّ العارِ، أن أَحسُدَ العدا  
 فإن الذي بالجسم لا بدَّ زائلُ  
 ولكنَّ ما بالطبع ينفكُ سرْمدا  
 لئن أَجَلَبَ الغوغاءُ حولي وأفحشا

(١) النُّطَاسِي: العالم الخبير والطبيب الحانق.

(٢) الإسعاد: البكاء مع الآخر في مصيبتِهِ.

(٣) الرمد: ما يصيب العين (أرمد - رمدا).

(٤) أَجَلَبوا: تجمعوا.

فكم شتموا موسى وعيسى وأحمدا<sup>(٤)</sup>  
 ولا عجب أن يُبغض الحُر جاهلٌ  
 متى عشقَ البومُ الهزار المغردا؟<sup>(١)</sup>  
 وإنني في كبتِ العُداة وكيدهم  
 كمن يسلك الدربَ القصير المعبدا  
 ولكنني أعفو ولأغبط سورة  
 أعلمُ أعدائي المروءة والنَّدى  
 ألا ربَّ غر خامر الشكُّ نفسه  
 فلما رأني أبصر البحر مُزبدا  
 فأصبح يخشاني وقد بتُّ ساكتا  
 كما كان يخشاني وقد كنتُ مُنشدا  
 ويرهبُ اسمي أن يُطيفَ بسمعه  
 كما تتقي الدرداءُ حرفًا مشددا<sup>(٢)</sup>  
 ومن نال منه السَّيفُ وهو مُجردٌ  
 تهيبُ أن يرنو إلى السَّيفِ مُغمدًا  
 أحبُّ الأبى الحُرَّ لا ودَّ عنده  
 وأقلى الذليلَ النفسِ مهما توددا  
 وبين ضلوعي قُلبٌ ما تمررتُ  
 عليه بناتُ الدهر إلا تمردا  
 ولو أن من أهوى أطال دلاله  
 منعتُ هواه أن يجوزَ بي المدى  
 لترمَّ العوادي بي العوادي، فإنني  
 تركتُ لمن يهواهما اللُّهو والددا<sup>(٣)</sup>

(١) الهزار: هو العنديل.

(٢) الدرد: خلوّ الفم من الأسنان (أرد - برداء)

(٣) الدد: اللُّهو واللعب.

## ٦٨ - رثاء

### المثلث الرحمة المطران رفائيل هواويني

[الكامل]

أودى فنور الفرقدين ضئيل  
وعلى المنازل رهبةً وذهول  
خَلَقَ الأسي في قلب من جهل الأسي  
قول المخبّر: مات رفائيل  
فمن الجوى بين الضلوع صواعق  
وعلى الخدود من الدموع سيلول  
قال الذي وجد الأسي فوق البكا  
وبكى الذي لا يستطيع يقول  
يا مؤنس الأموات في أرماسها  
في الأرض بعدك وحشة وخمول  
لا الشمس سافرة ولا وجه النّرى  
حال، ولا ظل الحياة ظليل  
ما زال هذا الكون بعدك مثله  
لكن نور الباصرات كاليل  
نبراسنا في ليل كل ملامة  
الليل بعدك حالك وطويل  
هبني بيانك، إن عقلي ذاهل

سأه وغرب يراعتي مفلول  
قد فت في عضد القريض وهذه  
هول المصاب، فعقدته محلول  
ما لي أرى الدنيا كأنني لا أرى  
أحدًا، كأن العالمين فُضول  
أبكي إذا مرَّ الغناء بمسّمي  
فكان شتو الشّاديات عويل  
نفسي التي علّلتني بلقائه  
اليوم لا أمل ولا تَعَالِيل  
نوبي فإنّ العلم ماد عماده  
والدين أغمد سيفه المسلول  
هذا مقام لا التفجع سبب  
فيه، ولا الصبر الجميل جميل  
ما كنت أدري قبل طار نعيه  
أن النفوس من العيون تسيل  
ما أحقّ الإنسان يسكن للمنى  
والموت يخطر حوله ويجول  
يهوى الحياة كأنما هو خالد  
أبدًا ويعلم أنه سيـزول  
ومن العجائب أن يحنّ إلى غدٍ  
وغد، وما يأتني به، مجّ هول  
لا تركنن إلى الحياة فإنها  
دنيا هلك للرجال فتول  
سكت الذي راض الكلام وقاده  
حتى كأن لسانه مكبول  
يا قائل الخطب الحسان كأنها

لجمالها، الإلهام والتَنَزِيل  
إن كان ذاك الوجه حَجَّبه النُّرى  
للنجم في كَبِد السماء أقول  
ليس الحمامُ بناقدٍ لكنما  
قدْرُ العظيم على العظيم دَلِيل<sup>(١)</sup>  
نَمَّ تَحْرُسُ الأَملاكُ قَبْرَكَ، إنه  
فيه الوقارُ وحولُه التبجيل  
فلكم قطعت الليلَ خافٍ نجمُه  
متَهجداً، والساهارون قليل  
مُسْتَنْزلاً عَفَو الإله عن الورى  
حتى كأنَّكَ وحدك المسئولُ  
تبغي اللذاتِ النفوسُ وتَشْتَهِي  
واللهَ ما تَبْغِيهِ والإنجيل  
لولا مدارس شدَّتْها وكنائسُ  
ما كان إلا الجهلُ والتَّعْطِيل  
أنفقتِ عمركَ في الإله مُجَاهداً  
أَجْرُ المجاهد في الإله جَزِيل

\*\*\*\*\*

---

(١) إشارة إلى قول الشاعر الأيوبي (كمال الدين ابن النبيه ت ٦١٩ هـ):  
«والموت نقاد على كفه      جواهر يختار منها الجياد»

- 
- (١) يريد بالهلال: الأتراك، لأنه مرسوم على علمهم، ويرمز إليهم. ولكن هل يمكن فصله عن التراث الإسلامي ؟ ودال: غُلب ودارت الدائرة عليه، والإدالة: النكبة.
- (٢) القَرَم: السيد. والأصْبَد من الصيد، وهو: رفعُ الرأس رفعة وكبراً
- (٣) يريد الجزيرة العربية.

## ٦٩ - فتح أورشليم

[الكامل]

لله ما أحلى البشير وقوله:  
سقط الهلالُ إلى الحضيضِ ودَالا<sup>(١)</sup>  
بُشرى نسينا كلَّ شيءٍ قَبْلَها  
الناس والدُّولاتِ والأجيالا  
ردّت على الشيخ المسن شبابه  
وعلى الحزين اليأسِ الأمالا  
وعلى الصديق صديقَه، وعليهما  
أبويهما ؛ وعلى الأب الأطفالا  
لوساوم الخلق الذي وافى بها  
بذالوا له الأرواح والأموالا



من مُبْلَغِ الأبطالِ عَنِّي أنني  
أهوى القُرومِ الصيدِ والأبطال<sup>(٢)</sup>  
بالأمسِ قَطَّعتِ الجزيرةُ قيدها  
ورمتْ بوجه الغاشمِ الأغلالا<sup>(٣)</sup>  
واليوم ودَّعتِ المظالمِ أختها

---

(١) أزاحوا: طربوا

(٢) السَّمِيدُ: السيد الكريم السخي. والعجاج: الغبار (ومفرده: عجاجة).

(٣) الغطريف: السيد السخي الكثير الخير.

(٤) يصل الأتراك بالمغول لقرب الموطن.

(٥) الباشق: من الطيور الحادة. والرئبال: الأسد أو الذئب.



ومشت تَجْرُ نِيوَالَهَا إِدْلَالَا  
 أَبْنَاتِ أورشليم ضَمَخْنَ التُّرَى  
 بالطَّيِّبِ وَاْمَلْنَ الدَّرُوبَ جَمَالَا  
 حَتَّى يَمُرَّ الْفَاتِحُونَ، فَإِنَّهُمْ  
 كَشُّوا<sup>(١)</sup> الْأَذَى عَنْكَنَّ وَالْإِذْلَالَا  
 فَاخْلَعْنَ أَثْوَابَ الْكَابَةِ وَالْأَسَى  
 وَالْبِسْنَ مِنْ نُورِ الضُّحَى سَرَبَالَا  
 وَانْفَحْنَ بِالْبِسْمَاتِ كُلِّ سُمِيذَعٍ  
 خَاضَ الْعِجَاجُ وَوَجْهَهُ يَتَلَا<sup>(٢)</sup>  
 هَذَا مَجَالُ لِفَتَى أَنْ يَزْدَهِي  
 فِيهِ، وَلِلْحَسَنَاءِ أَنْ تَخْتَالَا  
 يَا قَائِدَ الصَّيْدِ الْغَطَارِفَةَ الْأَلَى  
 تُحْنِي الرُّؤُوسُ، لَذَكَرَهُمْ، إِجْلَالَا<sup>(٣)</sup>  
 ظَنَّ الْمَغُولُ جَنُودَهُمْ تَحْمِيَهُمْ  
 وَالْقَرْدُ يُحْسِبُهُ أَبُوهَ غَزَالَا<sup>(٤)</sup>  
 فَتَأَلَّبُوا وَتَهَدَّؤُوا وَتَوَعَّدُوا  
 حَتَّى طَلَعَتْ فَأَجْفَلُوا إِجْفَالَا  
 دُعُرُ الطُّيُورِ سَطَا عَلَيْهِمْ بِاشْقُ  
 وَبَنَاتُ أَوَى أَبْصَرَتْ رُبَالَا<sup>(٥)</sup>  
 كَمْ جَحْفَلٍ بَعَثُوا إِلَيْكَ مَعَ الدُّجَى  
 لَاقَاهُ جَيْشُكَ، وَالصَّبَاحُ، فَزَالَا  
 طَارَدَتْهُمْ فَوْقَ الْجِبَالِ وَتَحْتَهَا  
 كَاللَّيْثِ يَطْرُدُ دُونَهُ الْأَوْعَالَا  
 فَمَلَأَتْ هَاتِيكَ الْأَبَاطِحَ وَالرُّبَا

(١) الوجى: الحفا وشدته (أن يحفى الحافر من كثرة المشي)

(٢) الكفل: العجز.

بجسومهم، وملأتهم أهوالا  
وحميت إلا السُّهد عن أجفانهم  
ومنعت إلا عنهم الأوجالا  
ساقوا إليك مئينهم والوفهم  
فرقًا وسُقت إليهم الأجالا  
وصنعت من أسيافهم ودروعهم  
لرقابهم وزن وودهم أغلالا  
لو لم تساقطهم إليك جبأهم  
عند الضحى زلزلتها زلزالا  
إن يامنوا وجدوا المنايا يمنةً  
أو يأسروا وجدوا الجيوش شمالا  
وشكت خيولك في الميادين الوجى  
فجعلت أرؤسهم لهنّ نعالا<sup>(١)</sup>  
ورأوك قد عرضت صدرك للظبا  
عند الحصون فعرضوا الأكفالا<sup>(٢)</sup>  
هُنئت بالنصر المُبين، فإنه  
نصر يُعزّ على سواك منالا  
هذي القلوب نسجتُها لك أحرفًا  
لو أستطيع صنعتها تمثالا  
أرضيت موسى والمسيح وأحمدًا  
والناس أجمع والإله تعالى

\*\*\*\*\*

---

(١) (النبى) القائد الإنجليزي الذي دخل القدس في الحرب العالمية الأولى بعد هزيمة الجيش العثماني.

## ٧٠ - إلى الفاتح<sup>(١)</sup>

«الأنبي»، لو طبعنا الشمس يوماً  
وقلّدناها سيفاً صفيحاً  
ورصّعناها بالشُّهب الدَّراري  
لما زدناك فخراً أو مديحاً  
لأنك أشجع الأبطال طُوراً  
وأعظم قادة الدنيا فتوحاً  
إذا ما مرّ ذكرُك بين قومٍ  
رأيت أشدهم عيًّا فصيحاً  
فكم داويت سورياً مريضاً  
وكم أسقمت تركياً صريحاً  
وكم قد صُنّت في بيروت عرّضاً  
وكم أمّنت في الشهباء روحاً  
غضبت على «الهلal» فخرّ ذعراً  
ولُحت له فحاذر أن يلوحاً  
عصفت بهم فأمسى كلُّ حصنٍ  
لخيل النُّصر ميداناً فسيحاً  
مشت بك همّة فوق النُّريّا

---

(١) أحسبه يشير إلى ضريح السيد المسيح الذي نهض منه، في العقيدة المسيحية.  
(٢) المدينة المعروفة في فلسطين. دخلها يشوع بن نون فاتحاً، بعد الخروج من مصر، وجرت فيها مقتلة عظيمة من سكانها الكنعانيين.

فزَلزَلتِ المَعَاقلَ والصُّرُوحا  
من الوادي إلى صحراء سيناء  
إلى أن زُرْتُ ذِيَّكَ الضُّرِيحا<sup>(١)</sup>  
إلى بحر الجليل إلى دمشق  
تُطارِدُ دونَكَ التركي القبيحا  
فكان الجندُ كُلُّهمُ يشوعا  
وكانت كلُّ سورِيَّا «أريحا»<sup>(٢)</sup>  
فإنَّ يَكُنِ المسيحُ فِدَى البرايا  
فإنَّكَ أَنْتَ أَنْقَذْتَ المَسيحا!

\*\*\*\*\*

---

(١) ألقاها في الحفلة الشائقة التي أقامتها الطائفة الأرثوذكسية في مونتريال كندا لسيادة الأرشمندريت أفثيموس عفيش، عندما انتخب لأسقفية بروكلن، وكان مع الوفد النيويوركي.

## ٧١ - في القطار<sup>(١)</sup>

[الوافر]

سرى يطوي بنا الأميال طيًّا  
كما تَطوي السجْلُ أو الإزارا  
فلم ندر وجنح الليل داجٍ  
أبرقًا ما ركبنا أم قطارا  
بنا وبه حنينٌ واشتياقٌ  
ولولا ذانِ ما سرنا وسارا  
ولكنّا وسعنا الشوق ذرعًا  
وضاق به فصعده بخارا  
وسمينا الذي يخفيه جَدًّا  
وسمينا الذي يخفيه نارًا  
غفا صحتي وبعضهم تغافى  
ولم أذُق الكرى إلا غرارا  
جاست أراقبُ الجوزاء وحدي  
كما قد يرقب السَّاري المنارا  
يسير بنا القطار ونحن نرجو  
لو اختصر الطريق بنا اختصارا  
وأقسم لو أحدثه بما بي  
لحلق في الفضاء بنا وطارا  
إلى البلاد الأمين، إلى كرامٍ

---

(١) السبب: الأرض الففر البعيدة. والوحد. سعة الخطو في المشي، والإسراع فيه.

(٢) العفار: الخمرة.

يُراعون المودة والجوارا  
إلى المزداد ودهم لديننا  
إذا زينا صفاتهم اختبارا  
إذا سترت محبتنا قلوب  
فحببي لا أطيق له استتارا  
فيا إخواننا في كل أمر  
أصيخوا كي خاطبكم جهارا  
طويناها سباسب شاسعات  
تسير الواخداً بها حيارى<sup>(١)</sup>  
ولولا أن تسير بنا إليكم  
ركائبنا مشيناها اختيارا  
لنقل من «نيورك» لكم تحايا  
تحاكي في لطافتها العقارا<sup>(٢)</sup>  
ونقل عنكم أخبار صدق  
تحاكي الندف في الروض انتشارا  
سمعنا بالهزار ونحن قوم  
كما نهوى الغنا نهوى الهزارا  
لديكم كوكب وبنا ظلام  
وأنتم تكرهون لنا العئارا  
جعلنا رسمه في كل نار  
وصيرنا القلوب له إطارا  
أجل، هذا الذي نبغيه منكم  
ونرجو لا اللجين ولا النضارا

---

(١) النجر والنجار. الأصل والحسب.

أتينناكم على ظمأ لأننا  
عرفنا فيكم السُّحْبَ الغزارا  
وأنتم معشرٌ طابوا نفوسا  
وأخلاقًا كما كَرُمُوا نَجَارًا<sup>(١)</sup>  
بقيتم في سلامٍ واغتبطا  
تضيء وجوهكم هذي الدِّيارا

\*\*\*\*\*

---

(١) ألقاها في حفلة أقيمت لتكريمه، بعد سيامته، في نزل سان جورج في بروكلن (نيويورك).

(٢) الكباء: عود البخور، أو ضرب من البخور (الجمع: كُبا).

(٣) الأَرَج: توهج ريح الطيب (أرج - يَأْرَج).

## ٧٢ - السيد المجتبي<sup>(١)</sup>

[المتقارب]

سلامٌ على السيد المُجْتَبَى  
كَقَطْرِ الغَمَامِ ونَشْرِ الكَبَا<sup>(٢)</sup>  
ويا مَرْحَبَا بِأَمِيرِ السَّلامِ  
وَقُلْ لَهُ قَوْلُنَا: مَرْحَبَا  
قُدُومُكَ بِدَدِّ عَنَّا الأَسَى  
كما يَكْشِفُ القَمَرُ الغِيَّهَبا  
وأحيا المُنَى في فُؤَادِ الفَتَى  
ورَدَّ إلى الشَّيْخِ عَهْدَ الصَّبَا  
كَأَنِّي «بِأَيَّارٍ» خَيْرِ الشُّهُورِ  
أَتَاهُ البَشِيرُ بِذَلِكَ النُّبَا  
فوشَّى الرِّياضَ، وحلَّى الحُقُولَ،  
وزانَ الوَهَادَ، وزانَ الرُّبَا  
وقالَ لأَعْمَ صَانِهِ: صَفَّقِي  
ولطيرِ في الأَرْضِ أن تَخْطُبَا  
ولنَّسَمَاتِ تَجُوبُ البِلَادَ  
وتَمَلُّوْهَا أَرْجَا طَيِّبَا<sup>(٣)</sup>  
ورنَّتْ بِأَذْنِي أَغَارِيْدُهَا  
فَقُلْتُ لِكَفِّي: أن تَكْتُبَا  
فهذا القَرِيضُ حَفِيفُ الغُصُونِ

(١) حبا واحتبى: جلس على إيتيه وضمَّ فخذه وساقيه إلى بطنه، بذراعيه، ليستند. الاسم الحيوة، والجمع: حبي.

(٢) الصَّيْبُ: السحاب نو المطر.

(٣) السبب: المفازة الواسعة لشيء فيها



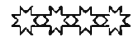
وشَدُّوا الطيَّورَ، ونَفَحُ الصَّبَا  
 طَلَعَتْ فَطَالَ خُفُوقُ الْفَوَّادِ  
 كَأَنَّ بِهِ هَزَّةَ الْكَهْرِبَا  
 وَلَيْسَ بِهِ هَزَّةَ الْكَهْرِبَاءِ  
 وَلَكِنْ رَأَى التَّائِهَ الْكَوْكَبَا  
 وَأَلْقَتْ إِلَيْكَ مَقَالِيدَهَا  
 نَفُوسٌ تَخَيَّرَتْ الْأَنْسَبَا  
 فَيَا صَاحِبَ الشَّيْمِ الْبَاهِرَاتِ  
 وَيَا مَنْ تُحَلَّ لَدَيْهِ الْحُبَا<sup>(١)</sup>  
 تَقُولُ عَنْكَ صَغَارُ النُّفُوسِ  
 لِأَمْرِ فَمَا أَدْرَكُوا مَأْرِبَا  
 وَمَنْ يَسْلُبُ الشَّمْسُ أَنْوَارَهَا  
 وَمَنْ ذَا الَّذِي يُمَسِّكُ الصَّيِّبَا؟<sup>(٢)</sup>  
 فَأَحْسِنْ إِلَيْهِمْ وَإِنْ أَخْطَؤُوا  
 وَكَنْ كَالْحَيَا يُمَطِّرُ السَّبْسَبَا<sup>(٣)</sup>  
 إِذَا لَمْ تُسَامَحْ وَأَنْتَ الْكَرِيمُ  
 فَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْحَمُ الْمُذْنِبَا؟  
 ❖❖❖❖❖  
 لَقَدْ طَرِبَ التَّاجُ وَالصُّوُلُجَانُ  
 وَحُقَّ لِهَازِنِ أَنْ يَطْرِبَا  
 فَإِنْ هَنُوءُوكَ بِمَا نَأْتَهُ  
 فَإِنِّي أَهْنِي بِكَ الْمُنْصَبَا  
 \*\*\*\*

(١) الفتاة إذا كعب ثديها  
 (٢) حمس الوغى: اشتد القتال.

## ٧٣ - مرآة الغرب في سنتها التاسعة عشرة

[الطويل]

سلامٌ عليها طفلةٌ وفتيةٌ  
كزهر الربا البسّام باكره القطرُ  
كعابٍ تلاقى الحسنُ والفضلُ عندها  
كما يلتقي في الصفحة السطرُ والسطرُ<sup>(١)</sup>  
لها صولةُ الأبطال إن حمس الوغى  
وفيها حياءُ البكرِ عمّا به وزرُ<sup>(٢)</sup>  
وفيها من الشيخ الحكيم وقاره  
وفيها من الخود الملاحه والطهر  
ألا إن حسناً لا يرافقه النهى  
وإن دام يوماً، لا يدوم له قدرُ



هي الروضُ فيه النبتُ والندى  
وفيه الشوادي المطرباتك والزهر  
هي الشمسُ تبدو كلَّ يومٍ جديدةً  
يروح بها ليلٌ ويأتي بها فجرُ  
لكل فتاةٍ خدرها وسوارها  
ولكن هذي كلُّ قلبٍ لها خدرُ

---

(١) خلق الثوب - يخلق بلي. وأخلفه: أبلاه.

يزيد سناها الطي والنشر رونقا  
 ويخلق، حتى المصحف، الطي والنشر<sup>(١)</sup>  
 أنيس الفتى إن غاب عنه أنيسه  
 وأنجمه إن غابت الأنجم الزهر  
 وسفر تلد المرء محتوياته  
 إذا لم يكن في البيت ناس ولا سفر  
 إذا رضيت فالنور في كلماتها  
 وإن غضبت فهي الأسنة والجمر  
 وفي كل حرب يعقد الحق فوقها  
 أكاليل نصر يشتهي مثلها البدر  
 ولا غرو إن عزت وهان خسومها  
 فللحق، مهما جعجع الباطل، النصر  
 فكم مرجف أغراه فيها سكوتهما  
 فلما أهابت كاد يقتله الذعر  
 وكم كاشح غاو أراد بها الأذى  
 ثنى طرفه عنها وفي نفسه الضر  
 لها في ربوع الشرق جيش عرمرم  
 وأعوانها في الغرب ليس لهم حصر  
 ولو كان في المريخ أرض وأمة  
 لكان لها في أرضه عسكر مجر<sup>(٢)</sup>  
 لتسحب ذيول الفخر تيهها فوحدها  
 يحق لها من بين أترابها الفخر

(١) الفيش. الفخر (فاش فيشاً). والهجر. الهذيان، والقول السيئ.

وَلَا غَرَوًا إِنَّ أَهْدَىٰ لَهَا الشَّعْرُ وَحِيَه  
 فَيَا طَالَمَا سَارَتْ وَسَارَ بِهَا الشَّعْرُ  
 وَلَا غَرَوًا إِنَّ صُغْنَا لَهَا النُّثْرَ حَلِيَه  
 «فَفِي عُنُقِ الْحَسَنَاءِ يُسْتَحْسَن الدُّرُّ»  
 وَإِنْ يَكُن الْأَحْرَارُ مِنْ نُصْرَائِهَا  
 فَكَمْ نَصْرَ الْأَحْرَارِ صَاحِبُهَا الْحَرُ  
 أَدِيبٌ عَفِيفٌ قَلْبُهُ وَيَرَاعُهُ  
 بَغِيضٌ إِلَيْهِ الطِّيشُ وَالْفَيْشُ وَالْهَجْرُ<sup>(١)</sup>  
 ثَمَانٍ وَعَشْرُ وَهُوَ يَخْدُمُ قَوْمَه  
 إِلَّا حَبَّذَا تِلْكَ الثَّمَانِيُّ وَالْعَشْرُ  
 فَفِي الْعُسْرِ لَمْ يَجْهَرْ بِشَكْوَى لِسَانُهُ  
 وَفِي الْيُسْرِ لَمْ يَلْعَبْ بِأَعْطَافِهِ الْكَبَرُ  
 وَشَرُّ الْمَزَايَا أَنْ يَصِيبَكَ حَادَثُ  
 وَتَجْهَرْ بِالشَّكْوَى وَفِي وَسْعِكَ الصَّبْرُ  
 أَهَذَا كَمَنْ يُمَسِّي وَيُضْحِي مَعْرِبِدًا  
 وَقَدَامَهُ طَبْلٌ وَمِنْ خَلْفِهِ زَمْرُ؟  
 أَهَذَا كَمَغْتَابٍ يَرُوحُ وَيَغْتَدِي  
 وَفِي نُطْقِهِ شَرٌّ وَفِي صَمْتِهِ شَرٌّ؟  
 أَهَذَا كَمَفْطُورٍ عَلَى الشَّرِّ وَالْأَذَى  
 أَحَادِيثُهُ نُكْرٌ وَأَعْمَالُهُ سُكْرُ  
 أَهَذَا كَأَفْعَى هَمَّهَا نَفْثَ سَمِّهَا  
 وَنَهَشَ الَّذِي تَلْقَى وَلَوْ أَنَّهُ صَخْرُ  
 أَهَذَا كَمَنْ يَمْشِي إِلَى الْوِزْرِ عَامِدًا

ويضحكُ مختالاً إذا مسَّه الـوزر؟  
أهذا الذي قد حاذر المـكر جُهدَه  
كَمَن شاب فُوداهُ وديدُهُ المـكر؟  
إذا الدَّهرُ لم يعرفَ كلَّ مكانَه  
إنَّ قُلَّ لأهلِ الدَّهرِ قد فسـد الدَّهر

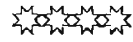
\*\*\*\*\*

## ٧٤ - مزح في جد

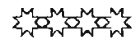
(معربة)

[المتقارب]

رأيتُ غلاماً مـالـيـح الرُّوَاءُ  
تـلـوـح النِّبَاهَةِ في مَقَالَتِهِ  
فَقُلْتُ: تَجَنَّى عَلَيْنَا الشِّتَاءُ  
وَقَدْ نَفَدَ الْفَحْمُ مَعَ كَثْرَتِهِ  
فَهَلْ مِنْ نَوَاءٍ لِهَذَا الْبَلَاءُ  
لَدَيْكَ؟ أَجَابَ: اقْفُلُوا الْمَدْرَسَةَ!  
فَقُلْتُ: صَغِيرُ حُبِّ الْفَضَاءِ  
وَيَكْرَهُ مَا لَيْسَ مِنْ فِطْرَتِهِ!

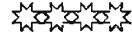


وَأَبْصَرْتُ لَصّاً عَلَى الزَّائِيَةِ  
كَثِيرَ التَّلَفَّتِ نَحْوَ الْقُصُورِ  
فَقُلْتُ: مَنْ أَزَالُنَا خَالِيَهُ  
مِنَ الْفَحْمِ، وَالْفَحْمُ نَارٌ وَنُورٌ  
فَقَالَ: لِيَا لَيْكُمُ الدَّاجِيَةِ  
تَزُولُ، وَلَكِنْ بِهِدْمُ السُّجُونِ!  
فَقُلْتُ: شَقِيٌّ مِنَ الْأَشْقِيَاءِ  
يَجَاهِدُ مِنْ أَجْلِ حَرِيَّتِهِ!

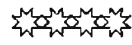


وَعُدْتُ إِلَى رَجُلٍ مُوسِرٍ  
لَهُ شَهْرَةٌ وَلَهُ مَنَزَلَةٌ

فقلت: سريُّ كلامُ السُّريِّ  
إذا وقع الناس في مشكله  
فما هو رأيك؟ قال: اقصر  
مع البِرْد لا تنفع الولوله!  
فأدركت أن فتى الأغنياء  
ضنينٌ يخاف على ثروته!



وأبصرتُ شخصاً كثير الحذر  
فرحتُ أثبتَّ له لوعتي  
فحملقَ حتَّى رأيتُ الشرَّ  
يطير سراعاً إلى مُهجتي  
وصاح: هي الحرب أصلُ الخطر  
فرُّوا الحسام إلى غمده!  
فقلت: عدوُّ قليل الحياء  
يحاذرُ شرّاً على دولته!



(هيوز) وقد كان قبلاً «مُرشَّح»  
شكوتُ إليه انقلاب الأمور  
ولما طُلبتُ الجواب تنحنجُ  
وقال: الحلاقة أصلُ الشرور!  
فقلت: المرشَّح لا شك يمزحُ  
وما زلتُ في حيرةٍ واضطرابٍ  
كطيارةٍ في مهبِّ الهواء  
إلى أن نظرتُ إلى لحيتَه!

---

(\*) لم نعثر على هذا النشيد.

\*\*\*\*\*

## ٧٥ - نشيد التباراري(\*)

(معرّبة)(٢١ بيتاً)

\*\*\*\*\*

## ٧٦ - ذكرى

[الكامل]

ولقد ذكرْتُك بعد يأسٍ قاتلٍ  
في ضحوةٍ كُنُرتَ بها الأنواءُ  
فوددتُ أني غرسُهُ أو زهرُهُ  
ووددتُ أنك عاصفٌ أو ماءٌ

\*\*\*\*\*

---

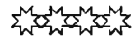
(١) إرنان. الصياح والتصويت (أرنت القوس. صوّت).



## ٧٧ - جرجي زيدان

[مختلط]

تَكل الشُّرْقُ فتاهُ  
ليتني كنتُ فداهُ  
ليتني كنتُ أصمّاً  
عندما النّاعي نعاه  
قد نعى النّاعون «زَيْداً»  
نأ» إلى البدر سناه  
وإلى التاريخ والعدوّ  
م أباه وأخاه!



سرى نعيه فالدمعُ في كلِّ محجّرٍ  
كان قلوب الناسِ خُفَّ المحاجرِ  
وللطير في الجنّاتِ إرنانٌ تاكلِ  
وللماء أنّاتُ الغريب المسافر<sup>(١)</sup>  
وللنجم، وهو النجمُ، مشية ظالعٍ  
وللأرض، وهي الأرضُ، وقفة حائرٍ  
وما كامنٌ فيه الأسى غيرُ كامنٍ  
ولا ظاهرٌ فيه الأسى غيرُ ظاهرٍ  
فمن لم ير الباكين في كلِّ منزلٍ  
فما أبصرتُ عيناه شقَّ المرائرِ  
وهي «البرقُ» مما حملوه فلم يُطقِ

يحدُّثنا عنه بغير الأشائر  
فيا خبراً ألقى الفجیعةَ بيننا  
لأنت علينا اليوم أشأم طائر  
ويا ناقلَ الأنباءِ جهلُ كُنْها  
كرهناك حتى قادمًا بالبشائر  
أقام الأسى بين العزاء ومُهْجتي  
وباعد ما بين القريض وخاطري  
فأمسيتُ لا أدري أسْتُرُّ من الدُّجى  
على الشمس أم ضيَّعتُ أسود ناظري؟  
وبات فؤادي يتَّقِي نزواته  
كما يتَّقِي العصفورُ بأس الكواسر  
كأنَّ بقلبي شاعراً ينظمُ الأسى  
كأنِّي تولَّى مدمعي كلُّ نائر  
ألا ليت شعري بعد ما طار نعيه  
أفي أرض مصرٍ نائمٌ غيرُ ساهر  
وهل في سماء النيلِ غيرُ دياجرٍ  
وهل في مياه النيلِ غيرُ مجامرٍ  
وهل في ضفاف النيلِ بين نخيله  
مغرَّدةٌ أو أنسٌ غيرُ نافرٍ  
بم سمر الإخوانُ في كلِّ ليلةٍ  
وصاحبُهم في اللحدِ غيرُ مُسامرٍ؟  
ليبك عليه المسلمون فإنَّهم  
أضاعوا به مُحيي العصورِ الدوائر  
وتبك النَّصارى فخرها وعميدها

---

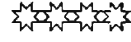
(١) المَعْرُ: موضع الزلَّة والعثرة.

فما بعده من حُجَّةٍ لمُفاخر  
فما جادتِ الدنيا عليهم بمثله  
وغيرُ يسيرٍ أن تجود بآخر  
أيا جبلَ العلمِ الذي مادهاويا  
عزيزُ علينا أن تُرى في الحفائر  
عليك يودُّ الغربُ لو كان مشرقًا  
وفيك يُحبُّ الحيُّ أهلَ المقابر  
ويغبطُ تبرُّ الأرض فيك ترابها  
ويحسدُّ ماءُ الجفنِ ماءَ المحابر  
وما عادةُ خفضِ الرجالِ رؤوسها  
ولكنَّما في الأرضِ كنزُ الجواهر  
لتفخرُ على الشُّهبِ الجنادلُ والحصى  
ففيها هلالُ العلمِ شمسُ المحاضر  
شأوتِ الأوالي جامعا ومؤلفًا  
وزدت بأن أحرزت فضل الأواخر  
تخيَّرُ أحداثُ الليالي كبارنا  
كانَ المنايا صبَّةً بالأكابر  
ونضحكُ لآمال ضحكةٍ وامقٍ  
فيضحكُ منَّا الدهرُ ضحكةً ساخر  
رضينا بأن تغشى الغزاة بلادنا  
ونمنا وما نامت عيونُ المعائر<sup>(١)</sup>  
لها كلُّ يومٍ بيننا حكمُ جائرٍ  
واقدامُ موتورٍ وفَتَكَةُ نائر  
على أنها تقتص من غير مُذنبٍ

---

(١) السيوف: وأمضاها أشدها وأحسنها مضاءً.

وتأخذُ بالأوتار من غيرِ وِتر  
فيا ويح هذا الشَّرْقِ كيف اغتباطُهُ  
وأمضى مواضيهِ<sup>(١)</sup> كليلُ الأظافر؟



جلُّ في مصر لكنَّ  
في العراقينِ صداهُ  
ماد لبنانُ وماد  
الشامُ لما سمعاهُ  
كاد أن يخذلَ فيه  
كلُّ طُودٍ منكَباهُ  
أيها الراحِلُ عنَّا  
بلغ الحزنُ مداه  
قد بكاك الأفقُ حتَّى  
فرقدها وسهها  
يا خليلي أعيَّنَا  
من عصاه مُسعداه  
خانت النفسُ قُواها  
خانت البينَ قُواه  
قد مضى من تَتمنَّى  
كلُّ عينٍ أن تـراه  
فتمنَّى كلُّ قَبْرِ  
حين أودى لـوحواه  
مات «زيدانُ» أبو التَّأ  
ريخ فليحي فتاه!

---

(١) يبدو أنه يخاطب راعي الكنيسة.

(٢) النَقْد. صغار الغنم، الواحدة: نَقْدَة، والجمع: نِقَاد ونِقَادَة.

## ٧٨ - أيها الراعي<sup>(١)</sup>

[الوافر]

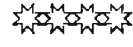
شهورُ العامِ أجملُها «ربيعٌ»  
وأبغضُها إلى الدنيا «جُمادى»  
وخيرُ المالِ ما أمسى زكاةً  
وخيرُ الناسِ من نَفَعَ العبادا  
بـربِّكَ قلْ لـنـا وخالـك ذمُّ  
أعيسى كان يدخّرُ العتادا؟  
تنبّه أيها الراعي تنبّه  
فَمَنْ حَفَظَ الـورى حَفَظَ العبادا  
خرافُكُ بينَ أشْداقِ الضواري  
ومثْلُكَ من حمى ووقى النّقادا<sup>(٢)</sup>  
تبدّل أمنُّهم رعباً وخوفاً  
وصارتْ نارٌ أكثَرهم رماذا  
لقد أكل الجرادُ الأرض حتّى  
تمنّوا أنهم صاروا جرادا

---

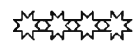
(١) الزعفران.

(٢) القتاد. الشوك، وشجر له شوك.

فَمَا لَكَ لَا تَجُودُ لَهُمْ بِشَيْءٍ  
وَقَدْ رَقَّ الْعَدُوُّ لَهُمْ وَجَادَا؟  
وَمَا لَكَ لَا تُجِيبُ لَهُمْ نِدَاءً  
كَأَنَّ سَوَاكَ، لَا أَنْتَ، الْمُنَادَى؟

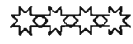


وَرِيَّةٌ سَاهِرٌ فِي «بِعَالِيكَ»  
يَشَاطِرُ جَفْنَهُ النِّجْمُ السُّهَادَا  
يَزِيدُ اللَّيْلُ كُرْبَتَهُ اشْتِدَادًا  
وَفَرَطُ الْهَمِّ لَيْلَتُهُ سَوَادَا  
إِذَا مَالَ النِّعَاسُ بِأَخْدَعِيهِ  
ثَنَى الذَّعْرُ الْكَرَى عَنْهُ وَذَادَا  
بِهِ الدَّاءُ أَنْ مِنْ سَغَبٍ وَخَوْفٍ  
فَمَا ذَاقَ الطَّعَامَ وَلَا الرُّقَادَا  
تَطَوَّفُ بِهِ أُصَيْبِيَّةٌ صَغَارُ  
كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ طُلَيْتَ جِسَادَا<sup>(١)</sup>  
جِيَاعٌ كُلَّمَا صَاحُوا وَنَاحُوا  
تَوَهُمُ أَنْ بِبَعْضِ الْأَرْضِ مَا دَا  
إِذَا مَا اسْتَصْرَخُوهُ وَضَاقَ ذَرْعًا  
نَبَا عَنْهُمْ وَمَا جَهْلُ الْمُرَادَا  
وَلَكِنْ لَمْ يَدْعُ بِؤْسُ الْإِيَالِي  
طَرِيفًا فِي يَدِيهِ وَلَا تَلَادَا  
وَلَوْ تَرَكَ الزَّمَانُ لَهُ فُؤَادًا  
لَمَا تَرَكَتْ لَهُ الْبِلَاقِي فُؤَادَا



أَتَفْتَرِشُ الْحَرِيرَ وَتَرْتَدِيهِ

ويفتَرِشُ الجنادلَ والقَتَادَا(٢)  
ويطلبُ من نبات الأرض قُوتًا  
وتأبى غير لحم الطَّيرِ زادا  
وتهجع هانئًا جذلاً قَريراً  
وقد هجر الكرى وجفا الوسادا  
عجيبٌ أن تكونَ كذا ضنينًا  
ولم تُبصرْ بنا إلا جوادا  
أما تخشى مقالةَ ذي لسانٍ:  
أَمَاتِ الناسَ كي يُحييَ الجمادا؟



لدا تُكْ همَّهمْ نفعُ البرايا  
وهمُّكَ أنْ تَكِيدَ وأنْ تُكَادا  
نزلت بنا فأنزلناك سهلاً  
وزدناك النُّضارَ المُستَفادا  
فكان جزاؤنا أن قُمتَ فينا  
تُعَلِّمُنا القُطيعةَ والبِعادا  
فلمَّا ثار ثائرٌ كلُّ حُرٍ  
رجعت اليومَ تمتدحُ الحيادا  
أُتدفعُ بالقويِّ إلى التَّمادي  
وتعجبُ بعد ذلك إن تَمادي؟  
سكتَ فقام في الأذهان شكُّ  
وقلت فأصبح الشُّكُّ اعتقادا  
تجهَّمت القريضُ ففاض عتبا  
وإن أخرجتهُ فاض انتقادا  
ولولا أن أثرت الخُلفُ فينا

وَدَدْنَا لَوْ مَحْضَنَّاكَ الْوَدَادَا

\*\*\*\*

## ٧٩ - ابنة الفجر

[الخفيف]

أَنَا إِنْ أَغْمَضُ الْحَمَامُ جَفُونِي  
وَدَوَى صَوْتُ مُصْرَعِي فِي الْمَدِينَةِ  
وَتَمَشَّى فِي الْأَرْضِ دَارًا فِدَارًا  
فَسَمِعْتُ دَوِيَّهُ وَرَنِيَّةَ  
لَا تَصِيحِي «وَا حَسْرَتَاهُ» لئَلَّا  
يَدْرَكَ السَّامِعُونَ مَا تُضْمِرِيَّةُ  
وَإِذَا زَرَّتَنِي وَأَبْصَرْتَ وَجْهِي  
قَدْ مَحَا الْمَوْتُ شَكَّهُ وَيَقِينَهُ  
وَرَأَيْتِ الصَّحَابَ جَائِينَ حَوْلِي  
يَنْدَبُونَ الْفَتَى الَّذِي تَعْرِفِينَهُ  
يَتَعَالَى الْعَوِيلُ حَوْلَكَ مَمَّنْ  
مَارِسُوهُ وَأَصْبَحُوا يُحَسِّنُونَهُ  
لَا تَشُقِّي عَلَيَّ ثَوْبَكَ حُزْنًا  
لَا وَلَا تَذْرِفِي الدَّمْعَ السَّخِينَهُ

---

(١) الحمأ والحمأة: الطين الأسود. والمسنون: المتغير المُنْتَن.



غالبى اليأس واجلسى عند نعشى  
بسكونٍ، إني أحبُّ السكينة  
إنَّ لصمتٍ في المآتم معنًى  
تتعرَّى به النفوسُ الحزينة  
ولَقولُ العُدَّالِ عنك: «بخيلٌ»  
هو خيرٌ من قولهم: «مسكينه»  
وإذا خفتِ أن يثور بك الوج  
دُ فتبدو أسرارنا المكنونه  
فارجعي واسكُبي دموعك سرّاً  
وامسحي باليدين ما تسكُبينه



يا ابنةَ الفجرِ! من أحبك ميّت  
ولأنتِ بمثل هذا رهينته  
زايل النورُ مقلّتيه وغابت  
تحت أجفانه المعاني المبينه  
فأصيخي! هل تسمعين خُفوقاً  
كنتِ قبلاً في صدره تسمعينه؟  
وانظري ثم فكّري كيف أمسى  
ليس يدري عدوه وخديته!  
ساكتاً لا يقول شيئاً ولا يسرُ  
مع شيئاً وليس يبصر دونه  
لا يبالي أودعوه الثُّريا  
أم رموه في حمأةِ مسنونه<sup>(١)</sup>  
وإذا الحارسان ناما عيَاء

ورأيت أصحابه يتركونه  
فتعالى وقبلي شفّتيه  
ويديه وشعره وجبينه  
قبل أن يسدل الحجاب عليه  
ويؤاري عنك فلا تُبصرينه  
واحذري أن تراك عين رقيب  
ولئن كان جُل ما تحذرينه  
فإذا ما أمنت لا تتركيه  
قبلاً ما يفتح الصباح جفونه  
\*\*\*\*\*

وإذا الساعة الرهيبة حانت  
ورأيت حُرّاسه يحمونه  
وسمعت الناقوس يُقرع حُزناً  
فيرد الوادي عليه أنينه  
زوّدي الراحل الذي مات وجداً  
بالذي زوّد الغريق السفينه  
نظرة تعلم السماوات منها  
أنه مات عن فتاة أمينه  
\*\*\*\*\*

طوت الأرض من طوى الأرض حياءً  
وعلاه من كان بالأمس دونه  
واختفى في التراب وجه صبيح  
وفؤاد حُرّ ونفس مصونه

---

(١) الحزن: ما غلظ من الأرض (في الأرض حُزونة).

(٢) التفار: النفور.

وإذا ما وقفتِ عند السُّواقِي  
 وذكرْتِ وقوفَهُ وسكونه  
 حيث أقسمتِ أن تدومي على العهدِ  
 —د وإلى بآئه لن يـخـونه  
 حيث علّمتَه القريض فأمسى  
 يتغنّى كي تسمعي تـلـحينه  
 فاذكريه مع البروقِ السَّواري  
 واندبّيه مع الغُيُوثِ الهُتُونه  
 وإذا ما مشيتِ في الروض يوماً  
 ووطئتِ سهوله وحُزونه<sup>(١)</sup>  
 وذكرْتِ مواقف الوجد فيه  
 عندما كنتِ بالهوى تُغرينه  
 حيث علّمتَه الفُتونَ فأضحى  
 يحسبُ الأرضَ كأنها مفتونه  
 حيث وسّدتَه يمينك حتى  
 كاد ينسى شماله ويمينه  
 حيث كنتِ وكان يسقيك طُوراً  
 من هواه، وتارةً تـسـقيـنه  
 حتى حاكَ الربيعُ للروض ثوباً  
 كان أحلى لديه لو تردينه  
 فالثّمي كلُّ زهرةٍ فيه إني  
 كنتِ أهوى زهوره وغُصونه  
 ثم قلبي للطير: مات حبيبي!  
 فلماذا يا طيرُ لا تبكينه؟

(١) القطب: الساكن. والفعل: (قطن).

## المحتوى

### ديوان إيليا أبي ماضي (الجزء الثاني)

|     |                             |
|-----|-----------------------------|
| ٢٤٧ | ■ مقدمة: (جبران خليل جبران) |
| ٢٤٩ | ١ - إهداء الديوان           |
| ٢٥٠ | ٢ - الشاعر                  |
| ٢٥٥ | ٣ - فلسفة الحياة            |
| ٢٥٩ | ٤ - أم القرى                |
| ٢٦٥ | ٥ - أنا وأخت المهابة والقمر |
| ٢٧٠ | ٦ - الشاعر والأمة           |
| ٢٧٦ | ٧ - وإنني                   |
| ٢٧٧ | ٨ - أمّا أنا                |
| ٢٧٩ | ٩ - وداع وشكوى              |
| ٢٨٤ | ١٠ - عصر الرشيد             |
| ٢٩١ | ١١ - لم أجد أحدا            |
| ٢٩٦ | ١٢ - السرّ في الأرواح       |
| ٢٩٧ | ١٣ - بنت سوريا              |
| ٣٠٢ | ١٤ - الفقير                 |
| ٣٠٧ | ١٥ - بين الكاس والطاس       |

|     |                     |
|-----|---------------------|
| ٣٠٩ | ١٦ - في السفينة     |
| ٣١١ | ١٧ - يا صاح         |
| ٣١٤ | ١٨ - بلاء أم نعمة   |
| ٣١٦ | ١٩ - الخلود         |
| ٣١٩ | ٢٠ - عيناك          |
| ٣٢١ | ٢١ - ١٩٣١           |
| ٣٢٧ | ٢٢ - بلادي          |
| ٣٣٢ | ٢٣ - البلبيل السجين |
| ٣٣٨ | ٢٤ - أنت            |
| ٣٤٣ | ٢٥ - معركة بورغاس   |
| ٣٥٠ | ٢٦ - خير شيء        |
| ٣٥١ | ٢٧ - حكاية حال      |
| ٣٥٣ | ٢٨ - شكوى           |
| ٣٥٥ | ٢٩ - بائعة الورود   |
| ٣٦٣ | ٣٠ - ١٩١٤           |
| ٣٦٧ | ٣١ - بنت الدوالي    |
| ٣٦٩ | ٣٢ - الطيران        |
| ٣٧٢ | ٣٣ - العاشق المخدوع |
| ٣٨٠ | ٣٤ - أهلها عرب      |

- ٣٥ - صاحب القلم ..... ٣٨٢
- ٣٦ - إلى الله راجعون ..... ٣٨٦
- ٣٧ - نزوة ألم ..... ٣٨٧
- ٣٨ - الكأسان ..... ٣٩١
- ٣٩ - أقوى من الشيب والهرم ..... ٣٩٤
- ٤٠ - لأرفعنّ للسما احتجاجي ..... ٣٩٥
- ٤١ - أنتم معي ..... ٣٩٨
- ٤٢ - الحرب العظمى ..... ٣٩٩
- ٤٣ - دموع وتنهيدات ..... ٤٠٦
- ٤٤ - أخت البلجيك ..... ٤١٢
- ٤٥ - بين الضحك والجد ..... ٤١٦
- ٤٦ - أمة تفنى وأنتم تلعبون ..... ٤١٧
- ٤٧ - في الليل (متى يذكر الوطن النوم) ..... ٤٢٥
- ٤٨ - سقوط أرضروم ..... ٤٢٩
- ٤٩ - سبيل التوحيد ..... ٤٣٦
- ٥٠ - ١٩١٦ ..... ٤٣٧
- ٥١ - ما للكواكب ..... ٤٤٢
- ٥٢ - الحاجة إلى الخرّس ..... ٤٤٦
- ٥٣ - البغضاء ..... ٤٤٧

|     |                                    |
|-----|------------------------------------|
| ٤٥١ | ٥٤ - حكاية قديمة                   |
| ٤٥٥ | ٥٥ - لمن الديار؟                   |
| ٤٦٣ | ٥٦ - يا بلادي                      |
| ٤٦٩ | ٥٧ - الفردوس الضائع                |
| ٤٧٤ | ٥٨ - مسرح العشاق                   |
| ٤٨٣ | ٥٩ - حكاية حال                     |
| ٤٨٧ | ٦٠ - يا جرتي                       |
| ٤٩١ | ٦١ - هملت                          |
| ٤٩٤ | ٦٢ - العيون السود                  |
| ٤٩٨ | ٦٣ - هاتها                         |
| ٤٩٩ | ٦٤ - إلى صديق                      |
| ٥٠٣ | ٦٥ - باخرة الإغاثة                 |
| ٥٠٥ | ٦٦ - مصرع القمر                    |
| ٥١٠ | ٦٧ - في فراش المرض                 |
| ٥١٤ | ٦٨ - رثاء (المطران رفائيل هواويني) |
| ٥١٧ | ٦٩ - فتح أورشليم                   |
| ٥٢٠ | ٧٠ - إلى الفاتح                    |
| ٥٢٢ | ٧١ - في القطار                     |
| ٥٢٥ | ٧٢ - السيد المجتبى                 |

|     |                                         |
|-----|-----------------------------------------|
| ٥٢٧ | ٧٣ - مرآة الغرب (في سنتها التاسعة عشرة) |
| ٥٣١ | ٧٤ - مزح في جد (معرّبة)                 |
| ٥٣٣ | ٧٥ - نشيد التباراري                     |
| ٥٣٣ | ٧٦ - ذكرى                               |
| ٥٣٤ | ٧٧ - جرجي زيدان                         |
| ٥٣٨ | ٧٨ - أيها الراعي                        |
| ٥٤١ | ٧٩ - ابنة الفجر                         |
| ٥٤٦ | ■ المحتوى                               |

\*\*\*\*



# الديوان الثالث

## (الجداول)

الطبعة الأولى (مطبعة جريدة «مرآة الغرب اليومية» - نيويورك ١٩٢٧)

يضم، في هذه الطبعة التي أصدرها الشاعر نفسه، ستة وثلاثين نصاً شعرياً، وقع، في آخرها، نصّه الطويل المعروف «الطلاس». وتولى التقديم للديوان: ميخائيل نعيمة، أمين سرّ «الرابطة القلمية».

وما زيد على «الجداول»، في الطبعات التي ظهرت من بعد، في الشرق، جمعناه كلّه في شعره الذي لم تجمعه نواوينه الخمسة، في طبعاتها الأولى

\*\*\*\*\*



## المقدمة

بقلم ميخائيل نعيمة

«خلتُ أني في القفر أصبحت وحدي  
فإذا الناسُ كلهم في ثيابي»

لقد قرأت لأبي ماضي كثيراً من طيب الشعر وجميله، غير أني لست أذكر أني قرأت له أصدق من هذا البيت، وأدلّ منه على بعد غور شاعريته، ومدى خياله ورحابة أفاق فكره أو لست تسمع، عند قراءته، قلوب الإنسانية بأسرها نابضة في قلبك، وتشهد أمواج أفكارها متلاطمة في بحر فكرك ؟

ألست تحس أنك وكل الذين ولدوا وماتوا، والذين سيولدون ويموتون، واحد؟

ألست تحس كأن مواكب الأجيال كلها تزدهم وتتألب في كيالك ؟

ألست ترى ضعف الضعيف في قوتك، وضعة الوضع في رفعتك، وحماسة الأحمق في حكمتك، وقبح القبيح في جمالك، وفقر الفقير في مالك؟

أو لست تراك رفيقاً لكل وحيد في وحدته، ولكل غريب في غربته، وشريكاً لكل آثم في إثمه، ولكل عالم في علمه ؟

وأخيراً ألست تدرك أن لا مهرب لك من الناس؟ لعمري ليس يدرك مثل هذه الحقيقة فيقبض عليها ويبرزها إليك في حلة هي غاية في الجمال؛ لأنها غاية في البساطة، غير شاعر ملهم أو نبي مرسل.

إن في هذا البيت وحده مثلاً جلياً للحقائق التي يدركها الخيال بوثة واحدة. ولا يدركها العلم بأجيال طويلة، فمن ذا يلوم الشرق إن استسلم لوحى أنبيائه، وتعلق بوحى شعرائه، أو أعرض عن منقب آثاره وعلمائه؟

ألا أعطني الشعر ووجدانه، وخذ العلم وبرهانه.

وقد كان يجمال بي وأنا أقدم إليك كتاباً من الشعر؛ أن أتجلبب بجلبات المعرفة البحاثة، فأحدثك عن الشعر وتاريخه وأصنافه وأهديك إلى مصادره ومسالكه؛ وأحلل لك معانيه ومرامييه؛ وأفسر لك أسرارهِ، وأنثر عليك جواهره، وأريك نفعه من ضرره.

نعم! لقد كان يجمال بي كل ذلك لو أنني وجدت إليه سبيلاً غير أنني أعترف اليوم بما لم أعترف به من قبل. وهو أنني لا أعرف عن الشعر ومصدره وكنهه أكثر مما أعرف عن حياتي ومصدرها وكنهها وقد كنت أحسبني أعرف الكثير، فإذا بما أعرفه وأنوء به نقيض المعرفة، وإذا بالذي أعرفه اليوم لا يذعن للساني فأنطق به، ولا ينقاد لقلمي فأسطره. والذي أحاوله الآن هو القول إنني أنس اليوم قرابة روحيه بيني وبين صاحب «الجداول» ما كنت أشعر بمثلها بيني وبين ناظم الجزء الأول والثاني من ديوان إيليا أبي ماضي، «ترى أتغير أبو ماضي إلى هذا الحد، في السنوات الثماني الأخيرة، أم تراني تغيرت ؟

فبين هذه «الجداول» ما تنساب معه روعي مترققة، مترنمة، مطمئنة جذلة بنور عينيه، وجمالٍ عن جانبيها، مرحة بحرية لا أرصاد ولا قيود، ومدى لا آفاق له ولا حدود.

هكذا أقرأ قصيدة «الطين» فأسمع لها أصداً كثيرة في نفسي: ومثال «تعالى» و«ريح الشمال» و«في القفر» و«المساء» و«العميان» و«الزمان» وسواها. أقرأها غير ناظر إلى قافية مقلقة أو كلمة شاردة، بل إلى جملة ما يتجلى لي فيها من الرسوم، وما تحدثه في نفسي من الرعشة، وتنبهه في وجداني من الشعور والخيالات، وقد أكتفي من القصيدة كلها ببيت واحد، إذا كان لذاك البيت وقع في روعي ولا يندر أن أجد لذة حتى في قصيدة لا تأتلف مع أهوائي ومنازعي كقصيدة «بردي يا سحب» لأنني وإن كنت أنكر على نفسي أن تقول:

«كل نجم لا اهتداء به لا أبالي لاح أو غربا»

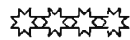
لا أنكره على أبي ماضي. بل أعجب لقوة بيانه لمعتقده، إذا كان ذلك ما يعتقد.

لاشك عندي قط، في أن فريقاً من الذين ( نذروا حياتهم للذب عن حياض اللغة العربية ) - يصمون آذانهم عن خيرير هذه «الجداول» الشجي ويفتحون أبصارهم عليهم يجدون في حصائنها ما ينطبق على مقاييسهم، ويوزن بموازينهم، ولعلمهم يظفرون ولو ببعض ما يطلبون أما أنا فأبارك هذه الجداول المنسابة إلى بحر شعرنا الواسع. لأنها ستزيده اتساعاً، وهيبة، وصفاء.

## ١. الفاتحة

[مجزوء الرمل]

يا رفيقي.. أنا لولا أنت ما وقَّعتُ لحنا  
كنت في سرِّي لمّا كنتُ وحدي أتغنّي  
ألبسُ الروض حُلاه، إنه يوماً سيُجنّي  
هذه أصداءُ رُوحِي فالتكنُ رُوحك أذنّا  
إن تجدَ حُسناً فخذهُ، واطرحْ ما ليس حُسناً  
إن بعض القولِ فنٌّ، فاجعلِ الإصغاءَ فنا  
تلك كالْحَقْلِ يردُّ الكيلُ للزراعِ طُنّا  
رُبَّ غيمٍ صارَ لمّا لمستهُ الريحُ مُرْنا  
ربما كنتُ غنيّاً غيرَ أني بك أغنى  
ما لصوتٍ أغلقتُ من بونه الأسماعُ معنى  
كلُّ نورٍ غيرِ نورٍ مرّ بالأعين وسُنّي  
وإذا رحت بكَرْمِي زدتَه خصباً وأمنا  
قد سكبتُ الخمرَ كي تشرب، فاشربْ مطمئناً  
واسقِ من شئتَ كريماً، لا تخفْ أن تتجنّي  
كلما أفرغتُ كأسِي زدت في كأسِي دَنّا  
فهي بالإنفاقِ تبقى، وهي بالإمساكِ تفنى



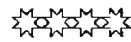
لست مني أن حسبت الشعر ألفاظاً ووزناً  
خألفتُ ربُّكَ دربي، وانقضى ما كان منّا  
فانطلق عني لئلا تَقْتَنِي همّاً وحرناً  
واتخذُ غيري رفيقاً وسوى دنيائي مغنى

\*\*\*\*

## ٢. العنقاء

[الكامل]

أنا لستُ بالحسناء أولَ مُولَعٍ  
هي مطمَعُ الدنيا كما هي مطمَعي  
فاقصُصْ عليّ إذا عرفتَ حديثَها  
واسكنْ إذا حدثتَ عنها واخشعْ  
أَلَحَّتْهَا في صورةٍ؟ أَشْهَدْتُهَا  
في حالةٍ؟ أَرَأَيْتَهَا في موضعٍ؟  
إني لذنو نَفْسٍ تَهيمُ، وإنها  
لجميلةٌ فوقَ الجمالِ الأبدعِ  
ويزيدُ في شوقي إليها أنها  
كالصوتِ لم يُسَفَّرْ ولم يتقنَّعْ  
فَتَشَّتْ جيبَ الفجرِ عنها والدجى  
ومددتْ حتى للكواكبِ إصْبَعي  
فإذا هما مُتَحِيرَانِ كلاهما  
في عاشقٍ مُتَحِيرٍ مُتَضَعِّعِ  
وإذا النجومُ لعلمها أوجهلها  
مُتَرَجِّجَاتُ في الفضاءِ الأوسعِ  
رقصتْ أشعَّتُها على سطحِ الدجى  
وعلى رجاءٍ في غيرِ مُشْعِشِ



والبحرُ كم ساءلته فتضاحكت  
أمواجه من صوتي المُنْقَطِع  
فرجعت مُرتعش الخواطر والمُنَى  
كحمامة محمولة في رَعَزَع<sup>(١)</sup>  
وكان أشباح الدهور تَأَلَّبَتْ  
في الشطّ تضحك كلُّها من مرجعي  
ولكم دخلت إلى القصور مفتشاً  
عنها، وعجت بدارسات الأربع  
إنّ لاح طيفُ قلتُ يا عينُ انظري!  
أورنُ صوتُ قلتُ: يا أذنُ اسمعي!  
فإذا الذي في القصر مثلي حائرُ  
وإذا الذي في القفر مثلي لا يعي  
~~~~~

قالوا: تورّع! إنها محجوبة
إلا عن المُنْتَزهد المُنْتَوِرِع
فَوادَتْ أفراحي وطأقتُ المُنَى
ونسختُ آيات الهوى من أضلعي
وحطمتُ أقداحي ولمّا أرتوي
وعففتُ عن زادي ولمّا أشبع
وحسبتُني أدنو إليها مسرعاً
فوجدتُ أني قد دنوتُ لمصرعي
ما كان أجهل نصّحي^(٢) وأضلّني
لمّا أطعتهم، ولم أتمنّع

(١) ريح زعزع تحرك الأشياء
(٢) جمع لـ (ناصح) مثل عاجز وعجز

إنني صرفتُ عن الطَّمَاعة والهوى
قلبي، ولا ظَفَرُ لمن لم يَطْمَع
فكأنني البستَانُ جردَ نفسه
من زهره المتنوع المُتَضَوِّع
ليُحس نور الشَّمْسِ في ذرَّاته
ويُقابل النُّسَمَاتِ غير مُقَنَّع
فمشى عليه من الخريف سُرادقُ
كالليل خيمَ في المكان البلقع
وكأنني العصفورُ عرَّى جسمه
من ريشه المُتناسقِ المُتَلَمِّع
ليخفَّ محمُّله؛ فخرَّ إلى التُّرى
وسطا عليه النملُ غير مُروِّع
وهجعتُ أحسبُ أنها بنت الرُّوى
فصحوتُ أسخر بالنيام الهُجَّع
ليستُ حُبوراً كلَّها دنيا الكرى
كم مؤلمٍ فيها بجانب مُفزع
تُخفي أمانِي الفتى كهوميه
عنه، وتحجبُ ذاته في بُرقع
ولربِّما التَّيسَتُ حوادثُ يومه
بالغابر الماضي وبالمُتَوَقَّع
يا حَبَّذا شططُ الخيالِ وإنما
تُمحى مشاهدُه كأنَّ لم تُطبع
لَمَّا حَلَمْتُ بها حلَمْتُ بزهره
لا تُجَتِّنِي، وبنجمة لم تَطْلُع
ثمَّ انتبهتُ فلم أجِدْ في مخدعي
إلا ضلالي والفراش ومخدعي

من كان يشربُ من جداول وهمه
قطع الحياة بغلة لم تُنقَع
ذهب الربيعُ فلم تكنْ في الجدول الشَّـ
شادي، ولا الرّوضِ الأغنّ المُمَرِّع
وأتى الشتاءُ فلم تكنْ في غيمه الـ
بأكي، ولا في رعدِه المُمْتَفِجِ
ولحتْ وامضةُ البروقِ فخلَّتْها
فيها، فلم تكْ في البروقِ اللُّمَعِ
صفرت^(١) يدي منها وبى طيشُ الفتى
وأضلَّنِي عنها زكاءُ الألعى
حتى إذا نشر القنوطُ ضبابه
فوقي فغيَّبني وغيَّب موضعي
وتقطَّعتْ أمراسُ أمالي بها
وهي التي من قبل لم تَتَقَطَّعْ
عصر الأسى رُوحى فسالتْ أدمعاً
فلمحتُها ولمستُها في أدمعي
وعلمتُ حين العلمِ لا يجدي الفتى
أنَّ التي ضيَّعتُها كانتْ معي!

(١) خلت خلواً كاملاً

٣. السجينة

[الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا حُزَّنِي لِمَالٍ فَقَدْتُهُ
وَلَا خَانَ عَهْدِي فِي الْحَيَاةِ حَبِيبُ
وَلَكِنَّنِي أَبْكِي وَأَنْدَبُ زَهْرَةً
جَنَاهَا وَلُوعٌ بِالزَّهْوَرِ لَعُوبُ
رَأَاهَا يَحُلُّ الْفَجْرُ عَقْدُ جُفُونِهَا
وَيُلْقِي عَلَيْهَا تَبْرَهُ فَيَذُوبُ
وَيَنْفُضُ عَنْ أَعْطَافِهَا النُّورَ لَوْلُوًّا
مِنْ الْطَّلِّ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جُيُوبُ
فَعَالَجَهَا حَتَّى اسْتَوَتْ فِي يَمِينِهِ
وَعَادَ إِلَى مَغْنَاهُ وَهُوَ طَرُوبُ
وَشَاءَ فَأَمَسَتْ فِي الْإِنَاءِ سَجِينَةٌ
لَتَشْبَعُ مِنْهَا أَعْيُنُ وَقُلُوبُ
ثَوَتْ بَيْنَ جِدْرَانِ كَقَلْبِ مُضَيِّمِهَا
تَلَمَّسُ فِيهَا مَنْفَذًا فَتَخِيبُ
فَلَيْسَتْ تَحْيِي الشَّمْسَ عِنْدَ شُرُوقِهَا
وَلَيْسَتْ تَحْيِي الشَّمْسَ حِينَ تَغِيبُ
وَمَنْ عَصَبَتْ عَيْنَاهُ فَالْوَقْتُ كُلُّهُ
لَدَيْهِ - وَإِنْ لَاحَ الصَّبَّاحُ - غَرُوبُ



لَهَا الْحَجَرَةُ الْحَسَنَاءُ فِي الْقَصْرِ إِنَّمَا
أَحَبُّ إِلَيْهَا رَوْضَةٌ وَكَثِيبُ

وأجملُ من نورِ المصابيحِ عندها
حبّاحبٌ تمضي في الدجى وتؤوب
ومن فتياتِ القصرِ يرقصن حولها
على نغماتِ كلهنَّ عجيب
تراقصُ أغصانَ الحديقةِ بكرةً
والريحُ فيها جيئةً وذهُوب
وأجملُ منهنَّ الفراشاتُ في الضحى
لها كالأماني سَكْنَةٌ ووئُوب
وأبهى من الديباجِ والخزِّ عندها
فَراشٌ من العشبِ الخَضيلِ رطيب
وأحلى من السَّقْفِ المزخرفِ بالدمى
فضاءٌ تشعُّ الشُّهبُ فيه رحيب
تحنُّ إلى مرأى الغديرِ وصوته
وتُحرِّمُ منه، والغديرُ قريب
وليس لها للبؤسِ في نسمِ الرِّيا
نصيبٌ، ولم يسكنْ لهنَّ هُبُوب
إذا سُقِيَتْ زادتْ ذبولاً كأنما
يرشُّ عليها في المياهِ لهيب
وكانت قليلُ الطَّلِّ ينعشُ روحها
وكانت بميسورِ الشُّعاعِ تطيب
بها من أنوفِ الناشقينَ تَوَعُّكُ
ومن نظراتِ الفاسقينَ ندوب
تمشَّى الضننَى فيها وأيارُ في الحمى
وجفَّتْ وسريالُ الربيعِ قشيب

ففيها كمقطوع الوريدين صُفْرَةٌ
وفيها كمصباح البخيل شُحُوبٌ



أيا زهرة الوادي الكئيبة إنني
حزين لما صرت إليه كئيب
وأكثرُ خوفي أن تظني بني الوري
سواءً، وهم مثلُ النَّباتِ ضُروب
وأعظمُ حزني أن خطبك بعده
مصائبُ شتّى لم تقع وخطوب
سيطرحك الإنسانُ خارج داره
إذا لم يكن فيك العشيّة طيب
فَتَمْسِينَ لِلْأَقْذَارِ فيك ملاعبُ
وفي صفحتيك للنَّعالِ ضُروب
إِسَارُكَ يا أخت الرياحين مُفْجِعُ
وموتُكَ يا بنت الربيع رهيب
ولكنها الدنيا؛ ولكنه القضا
وهذا للعمري مثلُ تلك غريب
فكم شقيت في ذي الحياة فضائلُ
وكم نعمت في ذي الحياة عيوب
وكم شيم حسناء عاشت كأنها
مساوئُ يُخشى شرُّها وذنوب



٤ - الضفادع والنجوم

[الرمل]

صاحت الضفدعُ لما شاهدتُ
حولها في الماء أظلالَ النجوم:
«يا رفاقي يا جنودي احتشدوا
عبر الأعداء في الليل التُّخوم
فاطردوهم واطربوا الليلَ معاً
إنه مئثراً لهم باغٍ أثيم»
زعقةٌ سار صداها في الدجى
فإذا الشطُّ شخوصٌ وجُسُوم
في أديم الماء من أصواتها
رعدةٌ الحمى وفي الليل وجُوم
مزقَ الفجرُ جلابيب الدجى
ومحا من صفحة الأرض الرسُوم
فمشت في سربها مختالةً
كمليكٍ ظافرٍ بين قُروم^(١)
ثم قالت: لكمُ البشري ولي
قد نجونا الآن من كيدٍ عظيم
نحن لولم نقهر الشُّهب التي
هاجمتنا لأذاقتنا الحُتوم

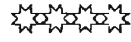
(١) جمع (قَرَم) وهو السيد

وأقامتْ بعدنَا من أرضِنَا
في نعيمٍ لم تجدْه في الغيوم
أيها التاريخُ سجِّلْ أننَا
أُمَّةٌ قد غَابَتْ حتَّى النجوم

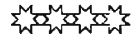
٥. السماء

[الخفيف]

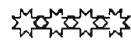
لَا تَسْأَلْنِي عَنِ السَّمَاءِ فَمَا عِنْدِي
إِلَّا النِّعَوتُ وَالْأَسْمَاءُ
هِيَ شَيْءٌ، وَبَعْضُ شَيْءٍ، وَحِينًا
كُلُّ شَيْءٍ، وَعِنْدَ قَوْمٍ هَبَاءٌ



فَسَّمَاءُ الرَّاعِي كَمَا يَتَمَنَّى
هَـا مَرْوَجٌ فَسِيحَةٌ خَضِرَاءُ
تَلْبَسُ التُّبْرَ مئِزْرًا وَوَشَاحًا
كَلَّمَا أَشْرَقَتْ وَغَابَتْ ذُكَا
أَبْدَأُ فِي نَضَارَةٍ لَا يَجْفُ الْ
عَشْبُ فِيهَا، وَلَا يَغِيضُ الْمَاءُ

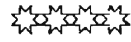


وَهِيَ عِنْدَ الْأُمِّ الَّتِي اخْتَرَمَ الْمَوْتُ
بُنْيَاهَا، وَضَلَّ عَنْهَا الْعِزَاءُ
مَوْضِعٌ لَا يَنْأَلُهُمْ فِيهِ ضَيْمٌ
لَا وَلَا يُدْرِكُ الشُّبَابُ الْفَنَاءُ
وَكَذَا يُوَلَدُ الرَّجَاءُ مِنَ الْيَأْسِ
سِ إِذَا مَاتَ فِي الْقُلُوبِ الرَّجَاءُ

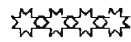


وَهِيَ عِنْدَ الْفَقِيرِ أَرْضٌ وَرَاءَ الْ
أَفْقِ؛ فِيهَا مَا يَشْتَهِي الْفُقَرَاءُ

لا يخافُ المُتُّري، ولا كلبُهُ الضُّا
ري؛ ولا لامرئٍ به استَهزأ
وهي عند المظلوم أرضُ كهذي الـ
أرضُ لكنْ قد شاع فيها الإخاء
يجمعُ العدلُ أهلَها في نظامٍ
مثالما يجمعُ الخيوطُ الرداء
لا ضعيفُ مستعبدٌ، لا قويُّ
مُستبدٌ، بل كُلُّهم أكفاء
كلُّ شيءٍ لـلـكُلِّ مُلكٌ حلالٌ
كلُّ شيءٍ فيها كما الكلُّ شأؤوا



وهي عند الخليع أرضُ تميسُ الـ
حورٌ فيها، وتدفُقُ الصهباءُ
كلُّ ما النفسُ تشتهيهِ مُباحٌ
لا صُدودٌ، لا جَفوةٌ، لا إباء
أكبرُ الإثمِ قولُهُ المرءِ هذا الـ
أمرُ إثمٌ، وهذه فحشاء
ليس بين الصِّلاحِ والشرِّ حدٌّ
كالذي شاء وضعَهُ الأنبياءُ
وإذا لم يكنْ عَفافٌ وفَسقٌ
لم تكنْ حشمةٌ ولا استَحياءُ



كلُّ قلبٍ له السماءُ الذي يهـُ
ـوى، وإن شئتُ كلُّ قلبٍ سماءُ
صُورٌ في نفوسنا كائناتُ
ترتديها الأفعالُ والأشياءُ

رُبُّ شَيْءٍ كَالْجَوْهَرِ الْفَرْدِ فَذُّ
عِدَّتُهُ الْأَغْرَاضُ وَالْأَهْوَاءُ
كُلُّ مَا تَقْصُرُ الْمَدَارِكُ عَنْهُ
كَأَنَّ مِثْلَ مَا الظَّنُّونُ تَشَاءُ

٦. بردّي يا سحب!

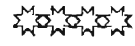
[المديد]

رضيت نفسي بقسمتها
فأُيراودُ غيري الشُّهبا
كلُّ نجمٍ لا اهـتـدأ به
لا أبالي لاح أو غرّبا
كلُّ نهرٍ لا ارتواء به
لا أبالي: سال أو نضبـا
ما غدّـ يا من يُصوّرهُ
لي شيئاً رائعاً عجـبا
ماله عينٌ ولا أثرٌ
هو كالأمس الذي ذهبـا
اسقني الصُّهباء إن حضرت
ثمّ صفّ لي الكأس والحبـا
ليس يرويني مقالك لي:
«أنها العقيان»^(١) منسكبا
إن صدّقنا لا أحسُّ به
هو شيءٌ يشبه الكذبـا
لا يُنجي الشّاة من سقـب:
أن في أرض السُّها»^(٢) عشبـا

(١) الذهب الخالص

(٢) كوكب خفي، يريد. السماء بنجومها

ما على من لا يطيقُ يرى
نورَ الوادي أو اكْتَأبَا
ما يفيدُ الطَّير في قفصٍ
ضاقَ هذا الجوُّ أو رحبَا



بردي يا سحِبُ من ظمئي
واهطُلي من بعد ذا ذَهَبَا
أو فُكُونِي - غير راحمة -
حمماً حمراء لا سُحُبَا
ولاكنَّ وحدي لها هدفاً
ولتكنْ نفسي لها حطبا
أنا من قومٍ إذا حزنوا
وجدوا في حُزنِهِمْ طَربَا
وإذا ما غايَةُ صُعُوبَتِ
هَوْنُوا بالتَّرك ما صُعُبا



٧. العير المتنكر

[الكامل]

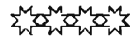
زَعَمَ المؤدَّبُ أنَّ عَيْراً^(١) ساءَهُ
الْأَيْسَارَ بهِ إلى المِيدَانِ
فمَضَى فقصَّرتِ القَوَاطِعُ ذيلَهُ
وسَطَّتْ مواضِيها على الأَذَانِ
حتى إذا جاء المروءُضُ واعتَلَى
مَتْنِيَّه رابِ الفارسِ الكَشْحَانِ^(٢)
لكنه ما زالَ غيرَ مُصَدِّقٍ
حتى علا صوتُ كُصوتِ الجانِ
فاستلَّ صارمَهُ فطاح برأسه
ورمى بجثثته إلى الغَرْبَانِ
مَادام يَصْحَبُ كُلَّ حيِّ صَوْتُهُ
هيهات يُخفي العيرَ جلدُ حصانِ

(١) الحمار الوحشي والأهلي
(٢) الكشح ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي.

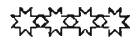
٨. تعالي

[الهمزج]

تَعَالِيْ نَتَعَاظَاهَا كَلَوْنِ التُّبْرِ أَوْ أَسْطَعُ
وَنَسْقِي النَّرْجِسَ الْوَاشِي بِقَايَا الرَّاحِ فِي الْكَاسِ
فَلَا يَعْرِفُ مَنْ نَحْنُ وَلَا يُبْصِرُ (*) مَا نَصْنَعُ
وَلَا يَنْقُلُ عِنْدَ الصُّبْحِ نَجْوَانَا إِلَى النَّاسِ



تَعَالِيْ نَسْرِقُ الْإِذَاتِ مَا سَاعَفْنَا الدَّهْرُ
وَمَا دَمْنَا وَمَا دَامَتْ لَنَا فِي الْعَيْشِ آمَالُ
فَإِنْ مَرَبْنَا الْفَجْرُ وَمَا أَوْقَظْنَا الْفَجْرُ
فَمَا يَوْقَظُنَا عِلْمٌ وَلَا يَوْقَظُنَا مَالُ



تَعَالِيْ نَطْلُقُ الرُّوحَيْنِ مِنْ سَجْنِ التَّقَالِيدِ
فَهَذِي زَهْرَةُ الْوَادِي تَذِيغُ الْعُطْرِ فِي الْوَادِي
وَهَذَا الطَّيْرُ تَيَّاهُ فَخُورٌ بِالْأَغَارِيدِ
فَمَنْ ذَا عَنَّفَ الزَّهْرَةَ أَوْ مَنْ وَبَّخَ الشَّادِي ؟

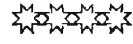


أَرَادَ اللَّهُ أَنْ نَعِشِقَ لِمَا أَوْجَدَ الْحُسْنَ
وَالْقَى الْحُبَّ فِي قَلْبِكَ إِذَ الْقَاهُ فِي قَلْبِي
مَشِيئَتُهُ.. وَمَا كَانَتْ مَشِيئَتُهُ بِلاَ مَعْنَى
فَإِنْ أَحْبَبْتَ مَا ذَنْبُكَ أَوْ أَحْبَبْتَ مَا ذَنْبِي ؟

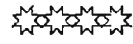


(*) في النسخة التي أرسلها د. عبدالكريم الأشتر، وردت [ولا يبصر] وشرحها في الهامش بقوله: بص، لمع، حملها هنا معنى رأى أو كشف (كما هي في دارجة مصر). ولكن بهذه الكلمة ينكسر الوزن. ولعل الصواب ما أثبتناه

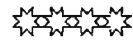
دعي اللاحى وما صنّف والفقّالى^(١) وبهتانه
والجدول أن يجري، والزهرة أن تعبق،
وللأطيّار أن تشتاق أياراً وأوانه،
وما للقلب، وهو القلب، أن يهوى وأن يعشق؟



تعالى إن ربّ الحب يدعوننا إلى الغاب
لكي يمزجنا كالماء والخمرة في كأس
ويغدو النور جلبابك في الغاب وجلبابي
فكم نصغي إلى الناس ونعصي خالق الناس!



يريد الحب أن نضحك، فلنضحك مع الفجر
وأن نركض، فلنركض مع الجدول والنهر
وأن نهتف، فلنهتف مع البلبل والقُمري^(٢)
فمن يعلم بعد اليوم ما يحدث أو يجري؟



تعالى قبلما تسكت في الروض الشّحارير
وينوي الحور والصفصاف والنّرجس والأس
تعالى قبلما تظمر أحلامي الأعاصير
فنستيقظ لا فجر، ولا خمرة، ولا كأس

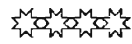


(١) قلاه أبغضه
(٢) طير أبيض (أقمر - قمر قمري).

٩ - ربح الشمال

[المتقارب]

سألتُ وقد مرّت الشُّمَالُ
تَنُوحُ وَأَوْنَةُ تَعُولُ
إلى أيّما غايّة تركّضينَ
ألا مستتقرُّ؟ ألا موئلُ؟
وكم تَعُولِينَ وكم تصرخينَ
كعصفورةٍ راعها الأجدلُ؟^(١)
لقد طرح الغصنُ أوراقه
من الدُّعُرِ واضطرب الجدول
وضلَّ الطريقَ إلى عشه
فهام على وجهه البابل
وغطى السُّهَى وجهه بالغمام
كما ينزوي الخائفُ الأعزل
وكادت تخرُّ لديك الهضابُ
وتركضُ قدأمك الأجبُل



أبنت الفضاء أضاق الفضاءُ
فأنتِ إلى غيـره أمـيلُ؟
أغـاظك أن الدجى لا يزولُ
وأن الكـواكب لا تـأفلُ

(١) الصقر

أَتَبْكِينَ أَمَّاكَ الضَّائِعَات
هَلْ الرِّيحُ مِثْلُ الْوَرَى تَأْمَل
أَيَعْدُو وَرَاءَكَ جَيْشٌ كَثِيفٌ
أَمْ ثَلَاثُكَ يَرْهَبُهُ الْجَحْفَلُ
وَمَا فِيكَ عِضْوٌ وَلَا مِفْصَلُ
فَتَقْطَعُ أَوْصَالَكَ الْأَنْصَلُ
فَجَاوِبَنِي هَاتِفُ فِي الظَّلَامِ
غَلَطْتَ فَمَا هَذِهِ الشُّمَّالُ
وَلَكِنَّهَا أَنْفُسُ الْغَابِرِينَ
تَجُوسُ الدِّيَارَ وَلَا تَنْزِلُ
فَقُلْتُ: أَيَنْهَضُ مَنْ فِي الْقُبُورِ
وَفَوْقَهُمُ التُّرْبُ وَالْجَنْدَلُ؟
أَجَابَ الصَّدَى ضَاحِكًا سَاخِرًا:
إِلَى كَمْ تَحَارُوكُمْ تَسْأَلُ؟
وَتَرْفَعُ عَيْنَيْكَ نَحْوَ السَّمَاءِ
وَلَيْسَتْ تُبَالِي وَلَا تَحْفَلُ
مِنَ الْبَحْرِ تَصْعَدُ هَذِي الْغَيُوثُ
وَتَهْطَلُ فِي الْبَحْرِ إِذَا تَهْطَلُ
وَفِي الْجَوِّ إِنْ خَفِيتَ نَسْمَةُ
وَفِي الْأَرْضِ إِنْ نَضِبَ الْمَنْهَلُ



لَقَدْ كَانَ فِي أَمْسٍ مَا قَبْلَهُ
وَفِي غَدِهِ يَوْمُكَ الْمُقْبِلُ
عَجِبْتُ لِبَاكِ عَلَى أَوَّلِ
وَفِي الْآخِرِ النَّائِحُ الْأَوَّلُ



هَمْ فِي الشَّرَابِ الَّذِي نَحْتَسِي
وَهَمْ فِي الطَّعَامِ الَّذِي نَأْكُلُ
وَهَمْ فِي الْهَوَاءِ الَّذِي حَوْلَنَا
وَفِي مَا نَقُولُ وَمَا نَفْعَلُ
فَمَنْ حَسِبَ الْعَيْشَ دُنْيَا وَآخِرَى
فَإِذَا رَجُلٌ عَقَلَهُ أَحْوَلُ

١٠ - الحجر الصغير

[الخفيف]

سمع الليلُ ذو النُّجوم أنيناً
وهو يغشى المدينةَ البيضاءَ
فانحنى فوقها كمسترقٍ لهمْ
سٍ يطيلُ السكوتَ والإصغاءَ
فراى أهلها نياماً كاهلِ الدِّ
كَهْفٍ لا جأبةً ولا ضوضاءَ
ورأى السدَّ خلفها مُحكمَ البندِ
بيانَ والماءِ يُشبهُ الصحراءَ
كانَ ذاكَ الأنينُ من حجرٍ في السدِّ
سدٌّ يشكو المقادرَ العمياءَ
أيُّ شأنٍ يقولُ في الكونِ شأني
لستُ شيئاً فيه ولستُ هباءَ
لا رخامٌ أنا فأنحتُ تمناً
لأَ ولا صخرةٌ تكونُ بناءً
لستُ أرضاً فأرشفُ الماءَ أو ما
ءٍ فأروي الحداثَ الغنَّاءَ
لستُ درأً تُنافسُ الغادةَ الحسَّاءَ
بناءً فيه المايحةَ الحسناءَ
لا أنا دمعَةٌ ولا أنا عينُ
لستُ خالاً أو وجنةً حمراءَ

حجرٌ أغيرُ أنا وحقيرُ
لا جمالاً لا حكمةً لا مضاء
فلأغادرُ هذا الوجودَ وأمضي
بسلامٍ، إني كرهتُ البقاء
وهوى من مكانه؛ وهو يشكو الـ
أرض والشُّهب والدجى والسَّماء
فتح الفجرُ جفنه... فإذا الطُّو
فأن يغشى «المدينة البيضاء»

١١ - الطين

[الخفيف]

نسي الطين - ساعة - أنه طيد
ن حقيراً فصلاً تيهاً وعربد
وكسا الخزج سمة فتبا هي
وحوى المال كيسه فتמרّد
يا أخي. لا تملّ بوجهك عني،
ما أنا فحمة ولا أنت فرقّد
أنت لم تصنع الحرير الذي تآ
بسّ والولؤ الذي تنقأ
أنت لا تاكل النضار إذا جع
ت ولا تشرب الجمان المنضد
أنت في البردة الموشاة مثلي
في كسائي الرديم تشقى وتسعد
لك في عالم النهار أمان،
ورؤى، والظلام فوقك ممّتد
ولقابي كما لقلبك أحلا
مُ حسان، فإنه غير جلمد



أمانى كألها من تراب
وأمانيك كألها من عسجد؟
وأمانى كألها لالاشي
وأمانيك لالود المؤكّد؟

لا. فهذي وتلك تأتي وتمضي
 كذويها. وأي شيء سرمد ؟
 أيها المُرْدهي.. إذا مسك السُّفْ
 م ألا تشتركي ؟ ألا تنهّد ؟
 وإذا راعك الحبيب بهجر
 ودعتك الذكرى ألا تنوجد؟^(١)
 أنت مثلي يبشُّ وجهك اللُّعْ
 مى وفي حالة المصيبة يكمد
 أدموعي خُلْ ودمعك شهّد ؟
 وبكائي ذُلٌّ ونوحك سُؤدد ؟
 وابتسامي السراب لا ريّ فيه ؟
 وابتساماتك اللّالي خُرْد ؟^(٢)
 فَاكٌ واحدٌ يظلُّ كَأَيْنَا
 حار طرفي به وطرفك أرمَد^(٣)
 قمرٌ واحدٌ يطلُّ عَلَيْنَا
 وعلى الكوخ والبناء الموطّد
 إن يكنْ مشرقاً لعينيك إني
 لا أراه من كُوءِ الكوخ أسود
 النجومُ التي تراها أراها
 حينَ تخفّي، وعندما تنوِّقْ
 لست أدنى على غناك إليها
 وأنا معَ خصاصتي^(٤) لست أبعد



(١) من الوجد
 (٢) اللؤلؤ قبل أن يتقّب (الخريفة).
 (٣) من الرمد أرمَد ورمداء
 (٤) الفقر

أنت مثلي من النُّرى وإليه
فلماذا يا صاحبي التيه والصد
كنت طفلاً إذ كنتُ طفلاً، وتغصو
حين أغدو شيخاً كبيراً أدرد^(١)
لست أدري من أين جئت ولا ما
كنتُ، أو ما أكون يا صاح في غد
أفتدري؟ إنن فخبّر، وإلا
فلماذا تظن أنك أوحده؟

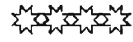


ألك القصر دونه الحرس الشا
كي ومن حوله الجدار المشيد
فامنع الليل أن يمد رواقاً
فوقه؛ والضباب أن يتلبّد
وانظر النور كيف يدخل لا يطر
لبُ إنناً، فما له ليس يُطرد ؟
مرقّد واحد نصيبك منه
أفتدري كم فيك للذرّ مرقّد ؟
ذدّني عنه، والعواصف تعدو
في طلابي والجو أقتم أريد^(٢)
بينما الكلب واجد فيه مأوى
وطعاماً، والهَرُّ كالكلب يُرقد
فسمعت الحياة تضحك مني
أترجى، ومنك تأبى وتجدد؟

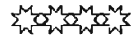


(١) من ليس في فمه سنّ (والأنثى درداء)

ألك الروضة الجميلة فيها الد
ماء والطير والأزهار والنَّد؟
فازجر الريح أن تهز وتلوي
شجر الروض - إنه يتأوّد
والجم الماء في الغدير ومُره
لا يُصفّق إلا وأنت بمشهد
إن طير الأراك^(١) ليس يُبالي
أنت أصغيت أم أنا إن غرّد
والأزاهير ليس تسخر من فق
ري ولا فيك للغنى تتوّد



ألك النهر؟ إنه للنسيم الر
رطب ربّ والعصافير مؤرّد
وهو للشهب تستحم به في الص
صيف ليلاً كأنها تتبرّد
تدّعيه فهل بأمرك يجري
في عُروق الأشجار أو يتجعّد
كان من قبل أن تجيء، وتمضي
وهو باقٍ في الأرض للجزر والمد



ألك الحقل؟ هذه النحل تجني الش
شهد من زهره ولا تتردّد
وأرى للنّمال ملكاً كبيراً
قد بنته بالكدح فيه وبالكد

(١) شجر طيب الرائحة، تتخذ منه المساويك

أنت في شرعها بخيلٌ على الحقِّ
لِ ولصُّ جنى عليها فافسد
لو ملكك الحقولُ في الأرض طُراً
لم تكن من فراشةِ الحقْلِ أسعد
أجميلُ؟ ما أنت أبهى من الور
دَة ذات الشَّذَا، ولا أنت أجود
أم عزيزُ؟ وللبعوضة من خد
ديك قُوتٌ وفي يديك المُمَهِّد
أم غنيُّ؟ هيهات تختالُ لولا
دودةُ القَرِّ بالقِباءِ المُبجِّد
أم قويُّ؟ إذن مُرِ النومِ إذ يغ
شاك والليلَ عن جفونك يرتد
وامنع الشَّيب أن يُلمَّ بِقَوْدِ
ك ومُرِّ تلَبِّثِ النضارةُ في الخد
أعاليهم؟ فما الخيالُ الذي يط
ـرقُ ليلاً؟ في أي دنيا يُولِّد؟
ما الحياةُ التي تبين وتخفى؟
ما الزَّمانُ الذي يُذمُّ ويُحمد؟
أيها الطينُ لست أنقى وأسمى
من ترابٍ تدوسُ أو تتوسد
سُدَّتْ أو لم تَسُدْ فما أنت إلا
حيوانٌ مُسيِّرٌ مُستعبد!!
إن قصراً سمكتهُ سوف يندك
ك وثوباً حبكتهُ سوف ينقد^(١)

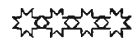
(١) قدّه قطعه

لَا يَكُنْ لِّلْخَصَامِ قَلْبُكَ مَأْوًى
إِنَّ قَلْبِي لِلْحَبِّ أَصْبَحَ مَعْبِدَ
أَنَا أَوْلَى بِالْحَبِّ مِنْكَ وَأَحْرَى
مَنْ كَسَاءٍ يَبْأَى وَمَالٍ يَنْفَدُ!

١٢- التينة الرحماء

[البسيط]

وتينة غضة الأفنانِ باسقة
قالت لا ترابها، والصيفُ يُحتَضِرُ:
«بئس القضاءُ الذي في الأرض أوجدني
عندي الجمالُ وغيري عنده النُّظَرُ»
«لأحبسَنَ على نفسي عوارفها
فلا يبينُ لها في غيرها أثرُ»
«كم ذا أُكَلِّفُ نفسي فوقَ طاقتها
وليس لي بلٌ لغيري الفَيءُ والثُّمَرُ»
«لذي الجناحِ وذِي الأظفارِ بي وطَرُ
وليس في العيشِ لي فيما أرى وطَرُ»
«إني مُفصَّلةٌ ظِلِّي على جسدي
فلا يكونُ به طولٌ ولا قصرُ»
«ولستُ مَثْمَرَةً إلا على ثَقَّة
أنَّ ليس يطرُقُني طيرٌ ولا بشرُ»



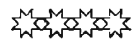
عاد الربيعُ إلى الدنيا بموكبه
فازينتُ واكتستُ بالسُّنْدُسِ الشَّجرُ

وظلَّت التَّيْنَةُ الحَمَقَاءُ عَارِيَةً
كَأَنَّهَا وَتِدٌ فِي الْأَرْضِ أَوْ حَجَرٍ
وَلَمْ يُطِقْ صَاحِبُ الْبُسْتَانِ رُؤْيَاهَا
فَاجْتَنَّتْهَا فَهَوَتْ فِي النَّارِ تَسْتَعْرِ
مَنْ لَيْسَ يَسْخُو بِمَا تَسْخُو الْحَيَاءُ بِهِ
فَإِنَّهُ أَحْمَقُّ بِالْحَرْصِ يَنْتَحِر

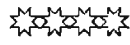
١٣. في القفر

[الخفيف]

سئمت نفسي الحياة مع النأ
س، وملت حتى من الأحباب
وتمشت فيها الملالة حتى
ضجرت من طعامهم والشرب
ومن الكذب لا بساً بردة الصد
ق وهذا مسريلاً بالكذاب
ومن القبح في نقاب جميل
ومن الحسّن تحت ألف نقاب
ومن العابدين كل إله
ومن الكافرين بالأرباب
ومن الواقفين كالأنصاب
ومن الساجدين للأنصاب
ومن الراكبين خيل المعالي
ومن الراكبين خيل التّصابي
والألى يصمّتون صمت الأفاعي
والألى يهزجون هزج الذّباب
صغرت حكمة الشيوخ لديها
واستخفت بكل ما للشباب
قالت: اخرج من المدينة للقاف
— رَفِيهِ النجاة من أوصابي



ولك الليلُ راهبي، وشموعي الشُّدُّ
شُهبٌ؛ والأرضُ كلُّها محرابي
وكتابي الفضاءُ اقرأ فيه
سُوراً ما قرأتها في كتاب
وصلاتي الذي تقول السُّواقي
وغنائِي صوتُ الصَّبَا في الغاب
وكؤوسي الأوراقُ ألقت عليها الشُّدُّ
شَمْسُ ذُوبِ النُّضار عند الغياب
ورحيتي ما سال من مُقلّة الفجْد
رِ على العشبِ كاللُّجَيْنِ المَذاب
ولتُكحلَّ يدُ المساءِ جفوني
ولتُعانق أحلامه أهْدابي
ولتُقبلْ فمُ الصَّباحِ جبيني
ولتُعطّر أريجَه جِلْبَابِي
ولأكنّ كالغُرَاب: رزقي في الحقْ
لِ وفي السَّفحِ مجتَمي واضطرابي
ساعه في الخلاء خيرُ من الأعم
وام تُقضى في القصرِ، والأحقابِ



يا لَنَفْسِي فإنها فتنتني
بالحديثِ المنمّقِ الخلابِ
فإذا بي أقلي^(١) القصور وسُكُنّا
ها وأهلَ القصورِ ذاتِ القبابِ
فهجرتُ العمرانَ تنفضُ كفي
عن ردائي غبارَه وإهابي

(١) قلاه - يقلبه قلباً: أبغضه.

وتركتُ الحمى وسرتُ وإيّا
ها وقد ذهب الأصيلُ الروابي
نهتدي بالضحي فإن عسعس اللي
لُ جعلنا الدليلَ ضوء الشّهاب
وقضينا في الغاب وقتاً جميلاً
في جوارِ الغُدرانِ والأعشاب
تارةً في ملاءٍ من شُعاعٍ
تارةً في ملاءٍ من ضباب
تارةً كالنسيم نمرحُ في الوا
دي، وطوراً كالجدولِ المنسابِ
في سفوحِ الهضابِ والظلِّ فيها
ومع النُّورِ وهو فوق الهضاب
إنما نفسي التي ملّت العُمُ
رَأن ملّت في الغاب صمّت الغاب
فأننا فيه مستقلُّ طليقُ
وكأنني أدبُ في سـرداب



علّمتني الحياةُ في القَفْرِ أني
أينما كنتُ - ساكنُ في التُّراب
وسأبقى ما دمتُ في قفصِ الصُّلِّ
صالِ عبدِ المُنَى أسير الرِّغاب
خلّتُ أني في القَفْرِ أصبحتُ وحدي
فإذا الناسُ كلُّهم في ثيابي



١٤ - التمثال

[الطويل]

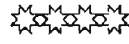
من المرمز المسنون صاغوا مثاله
وطافوا به من كل ناحية زمراً
وقالوا: صنعناه لتخليد رسمه
فقلت: ألا يفنى كما فنى الأثر؟
وقالوا: نصبناه اعترافاً بفضله
فقلت: إذن من يعرف الفضل للحجر؟
وقالوا: غني كان يسخو بماله
فقلت لهم: هل كان أسخى من المطر؟
وقالوا: قوي عاش يحمي دمارنا
فقلت لهم: هل كان أقوى من القدر؟
أكان غنياً أم قوياً فإنه
بمالكُم استغنى وقوتكم ظفر
فلم يتعشّقكم ولا همتم به
كما خلّتم، لكنه النفع والضّرر
ولم ترفعوا التمثال للبأس والندى
ولكن لضعف في نفوسكم استتر
فأستمّ تحبون الغني إذا افتقر
ولستمّ تحبون القوي إذا اندحر
رأيتكم لا تعرجون بروضة
إذا لم يكن في الروض في ولا ثمر

وَلَا تَعْلَفُونَ الشَّاءَ إِلَّا لَتَسْمُنُوا
وَلَا تَقْتَنُونَ الْخَيْلَ إِلَّا عَلَى سَفَرٍ
إِذَا كَانَ حُبُّ الْفَضْلِ لِلْفَضْلِ شَأْنَكُمْ
وَلَمْ تُخْطِئُوا فِي الْحَسِّ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ
فَمَا بِالْكُمِّ لَمْ تُكْرِمُوا اللَّيْلَ وَالضُّحَى؟
وَلَمْ تَنْصِبُوا التَّمْثَالَ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ؟

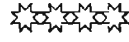
١٥ - المساء

[مجزوء الكامل]

السُّحْبُ تَرْكُضُ فِي الْفَضَاءِ الرَّحْبِ رَكُضَ الْخَائِفِينَ
وَالشَّمْسُ تَبْدُو خَلْفَهَا صَفراءَ عَاصِبَةً الْجَبِينِ
وَالْبَحْرُ سَاجٍ صَامِتٌ فِيهِ خَشْوَعُ الزَّاهِدِينَ
لَكُنَّمَا عَيْنَاكَ بَاهِتَتَانِ فِي الْأَفْقِ الْبَعِيدِ
سَلَمَى! ... بِمَاذَا تُفَكِّرِينَ؟
سَلَمَى! ... بِمَاذَا تَحْلُمِينَ؟



أَرَأَيْتِ أَحْلَامَ الْطِفُولَةِ تَخْتَفِي خَلْفَ التُّخُومِ؟
أَمْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ أَشْبَاحَ الْكُهُولَةِ فِي الْغَيُومِ؟
أَمْ خَفَّتِ أَنْ يَأْتِيَ الدَّجَى الْجَانِي وَلَا تَأْتِيَ النُّجُومُ؟
أَنَا لَا أَرَى مَا تَلْمَحِينَ مِنَ الْمَشَاهِدِ إِنَّمَا
أُظْلِلُهَا فِي نَظَائِرِكَ
تَنَمْ يَا سَلَمَى عَلَيْكَ



إِنِّي أَرَاكَ كَسَائِحٍ فِي الْقَفْرِ ضَلَّ عَنْ الطَّرِيقِ
يَرْجُو صَدِيقاً فِي الْفَلَاةِ، وَأَيْنَ فِي الْقَفْرِ الصَّدِيقُ
يَهْوَى الْبُرُوقَ وَضَوْءَهَا وَيَخَافُ تَخْدَعُهُ الْبُرُوقُ
بَلْ أَنْتِ أَعْظَمُ حَيْرَةً مِنْ فَارِسٍ تَحْتَ الْقَتَامِ^(١)
لَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ صَارُ
وَلَا يَطِيقُ الْإِنْسَانُ كَسَارُ

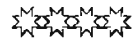


(١) الغبار

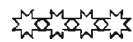
هذى الهواجِسُ لم تكن مرسومةً في مقلَّتَيْكَ
فأقْدَ رأيتُكَ في الضَّحَى ورأيتُهُ في وجنَّتَيْكَ
لكنَّ وجدْتُكَ في المساء وضعتِ رأسك في يديكَ
وجلستِ في عينيك الغارُ وفي النفسِ اكتئابُ
مثلُ اكتئابِ العاشقينِ
سلامى... بماذا تفكرين؟



بالأرضِ كيف هوتْ عروشُ النورِ عن هضباتها؟
أم بالمرجِ الخضِرِ ساد الصمتُ في جنباتها؟
أم بالعصافيرِ التي تعدو إلى وُكُناتِها؟
أم بالمسا؟ إنَّ المسا يُخفي المدائن كالقري
والكوخَ كالقصرِ المكينِ
والشُّوكَ مثلَ الياسمينِ

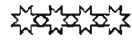


لا فرقَ عند الليلِ بين النهرِ والمستنقعِ
يخفي ابتساماتِ الطروبِ كأدمعِ المتوجعِ
إنَّ الجمالَ يغيبُ مثلُ القبحِ تحت البُرْقِعِ
لكنَّ لماذا تجزعينَ على النهارِ واللدجِ
أحلامُهُ ورغائيبُهُ
وسمماؤُهُ وكواكبهُ

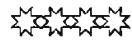


إن كان قد ستر البلاد سهولها ووعورها
لم يسلب الزَّهر الأريج ولا المياه خريرها
كلا. ولا منع النسائم في الفضاء مسيرها
ما زال في الورقِ الحفيف وفي الصَّبَا أنفاسها

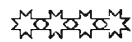
والعندليب صداحه
لا ظفره وجناحه



فاصغى إلى صوت الجدول جاريات في السفوح
واستنشقي الأزهار في الجنات ما دامت تفوح
وتمتعي بالشهب في الأفلاك ما دامت تلوح
من قبل أن يأتي زمان كالضباب أو الدخان
لا تبصرين به الغدير
ولا يَأْذُكَ الخريز



لتكن حياتك كلها أملاً جميلاً طيباً
ولتملأ الأحلام نفسك في الكهولة والصبا
مثل الكواكب في السماء وكالأزهار في الربا
ليكن بأمر الحب قلبك عالماً في ذاته
أزهاره لا تذبل
ونجومه لا تأفل



مات النهار ابن الصباح فلا تقولي كيف مات
إن التأمل في الحياة يزيد أوجاع الحياة
فدعي الكآبة والأسى واسترجعي مرح الفتاة
قد كان وجهك في الضحى مثل الضحى متهللاً
فيه البشاشة والبهاء
ليكن كذلك في المساء



١٦ - الكمنجة المحطمة

[الكامل]

شاهدتها كالميت في أكفانه
فَوجِمتُ إلا عبْرَةً أُذْريها
مَهْجورةٌ كسفينةٍ منبوذةٍ
في الشَّطْ غاب وراءه ماضيها
نسجتُ عليها العنكبوتُ خيوطها
وكسا الغبارُ غلالةً تكسوها
أقوتُ وبانتُ كالمسامعِ بعدها
لا شيء يُطربُّها ولا يشجِّجها
وكانها في صمتها مشدوهاً
ألا ترى بهُتَافها مشدوها
لا حسَّ في أوتارها، لا شوقَ في
أضلاعها، لا حُسنَ في باقيها
فارزحْ بحزبك يا حزينُ فإنها
لا تنشرُ الشكوى ولا تطويها
وإذا انقضى عهدُ التعلُّلِ بالمني
فالنفسُ يشفِّفها الذي يُريها
❖❖❖❖❖
لله عهدٌ مرَّلي في ظلِّها
أبكي عليه وتارةً أبكيها

كانتْ كان ضلوعها موصوله
بأضالعي، وسرائري في فيها
كم مرةً حامتْ غرابيب^(١) الأسي
لتُقيت من قلبي الجريحِ بنيتها
فإذا الأغاريدُ اللطيفةُ دونها
سُورٌ يصونُ حُشاشتي ويقيها
كم هزني الشدو الرخيمُ فساقطتْ
نفسِي هُموماً أوشكتْ تُباليها
فإذا أنا مثلُ البنفسجة التي
ذُبلتْ فباكرها الندى يُحييها
ولكم سمعتْ خفوقَ أجنحة المني
وحفيفها في نغمة توحيتها
فسكرتْ حتى ما أعي، سُكر امرئٍ
بالخمرِ أترع كأسه ساقيةا
ورأيتُني في جنة سحرية
لا يرتوي من حُسنها رائيتها
ولحتْ أحلام الشبابِ مواكباً
تتري أمامي، والهوى حاديتها
سرُّ السعادة في الرؤى إن الرؤى
لا كفٌ تُثبتُها ولا تمحوها

(١) شديدة السواد

ولكم سمعتُ دبيب أشباحِ الأسي
عند المسا في أنة تُزجِيها
فذكرتُ ثم محاسناً تحت الثرى
غابت وشوَّهها البلى تشويها
فإذا أنا كالسنديانة شوشتُ
أغصانها الريح التي تلويها
أو كالسفينة في الضباب طريقها
ضلتُ، وغابت أنجمٌ تهديها
شهد الدجى والفجرُ أني جازعُ
لسكوتها جزع الغدير أخوها
ما إن سمعتُ أنينه ونشيجهُ
إلا ويعرو النفس ما يعروها
روى الثرى يا ليت روعي في الثرى
أو في النبات لعله يُرويهَا
يا صاحبي وفي حنايا أضلعي
همُّ يَكْظُّ الروح بل يُدميها
إن التي نقلتُ حكايات الهوى
لم يبقَ غيرُ حكاية تُرويهَا
كمدينة دكَّ القضاء صروحها
دكًّا، وكفنَّ بالسكوت ذويها
نُعيتُ فريع الفجرُ وارتعش الدجى،
ما كان أهونها على ناعيتها

لا تعجبا في الغاب من نوح الصبا
وعويلها إن الصبا ترثيها
لو تسمعان نجيها متمشياً
كالسحر في الأرواح يستهويها
لعلمتُما أن القضاء اغتالها
كيلا تبوح بكل سرفيها

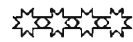
١٧ - زهرة أقحوان

[مجزوء الرمل]

كان في صدري سرُّ كامنٌ كالأفـعـوانِ
أتوقَّاهُ وأخشى أن يـرأه من يراني
وإذا لاح أمامي عـقـل الذُّعـرُ لـسـانـي
فـكـانـي عـنـد بـحـر هائـجٍ أو بُـرْـكـان^(١)
لم أخفُّه غير أني خفتُ أبـنـاءَ الزـمـانِ
ولكم فـانٍ نظـيـري خاف قبـلي بطش فـانٍ



لم يسعُ سري فؤادي، لم تسعُ نفسي المعاني
فقصدتُ الغاب وحدي والدجى مُلقى الجـران^(٢)
ودفنتُ السرَّ فيه مثلاً ما يدفنُ جان
ورأى الليلُ قتيـلي فـبـكـاهُ وبـكـانـي
إنَّ لـيـل دـمـوعاً لا تـراها مـقـاتـان

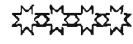


كنتُ حتَّى مع ضـمـيري أـمـس في حـربِ عـوانِ
فانقضى عهدُ التَّجـافـي وأتى عهدُ التَّداني
خُـدِـرتُ رـوحـي فـأـمـسـى شـأنُ جُلِّ الخـالقِ شـانـي
لا أرى في الخمر معنًى، ولكم فيها معانٍ!
فـكـانـي أـلـة العـاصـرِ أو إـحـدى الأوانـي
لم يـعـُدْ قـالـبي كـالـبـرقِ شـديـد الخـفـان

(١) التشديد لضبط الوزن

(٢) مقدم عنق البعير، يمدّه على الأرض فيقال ألقى جرانه بالأرض

لَمْ تَعُدْ نَفْسِي كَالنَّجْمَةِ ذَاتِ اللَّمَعَانِ
بِتُّ لَا أَبْكِي لِمَ ظَلَمُوا وَلَا حُرُّمُهُانِ
لَا وَلَا أَحْفَلُ بِالْبَاكِ وَلَوْ نُوْصُولُجَانِ
صِرْتُ كَالصَّخْرِ، سِوَاءِ هَادِمٍ عِنْدِي وَبَانِ !



يَا الْأَمَانِيَّ الْغَوَالِي ! يَا الْأَحْلَامِيَّ الْحَسَنَانِ !
طَوْتُ الْغَابَةَ سِرِّي فَاَنْطَوْتُ مَعَهُ الْأَمَانِي
ضَاعَ لِمَا ضَاعَ شَيْءٌ مِنْ كِيَانِي، بَلْ كِيَانِي
فِي صَبَاحٍ مَسْتَطِيرٍ كَصَبَاحِ الْمَهْرَجَانِ
لَبِستُ فِيهِ الرُّوَابِي حُلَّةً مِنْ أَرْجَوَانِ
وَتَبَدَّى الْغَابُ مِنْ أَوْرَاقِهِ فِي طِيلِ السَّانِ
سَاقَنِي رُوحٌ خَفِيٌّ نَحْوُ ذِيَّكَ الْمَكَانِ
فَإِذَا بِالسُّرِّ أَضْحَى زَهْرَةً مِنْ أَقْحَوَانِ !



١٨ - الأسرار

[الكامل]

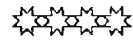
يا ليتني لصٌ لأسرقُ في الضحى
سرَّ اللطافة في النسيم السَّاري
وأجس مؤتلقَ الجمالِ بإصبعي
في زرقاة الأفق الجميلِ العاري
ويبينَ لي كُنْهَ المهابة في الربا
والسرُّ في جذلِ الغديرِ الجاري
والسحرُ في الألوانِ والأنغامِ والـ
أنباءِ والأشْـذاءِ والأزهارِ
ويشاشةُ المرجِ الخصبِ ووحشةُ
وادي الكئيبِ وصولهُ التَّيارِ
وإذا الدُّجى أرخى علي سُدولهُ
أدركتُ ما في الليلِ من أسرارِ
فلكم نظرتُ إلى الجمالِ فخلتُهُ
أدنى إلى بصري من الأشْفار^(١)
فطأبته فإذ المغالقُ بونه
وإذا هنالك ألفُ ألفِ ستارِ
بادٍ ويعجزُ خاطري إدراكهُ
وافتننتي بالظاهرِ المتَّواري!

(١) شُفر العين حرف الجفن الذي ينبت عليه الهدب

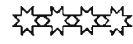
١٩. العميان

[الخفيف]

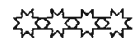
كَمْ خَفَضْنَا الْجَنَاحَ لِلْجَاهِلِينَ
وَعَذَرْنَا هُمْ فَمَا عَذَرُونَا
خَبَرُوهُمْ يَا أَيُّهَا الْعَاقِلُونَ
إِنَّمَا نَحْنُ مَعْشَرُ الشُّعْرَاءِ
يَتَجَلَّى سِرُّ النُّبُوَّةِ فِينَا



ذَكَّرُوهُمْ فَرُبَّ خَيْرٍ كَبِيرٍ
فَعَلَّتْهُ الْهُدَاةُ بِالتَّذْكِيرِ
إِنَّمَا النَّاسُ مِنْ تَرَابٍ وَنُورٍ
فَبِنُوا النُّورَ يَعْبُدُونَ النُّورَا
وَبِنُوا الطِّينَ يَعْبُدُونَ الطِّينَا



قِيلَ عَنَّا قُصُورُنَا مِنْ هَبَاءٍ
تَتَلَاشَى فِي ضُحُوَّةٍ وَمَسَاءٍ
أَوْ سَطُورٌ بِالمَاءِ فَوْقَ المَاءِ
لَوْ سَكَنْتُمْ قُصُورُنَا بَعْضُ سَاعَةٍ
لَنَسِيْتُمْ شُهُورَكُمْ وَالسَّنِينَ

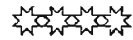


لَوْ دَخَلْتُمْ هَيْأَكِلَ الْإِلَهَامِ
وَسَرَحْتُمْ فِي عَالَمِ الْأَحْلَامِ
وَاجْتَلَيْتُمْ سِرَّ الْخِيَالِ السَّامِي

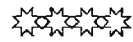
وعرفتُم كما عرَفنا الله
لخررتُم أمامنا ساجدينَا



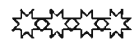
قد سقَّنا الحياةُ كأساً دهاقَا
حسُنَتْ نكهةٌ، وطابت مذاقَا
وسقَّينا مما شربنا الرِّفاقَا
فتركناهم حيارى سُكارى
يتمنُّون أنهم لا يعونا



همُّكم في الكؤوس والأكوابِ
أه لو كان همُّكم في الشرابِ
لطرحتم عنكم قيود التُّرابِ
وشعرتم بلذَّةٍ أو عذابِ
هذه الخمرُ ليتكم تشربونا!



أتقولون: إنه مجنون!
أتقولون: إنه مفتون!
أتقولون: شاعرٌ مسكين!
كم ماليك، كم قائد، كم وزيرٍ
ود لو كان شاعراً مسكينَا



عاش «ملتن» فلم يكن مذكوراً
و«هوميروس» «كالشيخ» كان ضريراً
ولقد مات «ابن بُرد» فقيراً
أرايتم كما رأى العميانُ؟
أفليستم بنورهم تَهْتَدونا ؟



٢٠ - الزمان

[الكامل]

يمشي الزمانُ بمنْ ترقّب حاجةً
مُتَثاقلاً كالخائف المتردّد
حتى ليحسبهُ أسيراً مُوثّقاً
ويراهُ أبطأ من كسيحٍ مُقعد
ويخالُ حاجتهُ التي يصبو لها
في دارة الجوزاء أو في الفِرْقَد
ويكونُ ما يرجوه زفرةً صاحبٍ
ويكونُ أبعد ما يُرجي في غد
~~~~~

فإذا تولّى النفس خوفٌ في الضحى  
من واقبٍ<sup>(١)</sup> تحت الدجى أو معتد  
طارَتْ بها خَيْلُ الزمانِ ونُوقُهُ  
نحو الزمانِ المدلّهم الأسود  
فكانها محمولةٌ في بارقٍ  
أو عارضٍ أو عاصفٍ في فدّ<sup>(٢)</sup>  
~~~~~

ويكونُ أقصر ما يكونُ، إذا الفتى

(١) داخل (وقب دخل).

(٢) الأرض الواسعة المستوية

مدَّتْ له الدُّنيا يدَ المتوَدِّدِ
فتوسَّطَ الأُذاتِ غيرَ مُنفَقِرٍ
وتوسد الأحلامَ غيرَ منكُودِ
فإذا لذيذُ العيشِ نُغْبَةً طائرٍ
وإذا طويلُ الدهرِ خطرةٌ مرُودِ
❦❦❦❦❦❦

وإذا الفتى لبسَ الأسى ومشى به
فكأنما قد قال للزمنِ أقعدِ
فإذا الثواني أشهرُ، وإذا الدُّقا
نُقْ أعصرُ، والحزنُ شيءٌ سرمدِ
وإذا صباحُ أخي الأسى أو ليْلُهُ
متجددٌ مع همه المتجددِ
قهر الورى وأذلَّهم أن الورى
متعللٌ أو طامعٌ أو مُجتدِ
جعلوا رغائبهم قِياسَ زمانهم
والدهرُ أكبرُ أن يقاسَ بمقصدِ
وقتلْتُ في نفسي الرغائبَ والمنى
فقهرته بتجرُّدي وتزهُدي
يشكو الذي تشكو السُّهاد جفونه
لو لم يكن ذا ناظرٍ لم يسَّهدِ
إن كان شيءٌ للنفسِ أعدُّه
في ما انقضى ومضى، وإن لم ينفدِ
ما إن رأيتُ الكُحلَ في حدقِ المِها
إلا لحتُ الدُّودَ خلفَ الإثمِ
من ليس يضحكُ والصباحُ مُورِدُ

لم يكتتب والصبح غير مُورّد
سيّان أحلام أراها في الكرى
عندي، وأشياء بها اشتملت يدي
أنا في الزمان كموجة في زاخر
أنا فيه إن يُزبد وإن لم يُزبد
مهما تلاطم فهو ليس بمُغرقي
أو مُخرّجي منه ولا بمُبددي
هيهات ما أرجو ولا أخشى غداً
هل ارتجي وأخافُ ما لم يوجد
والأمس في فكيف أحسبه انتهى
أفما رأيت الأصل في الفرع النّدي؟
قبل كبعْد حاله وهميّه
أمسي أنا، يومي أنا، وأنا غدي

٢١ - اليتيم

[الخفيف]

خبروني ماذا رأيتم ؟ أطففا
لأ يتامى أم موكبا علوياً
كزهور الربيع عرفاً زكياً
ونجوم الربيع نوراً سنياً
والفراشات وثبةً وسكوناً
والعصافير بل الذُّ نجيّاً
إنني كلما تأملتُ طفلاً
خلتُ أني أرى ملاكاً سويّاً
قل لمن يبصر الضباب كثيفاً
إن تحت الضباب فجراً نقيّاً
اليتيم الذي يلوح زريّاً
ليس شيئاً، لو تعلمون، زريّاً
إنه غرسه ستُطلع يوماً
ثمراً طيباً وزهراً جنيّاً
ربما كان أودع الله فيه
فيلسوفاً، أو شاعراً، أو نبياً
لم يكن كلُّ عبقرى يتيماً
إنما كان كاليتيم صبيّاً
ليس يدري لكنه سوف يدري
أن ربَّ الأيتام ما زال حيّاً

عندما يصبحُ الصغيرُ فتياً
عندما يلبسُ الشَّبابُ حُلِيًّا
كلُّ نجمٍ يكونُ، من قَبْلِ أن يَبْدُ
دو سديماً، عن العيون خفياً
إنَّ يَكُ الموتُ قد مضى بأبيه
ما مضى بالشعور فيك وفيَّا
وشقاءٌ يُولدُ الـرَفَقَ فينَّا
لَهُوَ الخَيْرُ بالشقاء تَزِيًّا
لا تقولوا من أمُّه؟ من أبوه؟
فأبوه وأمُّه سورِيَّا
فأعينوه كي يعيش وينمو
ناعم البَالِ في الحياة رَضِيًّا
رُبَّ ذَهْنٍ مِثْلَ النِّهَارِ مُنِيرٍ
صار بالبؤس كالظلام دَجِيًّا
كم أثيمٍ في السَّجْنِ لو أدركتهُ
رحمةُ الله كان حُرّاً سَرِيًّا
حاربوا البؤس في الصغار صغاراً
قبل أن يستبد فيهم قوياً
كُلُّهُمْ ذاك الجريحُ الملقَى
فلنكنَّ كلنا الفتى «السَّامِرِيَّا»^(١)

(١) قصته في القرآن الكريم (سورة طه، الآيات ٨٥ وما بعدها). وهو الذي أخرج لقوم موسى العجل الذهبي بعد خروجهم من مصر.

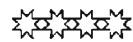
٢٢ - المجنون

[مختلط]

أطار عني النوم صوتُ في الدجى
كأنه دمدمة الشلالِ
يصرخُ والريحُ ترددُ الصدى
في أذنِ الفخاء والقتالِ
يا ليلُ قفْ هنيهةً قبالي
تري البرايا وأرى الليالي
أنا الشَّادي، أنا الباكي،
أنا العاري، أنا الكاسي
أنا الخمرة والذنُّ
أنا السَّاقِي، أنا الحاسي



خالعتُ ثوباً لم تفصِّلهُ يدي
وهمتُ في الوادي بلا سربال
وخَلَّتْني انطلقتُ من سلاسلِي
وخَلَّصْتُ ذاتي من الأوحالِ
فلم أزلْ أرسفُ في أغلالِي
ولم أزلْ في حنْدَسِ المَحَالِ
فمما أبكي من الغُرْبِ
سنة عن جارٍ وعن خَدَنِ
فقد يرجعُ جيرانِي
وَتَنَفَّى غُرْبَتِي عَنِّي



عرفتُ في النهارِ كلَّ مُقبلٍ
ومُدبرٍ، وما عرفتُ حالي
واسْتَتَرْتُ عني السهولُ والرُّبا
تحت الدُّجى، والبحرُ ذو الأهوالِ
لكنَّما لم تستترْ أُمالي
عني ولا نقصي ولا كمالي
ولا ضِعفي ولا عزمي
ولا قُبْحِي ولا حسبي
فكم أهربُ من نفسي
ومالي مهربُ مني

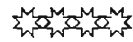
فقلتُ: من هذا؟ فقال صبحي:
مُوسَّوسٌ يهذي من الخيالِ
يلوي إلى الأدغال في نهاري
كأنه جزءٌ من الأدغالِ
وفي الدُّجى له صراخُ عالٍ
كأنه والليلَ في نضالٍ
كأنَّ الليلَ يوْثِقُهُ
بأغلالٍ وأمراسٍ
ويضربُ جسمَهُ العاري
بسوط الظالم القاسي

مما إنَّ رآه أحَدٌ إلا رآ
هُ شاخصَ الطُّرفِ إلى الأعالي

كأنما يرقبُ ركباً صاعداً
أو هابطاً وليس غير الال^(١)
كأنما يخشى على الهلالِ
وسائر الشُّهبِ من الزوالِ
فصاح الصوتُ ما أرجوه
في نفسي وما أحذرُ
فمهما رُحِبَ الأفقُ
فنفسِي الأفقُ الأكبرُ



ليس جلالُ الليلِ ما أدهشني
وإنما أدهشني جلالِي
ولا جمالُ الشُّهبِ ما حيّرني
وإنما حيّرني جمالي
إن كان بي شوقٌ إلى وصالِ
فإنما شوقي إلى خيالي
توشّحتُ الضُّحى والليلُ
لَ في أنفسي وفي حُرني
فمما زاد الدجى خوفاً
ولا زاد الضُّحى أمانِي



لم أهرِجِ الناسَ فأصنافُ الوري
من السُّلاطينِ إلى الموالِي
إلى نوي العلمِ إلى أهل الغنى
من واصلٍ وهاجرٍ وسالٍ

(١) السراب

٢٣ - قطرة الطلّ

[مجزوء الرمل]

إنّ تر زهرة وردٍ، فوقَها لطلّ قطرة
فتأمّلُها كأنّ غزٍ غامضٍ تجهلُ سرّه
ولتكنّ عينُك كفّاً، وليكنّ لمسُك نظره
ليست الحمراء جِمره؛ لا ولا البيضاء دُرّه



رُبّ روحٍ مثليّ رُوحِي عافت الدنيا المُضرة
فارتقت في الجوّ تبغي منزلاً فوق المجرّه
علّها تحيا قليلاً في الفضاء الحرّ حرّه
ذرفتْها مقلّة الظلّماء عند الفجرِ قطره



٢٤ - نار القرى^(١)

[الكامل]

رُوحِي الَّتِي بِالْأَمْسِ كَانَتْ تَرْتَعُ
فِي الْغَابِ مِثْلَ الظُّبْيَةِ الْقَمَرَاءِ
تَقْتَنَاتُ بِالثَّمَرِ الْجَنِيِّ فَتَشْبَعُ
وَيَبُلُّ غُلَّتْهَا رِشَاشُ الْمَاءِ
نَظَرْتُ إِلَيْكَ فَأَصْبَحْتُ لَا تَقْنَعُ
بِالْمَاءِ وَالْأَفْيَاءِ فِي الْغَبَرَاءِ
تُصْغِي وَتُنْصِتُ، وَالْحَمَامَةُ تُسْجَعُ
إِصْفَاؤُهَا لَكَ لَيْسَ لِلرُّوقَاءِ
نَادِيَتُهَا فَأَها إِلَيْكَ تَطْلُعُ
هَذَا التُّطْلُعُ كَانَ أَصْلَ شِقَائِي
جَنَحْتَنِي كَيْمَا أَطِيرَ فَلَمْ أَطِرْ
هِيَ هَاتِ إِنَّكَ قَدْ طَوَيْتَ سَمَائِي



قَدْ كَانَ يَسْتَبِينِي الْجَمَالُ الرَّائِعُ
حَتَّى لِمَحْنُكَ فَهُوَ لَا يَسْتَبِينِي
عَصَفْتُ بِصَدْرِي لِلْيَقِينِ زَوَابِعُ
ثَلَّتْ عُرُوشُ تَوْهَمِي وَظَنُونِي
فَأَنَا عَلَى مَا ضَاعَ مِنِّي جَاذِعُ
إِنَّ الَّذِي قَدْ ضَاعَ جِدُّ ثَمِينِ

(١) رمز، في الشعر القديم، لمواطن الوحي وضوئه، تعشو إليه الأنظار

لولاك ما مات الخيالُ اليافعُ
أفتعجبينَ إذا كرهتُ يقيني
هذا صنيعُك بي، فما أنا صانعُ
قد شاءَ بحركُ أن تَصلُ سفيني
جردتَ هذا الطينَ من أوهامه
وكبرتَ عن قارورةٍ من طين
~~~~~

كيف الوصولُ إليك يا نار القري  
أنا في الحضيضِ وأنتِ في الجوزاء  
لي ألفُ باصرةٍ تَحَنُّ كما ترى  
لكنَّ دونك ألفُ ألف غطاء  
لو من ثرى، مزقَتْها بيد الثرى  
لكنها سجفٌ من الأضواء  
سألتُ قلبي إذ رأى فتحيُّرا  
ماذا شربتَ فمدتَ؟ قال دمائي  
يا ليتَه قد ظلَّ أعمى كالورى  
فلقد نعمتُ، وكان في ظلماء  
قد شَوَّشتُ كَفَّ النهارِ سكينتي  
يا هذه رُدِّي إلي مسائي  
~~~~~

أمسيتُ حينَ لَمَسْتَنِي بيدك
لي ألفُ باصرةٍ وألفُ جناح
ولحتُ نار الوحي في عينيك
والوحيُّ كان سُلَافَةَ الأرواح
فنشَرْتُ أجنحتي وحممتُ عليك
متوهماً أني وجدتُ صباحي

قد كان حتفي في الدُّنُو إليك
حتفُ الفراشة في فم المصباح
فسقطتُ مرتعشاً على قدميك
النارُ مهدي والدخانُ وشاحي
يا ليت نورك حين أحرقني انطوى
فعلى ضيائك قد لمستُ جراحي

٢٥ - ابن الليل

[مجزوء الرمل]

أشرف البدرُ على الغابة في إحدى الليالي
فرأى الثعلب يمشي خلسةً بين الدوالي
كأَمَّا لَاحُ خيالٍ خاف من ذاك الخيالِ
واقشعراً

ورأى ليثاً هصُوراً واقفأً عند الغديرِ
كلما استشعر حساً ملأ الوادي زئيرُ
فإذا بالماء يجري خائفاً عند الصخورِ
مُكْفَهراً

ورأى البدر ابنُ أوى يتهادى في الفضاءِ
كمالكٍ حوله الشُّهْبُ جنودُ وإماء
قال: لو كنتُ رفيقَ البدرِ، أو بدر السَّماءِ
أو خيالةً

عشتُ حرّاً جيرتي الشُّهْبُ، ولي الظلماءُ مركبُ
أمناء، أَلْعَبُ بالبرقِ وطوراً بي يَلْعَبُ
لا أبالي سَطْوَةَ الراعي ولا الكلبِ المجرَّبُ
وصيالةً

غير أنَّ الليثَ لما أبصر البدر الضحوكا
قال: يا ابن الليل مهما أشتهي لا أشتَهِيكَا
أنت وضَّاحٌ ولكنَّ قاحلٌ لا صيد فيكَا
أو حيالكُ

لَكَ هَذَا، الْأُفُقُ لَكِنْ هُوَ أَيْضاً لِلْكَوَاكِبِ
إِنَّمَا لَوْ كُنْتَ لَيْثاً ذَا نِيُوبٍ وَمِخَالِبٍ
لَمْ تَعَثْ فِي وَجْهِكَ الْوَضْأَاحِ الْحَاظُ الثَّعَالِبُ
صُنْ جَمَالَكَ

٢٦ - أنا

[الكامل]

حُرُّ مذهبٍ كلِّ حُرِّ مذهبٍ
ما كنتُ بالغاوي ولا المتعصبِ
إني لأغضبُ الكريمِ ينوشُهُ
من لونه وألومُ من لم يغضبِ
وأحبُّ كلَّ مهذبٍ ولو أنه
خصمي، وأرحمُ كلَّ غيرِ مهذبٍ
يأبى فؤادي أن يميلَ إلى الأذى
حبُّ الأذية من طباعِ العقربِ
لي أن أردُّ مساءةً بمساءةٍ
لو أنني أرضى ببرقِ خُلبِ
حسبُ السيِّ شعوره، ومقاله
في سره: يا ليتني لم أذنبِ



أنا لا تغشني الطَّيَّالِسُ والحُلَى
كم في الطَّيَّاليسِ من سقيمٍ أجربِ
عيناك من أثوابه في جنَّةٍ
ويداك من أخلاقه في سببِ سببِ
وإذا بصُرتَ به بصُرتَ بأشْمَطِ
وإذا تُحدِّثُهُ تَكشِفُ عن صبي

إني إذا نزلَ البلاءُ بصاحبي
دافعتُ عنه بنَاجِذِي^(١) وبمخالبي
وشدّدتُ ساعدَهُ الضعيفَ بساعدي
وسترتُ منكَبَهُ العُريَّ بمنكبي
وأرى مساوئَهُ كَأَنِّي لا أرى
وأرى محاسنَهُ وإنَّ لم تُكْتَبْ
والوَمُ نفسِي قَبْلَهُ إن أخطأتُ
وإذا أساءَ إليَّ لم أتعَتَّبْ
مُتَقَرِّبٍ من صاحبي، فإذا مشتُ
في عطفه الغُلَّاءُ^(٢) لم أتَقَرَّبْ
أنا من ضميري ساكنٌ في معقلٍ
أنا من خَلالِي^(٣) سائرٌ في موكبٍ
فإذا رأيَ نو الغَباوَةِ نوهُ
فكما يرى في الماءِ ظلُّ الكوكبِ

(١) السِّنَّ بين الناب والأضراس (الجمع نواجذ)

(٢) الغُلَّاءُ الغلَّوُّ والشطط

(٣) الخَلَّةُ الخَصلة، من صفات الناس

٢٧ - الإله الثرثار

[الخفيف]

زعم المرء أنني ما هُوربُ
كم يـاـلـوك الكلام هذا الإله!
يلفظُ البحرُ، وهو ملحُ أجاجُ
لؤلؤاً يبهر العيونَ سناه
ما ادعى الدرُّ أنه صورةُ البـدْ
رر ولا قال: إنني إياه
لا ولا قال كلُّ شيءٍ إلى المحْ
ووما خُص بالخـلـود سواه
إن تكن الخـلـود ذاتك في الددْ
يا، فماذا الأمرُ الذي تهواه؟
وإذا صرت غير شخصك في الأخْ
رى، فهذا الفنا الذي تخشاه
في الترابِ الذي تدوسُ عليه
ألف دنيا وعالمٌ لا تراه
أنت جزءٌ من الكيان، وفيه
كَنَـرَاهُ كَنَبَّتُهُ كحـصاه
كالورود التي تُحبُّ شذاهـا
والبعوضِ الذي تخافُ أذاه
ما لحي بالموتِ عنه انفصالُ
إن دنياه هـذه أخـراه

٢٨ - الأشباح الثلاثة

[المقدارك]

رَأَوْنِي النَّوْمُ وَمَا بَرِحَا
حَتَّى طَاطَأْتُ لَهُ رَاسِي
أَطَبَقْتُ جَفَوْنِي فَأَنْفَقْتُهَا
بَابَ الرُّؤْيَا وَالْوَسْوَاسِ

أَبْصَرْتُ كَأَنِّي فِي مَوْضِعٍ
مَا فِيهِ غَيْرُ الْأَرْوَاحِ
فَوَقَفْتُ بِعِيدٍ أَتَطَلَّعُ
فَلَمْ حَتِّ ثَلَاثَةَ أَشْبَاحِ

وَلَدَيْتُهُادِي فِي الْعَشْرِ
وَفَتِي فِي بُرْدِ الْعَشْرَيْنَا
وَالثَّالِثُ شَيْخٌ فِي طَمَرٍ^(١)
نَوْ جِسْمٍ يَحْكِي الْعُرْجُونَ^(٢)

وَإِذَا بِالْأَوَّلِ يَقْتَرِبُ
مَنِي كَالطَّائِرِ فِي الْوُتْبِ
فَشَعَرْتُ كَأَنِّي أَضْطَرُّ
وَكَأَنَّ خَطَاهُ عَلَى قَلْبِي

(١) الطَّمَر: الثوب الخلق البالي (وجمعه أظمار)

يا نفسي ما هذا الفَرْقُ ؟
لا رَمَحُ مَمْعَهُ ولا نَنْبَلُ
ولماذا الخَشْيَةُ والقَلَقُ
والخَلَقُ أَحَبُّهُمْ الطُّفْلُ

وإذا بالطُّفْلِ يَخاطُبُنِي
بِكَلَامٍ لَا يَتَكَلَّفُهُ
وَيُمَارِحُنِي وَيُدَاعِبُنِي
فَكأنِّي شَخْصٌ يَعْرِفُهُ:

«ما بالك منك مشأ كَمدا؟
قم نالعب في فيء الشَّجَرِ
ونهزَّ الأغصن والعُمدَا
وننود الطير عن التُّمر

أو نصنعُ خيالاً من قَصَبِ
أو طيِّراتٍ من ورقِ
ومُدى وسيفاً من خشبِ
ونَجُولُ ونركضُ في الطُّرُقِ

أو نأتي بالفحم القاتمِ
ونصوِّرُ فوق الأبوابِ
تنيناً في بحرِ عائمِ
أو ليلثاً يخطُر في غابِ

أَوْ كَلْبًا يَعْدُو، أَوْ حَمَلًا
يَرْعَى، أَوْ نَهْرًا، أَوْ هَضْبَةً
أَوْ دِيكًا يَنْقُدُ^(١) أَوْ رَجُلًا
يَمِشِي، أَوْ مُهْرًا، أَوْ عَرَبَةً

أَوْ نَجْبُلُ مَاءٍ وَتَرَابًا
وَنَشِيدُ بِيوتًا وَقُبَابًا
أَوْ نَجْعُلُ مِنْهُ أَنْصَابًا
أَوْ نَصْنَعُ حُلُومًا وَكَبَابًا»

مَنْتَلْتُ الطُّفْلَ وَدَنْيَاهُ
فَأَحْبَبْتُ نَفْسِي دَنْيَاهُ
وَوَدِدْتُ لَوْ أَنِّي إِيَّاهُ
بَلْ خَلْتُ كَأَنِّي إِيَّاهُ

فَضَحِكْتُ وَلَجَّ بِي الضَّحْكُ
حَتَّى اسْتَلْقَيْتُ عَلَى ظَهْرِي
فَاسْتَيْقَظَ فِي الْوَلَدِ الشُّكُّ
فَتَوَقَّفَ يَعْجَبُ مِنْ أَمْرِي

وَيَقُولُ: أَيَا هَذَا قَدْ كَا^(٢)
فَوَحَقُّكَ ذَا الطَّيْشِ الْأَكْبَرِ
مَا تَضَحِكُ مِنِّي بَلْ مِنْكَ
إِيَّاكَ أَنَا لَوْ تَتَذَكَّرُ!

(١) نقد الطائر الحب لقطه واحدة واحدة

وتَوَارَى عَنِّي وَاحْتَجَبَا
كَالْمَوْجَةِ فِي عُرْضِ النَّهْرِ
فَتَضَايَقَ قَلْبِي وَاضْطَرَبَا
وَارْتَجَّتْ رُوحِي فِي ص_____دْرِي

وَإِذَا الشَّيْخُ الثَّنَانِي أَقْبَلَ
يَتَرَنُّحٌ مِثْلَ الْمَخْمُورِ
الْأَيْلُ عَلَى الدُّنْيَا مُسَدِّلٌ
وَعَالِيهِ وَشَاحٌ مِنْ نَوْرِ

مَعَصُوبُ الْمُقَالَةِ، وَالدَّرْبُ
وَعَرٌ وَكَثِيرُ الْأَفَاتِ
كَسَفَيْنِ لَيْسَ لِهَارِبٍ
تَجْرِي فِي بَحْرِ الظُّلُمَاتِ

مَاذَا فِي الْأَفْقِ؟ فَقَدْ وَقَفَا
يَتَأَمَّلُ فِيهِ وَيَبْتَسِمُ
هَلْ لَاحَ لَهُ وَجْهُ عَرَفَا
أَمْ هَزَّ جَوَارِحُهُ نَغَمٌ؟

أَمْ أَبْصَرَ إِلَهَةً الْحُبِّ
تَدْعُوهُ إِلَيْهَا إِيْمَاءَ
لَا شَيْءٍ فِي الْأَفْقِ الرَّحْبِ
وَكَأَنَّ هُنَاكَ أَشْيَاءَ

الطَّيْرُ تُغْنِي الزَّهْرُ
ويظنُّ الطَّيْرُ تُسَاجِلُهُ
والزَّهْرُ تَرْحُبُ بِالْفَجْرِ
ويظنُّ الزَّهْرُ تُغَاظِلُهُ

ونظرتُ إليه في البِر
يَتَمَنَّى لَوْ خَاضَ الْبَحْرُ
ونظرتُ إليه في الْبَحْرِ
يَتَمَنَّى لَوْ بَلَغَ الْبِرَّ

يَتَأَفَّفُ مِنْ بَطْءِ الدَّهْرِ
والدهرُ يُسَيِّرُ بِهِ وَتَبَا
وينامُ لِيَحْلُمَ بِالْفَجْرِ
والفجرُ يُضِيءُ لَهُ الدَّرْبَا

وَيُسَائِلُ عَنْ كَأْسِ الْخَمْرِ
وَيُسَائِلُهُ عَنْهَا النَّاسُ
في اللَّيْلِ وَفِي وَضْحِ الْفَجْرِ
وَالْخَمْرُ فِيهِ وَالْكَأْسُ

فَصَبِرْتُ وَلَازِمْتُ الصَّمْتَا
حَتَّى دَانِيَ الظِّلُّ الظِّلُّ
فَأَشَرْتُ إِلَيْهِ مِنْ أَنْتَا ؟
فَأَجَابَ: أَنَا ذَاكَ الطُّفْلُ

ومضى كالظلّ إذا انتقلا
وأننا أرجو لو لم يمضِ
فأعدتُ لنفسي ما ارتجلا
فتعجب بعضي من بعضي

الشمس تزلُّ عن الأفقِ
كالروح المُحتضر السّاجي
غمرتّها أمواجُ الغسقِ
فتوارت خلف الأمواجِ

والغيمُ الأسودُ يحتشدُ
طبّقاً في الجوّ على طبّقِ
والليلُ يطولُ ويَطُردُ
والأرضُ كسارٍ في نفقِ

وإذا شيعُ في صحراءِ
كالزورق في عرضِ البحرِ
أعياءُ الصلحُ مع الماءِ
وأضاعُ الدّربِ إلى البرِ

يمشي في الأرض على مهلِ
وعلى حذرٍ، لكنّ يمشي
كالشاة تُساقُ إلى القتلِ
بعضاً جبارٍ ذي بطشِ

يا شيخُ.. لماذا لا تَقِفُ
دميتَ رجلاً من الرُّكُضِ
فأجاب بصوتٍ يرتجفُ:
الأرضُ تسيّرُ على الأرض!

يا شيخُ.. رويداً فالبدْرُ
سيضيءُ الدربَ فتستهدي
فأجاب: ويتلوهُ الفجرُ
لكن سيضيءُ لمن بعدي

أيّاذُ لغصنٍ مُنكَسرٍ
عرّتهُ الريحُ من الورقِ
أن يبصر في ضوء القمرِ
ما كان عليه على الطُّرُقِ

ما لذّةٌ ميّت في الرّمسِ
بالزهرِ الفواحِ العطرِ
نورٌ لا يشرق في النفسِ
كغناء في أذنِ الحجرِ

ما استخفت عني الأفلاكُ
والشُّهبُ بل استخفى حبي
لم تملأ دربي الأشـوأكُ
إنّ الأشـوأكُ لفي قلبي !

يا شيخُ.. شجاني ما قُلْتَا
وزرعت بنفسي الأمل
من أنت ؟ أجاب: أنا أنتَا
أنا ذاتك تمشي قدأماك

كم أبحت بين الأجرَامِ
عني، وأنقُبُ في الأرض
أحلامي تطمُرُ أحلامي
بعضي مدفون في بعضي

لم أبر ذاتي بالأمس
في لَوَحِ زجاجِ أو ماء
بل لاحت نفسي في نفسي
فَهِيَ المرئيَّةُ والرَّائي

٢٩ - العليقة

[مجزوء الرمل]

ذاتُ شوكٍ كالحرابِ، أو كأظفار العقابِ
ربضتُ في الغابِ كاللص، لفنكٍ واستلابِ
تَقَطَّعُ الدَّربَ على الفلاح والمولى المُهَّابِ
صُنِّتْ عنها حُرُوجُهي، فتَصَدَّتْ لثيابي
كأما أَفَلَّتْ من نابٍ تَلَقَّيْتُني بِنَابِ
فلها نهشُ الأفاعي، ولها لسعُ الذبابِ
وأذاها في سكوني، كأذاها في اضطرابي
وهي كالقَيْدٍ لساقِي، ولِجِيدي كالسَخابِ^(١)
فكأنَّنا في عناقٍ، لا نضالٍ ووِثابِ
قلتُ يا ساكنةَ الغابِ ويا بنتَ التَّرابِ
لا تُلْجِي في اجتذابي، أو فَالُجِي في اجتذابي
إنَّ عُوْدًا فيه ماءٌ ليس عُوْدًا لاحتطابِ
أنا في فجرِ حياتي، أنا في شرخِ شبابي
الهوى ملءُ فؤادي، والصَّبَا ملءُ إهابي
والمنى تَنَبَّتُ في دربي، وتمشي في ركباني
أنا لم أضجر من العيش ولم أملُ صحابي
لم أزلْ ألمُ طيفِ المجدِ حتى في السُّرَّابِ
لم أزلْ أستشعرُ الأذَّةَ حتى في العذابِ
لم أزلْ أستشرفُ الحُسنَ ولو تحت نقابِ

(١) القلادة

ما بنفسي خشية الموت ولا منه ارتهابي
أنا للأرض، وإن طال عن الأرض اغترابي
غير أنني لم يزل ضرعي لمري^(١) واحتلاب
لم أهب كل الذي عندي، ولم يفرغ وطابي^(٢)
أنا نهر لم أتمم بعد في الأرض انسيابي
أنا روض لم أذع كل عبييري وملابي^(٣)
أنا نجم لم يمزق بعد جباب الضباب

أنا فجر لم تتوَّج فضتي كل الروابي
لي رغب لم تلد بعد فتبلى بالتباب^(٤)
وبنفسي ألف معني لم يضمَّن في كتاب

فإذا استنفدت ما في دن نفسي من شراب
وإذا أنجم أمالي توارت في الحجاب
وإذا لم يبق في غيمي ماء لانسكاب
وإذا ما صرت كالعليق^(٥) تمثال اكتئاب
لا يرجيني محتاج، ولا يطمع ساب^(٦)
فاجذبيني.. إن يكن مني نفع للتراب

(١) مري الضرع مسح ليدر
(٢) الوطب والوطاب إناء للبن من الجلد
(٣) المَلَاب ضرب من الطيب
(٤) الهلاك وضعف الشيخوخة
(٥) نبت يتعلق بالشجر

٣٠- هي^(١)

[السريع]

أروي لكم عن شاعرٍ ساحرٍ
حكايتهُ يُحمدُ راويها
قال: دعا أصحابه سيِّدُ
في ليلة رقت حواشيها
فانتظمت في قصره عُصبةُ
كريمة لا واغلُ فيها
من نُبلاء الشعب، ساداتها
وخيرة الغيد غوانيها
حتى إذا جلسوا كأهم
وطاف بالأكواب ساقياها
قام أمير القصر في كفّه
كأسُ أعارته معانيها
وقال: يا صاحبُ ذكركم
املؤها حبّاً وأحسوها
وذكراً من قلبي عبداً لها
ومُهجتي إحدى جوارياها
حبيبتي «لياء»، سمينتها
ولم أكن قبلاً أسمينها

(١) اتهمه أحمد زكي أبو شادي بنقلها إلى العربية، عن أحد شعراء الإنجليز، ولم ينكر أبو ماضي التهمة

فَشَرِبُوا كُلُّهُمْ سُرَّهَا
وَهَتَفُوا كُلُّهُمْ تِيَهَا
فَأَجَزَلَ الشُّكْرَ لِأَصْحَابِهِ
الشُّكْرُ لِلنَّعْمَةِ يُبْقِيهَا
وَصَاحَ بِالسَّاقِي عَلَيْنَا بِهَا
فَطَافَ بِالْأَكْوَابِ سَاقِيَهَا
وَقَالَ لِلْأَضْيَافِ: سَمِعَافِي
كُلُّمَهُ، الْعَدْلُ يُمَالِيَهَا
مَا أَنَا وَحْدِي الصَّبُّ فَيْكُمُ وَلَا
كُلُّ الْعِذَارَى مِنْ أَنْجَافِيهَا
فَكُلُّ نَفْسٍ مِثْلُ نَفْسِي، لَهَا
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَمَانِيهَا
وَكُلُّ قَلْبٍ مِثْلُ قَلْبِي، لَهُ
حَسَنَاءُ تَرْجُوهُ وَيَرْجُوهَا
يَا صَاحِبُ مَنْ كَانَتْ بِهِ صَبَوَةٌ
يُعَايِنُهَا الْآنَ وَيُبْدِيَهَا
فَنَهَضُوا ثَانِيَةً كُلُّهُمْ
وَرَفَعُوا الْكَاسَاتِ تَنْوِيَهَا
كَأَنَّهُمْ يَشْرَبُ سُرَّ الَّتِي
يَهْوَى مِنَ الْغَيْدِ وَيُطْرِيَهَا
❖❖❖❖❖

وَكَانَ فِي الشُّرْبِ فَتَى بِأَسْلُ
طَالَعَتْهُ تَسْحَرُ رَائِيَهَا
شَارَكَ فِي أَوَّلِ أَقْدَاحِهِمْ
وَلَمْ يَشَارِكْهُمْ بِثَانِيَهَا

وأنت ؟ قال الصَّحْبُ، واستَضحَكُوا:
هل لك حسناء تُحييها ؟
قال: أجل! أَشربُ سَرِّ الَّتِي
الروح تفديني وأفديها
صُورتُها في القلب مطبوعة
لا شيء حتى الموت يمحوها
لا تترضاني رياء ولا
تأتمني كذباً وتمويها
يضيع مالي ويزول الصُّبَا
وحبُّها باقٍ وحبُّيها
قد وهبتني روحها كلُّها
ولم تخف أني أضحيها
سرَّ الَّتِي لا غادة بينكم
مهما سمت في الحبِّ تحكيها
فأجفأوا منه كمن حيَّة
نهَّاشة قد عزَّ راقبيها
وقالت الغادات: أفل له
قد شَوَّه المجلس تشويها
لو ظلَّ في ما بيننا صامتاً
لم تسمع الأذانُ مكرها
وقلقلَ الفتيانُ أسيافهم
فلوشكت تبو حواشيها
وتعتع الشَّادي بألحانه
وماجت الدارُ بمن فيها

وقال قوم: خَابَتْهُ الطُّلَا
وقال قوم: صار معْتُوها
فصاح ربُّ الدار: يا سيّدي
وصفّتها لم لا تُسميها
أَتُخَلُّ بِاسْمٍ مِنْ تَهْوَى ؟
أَحْسَنَاءُ بِغَيْرِ اسْمٍ ؟
فأطرقَ غير مكترثٍ
وتمتم خاشعاً... أمّي !

٣١ - لا أنت ولا أنا

[الكامل]

قلتُ: السعادةُ في المُنَى، فرددتني
وزعمت أن المرءَ أفْتُهُ المُنَى
ورأيت في ظلِّ الغنى تمثالها
ورأيت أنت البؤس، في ظلِّ الغنى
ما لي أقولُ بأنها قد تُقْتَنَى
فتقول أنت بأنها لا تُقْتَنَى!
وأقولُ: إنَّ خُلِقْتُ فقد خُلِقْتُ لنا
فتقولُ: إنَّ خُلِقْتُ فلم تُخْلَقْ لنا
وأقولُ: إني مؤمنٌ بوجودها
فتقولُ ما أحراك ألا تُؤمننا
وأقولُ: سرٌّ سوف يُعلنُ في غدٍ
فتقولُ: لا سرٌّ هناك ولا هنا
يا صاحبي! هذا حوارٌ باطلٌ
لا أنت أدركت الصواب ولا أنا

٣٢ - الاناسكة

[السريع]

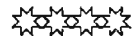
أَبْصَرْتُ فِي الْحَقْلِ قُبَيْلَ الْمَغِيبِ
سُنْبُلَةً فِي سَفْحِ ذَاكَ الْكَثِيبِ
حَانِيَةً مُطْرِقَةَ الرَّأْسِ

كَأَنَّمَا تَسْجُدُ لِلشَّمْسِ
أَوْ أَنَهَا تَتَلَوُ صَلَاةَ الْمَسَاءِ



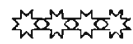
فَمَلَّتْ عَنْ رَاهِبَةِ الْحَقْلِ
وَسَرَتْ لَا أَلْوِي عَلَى ظِلِّي
أَلْتَقَطُ الْحَبَّ وَأَذْرِيهِ

وَتَارَةً فِي النَّارِ أُلْقِيهِ
مُسْتَخْرِجاً مِنْهُ لَجَسْمِي غِذَاءً



قَدْ غَابَتِ الشَّمْسُ وَرَاءَ الْقِمَمِ
وَسَكَتِ الطَّيْرُ الَّذِي لَمْ يَنْمِ
لَكِنْ نَارِي لَمْ تَزَلْ تَرْعُجُ^(١)

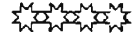
وَلَمْ أَزَلْ أَكُلُ مَا تُنْزِجُ
يَا حَبِذَا النَّارُ وَنَعَمَ الشَّوَاءُ



وَإِنِّي فِي مَرْحِي وَالِدِدْ
إِذَا صَاحَ بِي صَوْتُ بَلَا مُوْعِدْ

(١) رجع البرق اضطرب وتتابع

ما الحُبُّ يا هذا ولا السُّنْبُلُ
ما تَأْكُلُ النارُ وما تَأْكُلُ
وإنما أسلافُك الأصْفِياءُ



لا بِشَرٍّ لا طَائِرٌ مَائِلٌ
يا عَجَباً ! نُطْقٌ ولا قَائِلٌ
من أين جاء الصوتُ ؟ لا أدري
لكنَّما ناسكةُ البُرِّ^(١)
قد رفعتْ هامَتَها للعلاءِ



(١) يريد : طاحونة القمح (النسيكة الذبيحة)

٣٣. عيد النُّهى^(١)

في اليوبيل الذهبي لـمجلة المقتطف.

[الكامل]

قلِّ للحمائم في ضفاف الوادي:
يا ليتكنَّ على شغاف فؤادي
لترين كيف تبعثرت أحلامه
وجرت به الآلامُ خَيْلَ طَرَادٍ
كانت تَشِعُّ على جوانبه المني
فخَبَّتْ وبُدِّلَ جمرها برماد
أسعدته فعمسى يخفُّ ولوعه
إن الشُّجِّيَّ أحقُّ بالإسعاد^(٢)
ذهب الصببا وبقيت في حسراته
ليت الأسى مثل الصببا لنفاد
إن الشباب هو الغنى فإذا مضى
وأقمت لا ينفك ففركُ يادي
أمسيت أنظر في الحياة فلا أرى
إلا سواداً أخذاً بسواد
ألقي الصباح فلا يطول تأملي
حتى يحول شعاعه لصُعاد^(٣)
وإذا تقابلني النجومُ تخاوصت^(٤)
فكانما هي أعينُ الحُسَّاد

(١) جمع نُهى، وهي العقل

(٢) شارك ووقف إلى جانبه

(٣) أصعدت السفينة إصعاداً مدت شراعها فذهبت بها الريح صعداً

(٤) ضيق عينه في النظر، ومثله تخاوص

ما ثم من ذكرى إذا خطرت على
قلبي استراح، سوى خيال الوادي
أفلا تزال الشمس تصبغ وجهه
بالورس أونة وبالفرصاد^(١)
أفلا يزال ينوب في أمواجه
ذهب الأصيل وفضة الأراد
لهفي إذا ورد الرفاق عشية
وذكرت أني لست في الوراد
وإذا الحمام شدا وصفق موجة
ألا أصفق للحمام الشادي
وإذا النخيل تطاولت أظلاله
ألا يكون مظلأتي ووسادي
وإذا الكواكب رصعت أفاقه
ألا يكون لرعيهن سهادي
نقت الهوى وعرفتة في شطه
إن الهوى للمرء كاليلاد
لا تدرك الأكباد سر وجودها
حتى يجول الحب في الأكباد
ما عشت لم يمسس جوانحك الهوى
لم تدرك ما في العيش من أمجاد
لا تبصر العين الرياض وحليها
إلا على ضوء الصباح الهادي



(١) التوت الأحمر

وطنيّانِ أشوقُ ما أكونُ إليهما
مصرُ التي أحببتُها وبلادي
ومواطنُ الأرواحِ يعظُمُ شأنُها
في النفسِ فوقِ مواطنِ الأجسادِ
حرصِي على حبِ (الكنانة) بونهُ
حرصُ السجينِ على بقايا الزادِ
بلدُ الجمالِ خَفِيهِ وجالِيهِ
والفنُّ من مُستَـطـرفٍ وتِلادِ
عرضتُ مواكبها الشعوبُ فلم أجِدْ
إلا بمصرَ نَضارةَ الأبادِ
كم من دفينٍ في ثراها لم يزلْ
كالحَيِّ ذا مَقَّةٍ وذا أحقادِ
ومشيّدٍ للناسِ إذ يغشونهُ
من كلِّ أرضٍ خشيةَ العُبادِ
عاش الجدودُ وأُتِلوا ما أُتِلوا
واليومِ ينبعثون في الأحقادِ
المُسبِغينَ على النوايحِ فضلاًهمْ
كالفجرِ منبسطاً على الأطوادِ^(١)
أبناءَ مصرِ الناهضينَ تحيةً
كَـوِدادكمْ إنْ لم أَقلْ كَـوِداي
❖❖❖❖❖
من شاعرٍ كَفِ بِكمْ وبأرضكمْ
أبدًا يُوالي فيكمْ ويُعادي
إنْ تُكرموا شيخَ الصحافة تُكْرِمُوا

أسنى الكواكب في سماء الضاد
خلع الشباب على الكنانة مطرفاً
هو كالربيع على رباً ووهاد
ما زال يقحم في الجهالة نوره
حتى تقاصر ليئها المتماذي
بصحيفة نور العيون سوادها
وبياضها من ناصع الأجياد
ينبوع معرفة وهيكل حكمة
ووعاء آداب وكنز رشاد
أعلى المواهب والعقول رأيتها
سكنت قصور مهارق^(١) ومداد
ذكر المجاهد في الحقيقة خالد
ويزول رب السيف والأجناد
لولا جبابرة القرائح لم يسر
في الأرض ذكر جبابرة القواد
ما ذلت سبل المعالي أمّة
إلا بقوة مصراع أو هاد



(صروف)^(٢) يسألك الأنام فقل لهم:
كم في حياتك ساعة استشهداد؟
طلع القنوط عليك من أغواره
فرددت طائره وجأشك هاد
ومضيت تستقصي الحياة وسرها

(١) المهرق الصحيفة البيضاء، يكتب فيها (والجمع المهارق)

(٢) يعقوب صروف منشئ (المقتطف) وصاحبها

في كل عاقلة وكل جماد
حتى لكدت تُحس هاجسة المنى
وتبين كم في النفس من أضداد
أنت الذي أسرت به عزماته
والدرب غامضة على الرواد
والليل أفات على أغوارها
والهول أنجاد على الأنجاد^(١)
إن الحقائق أنت ناشر بندها
في حين كان العلم كالإلحاد
والعقل في الشرقي من أوهامه
كالنسر في الأوهاق^(٢) والأصفاد
تشقى، متى تشقى، الشعوب بجهلها
وتعز حين تعز بالأفراد
الساهرين الليل مثل، نجومه
فكانهم للدهر بالمرصاد
البازلين نفوسهم لم يسألوا
وعلى النفوس مدارع الفؤاد
خفضوا جناحهم وتحت برودهم
همم الملوك وصوله المراد
لهم الزمان قديمه وحديثه
ما الناس في الدنيا سوى الأحاد
إن الأنعام على اختلاف عصورهم
جعلوا لأهل العلم صدر النادي
ما العيد للخمسين بل عيد النُّهى

(١) أنجد ارتفع يريد تراكم الأهوال والمصاعب في الطريق

(٢) الوهق الحبل الذي تشد به الخيل حتى لا تتباعد

وفنونِه والخاطرِ الوقُّاد
عيدُ الحِصافَةِ والصحافةِ كُلِّها
في مصر، في بيروت، في بغداد
ما العيشُ بالأعوامِ كم من حَقْبَةٍ
كالخوفِ في عمرِ السوادِ العادي
العمُرُ، إلا بالمآثرِ، فارغُ
كالقفرِ طالَ به عناءُ الحادي
وسوى حياةِ العبقريِ نقيسُها
فَتُقاسُ بالأجَالِ والأَمادِ

٣٤ - موت العبقري

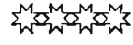
في رثاء سليمان البستاني^(١)

[الخفيف]

كلُّ مَيِّتٍ مَهْمَا علا في حَيَاتِهِ
كلُّ ثَأْوٍ تحت الثُّرَى من لِدَاتِهِ
لا حُدُودٌ ولا مَقَايِيسٌ في المَو
تِ تَسَاوَى الجَمِيعُ في سَاحَاتِهِ
حَاصِدٌ حَقْلُهُ الوجودُ، وما الأَحَدُ
يَبْأُ إِلَّا كَشَوْكِهِ ونَبَاتِهِ
من نَجَا مِنْهُ وهُوَ في رُوحَاتِهِ
إِنَّمَا قَدْ نَجَا إلى غُدُوَاتِهِ
ليس زَرْعُ الغُصَّاتِ مِنْهُ لَثَارٌ
ليس حَصْدُ اللِّذَاتِ مِنْ لَذَاتِهِ
إِنَّهُ يَسْلُبُ الغَوَايَةَ كالرَّشْدِ
بَد، فليس التَّمْيِيزُ من عَادَاتِهِ
لا تَقْل: مَا وراءَهُ؟ ذاك سِرٌّ
خَبَائِثُ الحَيَاةِ في ظُلُمَاتِهِ
رُبَّ قَبْرِ نَمَشِي عَلَيْهِ وفيهِ
شَهَوَاتُ تُرَبِّي عَلَى ذَرَاتِهِ
كلُّ ذِي رَغْبَةٍ دَنَتْ أَوْ تَسَامَتْ
سَوْفَ يَمْضِي يَوْمًا بلا رَغْبَاتِهِ

(١) مترجم الإلياذة إلى العربية شعراً

ليس عمرُ الفتى وإن طال إلا
ما حوتهُ الحياةُ من مكرُماته
يعظُ النابغُ الخلائقَ حيًّا
إنما موتهُ أجلُّ عظُماته



ظهر الموتُ للعيونِ جديداً
أمس في بطشه وفي فتاكاته
وهو تربُّ الإنسانِ منذ استوى في الـ
أرضٍ حيًّا مشى على خطواته
ما الردى بالحديثِ في الناس لكن
نكبةُ العلمِ ضاعفتُ روعاته
فقد الخلقُ واحداً من بنيهِ
وأضاع القريضُ خيرَ حماته
شاعرٌ كان يرقصُ الدهرُ أحياناً
ويبكي حيناً على نغماته
ذهب الساحرون والسحرة باقٍ
في عيون الممها وفي كالماته
منشئُ رُقٍّ لفظه كسجايا
هُ ورفُّ الجمالِ في جنباته
توجُّ «الضاد» بالملاحة حتى
خالها القومُ بعضُ مُخترعاته
نقلَ الأعصرُ الخوالي إلينا
في كتابٍ لله، من معجزاته
فرأينا «هومير» ينشدُ فينا
شعره مثلاً واحداً من رواته

كان في دولة السُّيوف وزيراً
المُعِيَّاً، ودولته في ذاته
ما بكينا الرُّفات لمَّا بكينا
كم رفات في الأرض مثل رفاتهِ؟
بل بكينا لأننا قد حُرْمنا
بالمُنون المزيّد من آياتهِ
رَاعِنَا أن يزول عَنَّا، وأنَّا
لم نُطَقْ أن نطيلَ حبلَ حياتهِ
قد أردنا حملَ البشائر للعل
م فكُنَّا لأهله من نُعَاتهِ
إن في «مصر» والشَّام دويّاً
ما سمعناه قبل يوم وفاتهِ
وأحس «العراق» حين أتاه النُّ
نَعْي طعم الرَّدَى بماء (فُراتهِ)
و «لبنان» رجفه تمشي
في ينابيعه وفي نسماتهِ
فَتَحَ الموتُ، حين أغمض عينيه،
عيون الوري على حسناتهِ
فهو ماضٍ له جلاله أت
من فتوحاتهِ ومن غزواتهِ
والفتى العبقرى يولدُ إذ يو
لِدُ في مهده، ويوم مماتهِ

٣٥ - الغدير الطمّوح

[مجزوء الكامل]

قال الغديرُ لنفسه:
يا ليتني نهرٌ كبيرٌ
مثلُ الفراتِ العذبِ أو
كالنيلِ ذي الفيضِ الغزيرِ
تجري السفائنُ موقِّرا
تفيه بالرزقِ الوفيرِ
هيهات يرضى بالحقيِرِ
من المني إلا الحقيِرِ
وانسابِ نحو النهرِ لا
يالوي على المرجِ النضيرِ
حتى إذا ما جاءه
غلب الهديرُ على الخريِرِ

٣٦ - الطلاسم

[مجزوء الرمل]

جئتُ، لا أعلمُ من أين، ولكنني أتيتُ
ولقد أبصرتُ قدامي طريقاً فمشيتُ
وسأبقى سائراً إن شئتُ هذا أم أبيتُ
كيف جئتُ؟ كيف أبصرتُ طريقي؟..

لستُ أدري!

أجديدُ أم قديمُ أنا في هذا الوجودُ
هل أنا حرٌّ طليقُ أم أسيرُ في قيود
هل أنا قائدُ نفسي في حياتي أم مقودُ
أتمنئُ أنني أدري ولكن..

لستُ أدري!

وطريقي! ما طريقي؟ أطول أم قصيرُ؟
هل أنا أصعدُ أم أهبطُ فيه وأغورُ
أنا السائرُ في الدربِ أم الدربُ تسيرُ
أم كلانا واقفٌ والدهرُ يجري؟....

لستُ أدري!

ليت شعري وأنا في عالمِ الغيبِ الأمينِ
أتراني كنتُ أدري أنني فيه دفين
وبأني سوف أبـدو وبأني سأكونُ
أم تُراني كنتُ لا أدركُ شيئاً

لستُ أدري!

أُتْرَانِي قَبْلَمَا أَصْبَحْتُ إِنْسَانًا سَوِيًّا
كُنْتُ مَحْوًا أَوْ مَحَالًّا أَمْ تُرَانِي كُنْتُ شَيْئًا
أَلْهَذَا اللَّغْزُ حُلٌّ؟ أَمْ سَيَبْقَى أَبَدِيًّا
لَسْتُ أَدْرِي وَلِمَذَا لَسْتُ أَدْرِي؟
لَسْتُ أَدْرِي!



البحر

قَدْ سَأَلْتُ الْبَحْرَ يَوْمًا: هَلْ أَنَا يَا بَحْرُ مِنْكَ؟
أَصَحِيحُ مَا رَوَاهُ بَعْضُهُمْ عَنِّي وَعَنْكَ؟
أَمْ تُرَى مَا زَعَمُوا زُورًا وَبِهْتَانًا وَإِفْكًَا؟
ضَحَكْتَ أَمْوَاجُهُ مِنِّي وَقَالَتْ
لَسْتُ أَدْرِي!

أَيُّهَا الْبَحْرُ أَتَدْرِي كَمْ مَضَتْ أَلْفٌ عَلَيْكَ
وَهَلِ الشَّاطِطُ يَدْرِي أَنَّهُ جَاءَ لَدَيْكَ
وَهَلِ الْأَنْهَارُ الدَّارِيَةُ أَفْهَمُ مِنْكَ إِلَيْكَ
مَا الَّذِي الْأَمْوَاجُ قَالَتْ حِينَ ثَارَتْ؟
لَسْتُ أَدْرِي!

أَنْتَ يَا بَحْرُ أَسِيرُ أَهْ مَا أَعْظَمَ أَسْرَكَ!
أَنْتَ مِثْلِي أَيُّهَا الْجَبَّارُ لَا تَمْلِكُ أَمْرَكَ
أَشْبَهْتَ حَالُكَ حَالِي وَحَكِي عِزِّي عُذْرَكَ
فَمَتَى أَنْجُو مِنَ الْأَسْرِ وَتَنْجُو؟
لَسْتُ أَدْرِي!

تُرْسِلُ السُّحْبَ فَتَسْقِي أَرْضَنَا وَالشَّجَرَ
قَدْ أَكَلْنَاكَ وَقَلْنَا قَدْ أَكَلْنَا الثَّمَرَ
وَشَرَبْنَاكَ وَقَلْنَا قَدْ شَرَبْنَا الْمَطَرَ
أَصَوَابُ مَا زَعَمْنَا أَمْ ضَلَالُ؟
لَسْتُ أَدْرِي!

قد سألتُ السُّحْبَ في الأفاقِ هل تذكرُ رملَكَ؟
وسألتُ الشجرَ المورقَ هل يعرفُ فضلكَ؟
وسألتُ الدرَّ في الأعناقِ هل تذكرُ أصلَكَ؟
وكانني خلّتها قالتَ جميعاً

لستُ أدري!

يرقصُ الموجُ وفي قاعك حربٌ لن تزولا
تخلُقُ الأسماكَ لكن تخلُقُ الحوتَ الأكولا
قد جمعتَ الموتَ في صدركَ والعيشَ الجميلاً
ليت شعري أنتَ مهْدٌ أم ضريحٌ؟

لستُ أدري!

كم فتاةٍ مثلَ ليلى وفتى كابتِ الملوخُ!
أنفقا الساعاتَ في الشاطئ تشكو وهو يشرح
كلما حدثتْ أصفتْ وإذا قالتَ ترنَّحْ
أحفيفُ النفاثي ربيعا؟

لستُ أدري!

كم ملوكٍ ضربوا حولك في الليل القبابا
طلع الصبحُ ولكن لم يجدْ إلا ضبابا
ألهُمَّ يا بحرُ يوماً رجعةً أم لا مآباً؟
أهمُّ في الرَّمْلِ؟ قال الرَّمْلُ: إني:

لستُ أدري!

فيك مثلي أيها الجبارُ أصدافُ ورمْلُ
إنما أنتَ بلا ظلٍ ولي في الأرض ظلّ
إنما أنتَ بلا عقلٍ ولي يا بحرُ عقل
فلماذا يا ترى أمضي وتبقى؟

لستُ أدري!

يا كتاب الدهر قل لي: أله قبل وبعد؟
أنا كالزورق فيه، وهو بحر لا يحد
ليس لي قصد، فهل للدهر في سيري قصد؟
حبذا العلم ولكن كيف أدري؟
لست أدري!

إن في صدري يا بحر لأسراراً عجاباً
نزل السُّتر عليها وأنا كنت الحجاب
ولذا ازداد بعداً كلما ازدت اقتراباً
وأراني كَأَمَّا أوشكت أدري...
لست أدري!

إنني يا بحر بحر شاطئاه شاطئاك
الغد المجهول والأمس اللذان اختلفاك
وكلانا قطرة يا بحر في هذا وذاك
لا تسألني ما غيما أمس؟ إني
لست أدري!

في الدير

قيل لي في الدير قوم أدركوا سر الحياة
غير أنني لم أجد غير عقول أسنات
وقلوب بليت فيها المني فهي رفات
ما أنا أعمى فهل غيّرني أعمى؟
لست أدري!

قيل أدري الناس بالأسرار: سكان الصوامع
قلت: إن صح الذي قالوا فإن السر شائع
عجباً كيف ترى الشمس عيون في براقع

والتي لم تتبرقع لا تراها؟...

لست أدري!

إنَّ تَكُ العزلة نُسكاً وتُقَى، فالذئب رَاهِبٌ
وعرينُ الليث دِيرٌ حُبُّهُ فرضٌ وواجبٌ
ليت شعري أيميت النُّسكُ أم يُحيي المواهب؟
كيف يمحو النُّسكُ إثمًا وهو إثمٌ؟

لست أدري!

لست أدري!

إنني أبصرتُ في الدَّيرِ وروداً في سياجٍ
قنعتُ، بعد الندى الطاهر، بالماء الأجاج^(١)
حولها النور الذي يُحيي، وترضى بالدياجي^(٢)
أمن الحكمة القلب صَبِراً؟...

لست أدري!

قد دخلتُ الدَّيرَ عند الفجرِ كالفجرِ الطُّروبِ
وتركتُ الدَّيرَ عند الليلِ كالليلِ الغُصُوبِ
كان في نفسي كُربٌ صار في نفسي كُروبٌ
أمن الدَّيرِ أم الليلِ اكتئابي؟

لست أدري!

قد دخلتُ الدَّيرَ أستنطقُ فيه الناسكينا
فإذا القومُ من الحيرةِ مثلي باهتونا
غلب اليأسُ عليهم فهم مُستسلمونا

(١) الشديد الملوحة

(٢) الظلمات (دجية - دجى).

وإذا بالباب مكتوبٌ عليه:...

لستُ أدري!

عجباً للناسك القانت وهو اللوذعي^(١)

هجر الناس وفيهم كلُّ حُسنِ المُبدعِ

و مضى يبحثُ عنه في المكانِ البلقِ

أراى في القفرِ ماء أم سراباً ؟...

لستُ أدري!

كم تُماري أيها الناسكُ في الحقِّ الصريحِ

لو أراد الله ألا تعشقَ الشيءَ المليحِ

كان إذ سواك سواك بلا قلبٍ وروحِ

فالذي تفعلُ إثمٌ.. قال: إني

لستُ أدري!

أيها الهاربُ! إن العارَ في هذا الفرارِ

لا صلاحُ في النفاثِ حتى القفارِ

أنت جان، أي جان، قاتلٌ في غيرِ ثارِ؟

أفيرضى الله عن هذا ويعفو ؟...

لستُ أدري!

بين المقابر

ولقد قلتُ لنفسي وأنا بينَ المقابرِ

هل رأيت الأمن والراحة إلا في الحفائرِ

فأشارتُ فغدا للودود عيْثُ في المحاجرِ

ثم قالت: أيها السائلُ إني...

لستُ أدري!

(١) لذع برأيه أسرع في الفهم كإسراع النار إلى الإحراق، فهو (لوذعي)

أُنْظِرِي كَيْفَ تَسَاوَى الْكُلُّ فِي هَذَا الْمَكَانِ
وَتَلَاشَى فِي بَقَايَا الْعَبْدِ رَبُّ الصَّوْلَجَانِ
وَالْتَقَى الْعَاشِقُ وَالْقَالِي^(١) فَمَا يَفْتَرِقَانِ
أَفَبِذَا مُنْتَهَى الْعَدْلِ؟ فَقَالَتْ

لَسْتُ أَدْرِي!

إِنَّ يَكُ الْمَوْتُ قَصَاصاً أَيْ ذَنْبٌ لِلطَّهَارَةِ
وَإِذَا كَانَ ثَوَاباً، أَيْ فَضْلٌ لِلدَّعَارَةِ
وَإِذَا كَانَ وَمَا فِيهِ جَزَاءٌ أَوْ خَسَارَةٌ
فَلَمْ الْأَسْمَاءُ إِثْمٌ وَصَلَاحٌ؟

لَسْتُ أَدْرِي!

أَيُّهَا الْقَبْرُ تَكَلَّمْ وَاخْبِرْنِي يَا رِمَامٌ^(٢)
هَلْ طَوَى أَحْلَامَكَ الْمَوْتُ وَهَلْ مَاتَ الْغَرَامُ؟
مَنْ هُوَ الْمَائِتُ الْمَلَاشِي مِنْ مَلِيُونِ عَامٍ؟
أَيُّ صَيْرُ الْوَقْتِ فِي الْأَرْمَاسِ مَحْواً؟

لَسْتُ أَدْرِي!

إِنَّ يَكُ الْمَوْتُ رُقَاداً بَعْدَهُ صَحْوٌ طَوِيلٌ
فَلِمَاذَا لَيْسَ يَبْقَى صَحْوُنَا هَذَا الْجَمِيلُ؟
وَلِمَاذَا الْمَرءُ لَا يَدْرِي مَتَى وَقْتُ الرَّحِيلِ؟
وَمَتَى يَنْكَشِفُ السِّرُّ فَيَدْرِي؟

لَسْتُ أَدْرِي!

(١) الميغض (قلاه)

(٢) بقايا

إن يك الموت هُجوعاً يملأ النفس سلاماً
وانعتاقاً لا اعتقالاً وابتداءً لا ختاماً
فلماذا أعشَقُ النوم ولا أهوى الحماما
ولماذا تجزَعُ الأرواحُ منه ؟
لست أدري!

أوراء القبر بعد الموت بعث ونشور
فحياة فخلود أم فناء فدفنور
أكلام الناس صدق أم كلام الناس زور
أصحيح أن بعض الناس يدري ؟
لست أدري!

إن أكن أُبعث بعد الموت جثماناً وعقلاً
أتري أُبعث بعضاً أم تُرى أُبعث كلاً
أتري أُبعث بالثاني أم أُبعث كَهلاً
ثم هل أعرف بعد البعث ذاتي ؟
لست أدري!

يا صديقي لا تعللني بتمزيق الستور
بعدها أقضي، فعقلي لا يُبالي بالقشور
إن أكن في حالة الإدراك لا أدري مصيري
كيف أدري بعدما أفقد رشدي ؟
لست أدري!

القصور والكوخ

ولقد أبصرتُ قصرًا شاهقاً عالي القباب
قلتُ ما شادك من شادك إلا للخراب

أنت جزءٌ منه لكنّ لست تدري كيف غابٌ
وهو لا يعلمُ ما تحوي أيدري؟
لستُ أدري!

يا مثلاً كان وهماً قبلما شاء البُناةُ
أنت فكرٌ من دماغٍ غيّبته الظلماتُ
أنت أمنيّةٌ قلبٍ أكلته الحشراتُ
أنت بانيك الذي شادك.. لا لا
لستُ أدري!

كم قصورٍ خالها الباني ستبقى وتدومُ
ثابتاتٍ كالرؤاسي، خالداتٍ كالنجوم
سحب الدهرُ عليها ذيلُهُ فهي رسوم
مالنا نبني وما نبني لهدمٍ؟
لستُ أدري!

لم أجد في القصرِ الخالي من الكوخ المهينِ
أنا في هذا وهذا عيبٌ شكّي وبقيني
وسجينُ الخالدَيْن: الليل والصبح المبين
هل أنا في القصر أم في الكوخ أرقى؟
لستُ أدري!

ليس لي في الكوخ أو في القصر من نفسي مهربٌ
إنني أرجو وأخشى، إنني أَرْضَى وأغضبُ،
كان ثوبي من حريرٍ مُذهبٍ أو كان قنّبُ
فلماذا يَتَمَنَّى الثوب عارٍ؟
لستُ أدري!

سأئل الفجرَ أعند الفجرِ طينٌ ورخامٌ؟
واسأل القصرَ ألا يُخفيه كالكوخِ الظلامُ؟

واسألِ الأنجم والرياح وسلّ صوب الغمام
أتري الشيء كما نحن نراه ؟
لست أدري!

الفكر

ربّ فكرٍ بان في لوحة نفسي وتجلّى
خلتّه منّي ولكن لم يُقم حتى تولّى
مثل طيف لاح في بئرٍ قليلاً، واضمحلاً
كيف وافى ولماذا فر منّي ؟
لست أدري!

أتراه سائحاً في الأرض من نفسٍ لأخرى
رأبه مني أمرٌ فابى أن يستقراً
أم تراه مرّ في نفسي كما أعبرُ جسراً
هل تراه قبل نفسي غير نفسي ؟
لست أدري!

أتراه بارقاً أومض حيناً وتوارى
أم تراه كان مثل الطير في سجنٍ فطارا
أم تراه انحلّ كالوجة في نفسي وغاراً
فأنا أبحث عنه وهو فيها ؟
لست أدري!

صراع وعراك

إنني أشهدُ في نفسي صراعاً وعراكا
وأرى ذاتي شيطاناً وأحياناً ملاكا
هل أنا شخصان يأبى ذاك مع هذا اشتراكا
أم تُرانني واهماً فيهما أراه ؟
لست أدري!

بينما قلبي يحكي في الضحى إحدى الحُمائلُ
فيه أزهارٌ، وأطيّارٌ تُغنّي، وجداول
أقبلَ العصرُ فأَمسى موحشاً كالقفرِ قاحل
كيف صار القلبُ روضاً ثم قَفراً؟

لستُ أدري!

أين ضحكي وبكائي وأنا طفلٌ صغيرٌ
أين جهلي ومراحي وأنا غضٌ غريرٌ
أين أحلامي وكانت كيفما سرتُ تسيرٌ
كلّها ضاعتُ ولكن كيف ضاعتُ؟

لستُ أدري!

لي إيمانٌ، ولكن لا كإيماني ونُسْكي
إنني أبكي، ولكن لا كما قد كنتُ أبكي
وأنا أضحكُ أحياناً ولكن أي ضحكٍ!
ليت شعري أنا الذي مدّلي أمري؟

لستُ أدري!

كلّ يومٍ لي شأنٌ، كلّ حينٍ لي شعورٌ
هل أنا اليوم أنا، منذُ ليالٍ وشهور
أم أنا عند غروب الشمسِ غيري في البُكور
كلّما ساءلتُ نفسي جاوبتني:

لستُ أدري!

ربّ أمرٍ كنتُ، لمّا كان عندي، اتّقيهُ
بتّ لمّا غاب عني وتوارى أشتهيه
ما الذي حبّبهُ عندي وما بغضنيهِ
أنا الشخصُ الذي أعرض عنه؟

لستُ أدري!

رُبَّ شَخْصٍ عَشَتْ مَعَهُ زَمْنًا أَلْهُو وَأَمْرَحُ
أَوْ مَكَانٍ مَرَّ دَهْرٌ وَهُوَ لِي مَسْرَى وَمَسْرَحُ
لَا حَ لِي فِي الْبُعْدِ أَجَلِي مِنْهُ فِي الْقُرْبِ وَأَوْضَحُ
كَيْفَ يَبْقَى رَسْمُ شَيْءٍ قَدْ تَوَارَى ؟

لستُ أدري!

رُبَّ بَسْتَانٍ قَضَيْتُ الْعُمْرَ أَحْمِي شَجَرَهُ
وَمَنْعْتُ النَّاسَ أَنْ تَقْطِفَ مِنْهُ زَهْرَهُ
جَاءَتِ الْأَطْيَارُ فِي الْفَجْرِ فَنَاشَتَ ثَمَرَهُ
أَلْأَطْيَارِ السَّمَاءِ الْبَسْتَانُ أَمْ لِي ؟

لستُ أدري!

رُبَّ قُبْحٍ عِنْدَ زَيْدٍ هُوَ حُسْنٌ عِنْدَ بَكْرٍ
فَهُمَا ضِدَّانِ فِيهِ، وَهُوَ وَهُمْ عِنْدَ عَمْرٍو
فَمَنْ الصَّادِقُ فِيمَا يَدْعِيهِ لَيْتَ شَعْرِي
وَلِمَاذَا لَيْسَ النَّاشِئُ مِنْ قِيَّاسٍ ؟

لستُ أدري!

قَدْ رَأَيْتُ الْحَسْنَ يَنْسَى مِثْلَمَا تَنْسَى الْعُيُوبُ
وَطُلُوعُ الشَّمْسِ يُرْجَى مِثْلَمَا يُرْجَى الْغُرُوبُ
وَرَأَيْتُ الشَّرَّ مِثْلَ الْخَيْرِ يَمْضِي وَيُؤُوبُ
فَلِمَاذَا أَحْسَبُ الشَّرَّ دُخِيالًا ؟

لستُ أدري!

إِنَّ هَذَا الْغَيْثَ يَهْمِي حِينَ يَهْمِي مُكْرَهَا
وَزَهْوُ الرُّوْضِ تُفْشِي مُجْبِرَاتٍ عَطْرَهَا
لَا تَطِيقُ الْأَرْضُ تَخْفِي شَوْكَهَا أَوْ زَهْرَهَا
لَا تَسْلُ: أَيُّهُمَا أَشْهَى وَأَبْهَى ؟

لستُ أدري!

قد يصيرُ الشُّوكُ إكليلاً للملِكِ أو نبيً
ويصيرُ الوردُ في عُرْوَةٍ لصٍّ أو بغيً
أيغارُ الشوكُ في الحقلِ من الزهرِ الجني
أم تُرى يحسبه أحقر منه ؟

لستُ أدري!

قد يقيني الخطرُ الشوكُ الذي يجرحُ كفي
ويكونُ السمُّ في العطرِ الذي يملأُ أنفي
إنما الوردُ هو الأفضلُ في شرعي وعرفي
وهو شرعٌ كلُّهُ ظالمٌ ولكن

لستُ أدري!

قد رأيتُ الشُّهبَ لا تدري لماذا تُشرقُ
ورأيتُ السُّحبَ لا تدري لماذا تُغدقُ
ورأيتُ الغابَ لا تدري لماذا تُورقُ
فلماذا كائناتي الجهلُ مثلي ؟

لستُ أدري!

كلما أيقنتُ أني قد أمطتُ السترَ عني
وبلغتُ السرَّ سري، ضحكْتَ نفسي مني
قد وجدتُ اليأسَ والحيرةَ لكن لم أجِدني
فهل الجهلُ نعيمٌ أم جحيمٌ ؟

لستُ أدري!

لَذَّةٌ عندي أن أسمعَ تغريدَ البلابلِ
وحفيفِ الورقِ الأخضرِ أو همسِ الجداولِ
وأرى الأنجمَ في الظلماءِ تبدو كالمشاعلِ
أتُرى منها أم اللَذَّةُ مني ؟

لستُ أدري!

أُتْرَانِي كُنْتُ يَوْمًا نَغْمًا فِي وَتَرٍ
أَمْ تُرَانِي كُنْتُ قَبْلًا مَوْجَةً فِي نَهْرٍ
أَمْ تُرَانِي كُنْتُ فِي إِحْدَى النُّجُومِ الزُّهْرُ
أَمْ أَرِيجًا أَمْ حَفِيفًا أَمْ نَسِيمًا ؟

لَسْتُ أُدْرِي!

فِيٍّ، مِثْلُ الْبَحْرِ، أَصْدَافُ وَرَمْلٍ وَلَّالٍ
فِيٍّ كَالْأَرْضِ مَرْوُجٌ وَسَفُوحٌ وَجِبَالٍ
فِيٍّ كَالْجَوِّ نَجُومٌ... وَغَيُومٌ وَظِلَالٍ
هَلْ أَنَا أَرْضٌ وَبَحْرٌ وَسَمَاءٌ ؟

لَسْتُ أُدْرِي!

مِنْ شَرَابِي الشُّهُدُ وَالْخَمْرَةُ وَالْمَاءُ الزُّلَالُ
مِنْ طَعَامِي الْبَقْلُ وَالْأَثْمَارُ وَاللَّحْمُ الْحَلَالُ
كَمْ كَيَانٌ قَدْ تَلَا شَيْءٌ فِي كَيَانِي وَاسْتَحَالَ
كَمْ كَيَانٌ تَلَا شَيْءٌ فِي كَيَانِي ؟

لَسْتُ أُدْرِي!

أَنَا أَفْصَحُ مِنْ عَصْفُورَةِ الْوَادِي وَأَعَذِبُ ؟
وَمِنْ الزَّهْرَةِ أَشْهَى ؟ وَشَذَا الزَّهْرَةِ أَطِيبُ ؟
وَمِنْ الْحَيَّةِ أَدْهَى ؟ وَمِنْ النَّمْلَةِ أَغْرَبُ ؟
أَمْ أَنَا أَوْضَعُ مِنْ هَذِي وَأَدْنَى ؟

لَسْتُ أُدْرِي!

كُلُّهَا مِثْلِي تَحْيَا، كُلُّهَا مِثْلِي تَمُوتُ
وَلَهَا مِثْلِي شَرَابٌ، وَلَهَا مِثْلِي قُوَّةٌ
وَرِقَادٌ وَانْتِبَاهٌ وَحَدِيثٌ وَسُكُوتٌ
فَبِمَا أَمْتَنَ عَنْهَا لَيْتَ شَعْرِي ؟

لَسْتُ أُدْرِي!

قد رأيتُ النملَ يسعى مثلما أسعى لرزقي
وله في العيش أوطارٌ وحقٌ مثلُ حقِّي
قد تساوى صمتهُ في نظرِ الدهرِ ونطقي
فكلانا صائرٌ يوماً إلى ما...

لستُ أدري!

أنا كالصَّهْبَاءِ، لكنَّ أنا صهبائي ودني
أصلُّها خافٍ كأصلي، سجنُها طينٌ وسجني
ويزاحُ الختمُ عنها مثلما ينشقُّ عني
وهي لا تفقهُ معناها، وإني...

لستُ أدري!

غَلَطَ القائلُ: إنَّ الخمرَ بنتُ الخابيةِ
فهي قبلَ الرِّقِّ كانت في مروقِ الدَّاليةِ
وحواها قبلَ الخمرِ الكرمُ رحمُ الغابيةِ
إنما من قبلِ هذا أين كانت ؟

لستُ أدري!

هي في رأسي فكرٌ وهي في عيني نورٌ
وهي في صدري آمالٌ وفي قلبي شعورٌ
هي في جسمي دمٌ يسرُّبُ^(١) فيه ويمور
إنما من قبلِ هذا كيف كانت؟

لستُ أدري!

أنا لا أذكرُ شيئاً من حياتي الماضيةِ
أنا لا أعرفُ شيئاً من حياتي الآتيةِ

(١) سرب في الأرض ذهب على وجهه

لي ذاتٌ غيرُ أني لستُ أدري ما هيَه
فمَتى تعرفُ ذاتي كُنَّهَ ذاتي ؟

لستُ أدري!

إنني جئتُ وأمضي، وأنا لا أعلمُ
أنا لَغَزُ، وذهابي كمجيئي طُلُسم
والذي أوجد هذا اللُّغزَ لَغَزُ مَبهم
لا تُجادلُ ذا الحجا من قال: إنني

لستُ أدري!

الناشيء

المحتوى
الديوان الثالث
(الجدول)

٥٥٣	■ مقدمة بقلم ميخائيل نعيمة
٥٥٥	١ - الفاتحة
٥٥٧	٢ - العنقاء
٥٦١	٣ - السجينة
٥٦٤	٤ - الضفادع والنجوم
٥٦٦	٥ - السماء
٥٦٩	٦ - برّدي يا سَحْبُ
٥٧١	٧ - العَيْر المتكرّر
٥٧٢	٨ - تعالِيّ
٥٧٤	٩ - ربح الشمال
٥٧٧	١٠ - الحجر الصغير
٥٧٩	١١ - الطين
٥٨٥	١٢ - التينة الحمقاء
٥٨٧	١٣ - في القَفْر
٥٩٠	١٤ - التمثال
٥٩٢	١٥ - المساء
٥٩٥	١٦ - الكمنجة المحطّمة

٥٩٩	١٧ - زهرة أقحوان
٦٠١	١٨ - الأسرار
٦٠٢	١٩ - العميان
٦٠٤	٢٠ - الزمان
٦٠٧	٢١ - اليتيم
٦٠٩	٢٢ - المجنون
٦١٣	٢٣ - قطرة الطلّ
٦١٤	٢٤ - نار القرى
٦١٧	٢٥ - ابن الليل
٦١٩	٢٦ - أنا
٦٢١	٢٧ - الإله الثرثار
٦٢٢	٢٨ - الأشباح الثلاثة
٦٣٠	٢٩ - العليقة
٦٣٢	٣٠ - هي
٦٣٦	٣١ - لا أنت ولا أنا
٦٣٧	٣٢ - الناسكة
٦٣٩	٣٣ - عيد النّهى
٦٤٥	٣٤ - موت العبقري
٦٤٨	٣٥ - الغدير الطموح
٦٤٩	٣٦ - الطلاسّم
٦٦٥	■ المحتوى

الديوان الرابع

(الخمائل)

الطبعة الأولى (مطبعة جريدة «السمير» - نيويورك ١٩٤٠).

يضم سبعة وخمسين نصّاً شعريّاً، بين طويل ومعتدل وقصير، يقع ضمنها نصُّه الكبير المعروف «الأسطورة الأزلية». وهو آخر ديوان صدر له في حياته، وتمّ طبعه في مطبعة جريدته «السمير»، قبل وفاته بسبعة عشر عاماً (١٩٥٧).

١ - المدخل

[الخفيف]

وقعت نَحْلَةً على الأَقْحُوَانِ
فإذا في القَفْفِيرِ شُهُدٌ
ومشتَ بعدها على الأغصَانِ
بودةً فالغصُونُ جُرْدٌ



وهي الغيثُ في الحقول ففِيهَا
شَجَرٌ وارِفٌ وزهُرٌ
وأطاب الرمالَ كي يُحْيِيهَا
فهُمَا مَيِّتٌ وَقَبْرٌ



أنا غيثٌ، فإنْ وجدْتُكَ حَقْلًا
فأنا العشبُ والشجرُ
غيرَ أني، إذا لقيْتُكَ رَمَلًا،
لستُ شيئاً حتَّى المَطَرُ



وأنا الأَقْحُوَانُ سَيَّانٌ عِنْدِي
عشتُ يوماً أو بعضَ يومٍ
لا أبالي الفناءَ إنْ كانَ مجدي
في فنائي أو مجدٌ قومي



إِنَّ تَغَبُّ فِي فَرَاشَةِ الْوَانِي
فَأَنَا زَهْرَةٌ تَطِيرُ
وَإِذَا انْحَلَّ فِي الشُّعَاعِ كِيَانِي
فَأَنَا فِي الضُّحَى عَبِيرُ

جَنَّبُونِي الْفَنَاءَ فِي الدِّيدَانِ
إِنَّهُ الْمَصْرَعُ الْكَرِيمُ
وَأَنْعَمَ دَامُ الْأَرْيَجِ وَالْأَلْوَانِ
وَأَنْدَثَارُ لَا مَجْدَ فِيهِ

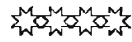
كُنْ شُعَاعاً يَبِينُ فِيهِ كِيَانِي
لَا ظِلَامَ وَلَا رَغَامَ^(١)
وَلَا عَشْرَ فِي الشُّعَاعِ بَضْعُ ثَوَانِ
فَهِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ عَامٍ

(١) التراب.

٢ - الشاعر والملك الجائر

[مختلط]

أمر السلطانُ بالشاعرِ يوماً فأتاهُ
في كساءٍ حائلٍ الصبغةِ واهٍ جانباه
وحذاءٍ أوشكتُ تُفلتُ منه قدماه
قال: صفْ جاهي، ففي وصفك لي الشعرُ جاه
إن لي القصرَ الذي لا تبلُغُ الطيرُ ذراه
ولي الروضُ الذي يعبقُ بالمسكِ ثراه
ولي الجيشُ الذي ترشحُ بالموتِ ظُباه^(١)
ولي الغاباتُ والشُّمُّ الرواسي والمياه
ولي الناسُ .. وبؤسُ الناسِ مني والرِّفاه
إن هذا الكونَ مُلكي، أنا في الكونِ إلهُ!



ضحك الشاعرُ مما سمعتهُ أنْناه
وتمنَّى أن يُداجي^(٢) فعصتهُ شفتاهُ
قال: إني لا أرى الأمرَ كما أنت تراهُ
إن مُلكي قد طوى ملكك عني ومحاهُ

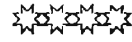


القصرُ يُنبئُ عن مهارةِ شاعرٍ
لَبِقٍ، ويُخبرُ، بعدهُ عنكَ

(١) الظبة: حد السيف.

(٢) المداجاة: المداراة.

هو للألى يدرون كُنَّةَ جماله
فإذا مضوا فكأنه دُكَّا
ستزول أنت ولا يزول جلاله
كالفلك تبقى، إن خلت، فلكا
والروض؟ إن الروض صنعة شاعرٍ
سميح طروبٍ رائقٍ جزلٍ
وشى حواشييه وزين أرضه
بروائع الألوان والظلل
لفراشة تحيا له، ولنحلة
تحيا به، ولشاعرٍ مثلي!
ولديمة تذري عليه دموعها
كيما تقيه غوائل المحل
ولبلبل غردٍ يساجلُ بلبلًا
غردًا، ولنسومات والطل
فإذا مضى زمن الربيع أضعته
وأقام في قلبي وفي عقلي!

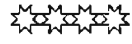


والجيش معقود لواءك فوقه
ما دمت تكسوهُ وتطعمهُ
للخبز طاعته وحسن ولاته
هو «لاته» الكبرى و«برهمه»^(١)
فإذا يجوع بظل عرشك ليلة
فهو الذي بيديه يحطمهُ
لك منه أسيفه^(٢) ولكن في غد
لسواك أسيفه وأسهمه

(١) يريد: اللات. وبأهما الإله الذي خلق العالم واتحد به في عقائد الهندوكية، والنسبة إليه: برهمي.

(٢) يجمع السيف، في معاجم اللغة، على: أسياف وسيوف.

أترأه سار إلى الوغى مُتهللاً
لولا الذي الشعراءُ تنظمه؟
وإذا ترنم هل بغير قصيدة
من شاعرٍ مثلي ترنمه؟



والبحر، قد ظفرت يداك بدره
وحصاه، لكن هل ملكت هديره؟
هو الدجى يُلقى عليه خشوعه
والصبح يسكب، وهو يضحك، نوره
أمرجت أنت مياهه؟ أصبغت أذ

ن عت رماله؟ أجبلت أنت صخوره؟
هو الريح تهزه وتثيره
والشهب تسمع في الظلام زئيره
للطير هائمة به مفتونة

لا للذين يروعون طيوره
للشاعر المفتون يخلق لاهياً
من موجه حوراً ويعشق حوره
ولن يشاهد فيه رمز كيانه

ولن يجيد لغيره تصويره
يا من يصيد الدر من أعماقه
أخذت يداك من الجليل حقيقه
لا تدعيه.. فليس يملك، إنه

كالروض جهدك أن تشم عبيره



ومررت بالجبل الأشم فما زوى
عني محاسنه ولست أميرا

ومررت أنت فما رأيت صخوره
ضحكت ولا رقصت لديك حُورا
ولقد نَقلتُ لنمله ما تدعي
فتعجبت، مما حكيت، كثيرا
قالت: صديقك ما يكون؟ أقشعما
أم أرقما؟ أم ضيغما هيصورا؟^(١)
أيحوك مثل العنكبوت بيوته
حوكا؟ ويبني كالنَّسور وكورا؟
هل يملأ الأغوار تبراً كالضحى
ويرد كالغيث الموات نضيرا؟
أيلف كالليل الأباطح والربا
والمنزل المعمور والمهجورا؟
فأجبتها: كلا! فقالت: سمه
في غير خوف، «كائناً مغرورا!»



فاحتدم السلطان أيَّ احتدام
ولاح حبُّ البطش في مقلتيه
وصاح بالجلاد: هاتِ الحسام!
فأسرع الجلاد يسعي إليه
فقال: دحرج رأس هذا الغلام
فرأسه عبء على منكبيه
قد طُبع السيف لحزَّ الرقاب
وهذه رقبة ثرثار

(١) القشع: النسر الذكر العظيم. والأرقم: ذكر الحيات أو أخيلها والضيغم: الأسد. يريد بالهيصور. الهصور

اقتلُهُ.. واطرحْ جسمَهُ للكلابِ
ولتذهبِ الروحُ إلى النارِ

سمِّعاً وطَوْعاً سيدي!.. وانتضى
عضباً^(١) يَمُوجُ الموتُ في شفرتيه
ولم يكنْ إلا كبرقٍ أضاً
حتى أطار الرأس عن منكبيه
فسقط الشاعرُ مُعْرَوضاً
يُخدشُ الأرض بكتا يديه^(٢)
كأنما يبحثُ عن رأسه
فاستضحك السلطانُ من سجدته
ثم استوى يهمسُ في نفسه
«نوَ جُنَّة»^(٣) أمسى بلا جُنَّة

أجل، هَكَذَا هلك الشاعرُ
كما يهلكُ الأثمُ المذنبُ
فما غصَّ في روضة طائرُ
ولم ينطفئ في السَّما كوكبُ
ولا جزعَ الشجرُ الناضرُ
ولا اكتأبَ الجلولُ المُطربُ
وكُوفى عن قتله القاتلُ
بمالٍ جَزِيلٍ وخدٍّ أسيلٍ
فقال له خُأَقُّهُ السَّافِلُ،
ألا ليت لي كلَّ يومٍ قَتِيلًا!

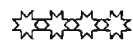
(١) السيف القاطع (عضب: قطع).

(٢) المَرْمِي بما يقتله ويرميه معترضاً به على الأرض. (٣) السترة.

في ليلة طامسة الأنجم
تَسَلَّلَ الموتُ إلى القصرِ
بين حرابِ الجنيدِ والأسهمِ
والأسيفِ الهنديَّةِ الحُمرِ
إلى سريرِ الملكِ الأعظمِ
إلى أميرِ البرِّ والبحرِ!!
ففارقَ الدنيا ولمَّا تزلْ
فيها خُمورٌ وأغاريدُ
فلم يمدَّ حُزنًا عاليه الجبلُ
ولا نوى في الروضِ أُمُودُ



في حومة الموتِ وظلُّ البلى
قد التقى السلطانُ والشاعرُ
هَذَا بِلَا مَجْدٍ، وَهَذَا بِلَا
ذُلٍّ، فَلَ بَاغٍ وَلَا ثَائِرُ
عَانَقَتِ الْأَسْمَالُ تِلْكَ الْحُلَى
وَاصْطَحَبَ الْمُقْهُورُ وَالْقَاهِرُ
لَا يَجْزَعُ الشَّاعِرُ أَنْ يُقْتَلَ
لَيْسَ وَرَاءَ الْقَبْرِ سَيْفٌ وَرَمَحُ
وَلَا يَبْأَلِي ذَاكَ أَنْ يُعْذَلَ
سَيَّانٍ عِنْدَ الْمَيْتِ ذُمٌّ وَمَدْحُ



وتوالتِ الأجيالُ تَطَرْدُ
جيلٌ يغيبُ وآخرٌ يفقدُ

أُخِنْتُ عَلَى الْقَصْرِ الْمَنِيْفِ فَلَا
الْجِدْرَانِ قَائِمَةٌ وَلَا الْعُمْدُ
وَمَشَتْ عَلَى الْجَيْشِ الْكَثِيْفِ فَلَا
خَيْلٌ مُسَوِّمَةٌ وَلَا زَرْدُ
ذَهَبٍ بَيْنَ صُلْحُوا وَمَنْ فَسَدُوا
وَمَضَتْ بَيْنَ تَعَسُّوا وَمَنْ سَعَدُوا
وَبَيْنَ أَذَابِ الْحَبِّ مَهْجَتُهُ
وَبَيْنَ تَأْكُلَ قَلْبَهُ الْحَسَدُ
وَطَوَتْ مَا لَوْ كَأَمَّا لَهُمْ عَدُوٌّ
فَكَأَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا وَجَدُوا
وَالشَّاعِرُ الْمُقْتُولُ بِأَقْيَمُهُ
أَقْوَالُهُ فَكَأَنَّهُهَا الْأَبَدُ
الشَّيْخُ يَلْمَسُ فِي جَوَانِبِهَا
صُورَ الْهَوَى، وَالْحِكْمَةُ الْوَلَدُ

٣ - الدمعة الخرساء

[الكامل]

سمعتُ عويلَ النائحاتِ عشيةً
في الحي يبتعثُ الأسى ويُثيرُ
يبكينَ في جُحِ الظلامِ صبيّةً
إنَّ البكاءَ على الشَّبابِ مَرِيرٌ^(١)
فَتَجَهَّمْتُ وتَلَفَّتْ مُرتاعةً
كالظبي أيقنَ أنه مأسُور
وتحيَّرتُ في مقلتيها دمعهُ
خرسَاءُ لا تَهْمِي وليس تغور
فكأنها بطلُ تَكْنَفُهُ العدا
بسيوفهم وحُسامهُ مكسور
وجمتُ فأمسى كلُّ شيءٍ واجماً
النورُ والأظلالُ والديجور
الكونُ أجمعُ ذاهلٌ لذهولها
حتى كأن الأرضَ ليس تدور
لا شيءَ مما حوَّلنا وأمامنا
حسنٌ لديها والجمالُ كثير
سكتَ الغديرُ كأنما التَّحَفُ الثُّرى
وسها النَّسيمُ كأنه مذعور
وكانما القَلَكُ المُنورُ بُلُقُ

(١) يريد: مرّ، على الشائع في الاستعمال.

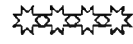
والأنجمُ الزهراءُ فيه قبور
كانت تمازحُني وتضحكُ، فانتهى
نورُ المزاح، فَضَحَها تفكير
قالت، وقد سلخَ ابتسامتها الأسي،
«صدقَ الذي قال: الحياةُ غرور»
أكذا نموتُ وتنقضي أحلامُنا
في لحظة، وإلى التُّرابِ نصير»
وتموجُ بیدانُ الثُّرى في اكْبُدِ
كانت تموجُ بها المُنَى وتمورُ
«خيرُ إن منّا الألى لم يولدوا
ومن الأنعام جلامدٌ وصخور»
«ومن العيونِ مكاحلٌ ومرادُ
ومن الشُّفاهِ مساحقٌ وذُرور»
«ومن القلوبِ الخافقاتِ صبابَةٌ
قصبٌ لوقعِ الريحِ فيه صفير»
وتوقفتُ، فشعرتُ، بعد حديثها،
أن الوجودَ مُشوّشٌ مبتورُ
الصيفُ ينفثُ حرّه من حولنا
وأنا أحسُّ كأنني مقرور
صارت إلى قلبي الشكوكُ فنغصتُ
لَيْلِي، وليس مع الشكوكِ سرور
وخشيتُ أن يغدو، مع الرّيبِ، الهوى
كالرسمِ، لا عطرُ، وفيه زهور
وكدمية المئالِ حُسْنُ رائِعُ
ملا العيونَ وليس ثمَّ شعور
فأجبتُها: «لتكنْ لديدانِ الثُّرى

أجسامُنا! إنَّ الجُسومَ قُشُورُ
 «لا تجزعي فالْموتُ ليس يَخيِّرُنا
 فأنَّنا إِيَّابُ بَعْدَهُ ونُشُورُ»
 «إنَّنا سَنَبْقَى بَعْدَ أن يَمْضِي الِوَرى
 وَيَزُولُ هَذا العَالَمُ المَنظُورُ»
 «فالحُبُّ نورٌ خالِدٌ مُتَجَرِّدٌ
 لا يَنْطَوِي إلا لِيَسْطَعَ نورُ»
 «وَبَنُو الهَوَى أحلامُهُم ورُؤُؤُهُم
 لا أَعْيُنُ ومَرِاشِفُ ونَحُورُ»
 «فإذا طَوَّتْنا الأرضُ عن أَزْهارِها
 وَخَلَا الدَجى مِنّا وفِيهِ بَلُورُ»
 «فستَرجِعِينَ خَمِيلَةَ مَعْطَارَةٍ
 أَنّا في ذُرّاها بَلْبَلُ مَسْحُورُ»
 «يَشْدُو لها وَيَطِيرُ في جَنبَاتِها
 فَتَهْشُ إِذ يَشْدُو، وَحِينَ يَطِيرُ»
 «أَوْ جَدولاً مُتَرْقِرقاً مَتَرْنُماً
 أَنّا فِيهِ مَوْجٌ ضاحِكٌ وَخَرِيرُ»
 «أَوْ تَرْجِعِينَ فَراشَةَ خَطَّارَةٍ
 أَنّا في جَناحِها الضُّحى المَوْشُورُ»^(١)
 «أَوْ نَسْمَةً أَنّا هَمْسُها وَحَفيفُها
 أَبْداً تُطَوِّفُ في الرُّبّا وَتَلُورُ»
 «تَغْشَى الخَمائِلَ في الصَّبّاحِ بَلِيلَةَ
 وَتَوُوبُ، حِينَ تَوُوبُ، وَهِيَ عَبِيرُ»
 «أَوْ تَلْتَقِي عِنْدَ الكَثِيبِ، عَلى رِضاً

(١) الوشُرُ. تحديد الأسنان وترقيقها لعله يريد. شفافية النور في الضحى.

وقناعة، صفصافةً وغدير»
«تمتدُّ فيه وفي ثراهُ عروقُها
ويسيلُ تحت فروعها ويسير»
«ويغوصُ فيه خيولُها فيلقهُ
ويشفُّ فهو المنطوي المنشور»
«يأوي إذا اشتدَّ الهجيرُ إليهما
الناسكان: الطبي والعصفور»
«لهما سكينتُها ووارفُ ظلُّها،
والماءُ إن عطشا لديه وفير»
«أعجوبتان: زَبرجدٌ متهدلٌّ
نام، تدفَّقَ تحتَه البُور»^(١)
«لا الصبحُ بينهما يحولُ ولا الدجى
فكلاهما بكليهما مغمور»
«تتعاقبُ الأيامُ وهي نضيرةٌ
مخضرةٌ الأوراق وهو نَمير»
«فالدهرُ أجمعهُ لديها غبطةٌ
والدهرُ أجمعهُ لديه حُبور»
«فتبسمت، وبدا الرضا في وجهها،
إذ راقها التمثيلُ والتَّصوير
عاجتُها بالوهم، وهي قَريرةٌ،
ولكم أفاد المَوجع التَّخديرُ
ثم افتَرقنا ضاحكَيْنِ إلى غدٍ
والشُّهبُ تهمسُ فوقنا وتشير
هي كالسافرِ أب بعد مشقَّة
وأنا كائني قائدٌ منصور

(١) الزبرجد: جوهَر يقال إنه الزمرد.



لكنني لما أويت لمضجعي
خشن الفراش علي وهو وثير
وإذا سراجي قد هت وتلجلجت
أنفاسه، لكأنه المصور
وأجئت طرفي في الكتاب فلاح لي
كالرسم مطموساً وفيه سطور
وشربت بنت الكرم أحسب راحتي
فيها، فطاش الظن والتقدير
فكأنني فأك هت أمراسها
والبحر يطغى حولها ويثور
سلب الفؤاد رؤاه والجفن الكرى
هم عمراً فكلاهما مورتور
حامت على روعي الشكوك كأنها
وكانهن فريسة وصقور
ولقد لجأت إلى الرجاء فعقني
أما الرجاء فخائب مدحور
يا ليل! أين النور؟ إني تائه،
مُرّ ينبثق، أم ليس عندك نور
أكذا نموت وتنقضي أحلامنا
في لحظة، وإلى التراب نصير



٤ - الفيلسوف المجنح

[الكامل]

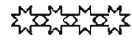
يا أيها الشّادي المغرّد في الضحى
أهواك إن تُنشِدْ وإن لم تنشد
الفنُّ فيك سجيّة لا صنعة
والحبُّ عندك كالطبيعة سرمدى
فإذا سكّت فانت لحن طائر
وإذا نطقت فانت غير مقلّد
له درك شاعراً لا ينتهي
من جيّد إلا صبا للأجود
مرح الأزهري في غنائك، والشّذا،
وطلاقة الغدران والفجر النّدى
وكان زورك فيه ألف كمنجة
وكان صدرك فيه ألف مُردّد
كم زهرة في السّفح خادرة^(١) المُنَى
سكنت على يأسٍ سكون الجأمد
غنيّتها فاستيقظت وترنّحت
وتألّقت كالكوكب المتوقّد
وجرى الهوى فيها، وشاع بشاشة
من لم يُحبّ فإنه لم يولد
وكانني بك، حين تهتف، قائل
للزهر: إن الحسن غير مُخلّد

(١) الخاسر. الفاتر الكسلان.

(٢) فِي الدُّوْحِ، مِنْ غَصْنٍ لَغَصْنٍ أَمْلَدُ
مَتَزَوِّدًا مِنْ كُلِّ حُسْنٍ لِحَاةً
شَأْنُ الْمَحَبِّ الثَّائِرِ الْمُتَمَرِّدِ
وَإِذَا ظَفَرْتَ بِنَفْحَةٍ وَبِقَطْرَةٍ
فَلَقَدْ ظَفَرْتَ بِرَوْضَةٍ وَبِمُورِدِ
تَشْدُو وَتَبْهَتُ حَائِرًا مُتَرَدِّدًا
حَتَّى كَأَنَّكَ حِينَ تُعْطِي تَجْتَدِي
وَتَمُدُّ صَوْتَكَ فِي الْفَضَا مَتْلَهْفًا
فِي ذَاةِ الْمُسْتَرْحِمِ الْمُسْتَنْجِدِ
فَكَأَنَّكَ لَكَ مَوْطِنٌ ضَيِّعَةٌ
خِلَافَ الْكَوَاكِبِ فِي الزَّمَانِ الْأَبْعَدِ

(٢) الأملد والأملود. الناعم.

وطنٌ جميلٌ كنت فيه سيّداً
فمضى، ودام عليك همُّ السيّد
طوردت عنه إلى الحضيض فلم تزل
متلفّثاً بالخائف المتشرّد
يببو لعينك في العقيق خيالهُ
وتراه في ورق الغصون اليد
صورٌ معدّدةٌ لغير حقيقة
كالآل^(١) لاح لمُعطشٍ في فدّ^(٢)
فَتَهُمُّ أن تدنو إليه، وتنثني
حتى كأنك خائفٌ أن تهتدي!
وكانه حلمٌ يصحُّ مع الكرى
فإن انتهيت مع الكرى يتبدّد
كم ذا تفتّش في السفوح وفي الذُرّا
عنقاء^(٣) أقربُ منه للمتصيد



يا أيها الشادي المغرّد في الضحى
أهواك إن تنشد وإن لم تُنشد
طوباك إنك لا تفكّر في غدٍ
بدء الكآبة أن تفكّر في غد
إن كنت قد ضيّعت إلفك إنني
أبكي على إلفي الذي لم يوجد!



(١) السراب.
(٢) الفلاة التي لا شيء فيها
(٣) العقاب.

٥ - ماء وطنين

[الخفيف]

سألتني وقد رجعتُ إليها
وعلى مفرقي غبارُ السنين:
أيُّ شيءٍ وجدت في الأرض بعدي؟
قلتُ: إني وجدتُ ماءً وطنينا
جمع الحُسن والدمامة والإقْد
عدام والخوف والنُّهى والجنونا
والرجاء الذي يصيرُ به الفَد
فَد^(١) روضاً وشوكةً نسرينا
والقنوط الذي يُعري من الأَوْ
رَاق، في نشوة الربيع، الغصونا
ووجدتُ الهوى كما كان قدماً
ثقة تارة، وطوراً ظنونا
وشباباً سكراناً من خمرة الوه
م يخالُ الحالُ أمراً يقينا
فإذا شاخت الرؤى وتلاشت
وصحا، بات جزمة تخميننا
لا يزالُ الإيمانُ نوعاً من الره
بة، والحسنُ لغرورِ خدينا
لا يزالُ الغنى يختالُ في الأر
ض وإن كان جاهلاً مأفونا

(١) المفارقة الواسعة الخالية.

كُلُّ مَنْ قَدْ لَقِيَْتُ مِثْلَكَ يَانَفُ
سَيِّ فِي مَا تُبْدِيْنَ أَوْ تُخْفِيْنَا
فَانْظُرِيْ مَرَّةً إِلَيْكَ مَايَا
تُبْصُرِي الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينََا

٦ - الإبريق

[الطويل]

ألا أيها الإبريقُ ما لك والصَّافُ
فما أنت بلَّورٌ ولا أنت من صَدَفُ
وما أنت إلا كالإبريقِ كَأُهَا
ترابٌ مهينٌ قد ترقى إلى خَرْفِ
أرى لك أنفاً شامخاً غير أنه
تلفَّع أثواب الغبار وما أنف
ومسَّته أيدي الأندىاء فما شكا
ومصَّته أفواه الطغام فما وجف
وفيك اعتزازٌ ليس لـلـديك مثله
ولست بذى ريشٍ تضاعف كالزَّغَف^(١)
ولا لك صوتٌ مثله يصدع الدُّجى
وتهتف فيه الذكريات إذا هتَف



وأُنصتُ أستوحيه شيئاً يقوله
كما يسكت الزَّوارُ في معرض التُّحَفِ
وبعد ثوانٍ خلتُ أنى سمعته
يُثرثرُ مثل الشيخ أدركه الخَرْفِ
فقال: «سقيت الناس»، قلتُ له: أجلُ
سقيتهم ماء السحاب الذي وكَف

(١) زغفت البئر: كثر ماؤها، وزغف كلاماً كثيراً: زاد فيه بالكذب.

ودمع السواقى والعيونِ الذي جرى
وماءَ الينابيعِ الذي قد صفا وشَفَّ
فقال: ليذكُرْ فضلي الماءُ وليُشدَّ
بمدحي أَلَمْ أحملْهُ؟ قلت: لك الشُّرفُ!
فقال: أَلَمْ أحفظْهُ؟ قلت: ظالمتهُ
فلولاهُ لم تُنقلْ ولولاك ما وقَّفُ!

٧. أمنيّة إلهة

[مختلط]

أحبّ إله في صلباه إلهه
جرى السحر في أعطافها والترائب^(١)
تمنّت عليه أية لم يجيء بها
إله سواه في العصور الذواهب
ليُمسي على الأرباب أجمع سيّداً
وتُمسي تُباهي كل ذات نوائب
وكان إلهاً جامحاً متضرماً
هوى، فأتى بالمعجزات الغرائب
كسا الأرض بالزهر البديع لأجلها
ورصّع آفاق السّما بالكواكب
وما زال حتى علّم الطير ما الهوى
فحنّت وغنّت في الذُّرا والمناكب^(٢)
وأنشأ جنات وأجرى جداولاً
ومدّ المروج الخضر في كل جانب
وشاء فشاع العطر في الماء والضيا
وفي كل صوتٍ أو صدى مُتجاوب

ومسّ الضُّحى فارفض تَبراً على الرُّبا
وسال عقيقاً في حواشي السباسب^(٣)

(١) موضع القلادة من الصدر (مفردها تريبة).

(٢) يقصد. سفوح الجبال، ما يورث نراها

(٣) السباسب: الأرض الفجر البعيدة.

وقال لأحلام البحار: تجسّدي
مواكب ألوانٍ وجيش عجائب
فكانت لآلٍ في الشطوط، وفي الفضاء
غُيومٌ، وموجٌ ضاحكٌ في الغوارب^(١)
ولما رأى الأشياءَ أحسن ما تُرى
وتمتّ له دنيا بغيرِ معائب
دعاها إليه كي تُبارك صنعه
ولم يدر إن الحبَّ جمُّ المطالب
فقالت له أحسنت! أحسنت مُبدعاً
فيا لك ربّاً عبقرى الموهب
ولكنّ لي أُمْنِيَّةٌ ما تحقّقت
إذا لم تُنلّنيها فما أنت صاحبي!



فدنياك هذي على حُسْنِها
وسحرٍ مشاهدها والصورُ
تُشاركني سائرُ الألهاتِ
لماذا تها ونساءُ البشر



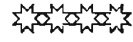
أريدُ دنيا فيها شُعاعُ
يبقى إذا غابتِ النجومُ
أريدُ دنيا تُحسُّ نفسي
فيها نفوساً بلا جُسوم
أريدُ خمراً بلا كؤوسٍ
من غيرِ ما تُنبتُ الكروم

(١) غوارب الماء: أعاليه.

أريد عطراً بلا زهور
يسري وإن لم يكن نسيم



وزادت فقالت: أريد أنيناً
يُشوِّشُ رُوحِي ولا مُحْتَضِرُ
وماءً يمجُّ ولا جدولُ
وناراً بلا حطبٍ تستعر
فأطرق ذاك الإله الفتي
وفي نفسه ألمٌ مستتر
وقال: أمهليني ثلاث ليالٍ
أدللُ فيها المراد العسر!



وراح يجوبُ رحاب الفضاء
يحدوه شوقٌ ويدعوه سر
فسال مع الشمس فوق الرُّبا
وغلغل في الحُندس^(١) المعتكر
وأصغى إلى نسيمات المروج
وأصغى إلى نفحات الزَّهر
وبعد ثلاث ليالٍ أتاهما
فظننته جاء لكي يعتذر
فقال: وجدتُ الذي تطأُبِينِ
لدى شاعرٍ ساحرٍ مُبتكر
وأخرج خيطاً قصير المدى
بلونِ الترابِ ولينِ الشَّعر

(١) الظلمة.

فلما رآته عراها الأسي
وغور إيمانها واندر
فصاحت بغيط: أتسخر مني؟
إذن فاحمل العار، أو فانتحر!
أجاب: رؤيدك يا ربتي
فما في التعجل إلا الضرر!
وشد إلى آلة خيطه
ودغده صامتاً في حذر
ففاضت خمور وسالت دموع
وشغقت بروق ولاحت صور!
فصاحت به وهي مدهوشة:
ألا إن ذا عالم مختصر!
فيا ليت شعري ماذا يسمي؟
فقال لها: إن هذا الوتر!

٨ - ليل الأشواق

[الخفيف]

رُبَّ لَيْلٍ نَجْوَمُهُ ضَاكَاكُ
مِثْلُ أَحْلَامٍ غَادَةٍ فِي صَبَاها
لَمَسْتُ إِصْبَعُ السَّكِينَةِ أَشْوَا
قِي فَهَبْتُ مَذْعُورَةً مِنْ كَرَاهَا
كَطَيُورٍ فِي الْأَسْرِ تَبْغِي انْعَتَاقًا
قَبْلَ أَنْ يُفْسِدَ الْإِسَارُ لُغَاهَا
أَبْقَى^(١) النَّوْمُ، فَانْطَلَقْتُ إِلَى النَّهْ
رِ بِنَفْسٍ كَادَتْ تَسِيلُ دُمَاهَا
وَمَعِيَ صَاحِبُ رَقِيقِ الْحَوَاشِي
تَجِدُ النَّفْسُ فِي رُؤَاهُ رُؤَاهَا
إِنْ دَجَتْ لَيْلَةٌ أَرَاكَ ضُحَاهَا
أَوْ نَوْتُ زَهْرَةً أَرَاكَ شَذَاهَا



قال: ما أجمل الكواكب! ما أحـ
لى سناها! فقلت: ما أحلاها
قال: لا شوق، لا صبا، لا لولا
ها! فتمتتمت قائلاً: لولاها!
قال: هل تشتهي الوصول إليها؟
قلت: إني لا أشتهي إلاها!



(١) هرب.

كان طرفي يجولُ في العالم الأعـ
لى وروحي تجول في مغناها
وجاليسي يظنُ في الشُّهبِ قصدي
وأنا أحسبُ الجاليسَ عنها
قال: والنهرُ كم طوى من صبابا
ت! فاطرقتُ استشفُ المياها
فإذا النهرُ فيه رِيشةٌ رُوحِي
حين يدوي فيها صدى ذكراها
قال: والليلُ.. قلتُ حسْبُكَ إِمنا
تُ لِنَفْسِي وحسْبُ نَفْسِي نُجاها
فانقطَعنا عن الكلام وبِتنا
كلُّ نفسٍ لِذاتِها نَجواها
~~~~~

خلتُ أني إذا بعُدْتُ سأنسا  
ها ويطوي الزمانُ سفرَ هواها  
وتَوَهَّمتُ أنني سوف ألقى  
ألف ليلي، وألف هندی، سواها  
فإذا الحبُّ كالفضاءِ وقلبي  
طائرُ في الفضاءِ ضلٌّ وتاها  
أنا في عالمِ قصي سحيقٍ  
لا أراها لكنَّ رُوحِي تَراها  
قد نشقتُ<sup>(١)</sup> الأزهار في كل أرضٍ  
يا شذاهنَّ لست مثلَ شذاها!

---

(١) نشيق: شم.

كيف أنسى وأينما سرت في الدُّ  
نيا أراني أسيرُ في دنياها  
وإذا ما لحت في الأرض حُسناً  
فكأنني لحتُها إياها  
وإذا داعب النسيمُ ردائي  
قلت: قد علمتُه هذا يداها!  
هي أدنى من الأمانِي إلى قلبي  
بي، وقلبي يصيح: ما أقصاها!  
لست أشكو النوى مَلاً ولا وكنْ  
طربُ الروح أن تُذيع جواها<sup>(١)</sup>



قال قوم: إنَّ المحبَّةَ إثمٌ!  
ويح بعضِ النفوسِ ما أغباها!  
إنَّ نفساً لم يُشرقِ الحبُّ فيها  
هي نفسٌ لم تدرِ ما معناها  
خوفوني جهنَّماً ولظاها  
أيُّ شيءٍ جهنَّمٌ ولظاها؟  
ليس عند الإله نارٌ لذي حب  
ونارُ الإنسانِ لا أخشاها!  
أنا في الحبِّ قد وصلتُ إلى نفسي  
وبالحبِّ قد عرفتُ الله!



---

(١) الجوى: الحرقه وشدة الوجد.

## ٩ - عِشْ لِلْجَمَالِ

[البسيط]

عِشْ لِلْجَمَالِ تَرَاهُ الْعَيْنُ مُؤْتَلِقاً  
فِي أَنْجَمِ اللَّيْلِ أَوْ زَهْرِ الْبَسَاتِينِ  
وَفِي الرُّبَا نَصَبْتُ كَفُّ الْأَصِيلِ بِهَا  
سُرَادِقاً مِنْ نُضَارِ الْريَّاحِينِ  
وَفِي الْجِبَالِ إِذَا طَافَ الْمَسَاءُ بِهَا  
وَلَقَّهَا بِسَرَابِيلِ الرَّهَابِينِ<sup>(١)</sup>  
وَفِي السَّوَاقِي لَهَا كَالْطِفْلِ ثَرَثَةٌ  
وَفِي الْبُرُوقِ لَهَا ضَحْكُ الْمَجَانِينِ  
وَفِي ابْتِسَامَاتِ «أَيَّارٍ» وَرُوعَتِهَا  
فَإِنْ تَوَلَّى، فَفِي أَجْفَانِ «تَشْرِينِ»  
لَا حِينَ لِلْحَسَنِ لَا حَدٌّ يَقَاسُ بِهِ  
وَإِنَّمَا نَحْنُ أَهْلُ الْحَدِّ وَالْحِينِ  
فَكَمْ تَمَاجٍ فِي سَرِبَالِ غَانِيَةٍ  
وَكَمْ تَأَلَّقَ فِي أَسْمَالِ مَسْكِينِ  
وَكَمْ أَحْسَ بِهِ أَعْمَى فَجُنَّ لَهُ  
وَحَوْلَهُ أَلْفُ رَأٍ غَيْرِ مَفْتُونِ

---

(١) الرهبان.

عشّ للجمالِ تراه ههنا وهنا  
وعشّ له وهو سرٌّ جدُّ مكنون  
خيرٌ وأفضلُ ممن لا حنينَ لهم  
إلى الجمالِ، تمائيلٌ من الطّين

\*\*\*\*\*

## ١٠ - وقائلة

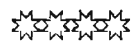
[الوافر]

وقائلة: هجرت الشعر حتى  
تغنى بالسخافات المُنغني  
أتى زمن الربيع وأنت لاهٍ  
وقد ولّى ولم تهتف بالحن  
ونفسك كالصدي في قاع بئرٍ  
ومثل الفجر ما تحفأ بدجن<sup>(١)</sup>  
فما لك ليس يستهويك حسنٌ  
وأنت المرء تعشق كلَّ حسنٍ  
أتسكت والشباب عليك ضافٍ  
وحولك الهوى جنات عدن؟  
ركود الماء يورثه فساداً!  
فقلت لها: استكيني واطمئني  
فما حطمت يد الأيام روعي  
وإن حطمت أباريقي ودني  
ولم أعقد على خوف لساني  
ولا ضناً على الدنيا بفني  
ولكنني امرؤ للناس ضحكي  
ولي وحدي تباريحي وحزني  
إذا أشكو إلى خدنٍ همومي  
وفي وسعي السكوت، ظلمت خدني

---

(١) الغيم المطبق في السماء.

وَتَأبَى كِبْرِيَاءِي أَنْ يَرَانِي  
فَتَى مُغْرورَقاً بِالدمع جفني  
فَأَسْتَرْ عِبْرَتِي عَنْهُ لئلا  
يَضِيقُ بِهَا وَإِنْ هِيَ أَحْرَقَتْني  
وَيَبْكِي صَاحِبِي فَاِخْأَلْ أَنِي  
أَنَا الْجَانِي وَإِنْ لَمْ يَتَّهِمْنِي  
فَأَمْسَحْ أَدْمَعاً فِي مَقَالَتِيهِ  
وَإِنْ حَكَّتِ الْهَيْبُ، وَإِنْ كَوَّتْنِي  
لَأَنِي كَأَمَّا رَفَّهَتْ عَنْهُ  
طَرِبْتُ كَأَنَّنِي رَفَّهَتْ عَنِّي  
كَذَلِكَ كَانَ شَأْنِي بَيْنَ قَوْمِي  
وَهَذَا بَيْنَ كُلِّ النَّاسِ شَأْنِي  
أَقُولُ لِكُلِّ نَوَاحٍ رَوِيْدَا  
فَإِنْ الْحُزْنَ لَا يُغْنِي، وَيُضْنِي  
وَجِدْتُ الدَّمْعَ بِالْأَحْرَارِ يُزْرِي  
فَلَيْتَ الدَّمْعَ لَمْ يُخْلَقْ بِجَفْنِي!



سَبِيلُ الْعِزِّ أَنْ تَبْنِي وَتُعْلِي  
فَلَا تَقْنَعُ بِأَنْ سَوَاكَ يَبْنِي  
وَلَا تَكُ عَالَةً فِي عُتُقِ جَدِّ  
رَمِيمِ الْعِظَمِ أَوْ عَبْئاً عَلَى ابْنِ  
فَمَنْ يَغْرِسُ لَكَ يَجْنِي سِوَاهُ  
يَعِشْ، وَيَمُوتُ مَنْ يَحْيَا لِيَجْنِي!



الائمتي اتركيني في سُكوني  
وُلومي من يضحُّ بغيرِ طَحْنٍ<sup>(١)</sup>  
إذا صار السَّماعُ بلا قِياسِ  
فلا عجبُ إذا سَكَتَ المِغْنِي  
أنا وَلئنْ سَكَتُ وقالَ غيري  
وجعجعَ صاحبُ الصوتِ الأرْنِ  
إذا أنا لم أَجِدْ حَقلاً مريعاً<sup>(٢)</sup>  
خَلَقْتُ الحَقْلَ في رُوحِي وذَهْنِي  
فَكَادَتْ تَمَلُّ الأئِمَّارُ كَفِّي  
ويعبَقُ بالشَّدَا الفَوَّاحِ رِدْنِي

\*\*\*\*\*

---

(١) البقيق.  
(٢) الخصيب.

## ١١ - موميات

[المجتث]

عرجُ صاحبِ الديوانِ في إحدى سفراته على فندقٍ فخمٍ، فلم يرَ إلا عجائزَ فقال:

لِمَنْ يَضُوعُ الْعَبِيرُ؟

لِمَنْ تُغَنِّي الطُّيُورُ؟

لِمَنْ تُصَفُّ الْقَنَازِي؟

لِمَنْ تُصَبُّ الْخُمُورُ؟

وَلَا جَمَالَ أَنْ يَقُ

وَلَا شَبَابُ نَضِيرِ

بَلْ مُومِيَاتُ عَلِيهَا

أَطْطَالُ السُّوَّاحِرِ

رَاحَتُ تَقَعُّعِ حَوَالِي

فَكَادَ عَقَلِي يَطِيرُ

وَلَاذِ قَلْبِي بِصَدْرِي

كَأَنَّهُ عَصْفُورُ

لَا حَتَّ لَهُ فِي الْأَعْمَالِي

بِوَأَشَقُّ وَصُوقُورُ

وَقَالَ: ضُوبِقَتْ فَاهِرَبْ!

قُلْتُ: الْفَرَارُ عَسِيرُ

مَالِي جَنَاحُ وَلَا لِي

سَيَّارَةٌ أَوْ بَعِيرُ

صَبْرًا فَهَذَا بَلَاءُ

مَقْدَرُ مَسْطُورُ

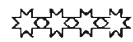




كالبدن حين تراه  
 يعينك «الناظر»  
 تبطلو لعينيك فيه  
 برارخ وبرا  
 وأنج د وواد  
 لك نه م هج ورا  
 مثل المسن والكن  
 لا مماء فيه يمور  
 ما لبعة فیه  
 قوت بل التضرير  
 ولا يئور فيه  
 نواب ولا أظف ورا  
 ولا يدين ارتعاش  
 ولا عظام صرير  
 أما العيون فغارت  
 ولا تزال تغور  
 مغاور، بل صحرارى  
 بل أكهف، بل قبر  
 والخصر، عفواً وصفحاً!  
 كانت لهن خصور!  
 \*\*\*\*\*  
 هن السعالى<sup>(١)</sup> ولكن  
 سعالهن كثير

(١) السعلاة: أخبث الغيلان، مما خلقته المخلية.

حـدـيـنـنـهـن انـتـفـاضـ  
 ووضـحـكـهـن هـرـيـر<sup>(١)</sup>  
 ومـشـيـهـن ارـتـبـاكـ  
 وتـارـة تـقـديـر  
 يـغـضـبـن ان مـال ظـلـ  
 وإن شـدـا شـحـرود  
 وإن تـهـادـت غـصـونـ  
 وإن تـسـارـي<sup>(٢)</sup> عـبـيـر  
 وإن تـمـاـيـل عـشـبـ  
 وإن تـمـاـوج نـور  
 فـكـل شـيـ قـبـيـحـ  
 وكـل شـيـ حـقـيـر  
 وكـيـف يـفـرح قـابـ  
 رـجـاؤه مـدحـور؟  
 مـالـرـمـاد لـهـيـبـ  
 مـالـجـاـيـد خـريـر



مـن حـواـهـن الأـقـاحـي  
 والـورـد والمـنـنـور  
 وهـن مـكـتـبـاتـ  
 كـأنـهـن صـخـور  
 لا يـبـتـسـمـن لـشـيـ  
 أمـالـهـن نـغـور؟

(١) صوت الكلب دون نباحه.

(٢) تفاعل من (سرى) !

بلى، ألهنَّ تُغورُ  
وإنمَّا لا شـعـورُ!  
كانمَّا الحُسْنُ في الأُرُ  
ضِ كـلُّه تـزويـر  
\*\*\*\*\*

في قُـنـدقٍ أنـا أم في  
جـهـنـمٍ مـحـشـورُ؟  
وهل أنـا فـيـه ضـيـفُ  
لـسـاعـة أم أسـير  
يا لـيـتـنـي لم أـزـرهُ  
وإيـتـهُ مـهـجـور  
فـاـيـس يـهـنـأ فـيـه  
إلا الأصمُّ الضُّرير!

\*\*\*\*

## ١٢ - هدايا العيد

[الخفيف]

خرج الناسُ يشترونَ هدايا الـ  
عيد للأصدقاء والأحبابِ  
فتمنَّيتُ لو تُسامعني الدُّدُّ  
يا فاقضي في العيد بعضَ رغابي  
كنتُ أهدي، إذن، من الصُّبرِ أرطاً  
لأَ إلى المنشئَيْنِ والكتَّابِ  
وإلى كلِّ نابغٍ عبقريٍّ  
أمَّةُ أهلها نوو ألبابِ  
وإلى كلِّ شاعرٍ عربيٍّ  
سألهُ من فواكه الألقابِ  
وإلى كلِّ تاجرٍ حُرِّم التَّو  
فيقَ زَقَيْنٍ من عصيرِ الكذابِ  
وإلى كلِّ عاشقٍ مُقلِّدٍ تُبِّ  
صرُّكم من ملاحه في التُّرابِ  
وإلى الغداة الجميلة «مراً  
ة» تُريها ضمائر العُزَّابِ  
وإلى الناشئ الغرير مرَّناً  
وإلى الشيخِ عزمه في الشُّبابِ  
وإلى معشرِ الكسالى قُصوراً  
من لُجينٍ وعسجدٍ في السحابِ  
علَّني أستريحُ منهم فقد صا  
روا كظلي في جيئتي وذهابي

وإلى ذي الغنى الذي يرهبُ الفقرُ  
ر ازدياد الذي به من عذاب  
كلّما عدّ ماله مطمئناً  
أبصر الفقير واقفاً بالباب  
وإلى صاحب المُرَاوِغِ وجهاً  
أسوداً حالكاً كوجه الغراب  
فإذا لاح فرتِ الناسُ دُعراً  
من طريق المنافق الكذاب  
وإلى المؤمنين شيئاً من الشك  
ك وبعض الإيمان للمُرتاب  
وإلى من يسبُّني في غيابي  
شرفاً كي يصونه من سبابي  
وإلى حاسدي عُمراً طويلاً  
ليدوم الأسى بهم ممّابي  
وإلى الحقل زهره وحلّاه  
من ندى لامع ومن أعشاب  
فقبّيح أن ترتدي الحُلَّ القُشَّ  
ب وتبقى الربا بغير ثياب  
لم يكن لي الذي أردتُ، فحسبي  
أنني بالمنى ملأتُ وطابي<sup>(١)</sup>  
ولو أن الزمانَ صاحبُ عقلٍ  
كنتُ أهدي إلى الزمان عتابي

\*\*\*\*

---

(١) الوطب والوطاب: سقاء اللين.

## ١٣ - الفراشة المحتضرة

[البسيط]

لو كان لي غير قلبي عند مرآك  
لما أضاف إلى بلواه بلواك  
فيم ارتجاجك؟ هل في الجو زلزلة؟  
أم أنت هاربة من وجه فتاك؟  
وكم تلورين حول البيت حائرة  
بنت الربا، ليس مأوى الناس مأواك  
قالوا: فراشة حقل لا غناء بها،  
ما أفقر الناس في عيني وأغناك!  
سيماء غاوية، أطوار شاعرة،  
على زهادة عباء ونسك  
طغراء<sup>(١)</sup> مملكة وشى حواشيها  
من نوب الشمس ألواناً ووشاك  
رأيت أحلام أهل الحب كأنهم  
لما مثلت أمامي، عند شباك  
من نائمين على نل ومثربة  
ومن تجار وأشراف وملاك<sup>(٢)</sup>  
وقص شكواك قلبي قصة عجباً  
من قبل أن سمعت أذناي شكواك

---

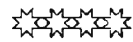
(١) الطغراء: الطرفة في أعلى الرسائل، تتضمن نعوت الحاكم وألقابه.

(٢) المثربة: الفاقة والمسكنة.

أليس فيك من العُشَّاقِ حَيَّرْتَهُمْ؟  
فكيف لا يفهم العُشَّاقُ نجواك؟



حلمت أن زمانَ الصيفِ منصرمٌ  
ويلاه! حقَّقَتِ الأيامُ رؤْيَاكَ  
فقد نعاها إليك الفجرُ مُرتعشاً  
وليس منعاه إلا بعضُ منعاك  
فألزهرُ في الحقلِ أشلاءً مُبعثرةً  
والطَّيرُ؟.. لا طائرٌ إلا جناحاك  
مدَّ النهارُ إليه كفَّ مختلسٍ  
وفَتَّحَ الليلُ فيه عينَ سَفْكَاكِ  
شاءَ القضاءُ بأنَّ يشقى فجردهُ  
من الحُلِيِّ وإنَّ تشقِّيَّ فابِّقَاكِ  
لم يبقَ غيرَكَ شيءٌ من محاسنهِ  
ولا من العابدين الحسنِ إلَّاكَ  
تزوَّدَ الناسُ منه الأنسُ وانصرفوا  
وما تزوَّدَ إلا اليأسُ جفناكِ



يا روضةً في سماءِ الرُّوضِ طائِرةً  
وطائِراً كالأقاجي ذا شذاً ذاكِ  
مضى مع الصيفِ عهدُ كنتِ لاهيةً  
على بساطٍ من الأحلامِ ضحَّاكِ  
تُمسِينَ عندَ مجاري الماءِ نائمةً  
وللأزاهرِ والأعشابِ مغدَاكِ  
فكلُّما سمعتُ أذنَّاكِ ساقيةً  
حثثتِ للسفحِ من شوقِ مطاياكِ

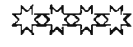


وكلّما نورّت في السفح زنبقهُ  
صفّقت من طربٍ واهتزّ عطفاك  
فما رشفت سوى عطرٍ ولا انفتحت  
إلا على الحسنِ المحبوبِ عيناك  
وكم لثمت شفاهَ الورد هائمهً  
وكم مسحت دموعَ النرجسِ الباكي  
وكم ترجّحت في مهد الضياء على  
توقيع لحن الصبّا أو رجّعه الحاكي  
\*\*\*\*\*

وكم ركضت فأغريت الصغار ضحى  
بالركض في الحقل ملهائم وملهاك!  
منّوا بأسرهم إياك أنفسهم  
فأصبحوا بتمنيهم أسارك  
جروا قُصاراهم حتى إذا تعبوا  
وقفت ساخرةً منهم قُصاراك  
لولا جناحك لم تسلّم طريدتهم،  
قد نجّياك، ولكن أين منجّاك؟  
ها أنت كالحقل في نزع وحشرجة  
وهت قُواك كما استرخى جناحك  
أصبحت للبؤس في مغناك تائهةً  
كأنه لم يكن بالأمس مغناك  
\*\*\*\*\*

فراشة الحقل.. في روعي كابته  
مما عراه ومما قد تولاك  
أحببته وهو دارُ تلعبين بها  
وسوف تهواه نفسي وهو مثواك

قد بات قلبي في دنيا مشوشة  
منذ التفتُ إلى آثار دنياك  
لا يستقر بها إلا على وجلٍ  
كالطير بين أحابيلٍ وأشراك



خَلتُ أرائكُ كانت أمسِ أهلةً  
غَناءً، فاليومُ لا شادٍ ولا شاك  
أرضُ خلاءٍ وجوٌّ غيرُ ذي ألقي  
بلى، هناك ضبابٌ فوق أشواك  
فيا رياح الخريف العاتياتِ كَفَي  
عصفاً فقد كُثرتْ في الأرض قتلاك  
كيف اعتذارُك إن قال الإله غداً:  
هل الفراشةُ كانت من ضحاياك؟  
يا نعمةً تتلاشى كلما بعدتْ  
إن غبتِ عن مسمعي ما غاب معنك  
ما أقدر الله أن يُحييك ثانيةً  
مع الربيع، كما من قبلُ سواك  
فيرجعُ الحقلُ يزهو في غلائله  
وترجعين، وأغشاهُ فألقاك!



## ١٤ - ابتسم

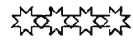
[الكامل]

قال: «السَّماءُ كئيبَةٌ!» وتجهَّما  
قلتُ: ابتسمْ، يكفي التَّجهُّمُ في السَّما!  
قال: الصَّبا ولَّى! فقلتُ له: ابتسمْ  
لن يُرجع الأسفُ الصَّبا المُتصرِّما!  
قال: التِّي كانت سَمائي في الهوى  
صارت لِنفسي في الغرامِ جهنَّما  
خانت عهودي بعدما ملأْتُها  
قلبي، فكيف أُطيقُ أن أتبسَّما؟  
قلتُ: ابتسمْ واطربْ فلو قارنتها  
قضيت عمركَ كلَّه مُتألِّما!  
قال: التَّجارةُ في صراعٍ هائلٍ  
مثلُ المسافرِ كاد يقتله الظُّما  
أو غادةٍ مسلولةٍ محتاجةٍ  
لدمٍ، وتنفُثُ، كأما لهثتُ، دما!  
قلتُ: ابتسمْ ما أنت جالبٌ دائها  
وشفائها، فإذا ابتسمتَ فربُّما...  
أَيكونُ غيرُكَ مُجرِّما وتبَّيتُ في  
وجلٍّ، كأنك أنت صرتَ المجرِّما؟  
~~~~~  
قال: العدا حولي علَّتْ صيحاتُهم
أُسْرُ والأعداءُ حولي في الحمى؟

قلت: ابتسم، لم يطلبوك بدمهم
لو لم تكن منهم أجل وأعظم!



قال: المواسم قد بدت أعلامها
وتعرضت لي في الملابس والدمى
وعلي لأحباب فرض لازم
لكن كفي ليس تملك درهمما
قلت: ابتسم، يكفيك أنك لم تزل
حيًا، ولست من الأحبة معدما!



قال: الليالي جرعتني علقماً
قلت: ابتسم ولئن جرعت العلقما
فأعمل غيرك إن رأك مرئماً
طرح الكابة جانباً وترئماً
أترك تغنم بالتبرم درهماً
أم أنت تخسر بالبشاشة مغنماً؟
يا صاح، لا خطر على شفئك أن
تتألماً، والوجه أن يتحطماً
فاضحك فإن الشهب تضحك والدجى
متلاطم، ولذا نحب الأنجماً!
قال: البشاشة ليس تسعد كائناً
يأتي إلى الدنيا ويذهب مرغماً
قلت: ابتسم ما دام بينك والردى
شبر، فإنك بعدلن تتبسماً!



١٥ - لو أستطيع

[مجزوء الكامل]

لو أستطيعُ سَكَبْتُ رَوْ
حِي خَمْرَةً فِي كَاسِهَا
حَتَّى إِذَا حَالَ النُّوَى
بَيْنِي وَبَيْنَ كُنَاسِهَا^(١)
وَتَجَاهَلْتُ أَوْ أَنْكَرْتُ
أَمْرِي لَدَى جُلَاسِهَا
أَطْلَلْتُ مِنْ أَجْفَانِهَا
وَجَرَيْتُ مَعَ أَنْفَاسِهَا!

(١) بيت تلجه الظباء والبقر، تستكنّ فيه من الحر.

١٦ - يانفس

[السريع]

يا نفس لو كنتِ ترين الشؤُونُ
كما يراها سائرُ الناسِ
لما رماني بعضُهم بالجنونِ
ولم أجِدْ في الناس من باسِ
~~~~~

بالأمسِ مرَّ الموكبُ الأكبرُ  
فيه الفتى الراكبُ والناعِلُ  
واقبلتْ غيدُ الحمى تَخطرُ  
يهتفن: عاد البطلُ الباسِلُ  
مالك يا هذي لا تهتفينِ  
لصاحبِ الدولة والباسِ؟  
فقلتِ لي صاحكُةً تسخرينِ:  
ويلك! هذا قاتلُ الناسِ!

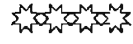
~~~~~  
ومجاسٍ دارتْ به الأكْـوُسُ
فشرب القومُ ولم تشربي
وامتلأتْ بالطربِ الأنفسُ
وأنتِ في صمتك لم تطربي
كأنما غيَّبَكَ الحنْدُسُ
أو تاهتِ الذاتُ في سبْسبٍ^(١)

(١) المفازة والقفر.

مالك يا هذي لا تضحكين
لحبيب الضاحك في الكاس؟
قالت: نهاني أن موج السنين
سيغمر الأقداح والحاسي!

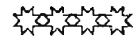


وسرت في الروضة شاع الجمال
فيها، وشاع الحب بين الطيور
الطل فيها كدموع الدلال
والشوك فيها كحديث الغرور
مشيت في أرجائها كالخيال
يطوف في الظلماء بين القبور
كأنما لا ورد في الياسمين
كأنما لا عطر في الأس
ويحك! لا في عزلي تطربين
ولا إذا كنت مع الناس



كان زمان كنت تستأنسين
بكل وهم خادع كالسراب
حتى إذا أسفر وجه اليقين
رأيته كالوهم شيئاً كذاب
دنيا الوري ليل أصبح مبين
وليس في دنياك إلا الضباب
ما لاحت الأشجار لناظرين
إلا رأيت شبح الفاس!

ولا سمعتِ الكاس ذات الرنين
إلا سمعتِ حطمة الكاس!



مسحت في عيني لون النهار
لمّا لحت الليل بالمرصد
ومات في أذني لحن الهزار
لمّا سبقت الصمت للمُنشد
فررت باللذات قبل الفرار
فضاع يومي حائراً في غدي
خالفت مقياس الوري أجمعين
فكيف يرضون بمقياسي؟
ما برح الناس كما تعلمين
ولم أزل فرداً من الناس



١٧ - الكنار الصامت

[مجزوء الكامل]

نَسِي الكَنَارُ نَشِيدَهُ
فَتَعَالَ كِي نَسَى الكَنَارُ
وَلَيَقْذِفَنَّ بِهِ المَلَالُ
مِن القُصُورِ إِلَى القُقَارِ
وَلتَرْمِيَنَّ بِرِيشِهِ
لِلأَرْضِ عَاصِفَةُ النُّفَارِ^(١)
وَلنَسْتَعْضُ عَنْهُ بِطَيْرٍ
مِن أُجَينٍ أَوْ نُضَارِ^(٢)
لَا، لَا، فَإِنْ سَكَتَ الكَنَا
رُفَامٌ يَزِلُّ ذَاكَ الكَنَارُ
أَوْ كَانَ فَارِقَهُ الصُّدَا
حُفَامٌ يَفَارِقُهُ الوُقَارُ
صَمَّتْ الكَنَارُ، وَإِنْ قَسَا
خَيْرٌ مِنَ النُّعْمِ المُمَارُ
صَبْرًا فَسَوْفَ يَعُودُ لَنَا
تَغْرِيدٌ إِنْ عَادَ النُّهَارُ

(١) الهرب أو التفرق والمجانبة.

(٢) الفضة أو الذهب.

١٨ - لم يبق غير الكأس

[الكامل]

لم يبقَ ما يُسليكَ غيرُ الكاسِ
فاشربْ، ودعْ للناسِ ما للناسِ!
ذهب الشبابُ على الشجونِ تبثُّها
لأخِ مُؤاسٍ أو لغيرِ مُؤاسٍ
وعلى الحياةِ تحارُ في أطوارها
وتحارُ في تعليلِ كلِّ نطاسي
ثمَّ استفقتَ وليس في روضِ المنى
إلاَّ الضبابُ، وغيرُ شوكِ الياس
وجراحُ نفسٍ ينظرُ الآسى لها
فـيـعـودُ لآخرِ أس
الحسُّ مجلبةُ الكآبةِ والآسى
قُـمَّ نـنـطـلـقْ من عالمِ الإحساس
وأرى السعادةَ لا وصولَ لعرشها
إلاَّ بأجنحةٍ من الوسواس
فكأنَّما هي صورةٌ زيتيَّةُ
لـلـشـطِّ فيه مراكبٌ ومراسي
تبدو لعينيك السَّفائنُ عُمَماً
وتكادُ تسمعُ رعشةَ الأُمَراس
لكنَّ إذا أدنيتَها ولمستَها
لم تلقَ غيرَ الصَّبغِ والقرطاس

دنيا مُزَيَّفَةٌ ودهرٌ ما ذقُّ^(١)
ما في انفلاتكَ منهما من باس
إنَّ اللِّذَازَاتِ الَّتِي ضَيَّعَتْهَا
رَجَعْتُ إِلَيْكَ عُصَارَةً فِي الْكَاسِ
فَاصْبِغْ رِوَاكَ بِهَا تَعُدُّ ذَهَبِيَّةً
عَطْرِيَّةَ الْأَلْوَانِ وَالْأَنْفَاسِ
وَاخْلُقْ لِنَفْسِكَ بِالْمُدَامَةِ جَنَّةً
فِي الْأَرْبَعِ الْمَهْجُورَةِ الْأُدْرَاسِ^(٢)
الْحُبُّ فِيهَا بَلْبَلٌ وَخَمِيَالَةٌ
وَنَدَى وَأَضْوَاءٌ عَلَى الْأَغْرَاسِ
لِلْقَصْرِ يَخْلُقُهُ خِيَالُكَ رَوْعَةً
كَالْقَصْرِ مِنْ جُدْرٍ وَمِنْ أَسَاسِ

يَا أَيُّهَا السَّاقِي! أَدْرُ كَاسَاتِهَا
كَمْ شَاعِلِ الرَّهْبَانِ فِي الْأَغْلَاسِ^(٣)
وَأَنْسِ الْهَمُومَ فَلَيْسَ يَسْعُدُ ذَاكِرٌ
وَاسِقِ النُّجُومِ فَإِنَّهَا جَلَّاسِي
وَاصْرَعْ بِهَا عَقْلَ النَّدِيمِ وَلُبَّهُ
مَا نَغَصَّ الْحَاسِي كَعَقْلِ الْحَاسِي
وَاهْجِرْ أَحَادِيثَ السِّيَاسَةِ وَالْأُلَى
يَتَعَلَّقُونَ بِحَبْلِ كُلِّ سِيَاسِ
إِنِّي نَبَذْتُ ثَمَارَهَا مَذْنُوتُهَا
وَوَجَدْتُ طَعْمَ الْغَدْرِ فِي أَضْرَاسِي

(١) المَثْقُ: قِلَّةُ الْإِخْلَاصِ.

(٢) الرَّبْعُ الدَّارِسُ: الْعَاقِي بِفَعْلِ الزَّمَنِ.

(٣) الْعَلَسُ: ظِلْمَةُ آخِرِ اللَّيْلِ.

وغسلتُ منها راحتي فغسلتُها
 من سائر الأوضار والأدناس
 وتركتُها لاثنتين: غُر ساذجٍ،
 ومُشَعَّوَذٍ، وكُذِّبُ^(١) دَسَّاس
 يرضى لموطنه يصيرُ موَاطِناً
 وتصيرُ أمُّته إلى أجناس
 ويبيعُها بدراهم معدودة
 ولو أنَّها جاءت من الخُنَّاس^(٢)
 ما لـمـنـافقٍ من ضميرٍ رادعٍ
 أيُّ الضميرِ لِحَيَّةِ الأجراس؟
 ولربُّ قائلةٍ تعاتبُني على
 صمتي، وبعضُ القولِ حَزُّ مواسي^(٣)،
 اثنانِ ما لاقيتُ أقسى منهما:
 صمتُ الدجى والشاعرِ الحسَّاسِ
 فأجبتُها: أقسى وأهولُ منهما
 في مِسْمَعِي: هذا العتابُ القاسي
 لم تعلمي، والخيرُ ألا تعلمي،
 كم في السكوتِ فواجِعاً^(٤) ومَاسِي
 قالت: أظنك قد نسيت. فقلت: لا
 ما كنتُ بالناسي ولا المتناسي
 لكنَّ جرحاً كلَّما عالجته
 غمر القنوطُ جوارحي وحواسي

(١) تتعدد الصيغ في العربية لتسمية الكاذب، ومنها: الكيْذُبان ومكْذِبان وكُذِّب.

(٢) خنس. تأخر وغاب. والخناس. الشيطان لأنه يغيب عند ذكر الله.

(٣) الموسى الذي يطلق به، وشفرته حادة وجمعه: مواسٍ.

ولو أَنَّهُ فِي الرَّأْسِ كُنْتُ ضَمَدْتُهُ
لَكُنَّهُ فِي الْقَلْبِ لَا فِي الرَّاسِ
إِنْ الْأَلَى قَدْ كُنْتُ أَرْمِي دُونَهُمْ
غَالُوا يَدَيَّ وَحَطُّمُوا أَقْوَاسِي
وَاسْتَبَدَلُوا سَيْفِي الْجُرَّانَ^(١) بِأَسِيفٍ
خَشَبٍ، وَبَاعُوا عَسْجَدِي بِنَحَاسِي
وَالطَّلَّ غَيْرُ الْمَاسِ، إِلَّا أَنَّهُمْ
خُدَعُوا بِرَقْرَقَةِ النَّدَى عَنْ مَاسِي
وَإِذَا حَسَبْتَ الرُّوضِ تُغْنِي صُورُهُ
عَنْهُ، فَذَلِكَ مُنْتَهَى الْإِفْلَاسِ
أَسَدُ الرُّخَامِ وَإِنْ حَكَى فِي شَكْلِهِ
شَكْلَ الْغَضَنَفَرِ، لَيْسَ بِالْفَرَّاسِ



قَدْ كَانَ لِي حُلْمٌ جَمِيلٌ مُوْنِقُ
فَأَضَعْتُهُ لِمَا أَضَعْتُ نُعَاسِي
فَكَّرْتُ فِي مَا نَحْنُ فِيهِ كَأَمَّةٍ
وَضَرَبْتُ أَخْمَاسِي إِلَى أَسَدَاسِي
فَرَجَعْتُ أَخِيْبٌ مَا يَكُونُ مُؤَمِّلُ
رَاجٍ وَأَخْسَرُ مَا يَكُونُ الْخَاسِي^(٢)
نَرْجُو الْخَلَاصَ بِغَاشِمٍ مِنْ غَاشِمٍ
لَا يُنْقِذُ النَّخَّاسُ مِنْ نَخَّاسٍ
وَنُقَيسُ مَا بَيْنَ الثُّرَيَّا وَالثُّرَى
وَأُمُورُنَا تَجْرِي بِغَيْرِ قِيَاسٍ

(١) القاطع.

(٢) الخيس: التغير والنقص والخيانة والغدر.

نغشى بلاد الناس في طلبِ العُلا
وبلادنا متروكة للناس!
ونكادُ نفتشُ الثُّرى، وبأرضنا
للأجنبي موائدُ وكُرَاسِ
ونلومُ هاجِرها على نسيانه
واللائمُ الناسِينَ أولُ ناسِ
ونبيتُ نفخرُ بالصُّوارمِ والقَنَا
ورقابُنَا ممدودةٌ لالفاسِ
كَمْ صيحةٌ للدهرِ في آذاننا
مرتٌ كما مرتْ على أرماس!

١٩ - رأي الأكثرية

[البسيط]

لَمَّا سَأَلْتُ عَنْ الْحَقِيقَةِ قِيلَ لِي:
الْحَقُّ مَا اتَّفَقَ السُّوَادُ عَلَيْهِ
فَعَجِبْتُ كَيْفَ ذَبَحْتُ ثَوْرِي فِي الضُّحَى،
وَالْهِنْدُ سَاجِدَةٌ هُنَاكَ لَدَيْهِ
نَرْضَى بِحُكْمِ الْأَكْثَرِيَّةِ مَثَلَمَا
يَرْضَى الْوَلِيدُ الظُّلْمَ مِنْ أَبَوَيْهِ
إِمَّا الْغُنْمُ يَرْتَجِيهِ مِنْهُمَا
أَوْ خِيفَةٌ مِنْ أَنْ يُسَاءَ إِلَيْهِ

٢٠ - كتابي

[الطويل]

وسائلة: أيُّ المذاهب مذهبي
وهل كان فرعاً في الديانات أم أصلاً
وأيُّ نبيٍّ مُرسلٍ أقتدي به
وأيُّ كتابٍ مُنزلٍ عندي الأعلى؟
فقلتُ لها: لا يفتني المرءُ مذهباً،
وإنَّ جلَّ، إلَّا كان في عنقه غُلاً
فما مذهبُ الإنسان إلَّا زجاجةُ
تقيده خمراً وتضبطه خلاً
فإنَّ كان قُبْحاً لم يبدله لونها
جمالاً، ولا نُبْلاً إذا لم يكن نُبْلاً
أنا آدميٌّ كان يحسبُ أنَّه
هو الكائنُ الأسمى وشرعتهُ الفضلى
وأنَّ له الدنيا التي هو بعضُها
وأنَّ له الأخرى إذا صام أو صلى
أمنُّ على الصَّادي^(١) إذا ما سقيتهُ
وألزمه شكري، ولستُ أنا الوَبْلاً
وأزهي إذا أطعمتُ جوعانَ لقمةً
كأنِّي خلقتُ الحبَّ في الحقل، والحقلاً
تتلمذتُ للإنسان في الدهر حَقَبَةً
فلقَّني غَيًّا، وعلمني جهلاً

(١) الصادي. العطش (والفعل. صدي).

نهاني عن قتل النفوس، وعندما
رأى غرّة منّي تعلّم بي القتلا!
وذم إليّ الرّق ثم استرقّني
وصور، ظلماً فيه، تمجّده عدلاً
وكان يُريني الإثم في كل ما أرى
وكلّ نظامٍ غير ما سنّ مُختلاً
فصار الوري عندي: عدوّاً وصاحباً،
وأنفسهم صنّفين: علياء أو سُفلى
وصرتُ أرى بغضاً، وصرتُ أرى هوى،
وصرتُ أرى عبداً، وصرتُ أرى مولى
ويا ربّ شرّ خلّقه الخير كلّهُ،
ويا ربّ خير، خلّقه نكبةً جُلّى
إلى أن رأيتُ النجم يطلّع في الدجى
لذي مُقلّة حسرى، وذو مُقلّة جدلى
وشاهدتُ كيف النهر يُبذل ماءهُ
فلا يبتغي شكراً ولا يدّعي فضلاً
وكيف يزينُ الطلّ ورداً وعوّسجاً
وكيف يُروي العارض^(١) الوعر والسهلاً
وكيف تُغذي الأرضُ ألّامَ نباتها
وأقبحه شكلاً كأحسنه شكلاً
فأصبح رأبي في الحياة كرايها
وأصبحتُ لي دينٌ سوى مذهبي قَبلاً

(١) السحاب، لأنه يعترض الأفق.

وصار نبيي كلُّ ما يُطلقُ العقلاً
وصار كتابي الكونُ لا صحفٌ تُتلى



فَدِينِي كَدِينِ الرُّوضِ يَعْبُقُ بِالشَّدَا
ولو لم يكنْ فيه سوى اللصِّ مُنْسَلًا
فليستْ تُخومُ المالكِيةُ تُخومُهُ
وإنَّ له، إنَّ يَعْلَمُوا، غيرهم أهلاً
فكمْ هَشٌّ لِلأنْسَامِ والنُّورِ والنُّدى
وأوى إليه الطير والذَّرُّ والنملا
وكمْ بَعَثَتْهُ للحياة من البلى
قريحةً فَنَّانٍ، فلُورِقَ واخْضَلًا
وأصبح يُجلى «طيفُهُ» في قصيدةٍ
وفي رُقعةٍ أو لوحةٍ «وهو» لا يُجلى
وديني الذي اختار الغديرَ لنفسه
ويا حُسنَ ما اختارَ الغديرُ وما أحلى!
تَجِيءُ إليه الطيرُ عطشى فترتوي
وإنَّ وِردَتَهُ الإبلُ لم يـزْجُرِ الإبلا
ويغتسلُ الذئبُ الأثيمُ بمائه
فلا إثمٌ ذا يُمحي، ولا طُهرٌ ذا يبلى!
وديني كدينِ الشُّهبِ تبدو لعاشقٍ
وقال^(١)، وفيها ما يُحبُّ وما يُقلى
فما استترتُ كيما يضلُّ مسافرٌ
ولا بزغتُ كي يستنير الذي ضلَّ

(١) من القلي: البغض (قلاده - يقليه).

وليس لها أن تمنع الناس ضوءها
ولو فتلوا منه، لتكبيّلها، حبّلاً
ودينني كدين الغيث إن سحّ لم يُبَلّ
أروى الأقاحي أم سقى الشوك والدقلى^(١)
فلم يتخيّر في الفضاء مسيره
ولم ينهمر جوداً ولم ينحبس بخلا
وإن لم أكن كالروض والنجم والحيّا
فحسبي اعتقادي أن خطّتها المثلّى
~~~~~

يرى النحل غيري إذ يرى النحل حائماً  
وأبصر قرص الشهد إذ أبصر النحلا  
والمح واحات من النخل في النوى  
إذا جرف الإعصار من واحتي النخلا  
وإن أشرب الصهباء أعلم أنني  
شربت بشاشات الزمان الذي ولّى  
وما همستهُ الريح في أذن الثرى  
وما ذرفت في الليل نجمته الثكلى  
وغصّات من ماتوا على اليأس في الهوى  
فيا شاريها هل لحتم دم القتلى؟  
وإن مربّي طفل رأيت به الورى  
من المثل الأننى إلى المثل الأعلى  
فيا لك دنيا حسنّها بعض قبحها  
ويا لك كوناً قد حوى بعضه الكلاً

\*\*\*\*

---

(١) الأصل: لم يبال

## ٢١ - كن بلسماً

[الكامل]

القصيدة التي ألقاها صاحب الديوان في المأدبة الكبرى التي أقامتها الطائفة الأرثوذكسية، على شرف المندوب البطريركي المطران ثيودوسيوس أبو رجيلي في بروكلن - نيويورك

كُنْ بِلِسْماً إِنْ صَارَ دَهْرُكَ أَرْقَمًا<sup>(١)</sup>  
وَحَلَاوَةً إِنْ صَارَ غَيْرُكَ عُلُقَمًا  
إِنْ الْحَيَاةَ حَبَبَتْكَ كُلُّ كَنُوزِهَا  
لَا تَبْخُلَنَّ عَلَى الْحَيَاةِ بِبَعْضِ مَا...  
أَحْسِنْ وَإِنْ لَمْ تُجَزَّ حَتَّى بِالثَّنَا  
أَيُّ الْجَزَاءِ الْغَيْثُ يَبْغِي إِنْ هَمِي؟  
مَنْ ذَا يَكْفِي زَهْرَةً فَوَاحَةً؟  
أَوْ مَنْ يُثَيِّبُ الْبَابِلَ الْمُتَرَنِّمًا؟  
عُدَّ الْكِرَامَ الْحَسَنِينَ وَقَسَّهِمْ  
بِهِمَا تَجَدَّ هَذِينَ مِنْهُمْ أَكْرَمًا  
يَا صَاحِبِ خُذْ عِلْمَ الْحُبِّ عَنْهُمَا  
إِنِّي وَجَدْتُ الْحُبَّ عُلْمًا قَيِّمًا  
لَوْ لَمْ تَفُحْ هَذَا مَا شَدَا  
عَاشَتْ مُذْمَمَةٌ وَعَاشَ مُذْمَمًا  
فَاعْمَلْ لِإِسْعَادِ السَّوَى وَهَنَائِهِمْ  
إِنْ شِئْتَ تَسْعِدْ فِي الْحَيَاةِ وَتَنْعَمَ<sup>(٢)</sup>



---

(١) الحية التي فيها سواد وبياض.



علامه، ولقد وجدتُك مثلاً ما  
 لفظُ أرقُّ من النسيمِ إذا سرى  
 سحراً، وحلوا كالكرى إن هوماً  
 وإذا نطقت ففي الجوارح نشوة  
 هي نشوة الروح ارتوت بعد الظما  
 وإذا كتبت ففي الطروس حدائق  
 وشئ حواشيها اليراعُ ونمنا  
 وإذا وقفت على المنابر أوشكت  
 أخشابها للزهو أن تتكلما  
 إن كنت قد أخطاك سربالُ الغنى  
 عاش ابنُ مريم ليس يملكُ درهماً  
 وأحبُّ حتى من أحبَّ هلاكه  
 وأعان حتى من أساء وأجرما  
 نام الرعاة عن الخراف ولم تنم  
 فإليك نشكو الهاجعين النوماً  
 عبدوا الإله لمغنم يرجونه  
 وعبدت ربك لست تطلب مغنماً  
 كم روعوا بجهنم أرواحنا  
 فتألت من قبل أن تتألماً!  
 زعموا الإله أعدّها لعذابنا  
 حاشاء وربك رحمة، أن يظلمنا  
 ما كان من أمر الورى أن يرحموا  
 أعداءهم إلا أرق وأرحمنا  
 ليست جهنم غير فكرة تاجر  
 الله لم يخلق لنا إلا السما

\*\*\*

## ٢٢ - الخمر والدنيا

[الرجز]

يشربُ بنتُ الكرمِ بعضُ الناسِ  
لِكُربَةٍ في النفسِ أو سِئَاسِ  
وبعضُهمُ لأنه قد ظفرا  
وبعضُهمُ لأنه قد خَسرا  
وبعضُهمُ لأنه في فرحِ  
وبعضُهمُ لأنه في ترحِ  
وبعضُهمُ كي يستردَّ الأَمسا  
وبعضُهمُ يجرعُها كي ينسى  
وبعضُهمُ ليستفيد قوَّة  
وبعضُهمُ لسورةِ الفتوَّة  
وبعضُهمُ كيما يحلَّ مشكله  
وبعضُهمُ لأنه لا شُغلَ له  
وبعضُهمُ عن رغبةٍ وعن هوى  
وبعضُهمُ لعلَّه يُرضي السوى  
وبعضُهمُ من حُبِّه للبائعِ  
وبعضُهمُ نكايةً للمانعِ!  
وبعضُهمُ يشربُها أحيانا  
وبعضُهمُ في أيِّ وقتٍ كانا  
وبعضُهمُ مع صحبِهِ في الدارِ  
وبعضُهمُ في حانةِ الخَمَّارِ



وبعضُهم في زمرةِ النُّدمانِ  
وبعضُهم في وحدةِ الرُّهبانِ  
وبعضُهم في الصيفِ ذي الرَّمضاءِ  
وبعضُهم في زمنِ الشتاءِ  
وبعضُهم عندِ انجيابِ الظلمةِ  
وبعضُهم عندِ طلوعِ النجمةِ  
وبعضُهم يذمُّها استهجانا  
وبعضُهم يمدحُها استحسانا  
لكنَّهم كلُّهم يحسُّوها  
المادحُوها والمقبحُوها  
فما وجدتُ في زمانِي رجلا  
وقلتُ: هل تحبُّها؟ فقال: لا  
وسرُّ هذا أنها كالدنيا  
تؤذي ولكن مع أذاها تُهوى

\*\*\*\*\*

## ٢٣ - لَمَّا

عَجِباً لَمَنْ أَمْسَى وَكُلُّ فَخَّارِهِ  
بِنُضَارِهِ الْمَخْبُوءِ فِي الصَّنَدُوقِ  
مَاذَا يَقُولُ إِذَا اللُّصُوصُ مَضُوا بِهِ  
وَأَقَامَ بَعْدَ نُضَارِهِ الْمَسْرُوقِ؟  
إِنَّ يَرْفَعِ الْمَالُ الْكَرِيمَ فَإِنَّهُ  
لِلنَّذْلِ مِثْلُ الْحَبْلِ لِلْمَشْنُوقِ  
لَمَّا صَدِيقِي صَارَ مِنْ أَهْلِ الْغَنَى  
أَيَقْنَتُ أَنِّي قَدْ أَضَعْتُ صَدِيقِي!..

\*\*\*\*\*

## ٢٤ - تأملات

[الكامل]

ليت الذي خلق الحياة جميلةً  
لم يُسدلِ الأستار فوق جمالها  
بل ليتهُ سلب العقول فلم يكن  
أحدٌ يعللُ نفسه بمُناها  
له كم تُغري الفتى بوصالها  
وتضنُّ، حتى في الكرى، بوصالها  
تُدنيه من أبوابها بيمينها  
وترده عن خدرها بشمالها  
كم قلتُ: هذا الأمرُ بعضُ صوابها  
فوجدته بالخبر بعضُ محالها  
ولكم خُدتُ بألها<sup>(١)</sup> وزممتُ  
ورجعتُ أظماً ما أكونُ لآلها  
قد كنتُ أحسبُني أمنتُ ضلالها  
فإذا الذي خمنتُ كلَّ ضلالها  
إنَّ النفوسَ تغرُّها أمالها  
وتظلُّ عاكفةً على أمالها  
ذهب الصبا وأنا أعالجُ سرَّها  
مُتحيِّراً في كُنْهِها ومالها  
حتى رأيتُ الشمسَ تُلقي نورها  
في الأرض، فوق سهولها وجبالها

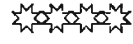
---

(١) القلَّة: الذروة.

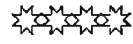
ورأيتُ أحقر ما بناه عنكبُ  
متلففاً ومطوّقاً بحبالها  
مثلُ القصورِ العالياتِ قبابها  
الشّامخاتِ على الذُّرَا بقلالها<sup>(١)</sup>  
فَعَلِمْتُ أَنَّ النّفسَ تخطرُ في الحُلَى  
والوشى، مثلُ النفسِ في أسَمالها  
ليستَ حياتُكَ غيرَ ما صورتُها  
أنتَ الحياةُ بصمّتها ومقالها  
ولقد نظرتُ إلى الحمائمِ في الرُّبَا  
فَعَجِبْتُ مِنْ حَالِ الْأَنَامِ وحالها  
لِلشُّوكِ حَظُّ الْوَرْدِ مِنْ تَغْرِيدِها  
وشريكه، مِنْ بَعْدُ، فِي إِعْوالِها  
تشدو وصائدُها يمدُّ لها الردى  
فَاعْجَبْ لِحَسَنَةِ إِلَى مُغْتالِها  
فَغَبِطْتُها فِي أَمْنِها وسلامِها  
ووددتُ لو أُعْطِيتُ راحةً بِألِها  
وجعلتُ مذهبَها لِنَفْسِي مذهباً  
ونسجتُ أخلاقِي على منوالِها  
من لَجٍّ فِي ضِيَمِي تَرَكْتُ سَماءَهُ  
تبكي علي بِشَمْسِها وهلالِها  
وهجرتُ روضَتَهُ فأصبحَ ورْدُها  
لِإِيَّاسٍ، كالأشْوَاكِ فِي أدْغالِها  
وزجرتُ نَفْسِي أَنْ تَمِيلَ كَنَفْسِهِ  
عن كَوثرِ الدُّنيا إلى أحوالِها

(١) الصل: الحية التي تقتل إذا نهشت، من ساعتها

نَسِيَانَكَ الْجَانِي الْمَسِيءَ فَضِيلَةً  
وخمودُ نارٍ جدِّ في إشعالها  
فأرباً بنفسك، والحياة قصيرة،  
أن تجعل الأضغان من أحمالها



زمن الشباب رحلت غير مُذمِّمٍ  
وتركت للحسرات قلبي الوالها  
دبت عقاربها إليه تنوشه  
ورمت بقاياها إلى أصلالها<sup>(١)</sup>  
لم يبق من لذاته إلا الرؤى  
ومن الصبابة غير طيف خيالها  
ومن الكؤوس سوى صدى رناتها  
والراح غير خمارها وخبالها  
يا جنَّة عُوْجِلَتْ عن أثمارها  
ولذاتة عُرِيَتْ من سربالها  
ما عابها شيء سوى اضمحلالها  
والذنب للأقدار في اضمحلالها



ومليحة في وجهها ألق الضحى  
والسحر والصهباء في أقوالها  
قالت: أينسى النازحون بلادهم؟  
ما هاج حزن القلب غير سُؤالها  
الأرض، سوريا أحب ربوعها

---

(١) المطر.

(٢) الأسد.

(٣) خيمة الناطور

(٤) الطائر، ومفرده: قطاة.

عندي، ولبنانُ أعزُّ جبالها  
والناسُ أكرمُهم علي عشيرها  
روحي الفداء لرهطها ولآلها!  
والشُّهْبُ أسطعُها التي في أفقها  
ليس الجلالُ الحقُّ غير جلالها  
وأحبُّ غيثٍ ما هَمِي في أرضها  
حتى الحيا<sup>(١)</sup> الباكي على أطلالها  
مرحُ الصبا الجدلان في أسحارها  
ومُنَى الصبا الولهان في أصالها  
إني لأعرفُ ريحها من غيرها  
بنوافحِ الأشَّداء في أذيالها  
تلك المنازلُ كم خَطَرْتُ بساحها  
في ظلِّ ضيغَمها<sup>(٢)</sup> وعطْف غزالها  
وشدوتُ مع أطيارها، وسهرتُ مع  
أقمارها، ورقصتُ مع شلالها  
وسجدتُ للإلهام مع صفصافها  
وضحكتُ للأحلام مع وزالها<sup>(٣)</sup>  
وملأتُ عقلي من حديث شيوخها  
وأخذتُ شعري من لُغَى أطفالها  
تشتاقُ عيني قَبْلَ يُغمضُها الردى  
لو أنها اكتحلت ولو برمالها  
مرتُّ بي الأعوامُ تقفو بعضها  
وتُب القَطَا<sup>(٤)</sup> تعدو إلى آجالها  
وتعاقبتُ صورُ الجمال فلم يدم  
في خاطري منها سوى تمثالها

---

(١) الكوكب الدرّي: النجم المضيء.

\*\*\*\*

## ٢٥ - شاعر الشهور

[مطلع البسيط]

«أيار» يا شاعر الشُّهورِ  
وبسمة الحبِّ في الدهورِ  
وخالق الزَّهرِ في الروابي  
وخالق العطرِ في الزهورِ  
وباعث الماءِ ذا خَريرِ  
ومُوجد السحرِ في الخريرِ  
وغاسل الأفقِ والدراري<sup>(١)</sup>  
والأرض، بالنورِ والعبيرِ  
لقد كسوت الثرى لباساً  
أجملَ عندي من الحريرِ  
ما فيك قُرٌّ ولا هجيرُ  
ذهبت بالقُرِّ والهجيرِ  
فلا تلوِّجْ على الروابي  
ولا غمِّمِ على البُـدورِ  
أتيت فالكونُ مهرجانُ  
من اللذاتِ والحُبورِ  
أيقظت في الأنفسِ الأمانِي  
والابتساماتِ في التُّغورِ  
وكدت تُحيي الموتى البوالي  
وتُنبتُ العُشبَ في الصُّخورِ  
وتجعلُ الشَّوكَ ذا أريجٍ



وتجعل الصخر ذا شعور  
فأينما سرت صوتٌ بشري  
وكيفما ملت طيفٌ نور  
تشكو إليك الشتاءَ نفسي  
وما جناهُ من الشرور  
كم لذع الزمهرير جليدي  
ودبّ حتى إلى ضميري  
فلذت بالصوف أتقيه  
فاخترق الصوف كالحرير  
وكم ليالٍ جالست وحدي  
منقبض الصدر كالأسير  
يهتز مع أنملي كتابي  
ويرجف الحبر في السطور  
تُعول فيها الرياح حولي  
كنائحات على أمير  
والغيث يهمني بلا انقطاع  
والرعد مستتبِع الزئير  
والليل مُحلِّولك الحواشي  
وصامت البدد والأخير  
والشهب مرتاعة كطير  
مخبئات من الصقور  
في غرفتي موقدٌ صغير  
لله من موقدي الصغير!  
يكاد ينقد جانباهُ

من شدة الغيظ لا السعير  
لولا لظاهُ رقصتُ فيها  
بغير دُف على سريري  
وساعهُ وجهُها صفيقُ  
كأنه وجهُ مُستعير  
أبطأ في السَّير عَقرِياها  
فأبطأ الوقتُ في المسير  
حتى كأنَّ الزمانَ أعمى  
يمشي على الشُّوك في الوعر  
كنَّا طوينَا المُنَى وقلنا:  
ما للأمانِ من نشور  
فالويزورُ الصِّدور حُلُمُ  
عرجَ منها على قبور  
لقد تولَّى الشتاءُ عنَّا  
فصَفَّقِي يا منى وطيري!

\*\*\*\*\*

## ٢٦ - الكأس الباقية

[الخفيف]

دمعة على جبران خليل جبران  
أيها الشاعرُ الذي كان يشبو  
بين ضاحٍ من الجمالِ وضاحكٍ  
جلُّ أن يصيدك القدرُ الأعْمُ  
مى ويمشي مقصَّةً في جناحك  
موكبُ الشعْرِ تائه في فضاءٍ  
ليس فيه سوى حطيمِ سلاحك  
والبساتينُ، والبلابلُ فيها  
تتغنَّى، حزينَةٌ لرواحك  
قنعتْ بالنُواحِ منك فلَمَّا  
زالَ عاشتْ بذكرِياتِ نُواحك  
والدُّجى، والنجومُ تُسطعُ فيه،  
واجمُّ حُسرةً على مصباحك  
تلمسُ العينُ أينما لمستَّه  
جمراتِ التياحنا والتياحك<sup>(١)</sup>  
قد تولَّتْ جلالَةُ السُّحرِ عنه  
واضْمَحَلَّتْ مُذْ صارَ غيرَ وشاحك  
~~~~~  
هبطتْ ربَّةُ الحياةِ لكي تَسُ
كُوبَ خمرِ الجمالِ في أقْداحك
فإذا أنتَ في السَّريرِ مُسجَى

صامتٌ كالطيوف في الواحك
فتولت مذعورةً تاطمُ الوجَّ
له وتبكيك، يا قتيلَ سماحك!
سبقَتْها إلهةُ الموتِ كي تحذُ
ظى ولو باليسيرِ من أفرحك
ويحها! ويح حبَّها من أئيمِ
طردتْنا ولم تُقمِ في ساحك
أيست روضك الجميل، ولم تظُ
فَرَّ بغيرِ التُّرابِ من أنواحك
ذهب الموتُ بالكؤوسِ جميعاً
غير كأسِ ملائكتها من جراحك!

٢٧ - الشجاع

[الخفيف]

لا أحبُّ الإنسانَ يرضخُ لـوهُ
مِـ و يرضى بـتأفـهات الأمانـي
إنَّ حياءَ يهابُ أنْ يلمسَ النُّوْ
رَ كَميَّتٍ في ظُلمةِ الأكفانِ
وحياةً أمدَّ فيها التُّوقِي
لا توازي في المجد بضع ثوانِ
الشجاعُ الشجاعُ عندي من أمـ
سى يغني والدمعُ في الأجفانِ

(١) عش الطائر في جبل أو جدار (أقل من الوكر).

٢٨ - أبي

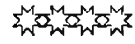
[الطويل]

طوى بعض نفسي، إذ طواك الترى عني
وذا بعضها الثاني يفيض به جفني
أبي! خانني فيك الردى فتقوَّضتْ
مقاصير أحلامي كبيت من التبن
وكانت رياضي حاليات ضواحكاً
فاقوت، وعفى زهرها الجزع المضي
وكانت دناني بالسرور مائيئة
فطاحت يد عمياء بالخمير والدن
فليس سوى طعم المنيّة في فمي
وليس سوى صوت النوادب في أذني
ولا حسن في ناظري وقلم ما
فتحتهما من قبل إلا على حسن
وما صور الأشياء بعدك غيرها
ولكنما قد شوّهتها يد الحزن
على منكبي تبر الضحى وعقيقة
وقلبي في نار وعيناي في دجن^(١)
أبحث الأسي دمي وأنهبته دمي
وكنت أعد الحزن ضرباً من الجبن
فمستنكر كيف استحالت بشاشتي

(١) ضعف الرأي (ومنه: مأفون).

(٢) العبد القن: هو العبد المملوك هو وأبواه.

كمستنكرٍ في عاصفٍ رعشة الغصن
يقولُ المعزّي ليس يُجدي البُكا الفتى
وقولُ المعزّي لا يُفيدُ ولا يُغني



شخصتُ بروحي حائراً متطلّعاً
إلى ما وراء البحر أدنو وأستدني
كذاتِ جناحٍ أدرك السيلُ عشّها
فطارت على روعٍ تحومُ على الوكن^(١)
فواهاً لو أنّي كنتُ في القوم عندما
نظرت إلى العوَاد تسألهم عني
ويا ليتما الأرضُ انطوى لي بساطُها
فكنتُ مع الباكين في ساعة الدفن
لعلّي أفي تلك الأبوة حقّها
وإن كان لا يُوفى بكيلٍ ولا وزن
فأعظمُ مجدي كان أنك لي أبُ
وأكبرُ فخري كان قولك: ذا إبني!
أقول: لو أنّي.. كي أُبرد لوعتي
فيزدادُ شجوي كلّما قلت: لو أنّي!
أحتّى وداعُ الأهلِ يُحرّمهُ الفتى؟
أيا دهرُ هذا منتهى الحيف والغبن!
أبي! وإذا ما قلتُها فكأنني
أنادي وأدعو يا ملاذي ويا ركني
لمن يلجأُ المكروبُ بعدك في الحمى
فيرجع ريانَ المُنَى ضاحك السنّ؟

خلعت الصبا في حومة المجد ناصعاً
ونُزّه فيك الشيب عن لُوثَةِ الأَفَن^(١)
فذهنُ كنجِ الصيف في أولِ الدُّجى
ورأي كحدِّ السَّيفِ أو ذلكَ الذَّهْنِ
وكنْتَ ترى الدنيا بغيرِ بِشَاشَةٍ
كأرضٍ بلا ماءٍ وصوتٍ بلا لحنٍ
فما بك من ضُرِّ لِنَفْسِكَ وحدها
وضحكَك والإيناسُ للجارِ والحدَنِ
جريءٌ على الباغِي، عَيُوفٌ عن الخَنَا،
سريعٌ إلى الدَّاعي، كريمٌ بلا منٍّ
وكنْتَ إذا حَدَّثْتَ حَدَّثَ شاعِرٍ
لبيبٌ دَقِيقُ الفَهمِ والذوقِ والفَنِ
فما اسْتَشعرَ المُصغِي إليك مَلالَةً
ولا قَلتَ إلَّا قال من طَرِبَ: زِدْنِي!



برغمك فارقتُ الربوع، وإننا
على الرِّغمِ منَّا، سوف نلحقُ بالطَّعَنِ
طريقُ مشى فيها الملايينُ قَبْلَنا
من الملكِ السَّامِي إلى عبده القِنِ^(٢)
نظنُّ لنا الدنيا وما في رحابها
وليسَتْ لنا إلَّا كما البحرُ للسُّفُنِ
تروحُ وتغدو حُرَّةً في عُبابه
كما يتهاوى ساكنُ السَّجَنِ في السَّجَنِ
وزنْتُ بِسَرِّ الموتِ فلسفةَ الورى

(١) طير أبيض. والذكر قُمري.

فشالت، وكانت جمعيات بلا طحن
فأصدق أهل الأرض معرفةً به
كأكثرهم جهلاً يرجم بالظن
فذا مثل هذا حائر القلب عنده
وذاك كهذا ليس منه على أمن
فيا لك سفرًا لم يزل جدّ غامض
على كثرة التفصيل في الشرح والمتمن
أيًا رمز لبنان جلالاً وهيبه
وحصن الوفاء المحض في ذلك الحصن
ضريحك مهما يستسر، وبلدة
أقمت بها تبني الحامد ما تبني
أحب من الأبراج طالت قبابها
وأجمل في عيني من أجمل المدن
على ذلك القبر السلام فذكره
أريج به نفسي، عن العطر تستغني

٢٩. ذكرى

[الكامل]

إِنِّي أَمْرُؤٌ لَا شَيْءَ يُطَرِّبُ رُوحَهُ
وَيَهْزُهَا كَالزَّهْرِ وَالْأَلْحَانِ
الْحَنُّ مِنْ قُمْرِيَّة^(١) أَوْ مُنْشِدٍ
وَالزَّهْرُ فِي حَقْلٍ وَفِي بَسْتَانٍ
هَذَا يُحَرِّكُ بِي دَفِينٌ صَبَابَتِي
وَيَهْزُ ذَاكَ مَشَاعِرِي وَكِيَانِي
يَهْوِي الْمَلَاةُ نَاطِرِي صَوْرًا تُرَى
وَأَحْبَبُّهَا فِي مَسْمَعِي أَغَانِ
وَأَحْبَبُّهَا نَوْرًا جَمِيلًا صَافِيًا
مَتَأَلِّقًا فِي النَفْسِ وَالْوَجْدَانِ
وَأَحْبَبُّهَا سَحَرًا يَرِفُ مَعَ الْوَدَى
وَيَمُوجُ فِي الْأَلْوَانِ كَالْأَلْوَانِ
وَأَحْبَبُّهَا ذِكْرِي تُطِيفُ بِخَاطِرِي
لَاخٍ هَوَيْتُ، وَغَادَةَ تَهْوَانِي
أَوْ مَجْلِسُ الْحُبِّ فِي ظِلِّ الصَّبَا
إِنْ الْحَيَاةُ جَمِيعُهَا هَذَانِ
أَوْ فِي خِيَالِ مَنَازِلِ أَشْتَاقُهَا
كَمْ مِنْ جَمَالٍ فِي خِيَالِ مَكَانٍ
وَلَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْكُمْ فَكَأَنَّمَا
أَنَا فِي الرَّبِيعِ، وَفِي رَبَا لِبْنَانٍ
أُصْغِي إِلَى النُّسَمَاتِ تَرْوِي لِلرُّبَا

ما قالت الأشجار الغدران
وإلى السواقي وهي تُنشدُ للصبا
والحب، في الفتيات والفتيان
وإلى الأزاهر كما مرت بها
عذراء ذات ملاحاة وبيان
مُتَهامسات: « ما نظنّ (فلانة) »
أحداً^(١) بها أولى من (ابن فلان)
يا ليت ينثرنا الغرام عليهما
من قبل ينثرنا الخريف الجاني
ألفت مجاورة الأنام فأصبحت
وكانت لها شيء من الإنسان
فإذا نظرت إليهما متأملًا
شاهدت حولك وحدة الأكوان

٣٠- يا جنّتي

[الكامل]

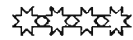
لَمَّا رَأَيْتُ الْوَرْدَ فِي خَدِّكَ
وَشَقَائِقَ النُّعْمَانِ فِي شَفَتِكَ
وَنَشَقَّتْ مِنْ فَوْدِكَ نَدَاءً عَاطِراً
لَمَّا مَشَيْتُ كَفَاكَ فِي فَوْدِكَ
وَرَأَيْتُ رَأْسَكَ بِالْأَقْحَاحِ مَتَوَجِّجاً
وَالْفَلَ طَاقَاتٍ عَلَى نَهْدِكَ
وَسَمِعْتُ حَوْلَكَ هَمْسَ أَرْوَاحِ الصَّبَا
عِنْدَ الصَّبَاحِ، تُهَزُّ مِنْ عَطْفِكَ
أَيَقَنْتُ أَنَّكَ جَنَّةٌ خَلَائِفُهُ
فَحَنَنْتُ، مِنْ بَعْدِ الْمَشْيِبِ، إِلَيْكَ
وَلِذَاكَ قَدْ صَيَّرْتُ قَلْبِي نَحْلَةً
يَا جَنَّتِي، كَيْمَا يَحُومُ، عَلَيْكَ
رُوحِي فِدَاؤُكَ إِنَّهَا لَوَلَمْ تَكُنْ
فِي رَاحَتِكَ هَوْتُ عَلَى قَدَمَيْكَ

(١) الذي يعيي الأطباء.

٣١ - الشاعر في السماء

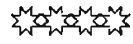
[مطلع البسيط]

رَأَيْتُ الْوَلَدَ ذَاتَ يَوْمٍ
فِي الْأَرْضِ أَبْكَى مِنْ الشُّقَاءِ
فَرَقَّ، وَاللَّهُ نَوْحَانِ،
عَلَى ذَوِي الضُّرِّ وَالْعَنَاءِ
وَقَالَ: لَيْسَ التُّرَابُ دَاراً
لِلشُّعْرِ، فَارْجِعْ إِلَى السَّمَاءِ!
وَشَادَ فَوْقَ السَّمَاءِ بَيْتِي
وَمَدَّ مُلْكِي عَلَى الْفَضَاءِ
فَالْتَفَتَ الشُّهُبُ حَوْلَ عَرْشِي
وَسَارَ فِي طَاعَتِي الضُّيَاءُ
وَصُرْتُ لَا يَنْطَوِي صَبَاحُ
إِلَّا بِأَمْرِي وَلَا مَسَاءُ
وَلَا تَسُوقُ الْغَيُومُ رِيحُ
إِلَّا وَلِي فَوْقَهَا لَوَاءُ
فَالْأَمْرُ بَيْنَ النُّجُومِ أَمْرِي
لِي الْحُكْمُ فِيهَا وَلِي الْقَضَاءُ



لَكِنِّي لَمْ أَزَلْ حَزِيناً
مُكْتَنِبُ الرُّوحِ فِي الْعِلَاءِ
فَأَسْتَغْرِبُ اللَّهَ كَيْفَ أَشَقَى
فِي عَالَمِ الْوَحْيِ وَالسَّنَاءِ

وقال: ما زال آدميًّا
يصبُّو إلى الغيِّد والطلَّاء
ومس رُوحِي واسـتَلَّ مِنْهَا
شوقي إلى الخمر والنِّساء
وظنُّ أني انـتَهَى بِلائي
فلم يـزِنِّي سـوى بلاء
واشـتَدَّ نَوحِي وصار جَهراً
وكان من قَبْلُ في الخفاء
وصار دمعي سـيولَ نارٍ
وكان قَبْلَ سـيولِ ماء



يا أيُّها الشُّاعرُ المعنَّى
حيِّرنِي داؤُكَ العِباءُ^(١)
هل تشـتَهي أن تـكونَ طـيراً؟
فـقلتُ: كـلاً، ولا غـناء!
هل تشـتَهي أن تـكونَ نجـماً؟
أحـببتُ: كـلاً، ولا بـهاء!
هل تـبـتَغِي المـالَ؟ قـلتُ: كـلاً
ما كانَ من مـطـلبي الثُّراء
ولا قـصـوراً، ولا رـياضاً
ولا جـنـوداً ولا إـماء
ولـيس مـا بي يـا ربُّ داءٍ
ولا احـتـيـاجي إلـى دواء
ولا حـنـيني إلـى القـنـاني

(١) الجبل.

ولا اشتتياقي إلى الخُباء
 ولا أريدُ الذي لَغَيَّرِي
 ذا حكمة كان أم مضاء
 لكنَّ أمنيَّةً بِنفسي
 يستترُّها الخوفُ والحياء!
 فقال: يا شاعراً عجيباً
 قلْ لي: إنَّ ما الذي تَشَاء؟
 فقلتُ: يا رب فصل صيفٍ
 في أرضِ لبْنانٍ أو شتاء
 فإنني ههنا غريبٌ
 وليس في غُربة هُنا!
 فاستضحك الله من كلامي
 وقال: هذا هو الغُباء
 لبْنانُ أرضُ كُلِّ أرضٍ
 وناسُهُ والورى سواء
 وفيه بُؤسى وفيه نَعَمى
 و أريدياء وأتقياء
 فأيُّ شيءٍ تَشْتاقُ فيه؟
 فقلت: ما سرُّني وساء!
 تحنُّ نفسي إلى السُّواقى،
 إلى الأقاحى، إلى الشُّذاء
 إلى الروابي تَعْرِى وتُكسا
 إلى العصافير والغناء
 إلى العنقايد والدوالي

(١) الظبة: حدّ السيف، وجمعها في المعاجم: ظبات (ولامها واو. ظبوت).

والماء والنور والهواء!
فأشرف الله من علاه
يشهد «لبنان» في المساء
فقال: ما أنت ذا جنون
وإنما أنت ذو وفاء
فإن لبنان ليس طوداً،^(١)
ولا بلاداً، لكن سماء!

(١) السادة والقادة.

٣٢ - كلوا واشربوا

[المتقارب]

كُلُوا وَاشْرَبُوا أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ
وَإِنْ مَلَأَ السَّكَّ الْجَائِعُونَ
وَلَا تَلْبِسُوا الْخَزْإَ إِلَّا جَدِيداً
وَإِنْ لَبَسَ الْخَرَقَ الْبَائِسُونَ
وَحُوطُوا قَصُورَكُمْ بِالرِّجَالِ
وَحُوطُوا رِجَالَكُمْ بِالْحَصُونِ
فَلَا تُبْصِرُونَ ضَحَايَا الطُّوَى
وَلَا يُبْصِرُونَ الَّذِي تَصْنَعُونَ
وَإِنْ سَاءَكُمْ أَنْهَمُ فِي الْوُجُودِ
وَأَزْعَجَكُمْ أَنْهَمُ يُعْوِلُونَ
مُرُوا فَتَصُولُ الْجَنُودُ عَلَيْهِمْ
تَعْلَمُهُمْ كَيْفَ فَتَكَ الْمَنُونِ
فَهُمْ مَعْتَدُونَ، وَهُمْ مَجْرُمُونَ،
وَهُمْ مَقْلَقُونَ، وَهُمْ ثَائِرُونَ
وَتِلْكَ الْعَصِي لَتِلْكَ الرَّؤُوسِ
وَتِلْكَ الْحَرَابُ لَتِلْكَ الْبُطُونِ
وَتِلْكَ السُّجُونُ لِمَنْ شِدَّتْ مُوَهَا
إِذَا لَمْ تَزْجُوهُمْ فِي السَّجُونِ؟
كُلُوا لَلظُّبَا^(١) حَلَقَ هَامَاتِهِمْ
فَإِنَّ الْمَلُوكَ كَذَا يَفْعَلُونَ
إِذَا الْجَنْدُ لَمْ يَحْرُسُواكُمْ وَأَنْتُمْ

سِرَاةٌ^(١) البلاد فمن يَحْرُسُون؟
وإن هم لم يَقْتُلُوا الأَشْقِيَاءَ
فيا ليت شعري، مَنْ يَقْتُلُون؟
ولا يَحْزَنَنَّكُمْ مَوْتُهُمْ
فإنهم لالردي يُولدون
وقولوا كَذَا قَدْ أَرَادَ الإلهُ
وإن قَدَرَ اللهُ شَيْئاً يَكُونُ
ويا فقراءُ لماذا التَشَكُّي؟
ألا تَسْتَحُونَ؟ ألا تَخْجَلُونَ؟
دعوا الأغنياءَ وَلذَاتِهِمْ
فهم مِثْلُ لذَاتِهِمْ زَائِلُونَ
سَيُؤْمِسُونَ فِي «سَقَرٍ» خَالِدِينَ
وَتَمْسُونَ فِي جَنَّةٍ تَنْعُمُونَ
فلا تَعْطِشُونَ، ولا تَسْغَبُونَ،
ولا يَرْتَوُونَ، ولا يَشْجِبِعُونَ
لَكُمْ وَحْدَكُمْ مَلَكُوتُ السَّمَاءِ
فَمَا بِالْأَكْمَلِ سِتْمُ تَقْنَعُونَ؟
فلا تَحْزَنُوا أَنْكُمْ سَاهِرُونَ
فَسَوْفَ تَنَامُونَ مَلءَ الْجَفُونِ
سَتَتَّكِنُونَ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ
تَظَلُّوا لَكُمْ وَأَرْفَاتُ الْغُصُونِ
يَضُوعُ السَّنَا حَوْلَكُمْ بِالشَّدَا
وَتَجْرِي الطَّلَا أَنْهَرًا وَعُيُونِ
وَتَسْقِيكُمْ الْخَمْرُ حُورٌ حَسَانُ
كَمَا يَشْتَهِينَ، كَمَا تَشْتَهُونَ

كذا وعد الله أهل التُّقَى
وأنتم همُ أيها المتعبون
ألا تؤمنون بقول الكتاب؟
فويل لكم إنكم كافرون!

(١) مزامير النبي داود (الزبور). و(اسحق الموصلي) و(معبد) من مغني التراث الغنائي العربي في العصرين الأموي (معبد) والعباسي (الموصلي).

٣٣. حديث موجة

[الكامل]

قالها في حفلة تكريم سامي الشّوا التي أقامتها له الجالية في مدينة نيويورك عندما زارها.

عندي لكم نبأ عجيبٌ شيقٌ
سأقصّه عليكم تفسيره
إني رأيتُ البحر أخرس ساهياً
كالشيخ طال بما مضى تفكيره
فسألت نفسي حائراً مُتلجّلاً:
يا ليت شعري أين ضاع هديره؟
«بالأمس» قالت موجةٌ ثرثارةٌ
ومضت، فأكملت الحديث صخوره:
بالأمس مربنا فتى من قومكم
رقت شمائله ودق شعوره
مُترنح من خمرة قُدسية
فيها الهوى وفتونه وفتوره
مترفق في مشيه يطأ الثرى
وكأنما بين النجوم مسيره
يلهو بأوتار الكمنجة والدجى
مرخيّة، فوق العُباب، ستوره
يهدي إلى الوطن القديم سلامه
ويُنشدُ الوطن الذي سيزوره
فشجا الخضمّ نشيده وهتافه
فسها، فضاع هديره وزئيره

أعرفتموه؟.. إنه هذا الفتى
هذا الذي سحر الخضمَّ مروره
«داود» والمزمارُ في نغماته
و«الموصلي» و«معيد» وسريره^(١)
يا ضيفنا، والأنس أنت رسولُه
وبشيره، والفن أنت أميرُه
لوشاع في القربوس أنك بيننا
لمشت إلينا سافراتِ حوره
ذهب الربيعُ وجئنا فكأنما
جاء الربيعُ، زهوره وطيوره
الفنُّ هسَّ إليك في أمرائه
وتفتحت لك بوره وقصوره
إن الجواهر بالجواهر أنسها
أما الترابُ فبالترابِ حوره
يا شاعر الألمان! إنني شاعرُ
أمسى ضئيلاً عند نورِكَ نوره
أسمى الكلامِ الشُّعرُ إلا أنه
أسماه^(٢) ما أعيا الفتى تصويره
وأحبُّ أزهارِ الحقائقِ وردُّها
وأحبُّ من وردِ الرياضِ عبيره
أنت الفتى، لك في النسيمِ حقيقته،
ولك الغديرُ صفاؤه وخريره
القومُ صاغيةٌ إليك قلوبهم
والليلُ منصتهُ إليك بدوره
وبهذه الأوتارِ سحرُ جائلُ

متملأ كالوحي حان ظهوره
إن كنت لا تهتاجه وتثيره
فمن الذي يهتاجه ويثيره؟
دغدغ بريشتك الكمنجة ينطلق
ويدب في أرواحنا تثيره
وامش بنا في كل لحن فاتن
كالماء يجري في الغصون ظهوره
وأدر على الجلأس أكواب الهوى
في راحتك سلافه وعصيره
فيخف في الرجل الحليم وقاره
ويراجع الشيخ المسن غروره
وتنام في صدر الشجي همومه
ويُفِيْقُ في قلوب الحزين سروره
هذي الجموع الآن شخص واحد
لك حكمه، وكما تشاء مصيره
إن شئت طال هتافه ونشيده
أو شئت دام نواحه وزفيره
إننا وهبناك القلوب ولم نهب
إلا الذي لك قبلنا تدبيره!

(١) قيوم كل شيء: مقدّمه وصدره.

(٢) النجر والنجان: الأصل والحسب.

٣٤ - ابسمي

[الرمل]

ابسمي كالورد في فجر الصبا
وابسمي كالنجم إن جنّ المساء
وإذا ما كفّن الثلج النّرى
وإذا ما ستّر الغيم السّماء
وتعرّى الـروض من أزهاره
وتوارى النور في كهف الشتاء
فاحلّمي بالصيف ثم ابسمي
تخلّقي حولك زهراً وشذاً
وإذا سرّ نفوساً أنّها
تُحسن الأخذ فسُرّي بالعطاء
وإذا أعياك أن تُعطي الغنى
فافرحي أنّك تُعطينَ الرجاء

(١) السحاب لأنه يعترض في الأفق.

٣٥ - مجاهد

[الكامل]

ألقى هذه القصيدة في الحفلة التذكارية التي أقامتها جمعية الشُّبَّان المسلمين في مسرح «أكادمي أوف ميوزك» في بروكلين لفقيد الأمة موسى كاظم باشا الحسيني:

قالوا قضى «موسى» فقلتُ قد انطوى
عَلَمٌ، وأُغْمِد صَارْمٌ بِتَّارُ
فَتَشَوَّشَتْ صُورُ الْمُنَى وتَنَاطَرَتْ
كالزهرِ بَدَدَ شَمَلِهَا الإِعْصَارُ
وَكَانَمَا وَتَرَ الردى كُلَّ امرئٍ
لَمَّا تَوَلَّى ذاكَ الجَبَّارُ
جَزَعَتْ لِمَصْرَعِهِ الْبِلَادُ كَانَمَا
قَدْ غَابَ عَنْهَا جَحْفَلُ جَرَّارُ
وَبَكَتْ «فلسطينُ» به قَيْدُومِهَا^(١)
إِنَّ الرِّزَايَا بِالْكَبَارِ كِبَارُ
لَمَّا نَعُوهُ نَعُوا إِلَيْنَا سَيِّدَا
شَرُفَتْ خِلَائِقُهُ وَطَابَ نَجَارُ^(٢)



لَيْسَ الصَّبَا وَنَضَاهُ غَيْرَ مَدْنَسٍ
كَالنَّجْمِ لَمْ تَعْلَقْ بِهِ الْأَوْضَارُ
وَمَشَى الْمَشْيِبُ بِرَأْسِهِ فَإِذَا بِهِ

(١) النضار: الذهب الخالص.

(٢) السراب.

كالحقل فيه الزَّهرُ والأثمار
 وتَطاولت أَعوامُهُ، فإذا به
 كالطُّود فيه صلابَةٌ ووقار
 ترتدُّ عنه العاصفاتُ كإيالةً
 ويزلُّ عنه العارضُ^(١) الممدار
 أُوذي فلم يجزع، وضيم فلم يهن
 إنَّ الكريم على الأذى صَبَّار
 صقلتْ مُكافحةُ الشدائدِ نفسه
 والروضُ تجلو حُسنةَ الأمطار
 فله من الشَّيخ الأصالة، والفتى
 إقدامُهُ، إذ لالفتى أوطار
 يتهيبُ الفُجَّارُ صدقَ يقينه
 ويرأيه يسترشدُ الأحرار
 ما زال يزأرون ذِيَّكَ الحمى
 كالليث ريع فما له استقرار
 ويجشمُ النفسُ المخاطر هادئاً
 كيلاً تُلمَّ بقومه الأخطار
 حتى استقر به الردى في حُفرةٍ
 وخلا، لغير جواده، المضمار
 فاعجب لمن ملأ المسامع ذكره
 تطويه في عَرْضِ الثُّرى أشبار!

☆☆☆☆☆

(١) مبالغة من (ساخر).

(٢) يريد: الطائفة (والعقاب: الطير).

(٣) السم النافع: البالغ الثابت.

أَيَّارُ مَذْكُورٌ بِحُسْنِ صُنْيَعِهِ
وَلَسْتُ تَوَلَّى وَانْقَضَى أَيَّارُ
فَاخِذْ بِلَادِكَ مِثْلَ «مُوسَى كَاطِمٍ»
تُسَبِّحُ عَلَيْكَ ثَنَاءَهَا الْأُمُصَارُ
إِنَّ السَّنِينَ كَثِيرُهَا كَقَلِيلِهَا
إِنْ لَمْ تَزِنْ صَفَحَاتِهَا الْآثَارُ
فَاصْرِفْ عَنَّاكَ فِي الشَّبَابِ إِلَى الْعُلَا
بُرْدُ الشَّبَابِ كَالْجَمَالِ مُعَارُ
لَا تَقْعُدَنَّ عَنِ الْجِهَادِ إِلَى غَدٍ
فَلَقَدْ يَجِيءُ غَدٌ وَأَنْتَ غُوبَارُ
مَاذَا يُفِيدُكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ الثَّرَى
وَلِغَيْرِكَ الْأَصَالُ وَالْأَسْحَارُ
مَنْ لَيْسَ يَفْتَحُ لِنَهَارٍ جَفْوَنَهُ
هِيَهَاتَ يَكْحُلُ مُقْلَتِيهِ نَهَارُ
❖❖❖❖❖

وَأَحِبِّ بِلَادَكَ مِثْلَ «مُوسَى كَاطِمٍ»
حُبًّا بِهِ الْإِخْلَاصُ وَالْإِيثَارُ
تَضَفَّرْ لِرَأْسِكَ مِنْ أَزَاهِرِهَا الرُّبَا
تَاجًا، وَتَهْتَفْ بِأَسْمِكَ الْأَغْوَارُ
إِيَّاكَ تَرْمُقُهَا بِمُقْلَةٍ تَاجِرٍ
إِنَّ أَتَّجَارَكَ بِالْمُوَاطِنِ عَارُ
وَدَعَ الْمُنَافِقَ لَا تَتَّقْ بَعْهُودَهُ
وَطَنُ الْمُنَافِقِ فَضَّةٌ وَنُضَارُ^(١)

(١) الاسم من الرِّوْغَان: الإقبال والميل، مثل (المراوغة)

(٢) أَرَجُ الطَّيِّبِ: فَاحٍ (أَرَج - يَأْرَج).

٣٦ - الكريم

[مجزوء الكامل]

قالوا: ألا تصفُ الكريم لنا؟ فقلتُ على البديَّة:
إنَّ الكريم لك الربيع، تحبُّهُ الحُسنُ فيه
وتَهشُّ عند لقائه، ويغيبُ عنك فتَشْتَهيه
لا يرتضي أبداً لصاحبه الذي لا يرتضيه
وإذا الليالي ساءفتُهُ لا يُدلُّ^(١) ولا يتيه
وتراه يبسمُ هازئاً في غمرة الخطب الكريم
وإذا تحرقَّ حاسدوه بكى ورقاً لحاسديه
كالوردِ ينفجُّ بالشُّذا حتى أنوف السَّارقيه

(١) أصل المعنى: أدلَّ به: وثق. وأكسبها هنا معنى التفاخر والتباه.

٣٧ - عبْدُ

[المقدّارِك]

فوقَ الجُمَيِّزةِ سَنَجَابُ
والأَرْنَبُ تَمْرُحُ في الحَقْلِ
وأنا صَيَّادٌ وَثَّابُ
لكنَّ الصَّيْدَ على مَثَلِي
مَحْظُورٌ إِذْ إِنِّي عَبْدُ
والديكُ الأَبْيَضُ في القِنِّ
يَخْتَالُ كِيُوسَفُ في الحُسْنِ
وأنا أَتَمَمْنِي لَو أَنِّي
أَصْطَادُ الدِّيكِ وَلِكَ نِّي
لَا أَقْدَرُ إِذْ إِنِّي عَبْدُ
وفَتَاتِي في تِلْكَ الدَّارِ
سوداءُ الطُّلْعَةِ كَالْقَارِ
سَيَجِيءُ وَيَأْخُذُهَا جَارِي
يا وَيَحِي من هَذَا العَارِ!
أَفْلا يَكْفِي أَنِّي عَبْدُ؟!

٣٨ - لبنان

[الكامل]

في حفل توديع صديق لبناني ، عائد إلى الوطن
اثنانِ أعيَا الدهر إن يُبْلِيَهُمَا:
لبنانُ والأملُ الذي لذويه
نشِيقُهُ والصَّيفُ فوقَ هضابِهِ
ونحبُّهُ والثَّلَجُ في واديهِ
وإذا تمَدَّله ذُكَاءُ حَبَائِلِهَا
بقلائدِ العُقَيَّانِ تستَغويه
وإذا تُنقُّطُهُ السَّمَاءُ عَشِيَّةً
بالأنجمِ الزَّهراءِ تستَرْضيه
وإذا الصَّبَا في الحقولِ كزهرها
يضحكن ضحكاً لا تكُفُّ فيه
هنَّ اللواتي قد خَلَقْنَ لي الهوى
وسقَيْنَنِي السُّحْرَ الذي أسقيه
هذا الذي صانَ الشبابَ من البلى
وأبى على الأيام أن تَطْويه
~~~~~  
ولربما جَبَلُ أَشْبَبْهُهُ بِهِ  
مُسْتَرْسلاً مع روعة التشبيهِ  
فأقولُ يحكيه، وأعلمُ أنه  
مهما سما هيئات أن يحكيه  
يا لذةً مَكْنُوبَةً يلهو بها  
قلبي ويعرفُ أنها تؤذيه

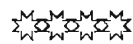
إني أذكّره بذّيّاك الحمي  
وجماله وإخاليّني أنسيه  
وإذا الحقائق أخرجت صدر الفتى  
ألقي مقالده إلى التّمويه  
وطني ستبقى الأرض عندي كلّها  
- حتى أعود إليه - أرض التّويه  
سألوا الجمال فقال: هذا هيكلي  
والشّعري قال: بنيت عرشي فيه



الأرض تستجدي الخضمّ مياهاه  
وكنوزها والبحر يستجديه  
يمسي ويصبح وهو منطرح على  
أقدامه طمعاً بما يحويه  
أعطاه بعض وقاره حتى إذا  
استجداه ثانياً سخا ببنيه  
لبنان صنّ كنز العزائم واقتصد  
أخشى، مع الإسراف، أن تُفنيه



غيري يراه سياسةً وطوائفاً  
ويظلّ يزعم أنه رائيه  
ويروح من إشفاقه يبكي له  
لبنان أنت أحق أن تبكيه  
لا يسفر الحسن النزيه لناظر  
ما دام منه الطّرف غير نزيه



قُلْ لِلأُلَى رَفَعُوا النُّخُومَ لَأَرْضِهِ  
ضَيَّقْتُمُ الدُّنْيَا عَلَى أَهْلِيهِ  
وَلَنْ يَقُولُونَ: الْفَرْنَجُ حُمَاتُهُ  
اللَّهُ قَبْلَ سَيُوفِهِمْ حَامِيهِ  
❖❖❖❖❖

يَا صَاحِبِي يَهْنِيكَ أَنَّكَ فِي غَدٍ  
سَتَعَانِقُ الْأَحْبَابَ فِي نَادِيهِ  
وَتَلْدُ بِالْأَرْوَاحِ تَعَبَقُ بِالشُّذَا  
وَتَهْزُكُ الْأَنْغَامُ مِنْ شَادِيهِ  
إِنْ حَدَّثُوكَ عَنِ النُّعِيمِ فَاطْنَبُوا  
فَاشْتَقَّتْهُ لَا تَنْسَ أَنَّكَ فِيهِ!

\*\*\*\*\*

## ٣٩. أنتِ والكأس

[مجزوء الخفيف]

أنتِ والكأسُ في يدي  
فأنا من أنتِ في غدي؟  
فأسْتَشاطتْ لقولتي  
غضباً في تمردٍ  
وأشاحتْ بوجهها  
وادّعتْ أنَّني ردي!  
كاذبٌ في صبابتي  
مما ذقُّ<sup>(١)</sup> في تَودي  
قلتُ: عفواً فإنها  
سورةٌ من مُعرِّد  
وجرى الصالحُ والتَّقَى  
تغرُّها تغري الصدي<sup>(٢)</sup>  
أذن القلبُ طائعاً  
بعود ذاك التُّمردِ  
فنعومنا هُنَّيهةً  
ببِالولاءِ الجددِ  
بينَ ماءٍ مصفَّقٍ<sup>(٣)</sup>  
وهو زارٍ مُغرِّدٍ

---

(١) لم يخلص في وده (منق - يمنق)

(٢) صدي صدى: عطش.

(٣) تصفيق الماء: تحويله من إناء إلى إناء.



ثُمَّ عَادَتْ وَسْـوَاسِي  
 ففأننا في تـرـد  
 راعها مني السـكـو  
 ت فـذمـت تـبـاـدي  
 قـالـت: الحـب سـرـمـد  
 قـالـت: لا شـيء سـرـمـدي  
 أـتـحـبـيـنـي إذا  
 زال مـجـدي وسـؤـدي؟  
 فـأجـابـت الفـؤـرـها  
 أنت، لا المـجـد، مـقـصـدي  
 قـالـت: هل تحـفـظـين عـهـد  
 دـي إذا ضاع عـسـجـدي؟  
 فـأجـابـت بـرـقـة  
 أنت، ما عـشـت، سـيـدي  
 كنت كالشـمس في الغـنى  
 أم فقـيراً كـجـنـد  
 حـسـناً.. قـلـت ضـاحـكاً:  
 يا ملاكي وفـرـقـدي  
 إنـمـا هـل يـدوم لي  
 حـبـك المـشـرق النـدي  
 إن حـنـى الـدـهر قـامـتي  
 ومـحـا الشـيـب أسـودـي  
 وانـطـوى رونق الصـبـا  
 مـثـل بـرق بـفـد<sup>(١)</sup>

---

(١) الفلاة التي لا شيء فيها

قَالَتْ: الشُّكُّ أَفْنَةٌ أَلْ  
 حُبُّ فَاأَنْبُذْهُ تَسْعِدُ  
 لَيْسَ حُبِّكَ لِي صَبَا  
 لَسْتُ فِيهِ بِأَوْحَدٍ  
 بَلْ لِيَ مِنْكَ مِنْ صَفَا  
 تٍ وَمِنْ طَيِّبٍ مَحْتَدٍ  
 قَالَتْ وَالشُّكُّ رَائِحٌ  
 فِي ضَمِيرِي وَمُغْتَدٍ:  
 وَإِذَا غَالَنِي الْحَمَامَا  
 مٌ وَأَصْبَحْتُ فِي غَدٍ  
 جُنَّةً لِقَفِّهَا النَّوْرَى  
 بِالْظَّلَامِ الْمَوْجِدِ  
 لَيْسَ فِيهَا لِصَاحِبٍ  
 أَرْبٌ أَوْ أَحْسَنُ  
 وَسَرَى الدُّودُ حَوْلَهَا  
 يَتَغَذَّى وَيَعْتَدِي  
 وَمَرَرْتُ الْغَدَاةَ بِي  
 فَمَرَرْتُ بِجَأْمَدٍ<sup>(١)</sup>  
 وَنَظَرْتُ فَلَمْ تَرِي  
 غَيْرَ عَظْمٍ مُجَرَّدٍ  
 بَعَثَتْهُ يَدُ الْبِرِّ إِلَى  
 كُنْفَايَاتِ مَوْقِدٍ  
 هَلْ تَحْبِبِينَ نَنِي إِنْ  
 لَخَالِي وَمَحْتَدِي؟

---

(١) الجلمد والجلمود. الصخر

وَيُكَ صَاحِبُ دِمْعُهَا  
 كَجُـمَانٍ<sup>(١)</sup> مُبَدَّر  
 كَم تَطْنُ الظَّنُونُ بِي  
 أَيُّهَا الزَّائِعُ اهْتَدِ  
 أَشْهَدُ الصَّبْحَ فَائِضاً  
 فِي مَرْجِ الزَّيْجِدِ<sup>(٢)</sup>  
 أَشْهَدُ اللَّيْلَ لَابِساً  
 طَيِّبَ أَسَانِ التَّمَرْدِ  
 أَشْهَدُ الْغَيْثَ مُعْطِياً  
 أَشْهَدُ الْحَقْلَ يَجْتَدِي  
 وَنَوَاتِ الْجَنَاحِ مِنْ  
 بَاغِمٍ<sup>(٣)</sup> أَوْ مُغَرَّدٍ  
 وَالْأَزَاهِيَّ وَالشَّذَا  
 فِي وَهَادٍ وَأَنْجِدِ  
 أَشْهَدُ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ  
 أَشْهَدُ إِلَهَ مَوْجِدِي  
 سَوْفَ أَحْيَا كَمَا تَرَى  
 لَاهُوى وَالتَّوَجُّدِ  
 فَاتَّاجِيكَ فِي الضُّحَى  
 وَهُوَ أَمْرَاسُ عَسْجِدِ<sup>(٤)</sup>

(١) اللؤلؤ.

(٢) الجوهر المعروف (لعله: الزمرد).

(٣) البغام: الصوت.

وأنا جـيـك في المـسـا  
 والأصـلـيـل المـسـور  
 في الرُّبـا تخـلـع الجـمـا  
 لـ بُـرُوداً وتـرتـدي  
 والسـواقي لـها غـنا  
 ء كـالـحـان (مـعـبـد)<sup>(١)</sup>  
 والعـصـا فـير أقبـلت  
 نـحوها لـتـبرـد  
 أسـهـرُ الـيـل وحـشـة  
 بـفـؤادٍ مـشـد  
 وإذا نـمـتُ نـمـتُ كـي  
 يـطـرقُ الطـيـفُ مـرقـدي  
 فـيـظـلُّ الـهـيـامُ بـي  
 يـنـتـهـي حـيـثُ يـبـتـدي  
 وبـحـزنٍ تـنـهـدتُ  
 فـاسـتـجـاشـتُ تـنـهـدي  
 فـاعـتـنـقـنا سـوـيـعـة  
 مـثـلَ جـفـنـي مـسـهـد



أفـلـت الأـمـسُ هـارـبـاً  
 وغـدٌ؟ لـيـس مـن غـد!  
 صـرـتُ وحـدي ولـيـس لـي  
 أربُ في الـتـوـحـد  
 يـا نـديـمي إلـى الـكـؤـؤ  
 سـ ويا مـنـشـد أنـشـد

---

(١) من مغني العصر الأموي.

زِدْ لِي الْخَمْرَ كَأَمَّا  
قَالَتْ: «يَا صَاحِبِي زِدْ»  
لَا تَقْلُ أَيُّ مَوْسِمٍ  
ذَا، فَذَا يَوْمٌ مَوْلَدِي!  
أَنَا، مَا زِلْتُ فِي الْحَيَاةِ،  
لِي شَبَابِي وَسُؤْدِي  
وُلْجِي نِي وَعَسْجُدِي  
وَحَلَالِي وَمَحْتَدِي  
إِنَّمَا «تَالِكُ» أَخْلَفْتُ  
قَبْلَ لَيْلَيْنِ مَوْعِدِي  
لَمْ تَأْتِ لَا، وَإِنَّمَا  
أَصْبَحْتُ فِي سَوَى يَدِي!  
\*\*\*\*\*  
أَفَرَأَيْتَ الْحَبَّ أَنَّهُ  
فِي قَلْبِ الْوَبِّ وَأَكْبَدُ  
فَهُوَ كَالنَّارِ لَمْ تَدْمُ  
فِي هَشِيمِ الْوَقْدِ!

\*\*\*\*\*

## ٤٠. الشباب والحب

[الطويل]

بكيت الصبا من قبل أن يذهب الصبا  
فيا ليت شعري ما تقول إذا ولّى؟  
توهّمته يبقّى إذا أنت صُنّته  
عن الشفة الحمراء والمُقْلَة الكحلا  
وخلت الهوى جهلاً فلم يَكُن الهدى  
أخيراً سوى الأمر الذي خلّته جهلا  
خشيت عليه أن يطوحه الهوى  
فألقاك هذا الخوف في الهوة السفلى  
أُلجم ماء النهر عن جريانه  
مخافة أن يفنى؟ إذن فاشرب الوحلا  
سيبلى الصبا مهما حرصت على الصبا  
فدعه يذوق الحب من قبل أن يبلى  
~~~~~

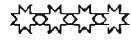
فما ديمه صبّت على الصخر ماءها
فما أنبتت زهراً ولا أطلعت بقللا
بأضيع من بُرد الشباب على امرئ
إذا استطعمته النفس أطعمها العذلا
فلا تك مثل الأقحوانة راعها
من الحقل أن تُجنى فلم تسكن الحقلا
وأعجبها الوادي فلاذت بقاعه
فجاء عليها السيل في الليل واستتلى

فما عانقتُ نور الكواكبِ في الدُّجى
ولا لثمتُ فجراً ولا رشفتُ طلاً
وزالت فلم يستشعرِ النورُ والندى
على فَقْدِها غمّاً كأنّ لم تكن قبلاً
ولا تكُ كالصِّدّاحِ إذ خال أنه
إذا ادّخر الألبانَ أكسبها نُبلاً
فضنُّ بها والشمسُ تنثرُ تبرها
وفضنَّتْها والأرضُ ضاحكةٌ جذلي
فلما مضى نورُ الربيعِ عن الربا
ودبَّ إلى أزهارها الموتُ مُنْسِلاً
تحفُّزَ كي يشدو فلم يلقَ حوله
سوى الورقِ الهاوي كأحلامه القتلى!

٤١ - الغابة المفقودة

[السريع]

يا لهفة النفس على غابة
كنت وهنداً نلتقي فيها
أنا كما شاء الهوى والصبا
وهي كما شاءت أمانيتها
تكاد من لطف معانيها
يشربها خاطر رائيها
أمنت بالله وأياته
أليس أن الله باريها؟



نبغت الأزهار عند الضحى
متكئات في نواحيها
ألوى على الزنبق نسرينها
والتف عاريها بكاسيها
واختلجت في الشمس ألوانها
كانت تذكّر ماضيها
تألفت فالماء من حولها
يرقص، والطير تغنيها
من لقن الطير أناشيدها؟
وعلم الزهر تأخيها؟
يا هند هذي معجزات الهوى
وإنها فينا كما فيها

لا يستحي الزهرُ بإعلانها
فما لنا نحن نُوارِيها؟
وتهتفُّ الطيرُ بها في الربا
فما لنا نحن نُعميها؟
لله في الغابة أيامنا
ما عابها إلا تلاشيها
طوراً علينا ظلُّ أواحيها
وتارةً عطفُ دواليها
وتارةً نلهو بآعنائها
وتارةً نُحصى أقاصيها
تسكتُ إذ نشكو شحاريرها
كأنما التغريدُ يؤذيها
وإن تضحكنا سمعنا الصدى
يضحك معنا في أقاصيها
وإن مشينا فوق كُتبانها
لاحت فشاقتنا أدانيها
وفوقنا الأغصانُ معقودة
ذوائبُ طال تدليها
إذا هرزناها على غرة
ألقت من الذُّعرِ لآليها
نسيرُ من كهفٍ إلى جدول
نكتشفُ الأرض ونطويها
والنورُ عطرُ في تعاريجها
والعطرُ نورُ في حواشيها
وتختبي هندُ فاشتاقها
وأختبي عنها فأغريها

كم أوهمتني الخوف من طاريئ
تُشجّي بذا نفسي فتُشجّيهَا
فرُحْتُ أعدو نحوها مُشفقاً
فكان ما حاذرتُ تمويهَا!
فاعجب لأطواري وأطوارها
تعيبُ منّي وأجارِيهَا!
❖❖❖❖❖

اللة لو دام زمانُ الهوى
ودام من هندی تجنّيهَا
لا غابتي اليوم كعهدي بها
ولا التي أحببتُها فيها
ولا تلالُ كنههود الدُمى
ولا سفوحُ كترَاقيهَا^(١)
ولا الندى در على عُشبهَا
ولا الأقاحي في روابيهَا
ولا الضحى يُلقي على أرضها
شباكُ تَبَرٍّ من أعاليها
أهبطني أمسٍ إلى حضنها
شوقي إلى سجّع قُماريها^(٢)
فلم تخمشنني بأوراقها
ولم تهلّ لي سواقيهَا
قد بدّل الإنسانُ أطوارها
واغتصب الطيرُ ماويهَا

(١) الترفوة: العظم بين ثغرة النحر والعائق.
(٢) القُمري: طائر يشبه الحمام (والجمع: القماري).

وفتّ بالبارود جُلمودها
واجتثّ بالفأسِ نوالِيتها
وشاد من أحجارها قريّةً
سكّانُها الناسُ وأهلُوها
يا لهفةَ النفسِ على غابة
كنتُ وهنداً نلتقي فيها
جنّةُ أحلامي وأحلامها
ودارُ حبي وتصابيها
نبكي من اليأسِ على شوكتها
وكان يُدميني ويُدْمِيها
كانت تُغطّينا بأوراقها
فصارتِ الدُّورُ تغطّيها!

٤٢ - أبو غازي

[الوافر]

أبا غازي السَّلامُ عليك مِنَّا
وعفواً أيَّها الملكُ الهُمَامُ
فما ضاقَ الكلامُ بنا ولكنَّ
وجدنا الحزنَ أرخصهُ الكلامُ
وخطبُك لا يَفِيهِ دَمْعُ بَاكِ
ولو أنَّ الذي يبكي الغمامَ
ونحنُ أحقُّ أن نُبكي ونُرتى
فموتُك من بني العُربِ انتقامُ
خبنا نبراسُنا، والليلُ داجٍ،
وموجُ الحادِثاتِ له التَّطَامُ
وكنْتَ لنا الدليلَ، فغبتَ عنَّا
وكنْتَ حُسَامَنا، فنَبَا الحُسَامِ!
كأنَّكَ قد وتَّرتَ الموتَ قدماً
وهابَكَ في كنانَتِكَ السَّهامُ
فدبَّ إليك مثْلُ اللصِّ ليلاً
وكانَ الموتُ ليسَ له ذمامُ
طوى الدنْيا نَعْيُكَ في ثَوَانٍ
فريعَ البَيتِ والبَلَدِ الحَرامِ
و«دجالةٌ» كالطَّعينِ له أنينُ
وفي «بردى» التَّياعُ واضطرامُ

ورُحْنَا بَيْنَ مَصْنُوعٍ وَسَاهٍ
 كَمَنْ صَرَعَتْ عَقُولَهُمُ الْمُدَامُ
 كَأَنَّ الْأَرْضَ قَدْ مَادَتْ وَقُضَّتْ
 عَنْ الْمَوْتِ الصَّفَائِحُ وَالرَّجَامُ^(١)
 فَمَنْ الْبَيْضِ^(٢) وَالْجُرْدِ الْمَذَاكِي^(٣)؟
 وَ«فِيصَلُ» بَاتَ يَحْوِيهِ الرُّغَامُ^(٤)
 وَمَنْ لِّلْحَقِّ يَنْشُرُهُ لَوَاءً
 بِهِ لِلنَّاسِ هَدْيٌ وَاعْتِصَامُ
 تَوَارِي الْمَجْدُ فِي كَفَنٍ وَلِحْدٍ
 وَغَابَتْ فِي التُّرَابِ مُنَى عِظَامِ
 مَضَى وَحْدَيْتُهُ فِي النَّاسِ بَاقٍ
 كَعُمُرِ الشَّمْسِ لَيْسَ لَهُ انْتِصَامُ
 فَيَا جَدَثًا حَوَاهُ لَسْتُ قَبْرًا
 وَلَكِنْ أَنْتَ فِي الدُّنْيَا وَسَامُ



حَيَاتُكَ « يَا أَبَا غَازِي » حَيَاةٌ
 كَفَصْلِ الصَّيْفِ: زَهْرٌ وَابْتِسَامُ
 وَقَدْ تُحْصَى الْكَوَاكِبُ وَالْأَقَاخِي
 وَلَا تُحْصَى أَيْادِيكَ الْجِسَامُ
 مَدَدْتَ إِلَى مُنَى الْعَرَبِ الْغَوَافِي
 يَدًا، فَتَفَتَّقَتْ عَنْهَا الْكُمَامُ
 وَأَمْسَى بِنَدَاهُمْ^(٥) وَلَهُ خُفُوقُ
 وَأَمْسَى عَقْدَهُمْ وَلَهُ نِظَامُ

(١) حجارة ضخام تجمع على القبور.

(٢) البيض: السيوف.

(٣) الجرد المذاكي: الخيل الأصيلة.

(٤) التراب.

(٥) العلم أو الراية.

وكم أسقمت جسمك كي يضحوا
وحالفت السُّهاد وهم نيام
وكم جازيت عن شر بخير
وكم جازاك بالغدر الأنام
خُذلت فما عتبت على صديق
ولم تحنق وقد كُثر الملام
وكم قد فُزت في حربٍ وسلم
فلم يلعب بعطفك العُرام^(١)
خلّاق من له عرقٌ كريم
وخطأه من له قلبٌ عصام
خذوا الخلق الرفيع من الصَّحارى
فإنَّ النفسُ يفسدها الزَّحام
وكم فقدت جلالتها قصور
ولم تفقد مروءتها الخيام



وقالوا اندك عرشك في دمشق
كان العرش أخشاب تُقام
وكيف تهدُّ سُدَّتكَ العوالي
ولم يسلبكها الموتُ الزَّوام
فما كان انتصارهم علاء
ولا كان انكسارك فيه ذام
إذا لم تنصُر الأرواحُ مأكأ
فأحسن ما حوى جثثُ وهام
وما زالت لك الأرواحُ فيهما
وما زالت عشيرتك الشَّام

(١) الحدة والشرس.

تَصَفَّقْ لاسْمِكَ الْأَمْوَاهُ فِيهَا
وَيَهْتَفُ فِي خَمَائِلِهَا الْحَمَامُ
وَيَذْكُرُ أَهْلُهَا تَاكَ السَّجَايَا
فَيُشْرِقُ مِنْ تَذَكُّرِهَا الظَّلَامُ
وَلَيْسَ أَحَبُّ مِنْ حُرٍّ مُؤَاسٍ
إِلَى شَعْبٍ يُسَاءُ وَيُسْتَضَامُ

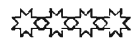
فَقُلْ لِّلْإِسَاخِطِينَ عَلَى الْإِيَالِي
وَمَنْ سَكَنُوا عَلَى يَأْسٍ وَنَامُوا
سَيَنْحَسِرُ الضُّبَابُ عَنِ الرُّوَابِي
وَيَبْدُو الْوَرْدُ فِيهَا وَالْخُزَامُ
وَيَصْفُو جُؤُنَا بَعْدَ انْكَدَارِ
وَيَسْقِي أَرْضَنَا الْمَطَرُ الرِّهَامُ^(١)
وَنَرْجِعُ أُمَّةً تُرْجَى وَتُخْشَى
وَإِنْ كَرِهَ الزَّعَانِفُ وَالطُّغَامُ

(١) الرهمة: المطر الدائم الصغير القطر.

٤٣. فلسطين

[المتقارب]

ديارُ السَّلامِ، وأرضُ الهنا
يشقُّ على الكلِّ أنْ تَحْزَنَا
فَخَطَبُ فلسطينَ خطبُ العُلا
وما كان رزءُ العُلا هيَّنا
سَهْرُنَا له فكانَ السَّيُوفُ
تَحْزُنُ بِأكْبَادِنَا ههنا
وكيف يزورُ الكرى أعيُننا
ترى حوْلَهَا للرَّدَى أعيُننا؟
وكيف تطيبُ الحياةُ لقومِ
تُسَدُّ عَالِيَهُمْ دُروبُ المني
بلادهم عُرْضَةٌ لِاضْطِباعِ
وَأَمَّتْهُمْ عُرْضَةٌ لِلفنا
يُرِيدُ اليَهُودُ بَأْنَ يَصْلَبُوهَا
وتأبى فلسطينُ أنْ تُذعنَا
وتأبى المروءةُ في أهْلِهَا
وتأبى السَّيُوفُ، وتأبى القنا
أَرْضُ الخِيَالِ وَأَيَّاتِهِ
وَذَاتُ الجلالِ، وَذَاتُ السَّنَا
تَصِيرُ لَغَوغَائِهِمْ مَسْرَحاً
وتَغْدُو لَشُدْذَائِهِمْ مَكْمَناً



بنفسي «أردنُّها» السلسبيلُ
 ومن جـاوروا ذلك الأردننا
 لقد دافعوا أمسِ نون الحمى
 فكانت حروبهم حربنا
 وجادوا بكلّ الذي عندهم
 ونحن سنبذل ما عندنا
 فقلّ لـليهود وأشـياعهم
 لقد خدعتكم بروق المني
 ألا ليت «بلفور»^(١) أعطاكم
 بلاداً له لا بلاداً لـلـنا
 «فلندن» أرحب من قُـدسنا
 وأنتم أحبُّ إلى «لندننا»
 ومنّاكم وطناً في النجوم
 فلا عربي بتلك الدُّنا
 أيـسـأب قومكم رشدهم
 ويدعوه قومكم محسننا!
 ويدفعُ لـلموت بالأبرياء
 ويحسبه معشرُ ديننا!
 ويا عجباً لكم توغرون
 على العربِ «التامز والهدسنا»^(٢)
 وترمونهم بقبيح الكلام
 وكانوا أحقّ بضافي الدُّنا
 وكلُّ خطيئاتهم أنهم
 يقولون: لا تـسـرقوا بيتنا

(١) اللورد بلفور وزير خارجية بريطانيا، وصاحب الوعد الذي وجهه إلى الثري اليهودي (روتشيلد).

(٢) نهر التايمز في بريطانيا والهدسن: في أمريكا.

فليست فلسطين أرضاً مشاعاً
فَتُعْطَى لِمَن شَاءَ أَن يَسْكُنَنَا
فإن تطالبوها بِسُمرِ القنا
نردُّكم بِطِوالِ القنا
ففي العربي صفاتُ الأنعام
سوى أن يخاف وأن يحبُّنا
وإن تحجوا بيننا بالخداع
فلن تخدموا رجلاً مؤمناً
وإن تهجروها فذلك أولى
فإن «فلسطين» مُلكُ لنا
وكانت لأجدادنا قَبْلاً لنا
وتبقى لأحفادنا بعْدنا
وإن لكم بسواها غنى
وليس لنا بسواها غنى
فلا تحسبوها لكم موطناً
فلم تك يوماً لكم موطناً
وليس الذي نبْتَغيه مُحالاً
وليس الذي رُمِتمُمُمكننا
نصحناكم فارعووا وانبذوا
«ببلفور» نِيالك الأرعنا
وإما أبيتُم فأوصيكم
بأن تحملوا معكم الأكفنا
فإننا سنجعل من أرضها
لنا وطناً ولكم مدفننا!

٤٤ - الغبطة فكرة

[مجزوء الرمل]

أقبل العيد، ولكن ليس في الناس المسرة
لا أرى إلا وجوهاً كالبحار مَكْفَهَرَة
كالركايا^(١) لم تدع فيها يد الماتح قطره
أو كمثّل الروض لم تترك به النكباء^(٢) زهره
وعيوناً دنّقت^(٣) فيها الأمانى المستحرة^(٤)
فهى حيرى ذاهلات في الذي تهوى وتكره
وخدوداً باهتات قد كساها الهم صفره
وشفاهاً تحذر الضحك كأن الضحك جمره
ليس للقوم حديث غير شكوى مستمره
قد تساوى عندهم اليأس نفع ومضره
لا تسئل ماذا عراهم، كأنهم يجهل أمره
حائر كالطائر الخائف قد ضيع وكمره
فوقه البازي، والأشراك في نجد وحفره^(٥)
فهو إن حط إلى الغبراء شك السهم صدره
وإذا ما طار لاقى قشع^(٦) الجو وصقره
كأنهم يبكي على الأمس ويخشى شر «بكره»

(١) الركبة: البئر.

(٢) الريح.

(٣) دنّقت العين: غارت، والوجه هزل.

(٤) المرتفعة الحرارة لقوتها (المستعرة).

(٥) يريد الأرض العالية، والحفرة الغائرة في الأرض.

فَهُمْ مِثْلُ عَجَوزٍ فَقَدَتْ فِي الْبَحْرِ إِبْرَهُ
أَيُّهَا الشَّاكِي الْيَالِي إِنَّمَا الْغَبِطَةُ فُكْرَهُ
رَبِّمَا اسْتَوِطَنْتِ الْكُوخَ وَمَا فِي الْكُوخِ كَسْرَهُ
وَخَلَّتْ مِنْهَا الْقُصُورُ الْعَالِيَاتُ الْمُشْمَخَرَهُ
تَلَمَسُ الْغُصْنُ الْمَعْرَى فَإِذَا فِي الْغُصْنِ نَضْرَهُ
وَإِذَا رَفَّتْ عَلَى الْقَفْرِ اسْتَوَى مَاءٌ وَخُضْرَهُ
وَإِذَا مَسَّتْ حَصَاةً صَقَلَتْهَا فَهِيَ دُرُّهُ
لَكَ، مَا دَامَتْ لَكَ، الْأَرْضُ وَمَا فَوْقَ الْمَجَرِّهِ
فَإِذَا ضَيَّعَتْهَا فَالْكَوْنُ لَا يَعْدِلُ ذَرَّهُ
أَيُّهَا الْبَاكِي رَوِيداً لَا يَسُدُّ الدَّمْعُ نُغْرَهُ
أَيُّهَا الْعَابِسُ لَنْ تُعْطَى عَلَى التَّقْطِيبِ أُجْرَهُ!
لَا تَكُنْ مُرَّاً، وَلَا تَجْعَلْ حَيَاةَ الْغَيْرِ مُرَّهُ
إِنَّ مَنْ يَبْكِي لَهُ حَوْلٌ عَلَى الضَّحْكِ وَقُدْرَهُ
فَتَهْلَلْ وَتَرْنَمْ فَالْفَتَى الْعَابِسُ صَخْرَهُ
سَكَنَ الدَّهْرُ وَحَانَتْ غَفَالُهُ مِنْهُ وَغَرَّهُ
إِنَّهُ الْعَيْدُ... وَإِنَّ الْعَيْدَ مِثْلُ الْعُرْسِ مُرَّهُ

٤٥. الفتى الأفضل (معربة)

[المتقارب]

مضى زمنٌ كان فيه الفتى
يُبَاهِي بما قَوْمُهُ أَتَوْا^(١)
وَيَرْفَعُهُ فِي عِيُونِ الْأَنْامِ
وَيُخَفِّضُ مَنْ قَدَرِهِ الْمُنْزَلُ
فَلَا تَقْعُدَنَّ عَنْ طَلَابِ الْعُلَا
وَتَعِزِّدِي بِلَادَكَ إِذْ تُعِزُّ^(٢)
فَإِنَّ الْخَلَائِقَ حَتَّى عِدَاكَ
مَتَى مَا سَبَقَتْهُمْ هَالِكُوا
فَتَابِرْ بِجِدِّ عَلَى نَيْلِهَا
فَلَيْسَ يَخِيبُ الَّذِي يَعْمَلُ
وَكُنْ رَجُلًا نَاهِضًا يَنْتَمِي
إِلَى نَفْسِهِ عِنْدَمَا يُسْأَلُ
فَلَسْتَ الثِّيَابَ الَّتِي تَرْتَدِي
وَلَسْتَ « الْأَسَامِي » الَّتِي تَحْمِلُ
وَلَسْتَ الْبِلَادَ الَّتِي أَنْبَتَتْكَ
وَلَكِنْ مَا أَنْتَ مَا تَفْعَلُ
إِذَا كُنْتِ مِنْ وَطَنِ خَامِلٍ
وَفُزْتَ فَأَنْتِ الْفَتَى الْأَفْضَلُ

(١) من الأثلة: وهي أصل كل شيء. والنائيل: التعظيم والتمكين.

(٢) من العذل: اللوم.

٤٦ - مَنْ أَنَا

[المتقارب]

أنا، من أنا يا تُرى، في الوجود؟
وما هُوَ شأني وما موضعي؟
أنا قطرةٌ لُعتْ في الضحى
قليلًا على ضفّة المشرع^(١)
سيأتي عليها المساءُ فتغدو
كأن لم تُرَقِرْ ولم تسمع
أنا نغمةٌ وقُعتْها الحياةُ
لمن قد يبعي ولن لا يبعي
سيمشي عليها السكوتُ فتُمسي
كأن لم تمر على مسمع
أنا شبحُ راکضٍ مُسرِعٍ
مع الزمنِ الراكضِ المُسرِعِ
سيُرخى عليه الستارُ ويخفى
كأن لم يجد ولم يُهطِع^(٢)
أنا موجةٌ دَفَعَتْها الحياةُ
إلى أوسعِ فــــــ إلى أوسعِ
ستنحلُّ في الشطّ عما قليلٍ
كأن لم تَدْفَعْ ولم تُدْفَعْ

(١) يريد. مشرعة الماء، مورد الشاربة.

(٢) أهطع في عنوه: أسرع.

فيا قلبُ لا تغترِّرَ بالشُّبابِ
ويا نفسُ بالخُلْدِ لا تطمعي
فإن الكهولةَ تمضي كما
تولَّى الشبابُ ولم يرجع
ولكنَّ فيها جمالاً بديعاً
وفيهما حنينٌ إلى الأبدِ
ومن لا يرى الحُسْنَ في ما يراه
فما هو بالرجلِ الألعى
بني وطني من أنا في الوجودِ،
وما هو شأني وما موضعي؟
أنا أنتمُ إن ضحكتمُ لأمرٍ
ضحكتُ، وأدمعُكم أدمعي
ومُطربُ أرواحكمُ مُطربي
وموجعُ أكبادكمُ موجعي
أما نحنُ منْ مصدرٍ واحدٍ
ألسنا جميعاً إلى مرجعٍ؟
رفعتمُ مقامِي وأعليتموه
لَمَّا قد صنعتُ ولم أصنع
أحقُّ بإكرامكم طائرُ
يُغرِّدُ في الروضِ والبُلْبُلُ
وأولى به كوكبُ طالعٍ
على سُهْدٍ وعلى هُجَعٍ
أنا واحدٌ منكمُ يا نجوم
بلادي، متى تَسَطَّعوا أسطع
فمن قام يمدحُني بينكمُ
فقد تُمدحُ الكفُّ بالإصبعِ

وما الغيثُ غيرُ الخضم، وليس
الغديرُ سوى السُّحْبِ الهُمَمِ^(١)
فأولاكمُ لم أكنْ بالخطيبِ
ولا الشاعرِ السَّاحِرِ المبدعِ
أنَا الآن في سَكْرَةٍ لا أعِي
فيا ليتني دائماً لا أعِي
فذي ليالٍ بجميعِ الزمانِ
إذا كان في الدهرِ من أجمعِ
فيا أيها الليلُ بالله قفْ
ويا أيها الصبحُ لا تطلُعِ
إذا كنتُ قد بِنْتُ عن مرْبَعِي^(٢)
فإني وجدتُ بكم مرْبَعِي^(٢)
يميناً سأحملُ في أضلعي
هواكمُ ما بقيتُ أضلُعي
وأشكرُكم بلسانِ النسائمِ
والروضِ والجدولِ المُتَرَعِ
فلا عذرَ لاطيرٍ إمَّا رأى
جمالَ الربيعِ ولم يسجعِ
إذا لم أكنْ معكم في غَدِ
فإني سأمضي وأنتم معي

(١) همع. سال.
(٢) المنزل والمحلة.

٤٧ - كمنجة الشّوّا

[السريع]

كمنجة «الشّوّا» عليك السّلام
بهيكل الوحي وعرش الغرام
فيك التقت أرواح أهل الهوى
نجوى وشكوى وبُكا وابتسام
وأودعت فيك الصّبا همسها
وخبّأ الأسرار فيك الظلام
وذاب فيك الحبُّ نوب النّدى
في مبسّم^(١) الورد وجفن الخزام
رُدّي إلينا اليوم دنيا الرّوى
فإننا لنشقى بدنيا الحطام
أجنحة الأشواق مفاتيح^(٢)
أو موثقات، والأمانى رِمَام^(٣)
قد انقضى العمر وأرواحنا
مفطومة بالحرص، بئس الفطام
ننأى عن الحُسن ونشتاقه
ونهجر الماء ونشكو الأوام^(٣)
ويبعث الحقل إلينا الشّذا
ونحن لا ننشق إلا الرّغام^(٤)

(١) الثغر.

(٢) البقايا

(٣) العطش الشديد.

نَسِيرُ وَالْأَضْوَاءُ مِنْ حَوْلِنَا
كَأَنَّنَا فِي هَبْوَةٍ أَوْ قَتَامٍ^(١)
وَالْمَاءُ يَجْرِي حَوْلِنَا كَوَثْرًا
وَنَحْنُ نَسْتَسْقِي السَّحَابَ الْجَهَامَ^(٢)
وَنَسْهَرُ اللَّيْلَ لَغَيْرِ الْهَوَى
مَا تَنْفَعُ الْيَقْظَةُ وَالْقَلْبُ نَامَ
حَتَّى نَسِينَا كَيْفَ لَوْنِ الضَّحَى
وَلَمْ نَعُدْ نَذْكُرْ سَجْعَ الْحَمَامِ
خَيْرُ مَنْ الْيَقْظَةُ عِنْدِي الْكَرَى
إِنْ كَانَتْ الْغَبِطَةُ بَنَتْ الْمَنَامَ
خَلُّنَا الْهَوَى تَرْجِعُ أَيَّامُهُ
لَمْ يَرْجِعِ الْحُبُّ وَلَا الْمَالُ دَامَ
فِيَا فَتَى «الشَّهْبَاءُ» يَا شَاعِرَا
رَجَعْتَ بِالسَّحَرِ وَكَانَ أَتَطْوَى
وَجِئْتَنَا بِالْوَحْيِ فِي غَيْرِ جَامِ
هَذَا عَصِيرُ الْوَحْيِ فِي آلَةٍ
خَرَسَاءُ يَجْرِي فَتْنًا لِلْأَنَامِ
فَإِنْ تَجِدْنَا حَوْلَهَا عُكْفَاءُ
فَالْمَنْهَلُ الْعَذْبُ كَثِيرُ الزُّحَامِ
فَدَغْدَغِ الْأَوْتَارَ لَا تَكْتَرِثْ
أَنْ تَذْهَبَ الْفِتْنَةُ بِالْإِحْتِشَامِ

(١) الهبوة: الغبار، والقَتَامُ مثله.

(٢) السحاب الذي لا ماء فيه

سعادة الأنفس في نشوة
من صورة أو نغم أو مدام
وقل لمن يحذر أن يشتهي
ويحبس الدمع لئلا يلام
اسمع! فهذا وتر نائح
وانظر! فهذا خشب مستهام

نيويورك! يا ذات البروج التي
سمت وطالت كي تمس الغمام
لن تبليغي والله باب السما
إلا بأوتار كنار الشأم
فاصغي إلى أحنانه لحظة
تحت قري كل صنوف الكلام
وتدركي أن قص الناشئ عني
تبقى وتتهد صور الرجاء^(١)
فرحبي معنابه واهتفي:
هذا أمير الفن، هذا الإمام!

(١) حجارة ضخام قد تجمع على القبر.

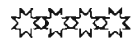
٤٨. إذا

[الهزج]

إذا جُدِّفَتْ جُوزِيَّتْ عَلَى التَّجْدِيفِ بِالنَّارِ
وإن أَحْبَبْتَ عُيُورَتِ مِنَ الْجَّارَةِ وَالْجَّارِ
وإن قَامَرْتَ أَوْ رَاهَنْتَ فِي النَّادِي أَوْ الدَّارِ
فَأَنْتَ الرَّجُلُ الْأَثْمُ عِنْدَ النَّاسِ وَالْبَارِي



وإن تَسَكَّرَ لَكَ تَنْسَى هُمُومًا ذَاتَ أَوْقَارِ
خَسِرْتَ الدِّينَ وَالْدُنْيَا وَلَمْ تَرْبِحْ سِوَى الْعَارِ



وإن قُلْتَ: إِنْ فَالْعَاشِ أَوْزَارُ بَأْوَازِ
وإنَّ الْمَوْتَ أَشْهَى لِي إِذَا لَمْ أَقْضِ أَوْطَارِي
وَأَسْرَعْتَ إِلَى السَّيْفِ أَوْ السُّمِّ أَوْ النَّارِ
لَكَ تَخْرُجُ مِنْ دُنْيَا نَوَّهًا غَيْرُ أَحْرَارِ
فَهَذَا الْمَنْكَرُ الْأَعْظَمُ فِي سِرٍّ وَإِضْمَارِ
إِنْ فَاحِي وَمَتَّ كَالنَّاسِ: عَبْدًا غَيْرَ مُخْتَارِ!



٤٩ - شبح

[الكامل]

رسالة من لبنان إلى أبنائه المهاجرين، قالها في حفلة.
بأبي خيالٍ لاح لي متلففاً
بعباءة من عهد فخر الدين
يمشي على مهلٍ ويُرسلُ طَرْفَهُ
في حيرة المستوحش المحزون
من أنت يا شبحاً كئيباً صامتاً؟
قل لي فإنك قد أثرت شجوني
أخيالُ خصمٍ أتقي نِزواته؟
أم أنت يا هذا خيالُ خدين؟
فأجابني مترفقاً متحجباً
فسمعتُ صوت أبٍ أبر حنون



يا شاعري قل للألى هجروني
أنا ما نسيتكمُ فلا تنسُوني
ما بالكم طوّلتُم حبلَ النوى
يا ليت هذا الحبلَ غيرُ متينٍ
قد طُفّتُم الدنيا فهل شاهدتُم
جبلاً عليه مهابتي وسكوني؟
أوردتُم كمناهلي؟ أنشقتُم
كأزاهري في الحُسن والتلوين؟
ولقد تظّلتُم بأشجارٍ فهل
رُفّتُ غصونُ فوقكم كغصوني؟

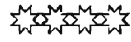
وسمعتُم شَتَّى الطيورِ صَوادِحاً
أسمعتُم أشجى من الحُسُونِ؟^(١)
هل أنبتت كالأرزِ غيري بُقعةً
في مجّده وجلاله الميمونِ؟
أرأيتم، في ما رأيتم، فتنةً
كالبدْرِ حين يُطلُّ من صُنّين؟^(٢)
أو كالغزالة وهي تنفضُ تَبَرها
عند المغيبِ على ذُرَا حرْمونِ؟^(٣)
مرّت قرونٌ وانطوتْ وكأُنّني
لمحاسني كُؤنتُ منذ سنين
أبليّتها وبقيتُ، إلّا أنّني
للشوقِ كاد غيايكم يُباليّني
~~~~~

لبنان! لا تعذلّ بنيك إذا همّ  
ركبوا إلى العلياء كلّ سفين  
لم يهْجُروكَ ملالةً لكنّهم  
خُلقوا لصيد اللؤلؤ المكنون  
ورثوا اقتحام البحرِ عن فينيقيا  
أمّ الثقافة مصدر التّمدين  
لما ولدتهم نسوراً حلّقوا  
لا يقنعون من العُلا بالدون  
والنّسرُ لا يرضى السجون وإنّ تكن  
ذهباً، فكيف محاسن من طين

---

(١) الطائر الحسن الصوت.  
(٢) الجبل، في المتن الشمالي من لبنان.  
(٣) الجبل (حرمون).

الأرضُ للحشراتِ ترحفُ فوقها  
والجوّ للبازيِّ والشَّاهين<sup>(١)</sup>



فأجابني والدمعُ ملءُ جفونه  
كم ذا تسأليني ولا تُسأليني؟<sup>(٢)</sup>  
أنا كالعرينِ اليوم غاب أسوده  
وتفرّقوا عنه لكلّ عرين  
الأرمنيُّ على سفوحٍ والريّا  
يبني الحصونَ لنفسه بحصوني  
وبنو يهوذا ينصبون خيامهم  
في ظلّ أوديّتي وفوق حُزوني<sup>(٣)</sup>  
وبني عني غافلون كأنني  
قد صرتُ في الأشياء غير ثمين  
أنتم ديونٌ لي على أميركا  
ومن المروءة أن تُردّ ديوني  
أو ليس من سُخر القضاة وهُزئ  
أن يأخذ المُثري من المسكين؟  
عودوا فإنّ المال لا يُغنيكم  
عني، ولا هو عنكم يُغنيني



فشجيت ممّا قاله لكنني  
لمّا رأيتمُ نسيتُ شجوني  
لبنانُ فيكم مائلٌ إن كنتم  
في مصر أو في الهند أو في الصينِ

---

(١) من الطيور التي تُطلق للصيد.

(٢) أسلاه: كشف عن همه.

(٣) الحزن: ما غلظ من الأرض.

إِنْ بِنْتُمْ عَنْهُ فَمَا زَالَ الْهَوَى  
يُذْنِيكُمْ مِنْهُ كَمَا يُذْنِينِي  
وَحَرَآكُكُمْ<sup>(١)</sup> لِعَلَّائِهِ وَسَكُونُكُمْ،  
وَالِي تَرَاهُ حَنِينُكُمْ وَحَنِينِي  
لَوْ أَمَسَتْ الدُّنْيَا لَغَيْرِي كُلُّهَا  
وَرَبَّاهُ لِي، مَا كُنْتُ بِالْمَغْبُونِ  
أَنَا فِي حِمَاكُمْ طَائِرٌ مُتَرَنِّمٌ  
بَيْنَ الْأَقْحَاحِ الْغَضِّ وَالنُّسْرَيْنِ  
أَنْتُمْ بَنُو وَطَنِي وَأَنْتُمْ إِخْوَتِي  
وَأَنَا أَمْرُؤُ دِينِ الْمَحَبَّةِ دِينِي

\*\*\*\*

---

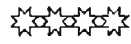
(١) الحركة.



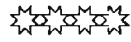
## ٥٠ - أنا وابني

[مجزوء الرمل]

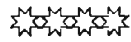
قالَ إبني وهُو حيرانُ بما يُحكى ويُقرا  
كيف كان الله؟ إنِّي قد وجدتُ اللهَ سرّاً  
أسمعُ الناسَ يقولون به خيراً وشرّاً  
فأفدني قلتُ: يا إبني أنا مثلُ الناس طُراً  
لي في الصّحة أراءٌ وفي العِلّة أخرى  
كلّما زحزحتُ سترّاً خلّتني أسدلاً سترّاً  
لست أدري منك بالأمر ولا غيري أدري!



أَحسبُ اللهَ الذي صاغ من الذرّات صخرا  
والذي شاء فصارت قطراتُ الماء بحرا  
والذي شاء فضمّ البحرُ أصدافاً ودُراً  
وأراد الضوء أجراماً فصار الضوءُ زُهوراً<sup>(١)</sup>  
إنّ هذا اللهُ لما شاء هذا كان « فakra »



ثمّ لمّا نظم الألوان في الأرض زهوراً  
ورأى أن يعلن الحبّ غناءً وحُبوراً  
فتمشّى في حواشي الأرض سحراً وعُطوراً  
وتهادى في حواشي الأفقِ أطيافاً ونوراً  
عندما أوجد هذا كان « حسّاً وشُعوراً »



---

(١) الأنجم الزهر. والزُّهرة هي الكوكب الأبيض.

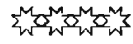
من أحبَّ اللهَ جَبَّاراً وفَتَّاكاً وقَاهِرَ  
فَأَنَا أَهْوَاهُ رَسَّاماً وفَنَّاناً، وسَاحِرَ  
وأَرَاهُ فِي النَّدَى والزَّهْرِ والشَّهَبِ السَّوَافِرَ  
فَإِذَا الأَنْجُمُ غَارَتْ وانْطَوَتْ كُلُّ الأَزَاهِرِ  
وتَلَاشَى كُلُّ مَا أُنْشِأَ وَسِوَى مَنْ مَنَاطِرِ  
لَا حَ لِي فِي حَسَنِهِ الأَكْمَلِ فِي دِيوَانِ شَاعِرِ!

\*\*\*\*\*

## ٥١ - عبد الله البستاني

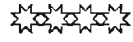
[السريع]

يا ميتهاً فيه جمالُ الحياة  
ما حازَ منك اللحدُ إلا الرفاتَ  
أنت الفتى الباقي بآثاره  
ما أنت بالمرء إذا مات مات!  
وكيف يمتدُّ إليك الردى  
وذاتك الحسنة في ألف ذات؟  
إذا اختفى في الورد لونُ الضحى  
فالدُّنْبُ ذنبُ الأعمى الناظرات  
يصوِّحُ الزهرُ ويبقى الشُّذا  
ويذهبُ المرءُ وتبقى الصفات



يا نائماً أغفى عن التُّرَّهاتِ  
إني وجدتُ الموت في التُّرَّهاتِ  
إنْ مضى الشيءُ نقولُ انقضى  
إذن فمن أين تجيء الحياة؟  
أليس دنيا الصبحِ ودنيا الكرى  
ومثلُ ظلِّ العيش ظلُّ الممات؟  
تُقسِّمُ الأشياءُ أفهامنا  
وليست النخلة إلا النواة  
وفي الغد الأمس، ولكننا  
لأجل قلائد الدهر ماضٍ وآت

بعضُ الردى فيه نجاةُ الفتى  
وربما كان الردى في النجاة

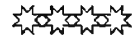


يا قروياً عظمتُ نفسيَّه  
حتى ترضتها نفوسُ العُتاة  
وحسدتهُ الصيْدُ في كوخه  
وحسدتُ قريتهُ العاصمات  
تلك السجايا لم تزل بيننا  
ساطعةً كالأنجم الزاهرات  
وعلمك الزاخرُ باقٍ لنا  
ما بقيتُ في الأرض أمُّ اللغات  
في أنفُسِ الناسِ وألبابهم  
وفي بطونِ السَّيرِ الخالدات  
وفي تلاميذك أهلِ الحجا  
والأدبِ الجمِّ الجميلِ السمات  
من شاعرٍ كالروضِ أشعاره  
تسمعُ همسَ الحبِّ فيه الفتاة  
وسامرٍ تحسبُ أقواله  
مسروقةً من مُقلِّ الغانيات  
وكاتبٍ تُشرقُ ألفاظه  
كالدرِّ المختارةِ المُنتقاة  
وصُحْبٍ<sup>(١)</sup> أخلاقهم كالمنى  
يروونَ عنك الحكمَ الغاليات

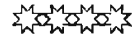
---

(١) مثل عَجَزٍ وقُصْرٍ..

لم يَخْتَرْمَكَ الموتُ يا نوحَةَ  
باسقةً قد خَلَفَتْ باسقات



يا حُجَّةَ الْفُصْحَى وَدهقانَهَا<sup>(١)</sup>  
وبحرها الطَّامِي وشيخ النَّقَاتِ  
«الضَّادُّ» من بَعْدِكَ في مائِمٍ  
حاضِرُهَا والأَعْصُرُ الغَابِرَاتِ  
فليس في لَبْنَانٍ غَيْرُ الأَسَى  
وليس غَيْرُ الحَزَنِ حَوْلَ الْفُرَاتِ  
فمن يَعْزِّي جَبلاً واحداً  
عزَّى الرواسي في جميع الجهات



سَلَخَتْهَا سَبْعِينَ مِنْ أَجْلِهَا  
في عالم الطُّرْسِ ودنيا الدُّوَاةِ  
النَّاسُ مِنْ حَوْلِكَ في قِيَالِهِمْ  
وأنت كَالْعَابِدِ وَقْتَ الصَّلَاةِ  
غَنَيْتَ (بِالضَّادِ) وَأَسْرَارِهَا  
عن الغَوَانِي وَالطَّلَا وَالسُّقَاةِ  
أنت الَّذِي رَدَّ إِلَيْهَا الصَّبَا  
إِنَّ الْهَوَى يَجْتَرِحُ الْعَجِزَاتِ  
فَاخْتَلَجَتْ أَوْضَاعُهَا بِالْمَنَى  
وَجَاءَ مَاءُ الْحُسْنِ فِي الْمَفْرَدَاتِ  
وَلَهَجَتْ بِاسْمِكَ أَفَاقُهَا  
وَرَدَّدَتْهُ فِي الْبُيُودِ الْخُدَاةِ

---

(١) التاجر (فارسي معرب).

وَحَنَنْتُ النُّوْقُ إِلَى سَمِّعِهِ  
 وَطَرِبْتُ مِنْ ذِكْرِهِ الصَّافِنَاتُ<sup>(١)</sup>  
 فَيَا شَبَاباً يَطْلُبُونَ الْعُلَا  
 إِنَّ الْعُلَا لِلْأَنْفُسِ الْمَاضِيَّاتِ  
 وَيَا فَقِيرًا يَتَمَنَّى الْغَنَى  
 هَلَّا تَمَنَّيْتُ غَنَى الْمَكْرُمَاتِ؟  
 وَيَا سِرَاءَ<sup>(٢)</sup> يَبْذُلُونَ الْهُيَ<sup>(٣)</sup>  
 هَذَا فَقِيرٌ كَانَ يَعْطِي السِّرَاءَ!  
 مِنْ رُوحِهِ لَا فَيُخِضُ أَمْوَالَهُ  
 إِنَّ هَبَاتِ الرُّوحِ أَسْمَى الْهَبَاتِ  
 لَا يَقْتَضِي قَاصِدَهُ حَمْدَهُ  
 وَيَشْكُرُ الْعَافِي<sup>(٤)</sup> الَّذِي قَالَ: هَاتِ  
 وَإِنْ مَضَى الْعَافُونَ عَنْ بَابِهِ  
 سَارَتْ عَطَايَاهُ وَرَاءَ الْعُفَاةِ  
 فَكَانَ كَالْكَوَاكِبِ يَمْشِي عَلَى  
 ضِيَائِهِ الرُّكْبُ وَذَنْبُ الْفَلَاةِ  
 وَكَانَ كَالْغَيْثِ إِذَا مَا هَمَى  
 أَصَابَ فِي الْأَرْضِ الْحَصَى وَالنُّبَاتِ  
 وَكَانَ كَالْيَنْبُوعِ يَرْتَادُهُ  
 نَوَ الشَّيْمِ الْحَسَنِ وَذَوِ السَّيِّئَاتِ

(١) يريد الخيل (والصافن منها: القائم على ثلاث).

(٢) السري: الرئيس (والجمع: سراءة).

(٣) اللُّهُوة: العطية، (والجمع: اللُّهى).

(٤) السائل: عفا الرجل سألته.

وكالفضاء الرحب في حلمه  
يضطرب البازي به والقطة  
يا صاحب «البستان»<sup>(١)</sup> نمّ أمنّا  
فإن في الموت زوال الشُّكَاة  
ما غاب ماءً غاب تحت الثُّرى  
فأطلع النبت وأحيا الموات

\*\*\*\*\*

---

(١) معجم (البستان) لعبد الله البستاني.

## ٥٢ - كم تشتكي

[الكامل]

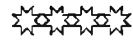
قالها في مهرجان (بردجفيل)

كم تشتكي وتقول: إنك مُعْدِمٌ  
والأرضُ ملكُك والسَّماءُ والأنجمُ  
ولك الحقولُ وزهرها وأريجها  
ونسيمها والبلبلُ المترنمُ  
والماءُ حولك فضةٌ رَقَاقَةٌ  
والشمسُ فوقك عسجدٌ يتضرَّمُ  
والنورُ يبني في السُّفوح وفي الذُّرَا  
نوراً مزخرفَةً، وحيناً يهدمُ  
فكأنَّه الفنَّانُ يعرضُ عابثاً  
آياته، قُدَّامَ من يتعالمُ  
وكأنَّه الصِّفَّاءُ وسنائه  
بحرُ تعومُ به الطيورُ الحُومُ  
هشَّتْ لك الدنيا فمالك واجماً،  
وتبسَّمتَ فعلام لا تتبسَّمُ؟  
إن كنت مُكتئباً لعزُّ قد مضى  
هيهات يُرجعه إليك تَنَدُّمُ  
أو كنت تُشفقُ من حاولِ مُصيبَةً  
هيهات يمنعُ أنْ تحلَّ تجهمُ  
أو كنت جاوزت الشباب فلا تقلَّ  
شاخَ الزمانُ فإنه لا يهرمُ



انظرُ فما زالت تَطُلُّ من الثُّرى  
صورُ تكادُ لحسنها تتكلمُ  
ما بين أشجارٍ كأنَّ غصُونَهَا  
أيدٍ تُصَفِّقُ تارةً وتُسَلِّمُ  
وعيونُ ماءٍ دافقاتٍ في الثُّرى  
تشفي السُّقْمَ كأنما هي زمزمُ  
ومسارحُ فُتْنِ النَّسِيمِ بحسنها  
فسرى يدندنُ تارةً ويهمهم  
فكأنه صبُّ ببابِ حبيبهِ  
متوسِّلُ مستعطفٍ مُسترحِمِ  
والجدولُ الجذلانُ يضحكُ لاهياً  
والنرجسُ الولهانُ مُغْفٍ يَحْلُمُ  
وعلى الصعيدِ ملاءةٌ من سُندسٍ  
وعلى الهضابِ لكلِّ حُسْنٍ مَبْسَمِ  
فهنا مكانٌ بالأريجِ معطَّرُ  
وهناك طودٌ بالشعاعِ مُعَمَّمِ  
صُورُ وآياتُ تفيضُ بشاشةً  
حتى كأنَّ اللهَ فيها يبسمُ  
فامشِ بعقلك فوقها متفهماً  
إن المَلَحَةَ مأكٌ من يتفهمُ  
أَتزورُ روحكُ جَنَّةً فتَفُوتُها  
كيما تزوركُ بالظُّنونِ جهنَّمِ  
وترى الحقيقةَ هيكلًا متجسداً  
فتعافُها لوساوسِ تُتَوَهَّمِ

يا مَنْ يَحْنُ إِلَى غَدٍ فِي يَوْمِهِ  
قَدْ بَعَثَ مَا تَدْرِي بِمَا لَا تَعْلَمُ!



قُمْ بِأَدْرِ اللَّذَاتِ قَبْلَ فَوَاتِهَا  
مَا كُلُّ يَوْمٍ مِثْلُ هَذَا مَوْسَمٍ  
وَأَشْرُ بَسْرِ الْحَصْنِ سِرِّ شَبَابِهِ  
وَارَوْ أَحَادِيثَ الْمَرْوَةِ عَنْهُمْ  
الْمُعْرِضِينَ عَنِ الْخَنَاءِ، فَإِذَا عَلَا  
صَوْتُ يَقُولُ: «إِلَى الْمَكَارِمِ» اقْدَمُوا  
الْفَاعِلِينَ الْخَيْرَ لَا لَطَمَاعَةَ  
فِي مَغْنَمٍ، إِنَّ الْجَمِيلَ الْمَغْنَمِ  
أَنْتَ الْغَنِيُّ إِذَا ظَفَرْتَ بِصَاحِبِ  
مِنْهُمْ وَعِنْدَكَ لِلْعَوَاطِفِ مَنْجَمِ  
رَفَعُوا لِدِينِهِمْ لَوَاءً عَالِيًا  
وَلَهُمْ لَوَاءٌ فِي الْعُرُوبَةِ مُعْلَمِ  
إِنَّ حَازَ بَعْضُ النَّاسِ سَهْمًا فِي الْعُلَا  
فَالَهُمْ ضُرُوبٌ لَا تُعَدُّ وَأَسْهَمِ  
لَا فَضْلَ لِي إِنْ رَحْتُ أَعْلَنُ فَضْلَهُمْ  
بِقِصَائِدِي. إِنَّ الضَّحَى لَا يُكْتَمِ  
لَكُنْ نِي أَخْشَى مَقَالَةَ قَائِلِ  
هَذَا الَّذِي يُثْنِي عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ!  
أَحِبَّائِنَا مَا أَجْمَلَ الدُّنْيَا بِكُمْ!  
لَا تَقْبُحُ الدُّنْيَا وَفِيهَا أَنْتُمْ!



## ٥٣ - فلوريدا

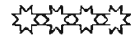
[البسيط]

يا جنَّةً قَبْلَما حَلَّتْ بِها قَدَمي  
أَحَبَبْتُها قِصَّةً واشتَقْتُ راويها  
كانت لها صورةٌ في النَفْسِ حائِرةٌ  
مثلُ القَصيدةِ لم تُنْسَجْ قِوافيها  
وددتُ لو أَنَّها تَمَّتْ فيُبَصِّرُها  
غيري، وتُسَكِّرُهُ مثلي معانيها  
وكيف تَكْمُلُ في ذَهني ولم أرَها  
وما لصورَتِها شيءٌ يُحاكيها؟  
وأَيُّما نَغْمَةٍ أدَّى عَنوبَتَها  
كلامُ راوٍ ولا شارٍ يَغْنِيها  
أَأَشُقُّ العَطرَ لم أَهَيِّطْ خَمائِلَها؟  
وأَشْرَبُ السَّحَرُ لم أَسْمَعْ قَماريها؟<sup>(١)</sup>  
وتَصْعَدُ النَفْسُ مِنِّي لِسَماءٍ ولا  
حَبالُ نُورٍ تَدَلَّتْ مِن دراريها؟  
كانت سَعادَةً نَفْسي في تصوُّرِها  
والنَفْسُ يُسَعِّدُها وَهَمٌّ وَيُشَقِّقِها  
بالوَهْمِ تَوجِدُ دُنيا لا وَجودَ لها  
وتَنطَوِي عَنكَ دُنيا أَنتَ رائيها  
فَكَمَ ظَلَمْتُ وفي رُوحِي جِداوُلُها  
وَكَمَ رويتُ وَغيري في سِواقِها

---

(١) القُمَرى. طير أبيض يشبه الحمام، (والجمع: القمارى).

قد كنتُ من قبلُ مثلَ الناسِ كلِّهمُ  
أقولُ: إنَّ إلهَ الكونِ باريها  
حتى نظرتُ إليها في جلالِتها  
فصار كلُّ يقيني أنَّه فيها!  
لَمَّا رأيتُ الجمالَ الحقَّ أدركني  
زُهدٌ بكلِّ جمالٍ كان تمويها  
كأنَّما الحُورُ مرَّت في شواطئها  
في ليلةٍ طَفُلة<sup>(١)</sup> رَقَّت حواشيها  
ففي الرمالِ سناءٌ من تضاحكها  
وفي المياهِ أريجٌ من أغانيها  
أتيتُها بشبابٍ ضاع أكثره  
وغيبتهُ الليالي في مطاويها  
فاسترجع الحبُّ قلبي فهو مُغْتَبِطٌ  
وعادتِ الروحُ خضراءَ أمانِها



سئلتُ ما راقَ نفسي من محاسنها؟  
فقلتُ للناس: باديها وخافيها  
وما حببتُ من الأشجار؟ قلتُ لهم:  
إنِّي افْتُتِنْتُ بكاسيها وعاريها  
وما هويتُ من الأزهار؟ قلتُ لهم:  
الحبُّ عندي لناميها وذوايها  
قالوا: وما تَتمَنَّى؟ قلتُ مبتدراً:  
يا ليتني طائرٌ أو زهرةٌ فيها  
فَرُبَّ أنشودةٍ من بلبلٍ غرِدَ  
حوتٌ حكايةٌ حبٍّ خَفَّتْ أحكيها

---

(١) الرخصة الناعمة.

وَرَبُّ رُوحٍ كَرُوحِي فِي بِنَفْسِجَةٍ  
وَسَنَى، أَطَلَّتْ عَلَى رُوحِي تُنَاجِيهَا  
وَرَبُّ قَطْرَةٍ مَاءٍ لَا غَنَاءَ بِهَا<sup>(١)</sup>  
شَاهَدْتُ مُصْرَعٌ دُنْيَا فِي تَلَاشِيهَا  
كُلُّ الَّذِي لَاحَ لِي فِي أَرْضِهَا حَسَنٌ  
وَأَحْسَنُ الْكُلِّ فِي عَيْنِي أَهَالِيهَا  
إِلَّا نَوِي السَّحْنِ السُّودَاءِ وَاعْجَبَا  
أَجَنَّةٌ وَذُبَابٌ فِي نَوَاحِيهَا؟  
إِنِّي لَيَكْبِتُ رُوحِي أَنَّ الْإِحْظَمَ  
بِمَقْلَةٍ أَبْصَرْتُ فِيهَا غَوَانِيهَا  
دَعِ الْمَسَاوِيَّ فِي الدُّنْيَا فَمَا بَرِحْتُ  
فِيهَا مُحَاسِنُ تُنَسِّينَا مَسَاوِيهَا  
كَمْ حَاوَلَ اللَّيْلُ أَنْ يَطْوِي كَوَاكِبَهُ  
فَكَانَ يَنْشُرُهَا مِنْ حَيْثُ يَطْوِيهَا  
وَإِذَاكَ أَكَارِمُ قَوْمٍ طَابَ عُنُصْرُهُمْ  
وَأَشْبَهُوا بِسَجَايَاهُمْ أَقْصَايَاهَا  
بَنِي بِلَادِي! وَفِيكُمْ مِنْ خَمَائِلِهَا  
جَمَالُهَا وَالتَّسَامِي مِنْ رَوَابِيهَا  
تَسَلَّتِ النَّفْسُ عَنْ أَحْبَابِهَا بِكُمْ  
لَوْلَاكُمْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ يُسَأَّلُهَا  
أَكْرَمْتُ مُنُونِي فَشُكْرًا غَيْرَ مَنْقُوعٍ  
لِوَامٍ شُكْرِكَ لِلنَّعْمَاءِ يُبْقِيهَا

\*\*\*\*

---

(١) لَا تَفِي بِشَيْءٍ.

## ٥٤ - بين مد وجزر

[الكامل]

ألقاها في حفلة تكريم صديقه الشاعر جورج صيدح عندما زار نيويورك.

سَيَّرْتُ فِي فَجْرِ الْحَيَاةِ سَفِينَتِي

وَاخْتَرْتُ «قَلْبِي» أَنْ يَكُونَ إِمَامِي

فَجَرْتُ عَلَى الْأَمْوَاجِ قَصْرًا مِنْ رُؤْيٍ

مَلَأَ الْفَضَاءَ، مَلَأَ الْمُدَى الْمُتْرَامِي

وَأَقْلَّ مِنْهَا الْبَحْرُ حِينَ أَقْلَّهَا

دُنْيَا مِنَ الْأَضْوَاءِ وَالْأَنْغَامِ

وَمَشَى الْخِيَالُ عَلَى الْحَيَاةِ بِسَحْرِهِ

فَإِذَا الْهَوَى فِي الْمَاءِ وَالْأَنْسَامِ

وَإِذَا الرَّمَالُ أَزَاهِرُ فَوَاحِئِهِ

وَالشُّطُّ هَيْكُلُ شَاعِرٍ رَسَّامِ

وَإِذَا الْعُجْبَابُ مَلَاعِبُ وَمِرَاقِصُ

وَإِذَا أَنَا مِنْ صَبْوَةٍ لَغَرَامِ

أَتَلَقَّفُ اللَّذَاتِ غَيْرَ مُحَازِرِ

وَأُعَبُّ فِي الزَّلَّاتِ وَالْأَثَامِ

لَا أَكْتَفِي وَأَخَافُ أَنِّي أَكْتَفِي

فَكَأَنَّمَا فِي الْإِكْتِفَاءِ حِمَامِي

وَكَأَنَّهُ يَبِي أَنْ تَطُولَ ضَلَالَتِي

وَكَأَنِّي رِيَّي أَنْ يَسْدُومَ أُوَامِي<sup>(١)</sup>

---

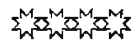
(١) حرّ العطش.

مرّت بي الأعوامُ تتلو بعضها  
 وأنا كَأَنِّي لستُ في الأعوامِ  
 كالـموجِ ضحكي، كالضياءِ ترنّحي،  
 كالـفجرِ زهوي، كالخضمِ عُرامي<sup>(١)</sup>  
 حتّى إذا هتف المشيبُ بلُمّتي  
 ودنت يَدُ المـاحي إلى أحلامي  
 صرخَ «الحجا» بي ساخطاً مُتهكماً:  
 «هذا الغنى شرٌّ من الإعدام»  
 «أسأمتني للقلبِ وهو مُضللٌ  
 فأضررتني وأضرّك استسلامي»  
 «يا صاحبي! أطلقني من سجن الرؤى  
 أنا تائه! أنا جائع! أنا ظامي!»  
 وأراد «عقلي» أن يقود سفينتي  
 للشطّ في بحرِ الحياة الطّامي  
 فطويتُ أعلامَ الهوى وهجرتها  
 ونسيتُ حتّى أنّها أعلامي!  
 وحسبتُ ألامي انتهت لما انتهى  
 فإذا النّهاية أعظمُ الآلامِ  
 وإذا الطريقُ مخاوفٌ ووساوسُ  
 وإذا أنا من هبّوةٍ لِقَتَامِ<sup>(٢)</sup>  
 أبغي الثراءَ ولم يكن من مطلبي  
 وأرى الجمالَ بناظرٍ مُتعامٍ  
 وأشيدُ، مثلَ الناسِ، مجدداً زائفاً  
 وأشدُّ حولَ الروحِ ثوبَ رَغَامِ<sup>(٣)</sup>

(١) الشّدة والقوة والشراسة.

(٢) الهبّو والقتام. الغبار المختلط بالغبار.

فإذا أنا والأرض ملكي والسُّمَّاءُ،  
 قد صرتُ عبدُ الناسِ، عبدُ حُطامي  
 فتضايقَ القلبُ السَّجينُ وقال لي:  
 «يا أيُّها الجاني! قتلت هُيامي!»  
 «القفرُ بالأحلام روضٌ ضاحكُ  
 فإذا تلاشتَ فالرياضُ موامي»<sup>(١)</sup>  
 «أين العيونُ تُذيبُني حركاتُها  
 وتموتُ في سَكَنَاتِها الأمامي»  
 «وأُطلَّ من أهدابها السُّكُرى على  
 ظلٍّ، وأنَّداءٍ، وزهرٍ نَمام»  
 «لَمَّا عصاني أن أشبَّ ضرامها  
 أعيَا عليها أن تشبَّ ضرامي»  
 «الخمِرُ ملءُ الجامِ لكن قد مضى  
 شوقي إلى الخمرِ التي في الجام»  
 «أسأمتُني «العقل» وهو مُضِلُّ  
 فأضررتني وأضررتك استسلامي»  
 «انظُرْ، أَلست تراك في أوهامه  
 أشقى وأتعس منك في أوهامي»  
 «المالُ من ذا يشتريه كلُّهُ  
 مِنِّي بليلِ صِبَابَةٍ وغرام؟»  
 «يا صاحبي أطلقني من سجنِ النُّهى  
 أنا تائه! أنا جائع! أنا ظامي»




---

(١) المومة: الفلاة لا ماء فيها ولا أنيس.



لا تسألوني اليوم عن قيثارتي  
قيثارتي خشبٌ بلا أنغام!  
يا شاعراً غنى فرداً لي الصُّبا  
فإذا مواكبُهُ تسيرُ أمامي  
إنّا التقينا في الشباب وفي الهوى  
في حوْمَتَيْنِ - الشُّعْرِ والإلهام  
وسنلتقي وإن افترقنا في غَدٍ  
في حُبِّ لبنانٍ وحُبِّ الشَّامِ  
وستلتقي رُوحِي وروحُك بعدما  
تفنى الهياكلُ في الإله السَّامي  
أهلاً بذِي الأدبِ الصُّراحِ المصطفى  
بِالفتاحِ الرُوحِي بِالمقدامِ  
بِالشاعرِ الغريدِ في ألحانه  
عَبْقُ الرِّبيعِ ونَظْرَةُ الأَكْمامِ  
هو إنْ ذُكرتِ الشُّعْرُ من أُمرائه  
وإذا ذُكرتِ المجدُ فهو عصامي

\*\*\*\*\*

## ٥٥ - مستشفى تل شيجا

[الوافر]

أنشدتها في مهرجان أقامته لجنة المستشفى في مدينة دترويت.  
أباعثة المطايا من حديد  
كأسراب القطا للعالمينا  
ركائب في فجاج الأرض تسري  
تُقلُّ الذاهبين الأيبينا  
تقصُّ على المدائن والقرايا<sup>(١)</sup>  
حكاية قومك المستنيطينا  
وكيف العقل يُخلق من زري  
مهين، لا زري ولا مهينا  
وينفخ في الجماد قوئاً وحساً  
فيركض تارةً ويطير حيناً  
ويهتف بالقصائد والأغاني  
وقد ذهب الردى بالمنشدين  
لقد حسدتك أم الفن «روما»  
كما حسدتك ضرثها «أثينا»  
فمجدك فوق مجدهما علاً  
وحسبك فوق حسنهما فتونا  
نزلنا في حماك فقربينا  
وباركنا ثراك فباركينا  
فما طماعة<sup>(٢)</sup> بنضار «فورد»

(١) تجمع القرية في معاجم اللغة، على قرئ.

(٢) الأصل في المعجم: طماعية.

وفضَّته إليك اليوم جينا  
 فما هو في سماحته «كمعن»<sup>(١)</sup>  
 وليست نُوقَّه للذَّابِحينا  
 ولكن فيك إخوانُ هوينَا  
 لأجلهم جميع السَّاكنينا  
 أحبُّونا كأنَّهم ذوونا  
 وأنسونَا بأطفهم ذوينا  
 وعاهدناهم إذ عاهدونا  
 فلم ننكث ولا نكثوا يميننا  
 إذا غَضِبوا على الدنيا غَضِبْنَا  
 وإن يرضوا على الدنيا رَضِينَا  
 دعاهم لعلَّ والخيرِ داعٍ  
 من «الوادي» فلبُّوا أجميعنا  
 أيخذل «جَارَةَ الوادي» بنوها؟  
 معاذَ الله! هذا لن يكونَا  
 فما لاقيتُ «زَحْلِيًّا»<sup>(٢)</sup> جباناً  
 ولا لاقيتُ «زَحْلِيًّا» ضنينَا  
 تأملْ كيف أضْحى «تلُّ شِيحَا»  
 يُحاكي في الجلالة «طُور سِينَا»  
 فعن هذا تحدَّرتِ الوصايا  
 وفي هذا وجدنا المُحْسِنينا  
 على جنباته وعلى ذُراه  
 جمالُ يَبهرُ المتأمِّلينا  
 فلم أر مثله للخير دنيا

(١) معن بن زائدة أحد كرماء العرب في التاريخ.

(٢) نسبة إلى زحلة في لبنان.

ولم أر مثله فتحاً مبینا  
فيا أشبال «لبنان» المُفدّی  
ويا إخواننا وبني أبینا  
ترنّج عَصْرُكُمْ فخرًا وهشّتْ  
لصنوعكم عظامُ المائتینا  
تباری الناسُ في طلب المعالي  
فكنتم في المجال السَّابِقینا  
بنی الأهرام «فرعون» فدامتْ  
لتخبر كيف كان الظَّالمونا  
وكم أشقى الجُموعَ الفردُ منهم  
وكم طمس الأُفُف لكي یبینا  
وشدّتْ معهداً في «تلّ شِیحا»  
سیبقى ملجأً للبائسینا  
یُطلّ الفجرُ مُبْتَسِماً علیه  
ویرجعُ مطمئنّاً مُسْتَكینا  
ویمضي یملأُ الوادي ثناءً  
علیکم والأباطح والحُزونا  
أرى غَیْتَيْنِ یستبقان جُوداً  
هما مطرُ السَّما والغائثونا  
لئن حجب الغمامُ الشَّمسَ عنّا  
فلم یطمسُ ضیاءَ الله فینا  
ولم یسترْ سبیلَ الخیرِ عنکم  
ولم یُقْبِضْ أكفُ البازلینا  
وجدتُ المرءَ حبُّ الخیرِ فیه  
فإنْ یفقدُه صار المرءُ طینا  
تَکْمَشُ فی الحقولِ الشوکُ بُخلًا

فذلَّ وعاش مُكْتَنِباً حزيناً  
وأَسْنَى<sup>(١)</sup> الوردُ، إذ أعطى شذاهُ،  
مكانتهُ، فكن في الواهبينَا  
سألتُ الشُّعر أن يُثني عليكمُ  
فقلتُ لي القوافي: قد عِينَا  
سيجزيهم عن البؤساء ربُّ  
يكافئُ بالجميلِ المُحسِنِينَا

\*\*\*\*\*

---

(١) أسنى الورد مكانته: رفعها (أسناه: رفعه).

## ٥٦ - أفاتحة أم ختام

[السريع]

قالها في رثاء الأسقف عمانوئيل أبو حطب  
ما وعظ الإنسان مثل الحمام  
فليتَّعظ بالصَّمتِ أهلُ الكلامِ  
أفصحُ من كلِّ فصيحٍ بنا  
هذا الذي أعيأه ردُّ السَّلامِ  
إنِّي أراه وهو في صمِّته  
أروع من جيشٍ كبيرٍ لهم<sup>(١)</sup>  
نامتْ جفونٌ سهرتْ لعلًّا  
من قبل أن ينجاب جنح الظلامِ  
وسكن الوُثَّابُ في صدره  
من قبل أن يُدرك كلَّ المرامِ  
يا لهفة القوم على كوكبٍ  
لاح قليلاً واختفى في الغمامِ  
ولهفة الدين على سيِّدٍ  
كان يُرجى في الخطوب الجسامِ  
وصاحبٍ قد كان في صحَّبه  
كالروض فيه أَرْج<sup>(٢)</sup> وابتسامِ  
ما غاب عنَّا وكأنِّي به  
يفصله عن صحَّبه ألفُ عام!

(١) الجيش الكثير، كأنه يلتهم كل شيء.

(٢) انتشار فوح الطيب (أرج - يارج)

من الذي يُطفئُ من بعده  
في المُهجِ الحرى ذكى الضرام؟  
من الذي يمسحُ دمع الأسى  
وماسحُ الأدمع تحت الرغام؟<sup>(١)</sup>  
يا نائماً مُستغرقاً في الكرى  
خطبك قد أقلق حتى النيام!  
خبر فإن القوم في حيرة  
هل الردى فاتحة أم ختام؟  
وهل صحيح أن كل المُنَى  
يطحنها صرفاً؟<sup>(٢)</sup> الردى كالعظام؟  
وهل حقيق أن أهل العلأ  
والفضل بعد الموت مثل الطغام؟<sup>(٣)</sup>  
أم بعد هذا يقظة حلو  
ينسى بها المرء الشقا والسقام؟  
ويصبح النأبة في مأمِن  
من عنت المال وعيث الحسام؟  
وتستوي الحالات في حالة  
لاحيف فيها، لا أذى، لا انتقام؟  
خبر، وحدث، كَأنا حائر  
نو الجهل منّا والأريبُ الهُمَام

---

(١) التراب.

(٢) صرف الدهر: نوائبه.

(٣) أوغاد الناس.

لَا يَمَّا أَمْرٍ يَعِيشُ الْوَرَى؟  
لَا يَمَّا أَمْرٍ يَمُوتُ الْأَنَام؟  
وَأَيْنَ دَارُ لَيْسَ فِيهَا شَقَا  
إِنْ لَمْ تَكُنْ هَاتِيكَ دَارُ السَّلَام؟  
نَمَ أَمْنًا، فَالْمَرْءُ بَعْدَ الرَّدَى  
كَالْفَكْرِ، لَا يُزْرَى بِهِ، لَا يُضَامُ

\*\*\*\*\*



## ٥٧ - الأسطورة الأزلية

[السريع]

توطئة:

كان زمان لم يزل كائناً  
وحالهُ ما برحت باقية  
ملّ بنو الإنسان أطوارهم  
ويرموا بالسُّقم والعافية  
فاستصرخوا خالقهم واشتَهِوا  
لو أنه كوّنهم ثانٍيه  
وبالغت أصواتهم عرشهُ  
في ليلة مُقمرة صافية  
فقال إني فاعل ما اشتَهِوا  
لعل فيه حكمة خافية  
وشاهدوه هابطاً من علٍ  
فاحتشدوا في السَّهل والرابية  
من القرى القانعة الطاوية  
والمدن الجامحة الغادية  
تألَّبوا من كل صوبٍ كما  
تجتمَع الأمطارُ في الساقية  
يُسابق الصُّعلوكُ ربَّ الغنى  
والأبلةُ الباقعة<sup>(١)</sup> الداهية  
ويدفعُ الشَّيخُ التَّوى عوده  
وصار مثل الرُّمّة البالية

---

(١) الداهية.

ففتى مضى الفجر ولمّا تزل  
 روعته في وجهه باقيه  
 وتزحم الحسنة مكمورة<sup>(١)</sup>  
 خلافة كالروضة الحاليه  
 دميمه تشبه في قبحها  
 مدينه مهجورة عافيه<sup>(٢)</sup>  
 فصاح رب العرش: ما خطبكم  
 ما بالكم صرخاتكم عاليه؟  
 هل أصبحت أرضكم عاقراً؟  
 أم غارت الأنجم في هـاويه؟  
 أم أقلع الماء فلا جدول؟  
 وماتت الطير فلا شاديه؟  
 أم فقدت أعينكم نورها؟  
 أم غشيت أرواحكم غاشيه؟  
 أين الهوى؟ إن لم يكن قد قضى  
 فكلُّ جرح واجد أسيه<sup>(٣)</sup>

الفتى

قال الفتى: يا رب إن الصبا  
 مصدراً أحزاني وآلامي  
 البستنيه مؤنقاً بعدما  
 أبلاه أخوالي وأعمامي

(١) المستديرة الخصر، المحفوفة.

(٢) عفا الرسم: زال وامحى.

(٣) الآسي، الطيب.

وصار، في مذهبِهم، عصره  
فـتـرّة زلّاتٍ وأثـام  
فاختلقت حالي وحالاتهم  
كأنني في غير أقوامي  
وصرت كالجدول في قدّيد<sup>(١)</sup>  
أو شاعرٍ ما بين أصنام  
والأخضر المورق في يابس  
أو مثل صاحٍ بين نواام  
دنياهم دنياي لكنّما  
أعلامهم ليست كأعلامي  
عندهم الروضة أشجارها  
والروض عندي الزهر النامي  
والطير لحم ودم عندهم  
وليس عندي غير أنغام  
سُكري بها أو بالندى والشذا  
وسكرهم بالخمير في الجام  
يسخر قلبي بإياليهم  
ويسخر الدهر بأيّامي  
كأنني جئت لتبكيّتهم  
كأنّهم جاعوا لإيلامي  
عبء على نفسي هذا الصبا  
الجائش المستوفز الطامي  
يزرع حولي زهرات المني  
وشوكّها في قلبي الدامي

---

(١) الغنجد. المفازة الواسعة.

فَانِ لَهُ فِي كُلِّ فَنٍ هَوًى  
فَانِ، وَلَا يَنْجُو مِنَ الذَّمِّ  
خُذْهُ، وَخُذْ قَلْبِي وَأَحْلَامَهُ  
فَانِّنِي أَشَقَى بِأَحْلَامِي  
وَمُرِّيْمُرُ الدَّهْرِ فِي لَحْظَةٍ  
كَالطَّيْفِ أَوْ كَالْبَرْقِ قُدَّامِي  
وَاذْرَعْ نَجُومَ الشَّيْبِ فِي لَمْتِي  
فَيَنْجِلِي حَنْدَسُ أَوْهَامِي  
فَأُبْصِرُ الْحِكْمَةَ فِي ضَوْئِهِ  
إِنِّي إِلَيْهَا جَائِعٌ ظَامِي

الشيخ

وَجَاءَ شَيْخٌ حَائِرٌ وَاجِفٌ  
مُشْتَغِلُ الْأُمَّةِ بِأَلِي الْإِهَابِ  
كَأَنَّمَا زَلْزَلَةٌ تَحْتَهُ  
لَمَّا بِهِ مِنْ رَعِشَةٍ وَاضْطِرَابِ  
فَصَاحَ: يَا رَبَّاهُ! خُذْ حِكْمَتِي  
وَارِدِدْ عَلَى عَبْدِكَ عَصْرَ الشُّبَابِ  
إِنَّ أَمَانِي الرُّوحَ أَزْهَارَهَا  
وَإِنْ رُوحِي الْيَوْمَ قَفَرُ يَبَابِ  
لَا جَدُولَ لَا بَلِيلَ مُنْشِدُ  
بَلَى، بِهَا الْوَحْشَةُ وَالْإِكْتِنَابِ  
تِلْكَ الْأَمَانِيُّ عَلَى كَذِبِهَا  
لَمْ تَكُنْ اللَّذَّةُ فِيهَا كَذَابِ  
زَالَتْ وَمَا زَلْتُ، وَإِنَّ الشَّقَا  
أَنْ تُطْمَسَ الْآيُ وَيَبْقِيَ الْكِتَابِ

وَتُسَلَبُ السَّرْحَةُ أَوْرَاقُهَا  
ولم تزل أعراقُها في التُّراب  
كنتُ غنياً في زمان الصِّبا  
وكنتُ صَفْرُ الكَفِّ صَفْرُ الوَطَابِ<sup>(١)</sup>  
صحوْتُ من جهلي فأبصرْتُني  
كَأَنَّنِي سَفِينَةُ فِي الْعُبابِ  
قيل لها: في البحرِ كلُّ المُنَى  
فلم تجدْ في البحرِ إلا الضُّبابِ  
نأت عن الشَّطِّ ولم تقترِبْ  
شبراً من السرِّ الذي في الحجابِ  
ولو تُرجى أوبى لاشتَّتْ فَتٌ  
لكنَّما عزَّ عليها الإيابِ  
مُرَّتْ قَفَ الأيَّامِ عن سيرِها  
فإنَّها تركضُ مثلَ السُّحَابِ  
وضعَ أُمَامِي، لا ورائي، المُنَى  
وطولِ الدربِ وزدَّ في الصَّعَابِ  
ما لذَّتْني بالماءِ أروى به  
بل لذَّتْني في العنْوِ خلف السُّرَابِ

#### الحسناء

وقالتِ الحسَناءُ: يا خالقي!  
وهبتني الحُسنُ فأشقيتني  
وجهي سني مُشرقٌ إنَّما  
مرعى عيونِ الخلقِ وجهي السَّني

---

(١) الوطاب: أنية اللبن (سقاؤه).

حَظِّي مِنْهُ حَظُّ وَرْدِ الرُّبَا  
مِنْ عَطَرِهِ الْفَوَاحِ وَالسَّوْسِنِ  
وَمِثْلِ حَظِّ السُّرُوفِ فِي فَيْئِهِ  
وَالطَّيْرِ مِنْ تَغْرِيدِهَا الْمُتَقَنَّ  
وَمِثْلِ حَظِّ النُّجْمِ مِنْ نُورِهِ  
فِي الْحَنْدَسِ الْمُعْتَكِرِ الْأَدَجَنِ  
لِلْقَائِلِ الْفِيءِ، وَلِلْسَامِعِ النَّدَّ  
تَغْرِيدُ، وَالزَّهْرَةُ لِلْمُجْتَنِي  
وَالنُّورُ لِلْمَدْلُجِ وَالْمُجْتَلِي  
وَالدَّرُّ لِلْقَانِصِ وَالْمُقْتَنِي  
كَمْ رِيْبَةٌ دَبَّتْ إِلَى مَضْجَعِي،  
وَتَهْمَةٌ حَامَتْ عَلَى مَسْكَنِي  
كَأَنَّ مَا لَا أَدَبُ مِمَّ كُنْتُ  
مَعَ الْجَمَالِ الرَّائِعِ الْمُمَكَّنِ  
إِنْ عَشَقْتَ نَفْسِي فَوَيْلُ لَهَا  
وَالْوَيْلُ لِي إِنْ رَجُلٌ حَبَّبَنِي  
السَّمُّ وَالشُّوْكَ وَجَمْرُ الْغَضَا  
أَهْوَنُ مِنْ كَاشِحَةِ الْأَلْسُنِ  
كَمْ تَقْتَفِينِي نَظَرَاتُ الْخَنَا  
وَيَلِي مِنْ خَائِنَةِ الْأَعْيُنِ  
لَمْ يَبْقَ فِي رُوحِي مِنْ مَوْضِعٍ  
يَا رَبُّ لَمْ يُخْدَشْ وَلَمْ يُطْعَنْ  
إِنَّ الْغَنَى فِي الْوَجْهِ لِي أَفْقَى  
يَا لَيْتَنِي دَمِيمَةٌ لَيْتَنِي!

وسكتت، فصاحتِ الجارية  
 باكياً من بُؤسها شاكية  
 ذنبي إلى هذا الوري خلقتي  
 فهل أنا المجرمةُ الجانية؟  
 إن أخطأ الخزافُ في جبّله الطُّ  
 طين فأيُّ الذنبِ لآلانيه؟  
 أليس من يسخرُ بي يزدري  
 بالقوّة الموجدّة الباريه؟  
 لو كنتُ حسناءً بلغتُ العلا  
 فلجمالِ الرتبةِ العاليه  
 وبنات من أسجدُ قدامه  
 صاغرةً يسجدُ قداميه  
 فإنّني في ملأِ ظالمٍ  
 أحكامه جائرةٌ قاسيه  
 ليس لذاتِ القُبْح من غافرٍ  
 وفيه من يغفرُ لآلانيه  
 نفسي جزءٌ منك يا خالقي  
 وإنها عاقلةٌ راقيه  
 أليس ظالماً، وهي بنتُ العلا،  
 إن تكُ بالقُبْح إذن كاسيه  
 فليكنِ الحُسْنُ رداءً لها  
 ترفلُ به أو فالتكنُ عاريه

وأقبل الصُّعلوك مُسترحماً  
 في مُقْلَتَيْهِ شَبْحُ الْيَاسِ  
 يصرُخُ: يَا رَبَّاهُ حَتَّى مَتَى  
 تُحَكِّمُ الْمَوَسْرَ فِي نَفْسِي؟  
 وتضعُ التَّاجَ عَلَى رَأْسِهِ  
 وتضعُ الشُّوكَ عَلَى رَأْسِي؟  
 ويشربُ الأَذَاتِ مِنْ كَأْسِهِ  
 وأشربُ الغَصَّاتِ مِنْ كَأْسِي  
 وتَتَجَلَّى الشُّهُبُ فِي لَيْلِهِ  
 ضاحكةً كالغَيْدِ فِي عُرْسِ  
 ويتوارى فِي نَهَارِي السُّنَا  
 أو يتبدَّى حَانَقَ الشَّمْسِ  
 يَا رَبِّ لَا تَنْقِلْهُ عَنْ أُنْسِهِ  
 وإنَّما انْقُلْني إِلَى الْأُنْسِ  
 فَإِنْ تَشَاءُ أَلَا يَذُوقَ الْهَنَا  
 قَلْبِي، فَجَرِّدْنِي مِنَ الْحَسِ  
 لَوْ لَمْ يَكُنْ غَيْرِي فِي غَبْطَةِ  
 مَا شَعَرْتُ رُوحِي بِالْبُؤْسِ

وقال نو الثَّروَةُ: مَا أَشْتَهِي  
 لَا أَشْتَهِي أَنِّي نُوثَرُوةٌ  
 أنفقتُ أَيَّامِي عَلَى جَمْعِهَا  
 وخالتُني أدركتُ أَمْنِيَّتِي



فاستعبدتني في زمان الصبا  
وأوقرت بهم شيخوختي  
قد ملكتني قبلما حُرْتُها  
وما كنتني وهي في حوزتي  
كنحالة أمسكها شهدها  
من الجناحين فلم تُفأت  
حسبتُها تُكسبني قوة  
فافترتست قوتها قوتي  
جئت على نفسي وأحلامها  
جناية الشوك على الورد  
ينمو فتذوي فهي عايقة  
يحذرُها الطائف بالروضة  
من قائل عني لمن خالني  
أمرح من دنياي في جنة  
لا تنظر الأضواء في حجرتي  
وانظر إلى الظلماء في مهجتي  
ولا يغرنك قصري فما  
قصري سوى سجنٍ لحيّتي  
إنني في القصر الرفيع الذرا  
كطائرٍ في قفصٍ ميت  
كم في عباب البحر من ساج  
قد مات ظمناً إلى قطرة  
موت الطوى شرٌّ ولكنما  
أفزع منه الموت بالثخمة  
كم من فقيرٍ مربي ضاحكاً  
كانما يسخر من كربتتي

رَأَيْتُهُ بِالْأَمْسِ مِنْ كُؤُوتِي  
فَخَالَتُنِي أَنْظَرُ مِنْ هُوَّةٍ  
وَكُنْتُ كَالْحَوْتِ رَأَى مَوْجَةً  
ضاحكةً تَرْقُصُ كَالطُّفْلِ  
أَوْ حَيَّةً تَدْبُ فِي مَنْجَمٍ  
تَرْنُو إِلَى فَرَّاشَةِ حُرَّةٍ  
قَدْ اخْتَفَتْ ذَاتِي فِي بُرْدَتِي  
فَمَا يَرَى الْخَلْقُ سِوَى بُرْدَتِي  
فَهُمْ إِذَا مَا سَأَمُوا سَأَمُوا  
عَلَى خِيُوطِ الْبُرْدِ وَالْجُبَّةِ  
رِيَّاهُ أَطْلَقَ مِنْ عِقَالِ الْغَنَى  
رُوحِي، فَإِنِّي مِنْهُ فِي مَحَنَةٍ!  
وَانزَعْ مَعَ الدِّينَارِ مِنْ قَبْضَتِي  
صَلَابَةَ الدِّينَارِ مِنْ سَحْنَتِي  
وَحَوْلِ الْمَالِ إِلَى رَاحَةٍ  
وَحَوْلِ الْقَصْرِ إِلَى خِيَمَةٍ

الأبله

وَصَرَخَ الْأَبْلَهُ مُسْتَفْسِراً:  
مَا الْقَصْدُ مِنْ خَلْقِي كَذَا مَا الْمُرَادُ؟  
أَلَمْ يَكُنْ يَكْمُلُ هَذَا الْوَرَى  
إِلَّا إِذَا أَوْجَدْتَنِي فِي فُسَادٍ؟  
لِي صُورَةُ النَّاسِ وَحَاجَاتُهُمْ  
مِنْ مَطْعَمٍ أَوْ مَشْرَبٍ أَوْ رُقَادٍ  
لَكِنْ أُبِي غَيْرُ الْبَابِ بِهِمْ  
فَإِنَّهُ مُكْتَنَفٌ بِالسَّوَادِ

يُعْجِزْنِي إِدْرَاكُ مَا أَدْرَكُوا  
كَأَنَّ عَقْلِي فَحْمَةٌ أَوْ رَمَادٌ  
إِنْ كُنْتُ «إِنْسَانًا» فَلَمْ يَأْتِرْ  
لَسْتُ بِإِدْرَاكِي كِبَاقِي الْعِبَادِ؟  
أَوْ لِمَ أَكُنْ مِنْهُمْ فَمُرْنِي أَكُنْ  
جَرَادَةً أَوْ أَرْنَبًا أَوْ جَوَادَ  
فَالنَّدُ لَا يَعْدَمُ مَنْ نَدَهُ  
ذَرِيعَةً لِلْسَّلَامِ أَوْ لِلْجِهَادِ  
لَا تَسْخَرُ النَّمْلَةُ مِنْ نَمْلَةٍ  
وَلَيْسَ يُزْرِي بِالْقُرَادِ الْقُرَادُ<sup>(١)</sup>  
أَمْ أَنْتَ كَالْحَقْلِ عَلَى رَغْمِهِ  
يَنْمُو مَعَ الْحِنْطَةِ فِيهِ الْقَتَادُ؟

#### الأريب

وَجَاءَ بَعْدَ الْأَيْلَةِ الْمُسْتَرِيبِ  
الْأَلْعَى الْعَبْقَرِيُّ اللَّبِيبِ  
فَقَالَ: إِنِّي تَائِهٌ حَائِرٌ  
أَنَا غَرِيبٌ فِي مَكَانٍ غَرِيبِ  
أَبْحَثُ عَنْ نَفْسِي فَلَا أَهْتَدِي  
وَلَيْسَ يَهْدِينِي إِلَيْهَا أَرِيبِ  
أَنَا عَلِيمٌ حَيْثُ لَا عَالَمُ  
أَنَا لَبِيبٌ عِنْدَ غَيْرِ اللَّبِيبِ  
لَوْ أَنَّني كُنْتُ بِلا فِطْنَةٍ  
سَرْتُ وَلَمْ تَكُنْ أَمَامِي الدُّرُوبُ  
وَكَانَ عَقْلِي كَعَقُولِ الْوَرَى  
وَكَانَ قَلْبِي مِثْلَ بَاقِي الْقُلُوبِ

---

(١) دُوَيْبَّةٌ تَعُضُ الْإِبِلَ.

وصار عندي كالنُّجوم الورى  
 فلا عدو فيهم أو حبيب  
 ولم أجد في ضحكهم والبُكا  
 شيئاً سوى الضحك وإلا النُّحيب  
 ولم أسأل كوكباً طالعاً:  
 ما لك تبدو ولماذا تغيب  
 ولم أقف في الروض عند الضحى  
 يذهأني لون وشكل وطيب  
 ولم أقل ما كنت من قبل أما  
 كنت ولا ما في سجل الغيوب  
 ما العقل يا رب سوى محنة  
 لولاه لم تُكتب علي الذنوب

#### الخاتمة

لما وعى الله شكايا الورى  
 قال لهم: كونوا كما تشتهون  
 فاستبشر الشيخ، وسرّ الفتى  
 والكاعب الحسناء، والحيّزبون  
 لكنهم لما اضمحل الدُّجى  
 لم يجدوا غير الذي كانا!



هم حدّوا القبح فكان الجمال  
 وعرفوا الخير فكان الصلاح  
 وليس من نقص ولا من كمال  
 فالشُّوك في التحقيق مثل الأقاح  
 وذرة الرمل كل الجبال  
 وكالذي عزّ الذي هانا!



## المحتوى

### الديوان الرابع (الخمائل)

- ١ - المدخل ..... ٦٦٩
- ٢ - الشاعر والملك الجائر ..... ٦٧١
- ٣ - الدمعة الخرساء ..... ٦٧٨
- ٤ - الفيلسوف المجنح ..... ٦٨٣
- ٥ - ماء وطن ..... ٦٨٦
- ٦ - الإبريق ..... ٦٨٨
- ٧ - أمنية إلهة ..... ٦٩٠
- ٨ - ليل الأشواق ..... ٦٩٤
- ٩ - عش للجمال ..... ٦٩٧
- ١٠ - وقائلة ..... ٦٩٩
- ١١ - موميات ..... ٧٠٢
- ١٢ - هدايا العيد ..... ٧٠٧
- ١٣ - الفراشة المحتضرة ..... ٧٠٩
- ١٤ - ابتسم ..... ٧١٣
- ١٥ - لو أستطيع ..... ٧١٥

- ١٦ - يا نفس ..... ٧١٦
- ١٧ - الكنار الصامت ..... ٧١٩
- ١٨ - لم يبق غير الكأس ..... ٧٢٠
- ١٩ - رأي الأكثرية ..... ٧٢٥
- ٢٠ - كتابي ..... ٧٢٦
- ٢١ - كن بلسماً ..... ٧٣٠
- ٢٢ - الخمر والدنيا ..... ٧٣٣
- ٢٣ - لماً ..... ٧٣٥
- ٢٤ - تأملات ..... ٧٣٦
- ٢٥ - شاعر الشهور ..... ٧٤٠
- ٢٦ - الكأس الباقية ..... ٧٤٣
- ٢٧ - الشجاع ..... ٧٤٥
- ٢٨ - أبي ..... ٧٤٦
- ٢٩ - ذكرى ..... ٧٥٠
- ٣٠ - يا جنتي ..... ٧٥٢
- ٣١ - الشاعر في السماء ..... ٧٥٣
- ٣٢ - كلوا واشربوا ..... ٧٥٧
- ٣٣ - حديث موجة ..... ٧٦٠

|     |                        |
|-----|------------------------|
| ٧٦٣ | ٣٤ - اِسمي             |
| ٧٦٤ | ٣٥ - مجاهد             |
| ٧٦٩ | ٣٦ - الكريم            |
| ٧٧٠ | ٣٧ - عبد               |
| ٧٧١ | ٣٨ - لبنان             |
| ٧٧٤ | ٣٩ - أنت والكأس        |
| ٧٨٠ | ٤٠ - الشباب والحب      |
| ٧٨٢ | ٤١ - الغابة المفقودة   |
| ٧٨٦ | ٤٢ - أبو غازي          |
| ٧٩٠ | ٤٣ - فلسطين            |
| ٧٩٣ | ٤٤ - الغبطة فكرة       |
| ٧٩٥ | ٤٥ - الفتى الأفضل      |
| ٧٩٦ | ٤٦ - من أنا            |
| ٧٩٩ | ٤٧ - كمنجاة الشّوا     |
| ٨٠٢ | ٤٨ - إذا               |
| ٨٠٣ | ٤٩ - شبح               |
| ٨٠٧ | ٥٠ - أنا وابني         |
| ٨٠٩ | ٥١ - عبد الله البستاني |

|     |                       |
|-----|-----------------------|
| ٨١٤ | ٥٢ - كم تشكي          |
| ٨١٧ | ٥٣ - فلوريدا          |
| ٨٢٠ | ٥٤ - بين مدّ وجزر     |
| ٨٢٤ | ٥٥ - مستشفى تل شيجا   |
| ٨٢٨ | ٥٦ - أفاتحة أم ختام   |
| ٨٣١ | ٥٧ - الأسطورة الأزلية |
| ٨٤٣ | - المحتوى             |

\*\*\*\*\*



# الديوان الخامس

## (تبروتراب)

الطبعة الأولى (دار العلم للملايين - بيروت ١٩٦٠).

يضم تسعة وخمسين نصاً شعرياً، جمعها الشاعر المهجري جورج صيدح، صديق أبي ماضي، من المجلات والصحف التي نُشرت فيها، وكثير منها يتكون من أبياتٍ قليلة، ألحقت بدواوين الشاعر الأربعة، وكوّنت ديوانه الخامس - الأخير. وما تبقى من شعر الشاعر، خارج هذه الدواوين الخمسة، ألحقناه بها، بعد أن وثّقتُ مصادره

\*\*\*\*\*



## ١ - وطن النجوم

[مجزوء الكامل]

وطن النُّجُوم.. أنا هنا حدِّقْ.. أتذكرُ من أنا؟  
ألمحت في الماضي البعيد فتى غريراً أرعنا؟  
جذلان يمرحُ في حقولك كالنَّسيم مُدندننا  
المُقتنى المملوكُ ملعبةً وغيبرُ المقتنى!  
يتسلَّقُ الأشجار لا ضجراً يُحسُّ ولا ونى  
ويعودُ بالأغصان يبريها سيوفاً أو قنا  
ويخوضُ في وحلِّ الشُّتَا مُتهاللاً مُتَيَمِّناً  
لا يتقي شرَّ العيون ولا يخافُ الألسُننا  
ولكم تشيطن كي يقولَ الناسُ عنه: « تشيطننا »  
أنا ذلك الولدُ الذي دنياه كانت ههنا!  
أنا من مياهك قطرةً فاضتْ جداولَ من سنا<sup>(١)</sup>  
أنا من تُرابك ذرةً ماجتْ مواكبُ من مُنى  
أنا من طيورك بُابلُ غنى بمجدك فاغتنى  
حملَ الطلاقة والبشاشة من ربوعك للدُّنا  
كم عانقتُ رُوحِي رُبَّاك وصفقتُ في المنحنى؟  
للأرز يهزأ بالرياح وبالدهور وبالفنا  
للبحر ينشره بنوك حضارة وتمدُّنا  
للليل فيك مُصائباً للصباح فيك مُؤدِّنا  
للشمس تُبطلُ في وداع ذُراك كيلا تحزننا

---

(١) النور.

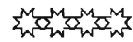
للبدْرِ في نَيْسَانَ يَحُلُّ بِالضِيَاءِ الْأَعْيُنَا  
فِيذُوبُ فِي حَدَقِ الْمَهَا سَحَرًا لَطِيفًا لِيَّنَا  
لِلْحَقْلِ يَرْتَجِلُ الرِّوَاءُ زَنْبَقًا أَوْ سَوْسَنَا  
لِلْعُشْبِ يَرْتَجِلُ النَّدَى لِلْغَصَنِ أَثْقَلَهُ الْجَنَى  
عَاشَ الْجَمَالَ مَشْرَدًا فِي الْأَرْضِ يَنْشُدُ مَسْكَنَا  
حَتَّى أَنْكَشَفْتَ لَهُ فَأَلْقَى رَحْلَهُ وَتَوَطَّنَا  
وَاسْتَغْرَضَ الْفَنُّ الْجِبَالَ فَكَنتِ أَنْتِ الْأَحْسَنَا  
لِلْهِ سِرٌّ فَيَا لِبَنَانٍ لَمْ يُعْلَنَ لَنَا  
خَلَقَ النُّجُومَ وَخَافَ أَنْ تُغْوِيَ الْعُقُولَ وَتُفْتِنَا  
فَأَعَارَ أَرْزَكَ مَجْدَهُ وَجَلَالَهُ كَيْ نُوْمِنَا  
زَعَمُوا سَلَوْتُكَ.. لِيَتَّهَمَ نَسَبُوا إِلَيَّ الْمُمَكِنَا  
فَالْمَرْءُ قَدْ يَنْسَى الْمُسَيَّءَ الْمَفْتَرِيَّ وَالْمَحْسَنَا  
وَالْخَمْرَ وَالْحَسَنَاءَ وَالْوَتَرَ الْمَرْنَجَ وَالْغَنَّا  
وَمِرَارَةَ الْفَقْرِ الْمُذِلَّ بَلَى، وَلِذَاتِ الْغِنَى  
لَكِنَّهُمَا سَلَا هِيَهَاتَ يَسْلُو الْمَوْطِنَا

\*\*\*\*\*

## ٢ - تحية الشام

[الكامل]

حيّ الشام مُهنّداً وكتّاباً  
والغوَطةَ الخضراءَ والمُحرّاباً  
ليستَ قباباً ما رأيتُ وإنما  
عزمٌ تمرّدٌ فاستطالَ قباباً  
فالتّم بروحك أرضها تلثّم عصو  
راً للعلّا سكنتُ حصي وتراباً  
واهبطِ على بردى يُصفّق ضاحكاً  
يستعطفُ التلعات<sup>(١)</sup> والأعشاباً  
روحُ أطلّ من السّماء عشيّةً  
فرأى الجمالَ هنا فحنّ فذاباً  
وصفاً وشفّ فأوشكتُ ضفّاته  
تنسابُ من وجدٍ به مُنساباً  
بل أدمعُ حورُ الجنانِ ذرفنّها  
شوقاً، ولم تملكْ لهنّ إياباً  
بردى! ذكركُ للعطاشى فارتووا  
وبني النّهى<sup>(٢)</sup> فترشّفوك رُصاباً  
مرّت بك الأدهارُ لم تخبّت ولم  
تفسد، وكم خبّت الزمانُ وطاباً



(١) التلعة: ما ارتفع أو انخفض من الأرض (من الأضداد).

(٢) النّهى: العقل (والجمع: نهى).

بأبي وأمي في العراء موسدٌ  
بعث الحياةً مطامعاً ورغاباً  
لمّا نوى في ميسلونَ ترنّحتُ  
هضباتُها وتنفّستُ أطياباً  
وأتى النجوم حديقته فتهافتتُ  
لتقوم حراساً له حجاباً  
ما كان يوسفٌ واحداً بل موكبٌ  
للنورِ غلغلَ في الشّمسِ فغاباً  
هذا الذي اشتاقَ الكرى تحت التّرى  
كي لا يرى في جلقِ الأغرابِ  
وإذا نبا العيشُ الكريمُ بماجدٍ  
حُرّ رأى الموتَ الكريمِ صواباً  
إني لأزهى بالفتى وأحبّه  
يهوى الحياةَ مشقّةً وصعاباً  
ويضوعُ عطراً كلما شدّ الأسى  
بيديه، يعركُ قلبه الوئاباً  
ويسيلُ ماءً إن حواه فدّقد<sup>(١)</sup>  
وإذا طواه الليلُ شعّ شهاباً  
وإذا العواصفُ حجّبت وجه السّما  
جدلَ العواصفِ للسّما أسباباً  
وإذا تقوّض صرحُ أمالِ بنى  
أملأ جديداً من رجاءٍ خاباً  
فابنُ الكواكبِ كلُّ أفقٍ أفقه  
وابنُ الضّرّاعِ ليس يعدمُ غاباً



---

(١) الفلاة لا شيء فيها

عجباً لقومي والعدو ببابهم  
كيف استطابوا اللهو والألعاب؟  
وتخازلت أسيافهم عن سحقه  
في حين كان النصر منهم قاباً<sup>(١)</sup>  
تركوا الحسام إلى الكلام تعللاً  
يا سيف ليتك ما وجدت قراباً!  
دنياك يا وطن العروبة غابة  
حشدت عليك أراقماً<sup>(٢)</sup> ونئاباً  
فالبس لها ماء الحديد مطارفاً  
واجعل لسانك مخاباً أو ناباً  
لا شرع في الغابات إلا شرعها  
فدع الكلام شكايه وعتاباً  
هذي هي الدنيا التي أحببتها  
وسقيت غيرك حبها أكواباً  
وضحكت مع أحلامها وبكيت في  
الأمها، وجرعت معها الصاباً<sup>(٣)</sup>  
وأضل روحك في السرى وأضأها  
ما خلته ماء فكان سرباً  
ونظرت، والأوصاب تنهش قلبها  
فرأيت كل لذاة أوصاباً<sup>(٤)</sup>  
شاء الظلوم خرابها فإذا الورى  
لا يبصرون سوى نهاه خراباً

---

(١) قريباً (قاب الرجل: قريب).

(٢) الأرقم من الحيات: ما فيه بياض وسواد.

(٣) عصارة شجر مر.

(٤) الوصب: المرض.





وأقول: إني عاجزٌ عن شكره  
عجزَ الأناملُ أن تلمَّ عُبَابَا  
أشكو إلى نفسي العياءَ، فتشتكي  
مثلي، وتصمُّتُ لا تحيرُ جوابَا  
فلقد رأيتُ البحرَ حينَ رأيتهُ  
فوقفتُ مضطربُ الرؤى هيَّابَا  
أعميد سورياً وكاشفُ ضُرِّها  
خلقتُ يداك من الشيوخ شبَابَا  
وبلابلُ كانت تئنُّ سَجِينَةً  
أطلقَتْها وأطرَّتْها أسرابَا  
يا صاحب الخُلُقِ المصفى كالندى!  
لو لم تكنُ بشراً لكنت سحابَا  
أملُ الشبيبة في يدك وديعةُ  
فارفع لها الأخلاق والأدابَا  
فالجهلُ، أنى كان، فهو عقوبةُ  
والعلمُ، أنى كان، كان ثوابَا  
يا ويح نفسي كم تطاردني النوى  
وتهدُّ مني القلب والأعصابَا  
ودعَّتْ خلف البحرِ أمسَ أحبةُ  
وغداً أودعُها هنا أحبَابَا

\*\*\*\*\*

### ٣ - الشاعر والكأس

[مجزوء الخفيف]

بات، والكأس في الظلام،  
في حـــــــــــــــــــــــديثٍ ولا كلام  
هي في صممتها تضيء  
وهو في صمته يُضام  
شاعرٌ أنفق الصببا  
من غرام إلى غرام  
ذاهل النفس بالروى  
عن حطام وذي حطام  
وعن الفقر والغنى  
وعن الحرب والسلام  
بالشفاه التي طفا  
بين أهدابها الأوام<sup>(١)</sup>  
بالغواني تُطيعه  
والغواني لها احتكام  
بالشُّذا وهو فائح  
والشُّذا هو الكمام<sup>(٢)</sup>  
بالسحاب الذي يسد  
حُ وبالخادع الجهم<sup>(٣)</sup>

(١) حرارة العطش.

(٢) الكَمُّ. وعاء الطلع وغطاء النور، في الزهر.

(٢) السحاب لا ماء فيه.

بِالْأَغَارِيدِ وَالْبَلَا  
لِ وَالنُّورِ وَالْخُزَامِ  
حَوْلَهُ الْكَوْنُ فِي وَغَى  
وَهُوَ وَالْكَوْنُ فِي وِئَامِ  
❖❖❖❖❖

مَمَالِهِ الْآنَ وَحَدَّةُ  
سَاكِنِ الْعِرْقِ كَالنَّيَامِ  
سَاهِرٌ غَيْرُ أَنَّهُ  
خَادِرُ الرُّوحِ وَالْعِظَامِ  
صَامِتٌ مِثْلُ كُنْتَبِهِ  
وَكُنْدُنِيَا بِلَا أَنْامِ  
أَتَرَى عِضَّةَ الطُّوَى؟  
لَا! فَفِي بَيْتِهِ طِعَامِ  
لَمْ تَزَلْ كَأَسَّةِ لَدِيٍّ  
لَهُ وَفِي كَأَسَّةِ مُدَامِ  
وَلَهُ تَضْحَكُ الْبُورُ  
قُ وَيَبْكِي الْحَيَا السَّجَامِ<sup>(١)</sup>  
وَلَهُ تَرْتَعِي الْكُورُ  
كَبُفِي مَسْرَحِ الظَّلَامِ  
وَلَهُ تَلْبِسُ الرُّبَا  
بُرْدَ النُّورِ وَالْقَمَامِ  
وَلَهُ يُعَبِّقُ الشُّذَا  
وَلَهُ تُعَصِّرُ الْمُدَامِ

---

(١) الحيا: المطر والخصب. وسجم سجاماً: سال.

وله يسمع النّدى  
 وله يسجع الحمّام  
 وله الغادة المائيّة  
 حنة والفارس الهمام  
 كأهها. كأهاله  
 وعلى غير حرام  
 وهو ساه كنّما  
 بسواها له مرام  
 وجهه غير وجهه!  
 أم على وجهه النّام  
 كالتمثيل حوله  
 من نّحاس ومن رخّام  
 لا اكّتاب ولا رضا  
 لا بكاء ولا ابتسام  
 ليالة ما أمرها  
 ليالة اليأس ألف عام  
 بقي الحُسن إنّما  
 مات في الشّاعر الهيام  
 فإذا الكون عنده  
 جدت كآته رِمّام<sup>(١)</sup>

\*\*\*\*\*

---

(١) الرّمة: القطعة البالية من الحبل، والجمع رُمم ورِمّام.

## ٤ - موكب التراب

[الكامل]

في يوم من أيام الصيف الشديدة الحر كان الشاعر جالساً مع بعض أصحاب له،  
أمام داره، فهبّت ريح شديدة أثارت الغبار وعقدته في الفضاء كالسرّاق. وكان في مشهد  
الغبار ما حمله على التفكير فنظم القصيدة التالية

من أين جيئت؟ وكيف عُجّت ببابي؟  
يا موكب الأجيال والأحقاب  
أمن القبور؟ فكيف من حلّوا بها؟  
أهـنـاك نو ألم وذنو تَطْـراب؟  
ولهم صبايات لنا؟ أم غودروا  
في بَلَقْع ما فيه غيرُ خراب؟  
\*\*\*\*\*

أمررت بالأعشاب في تلك الرُّبا  
وذكرت أنك كنت في الأعشاب  
حوّل الصخور النائمت على الثرى  
وعلى حواشي الجدول المُنساب  
وعلام تصعد كالسُّحابة في الفضاء  
وإلى التراب مصيرُ كلِّ سحاب؟  
لما طلعت على الشّعاع موزعاً  
مُترجرجاً كخاطر المُرتاب  
وذهبت في عرض الفضاء كخيمة  
رُفعت بلا عمدٍ ولا أطناب<sup>(١)</sup>

---

(١) الطنب: حبل الخباء.

قال أصحابُ لي استترْ، وتراخضوا  
للذُّعْرِ يعتصمونَ بالأبواب  
وهبِ اتَّقيتُكَ بالحجابِ فإنَّني  
لأبدُ خالعةٌ وأنتَ حجابي!  
كم سارحٍ في غابةٍ عند الضُّحَى  
جاء المساءُ فكان بعض الغاب!  
ومصقَّقٍ للخمرِ في أكوابه  
طرباً، وطيفُ الموتِ في الأكواب  
أنا لو رأيتُ بك القَدَى، محض القَدَى،  
لسترتُ وجهي عنك مثلَ صاحبي  
لكنَّ شهدتُ شبيبةً وكهولةً  
ومنى، وأحلاماً بغيرِ حساب  
والشاربينَ بكلِّ كأسٍ، والألَى  
عاشوا على ظمأٍ لكلِّ شراب  
والضاربينَ بكلِّ سيفٍ في الوغَى  
والخانعينَ لكلِّ ذي قرَضاب<sup>(١)</sup>  
والصارفينَ العمرَ في سوقِ الهوى  
والصارفينَ العمرَ في المحرَّاب  
والغيد بين جميلةٍ ودميمةٍ  
والعاشقينَ الصبِّ والمُتَصَّابي  
والعبيد في أغلاله وحبَّاله  
والملك في الديباجِ والأطياب  
أبوا جميعاً في طريقٍ واحدٍ  
الخاسرُ المسبِّيُّ مثلُ السَّابي

---

(١) آلة القرض، وهو القطع.

فضحكتُ من حرصي على مُلك الصبا  
وعجبتُ كيف مضى عليه شبابي  
ووقعت أنت على ترابٍ ضاحكٍ  
لَمَّا وقعت عليّ في جِأبائي  
وكذاك أشواقُ التراب: مألها  
ولئن تقادم عهدُها، لتُراب

\*\*\*\*\*

## ٥. أين عصر الصبا

[السريع]

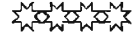
مالي وما لشرشاً الأغيد  
خلفت من الحب ومنه يدي  
نأى فما في قربه مطمئ  
لا تصل الكف إلى الفرقد  
قطعت بالياس خيوط المني  
وقلت للسُّوان لا تبعُد  
وصرت لا يُطربني مُنشد  
ولا أنا أصبُّو إلى مُنشد  
أسيرُ في الروضة عند الضُّحى  
حيران كالمدلج في قدِّد<sup>(١)</sup>  
أمامي الماء ولا أرتوي  
وحولي النُّور ولا أهتدي  
يا ليت شعري: أين عهد الصبا؟  
وأين أحلام الفتى الأمرد؟  
ولّى وولت كخيال الكرى  
يلوح في الذَّهن ولم يُوجد  
فيا قلوب الكاشحين اسكُني  
ويا عيون الحاسدين ارقُدي

---

(١) المفارقة الواسعة لشيء فيها



ويا شياهاً تتقي صواني  
قلّمتُ أظفاري فاستأسدي!



يا سائلي عن أمس: كيف انقضى؟  
دَعَهُ، وسألني يا أخي عن غد  
أروح للنفس وأهّنا لها  
إن تحسب الماضي لم يُولد



## ٦ - الصيف

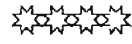
[الرمل]

عاد للأرض مع الصيف صباها  
فهى كالخود<sup>(١)</sup> التي تمت حلاها  
صور من خضرة في نضرة  
ما راها أحد إلا اشتهاها  
ذهب الشمس على أفاقها  
وسواد الليل مسك في نراها  
ونسيم الفجر في أشجارها  
وشوشات يطرب النهر صداها  
والسواقي فتن راقصه  
ضحكها شرو وتهليل بكاهها  
والأقاصي صور خلاصة  
وأغاني الطير شعر لا يضاها  
إنها الجنة فاعجب لامرئ  
هو فيها وقليل ما يراها  
أيها المعرض عن أزهارها  
لك، لو تعلم يا هذا، شذاها  
أيها النائم عن أنجمها  
خلق الله لعينيك سناها  
أيها الكابح عن لذاتها

---

(١) الحسناء الشابة.

نفسه، هيهات لن تُعطى سواها  
لا تُؤجلّ لغدٍ ليس غدٌ  
غير يومٍ كالذي ضاع وتاها  
وإذا لم تُبصرِ النفسُ المُنَى  
في الضحى كيف تراها في مساها  
هذه الجنة فأسرّح في رباها  
واشهد السحر زهوراً ومياها  
واستمع للشعر من بابلها  
فهو الشعر الذي ليس يُضاهى



ما أُحيلى الصيف! ما أكرمه!  
ملاً الدنيا رخاءاً<sup>(١)</sup> ورقاًها  
عندما ردّ إلى الأرض الصبّا  
ردّ أحلامي التي الدهر طواها  
كنت أشكو مثلما تشكو الضنّى  
فشفى آلام نفسي وشفّأها



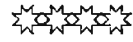
---

(١) سعة الحال.

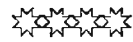
## ٧ - الغد لنا

[الطويل]

تَبَدَّلْ قَلْبِي مِنْ ضَلَالَتِهِ رُشْدَا  
فَلَا أَرْبُ فِيهِ لِهَنْدٍ وَلَا سُعْدَى  
وَلَمْ تَخْبُ نَارُ الْوَجْدِ فِيهِ وَلَا انْطَوَتْ  
وَلَكِنْ هِيَامِي صَارَ بِالْأَنْفَعِ الْأَجْدَى  
وَمَا الزُّهْدُ فِي شَيْءٍ سِوَى حُبِّ غَيْرِهِ  
أَشَدُّ الْوَرَى نُسْكَاً أَشَدَّهُمْ وَجْدَا  
أَحَبُّ سِوَايَ الْعَيْشِ لِهَوَاً وَرَاحَةً  
وَأَنْكَرْتَهُ لِهَوَاً فَأَحْبَبْتُهُ كَدَا  
وَمَا دَامَ فِي الدُّنْيَا سُمُورٌ وَرَفَعَةٌ  
فَمَا أَنَا مِنْ يَرْضَى وَيَقْنَعُ بِالْأَرْدَا



هُوَ الْمَوْتُ أَنْ نَحْيَا شَيْهَاتٍ وَدِيعةً  
وَقَدْ صَارَ كُلُّ النَّاسِ مِنْ حَوْلِنَا أُسْدَا  
وَأَنْ نَكْتَفِي بِالْأَرْضِ نَسْرَحُ فَوْقَهَا  
وَقَدْ مَلَكُوا مِنْ فَوْقِنَا الْبَرْقَ وَالرَّعْدَا  
وَأَنْ يَنْشُرُوا فِي كُلِّ أَفْقٍ بُنُودَهُمْ<sup>(١)</sup>  
وَأَلَا نَرَى فَوْقَ السَّمَاءِ<sup>(٢)</sup> لَنَا بَنْدَا



---

(١) الرايات.

(٢) أحد النجمين النيرين في السماء.

تأملتُ ماضينا المجيد الذي انقضى  
فزَلْزَلَ نفسي أنه انهار وأنهدأ  
وكيف امّحت تلك الحضارات كُلُّها  
وصارت بلادُ أنبتَتْها لها لَحْدًا  
وصرنا على الدنيا عيالاً وطالما  
تعلم منا أهلُها البذل والرُّفْدَا  
ونحن الألى كان الحريرُ برودهم  
على حين كان الناسُ ملبسُهم جِلْدًا



إذا الأمسُ لم يرجعْ فإن لنا غداً  
نُضيء به الدنيا ونملؤها حمداً  
وتلبسُنا في الليل أفاقه سنأ<sup>(١)</sup>  
وتنشرنا في الفجر أنسامه ندأ  
فإن نفوس العرب كالشَّهب، تنطوي  
وتخفي، ولكن ليس تبلى ولا تصدأ  
ومثلُ الالكي لا يخيسُ جمالها  
وإن هي لم تُرصفْ ولم تنتظم عقدا  
إذا اختلفت رأياً فما اختلفت هوى،  
أو افترقت سعيًا فما افترقت قصدا



---

(١) النور.

## ٨ - قنبلة الفناء

[المتقارب]

إذا سحقنا القنبلة  
كما يسحق الحجر الخرذلة  
وقووض مفعولها الراسيات  
فصارت غُباراً له جأجله  
ودب الفناء في زوات الجناح  
وغلغل في النبت فاستأصله  
وفي الماشيات وفي الزاحفات  
عليها، إلى آخر السلسلة  
فلا زهر يـأرج<sup>(١)</sup> في روضة  
ولا ديك يـصدح في مزبلة  
وضاع الزمان ومقياسه  
وأشبهه أخـره أوله  
ولم يبق حي على سطحها  
وأصبح عزريل لا شغل له  
فذلك خطب يهول النفوس  
تصوره قبل أن تحمله  
ولكن أمراً يعزّي الجميع  
إذا سحقنا القنبلة  
فلن يدع الموت حياً يـلوم  
سواه على هذه المقتلة!

\*\*\*\*

---

(١) أرج الطيب: فاح (أرج - يـأرج).

## ٩. تلك السنون

[الكامل]

في حفلة اليوبيل الفضي لجريدة «السمير»  
تلك السنون الغاريات ورائي  
سفرُ كتبتُ حروفهُ بدمائي  
ما عشتُها لأعدها، بل عشتُها  
لتبينَ في سيمائها سيمائي  
سيّانٍ، لو أني قنعتُ بعدها،  
عمري وعمرُ الصخرة الصمّاء  
ولبذني يوم التّفاخرِ شاطئُ  
ما فيه غيرُ رماله الخرساء  
لاحتُ لي العليا في أفاقها  
فأردتُها ربّاً إلى العليا  
ومحبةً للخيرِ تسري في دمي  
ورعايةً للضعف والضعفاء  
وعبادةً للحق أين وجدتهُ  
والحسن في الأحياء والأشياء  
لتدور بعدي قصةً عن شاعرٍ  
رقصتُ به الدنيا جناح ضياء  
نَشَرَ الطيوب على دروب حياتهِ  
وسرى هوى في الطيب والأنداء  
وأطلّ من قلب البخيلِ سماحةً  
وشجاعةً في السّلم والهيّجاء

ومشى إلى المظلوم بارق رحمة  
وهوى على الظلام سوط بلاء  
فتعزّ دنيا قد طوت أبائي  
وتهش دنيا أطاعت أبنائي  
~~~~~

تلك السنون ببؤسها ونعيمها
مالت بعودي وانطوت برؤائي^(١)
أين الشُّبابُ ألفُ أحلامي به
ليس الشُّبابُ الآن لي برداء
نفسي تُحسُّ كأنما أثقالها
قد خيّرت فتخيّرت أعضائي
كم من روى طلعت على جنباتها
ركّبتاً من الأضواء والأشياء
قلّبتُ فيها، بعد لائي، ناظري
فتعزّرت عيناى بالأشلاء
يا الضحايا، لا يرفُّ لوتها
جفنٌ، ولا تُحصى مع الشهداء
ودعتُ لذاتِ الخيال وعفتُها
ورضيتُ أن أشقى مع الحكماء
فعرفتُ مثلاًهم بآني مُوجدٌ
بؤسي، وأني خالقُ نغمائي
~~~~~

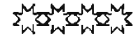
إني أراني بعد ما كابدته  
كالفُك خارجةً من الأنواء

---

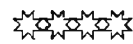
(١) الرّواء: حسن المنظر.



وكسائحٍ بلغَ المدينةَ بعدما  
ضلَّ الطريقَ وتاه في البيداء  
شكراً لأصحابي فلولا حبُّهم  
لم اقترب من عالم اللألاء  
بهم اقتحمتُ العاصفات بمركبي  
وبهم عقدتُ على النجوم لوائي



شكراً لأعدائي فلولا عيُّتهم  
لم أدر أنهم من الغوغاء  
نهش الأسي لما ضحكتُ قلوبهم  
عرَّسُ المحبة ماتم البغضاء  
ذنبي إلى الحُساد أني فُتُّهم  
وتركتهم يتعنَّونَ ورائي  
وخطيئتي الكبرى إليهم أنهم  
قعدوا ولم أقعدْ على الغبراء<sup>(١)</sup>  
عفو المروءة والرجولة، إنني  
أخطأت حين حسبتُهم نظرائي



شكراً لكل فتى مزجتُ بروحه  
روحي، فطاب ولاؤه وولائي  
من كان يحلمُ بالسماء فإنني  
في قلب إنسانٍ وجدتُ سمائي  
ليس الجمالُ هو الجمال بذاته  
الحُسنُ يوجد حين يوجد راء

---

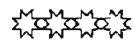
(١) الأرض.

ما الكون؟ ما في الكون لولا آدمُ  
إلا هباءٌ عالقٌ بهباءٍ  
وأبو البرية ما أبان وجوده  
وأتَمَّ غايته سوى حواءٍ  
إني سكبتُ الخمر حين سكبتها  
للناس، لا للأتجم الزهراء  
لا تشربُ الخمر النجوم وإن تكن  
معصورةً من أنفُسِ الشعراء



تلك السنون. عقيمتُها كولدتها  
حلّو لدي. كذا يشاء وفائي  
فالليلة العسراء من عمري وعمّ  
بر الدهر مثل الليلة السّمحاء  
يا من يقول: « ظلمت نفسك فأتدّ »

دعني فلست بحاملٍ أعبائي  
إن الحياة الروحُ بعضُ عطائها  
وأنا ثمارُ الروح كلُّ عطائي  
ما العمر؟ إن هو كالإناء، وإنني  
بالطيب الغالي ملأتُ إنائي  
فإذا بقيتُ فالجمالِ بقائي  
وإذا فنيتُ ففي الجمالِ فنائي



لله ما أحلى وأسنى ليأتي  
هي في كتابِ العمر كالطُّغراء<sup>(١)</sup>

---

(١) الطّرة في رأس الكتاب، تتضمن النعوت والألقاب.

يا صَحبُ لن أنسى جميلَ صنيعكم  
حتى تفارقَ هيكلي حُبائي<sup>(١)</sup>  
وتقول عيني «قد فقدتُ ضيائي»  
ويقول قلبي «قد فقدتُ رجائي»

\*\*\*\*

---

(١) النفس.

## ١٠ - امتنان

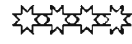
[الخفيف]

في حفلة ميلاد ديوانه (الخمائل)  
ما لقلبي يلج في الخفقان  
لا أنا عاشق ولا أنا جان  
ابتغي أن أقول شيئاً فيعصا  
ني لساني، والسحر تحت لساني  
أنا كالطائر الذي اندفق السح  
ر عليه، فغص بالألحان  
أو كفأك في البحر أوفى عليها  
عارض<sup>(١)</sup> بعد عارض هتان  
غلبتني عواطف الصبح حتى  
صرت في حاجة إلى ترجمان  
أين في موكب القريض لوائي  
قد طواه بيأنهم وطواني  
أيها المادحون خمري رويداً  
منكم الخمرة التي في دنائي  
من أنا؟ ما صنعت كي تعصبوا بالث  
تاج رأسي، وأي شأن شاني؟  
لا افتخار لنحالة وجدت حقلاً  
فعادت من زهره بالمجاني(٢)

---

(١) العارض. السحاب يعترض الأفق.

أَنَا مِنْ رَوْضِكُمْ قَطَفْتُ أَزَاهِيدِ  
—رِي، وَمِنْ بَحْرِكُمْ غُرَفْتُ جُمَانِي  
إِنْ أَكُنْ فَرَقْدًا فَأَنْتُمْ سَمَائِي  
أَوْ هَزَارًا فَأَنْتُمْ بُسْتَانِي  
أَيُّ بَدْعٍ إِنْ أَخْرَجَ الْحَقْلُ لَنَا  
سِ صُنُوفَ النَّبَاتِ فِي نَيْسَانَ؟  
لَيْسَ لِي مِنْ قِصَائِدِي غَيْرُ أَوْزَا  
نِ، وَلَيْسَتْ أَصِيلَةٌ أَوْزَانِي  
أَصْدَقُ الشُّعْرِ فِي الْحَيَاةِ وَفِيكُمْ،  
لَيْسَ غَيْرُ الْأُظْلَالِ<sup>(١)</sup> فِي دِيَوَانِي



مَا هُوَ الشُّعْرُ؟ إِنَّنِي مَا رَأَيْتُ أَثَدَّ  
نَيْنٍ إِلَّا وَفِيهِ يَخْتَصِمَانِ  
قَالَ قَوْمٌ: « وَحْيٌ يُنَزَّلُهُ اللَّهُ  
لَهُ »، وَقَوْمٌ: « نَفْثٌ مِنَ الشَّيْطَانِ »  
ضَلَّ هَذَا وَذَا، فَمَا حَفَزَ الْإِنْدَ  
سَانَ شَيْءٍ لِشُّعْرِ كَالْإِنْسَانِ  
يَعِشُّ الْمَرْءُ ذَاتَهُ فِي سَوَاهُ  
وَيَحِبُّ « الْإِنْسَانُ فِي الْأَكْوَانِ  
أَنَا مِنْ أَجَلِهِ بَنَيْتُ قُصُورِي  
وَفَرَشْتُ الدَّرُوبَ بِالرَّيْحَانِ  
أَنَا مِنْ أَجَلِهِ سَكَبْتُ خُمُورِي  
وَشَدَّدْتُ الْأَوْتَارَ فِي عِيدَانِي  
أَنَا مِنْ أَجَلِهِ رَجَعْتُ مِنَ الرُّوْ  
ضَةِ، فِي رَاحَتِي، بِالْأَلْوَانِ

---

(١) يجمع الظل على ظلال وأظلال وظلول.

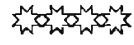


بالقوافي (جدولاً) من وفاءٍ  
والأغاني (خَمائلاً) من حنانٍ  
زهد الناس حين دارت عليهم  
بألتي في كؤوسهم والقناني  
أيها الليل! أنت أبهى من الفج  
رو إن كنت أسود الطليسان  
بالوجوه الزهراء، بالأنفاس السُّمَّ  
حاء، من يغرب ومن غسان  
بملوك البيان، بالأدب الرأ  
ئع، بالُنشدين، بالألحان  
بالغواني، فديتهن، فأسمى الش  
شعر والفن في الحياة الغواني  
هذه الشمس هل رأى الناس وجهاً  
مثلها في البهاء واللمعان  
تتجلى لنا على اليسر والعُس  
رو ونمشي في نورها الفتان  
قد نسينا شعاعها وسناها<sup>(١)</sup>  
عندما أشرقت وجوه الحسان  
قُسم الدهر: أنت يا ليل شطر  
من حياتي، والعُس شطر ثان  
أنت عصر مُستَجمع في سويعا  
ت، ودنيا رحيبة في مكان  
قد تلاقت فيك القلوب على الحب  
حب تلاقي الأجفان بالأجفان

---

(١) الضوء والنور.

لا تقولوا دقائق وثوانٍ  
زاهياتُ فالعمرُ هذي الثَّواني



أنا ما عشتُ سوف أذكرُ بالشُّكرِ  
رِجَمِيلَ الرِّفاقِ والإِخوانِ  
وإذا متُّ في غدٍ فسيأتي  
كمُ ثنائِي من ظُلَمَةِ الأكفانِ





## ١١ - اسألوها

[الخفيف]

اسألوها، أو فاسألوا مَضَنَّاها:  
أيُّ شيءٍ قالت له عَيْنَاها؟  
فهو في نشوةٍ وما ذاقَ خمراً  
نشوةُ الحبِّ هذه إِيَّاها  
ذاهلُ الطَّرَفِ شاردُ الفكرِ، لا يَلِ  
سمحَ حسناً في الأرضِ إلا رَأَاها  
السُّواقِي لكي تحدَّثَ عنها  
والأقاحي لكي تذيعَ شَذَاها  
وحفيفُ النِّسيمِ في مَسْمَعِ الأَو  
رَاقِ نجوى تَبَيَّنُها شَفَتَاها  
يحسبُ الفجرُ قَبْسَةً من سِنَاها  
ونجومُ السَّمَاءِ بعضُ حُلاها  
وكذاك الهوى إذا حلَّ في الأر  
واح، سارت في موكبٍ من رِوَاها  
كان ينهى عن الهوى نفسه الظُّم  
أى، فأمسى يَومٌ من يَنهاها  
لمسَ الحبُّ قلبه فهو نَارُ  
تَنَلَّظَى ويستلذُّ لَظَاها!  
كلُّ نفسٍ لم يشرقِ الحبُّ فيها  
هي نفسٌ لم تدركِ ما معنَاها

\*\*\*\*\*

## ١٢ - أم القرى

[الرمل]

هذه « ملفرد<sup>(١)</sup> » قد لاحت ربّاهَا  
فانس يا قلبُ الليالي وأذاها  
واشهد الفنَّ سُفوحاً وذُرّاً  
والهوى الصّافي أريجاً ومياها  
ههنا أودعتُ أحلامَ الصّبا  
أفما تلمحُ نوراً في ثراها؟  
ههنا بالأمس في دارتِها  
كنتُ مثلَ النّسرِ حُرّاً في ذراها  
أتلقى الوحي عن بابِها  
وهو ولهان يغني لربّاهَا  
وتُحسُّ الوحي رُوحِي هابطاً  
من سماها، في ضحاها ومساها  
ذهبتُ عشرون في فُرقتِها  
ليتّها فيها انقضتْ لافي سواها  
كم جلسنا تحت صفصافتها  
اشتكي وجّدي، وتشكولي هواها  
والسّواقِي استترتْ إلّا غناها  
والروابي هجعتْ إلّا شذاها  
والصدى في الغاب لم ننسِ معاً  
نُبْسَهُ إلّا وعاءها وحكاها

---

(١) هي ملفرد في ولاية بنسلفانيا حيث أقام الشاعر في صباه، وخطب فتاة أحلامه، وعاد إليها في فصل الشتاء.

نَتَنَاجِي وَيَدِي فِي يَدِهَا  
فَإِذَا لَاحَ خَيْالٌ نَقَلَاهِي  
أَنَا دُنْيَا مِنْ شَبَابٍ وَهَوًى  
وَهِيَ كَالرَّوْضَةِ قَدْ تَمَّتْ حَلَاها  
أَحْسَنُ الْأَيَّامِ فِي الْعَصْرِ انْقَضَتْ  
أَهْ لَوْ يَنْشُرُهَا مَنْ قَدْ طَوَاهَا  
صُرْتُ فِي نِيُويُورْكَ طَيْفًا شَارِدًا  
مَعَ طَيُوفٍ حَائِرَاتٍ فِي سُورَاهَا  
طَرَحْتُ عَنْهَا رُؤَاهَا وَمَضَتْ  
تَنْشُدُ الْمَجْدَ الَّذِي فِيهِ شَقَاهَا  
كَنَعَاكِ عَمِيَّتْ أَبْصَارُهَا  
وَوَهَتْ فِي طَلَبِ الْعُشْبِ قُورَاهَا  
كَأَمَّا جَدْتُ لَكِي تَدْرِكُهُ  
وَجَدْتُهُ صَارَ فِي الْأَرْضِ وَرَاهَا!  
أَيْنَ فِي نَفْسِي رَأَى تُسَعِّدُهَا؟  
سَرَقْتُ (نِيُويُورْكَ) مِنْ نَفْسِي رُؤَاهَا  
فِي يَدِي أَمْرِي وَلَا أَمَّا لَكُهُ  
وَمَعِيَ ذَاتِي وَأَخْشَى أَنْ أَرَاهَا!  
هَذِهِ « أُمُّ الْقُرَى » قَفَّ فِي حِمَاهَا  
تَسْتَرْحُ نَفْسِي مِنْ بَعْضِ جَوَاهَا  
هَهْنَا الْإِنْسَانُ يَلْقَى ذَاتَهُ  
هَهْنَا لَا يَحْجُبُ الْمَالُ الْإِلَهَا  
لَا تَقْلُ لِي جَنَّتُهَا عَارِيَةً  
فَقَرُّهَا عِنْدِي جَمِيلٌ كَغَنَاهَا  
لَمْ يَزَلْ لِلصَّيْفِ فِيهَا عَبَقُ  
وَسَمَاءُ الصَّيْفِ مَا زَالَتْ سَمَاهَا

لا يزالُ الحبُّ في شلالِها  
وبواديها حديثاً وانتباها  
لم يجردها الشُّتَا من وَشْيِها  
بل كساهما روعةٌ فوق بهاها  
فهي في ديباجة من صبغِها  
ما رآها أحدٌ إلا اشتهاها

\*\*\*\*\*

### ١٣ - «من اشتهى الخمر فليزرع دواليها»

[البسيط]

خُذْ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا  
لَكِنْ تَعْلَمُ قَلِيلاً كَيْفَ تُعْطِيهَا  
كُنْ وَرْدَةً طَيِّبَةً حَتَّى لَسَارِقِهَا  
لَا دِمْنَةَ<sup>(١)</sup> خُبْنُهَا حَتَّى لَسَاقِيهَا  
أَكَانَ فِي الْكَوْنِ نُورٌ تَسْتَضِيءُ بِهِ  
لَوْ السَّمَاءُ طُوتْ عَنْهَا دَرَارِيهَا  
أَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ أَزْهَارٌ لَهَا أَرْجٌ  
لَوْ كَانَتْ الْأَرْضُ لَا تُبْدِي أَقَاحِيهَا<sup>(٢)</sup>  
إِنَّ الطَّيُورَ الدُّمَى سَيَّانٍ فِي نَظْرِي  
وَالْوَرَقُ إِنْ حُبِسَتْ هَذِي أَغَانِيهَا  
إِنْ كَانَتْ النَّفْسُ لَا تَبْدُو مُحَاسِنُهَا  
فِي الْيُسْرِ صَارَ غَنَاهَا مِنْ مَخَازِيهَا



يَا عَابِدَ الْمَالِ قُلْ لِي هَلْ وَجَدْتَ بِهِ  
رُوحاً تَوَاسِيكَ أَوْ رُوحاً تَوَاسِيهَا  
حَتَّامَ يَا صَاحِ تَخْفِيهِ وَتَطْمَرُهُ  
كَأَنَّمَا هُوَ سُوءَاتُ تُوَارِيهَا؟  
وَتَحْرِمُ النَّفْسَ لَذَاتِ لَهَا خُلِقَتْ  
وَلَمْ تَصَاحِبْكَ يَا هَذَا التُّؤَذِيهَا

(١) من معاني الدمنة: الأثر، والضعفة، وبقية الماء في الحوض.

(٢) الأرج: توهج ريح الطيب (أرج - يأرج).

انظر إلى الماء إن البذل شيمته  
يأتي الحقول فيرويها ويحييها  
فما تعكر إلا وهو منحبس  
والنفس كالماء تحكيه ويحكيها  
السجن للماء يؤذيه ويفسده  
والسجن للنفس يؤذيها ويضئنها  
وانظر إلى النار إن الفتك عادتُها  
لكن عادتُها الشنعاء تُرديها  
تفني القرى والمغانى وهي ضاحكة  
لجهلها أن ما تُفنيه يُفنيها  
أرسلتُ قولي تمثيلاً وتشبيهاً  
لعل في القول تذكيراً وتنبيهاً  
لا شيء يُدرك في الدنيا بلا تعب  
من اشتهى الخمر فليزرع دواليها

\*\*\*\*\*

## ١٤ - ستعود دنيانا أحب وأجملا

[الكامل]

لم أنس حين مشيت إليَّ تَأْوَمُنِي  
لَمَّا رَأَتْني بِاسْمَاءَ مُتَهَلِّلا  
قَالَتْ: أَتَطْرِبُ وَالْمَنَايَا حُومُ  
فِي الْأَرْضِ، كَيْفَ رَمَتْ أَصَابِتُ مَقْتَلَا  
انْظُرْ فَقَدْ خَلَّتِ الْبُيُوتُ مِنَ الشُّبَا  
بِوَلَا جَمَالٍ لِمَنْزِلٍ مِنْهُمْ خَلَا  
فَسَأَلْتُهَا: أَوْ لَيْسَ مِنْ أَجْلِ الْعُلَا  
وَهَنَائِنَا خَاضُوا الْوَعْيَ؟ قَالَتْ بَلَى  
يَا هَذِهِ إِذَا بَكَيْتَ لِبُعْدِهِمْ  
يَتَبَسَّمُونَ؟ أَجَابَتْ الْحَسَنَاءُ لَا  
كُفِّي الْمَلَامَ إِنَّ، فَمَا أَنَا جَاهِلُ  
مَا تَعْلَمِينَ، وَكَيْفَ لِي أَنْ أَجْهَلَا  
لَكِنْ بَعَثْتُ الْفِكْرَ فِي أَثَارِهِمْ  
فِي الْبَحْرِ، فِي الْأَجْوَاءِ، فِي عُرْضِ الْفَلَا  
فَرَأَيْتُ نُورَ الْمَجْدِ فَوْقَ بَنُودِهِمْ  
وَرَأَيْتُهُمْ يَمْشُونَ مِنْ نَصْرِ إِلَى  
سَدَّوْا عَلَى الْبَاغِي الْمَسَالِكَ كُلَّهَا  
فَالْمَوْتُ إِنَّ وَلَّى وَإِنْ هُوَ أَقْبَلَا

فإذا شممتِ اليوم رائحةَ الدما  
ء وطالعتْ عيناك آثار البلى  
فاستبشري فغداً إذا النَقْعُ<sup>(١)</sup> انجلى  
ستعودُ دنيانا أحبَّ وأجملاً

\*\*\*\*\*

---

(١) الغبار



## ١٥ - رؤيا

[الكامل]

رؤيا منام.. ربِّ حُلُمٍ في الكرى  
فيه تلوُّحُ حقائقُ الأشياءِ  
إني حلّمتُ كأنّما أنا سائرُ  
في روضةٍ خلّابةٍ غناء  
النورُ مفروشٌ على طُرقاتها  
والعطرُ في النسماتِ والأفيا  
والعشبُ فيها سُندسٌ متموجٌ  
والجوُّ أضواءٌ على أضواء  
وإذا بصوتٍ كالهرير<sup>(١)</sup> يطنُ في  
أذني، وأنّيابٌ تُصرُّ ورائي  
فأدركتُ طرفي باحثاً متعجباً  
مما سمعتُ. ولستُ في بيّداء  
فإذا ورائي في الحديقة نايحٌ  
ضاري المَهاجرِ ضامرُ الأحشاء  
كادتُ تُطلُّ عُروقه من جِأده  
وتُطلُّ معها شهوةٌ لدمائي  
أشفقتُ يعلّقُ نأبه بردائي  
فرَفَسَتْهُ غَضَباً فطار حذائي

---

(١) هزير الكلب: صوته دون نباحه.

فطوى نواجذَه عليه كأنما  
عضتْ نواجذَه على العنقاء<sup>(١)</sup>!  
ومضى به لرفاقه فتهاًلوا  
وتقاسمُوهُ فكان خير عشاء!  
لا يعجبني أحدٌ رأني حافياً  
أبليتْ نعالِي ألسنُ السُّفهاء!

\*\*\*\*\*

---

(١) طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم ! أو الداهية عموماً

## ١٦ - رؤيا ثانية

[الكامل]

وحلّمتُ ثانيةً، وكان الكونُ لم  
تبرحُ عليه كلاكُل<sup>(١)</sup> الظّالماء  
أنّي رأيتُ جرادةً مطّروحةً  
في سبّخة<sup>(٢)</sup> منهُوكَة الأعضاء  
ترنو إلى الأفق البعيد بمُقلّة  
كأُمّي، وتشتمُ أنجمَ الجوزاء  
فسألْتُها: ماذا عراك فلم تُجبْ  
فسألْتُ عنها زمرةَ الرُفقاء  
قالوا: رفيقَتُنَا شهيدةٌ هُزِئَها  
بنصائحِ العقلاء والحكماء!  
كانت إذا جاعت فحبّةُ خردلٍ  
تكفي، وإن عطشت فنقطةُ ماء  
سمعتُ بنهرٍ في السماء وجنةً  
ليست لتَصويح<sup>(٣)</sup> ولا لفناء  
العطرُ في أثمارها، والشَّهْدُ في  
أنهارها، والسُّحرُ في الأنداء  
فاستنكفتُ أن تستمر حياتُها  
في الأرض جائمةً على الأقداء

---

(١) الكلل والكلال: الصدر.

(٢) الأرض السبخة: ذات ملح ونز.

(٣) صوّح النبت: تمَّ يُيسه.

فمضت تحلق في الفضاء، ولم تزل  
حتى وهت، فهوت إلى الغبراء<sup>(١)</sup>  
رجعت إلى الدنيا التي خلقت لها  
لم تُخلق الحشرات للأجواء  
هذي حكايتها وفيها عبرة  
للطائشين كهذه الحمقاء

\*\*\*\*\*

---

(١) الأرض.

## ١٧ - أيلول الشاعر

[الكامل]

من قصيدة يصف بها المناظر الرائعة التي مر بها في طريقه إلى مونتريال  
الحُسْنُ حَوْلَكَ فِي الْوَهَادِ وَفِي الذُّرَا  
فانظر، ألسنت ترى الجمالَ كما أرى؟  
«أيلول» يمشي في الحقول وفي الرُّبَا  
والأرضُ في أيلولَ أحسنُ منظراً  
شهرٌ يوزَّعُ في الطبيعة فنَّه  
شجراً يُصَفِّقُ أو سنّاً مُتَفَجِّراً  
فالنَّورُ<sup>(١)</sup> سَحَرٌ دافقٌ، والماءُ شعراً  
رائقٌ، والعطرُ أنفاسُ النَّرى  
لا تحسبِ الأنهارَ ماءً راقصاً  
هذي أغانيه استحوالت أنهاراً  
وانظر إلى الأشجار تخلعُ أخضراً  
عنها، وتلبسُ أحمرّاً أو أصفرّاً  
تَعْرِى وتُكْسِي في أوانٍ واحدٍ  
والفن في ما ترتديه وفي العرا  
فكأنَّما نارٌ هناك خفيَّةٌ  
تنحلّ حين تهمُّ أن تستشعرا<sup>(٢)</sup>  
وتنوب أصباغاً كألوان الضحى  
وتموجُ ألحاناً وتسري عنبراً

---

(١) زهر الشجر الأبيض.

(٢) تهم أن تنعقد وتشب.

صورٌ وأطرافٌ تلوحٌ حفيفةً  
وكانها صورٌ نراها في الكرى  
لله من « أيلول » شهرٌ ساحرٌ  
سبقَ الشهور وإن أتى متأخراً  
من ذا يُدبِّجُ أو يحوِّكُ كوشيه  
أو من يصوِّرُ مثلاً قد صوراً؟  
لمست أصابعهُ السماءَ، فوجهُها  
ضاحٍ ومر على الترابِ فنوراً  
ردَّ الجلالَ إلى الحياة وردني  
من أرضِ نيويوركٍ إلى أمِّ القُرى<sup>(١)</sup>

\*\*\*\*\*

---

(١) هي (ملفرد) في ولاية بنسلفانيا انظر النص السابق رقم ١٢

## ١٨ - يا رفاقي

[الرمل]

القصيدة التي ألقاها الشاعر في حفلة تكريم الدكتور ظافر الرفاعي وزير خارجية سوريا والدكتور فريد زين الدين سفير سوريا في واشنطن ومندوبها الدائم في الأمم المتحدة.

جُعتُ والخبزُ وفيرٌ في وطّابي<sup>(١)</sup>  
والسُّنَّاءُ حولي، وروحي في ضبابٍ  
وشربتُ الماءَ عذباً سائغاً  
وكأنني لم أذُقْ غيرَ سرابٍ  
حيرةٌ ليس لها مثلٌ سوى  
حيرةِ الزورقِ في طاعِ العُبابِ  
ليس بي داءٌ ولكني امرؤٌ  
لستُ في أرضي ولا بينَ صحابي  
مرّت الأعوامُ تتلو بعضها  
للورى ضحكى، ولي وحدي اكتئابى  
كلّما استولدتُ نفسي أملاً  
مدّت الدنيا له كفّاً اغتصاب  
أفلتتُ مني حلاواتُ الرؤى  
عندما أفلت من كفى شبّابى  
بِتْ لا إلهاً بابُ مُشرعٍ  
لي، ولا الأحلامُ تمشي في رِكايبى

---

(١) الوطب والوطاب: سقاء اللبن. يريد: وعاء الزاد.

أشتهي الخمر وكأسي في يدي  
وأحسُّ الروحَ تَعْرِى في ثيابي  
يا رفاقي! حطُّمُوا أَقْداحَكُمْ  
ليس في دَنِّي خمرٌ لأنَّسكاب  
جَفَّ ضَرْعُ الشُّعْرِ عِنْدِي وَنَوَى  
ولَكُمْ عَاشِ لِمَرِّي<sup>(١)</sup> واحْتَلَابِ  
❖❖❖❖❖❖❖

أيها السائلُ عَنِّي من أنا؟  
أنا كالشمسِ إلى الشَّرْقِ انتسابي  
لغةُ الفولاذِ هاضتُ<sup>(٢)</sup> لغتي  
لا يعيشُ الشَّدْوُ في دنيا اصْطِخابِ  
لست أشكو إن شكا غيري النُّوى  
غربةُ الأجسامِ ليست باغْتِرابِ  
أنا كالكَرامَةِ لو لم تَغْتَرِبْ  
ما حواها الناسُ خمرًا في الخوابي  
أنا كالكَرْمَةِ لو لم تَغْتَرِبْ  
ما حواها الناسُ خمرًا في الخوابي  
أنا كالسُّوسَنِ لو لم يَنْتَقِلْ  
لم يُتَوَجَّ زَهْرُهُ رَأْسَ كَعَابِ<sup>(٣)</sup>  
أنا في نِيُويُورْكَ بِالجِسمِ وبِالرُّوحِ  
في الشَّرْقِ على تلكِ الهَضَابِ  
في ابْتِسامِ الفَجْرِ، في صِمتِ الدُّجَى  
في أَسَى تَشْرِينِ، في لَوْعَةِ آبِ

---

(١) مَرَى الضَّرْعُ: مَسَحَهُ لِيَدْرَ.

(٢) هاض الشيء هِضًا: كسره.

(٣) المرأة كَعَبَ ثديها (ظهر)، فهي كاعب وكَعَاب.



أنا في الغُوطَة زَهْرٌ وَنَدَى  
أنا في « لَبْنَان » نَجْوَى وَتَصَابِ  
رَبِّ هَبْنِي لِبِلَادِي عَوْدَةً  
وَلِيَكُنْ لِلغَيْرِ فِي الأُخْرَى ثَوَابِي  
~~~~~

أَيُّهَا الأَتُونُ مِنْ ذَاكَ الحِمَى
يَا دُعَاةَ الخَيْرِ يَا رَمَزَ الشُّبَابِ
كَمْ هَشَشْنَا وَهَشَشْتُمْ لِمَنَى
وَبَكَيْتُمْ وَبَكَيْنَا فِي مُصَابِ!
وَاشْتَرَكْنَا فِي جِهَادٍ أَوْ عَذَابِ
وَالْتَقَيْنَا فِي حَدِيثٍ أَوْ كِتَابِ
وَعَرَفْتُمْ وَعَرَفْنَا مِثْلَ أَلْكُمِ
أَنَّمَا الحَقُّ الَّذِي ظَفَّرَ وَنَابِ
كُلُّ أَرْضٍ نَامَ عَنْهَا أَهْلُهَا
فَهِيَ أَرْضٌ لَأَعْتَصَابِ وَانْتِهَابِ
إِنَّنِي أَلْحُ فِي أَوْجِهَكُمُ
دَفْقَةَ النُّورِ عَلَى تِلْكَ الرُّوَابِي
وَأَرَى أَشْبَاحَ أَعْوَامٍ مَضَتْ
فِي كِفَاحٍ وَنِضَالٍ وَوِثَابِ
وَأَرَى أَطْيَافَ عَصْرِ زَاهِرِ
طَالِعِ كَالشَّمْسِ مِنْ خَلْفِ الحِجَابِ
لَيْتَهُ يُسْرِعُ كِي أَبْصَرُهُ
قَبْلَ أَنْ أَغْلُو تَرَاباً فِي التُّرَابِ

١٩. لوس أنجيلوس

[الكامل]

القصيدة التي ألقاها الشاعر في «الحفلة التكريمية» التي أقيمت على شرفه في لوس أنجيلوس، برعاية الجمعية السورية اللبنانية، في فندق أمباسادور.

أنا لستُ في دنيا الخيال ولا الكرى
وكأنني فيها لروعة ما أرى
يا قوم هل هذي حقائق أم رؤى
وأننا؟ أصاح أم شربت مُخدرا؟
لا تعجبوا من دهشتي وتَحيري
وتعجبوا إن لم أكن مُتَحيرا
كيف التفتُ رأيتُ أية شاعرٍ
لبقٍ تعمّد أن يُجيد لي بهرا
مسحتُ بإصبعها الحياة جفونهُ
فرأى المحاسنَ فانتقى وتخيرا
ما «لوس أنجيلوس» سوى أنشودة
الله غناها فجُنّ لها الورى
خلع الزمانُ شبابه في أرضها
فهو اخضرارُ في السفوح وفي الذرا
أخذتُ من المدنِ العواصمِ مجدها
وجلالها وحيوتُ حلواتِ القُرى
هي واحدة للمتعبين، وجنةُ
العاشقين، وملعبُ لذوي الثِّرا
كفنتُ في نيويورك أحلام الصِّبا
وطويتُها. وحسبتُها لن تُنشرا

لَكُنِّي لِمَا لَحَتْ زَهْوَرُهَا
شَاهَدْتُ أَحْلَامِي تُطْلُ مِنْ النَّوْرِ
تَتَنَفَّسُ الْهَضْبَاتُ فِي رَأْدِ (١) الضُّحَى
تَبْرَأُ وَفِي الْأَصَالِ مَسْكاً أَذْفَرَا (٢)
فَالسَّحَرُ فِي ضَحْكَ النَّدَى مُتَرْقِراً
كَالسَّحَرِ فِي رَقْصِ الضِّيَاءِ مُعْطِراً
قُلْ لِلْأَلَى وَصَفُوا الْجِنَانَ وَأُطْنَبُوا
لَيْسَتْ جَنَانُ الْخُلْدِ أَعْجَبُ مَنْظَرَا
كُلُّ الْفُصُولِ هُنَا رَبِيعٌ ضَاחٌ
فَإِذَا تَرَى شَهْراً رَأَيْتَ الْأَشْهَرَا
إِنْ كُنْتَ تَجْهَلُ مَا حَكَايَاتُ الْهَوَى
فَانصِتْ لَوْشَوْشَةِ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى
وَانْظُرْ إِلَى الْغَبْرَاءِ تُنَبِّتُ سُنْدساً
وَتَأْمَلُ الْغُدْرَانَ تَجْرِي كَوَثْرَا
وَاشْرَبْ بِعَيْنَيْكَ الْجَمَالَ فَإِنَّهُ
خَمَرٌ بَغِيرِ يَدِ الْهَوَى لَنْ تُعْصَرَا
حَاوَلْتُ وَصْفَ جَمَالِهَا فَكَأَنِّي
وَلَدٌ بِأُتْمَلُهُ يَحُوشُ الْأَبْحَرَا
وَاسْتَنْجَدْتُ رُوحِي الْخِيَالَ فَخَانَنِي
وَكَبَا جَوَادُ فَصَاحَتِي وَتَعَثَّرَا
أَدْرَكْتُ تَقْصِيرِي وَضَعْفِي عِنْدَمَا
أَبْصَرْتُ مَا صَنَعَ الْإِلَهُ وَصَوَّرَا
إِنِّي شَهِدْتُ الْحُسْنَ غَيْرَ مُزَيَّفٍ
بِئْسَ الْجَمَالُ مُزَيِّفاً وَمُزَوَّراً

(١) رَأْدُ الضُّحَى: رَوْنَقُهُ، أَوْ ارْتِفَاعُهُ حِينَ يَغْلُو النَّهَارُ.

(٢) الْأَذْفَرُ: كُلُّ رِيحٍ مَنْتَشِرَةٍ مِنْ طَيِّبٍ أَوْ غَيْرِهِ.

أحببتُ حتى الشُّوك في صحرائها
وعشقتُ حتى نخلها المُتَكبرا
اللابس الورقَ اليبيس تنسُكاً
والمُشْمخر إلى السماء تجبُّرا
هو آدمُ الأشجار أدركهُ الحيا
لما تبدى عُريهِ فتستترا
ابنُ الصَّحارى قد تحضر وارتقى
يا حُسْنَه مُتَبدياً مُتَحضرا
وبدتُ غياضُ البُرتقالِ فأشبهتُ
جلبابَ خُودٍ بالنُّضار^(١) مُزرداً
من فوقها انتشر الضياءُ مُلاءةً
من فوقه جوٌّ صفا وتبلُّورا
وكأنما تلك القصورُ على الرُّبا
عقدُ لغانية هوى وتبعثرا
لما تراءتُ من بعيد خلتُها
سُفُنًا وخلتُ الأرضُ بحراً أخضرا
نَفَضَ الصِّباحُ سناهُ في جُدرانها
وأتى الدُّجى فرأى منائر السُّرى
مُتآلقاتٍ كابتساماتِ الرُّضا
تُنسيكَ رؤيتُها الزمانَ الأعسرا
أنا شاعرٌ ما لاح طيفٌ ملاحه
إلا وهللَ للجِمالِ وكبُّرا
وزَّعتُ نفسي في النفوسِ محبةً
لا شاكياءُ ألماً ولا مُتَضجِرا

(١) الخود. الحسناء الشابة. والنضار: الذهب الخالص.

ومشيتُ في الدنيا بقلبٍ يابسٍ
حتى لقيتُ أحبتي فاخضوضرا
قد كنتُ أحسبُني كياناً ضائعاً
فإذا أنا شخصٌ يعيشُ مكرراً
فكأنني ماءُ الغمامِ إذا انطوى
في الأرضِ ردتُّه نباتاً مُثمراً
ما أكرم الأشجار في هذا الحمى
فيها لقاصدها البشاشةُ والقرى^(١)
تَقري الفقير على خصاصة حاله
كرماً كما تَقري الغنيَّ المُوسرا
البذلُ يَدنُّها، سواءُ جيئَتْها
مُتقدماً أم جيئَتْها مُتأخراً
فكأنَّها منكم تعلُّمتِ الندى
كيما تُغيثُ الناسَ إنْ خطُبُ عرا^(٢)

(١) الإحسان إلى الضيف (قراه - يقره).

(٢) عراه - يعروه: غشيه.

٢٠ - عصر الشبابة

[الكامل]

القصيدة التي ألقاها الشاعر في الحفلة التكريمية التي أقامها له صديقه السيد مالك الدوماني في فندق روزفلت - هوليوود بكاليفورنيا.

يا ليتَما رجع الزمانُ الأولُ
زمنُ الشبابِ الضاحكُ المُتهلّلُ
عهدُ ترحّلتِ البشاشةُ إذ مضى
وأتى الأسى فأقام لا يتّرحّلُ
ولّى الصببا وتبددت أحلامه
أودى به وبها قضاءٌ حوّل^(١)
حصدت أنامله المُنَى فتساقطتْ
صرعى كما حصد السنابلَ منجلُ
فالروحُ قيثارٌ وهتّ وتقطعتْ
أوتارُه، والقلبُ قفّرُ مُمحل
والشيبُ يضحكُ برقه في لمّتي
هذي الضّواحكُ يا فؤادي أنصلُ
أشتاقُ عصرَكَ يا شبّابةً مثالما
يشتاقُ للماءِ النّـميرِ الأيلُ^(٢)
إذ كانت الدنيا بعيني هيكلاً
فيه إلهاتُ الجمالِ تُرتّل

(١) يتحول ويتغير

(٢) ذكر الوعل.

من كلِّ حسناءٍ كأنَّ حديثَها السُّ
سأوى أو الوحي الطُّهورُ المُنزل
وأنا وصحبي لا نفكرُ في غدٍ
فكأنَّ ليس غدٌ ولا مُستقبل!
ناهو ونلعبُ لا نُبالِي ضمنا
كوخُ حقيِرُ أم حوانا منزل
نتوهمُ الدنيا لفرطِ غرورنا
كملتُ بنا وبغيرنا لا تكمل
ونخالُ أن البدر يطلُّ في الدُّجى
كيما يسامرُنا فلا نتمللم
ونظنُّ أنَّ الرُّوض ينشرُ عطره
من أجائنا. ولنا يُغني البُلبُل
فكأنَّما الأزهارُ سَرَبُ كواعبٍ
وكأنَّما هو شاعرٌ يتغزلُ
في كلِّ منظورٍ نراه ملاحه
وسعادةً في كلِّ ما نتخيلُ
لا شيء يُزعجُ في الحياة نفوسنا
لا طارئٌ، لا عارضٌ، لا مُشكل
فكأنَّنا في عالمٍ غيرِ الذي
تتَزاحمُ الأيدي به والأرجلُ
وكأنَّنا رهطُ الكواكبِ في الفضاءِ
مهما جرى في الأرض لا تتزلزل

الناسُ في طَلَبِ المعاشِ وهمُّنا
كأنَّ مُشْعَشَعَهُ وطَرْفُ أَكْحَلِ
كم عَنَّفُونَا في الهوى واسترسلوا
لو أنَّهم عرَفوا الهوى لم يعذُّوا
ولو أنَّهم ذاقُوا كما ذُقْنَا الرُّوى
شَبِعَتْ نفوسُهُمْ وإنَّ لم يأكُلوا
زعموا تَبَذَّلْنَا ولم يتَبَذَّلُوا
إنَّ الحَقِيقَةَ: كُنَّا مُتَبَذَّلًا!
حُرِّمُوا لَذَاذَاتِ الهُيَامِ وفَاتَنَا
دَرْكُ الحُطَامِ، فأَيُّنا هو أَجْهَلُ؟
إني تَأْمَلْتُ الأَنَامَ فَرَاعَنِي
كيفَ الحَيَاةُ بِهِم تَجِدُّ وتهزِلُ
لا يضبطونَ مع الصُّروفِ قِيَادَهُمْ
إلا كما ضَبَطَ المِيَاهَ المُنْخُلُ
بينا الفتى ملءُ النواظرِ والنُّهى
فإذا به رَقْمٌ خَفِيٌّ مُهْمَلُ
يا صاحبي والعمرُ ظلُّ زائلُ
إن كنت تَأْمَلُ فيه أو لا تَأْمَلُ
الذِّكْرُ أَثْمَنُ ما اقْتَنَيْتَ وتَقْتَنِي
والحُبُّ أَنَفْسُ ما بَذَلْتَ وتَبَذَّلُ
قيل: اغْتَنَى زَيْدٌ، فَلَيْتَكَ مِثْلَهُ
أنا مِثْلُهُ، إن لم أَقُلْ: أنا أَفْضَلُ!
الشَّمْسُ لي وله، ولألاءِ الضُّحَى
والنِّيرَاتُ، ومِثْلُنا المُتَسَوِّلُ

أما النُّضارُ فإنه يا صاحبي
عرضُ يزولُ وساعةٌ تتنقّلُ
ما دُمْتُ في صحبي ودامَ وفاؤهم
فأنا الغنيُّ الحقُّ لا المُتموّلُ
أنا لستُ أعدلُ بالناجمِ واحداً
وأبيعُ من عقّلوها بما لا يعقل

٢١ - عطش الأرواح

[الرمل]

زَحَزَحْتُ عَنْ صَدْرِهَا الْغَيْمَ السَّمَاءِ
وَأَطْلَّ النُّورُ مِنْ كَهْفِ الشُّتَاءِ
فَالرَّوَابِي حُلٌّ مِنْ سُنْدُسٍ
وَالسَّوَاقي ثَرَثَرَاتٌ وَغَنَاءُ
رَجَعَ الصَّيْفُ ابْتِسَاماً وَشَذَا
فَمَتَى يَرْجِعُ لِلدُّنْيَا الصَّفَاءُ
فَأَرَى الْفَرْدُوسَ فِي كُلِّ حَمَى
وَأَرَى النَّاسَ جَمِيعاً سُعْدَاءُ
زَالَتِ الْحَرْبُ وَوَلَّتْ إِنَّمَا
لَيْسَ لِلذَّعْرِ مِنَ الْحَرْبِ انْقِضَاءُ
إِنْ صَحَوْنَا فَأَحَادِيثُ الْوَعَى
فِي الْحَمَى الْأَهْلِ وَالْأَرْضِ الْعَرَاءِ
وَإِذَا نَمَنَّا تَرَاءَتْ فِي الْكَرَى
صُورُ الْهَوْلِ وَأَشْبَاحُ الْفَنَاءِ
فَهِيَ فِي الْأَوْرَاقِ حَبْرُ هَائِجٍ
وَعَلَى «الرَّادِيو» فَحِيجُ الْكَهْرِبَاءِ
نَتَّقِي فِي يَوْمِنَا شَرَّ غَدٍ
وَإِذَا الصُّبْحُ انْطَوَى خَفْنَا الْمَسَاءَ
عَجَباً! وَالْحَرْبُ بَابٌ لِرَدَى

(١) عفا المنزل: درس.

وطريقُ الدمارِ وعَفَاء^(١)
كيف يهواها بنو الناس، فهل
كَرِهوا في هذه الدنيا البقاء؟
إن يَكُنَّ عِلْمُ الوردِ يُشْقِيهِمْ
يا إلهي ردُّ للناسِ الغَباءَ
وليَجِئْ طُوفانُ نُوحٍ قَبالَما
تَغرقُ الأرضُ بطُوفانِ الدماءِ
واعصِمِ الأسرارَ واحجُبْ كُنْهَها
عن نوي العلمِ وأربابِ الذُكاءِ
فلقد أَكثرت أسبابُ الأذى
عندما أَكثرت فينا العُلَماءُ
كم وجدنا أَفَّةً مُهاكَّةً
كأَما زَحَزَحْتَ عن سرِّ غطاءِ
قد تَرَقَّى الخَلْقُ لَكن لم تَزَلْ
شَرَعَةُ الغابَةِ شرعَ الأقوياءِ
حُرْمُ القَتْلِ، ولكن عندهم
أَهونُ الأشياءِ قَتْلُ الضُّعفاءِ
لا تَقُلْ لي هَكَذا اللهُ قَضَى
أنت لا تَعْرِفُ أسرارَ القضاةِ
جاغني بالماءِ أروي ظَمئي
صاحبُ لي من صاحبي الأوفياءِ
يا صديقي! جَنِّبِ الماءَ فَمي
عَطَشُ الأرواحِ لا يُروى بماءِ
أنا لا أَشتاقُ كاساتِ الطَّلَا
لا ولا أَطْلُبُ مَجْداً أو ثِراءَ
إنما شوقي إلى دنيا رِضا

وإلى عـصـرِ سـلامٍ وإخـاء
لا تـعـدّني بالسُّمـا يا صـاحـبي
السُّمـا عـنـدي قـربُ الأـصـدقـاء
وأراني الآن في أكـنـافـهـم
فأنا الآن كـأني في السُّمـاء!

٢٢ - بلادي

[الكامل]

إنِّي مررتُ على الرياضِ الحَالِيَةِ
وسمعتُ أنغامَ الطيُورِ الشَّادِيَةِ
فطربتُ، لكن لم يُحِبُّ فؤاديه
كطيورِ أرضي أو زهورِ بلادي
~~~~~

وشربتُ ماءَ النِّيلِ شيخِ الأنهرِ  
فكأنني قد نَقَتُ ماءَ الكوثرِ  
نهرُ تباركٍ من قديمِ الأعصرِ  
عذبٌ، ولكن لا كماءِ بلادي  
~~~~~

وقرأتُ أوصافَ المروءةِ في السيرِ
فظننتُها شيئاً تلاشى واندثر
أو إنها كالغُولِ ليس لها أثر^(١)
فإذا المروءةُ في رجالِ بلادي
~~~~~

ورسمتُ يوماً صورةً في خاطري  
لِحُسْنٍ، إن الحسنَ ربُّ الشعاعِ  
وذهبتُ أنشدها فأعيا خاطري  
حتى نظرتُ إلى بناتِ بلادي  
~~~~~

(١) إشارة إلى كونه من السُّعالي المتخيلة (توصف بالخبت والسلطة).

قالوا أليس الحُسْنُ في كلِّ الدُّنْيا
فعلام لم تَمْدَحْ سِوَاهَا مَوْطِنَا
فأجبتهم: إني أُحِبُّ الْأَحْسَنَا
أَبَدًا، وَأَحْسَنُ مَا رَأَيْتُ بِلَادِي

قالوا: رأيناها فلم نر طيبا
ولّى صباها والجمالُ مع الصِّبَا
فأجبتهم: لتكن بلادي سببًا
قَفَرًا، فَلَسْتُ أُحِبُّ غَيْرَ بِلَادِي

قالوا: تَأْمَلُ أَيَّ حَالٍ حَالَهَا
صَدَعَ الْقَضَاءُ صُرُوحَهَا فَأَمَالَهَا
سَتَمُوتُ.. إِنْ الدَّهْرُ شَاءَ زَوَالَهَا
أَتَمُوتُ؟ كَلَّا لَنْ تَمُوتَ بِلَادِي

هي كالغديرِ إذا أتى فصلُ الشِّتَا
فَقَدَ الْخَرِيرَ وَصَارَ يَحْكِي الْمِيَّتَا
أو كَالْهَزَارِ حَبْسَتَهُ.. لَكِنْ مَتَى
يَعُدُّ الرِّيعُ يَعُدُّ إِلَى الْإِنْشَادِ

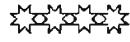
الْكُوكَبُ الْوَضَاحُ يَبْقَى كُوكَبَا
وَلَنْ تَسْتُرَ بِالْدُّجَى وَتَنْقُبَا
ليس الضُّبَابُ بِسَالِبِ حُسْنِ الرُّبَا
وَالْبُؤْسُ لَا يَمْحُو جَمَالَ بِلَادِي

لا عزَّ إلا بالشبابِ الرّاقِي
النّاهضِ العِزَماتِ والأخلاقِ
الثّائِرِ المتفجّرِ الدّفّاقِ
لولاهُ لم تشمخْ جبالُ بلادِي

٢٣ - روعة العيد

[البسيط]

يا شاعر الحُسْنِ هذي روعة العيد
فاستنجد الوحي واهتف بالأنشيد
هذا النعيم الذي قد كنت تَنشدهُ
لا تله عنه بشيءٍ غير موجود
محاسن الصَّيف في سهل وفي جبل
ونشوة الصَّيف حتى في الجلاميد
ولست تُبصرُ وجهاً غير مُؤتلقٍ
ولست تسمعُ إلا صوت غرَّيد
قُم حدثِ الناس عن لبنان كيف نجا
من الطغاة العُتاة البيض والسُّود
وكيف هشتُ دمشق بعد محنتها
واسترجعت كلَّ مسلوبٍ ومفقود



فاليوم لا أجنبي يستبدُّ بنا
ويستخفُّ بنا استخفاف عرَّيد
يا أرز صفَّق، ويا أبناءه ابتهجوا
قد أصبح السُّربُ في أمْنٍ من السيد^(١)
ما بلبلُ كان مسجوناً فأطلقه
سجَّانه، بعد تعذيبٍ وتنكيد

(١) النذب.

فراح يطوي الفضاءَ الرحبَ منطلقاً
إلى الربِّ والسُّواقِي والأَمْالِيد^(١)
إلى المروجِ يُصَلِّي في مسارجِها
إلى الكُرومِ يُغَنِّي للعناقيد
منِّي بأسعدِ نفْساً قد نزلتُ على
قومي الصَّنَديدِ أبناءِ الصَّنَديد^(٢)
سماءُ لبنانَ بِشُرِّ في ملامحهم
وفجره في ثغور الخُرْدِ الغيد^(٣)
إنْ تسكنوا الطُّودَ صارَ الطُّودُ قِبَلَتَنَا
أو تهبطوا البِيدَ لم نعشقْ سوى البِيد

(١) الأملود من النساء: الناعمة المستوية القائمة.

(٢) الصنديد: السيد الشجاع.

(٣) الخريدة: الحسناء الشابة

٢٤ - يا أنشودتي انطلقى

[البسيط]

أنشودةً في ضميري كم أوارىها
وما شَفائي إلا أن أغْنِيها
ولّى الشتاءً ونفسي في كآبتها
واستضحك الصيفُ إلا في نواحيها
كانها زهرةٌ في الظلّ نابتةٌ
لا نور يغمُرُها، لا ماءً يسقيها
كانّها الحربُ في قلبي زلازلها
وبعضُ أهلي أقوامٌ تُعانيها
حكايةٌ أثقلنى حين اسمعُها
ويأكلُ الحُزنُ قلبي حين أرويها
وارحمتهاه لأوربّا فما فتكتُ
أفعى بأفعى كأهلها بأهلها
لم يبقَ غيرُ الضُّواري في خلائقها
ومن حُضارتها إلا مخازيها
كانت تُعدُّ الدَّواهي في مصانعها
لغيرها، فأصابَتْها دواهيها
وكلُّ طابخٍ سُمٍّ سوف يأكُلُه
وكلُّ حافرٍ بئرٍ واقعٌ فيها
لو دام إيمانُها لم تنطلقْ سقرُ
بدورها، والأفاعى في مغانيها

لكنْ أَكَبَّتْ عَلَى الْأَلَاتِ تَعْبُدُهَا
وَتَسْتَعِينُ بِهَا مِنْ دُونِ بَارِيهَا
فَصَارَ مَالُهَا عِبْدًا لِسُلْطَتِهَا
وصَارَ كُلُّ ضَعِيفٍ مِنْ أَصَاحِيهَا
وصَارَ إِنْسَانُهَا لِلْحَلْبِ أَوْنَةً
والذَّبْحِ، مِثْلَ الْمَوَاشِي فِي مِرَاعِيهَا
يَا نَفْسُ سَرِّي^(١)، وَيَا أَنْشُودَتِي انْطَلِقِي
مِنْ عَالَمِ الصَّمْتِ، إِنَّ الصَّمْتَ يُؤْذِيهَا
أَيْشَرِقُ الْأَفْقُ لَمْ يُطْلِعْ كَوَاكِبَهُ
وَتَجْمَلُ الْأَرْضُ لَمْ تُخْرِجْ أَقَاحِيهَا
الْيَوْمَ يَوْمُ الْقَوَافِي تَهْتَفِينَ بِهَا
لَا يَشْرَبُ النَّاسُ خَمْرًا لَمْ تَصُبِّيَهَا
هَذَا هُوَ الْعِيدُ قَدْ لَاحَتْ مَوَاكِبُهُ
يَا قَلْبُ هَلْ لَهَا، يَا شَعْرُ حَيَّهَا

(١) سَرِّي عَنْكَ.

٢٥ - في قلبك الله

[البسيط]

مرّت ليالٍ وقلبي حائرٌ قلقٌ
كالقُلُوك في النّهر هاج النّوء مجراه
أو كالمسافر في قفرٍ على ظمأ
أضنى المسير مطاياهُ وأضناه
لا أدرك الأمر، أهواه وأطلبه
وأبلغ الأمر، نفسي ليس تهواه!
عجبتُ من قائلٍ: إني نسييتكم،
من كان في القلب كيف القلب ينساه؟
إن كنتُ بالأمس لم أهبطُ مرابعكم
فالطيرُ يقعدُ موثوقاً جناحاه
فلا يُقرّبه شوقٌ إلى نهرٍ
وليس تنقله في الرّوض عيناها
وليس يشكو ولا يبكي مخافةً أن
تؤذي مسامع من يهوى شكّاواه
إني لأعجبُ منّا كيف تخذعنا
عن الحقائق أمثالُ وأشباه
إذا بنى رجلٌ قصرًا وزخرفه
سُقنا إليه التّهاني وامتدحناه
وما بنى قصره إلا ليحجب عن
أبصارنا في زواياه خطاياها

ونمدحُ المرءَ من خَزٍّ مَلايسُهُ
وذلك الخَزُّ لم تنسُجْهُ كَفْأه
وإنَّ أتاناً أخو مالٍ يَكْأثرُنا
بالتُّبْرِ تِيهاً رَجوناً وخَفْناهُ
وقد يكونُ نُضارُ في خَزائِنه
دماً سَفْكَناهُ أو جُهداً بَذَلناهُ
لَا تحسِبِ المجدَ ما عَيْنُكَ أبْصرتَا
أو ما مَلَكْتَ هو السُلطانُ والجاهُ
المالُ مولاكَ ما أَمْسَكْتَهُ طَمَعاً
فانفَقَهُ في الخَيْرِ تُصبحُ أنتَ مولاهُ
ما دامَ قَلْبُكَ فيه رَحْمَةً لَأَخٍ
عَانٍ، فَأَنْتَ امرؤٌ في قَلْبِكَ الله

٢٦ - الرأي الصواب

[الكامل]

يا نفسُ هذا منزلُ الأحبابِ
فأنسي عذابك في النوى وعذابي
وتهللي كالفجر في هذا الحمى
وتألقي كالخمر في الأكواب
ولتمسحِ البشري دموعك مثلما
يمحو الصباحُ ندى عن الأعشاب
واسترجعي عهد البشاشة والرضا
فالدهرُ عاد تضاحكاً وتصابي
أنا بين أصحابي الذين أحبهم
ما أجمل الدنيا مع الأصحاب!
قد كنتُ مثلَ الطائر المحبوس في
قَفَصٍ، ومثلَ النجم خلف ضباب
يمتدُّ في جُـنح الظلام تأوهُي
ويطولُ في أُنْـزُ الزمان عتابي
وأهزُّ أقلامي فتشرعُ حدةً
وأسى، ويندى بالدموع كتابي
حتى لقيتُكم فبتُّ كأنني
لمسرتي، استرجعتُ عصر شبابي
ليس التعبدُ أن تبیت على الطوى
وتروح في خرَقٍ من الأثواب

لكنه إنقاذُ نفسٍ معدَّبٍ
من ربقةِ الآلام والأوصاب^(١)
ليس التعبُّدُ عزلةً وتنسُّكاً
في الدير، أو في القفر، أو في الغاب
لكنه ضبطُ الهوى في عالمٍ
فيه الغوايةُ جمَّةُ الأسباب
وحبائلُ الشيطانِ في جنباته
والمالُ فيه أعظمُ الأرباب
هذا هو الرأي الصَّوابُ وغيره
مهما حلا للناس، غيرُ صواب

(١) الوصب: الوجع والمرض (وصب - يوصب وصباً).

٢٧. ليس السرف في السّنوات

[الكامل]

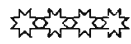
قُلْ للذي أحصى السنين مُفَاخِراً
يا صاحِ ليس السرف في السّنوات
لكنه في المرء كيف يعيشُها
في يقظة أم في عميقِ سُبات
فَمُ عُدَّ آلاف السنين على الحِصَا
أَتَعُدُّ شِبْهَ فضيلة لحِصَاة؟
خيرُ من الفلوات لا حدُّ لها
روضٌ أغنُّ يُقاسُ بالخطوات
كنْ زهرةً أو نغمةً في زهرة
فالجدُّ للأزهار والنغمات
تمشي الشُّهورُ على الورود ضحوةً
وتنامُ في الأشواك مكتئبات
وتموتُ ذي العُقْم قبل مماتها
وتعيشُ تلك الدهر في ساعات
تُحصى على أهل الحياة بقائِقُ
والدهرُ لا يُحصى على الأموات
العمرُ - إلا بالآثر - فارغُ
كالبيت مهجوراً وكالمومة^(١)
جعلَ السنين مجيدةً وجميلةً
ما في مطاويها من الحسنات

(١) المفازة الواسعة التي لا ماء فيها ولا أنيس.

٢٨ - إِلَيْكَ عَنِّي^(١)

[الكامل]

كم تستثيرُ بي الصَّبَابَةَ والهوى
عَنِّي إِلَيْكَ، فَإِنَّ قَلْبِي مِنْ حَجَرٍ
مَا لِي وَلِلْحَسَنَاءِ أُغْرِي مُهْجَتِي
بِوَصَالِهَا، وَالشَّيْبُ قَدْ وَخَطَ الشَّعْرَ
كَمْ «بِالْجَزِيرَةِ» لَوْ يَتَّحُ لِي الْهَوَى
مِنْ غَادَةٍ تَحْكِي بِطَلْعَتِهَا الْقَمَرَ
وَلَكَمْ بِهَا مِنْ جِدُولٍ وَحَدِيقَةٍ
مِنْ صُنْعَةِ الرَّحْمَنِ لَا صُنْعَ الْبَشَرِ
فِيهَا الْلَوَاتِي إِنْ رَمَتْ أَلْحَاطُهَا
شَلَّتْ يَدَ الرَّأْمِيِّ وَقَطَّعَتْ الْوَتَرَ^(٢)
قَدْ كَانَ لِي فِي كُلِّ خَوْذٍ مَطْمَعُ
وَلِكُلِّ رَائِعَةٍ الْمَحَاسَنِ بِي وَتَرَ^(٣)
أَيَّامُ شَعْرِي كَالدَّجَى مُحْلُولُكَ
أَيَّامُ عَيْشِي لَا يُخَالِطُهُ كَدَرُ



ذَرْنِي وَأَشْجَانِي، وَجَسْمِي، وَالضُّنَى
وَيْدِي، وَأَقْلَامِي، وَطَرْفِي، وَالسَّهْرُ

(١) النص مجتزأ من نص طويل موجه إلى (شكري أبي صالح). انظر في شعر الشاعر (خارج النواوين)، النص رقم (٢) وانظر ما قلنا فيه.

(٢) واحد من أوتار القوس.

(٣) يعني هنا وترًا من أوتار العود.

أَبَيْتُ الْهُوَ وَالْهُمُومُ تُحِيطُ بِي
وَأَنَامُ عَنْ قَوْمِي، وَقَوْمِي فِي خَطَرٍ!
صَوْتُ الْمَصْفُوقِ مُوعِدٌ مَا بَيْنَنَا
مَاذَا أَقُولُ لَهُمْ، إِذَا الدِّيكُ اسْتَحَرَ؟^(١)

(١) استحر الطائر: غرّد بسحر، يعني: الدعوة إلى النهوض.

٢٩ - دودة وببل

[الخفيف]

نَخَلْتُ دودَةً تَدِبُّ عَلَى الْأَرْضِ
ضِ إِلَى بُلْبُلٍ يَطِيرُ وَيَصْدَحُ
فَمَضَتْ تَشْتَكِي إِلَى الْوَرَقِ السَّائِ
قُطْفِي الْحَقْل: أَنَّهَا لَمْ تُجْنَحْ
فَأَتَتْ نَمْلَهُ إِلَيْهَا وَقَالَتْ
اقْنَعِي وَاسْكُتِي فَمَا لَكَ أَصْلَحَ
مَا تَمَنَّيْتُ إِذْ تَمَنَّيْتُ إِلَّا
أَنْ تَصِيرِي طَيْرًا يُصَادُ وَيُذْبَحُ
فَالزَّمِي الْأَرْضَ فَهِيَ أَحْنَى عَلَى النُّورِ
دَوْخَلِي الْكَلَامَ فَالْصَّمْتُ أَرِيحُ

٣٠ - هدية العيد

[الخفيف]

أي شيء في العيد أهدي إليك
يا ملاكي، وكل شيء لـديك
أسواراً؟ أم دُمْلُجاً من نُضَارٍ؟^(١)
لا أحب القيود في معصميك
أم خُموراً؟ وليس في الأرض خمر
كالتي تسكين من لحظيك
أم وروداً؟ والورد أجملهُ عند
سدي الذي قد نشقت من خديك
أم عقيقاً كم هجتي يتأخى؟
والنقيق الثمين في شفقتك
ليس عندي شيء أعز من الروح
وروحى مرهونهُ في يديك

(١) الدُمْلُج والدملوج: السوار من الحلي، ويغطي العضد. والنضار: الذهب الخالص.

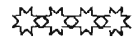
٣١ - إن الحياة قصيدة!

ما للقبور كأنما لا ساكنُ
فيها وقد حوت العُصور الماضيه
طوت الملايين الكثيرة قبائنا
ولسوف تطويننا وتبقى خاليه
أين المها وعيونها وفتونها
أين الجبابر والملوك العاتيه
زالوا من الدنيا كأن لم يولدوا
سحقَتْهُمْ كَفُّ الْقِضَاءِ الْقَاسِيه
إنَّ الحَيَاةَ قَصِيدَةٌ أَعْمَارُنَا
أَبْيَاتُهَا، وَالْمَوْتُ فِيهَا الْقَافِيه
مَتَّعْ لِحَاظَكَ فِي النُّجُومِ وَحُسْنِهَا
فلسوف تمضي والكواكبُ باقيه

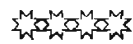
٣٢ - ليالي بوسطن

[الرمل]

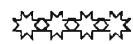
إِنَّ أَغْبَ يَا صَحْبُ عَنْ ذَاكَ الْحَمَى
لَمْ أزلْ مَعَكُمْ كَمَا أَنْتُمْ مَعِي
فَإِذَا الْأَنْجُمُ شَعَّتْ فِي السَّمَاءِ
قُلْتُ هَذَا أَنْتُمْ فِي مَجْمَعٍ
وَإِذَا الشَّادِي بِأَحْنٍ رَنَّمَا
خَلَّتْهُ أَصْوَاتُكُمْ فِي مَسْمَعِي



أَهْ لَوْ يُغْنِي خَيَالُ عَنْ عِيَانِ
كَانَ كَالْمَنْهَلِ، رَسْمُ الْمَنْهَلِ
وَلِعَاشِ الْمَرْءِ فِي دُنْيَا الْأُمَانِي
يَقْطَعُ الدُّنْيَا وَلَمْ يَنْتَقِلْ
وَسَأَوْنَا عَنْ مَكَانٍ بِمَكَانٍ
وَلَاغْنَى نَى أَخْرُرُ عَنْ أَوَّلِ

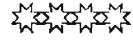


وَلَنَابَتْ عَنْ نَجُومٍ نَيْرَاتٍ
صُورٌ مَطْبُوعَةٌ فِي الْوَرَقِ
وَإِكْتَفَيْنَا بِخَرِيرِ السَّاقِيَاتِ
فِي الدُّجَى عَنْ مَائِهَا الْمُنْدَفِقِ



يَا لِيَالِي « بَوْسَطُنْ » هَلْ تَرْجَعِينَ
فَأَرَى صَحْبِي الْكَرَامَ الْبَرَّةَ

ويزولُّ الهمُّ عن قلبي الحزينِ
بالوجوه المشرقاتِ النَّضرةِ
إنه يسألُني في كلِّ حينٍ:
أين تلك الجنَّةُ المختصرة؟



ذهبتُ يا قلبُ إلا ذكرياتُ
كبروقِ ضحككِ في الغسقِ^(١)
تأنسُ العينُ بها في الظُّلماتِ
وهي تَفنِّي في رحابِ الأفقِ
يا ليالي بوسطُنْ ليلِ الحياةِ
عدلتُ فينا فلم نَفْتَرِقِ



(١) الغسق. أول ظلمة الليل.

٣٣ - صوت من سوريا

[مجزوء الرمل]

صوتُ سوريا الجميلة
صوتُك العذبِ الرخيم
ضاحكٌ مثلَ الخميَّة
لاعبٌ مثلَ النِّسيم

يا أخا الورقاء^(١) غن
فالغنا شعرُ السماء
فهو في الغُصنِ تَنَنٌ
وهو في النِّجم بهاء

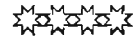
صوتُ سوريا الجميلة
صوتُك العذبِ الرخيم
ضاحكٌ مثلَ الخميَّة
لاعبٌ مثلَ النِّسيم

غَنُّنا حتى نَمِيلاً
مثلَ أغصانِ الأراك^(٢)
كم بِنا صَبَّأً عَالِيلاً
لا يداويه سداوك

(١) الحمامة في لونها بياض وسواد.

(٢) شجر أغصانه طيبة الرائحة، يُتخذ منها السواك.

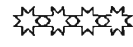
صَوْتُ سَوْرِيَا الْجَمِيلَةِ
صَوْتُكَ الْعَذْبُ الرَّخِيمِ
ضَاحِكُ مِثْلِ الْخَمِيلَةِ
لَاعِبُ مِثْلِ النَّسِيمِ



أَيُّهَا الْمَحْزُونُ هَيَّا
وَاسْمِعِ الْيَوْمَ الْكَنَّارَ^(١)
سَاجِدًا سَاجِدًا شَجِيًّا
ذَاكَ رَأَى تِلْكَ الْبَدِيَّارَ



صَوْتُ سَوْرِيَا الْجَمِيلَةِ
صَوْتُكَ الْعَذْبُ الرَّخِيمِ
ضَاحِكُ مِثْلِ الْخَمِيلَةِ
لَاعِبُ مِثْلِ النَّسِيمِ



لِيَتَنَا كُنَّا طَيُورًا
حَوْلَ عَيْنٍ أَوْ غَدِيرٍ
نَرَشْفُ الْمَاءَ نَمِيرًا^(٢)
نَلْقُطُ الْحَبَّ النَثِيرَ



صَوْتُ سَوْرِيَا الْجَمِيلَةِ
صَوْتُكَ الْعَذْبُ الرَّخِيمِ

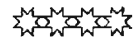
(١) الكتاري طائر حسن الصوت، منسوب إلى جزر الكناري الإسبانية في المحيط الأطلسي.

(٢) الماء النмир. الماء الناجع.

ضاحكٌ مثلَ الخَمِيلِ
لاعبٌ مثلَ النَّسيمِ



موطنُ نهوى سُهولةٍ
مثالُ ما نهوى رُباهُ
الصَّبابةُ فيه عَالِيَةٌ
تَدَاوَى بِنداهِ



كم بدا البدرُ ضحوكاً
راقصاً فوق الكرومِ
واسْتَوَى الليلُ ما يَكَا
لابساً تاج النُّجومِ
صوتُ سوريا الجميلةِ
صوتُكَ العذبُ الرخيمِ
ضاحكٌ مثلَ الخَمِيلِ
لاعبٌ مثلَ النَّسيمِ



٣٤ - حكمة المتنبي

[الطويل]

جلستُ أناجي روح أحمد في الدُّجى
وللهم حولي كالظلام سُدُولُ
أفكر في الدنيا وأبحث في الورى
وعيني ما بين النجوم تَجُولُ
طويلاً، إلى أن نال من خاطري الونى^(١)
ورآن على طَرْفي الكليلِ ذُبُولُ
فأطرقتُ أمشي في سطورِ كتابه
بطرفي، فالفيتُ السطور تقول
« سوى وجع الحُسَّادِ داوٍ فإنه
إذا حلَّ في قلبٍ فليس يحولُ »
« فلا تطمعن من حاسدٍ في مودةٍ
وإن كنت تُبديها له وتُنيلُ »

(١) الضعف والفتور والإعياء.

٣٥ - أنفُسُ العُشَّاقِ

[مجزوء الكامل]

بِالْأَمْسِ بِأَدْرَنِي صَدِيقُ حَائِرٍ يُسْتَفْهِمُ
أَجْهَنَّمُ نَارُ، كَمَا زَعَمَ الْهُدَاةُ وَعَلَّمُوا؟
أَمْ زَمْهَرِيرُ قَارِسٍ قَاسٍ وَكَوْنُ مُظْلَمٍ؟
فَأَجَبَتْهُ: مَا الزَّمْهَرِيرُ وَمَا اللَّظَى الْمُتَضَرِّمُ
بِجَهَنَّمِ..! لَكُنَّمَا أَلَا تُحِبُّ: جَهَنَّمُ
يَا صَاحِبِي إِنَّ الْخَوَاءَ هُوَ الْعَذَابُ الْأَعْظَمُ
الْقَلْبُ، إِلَّا بِالْحُبِّ، مِنْزَلُ مُتَرَدِّمٍ^(١)
هِيَ لِلْجَرَّاحَةِ مَرْهَمٌ، هِيَ لِلْسَّعَادَةِ سُلَّمٌ
هِيَ فِي النُّجُومِ تَالِقٌ، هِيَ فِي الْحَيَاةِ تَرْنَمٌ
هِيَ أَنْفُسُ الْعُشَّاقِ فِي غَسَقٍ^(٢) الدُّجَى تَتَبَسَّمُ

(١) منهدم (يملؤه الردم).

٣٦. رُوحِي فِدَاكَ

[الكامل]

لَمَّا رَأَيْتُ الْوَرْدَ فِي خَدِّكَ
وَشَقَائِقَ النُّعْمَانِ فِي شَفَتِكَ
وَعَلَى جَبِينِكَ مِثْلُ قَطْرَاتِ النَّدَى
وَالنُّرْجَسُ الْوَسْنَانُ فِي عَيْنِكَ
وَنَشَقْتُ مِنْ فَوْدِكَ^(١) نَدَاءً عَاطِراً
لَمَّا مَشَيْتُ كَفَّاكَ فِي فَوْدِكَ
وَرَأَيْتُ رَأْسَكَ بِالْأَقْحَاحِ مُتَوَّجاً
وَالْقُلُ طَاقَاتٍ عَلَى نَهْدِكَ
وَسَمِعْتُ حَوْلَكَ هَمْسَ نَسَمَاتِ الصَّبَا
عِنْدَ الصَّبَاحِ، تَهَزُّ مِنْ عَطْفِكَ^(٢)
أَيَقَنْتُ أَنَّكَ جَنَّةٌ خَالِبَةٌ
فَحَنَنْتُ مِنْ بَعْدِ الْمَشْيِ إِلَى
وَلِذَاكَ قَدْ صَيَّرْتُ قَلْبِي نَحْلَةً
يَا جَنَّتِي، حَتَّى يَحُومَ عَلَيْكَ
رُوحِي فِدَاؤُكَ إِنَّهَا لَوَلَمْ تَكُنْ
فِي رَاحَتِكَ، هَوَتْ عَلَى قَدَمَيْكَ..

(١) جانباً الرأس.

(٢) العطفان: الجانبان عن يمين وشمال.

٣٧ - لو

[السريع]

لو أنني يا هندُ بدرُ السَّما
نزلتُ من أفقي إلى مخدع^(١)
وصرتُ عقداً لك أو خاتماً
في جيدك النَّاصعِ أو إصبعك
أو بابلَ الروضِ ما لذلي
الإنشادُ إنَّ لم يكنْ في مسمعك
ولو أكونُ الأرجَ الذَّاكي
لما هجرتُ الروضَ لولاك
وما حواني غيرُ مغناك
ولم أفحَ حتى تكوني معي



فيك وفي الوردة سرُّ الصِّبا
وفي الصِّبا سرُّ الهوى والجمال
فإنَّ تريّني واجماً باهتاً
حيالها أخشى عليها الزَّوال
فإنَّني شاهدتُ طيفَ الرُّدى
ينسلُّ كالسَّارقِ بين الظُّلال

(١) المخدعُ: الحجرة في البيت.

ولاح لي في الورق النّامي
منطرحاً في الأرض قُدّامي
أشباح أمالي وأحلامي
أحلام من؟ أحلام مُضُنّاك

٣٨ - مقلتان

[السريع]

رأيتُ في عينيك سحر الهوى
مُندفقاً كالنُّورِ من نجمتين
فبِتُّ لا أقوى على دفعه
من ردِّ عنه عارضاً^(١) باليدين؟
يا جنَّةَ الحبِّ ودنيا المُنَى
ما خلَّتني ألقاك في مُقَاتين

٣٩ - فردوسي

بنيتُ فردوسي وزخرفته
حتى إذا تمَّ ضيِّعته
أجريتُ في أنهاره كوثرأ
فذاقه الناسُ وما ذُقته

(١) العارض هنا: ما يعترض المقدم على الأمر.

٤٠ - ثقیل

[الخفیف]

وثقیلِ كأنه برُدُّ کَانُو
نَ قَلیلِ الحیاءِ جم الکلام
لیس یدری بآنه لیس یدری
إنَّ بعض الأنعام کالأنعام
یتمنی یا بُعد ما یتمنی
لو جری ذکره علی الأقالم
والذی أطمع اللئیم وأغرا
هُ بسبِّ الکرام حلمُ الکرام
والذی صیرَ الکریم حلیماً
کُرههُ أن یُعدَّ صنو الطَّغَام^(١)
منع البوم أن یُصاد ویُرمى
کوْنُهُ غیر صالحٍ للطعام!

(١) أوغاد الناس.

٤١ - وداع

[الكامل]

ذهب الربيعُ ففي الخُمائلِ وحُشَّةُ
مثلُ الكآبةِ من فراقكَ فينا
لو دُمتَ لم تحزنَ عليه قلوبُنا
ولئن أضغنا الورد والنَّسرينا
فلقد وجدنا في خالك زهره أَلْ
مُفتر والماء الذي يروينا
ونسيمه السَّاري كَأَنفاسِ الرضا
وشعاعه يغشى المروج فُتونا
حُزت المحاسن في الربيع وفُتته
إذ ليس عندك عوسج^(١) يُدَمِينا



يا أشهراً مرَّتْ سراعاً كالْمُنَى
لو أستطيعُ جعلتكُ سَنيِنَا
وأمرتُ أن يقف الزمانُ عن السُّرى
كيلا نمر بساعة تُبَكِّينَا
ونمدَّ أيدينا فترجع لم تُصِبْ
وتعود فوق قلوبنا أيدينا
خوفاً عليها أن تساقط حُسرَةً
أو أن تَفِيضَ لواعجاً وشُجُونَا

(١) شجر من شجر الشوك (المفرد عوسجة).

قد كنتُ خلتُ الدهرَ حطْمَ قوسه
حتى رأيتُ سهامهُ تُصمينا
فكانتُ ما قد ساءَ وأمضه
أنا تمَّعنا بقربك حينا

٤٢ - تحية الشاعر

[الرمل]

قالها في بعض الشعراء وأهل الفكر في الوطن والمهجر «في يوبيل شكيب أرسلان»

امنحيني يا نجوم الألقا
وهبيني يا زهور العبقا
أبعث الشعير إلى الدنيا هوى
وضياءً وغناءً شيقا
فإذا خامر نفساً طربت
وإذا لامس قلباً خفقا
وإذا يتلى لمشتاق سلا
وإذا يروى لبك صفا
فمن الشعير لقوم حكمة
ومن الشعير لأقوام رقى^(١)
أنا لا أستعذب الشعير إذا
لم أجده روضة أو أفقا



حبذا ليالتنا من ليالة
يكرم الأحرار حراً لبقا
شاعر ما إن جرى في حلبة
أبدأ إلا وكان الأسبقا
كاتب لا بل سحاب هتن^(٢)
كم روى الأرواح خمراً وسقى!

(١) الرقية: العوذة.

(٢) هتن المطر. هطل.

قُلْ لِمَن حَاولَ أَنْ يُلْحِقَهُ
 إِنَّ هَذَا عَارِضٌ^(١) لَن يُلْحِقَا
 قَلَمُ يَهْمِي عَلَى أُمَّتِهِ
 رَحْمَةً إِذْ تُمَطِّرُ الدُّنْيَا شَقًّا
 وَإِذَا مَا أُودِيَتْ أَوْ ظُلِمَتْ
 أَمْطَرَ الدُّنْيَا شُؤْظًا^(٢) مُحَرِّقًا
 وَدُوتَ زَعَقَاتُهُ كَابِنِ الشَّرَى
 رِيحٌ فِي عَرِيْسِهِ أَوْ ضَوِيْقًا^(٣)
 هَوَالِحُ إِلَى أَنْ يَنْجَلِي
 وَعَلَى الْبَاطِلِ حَتَّى يُزْهَقَا
 أَنْفَقَ الْعُمَرُ عَلَى خِدْمَتِهَا
 أَهْ مَا أَغْلَى الَّذِي قَدْ أَنْفَقَا!
 قُلْ لِمَن أَرْجَفَ كِي يُقْلِقَهُ
 فِي حِمَاهُ: إِنَّهُ لَن يُقْلِقَا
 وَلِمَن حَاولَ أَنْ يُغْضِبَهُ:
 إِنَّهُ أَعْلَى وَأَسْمَى خُلُقَا
 أَمِيرٌ تَتَّقِيهِ بَوْلُهُ
 يَتَوَقَّى كَاشِحًا مَخْذَلَقَا؟
 وَهُوَ مِثْلُ الشَّمْسِ لَن يَبْلُغَهَا
 صَاعِدُ مَهْمَا تَعَالَى وَارْتَقَى
 إِنَّ يُوْبَيْلَكَ يُوْبَيْلُ النُّهَى
 هَنَأَتْ (بَغْدَادُ) فِيهِ (جِأَقَا)^(٤)

(١) السحاب يعترض الأفق.

(٢) القطعة من النار.

(٣) الشرى. موضع تنسب إليه الأسود، ويقال: للشجعان. هم أسود الشرى. وعريسة الأسد (دون تشديد) ما يجمعه في مأواه لأشباهه، كالعش للطائر.

٤٣ - أخو الورقاء

[الكامل]

رسالة إلى الشاعر القروي أُلقيت في الحفلة الوداعية التي أُقيمت في ولاية تكساس وقد تعذّر على الناظم حضورها.

لله من عبثِ القضاءِ وسُخرِه
بالنّاسِ والحالاتِ والأشياءِ
كم دُرّةٍ في التّاجِ، ألفُ مثْلِها
في القاعِ، لم تخرُجْ من الظّلماءِ!
ولكم تعذّرٌ بالغبارِ سَمِيدُ^(١)
وانداحتِ الأطواءُ للجُبناءِ
ولكم جنّى علّم على أربابه
وجنّى الهناءِ جماعةُ الجهلاءِ
أرأيتَ أعجبَ حالةٍ من حالنا
أزفَ الرحيلُ ولم نَفُزْ بلقاءِ!
عاشتْ شُهوراً بالرجاءِ قلوبُنَا
وبلحظةٍ أمستْ بغيرِ رجاءِ
ماتتْ أمانينا الحسانُ أجنّةً
لم تَكُنْ حلَّ أجفانها بضياءِ
فكأنّها برقٌ تالّقَ وانطوى
في الليلِ، لم تَلْمَحْهُ مُقلّةُ راءِ
وكأنّنا كنّا نَحْلُقُ في الفضاءِ
صُعُداً لنلمسَ منكبَ الجوزاءِ

(١) السيد الكريم السخي الشجاع السريع (جمعه: سماع وسماذعة)

حتى إذا حان الوصول.. رمت بنا
 نكباء عاتية إلى الغبراء^(١)!
 وكأن « تكسس » وهي في هذا الحمى
 صُقْع^(٢) « كسانبول » قصي ناء
 طوبى لها، إن كان يعلم أهلها
 أن النزيل بها أخو الورقاء^(٣)
 كانت مسارح « للرعاة » فأصبحت
 لما أتاهها، كعبة الشعراء
 هو بلبل عبق النبوة في أغا
 نيه، وفيها، نكهة الصهباء
 وجلال لبنان وقد غمر المسا
 هضباته، وانسأل في الأوداء
 غنى، ففي النسمات والأوراق وال
 عُدران أعراس بلا ضوضاء
 وبكى، فشاع الحزن في الأزهار وال
 أظلال والألوان والأضواء
 هو نفحة قُديَّة هبطت إلى
 هذا الثرى من عالم اللآلئ
 لوعاد للندى البراق وحُرَّتْهُ
 ما كان إلا نحوه إسرائي^(٤)
 أشكو البعاد وليس لي أن أشتكي
 فسماءه موصوله بسمائي

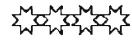
(١) الأرض.

(٢) الناحية والجهة والمحلة

(٣) الحمامة الورقاء: الرماذية اللون.

(٤) البراق: مركب الرسول (ص) ليلة الإسراء والمعراج.

ما حال بين نفوسنا: ما حال بي
من جُسمنا من أجبلٍ وفضاء
فلكم نظرتُ إلى الربا فلمحتُه
في الأقحوانِ الخيرِ المعطاء
وسمعتُ ساقيةً تنُّ فخلتُني
لبُكائه أوطانه إصغائي
وإذا تلوحُ لي الجبالُ ذكرتهُ
فالشاعرُ القرويُّ طودُ إباء
من كان يحلمُ بالغديرِ فإنه
يبدوله في كلِّ قطرةِ ماء
إن كنتُ لم أره فقد شاهدتهُ
بُعَيونُ أصحابي، وذاك عزائي



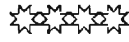
أفتى القوافي كالشواظ على العدا
وعلى قلوبِ الصَّحْبِ كالأنداء
سارت إليك تحيَّتي ولو أنني
خُيَّرتُ، كنت تحيَّتي ودُعائي



٤٤ - شاعر الدّير

[البسيط]

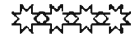
أُلقيت في حفلة تكريم الشاعر مسعود سماحة.
عادت رياض القوافي وهي حاليّة
وكان صوّح فيها الزهر والعُشب
واسترجعت بولهُ الأقلام نخوتها
وكان أدركها الإعياء والتعب
بشاعرٍ عبقرٍ، في قصائده
عطر وخمر وسحر رائق عجب
فاشرب بروحك خمرًا كلّها أرج
وانشق بروحك عطرًا كلّهُ طرب
وامرح بدنيا جمال من تصوّره
فإنّها السّحر إلا أنّه أدب
والبسّ مطارف حاكّتها يراعتها
تبقى عليك ويبلى الخزّ والقصب^(١)
كم دُرّة يتمنّى البحر لو نسبت
إليه، باتت إلى مسعود تنسب
لو أنّها فيه لم تهتج غواربه^(٢)
لكنّها لسواه فهو يصطخب
فلا جناح إذا قال شاعرنا
للبحر: يا بحر أغلى الدرّ ما أهب!



(١) الخزّ: الحرير، والقصب: أنابيب من جوهر. والمطرف: الرداء من الحرير (والجمع: مطارف).

(٢) غرب كل شيء حده.

يا شاعر «الدير»^(١) كم هلّلت قافيةً
غنى الرواةُ بها واختالتِ الكتبُ
طلاقةً الفجرِ فيها وهو منبتقُ
ورقةُ الماءِ فيها وهو منسكب
مرتٌ على هضباتِ الديرِ هائمةً
فكاد يورقُ فيها الصخرُ والخطب
إذا تساقى الندامى الراح صافيةً
كانت قوافيك في الراح التي شربوا
فأنت في السِّنِّ الأشياخِ إنْ نطقوا
وأنت في هممِ الشُّبانِ إنْ وثبوا



مسعودُ عيدك والشَّهرُ الجميلُ^(٢) معاً
قد أقبلنا وأنا في الأرضِ أضطرب
يحرُّ نفسي أني اليوم مبتعدُ
وأنت من حولك الأنصارُ والصَّحبُ^(٣)
البيدُ «والناس» ما بيني وبينكمُ
ليت المهامة^(٤) تُطوى لي فأقتربُ
ما كان أسعدني لو كنتُ بينكمُ
كيما يؤدي لساني بعض ما يجب
لصاحبِ أنا تيّاه بصُحبته
وشاعرِ طالما تاهت به العرب



(١) دير القمر بلدة الشاعر سماحة.

(٢) شهر أيار ١٩٣٩

(٣) الصَّحب: (على الأصل) وجمعها أصحاب.

(٤) المهمة: المفازة البعيدة، وجمعها (مهامه).

٤٥ - لا يُدركُ الهرمُ النجوم

[مجزوء الكامل]

قصيدة بعث بها إلى صديقه الشاعر المرحوم مسعود سماحة.

يا شاعراً حلو المودة في الحضور وفي الغياب
شَهْدٌ ولأوكُ والأنامُ ولأوهمُ شَهْدٌ وصاب^(١)
أنا إن شكوتُ إليك منك، وسالَ في كُتُبي العتابُ
فحكايتي كحكاية الظمانِ في قَفَرٍ يبابُ
لم يروِه لَمْعُ السُّرابِ فراح يستسقي السُّحابُ
فهمي فكان الخيرُ فيه للأباطحِ والهضابُ
« مسعود » أهونُ بالمشيبِ فما أمحى إلا الخضابُ
ماذا عليك من التلوجِ وفي ضلوعك حرُّ أب
الكأسُ أجملُ في النواظرِ إذ يرصعُها الحبابُ^(٢)
إن شاب منك المفقّرُ فإن فما أظنَّ القلبُ شاب
لا تزعمَنَّ له المتابُ فإنَّ توبته كذاب
ما زالَ يخفقُ بالهوى، ويفيضُ بالسَّحرِ العُجابُ
ويُريك دنيا لا تُحدُّ، ومن ورائك ألف باب
دنيا من اللذاتِ والأفراحِ في دنيا عذاب
ويُريك جنّاتِ الجمالِ وأنت في الطُّللِ الخراب

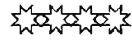


أفتى القوافي الشادياتِ كأنها أطيّارُ غاب

(١) الصاب. عصارة شجر مرّ (واحدته صابة).

(٢) الفقاعات التي تملأ سطح الشراب (اليعاليل).

إِنْ قِيلَ إِنَّكَ صُرْتَ شَيْخاً قُلْ: أَجَلَ شَيْخِ الشُّبَابِ
أَتُرَى إِذَا الْعَنْوَانَ ضَاعَ يَضِيعُ مَضْمُونُ الْكِتَابِ؟
السَّيْفُ لَيْسَ يَعْيبُهُ مَشْيُ الْخُلُوقَةِ فِي الْقِرَابِ^(١)
وَالْخَمْرُ خَمْرُ فِي إِنَاءٍ مِنْ أُجَيْنٍ أَوْ تِرَابِ
وَحَيَاةٌ مِثْلُكَ لَيْسَ تَدْخُلُ فِي قِيَاسٍ أَوْ حِسَابِ
فَعَدُّ زَمَانِكَ مِثْلُ أَمْسٍ وَإِنْ مَضَى عَصْرُ الشُّبَابِ
لَا يَدْرُكُ الْهَرَمُ النُّجُومَ وَأَنْتَ فِي الدُّنْيَا شِهَابِ
وَإِذَا يُعَابُ عَلَى الْمَشْيِيبِ فَتَى فَمَنْ ذَا لَا يُعَابِ
أَوْ كَانَ يُمدَحُ بِالسَّوَادِ فَمَنْ تُرَى مَدَحُ الْغُرَابِ؟



يَا نَفْحَةً مِنْ شَاعِرٍ
أَرْجِ الْكِتَابَ بِهَا وَطَابُ
الْفَجْرُ أَهْدَى لِي السَّنَا
وَالرُّوضُ أَهْدَى لِي الْمَلَابِ^(٢)



(١) قِرَابِ السَّيْفِ: غَمْدِهِ. وَالْخُلُوقَةُ بِفَعْلِ الْقَدِيمِ وَالِاسْتِعْمَالِ.
(٢) السَّنَا: النُّورُ. وَالْمَلَابِ: ضَرْبٌ مِنَ الطَّيْبِ كَالْخُلُوقِ وَالزَّعْفَرَانِ.

٤٦. بنت القفر

[الوافر]

أرسل الشاعر مسعود سماعة إلى صاحب الديوان القصيدة التالية مصحوبة بكمية
من البنِّ الفاخر.

أدريها قهوة كعصير بكر
تجلت في الكؤوس بكف بكر^(١)
كان المسك يغلي حين تغلي
ويجري في الأواني حين تجري
تعيد إلى الضعيف قوى وتهدئ
إليه غبطة وصفاء فكر
تعشقها الشعوب فكل شعب
أعد لها الثغور وكل قطر
تلوح حبها في كل كوخ
ولاح حبابها في كل قصر
يخضع عبيرها برمال نجد
ويعبق عطرها بقصور مصر
تمشي عنبراً في كل أنف
وتنزل قرقفاً^(٢) في كل ثغر
ويزري طعمها حلواً ومراً
بما في الأرض من حلومر



(١) القهوة البكر، والفتاة البكر.

(٢) الخمر.

وسمراء إذا زادت صباحاً
أحبُّ إلي من بيضٍ وسُمر
يحوكُ لها البخارُ رداءً^(١) ندَّ
ويكسوها الحُبابُ وشاح دُرّ
كسرتُ الدنَّ من عهدٍ بعيدٍ
فأُمتستُ بعد خمرِ الدن خمري
فإن حلتُ قُواك جِيوشُ ضَعْفٍ
وهالكُ عبءٌ همٌّ مُسَبِّطِر^(٢)
عاليك بقهوة رقت وراقت
كشعرك لا يُجارى أو كشعري
(مسعود)

فأجابه بالقصيدة التالية:

شربناها على سر القوافي
وسر الشاعر السَّمَحِ الأبر
سقانا قهوتين (بغير من)
عصير شُجيرة وعصير فُكر
فنحن اثنان: سكران لحين
على أمنٍ، وسكران الدهر
فمن أمسى يهيمُ ببنتٍ قَصْرٍ
فإنّا هائمون ببنتٍ قَفَرٍ
إذا حضرتُ فذلك يومٌ سَعْدٍ
وإن غابتُ فذلك يومٌ قَهَرٍ
لها من ذاتها سترٌ رقيقٌ
كما صبغَ الحياءُ جبينَ بكرٍ

(١) ضرب من الطيب يدخن به.

(٢) اسبطر. اضطجع وامتد.

إِذَا دَارَتْ عَلَى الْجُلَاسِ هَشُّوا
 كَانَ كَوُوسَهَا أَخْبَارُ نَصْرٍ
 وَنَرَشْفُهَا فَنَرَشْفُ رِيْقِ خَوْدٍ^(١)
 وَنَنَشَقُّهَا فَنَنَشَقُّ رِيحَ عَطْرِ
 وَلَا نَخْشَى مِنَ الْحُكَّامِ حَدًّا
 وَعِنْدَ اللَّهِ لَمْ تَوْصَمَ بِوِزْرِ
 فَمَا فِي شَرِبِهَا إِثْمٌ وَنُكْرُ
 وَشَرِبُ الْخَمْرِ نَكْرُ أَيُّ نُكْرٍ
 وَلَيْسَتْ تَسْتَخَفُّ أَخَا وَقَارٍ
 وَبِئْتُ الدَّنَّ بِالْأَحْلَامِ^(٢) تُزْرِي
 وَتَحْفَظُ سِرَّ صَاحِبِهَا مَصُونًا
 وَبِئْتُ الْكَرْمَ تَفْضَحُ كُلُّ سِرٍّ
 وَلِاصْبَهِ بَاءُ أَوْقَاتٍ، وَهَذِي
 شَرَابُ النَّاسِ فِي حَرٍّ وَقَرٍّ
 وَتَصْلَحُ أَنْ يُطَافَ بِهَا مَسَاءً
 وَتَحْسُنُ أَنْ تَكُونَ شَرَابَ ظُهْرِ
 فَلَوْ عَرَفْتَ مَزَايَاهَا الْغَوَانِي
 لَعُلِّقَ حَبُّهَا فِي كُلِّ نَحْرٍ
 كَانَ حَبِيبُهَا خُضْرًا وَصُفْرًا
 فَصُوصُ زُمُرْدٍ وَشَنُورٍ^(٣) تَبْرُ
 كَانَ الْجَنُّ قَدْ نَفَثَتْ رُؤَاهَا
 عَلَى أَوْرَاقِهَا فِي ضَوْءِ فَجْرِ
 أَلَسْتَ تَرَى إِلَيْهَا كَيْفَ تَطْغَى
 وَكَيْفَ تَثُورُ إِنْ مُسَّتْ بِجَمْرِ

(١) الحسناء الشابة

(٢) العقول (الحلم العقل).

(٣) الشنرة: هي، في الأصل، القطعة من الذهب.

كَأَنَّ نَخِيلَ مِصْرٍ قَدْ حَسَاها
وإِلَّا مَا اهْتَزَّازُ نَخِيلِ مِصْرٍ؟
جَلَوْتُ بِهَا مِنَ الْأَكْدَارِ ذَهْنِي
كَمَا أَنِّي غَسَلْتُ هُمُومَ صَدْرِي
وَمَا هِيَ قَهْوَةٌ تُطَهِّى وَتُحَسِّى
وَلَكِنْ نَفْحَةٌ مِنْ رُوحِ حُرٍ
حَوَى فِي شَعْرِهِ عَيْثُ (ابْنِ هَانِي)
وَزَادَ عَلَيْهِ فِلَسْفَةً (المَعْرِي)^(١)
فِيَا لَكَ شَاعِرًا لَبِقًا لَعُوبًا
كَأَنَّ يَرَاعَهُ أَنْبُوبُ سَحَرٍ
يَفْضِضُ سَلَاسَةً فِي كُلِّ لَفْظٍ
وَيَجْرِي رُقَّةً فِي كُلِّ سَطْرٍ
حَوَتْ دَارُ «السَّمِيرِ» هَدِيَّتَيْهِ
وَتَحْوِي هَذِهِ الْأَوْرَاقُ شُكْرِي

(١) ابن هانئ هو أبو نواس، والمعري هو أبو العلاء.

٤٧ - تلك المنازل

[الكامل]

ألقاها في حفلة تكريم الأستاذ كمال جنبلاط.
تلك المنازل.. كيف حالُ مُقيمها^(١)
إنّا قنعنا بعدها.. برسومها
تمشي على صور الطيور لحاظنا
نشوى، كمن يُصغي إلى ترنيمها
ونكادُ نعشقُ في الأزاهير الدُّمى
أزهارها ونحسُّ نفحَ شميمها
نشأقُها في بؤسنا ونعيمنا
ونحبُّها، في بؤسها ونعيمها
لولا الخيالُ يعينُ أنفسنا لما
سكنتُ ولم يهدأ صُراخُ كلومها
ولكان شُهدُ الأرضِ في أفواهنا،
وهو اللذيذُ، أمر من زُقومها^(٢)
يا حاملاً في نفسه وحديثه
أحلام أرزتها ولطف نسيمها
حدث بنيها شيخهم وفتاهم
عن ليث غابتها وظبي صريمها^(٣)

(١) يريد السؤال عن المقيمين فيها.

(٢) كل طعام يقتل (في المعاجم: طعام أهل النار).

(٣) الصريم. أرض لا تنبت شيئاً والقيصوم: نبات قريب منه، كثير في البادية.

خَبَرَهُمْ أَنَّ الْكَوَاكِبَ لَمْ تَزَلْ
تَحْنُو عَلَى الْعِشَاقِ بَيْنَ كُرومِهَا
ما زال بُلْبُلُهَا يُغَنِّي لِأَرْبَا
وَالسَّحَرُ تَنْفُثُهُ لَوَاحِظُ رِيمِهَا
وَالرَّيْحُ تَلْتَقِطُ الشَّدَا وَتُذِيعُهُ
من شِيحِهَا طَوْرًا وَمَنْ قَيَّصُومِهَا^(١)
وَهَضَابُهَا يَلْبَسُنَ عَسْجِدَ شَمْسِهَا
حِينَئِذٍ، وَأَحْيَانًا أُجَيْنَ نَجُومِهَا^(٢)
وَالْفَجْرُ يَرْقِصُ فِي السُّهُولِ وَفِي الذُّرَا
مَتَهَلَّلًا فَتَهَشُّ بَعْدَ وُجُومِهَا
إِنْ بُدِّلَتْ مِنْهَا التُّخُومُ فَإِنَّهَا
ما بُدِّلَتْ وَاللَّهِ غَيْرُ تَخُومِهَا
حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلِهَا وَنَجُومِهَا
وعن الهوى في ليلها ونجومها
وعن الشُّطُوطِ الْحَالِمَاتِ بَعُودَةٍ
لِلْغَائِبِينَ، وَرَجْعَةِ لِنَعِيمِهَا
وعن الرُّوَابِي الشَّاخِصَاتِ إِلَى السَّمَاءِ
الْعَالِقَاتِ رُؤُوسُهَا بِغَيُومِهَا
فَكَأَنَّهَا سَحَبٌ هَوَتْ مِنْ حَالِقِ
وَرَسَتْ عَلَى وَجْهِ الثُّرَى بِهِمُومِهَا
وعن الحياة جميلها وقبيحها
وعن النفوس صحيحها وسقيمها
وعن الأُلَى مَا كُورُوا فَلَمْ يَتَوَرَّعُوا
عن سَلْبِ أَعْزَلِهَا وَظُلْمِ يَتِيمِهَا

(١) الشَّيْخُ: نَبَتْ سُهْلِي رَائِحَتُهُ طَيِّبَةٌ قَوِيَّةٌ.

(٢) الْعَسْجِدُ: الذَّهَبُ. وَاللَّجِينُ: الْفُضَّةُ.

وعن الثعابين التي في أرضها
وعن الذئب العُصْل^(١) خَلَفَ تُخومها
الجاهلية، أه من أصنامها
بوركت يا مَنْ جَدُّ في تحطيمها
والطائفية أنت أولُ معولٍ
في سورها، ثابراً على تهديمها
حتى تعود وواحدُ أقنومها
ويحلُّ روحُ الله في أقنومها^(٢)
قل للشَّيْبَةِ أن تُبينَ وجودها
وتُعرِّ أنفسها بهوْنِ جسومها
كم ذا تَشِعُّ ولا تُضيءُ علومها
سُرُجُ الظلامِ إنَّ جليلُ علومها
يا واحداً منها يُحملُ نفسه
آلامَ عانيها وليلَ سليمها^(٣)
إنَّ أكرمَكَ نفوسُنَا في ليلة
فلكم قَضَيْتِ العمرَ في تَكريمها

(١) العصل. الالتواء والاعوجاج والصلابة (أعصل، عصلاء) يشير إلى الأنياب.

(٢) الأقنوم. الأصل.

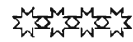
(٣) العاني. الأسير، يريد هنا المتعب والمعاني. والسليم. اللديغ (السلم. لدغة الحية) يريد هنا المصاب.

٤٨ . دمة الشاعر

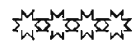
إلى روح الشاعر خليل مطران

[مجزوء الرمل]

(مرات يتفجع فيها صاحب الديوان على الراحطين من زملائه الشعراء).
عندما أبدعَ هذا الكونَ ربُّ العالمينا
ورأى كلَّ الذي فيه جميلاً وثمينا
خلقَ الشاعر... كي يخلقَ للناس عُيونا
تُبصرُ الحُسن... وتهواه حراكاً وسكوناً
وزماناً، ومكاناً، وشُخوصاً وشؤوناً
فارتقى الخلقُ... وكانوا قَبْلَهُ لا يرتقوناً
واستمرَّ الحُسنُ في الدنيا ودام الحبُّ فينا

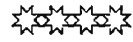


إنه روحٌ كريمٌ لبسَ الطينَ المهيّنا
ونبيٌّ بهرَ الخلقَ وما أعلن ديناً
يلمحُ النُّجمَ خفياً، ويرى العطرَ دفيناً
ويُرينا الطُّهرَ حتى في الجنّة الأثميناً
ويُحسُّ الفرحَ الأسمى جريحاً أو طعيناً
كلّما شاعت دماها أملاً في البائسينا

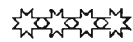


من سواه ثائرٌ فيه وقارُ الناسكيننا
من سواه عابدٌ فيه جنونُ الثائريننا
من سواه عانقُ الله يقيناً لا ظنوننا

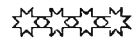
من تُرى إلهٌ يحيا نغماتٍ ولحونا
من ترى إلهٌ يفني ذاته.. في الآخرينا



لو أبى الله علينا وعاليه أن يكوننا
عادت الأرض وهاداً شاحباتٍ وحزونا^(١)
ترتدي الوحشة والهول ضباباً ودجونا^(٢)
وأقاحيها هشيماً لا أريجاً وفئتونا
وسواقها سراباً هازئاً بالظامئينا
وشواديها^(٣) دُمى خرساء تؤذي النَّاظرينا
واسْتَفَاقَ الجدولُ الحالمُ غيظاً وجُنونا
واستوى النهرُ على وجه الثرى جرحاً ثخيناً
وانطوت دنيا الرؤى فيها.. ومات الحالمونا



أي وربي، لومضى الشاعرُ عنا لشقينا
ولعشنا بعده في غُصصٍ لا ينتهينا
ولأمسى الله مثلَ الناس مغموماً حزيناً!



زعموا ولّى ولن يرجع... ويح الجاهالينا
لم يمُت من كان له خليلاً وخدينا
عاش حيناً، وسيحيا بعدما غاب قُرُونا



(١) الأرض فيها خلود غليظة.
(٢) الدجن. الغيم المطبق في السماء.

٤٩ - مازال في الأرض حياً

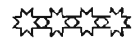
[الخفيف]

قال الشاعر هذه القصيدة عندما جاءه نبأ وفاة صديقه الأديب أمين الريحاني، وقد تأثر بالنبأ المفاجيء..

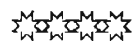
أَيُّ خَطْبٍ دَهَا فَبَاتَ الْمَهْجَرُ
مِثْلَ حَقْلٍ مَرَّتْ عَلَيْهِ صَرْصَرٌ^(١)
ضَرِبَتْ عَقْدَ زَهْرِهِ فَتَبَعَتْهُ
وَمَشَتْ فَوْقَ عُشْبِهِ فَتَنَكَّرَ
بَعْدَ أَنْ كَانَ عِبْهَرِيًّا^(٢) نَدِيًّا



قَدْ سَمِعْنَا يَا لَيْتَنَّا لَمْ نَسْمَعْ
نَبَأَ زَعَزَعَ الْقُلُوبَ وَضَعُضَعَ
فَجَزَعْنَا وَحَقَّقْنَا أَنْ نَجَزَعَ
لِفِرَاقِ الْفَتَى الْأَدِيبِ الْأَلْعِ
وَذَرْفْنَا دَمْعاً سَخِيناً سَخِيًّا



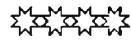
قَدْ بَكَيْنَا كَمَا بَكَى لَبْنَانُ
وَحَنَنْتُنَا كَأَرْزِهِ الْأَحْزَانُ
لَيْسَ بَعْدَ الْأَمِينِ ثَمَّ مَكَانُ
غَيْرِ مُسْتَوْحِشٍ وَلَا إِنْسَانِ
نُوْ وَفَاءٍ لَمْ يَبْكُ ذَاكَ الْوَفِيًّا



(١) باردة.

(٢) العبهر. الياسمين أو النرجس..

ألمعيّ قد غاب تحت الرّغَام^(١)
إنّما لم يغب عن الأفهام
فهو باقٍ فينا مدى الأيام
فعاليه تحييتي وسلامي
عاش حراً ومات حُراً أبياً



لم يُعقّر جبينه في التراب
لم يوارب في موقفٍ، لم يُحاب
لم يبيع قومه من الأغراب
لم يسرّ في سوى طريق الصّواب
لم يكن خائناً ولا إمّعيّاً^(٢)



عاش في الأرض مثلَ زهرِ البنفسج
كلّما زاد فركه يتأرجح^(٣)
وكنجمٍ في بُرجه يتوهج
لا يبالي أحبه من أدلج^(٤)
أم أحبّ الليلَ البهيم الدجياً^(٥)



فابسمي فوق قبره يا نجوم
وترنم من حوله يا نسيم

(١) التراب.

(٢) الإمعة: الذي لا رأي له، يتابع كل أحد، ولا يثبت على شيء.

(٣) الأرج: نفحة الطيب، ويتأرجح: تنتشر رائحته.

(٤) الدلجة: سير السحر أو سير الليل كله.

(٥) دجا الليل: هداً وسكن، مع انتشار سواده وخفوت نجمه. والبهيم من الإبهام.

فالدفينُ الذي هناك يُقيمُ
بطلٌ مُصلِحٌ وروحٌ كريم
ولسانٌ تخالُه نبويًّا
وتنصَّتْ إذا رأيتِ الأقاحي
جائياتٍ في هيكَلِ الأرواحِ
قائلاتٍ باللهجة النُّصَّاحِ
أيها الناسُ! بعضُ هذا النُّواحِ
« فأمينُ » ما زال في الأرضِ حيًّا

٥٠ - يا قائد القوم

[البسيط]

رثى بها صديقه الحميم الدكتور رزق حداد ألقاها في الحفلة التأبينية.
يا أيها الشَّعْرُ أسعفني فأرثيه
ويا دموعُ أعينيني فأبكيه
بحثتُ لي عن مُعزٍّ يوم مصرعه
فلم أجِدْ غيرَ محزونٍ أُعزِّيه
وما سألتُ امرءاً فيما تَفَجَّعُهُ
إلا وجاب: « إني من مُحِبِّيه »
كأنَّما كلُّ إنسانٍ أضاعَ أخاً
أو انطوتْ فجأةً دنيا أمانيه
فذا أساهُ لهيبٌ في أضالعه
وذا أساهُ دموعٌ في مآقيه
فهل درى أيُّ سهمٍ في القلوب رمى
لما نعاها إلى الأسماع ناعيه؟
يا شاعرَ الحُسْنِ هذا الرُّوضُ قد طلعتْ
فيه الرِّياحينُ وافتترتْ أقاحيه
وشاع « أيار » عطراً في جوانبه
ونَضْرَةً واخضراراً في روابيه
فأين شعركُ يسري مع نسائمه؟
وأين سحرُكُ يجري في سواقيه؟
هجرتهُ فامَّحتْ منه بشاشتهُ
مات الهوى فيه لمَّا مات شَاديهِ
أغنى عن الدرِّ في القيعانِ مُختبئاً
دُرٌّ يساقطُهُ الحدَّادُ من فيه

وكان السحر تأثيراً فابطله
 بالسحر يجري حلالاً في قوافيه
 بلاغة «المتنبي» في مدائحه
 ودمع «خنساء صخر»^(١) في مرثيه
 لا يعذب الشعر إلا حين ينظمه
 أو حين ينشده أو حين يرويه
 ويا طبيباً يداوي الناس من علل
 داء الأسى اليوم فيهم من يداويه؟
 أمسى الذي كان يشجينا ويطربنا
 لا شيء يطربه لا شيء يشجيه
 لقد تساوى لديه شئو ساجعة
 وصوت نائحة في الحي تبكيه^(٢)
 صارت لياليه نوماً غير منقطع
 ولم تكن هكذا قبلاً لياليه
 قد كان نبراسنا في المعضلات إذا
 ما ليأها جن وأريدت نواصيه^(٣)
 فمن لنا في غدٍ إن أزمه عرضت
 وليس فينا أخو حزم يضاهيه
 من الحزين يواسيه ويسعده
 والمريض يداويه فيشفيه
 يا قائد القوم إن تسأل فإنهم

(١) (الخنساء) الشاعرة التي بكت (في صدر الإسلام) أخاها (صخر) في مرثية ذائعة.

(٢) سجع الحمامة، يريد: الغناء والشدو.

(٣) الناصية: مقدم شعر الرأس.

(٤) تيه اليهود في سيناء، أربعين عاماً، بعد خروجهم من مصر، مع موسى عليه السلام.

باتوا حيارى كإسرائيل في التَّيه^(٤)
لَمَّا رَأَوْكَ مُسَجًى بَيْنَهُمْ عَلِمُوا
ما العيشُ غيرُ أخابيل^(١) وتَمويه
يا رزقُ قلبي عليك اليوم من فطرُ
وكلُّ قلبٍ كقلبي في تَشَطُّيه
لم يحوِ نَعَشُكَ جسماً لا حراكَ به
بل أنت أماننا موضوعَةٌ فيه
غداً يُواريك عن أبصارنا جدثُ
لكنْ فضلك لا شيءٌ يُواريه

(١) الخيال: الفساد، والأخابيل جمع (أخبولة).

٥١ - ليتهم عرفوه!

[الكامل]

رثى بها صديقه يعقوب روفائيل صاحب مجلة (الأخلاق).
يا نفسُ قد ذهب الرفيقُ الألعى
فَتَجَلَّدِي لفراقه أو فاجزعي
هذي النهايةُ لا نهايةً غيرها
للحيِّ إن يُسرِعْ وإن لم يُسرِعْ
للموتِ مَنْ مَلَك البسيطةُ كلُّها
أو حازَ من دنياه بضعةً أذرعَ
فازرعَ طريقَكَ بالورود وبالسنا^(١)
لا يحصدُ الإنسانُ إن لم يزرع
واعملْ لكي تمضي وتبقى رقةً
في مَبْسَمٍ أو نغمةً في مَسْمَعٍ
أو صورةً مثلُ الربيعِ جميلةً
في خاطرٍ أو ناظرٍ مُستمتعٍ
~~~~~  
يا صَحْبَ يعقوبِ ويا عُشْرَاءَ  
مَنْ مِنْكُمْ أبكي ولا يبكي معي؟  
إنَّا تَساوِينَا فَبَيْنَ ضُلُوعِكُمْ  
نارٌ ومثلُ سَعِيرِها في أضلُعِي  
~~~~~

(١) النور.

لِبْنَانُ! هَذَا مِنْ رِيَاضِكَ زَهْرَةٌ
 ذَهَبَتْ كَأَنَّ^(١) فِي الْأَرْضِ لَمْ تَنْضَوِّعْ
 لِبْنَانُ! هَذَا مِنْ سَمَائِكَ كَوْكَبٌ
 غَرَبَتْهُ حَتَّى انْطَوَّى فِي بَلْقَعٍ^(٢)
 لِبْنَانُ! هَذَا مِنْ مُرُوجِكَ قِطْعَةٌ
 فِيهِ بِشَاشَةٌ كُلُّ مَرْجٍ مُمْرِعٍ^(٣)
 قُلْ لِلْبِنْفَسِجِ فِي سُفُوحِكَ وَالرُّبَا:
 وَلَى شَبِيهِكَ فِي الْوُدَاعَةِ فَاخْشَعْ
 وَأَمْرٌ طَيَّورَكَ أَنْ تَنْوَحَ عَلَى فَتَى
 قَدْ كَانَ يَهْوَاهَا وَإِنْ لَمْ تَسْجِعْ
 قَدْ عَاشَ مِثْلُكَ لِلْمَرْوَةِ وَالْعُلَا
 مُتَعَفِّفًا كَالزَّاهِدِ الْمُتَوَرِّعِ
 مُتَرْفِعًا فِي قَوْلِهِ وَفِعَالِهِ
 عَمَّنْ غَوَى وَهَوَى وَلَمْ يَتَرْفَعْ
 كَمْ حَرَضَتْهُ النَّفْسُ فِي نَزَوَاتِهَا
 لِيَكُونَ صَاحِبَ حِيلَةٍ أَوْ مَطْمَعِ
 فَاجَابِهَا يَا نَفْسُ لَا تَتَوَرَّطِي
 صَدَاُ النَّفُوسِ هِيَ الْمَطَامَعُ فَاقْنَعِي
 لَيْسَ الْمُحَارِبُ فِي الْوَعَى بِأَشَدَّ بَأْ
 سًا مِنْ مُحَارِبِ نَفْسِهِ أَوْ أَشْجَعِ



يَا صَاحِبِي! أَضِنَكْتَ^(٤) جِسْمَكَ فَاسْتَرْحِ
 وَأَطْلَتِ يَا يَعْقُوبُ سُهُدَكَ فَاهْجِعْ

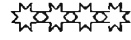
(١) مخففة من (كأنها).

(٢) المفازة لا شيء فيها

(٣) مرع الوادي وأمرع: انتشر فيه الكلال أو أخصب، فهو مريع وممرع.

(٤) من الضنك: الضيق.

حَدَّثْتُ قَوْمَكَ حَقْبَةً فَتَسَمَّعُوا
وَالآنَ نَوْرُ حَدِيثِهِمْ فَتَسْمَعُ
هَجَرُوا الْكَلَامَ إِلَى الدَّمُوعِ لِأَنَّهُمْ
وَجَدُوا الْبَلَاغَةَ كُلَّهَا فِي الْأَدْمَعِ
كَيْفَ التَّفَتُّ وَسِرَّتُ لَا أَلْقَى سَوًى
مُتَوَجِّعٍ يَشْكُو إِلَى مُتَوَجِّعٍ
حَتَّى الْأَلَى نَفَثُوا عَلَيْكَ سُمُومَهُمْ
حَزَّ الْأَسَى أَكْبَادَهُمْ كَالْمَبْضِعِ^(١)
عَرَفُوا مَكَانَكَ بَعْدَ مَا فَارَقَتْهُمْ
يَا لَيْتَهُمْ عَرَفُوهُ قَبْلَ الْمَصْرَعِ
وَلَكُمْ تَمَنُّوا لَو تَعُودُ إِلَيْهِمْ
أَنْتَ الشَّبَابُ، إِذَا مَضَى لَمْ يَرْجِعْ



حَنُّوا إِلَى أَرْجِ الْأَزَاهِرِ بَعْدَمَا
عَبَثَتْ بِهَا أَيْدِي الرِّيحِ الْأَرْبَعِ
وَاسْتَعَذَّبُوا الْمَاءَ الْمَسْلُسَ بَعْدَمَا
نَضَبَ الْغَدِيرُ وَجَفَّ مَاءُ الْمَشْرِعِ^(٢)
يَا لَوْعَةَ الْأَحْبَابِ حِينَ تَسَاءَلُوا
عَنْهُ، وَعَابُوا بِالْجَوَابِ الْمَوْجِعِ
إِنَّ الَّذِي قَدْ كَانَ مَعَكُمْ قَدْ مَضَى
مَنْ مَوْضِعٍ أَدْنَى لِأَرْفَعِ مَوْضِعٍ

(١) مبضع الجراح.

(٢) مشرعة الماء: مورد الشارب.

من عالمٍ متكأفٍ متصنّعٍ
تشقى نفوسٌ فيه لم تتصنّع
للعالم الأسمى الطهور، ومن مجا
ورة الأنام إلى جوار المبدع

٥٢. سكت الشادي وبُحّ الوتر!

[الرمل]

قالها يرثي رفيقه الشاعر ندره حداد وقد فاجأته المنية في حفلة عرس.
لا تَسْلُ أين الهوى والكوثرُ
سكت الشادي وبُحّ الوترُ
فجأةً.. وانقلب العرسُ إلى
مأتمٍ ماذا جرى؟ ما الخبر؟
ماجت الدارُ بمن فيها، كما
ماج نهرُ ثائرٍ مُنكدرٍ
كلُّهم مُستفسرٌ صاحبه
كلُّهم يؤذيه من يستفسر
همس الموتُ بهم همسته
إن همس الموت ريحٌ صرصرُ
فإذا الحيرةُ في أحداقهم
كيفما مالوا وأنى نظروا
علموا... يا ليتهم ما علموا
أن دنيا من رُؤى تُحتضر!
والذي أطربهم عن قُدره
بات لا يقوى ولا يقدر
يبس الضحكُ على أفواههم
فهو كالسُّخروا إن لم يسخروا
وإذا الآسي.. يدُ مخنولة
ومُحيًا.. اليأس فيه أصفَر^(١)

(١) الآسي. الطبيب.

رحل الشاعِرُ عن دار الأذى
وانقضت معه الليالي الغُرر^(١)
كم حوته وخواها ما كَأْ
دولة الروح التي لا تُقهر

- 97V -

عاش لا يُنكر إلا ذاته
إن حب الذات شيء مُنكر
شاعر أعجب معنى صاغه
لإبرايآ.. موته المبتكر
الجمال الحق ما يعُبد
والجمال الزور ما لا يُبصر
والحديث الصفو ما ينشره
والحديث السوء ما يختصر
إنه كان ملاكاً بشراً
فمضى عنا الملاك البشر
ونفوس الخلق إما طينة
لا سنا فيها، وإما جوهر



يا رفيقي! ما بلغت المنتهى
ليست الحد الأخير الحفر
فاعبر النهر إلى ذاك الحمى
حيث «جبران»^(١) العميد الأكبر
«ورشيد» نغمة شادية
«ونسب» نغم مستبشر
«وجميل» فكرة هائمة
«وأمين» أمل مضموض^(٢)
قل لهم إننا غدونا بعدهم
لا حديث طيب لا سمر

(١) جبران خليل جبران عميد الرابطة القلمية، وكان الشاعر عضواً فيها

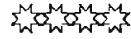
كسَمَاءٍ لَيْسَ فِيهَا أَنْجَمٌ
أَوْ كَرَوْضٍ لَيْسَ فِيهِ زَهَرٌ
كَأَنَّا مَنْتَظِرٌ سَاعَتَهُ
وَالْمَصِيرُ الْحَقُّ مَا نَنْتَظِرُ

٥٣ - لم يهدم الموت إلا هيكل الطين

[البسيط]

رثى بها رفيقه الشاعر نسيب عريضة.

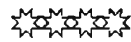
لم يبرح الروضُ فيه الماءُ والزَّهرُ
ولم يزلْ في السماء الشمسُ والقمرُ
لكنَّها الآن في أذهاننا صُورُ
شَوَّهَاءُ، لا القلبُ يهواها ولا النَّظَرُ
قد انطوى حُسْنُها لما انطوى الشاعرُ



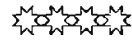
قل للمغني الذي قد غصَّ بالنَّغمِ
إنِّي نظيرُكَ قد خانَ الكلامُ فمي
ومثَّلُ ما بك بي من شدَّةِ الألمِ
أمَّا العزاءُ فشيءٌ زال كالحُلُمِ
كيف السَّبيلُ إلى خمرٍ ولا عاصِرٍ!



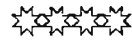
مضى الذي كان في البلوى يُعزِّينا
وكان يُحيي - إذا ماتت - أمانينا
ويسكبُ السحرَ أنعاماً ويسقينا
مضى « نسيب » النبيُّ المصطفى فينا
وصار جسماً رميماً في يد القابرِ



كم جاعنا في الليالي السود بالآلق
وبالندى من حواشي القفر والعبق
وبالأغاني وما من صادق لبق
وإنما هو سحر الحبر والورق
السحر باقٍ ولكن قد مضى السّاحر!



كالشمس يستترها عند المسا الغسق^(١)
ونورها في رحاب الأرض منطلق
تذوي الورود ويبقى بعدها العبق
حتى لمن قطفوا منها ومن سرقوا
كعالم غابر في عالم حاضر



إن كان مات « نسيب » كالملايين
من العبيد الموالى والسلاطين
فالحى في هذه الدنيا إلى حين
لكن نسيب إلى كل الأحيين
وإن نأى وسما للعالم الطاهر



لسوف يرجع عطراً في الرياحين
أو نسمة تتهادى في البساتين
أو بسمّة في ثُغور الخرد العين^(٢)
فالموت ما هدّ إلا هيكَل الطّين
لا تحزنوا، فنسيب غائب حاضر



(١) أول ظلمة الليل.

(٢) المرأة الخريفة: الحسناء التي لم تُمسس قط. والعيناء، الواسعة العين. والعين: أرادها للجمع.

٥٤. ربح الردى

[الرملى]

عصفَت ربح الردى بالمشعل

فحباً

~~~~~

أيها النائم عناً والعيون

فى سهر

نحن من بعدك أسرى للشجون

والكدر

تشتكى أرواحنا ظلم المنون

والقدر

للسما. لىل. للفجر الجلى

للربا

~~~~~

للاقاحى الذابلات الذاوىة

كالأمانى

للسواقى النائحات الباكىة

كالغوانى

سلب الدهر حلاها الغالىة

فى ثوان

وبشاشات الزمان الأول

والصبا

~~~~~

يا ربيعاً من وفاءٍ وكرمٍ  
في بدنٍ

من رأى قبلك دنيا من شيم  
في كفنٍ

خالصت روحك من سجنِ الألم  
والشجنِ

ومضى للبحر ماءً الجدولِ  
طرباً



يا كريم الأصل قد زانك فعلاً  
وصفاتك

عشت للناس كأن الكل أهلك  
ولداً

لهم كل الذي تحوي وتملك  
وحياتك!

كنت في دنيا الضباب المسدلِ  
كوكبا



عصفت ریح الردى بالشعل  
فخبا

فإذا كلُّ قـُـرُورِ الأملِ  
كالهبا



## ٥٥ - الشاعر في حفلات تكريمه

### الماهدون في المهجر

[الكامل]

ألقاها في المائدة الكبرى التي أقامها المجلس الملي في مونتريال كندا بمناسبة مرور  
٤٠ سنة على تأسيسه.

الأربعون لو أنها تتكلم  
لروت لنا قصص العظائم عنكم  
ولحدثتنا كيف عن أعشاشكم  
طرتم بأجنحة المني إذ طرتم  
يوم الفراق كظمت الأمكم  
وأخف من ألم الفراق جهنم  
وبكى الأحبة حولكم، وجفونكم  
تعصي البكا، حزن الجابر أبكم  
أيد تودع موطننا وعشيرة  
ومطامح خلف البحار تسلم  
ضاقت على أحلامهم تلك القرى  
فاخترتم الدنيا الوساع لتحلموا  
وغزوتهم الأفاق لا زاد لكم  
إلا الصبا المتوئب المتضرم  
كاليث ليس له سلاح في السرى  
إلا مخالبه التي لا تئلم  
تخيلون البحر شق لتعبروا  
وانداح بين الشاطئين تسلموا  
والدر مخبوءاً لكم في قاعه  
كي تخرجوه وتغنموا ما شئتم



والموجُ إذ يطغى ويهدرُ حولكمُ  
 جوقاً لطردهمومكمُ يترنمُ  
 وإذا النجومُ تألقت تحت الدجى  
 خالتم لأجلكم تُضيءُ الأنجمُ  
 وحسبتم شَمَّ الجبال سلالماً  
 نُصبت لكم كي تصعدوا فصعدتم  
 والشمسُ منجمٌ عسجد<sup>(١)</sup> متكشفُ  
 لذوي الطُموحِ وأنتم أنتم همُ  
 ولكم تلئمت الحقائق بالرؤى  
 كالأرض يغشاها السرابُ الموهمُ  
 لتطل من أرواحنا أشواقها  
 فنطوفُ حول خُدورها ونحومُ  
 لم تقنعوا كالخاملين بأنكمُ  
 لكم شرابُ في الحياة ومطعمُ  
 لو أن تكون حياتكم كحياتهمُ  
 عبثاً، يموتُ به الوقارُ ويُعدمُ  
 وتأنفأ في الليل وهو منورُ  
 وتبرمأ في الصبح وهو تبسمُ  
 لو أن يكون ثرائكم كثرائهم:  
 قَصْرُ عفا أو هيكلُ مُتردِم<sup>(٢)</sup>  
 وحديثُ أسلافٍ قد التحفوا الفنا  
 فهم سواء في القياس وجُرهم<sup>(٣)</sup>

(١) العسجد. الذهب.

(٢) جرى فيه الإصلاح (تردِم ثوبه: رفعه وأصلحه).

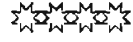
(٣) قبيلة كانت تقطن مكة المكرمة.

من يقترب من أمسٍ يبعد عن غدٍ  
 ويعش مع الموتى ويصبح منهم!!  
 وكرهتم أن تنقضي أيامكم  
 شكوى لمن يرثي ومن لا يرحم  
 أو أن يبببت على الحضيض مقامكم  
 والبدود يزحف فوقه والأرقم<sup>(١)</sup>  
 فنفرتم كالنحل، ما من زهرة  
 فيها جنى، إلا وفيها مغنم  
 في كل شطّ مارد، في كل طود  
 قشع<sup>(٢)</sup>، في كل وادٍ ضيغم  
 المجد مطلبكم وأنتم سهد  
 والمجد حلمكم وأنتم نوم  
 لا شيء صعب عندكم حتى الردى  
 الصعب عند نفوسكم أن تحجموا  
 ما بضعة من أمة، هي أمة  
 في ذاتها، ولها طراز معلّم  
 فيكم جميع صفاتها وخلالها  
 والروض يحويه عطوراً قُمقم  
 إن الألى عابوا الجهاد عليكم  
 علكوا مداركهم ولم يستطعموا!  
 طلبوا السلامة في القعود ففاتهم  
 درك الثراء وبعد ذا لم يسلموا!  
 هؤلاء بود القز أحسن منهم  
 وأجل في نظر الحياة وأفهم

(١) الحية فيها بياض وسواد.

(٢) الضيغم: الأسد. والقشع: من أسمائه.

قالوا: كهولٌ قد تصرَّم عصرهم  
ليت الشباب من الكهول تعلّموا  
إن لم تشيدوا كالأوائل «تدمراً»  
أو «بعابك» فإنكم لم تهدموا  
ولكم غدٌ وجماله وبهاؤه  
ولكم من الأمسِ النفسِ القيمِ



حدثتُ نفسي والقطارُ يخبُّ بي  
عجلانٌ يخرقُ الدجى ويُدمدم  
فسألتُها مُستفهماً. ولربما  
سألَ العلیمُ سواه عما يعلم:  
ما أحسنُ الأيام؟ قالت: يومُكم!  
والناس؟ فابتدرت وقالت: أنتمُ  
والنور؟ قالت: نورُكم. والمال؟  
قالت: إن أحسنه الذي أنفقتمُ  
والحُسن؟ قالت: كلُّ ما أحببتمُ  
والأرض؟ قالت: أينما استوطنتمُ  
ما كان أكملَ يومكم وأتمه  
لو لم يكن في مهد عيسى ماتم  
وكذا الحياة قديمها وحديثها:  
ذكرى نُسرُّ بها، وذكرى تُؤلم



## ٥٦. قف يا قطار بنا

[الكامل]

ألقاها في المأدبة الكبرى التي أقامتها مؤسسة وطنية في مدينة كانتون، أوهايو.

منذُ افترقنا لم أذُق وسناً  
لله ما صنع الفراقُ بنا!  
قُلْ للخليّين: الهناءُ لكم  
الحبُّ قد خلق العذاب لنا  
لم أنس قولتَها التي ملأتْ  
نفسي أسى وجوانحي شَجنا  
ماذا جنينا كي تُفارقنا  
أملأتنا وسئمت صُحبَتنا؟  
فأجبتُها بلسانٍ مُعتذرٍ:  
لم تجنني أنتِ ولا مالَتُ أنا  
لكن رأيتُ الماءَ منطالِقاً  
ريّاً، فإنّ هولم يسرّ أجنا<sup>(١)</sup>  
والسَّيفُ إن طال التَّوَّاءُ به  
يصدأ ويصبحُ حِدَّةً خَشنا  
والسُّحبُ إن وقفتْ وما هطلتْ  
لم تَروِ أودِيَّةً ولا قُنَّنا<sup>(٢)</sup>  
إن الحياةَ مع الجمود قذى  
ومع الحراك بشاشةً وهنا

---

(١) أجن الماء يأجن: تغير طعمه ولونه.

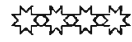
لا تعدُّني فالقُرى أربى  
 حيث الحياةُ رغائبٌ ومُنَى  
 حيثُ النجومُ تلوحُ سافرةً  
 لم تلتحفْ سِتْراً ولا كفناً  
 والفجرُ ملءٌ جيوهه أَرَجُ  
 والطيرُ يملأُ شئوها الوُكُنَا<sup>(١)</sup>  
 وعلى الرُّبَا الأظلالُ راقصةٌ  
 ويدُ النَّسيمِ تُداعِبُ الغُصُنَا  
 ويح المَدائنُ إن ساكنَها  
 كالميتِ لم يُطمِرْ ولا دُفِنَا  
 كم رُحْتُ استسقي سحائبها  
 فَهَمْتُ ولكن محنةً وضني  
 ولكم سهرتُ فلم أجِدْ قمرًا  
 ولكم شدوتُ فلم أجِدْ أُنْثَا  
 لو كان يالْفُ بلبلُ غَرْدٍ  
 قفصاً، أحبُّ الشاعرُ المُنْثَا  
 كره الوري طولَ المُقام بها  
 فاستنبطوا العجالاتِ والسُّفُنَا  
 ولقد ظفرتُ بمركبٍ أَلْجِبِ  
 فخرجتُ أطوي السهلَ والحزنَا<sup>(٢)</sup>  
 والشوقُ يدفعُه ويدفعني  
 حتى بلغتُ المنزلَ الحسنَا

❖❖❖❖❖

(١) الوكن: عش الطائر في حديقة أو جدار (الوكز: عش الطائر).

(٢) الحزن: ما غلظ من الأرض (الحزونة).

قف يا قطار على ربوعهم  
إن الأحبة يا قطار هنا  
هذي منازلهم تهش لنا  
أخطأت.. بل هذي منازلنا!  
ما حل منهم موضعاً أحداً  
إلا وصار لك أننا وطننا  
«سوريّة» في «كانت» نغم  
عذب، «ولبنان» شذاً وسناً<sup>(١)</sup>  
إن تنطفئ زهر النجوم ففي  
هذي الوجوه عن النجوم غنى  
وإذا الحياة طوت محاسنها  
عني وصار نعيمها محناً  
متألمتهم في خاطري فإذا  
دنياي فيها السرور دنا



يا قوم هذا اليوم يومكم  
من ينتهزه ينل رضا وثنا  
فالتنبيسط أيديكم كرماء  
السحب أنفعها الذي هتنا  
أنا لا أرى مثل البخيل فتى  
يضوى ويهزل كما سمنا  
من لا يشيد بماله أثراً  
أو يستفيد بماله مننا  
ويعيش مثل العنكبوت يعش  
في الناس مذموماً وممتّها

---

(١) السنا: النور.

فابنوا وشيّدوا تُكرّموا رجلاً  
كم قد سعى من أجالكم وبني  
وطن وأهل لائنون بكم  
أفتخذون الأهل والوطننا؟  
« قَطْنَا » بنوك اليوم قد نهضوا  
فَتَمَجِّدِي ببنيك يا « قَطْنَا »

\*\*\*\*

## ٥٧ - «ميامي فلوريدا»

[البسيط]

ألقاها في المادبة التي أقامها النادي السوري اللبناني الأميركي في ميامي فلوريدا  
تكريماً له.

ما طائرُ كان في بيدا مُوحشة  
فساقه دُرُ نحو البساتين  
فبات تُسعدُه فيها بلائها  
حيناً ويُسعدُها بعض الأحيين  
مني بأسعد حظاً مُذْ نزلتُ بكم  
يا معشر السادة الغرّ الميامين  
فررتُ من بردِ كانونٍ فقابلني  
في أرضكم بالأقاحي شهرُ كانون  
أنسامُ «أيار» تسري في أصائلها  
وفي عشياتها أنفاسُ «تشرين»  
توزعُ السحرَ شطراً في مغارسها  
وأخرُ في لحاظِ الخردِّ العين<sup>(١)</sup>  
كلُّ الشتاء ربيعٌ في شواطئها  
وكل أيامها عيدُ الشعانين<sup>(٢)</sup>  
لكن ميامي وإنْ جلتْ مفاتنها  
لولا وجودكم ليست لتغريني  
إني لأشهدُ دنيا من عواطفكم  
أحبّ عندي من دنيا الرياحين

---

(١) العينة: الواسعة العين.

(٢) عيد عند المسيحيين، يحتفل فيه بذكرى دخول السيد المسيح بيت المقدس.



وكَلِّمَ مَا سَمِعْتَ نَجْوَاكُمْ أَذْنِي  
ظَنَنْتُ أَنِّي فِي دُنْيَا تَالَحِينَ  
لَأَنْتُمْ النُّورُ لِي وَالنُّورُ مَنْطَمَسٌ  
وَأَنْتُمْ الْمَاءُ إِذَا لَا مَاءَ يَرْوِينِي  
أَحَبَبْتُكُمْ حُبَّ إِنْسَانٍ لِإِخْوَتِهِ  
إِذَا لَيْسَ بَيْنَكُمْ فَوْقِي وَلَا دُونِي  
إِنْ كَانَ فِيكُمْ قَوِيٌّ لَا يُقَاهِرُنِي  
أَوْ كَانَ فِيكُمْ ضَعِيفٌ لَا يُدَاجِينِي<sup>(١)</sup>  
قُلْ لِمَرِيٍّ مِثْلِ قَارُونَ بِثَرَوَتِهِ  
إِنِّي أَمْرٌ بِصَحَابِي فَوْقَ قَارُونَ<sup>(٢)</sup>  
مَنْ يَكْتَسِبُ صَاحِبًا تَبَقَى مَوَدَّتُهُ  
فَهُوَ الْغَنِيُّ بِهِ لَا ذُو الْمَلَائِينَ  
فَاخْتَرْتُ صَحَابِكَ وَانْظُرْ فِي اخْتِيَارِهِمْ  
إِلَى الطَّبَائِعِ قَبْلَ اللَّوْنِ وَالِدِينِ  
لَيْسَ الْوِدَادُ الَّذِي يَبْقَى إِلَى أَبَدٍ  
مِثْلَ الْوِدَادِ الَّذِي يَبْقَى إِلَى حِينٍ  
وَالْمَرْءُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا عَوَاطِفُهُ  
إِنْ تَنْدَرَسَ، فَهُوَ بَيْتٌ غَيْرُ مُسْكُونٍ  
وَإِنْ عَاطِفُهُ هَذَا مَظَاهِرُهَا  
مَنْ عَالَمُ الرُّوحِ لَا مَنْ عَالَمُ الطُّينِ  
لَوْ فَاتَنِي كُلُّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ ذَهَبٍ  
وَلَمْ تَفُتَّنِي فَإِنِّي غَيْرُ مَغْبُونٍ  
لَوْ الْقَوَافِي تُؤَاتِينِي شُكْرُكُمْ  
كَمَا أُرِيدُ، وَلَكِنْ لَا تُؤَاتِينِي

(١) المداجاة: المداراة.

(٢) من وزراء أحد فراعنة مصر. يضرب مثلاً في الغنى والغرور، وإليه تُنسب البحيرة في الفيوم.

لا يمدحُ الوردُ إنسانٌ يقولُ له:  
يا وردُ إنَّكَ ذو عطرٍ وتَـلـوِين  
فاستنطقوا القلبَ عني فهو يُخبرُكمُ  
فالحُبُّ والقلبُ مكنونٌ بمكنون  
لولا المحبَّةُ صارَ الكونُ أجمعهُ  
طوبى الأفاعي وفربوس السَّـراحين<sup>(١)</sup>  
إني سأحفظُ في قلبي جميعاًكمُ  
وسوفَ أذكرُهُ في العُسرِ والئِين

\*\*\*\*\*

---

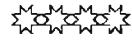
(١) السُّرحان: الذئب.

## ٥٨ - ضرة جلق

[الكامل]

ألقاها في الحفلة التكريمية التي أقامت لها الجالية في مونتريال.  
لا تَقْلَقِي يوم النُّوى أو فَاقْلَقِي  
يا نفسُ كلُّ تَجْمَعُ لِتَفْرُقِ  
اللهُ قَدَّرَ أَنْ تَمْسُ يَدُ الْأَسَى  
أرواحنا كيما ترقُّ وترتقي  
أوفى على الشُّهْبِ الدُّجَى فتَأَلَّقَتْ  
لولا اعتكارُ الليل لم تَتَأَلَّقِ  
والفحمُ ليس يُضِيءُ إن لم يضطرمْ  
والندُّ ليس يَضُوعُ إن لم يُحْرَقِ  
لا أضربُ الأمثالَ مدحاً للنُّوى  
ليت الفراقُ ويومه لم يُخْلَقِ  
ما في الوداعِ سوى تَلْعَثُ السِّنْ  
وذهبوا أرواحٌ وهم مُطَبِّقِ  
~~~~~  
عَنَفْتُ قَلْبِي حين طال خُفُوقُهُ
فأجاب: بل لُْمْنِي إذا لم أَخْفِقِ
أنا طائرٌ قد كان يمرحُ في الرُّبَا
وعلى ضفافِ الجِذولِ المترقِّقِ
فطوى القضاءَ مَرُوجَهُ وفَضَاءَهُ
ليُزَجَّ في قَفْصِ الحَديدِ الضَّيِّقِ

لا، بل أنا ملكٌ صَحَوْتُ فلم أَجِدْ
عرشي ولا تاجي ولا إِسْتَبْرَقِي^(١)
هانتُ معاذيري وضاعتْ حُكْمَتِي
لما سمعتُ حكايةَ القلبِ الشَّقِي
لو تعدلُ الدنيا بنا لم يَنْتَثِرْ
شَمْلُ نَظْمِنَاهُ، ولم نَتَفَرَّقْ



لله مونتريالُكُم ذاتُ الحُلي
ومدينةُ الطُّودِ الأَشْمُ الأَبْلَقُ
كَمْ وقفة لي عند شاطئِ نهرها
لا أَسْتَقِي منه، وروحي تَسْتَقِي
مُتعلماً منه التَّواضعَ والنَّدَى
والصفحَ عن عبثِ الجهولِ الأَحْمَقُ
أعطى الحقولَ حياتها ومضى كأنَّ
لم يُعْطِها شيئاً ولم يَتَصَدَّقْ
من كان لا يدري فَيَقْظُهُ زَرْعُهَا
من فَضْلِ هذا الهاجِعِ المُسْتَغْرِقِ
ضَيَّعتُ عند الواعظينَ سعادتي
ووجدتُها في واعظٍ لم يَنْطُقْ
ملءُ المدائنِ والقُرى الأَوْهَ
وهباته، ويعيشُ عيشُ المُمْلِقِ
لولاهُ لم يَخْضَرْ قاعُ مُجْدِبٍ
لولاكُم شجرُ المُنَى لم يُورِقْ

(١) الإِسْتَبْرَقُ: الديباج (معرب).

عرضت محاسنها الحياة عليكم
فأخذتم بأحبها والأليق
أنا منكم في روضة معطارة
من مونيقي فيها اللحاظ لمونيقي
العطر يعبق من جميع ورودها
ما إن مررت بزهرة لم تعبق



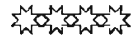
له مونتريالكم وجلالها
هي رومة الصغرى وضرة جلق
رقت علي نجومها وتواضعت
حتى كدت أحسها في مفرقي
فكانما هي أنتم وكانما
أرواحكم من نورها المتدفق
رجع الشباب إلي حين هبطتها
واليوم أخرج من شبابي الريق
سأطير عنها في غد بحشاشة
مكالومة وبناطر مغرورق
ويغيب عني طودها وقبابها
وقصورها خلف الفضاء الأزرق
وتظل صورتها تلوح بخاطري
بعض الرؤى سلوى وإن لم تصدق



٥٩ - الشباب أبو المعجزات

[المتقارب]

سلامٌ عليكم رجالَ الوفاء
وَألفُ سلامٍ على الوافياتِ
ويا فرح القلبِ بالناشئين
ففي هؤلاء جمالُ الحياة
هُم الزَّهْرُ في الأرضِ إذ لا زهور
وشَّهَبٌ إذ الشُّهْبُ مُستخفيات
إذا أنا أكبرتُ شأنَ الشبابِ
فإنَّ الشبابَ أبو المعجزات
حصونُ البلادِ وأسوارُها
إذا نام حُرَّاسُها والحُماة
غَدُ لهمُ وغَدُ فيهمُ
فيا أمسٍ فاخرُ بما هوأت
ويا حبُّذا الأمَّهاتُ اللواتي
يلدنَ النوايحَ والنابغات
فَكَمْ خَلَدَتْ أُمَّةٌ بِيراعٍ
وكم نشأتْ أُمَّةٌ في دواة



أنا شاعرٌ أبداً تائقُ
إلى الحُسْنِ في الناسِ والكائنات
أحبُّ الزُّهورَ وأهوى الطُّيور
وأعشقُ ثرثرةَ السَّاقيات

ورقُص الأشعة فوق الروابي
وضحك الجدول والقَهَقَهَاتُ
تطالعُ عيني في ذا المكانِ
روائع فاتنةٍ ساحرات
كان الفضاء وفيه الطيورُ
بحورُ بها سفنُ سباحات
كان الزهور تُرقرقُ فيها
سقيطُ الندى أعينُ باقيات
ومن بلبلٍ ساجعٍ لمُغنٍ
من زهرة غضة لفتاة



فما أجملَ الصيف في الخَلَوَاتِ
وأروع آياته البينَات!
نضا الستر عن حسنات الوجود
وكانت كأسراره المضمَرَاتُ
وأحيا رغائبنا الذابلاتِ
فَعَاشَتْ وكانت كَأَرْضٍ مَوَاتُ
ففي الأرض سحرٌ وفي الجو عطرُ
فيا لكَريمٍ ويا لَهَبَاتِ
أمامكم العيشُ حر رغيدُ
ألا فاغَنموا العيش قبلَ الفَوَاتِ



المحتوى

الديوان الخامس (تبروتراپ)

- ١ - وطن النجوم ٨٤٩
- ٢ - تحية الشام ٨٥١
- ٣ - الشاعر والكأس ٨٥٦
- ٤ - موكب التراب ٨٥٩
- ٥ - أين عصر الصبا ٨٦٢
- ٦ - الصيف ٨٦٤
- ٧ - الغد لنا ٨٦٦
- ٨ - قنبلة الفناء ٨٦٨
- ٩ - تلك السنون ٨٦٩
- ١٠ - امتنان ٨٧٤
- ١١ - اسألوها ٨٧٩
- ١٢ - أم القرى ٨٨٠
- ١٣ - من اشتهى الخمر فليزرع دواليها ٨٨٣
- ١٤ - ستعود دنيانا أحب وأجملاً ٨٨٥
- ١٥ - رؤيا ٨٨٧
- ١٦ - رؤيا ثانية ٨٨٩
- ١٧ - أيلول الشاعر ٨٩١
- ١٨ - يا رفاقي ٨٩٣
- ١٩ - لوس انجيلوس ٨٩٦
- ٢٠ - عصر الشبيبة ٩٠٠

٩٠٤	٢١ - عطش الأرواح
٩٠٧	٢٢ - بلادي
٩١٠	٢٣ - روعة العيد
٩١٢	٢٤ - يا أنشودتي انطلقى
٩١٤	٢٥ - في قلبك الله
٩١٦	٢٦ - الرأي الصواب
٩١٨	٢٧ - ليس السر في السنوات
٩١٩	٢٨ - إليك عني
٩٢١	٢٩ - دودة وبلبل
٩٢٢	٣٠ - هدية العيد
٩٢٣	٣١ - إن الحياة قصيدة
٩٢٤	٣٢ - ليالي بوسطن
٩٢٦	٣٣ - صوت من سورية
٩٢٩	٣٤ - حكمة المتنبى
٩٣٠	٣٥ - أنفاس العشاق
٩٣١	٣٦ - روجي فداك
٩٣٢	٣٧ - لو
٩٣٤	٣٨ - مقلتان
٩٣٤	٣٩ - فردوسي
٩٣٥	٤٠ - ثقيل
٩٣٦	٤١ - وداع
٩٣٨	٤٢ - تحية الشاعر (في يوبيل شكيب أرسلان)
٩٤٠	٤٣ - أخو الورقاء

٩٤٣	٤٤ - شاعر الدير
٩٤٥	٤٥ - لا يدرك الهرم النجوم
٩٤٧	٤٦ - بنت القفر
٩٥١	٤٧ - تلك المنازل
٩٥٤	٤٨ - دمة الشاعر (إلى روح الشاعر خليل مطران)
٩٥٦	٤٩ - ما زال في الأرض حياً
٩٥٩	٥٠ - يا قائد القوم
٩٦٢	٥١ - ليتهم عرفوه
٩٦٦	٥٢ - سكت الشادي وبُحّ الوتر
٩٧٠	٥٣ - لم يهدم الموت إلا هكل الطين
٩٧٢	٥٤ - ربح الردى
٩٧٤	٥٥ - الشاعر في حفلات تكريمه (المأهدون في المهجر)
٩٧٨	٥٦ - قف يا قطار بنا
٩٨٢	٥٧ - ميامي فلوريدا
٩٨٥	٥٨ - ضرة جلق
٩٨٨	٥٩ - الشباب أبو المعجزات
٩٩٠	المحتوى



(ما لم تجمعه الدواوين)

جمعه الدكتور جورج ديمتري سليم من الصحف والمجلات العربية والمهجريّة، التي نشر فيها، في كتاب سماه «إيليا أبو ماضي ١٨٨٩ - ١٩٥٧»، دراسات عنه، وأشعاره المجهولة - ووثّقها بالرجوع إلى مصادرها، فسمّاها وحدّد تواريخها وأعداد أبياتها.

الطبعة الأولى (دار المعارف. القاهرة ١٩٧٧).

تضم المجموعة خمسة وستين نصّاً شعريّاً، بين طويل ومعتدل وقصير. وهي سعة ديوان كامل من دواوين الشاعر، أو تزيد على بعضها، وتكوّن ما يزيد على خمس مجموع شعره في الدواوين الخمسة، وتُكمّله، في تغطية المناسبات والأحداث والمواقف، على امتداد حياته، في لبنان ومصر وأمريكا

١ - إلى بطل الوطنية

الشيخ عبد العزيز جاويش^(١)

[الوافر]

لئن حجبوك عن مُقَلِّ البرايا
فما حجبوا هواك عن الصُّدُورِ
وإنَّ تَكُ قد حُبَّست وأنت حُر
فكم في الحبس من أسدٍ هُصُور
كبيرُ القوم أكبرُهم خطوباً
لذاك رُميت بالخطب الكبير
لقد أعليت قدرَ السجنِ حتى
أحبَّ السجن سِكانُ القصور
ولا عجبٌ إذا أُسكنت فيه
فكَم في الليل من قمرٍ مُنير
تَعددتِ الطيورُ فلا حَبِيسُ
سوى الغرْدِ الجميلِ من الطيور
يقول الشَّامتون: السجنُ يُزري
لئن صدقوا فبالجاني الكُفُور
وما في صُحبة الأشرار عيبُ
على الداعي إلى ترك الشُّرُور

(١) رأس تحرير جريدة (اللواء) لسان حال الحزب الوطني الذي أنشأه زعيمه مصطفى كامل (ت ١٩٠٨) قبضت عليه سلطات الاحتلال الإنجليزي أكثر من مرة وأودع السجن لأسباب متعددة تتعلق بمواقفه الوطنية ومقالاته في

فصبراً، يا نزيلَ السجن، صبراً
فما عرّف الهناء سوى صبور
وحسبك عطفُ هذا الشعبِ فخراً
وحسبُ عداك توبيخُ الضمير

٢ - مصر والاحتلال

[الرمل]

خَلَّنِي أَسْتَصْرِخُ الْقَوْمَ النَّيَامَا
أَنَا لَا أَرْضَى لـ « مَصْرِ » أَنْ تُضَامَا
لَا تَلُمَّ فِي نُصْرَةِ الْحَقِّ فَتَى
هَاجَهُ الْعَابِثُ بِالْحَقِّ فَلَامَا
أَوْ فَلُمْنِي إِنَّ قَلْبِي كَأَمَّا
زِدْتَ فِي تَعْنِيْفِهِ زَادَ هُيَامَا
سَوْفَ أَشْكُو الْهَمَّ إِنْ أَخْرَجْنِي
رَبُّمَا خَفَّفْتَ الشَّكْوَى السَّقَامَا^(١)
وَقَفَّةً فِي شَاطِئِ « النَّيْلِ » مَعِي
نُقْرِئُ « النَّيْلَ » التَّحَايَا وَالسَّلَامَا
وَأُنَاجِيهِ أَمَانِي أَمَّة
مَنْعُوهَا مَاءَهُ إِلَّا لِمَامَا
عَلَّهِ يَبْعَثُ مِنْ أَسْرَارِهِ
قُوَّةً تَبْعَثُ فِي الشَّعْبِ اعْتِزَامَا^(٢)
قَسَمًا بِـ « النَّيْلِ » لَوْ أَنَّ بِهِ
مَا بِنَفْسِي مِنْ جَوَى^(٣) سَالَ ضَرَامَا
لَسْتُ أَنْسَى لَيْلَةً بَتُّ بِهَا
وَالْأَسَى يَدْفَعُ عَنْ عَيْنِي الْمَنَامَا

(١) المرض.

(٢) العزيمة.

(٣) الجوى: الحرقه وشدة الوجد من الحزن أو غيره.

أَرْقَبُ الْأَقْمارِ فِي أَفلاكِها
مِثْلَما يَرْقَبُ راعِيها السَّواما^(١)
لَمْ يُورِّقْنِي اشْتِياقُ أَوْ هوى
ما الهوى بُغْيَةً مِنْ بِالْجَدِها
راعِ نَفْسِي أَنْ «مَصْرًا» رُوِّعَتْ،
بَأبي «مَصْر» وَمِنْ فِيها أَقاما!
حَسَبُ «مَصْرٍ» أَنَّها الْأَرْضُ الَّتِي
إِمْنَ اللَّهُ بِها «الْبَيْتُ الْحَرَاما»
وَبَنِيها أَنَّهُمْ نَسْلُ الْأَلَى
عَرَكُوا الدَّهْرَ فَتِيًّا وَغَلَاما
كَرُمَتْ «مَصْرُ» وَأَهْلُها فَمَا
نَقَضَتْ عَهْدًا وَلَا خَانُوا ذِمَاما
كَانَ لِلأَحْرارِ فِيها مَوِئِلُ
يَعَصِمُ الحُرُّ فَلَا يَخْشَى اهْتِضامًا
ثُمَّ هَاضَ الدَّهْرُ مِنْ جَانِبِها
إِنَّمَا يَهْتَضِمُ^(٢) الدَّهْرُ الْكَراما
أَرَبِي «مَصْرُ» عَلَى رَغْمِ الْعِدا
لَسْتُ أَعْنِي بِالْعِدا إِلَّا الطَّغَاما^(٣)
لَسْتُ مُصْرِيًّا وَلَكِنْ نَسْبُهُ
بَيْنَنا تَجْمَعُ «مَصْرًا» وَ«الشَّاما»
أُمَّةٌ تَرْتَقِبُ اسْتِقْلالَها
مِثْلَما يَرْتَقِبُ الصَّادِي^(٤) الغَمَاما

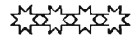
(١) سامت الماشية: رعت، فهي السائمة والسوام.

(٢) هاضه: كسره. وهضمه حقه واهتضمه، فهو مهتضم (مظلوم).

(٣) الغوغاء وأردياء الناس.

(٤) العطشان (صدي - يصدى).

ما لهم يسعون في إيدائها؟
 ما رمت سهماً ولا سلّت حساماً
 زعموا إصلاحها وهي التي
 ما شكّت غيرهم داءً عقاماً^(١)
 حبسوا «النيل» على نفعهم
 وأعاضوها^(٢) من الريّ الأواما^(٣)
 فإذا ما صرخت تشكو الصدى
 جعلوا القانون في فيها لجاماً
 أنكروا خطوتها نحو العلّا
 «رُبّ ذي لبّ عن الحقّ تعامي»
 ورموها بالتّواني، ويحهم
 أخمولُ أنها تهوى السّلاما؟
 قد خلتّ تسعة أعوامٍ على
 شقوة «النيل»، سوى عشرين عاماً
 وانقضى العمرُ ولمّا تنجلوا
 فإلام أيها القوم، إلا ما؟



كباوا أقلامنا جُهدكم
 وامنعوا الألسنَ والصُّحفَ الكلاما
 وإذا عزّ عليكم أننّا
 في وئامٍ، فانشروا فينا الخصاماً
 وإذا عزّ عليكم أننّا
 في حياةٍ، فابعثوا فينا الحماماً

(١) لا شفاء منه (العقيم).

(٢) أعطوها العوض (عاضه وأعاضه).

(٣) حر العطش (أم - يؤوم).

يَنْزِعُ الْأَرْوَاحَ مِنْ أَجْسَادِهَا،
أَوْ فَكُونُوا أَنْتُمْ الْمَوْتَ الرُّؤْمَا
إِنَّمَا يَنْقَلِبُ الْأَمْرُ إِلَى
ضِدِّهِ إِنْ جَاوَزَ الْأَمْرُ التَّمَامَا

٣ - روزفلت^(١) ومصر

[الوافر]

خطيب الأُمسِ ما أنصفت «مصرأ»
ولا أنصفت ماضيكَ القريباً
ولكن كنت للبأغي علينا
أقومي! إنَّ للبأغي ضريباً
لعمرك ما حلت بنا صديقاً
ولكن كنت طوَّافاً مُريباً
أطعت بنا الوشاة، وما عهدنا
- وحقُّك - وأشيأً إلا كنوباً
كأنِّي بـ «العميد»^(٢) إليك أوحى
بما أوحى، فقامت بنا خطيباً
تحاول أن تُحبِّبهم إلينا
متى أَلْفَيْتَنَا نهوى الخُطوباً؟
وتأملُ أن نَبِيَّت على قُنوط
كأنَّ اليأس ما قتل الشُّعوباً
أيا ضيف «الكنانة»! جُرَّت فاقصد^(٣)
فما شعبُ «الكنانة» «دون» «كوبا»
أُرجو أن تكونَ لنا نصيراً
وترجو لو تكونَ لهم حبيباً؟
لقد خدعتك، يا «روزفلت» منهم
زخارفُ تَخْدَعُ الفَطنَ الأريباً

(١) رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، وقتها (١٩١٠). خطب في الجامعة المصرية خطبة لم ترض عنها مصر.

(٢) عميد السلطة الإنجليزية المحتلة (غورست) والشاعر يأتي على نكره أكثر من مرة.

٤ - عيد الحرية العثماني^(١)

[البسيط]

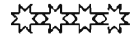
هذا مجالٌ، فهل في الحيِّ قوَّالٌ؟
إني، على العَجَزِ، في المضمَارِ جوَّالٌ
ما أجملَ القولَ والأَذَانُ صاغيةُ
والصَّمْتُ، حيثُ على الأسماعِ إقفالُ!
حسبي وحسبُك أن الشَّمْلَ مُلتئمُ
والصفودانِ وللايامِ إقبالُ
وحسبُ شعركَ هذا العيدُ، من سببِ
إذا نَبَتَ بك أسبابُ وأوصالُ
لم يبقَ في الشُّرْقِ من قُطْرٍ ولا بلدٍ
إلا وفيه احتفالاتٌ وحُفَّالُ^(٢)
فانشُرْ قوافيكَ في الآفاقِ، فهي على الـ
أكبادِ ماءٌ وفي الأنواقِ جِريالُ^(٣)
إني أراك مُطاعاً في شواردها
ما أنت ممَّن على الأشعارِ يحتالُ
إن القوافي إذا أحكمت عُقْدَتَهَا
فما يعيبُك إكثارُ وإقلالُ
وإن أجَدْتَ فلا تعباً بذِي سَفَه
فحيثُما كان مجدٌ كان عُذالُ

(١) بمناسبة مرور سنة على إعلان هذا الدستور (١٩١٠).

(٢) حفل القوم: اجتمعوا واحتشوا، فهم حافلون وحفَّال.

(٣) جريال: الخمرة.

فَفِيمَ صَمْتُكَ، لَا وَاشٍ وَلَا رَصْدُ
يُخْشَى، وَلَا ظَالِمٌ لِلْحُرِّ يَغْتَالُ؟^(١)
إِنْ كُنْتَ تَبْخُلُ بِالْأَقْوَالِ تَمْلِكُهَا
فَكَيْفَ جُودُكَ بِالدُّنْيَا وَلَا مَالُ؟



طَالَ السُّكُوتُ، وَمَا لِي فِيهِ مِنْ أَرْبٍ
وَإِنَّمَا بِي لِهَذَا الْعِيدِ إِجْلَالُ
عِيدٌ إِذَا عُدَّ فِي الْأَعْيَادِ زَيْنُهَا
كَالشَّمْسِ فِي الشُّهُبِ، هَلْ لِلشَّمْسِ أَمْثَالُ؟
عِيدٌ رَأَاهُ ذَوُو الْحَاجَاتِ، فَابْتَسَمُوا
شَوْقاً، وَكَمْ لَذَوِي الْحَاجَاتِ أَمَالُ
تَفَاءَلُوا أَنْ «تَمُوزاً» يَكُونُ لَهُمْ
عِيداً كَغَيْرِهِمْ، قَدْ يَصْدُقُ الْفَالُ
«تَمُوز» أَنْتَ مَنْيْلُ الشَّرْقِ بُغْيَتُهُ
فِي حِينَ أَسْمَحُ^(٢) قَوْمٌ فِيهِ بُخَالُ
بِتَنَا نُوْدُ شُهُورِ الْعَامِ أَجْمَعِهَا
«تَمُوز» أَوْ أَنْ يَوْمَ الْعِيدِ أَجْيَالُ!



بَادَ الزَّمَانُ الَّذِي تُخْشَى غَوَائِلُهُ
فَيْنَا، وَبَدَّلْتَ الْأَحْوَالَ أَحْوَالَ
وَبَاتَ طَاغِيَةُ الْأَمْلَاقِ مَعْتَقِلاً
لَهُ مِنَ الْهَمِّ أَصْفَادُ وَأَغْلَالُ
لَمْ أَنْسَهُ، وَهُوَ فِي «يَلْدِيز» مَمْتَنَعُ
خَوْفِ الْمَنِيَّةِ، إِنْ الْخَوْفُ قَتَّالُ

(١) الرَّصْدُ. الرَّاصِدُونَ (يَسْتَوِي فِيهِ الْوَاحِدُ وَالْجَمْعُ وَالْمُؤَنَّثُ).

(٢) سَمَحَ وَأَسْمَحَ: جَادَ وَأَعْطَى عَنْ كَرَمٍ وَسَخَاءٍ.

والشعبُ قد جاش كالبركانِ من غضبٍ
أو الغَضنفرِ بانتَ عنه أشبال
والجيشُ مندفعٌ كالسيلِ من حنَقٍ
والبيضُ مشرعةٌ والرمحُ عسَّال^(١)
وللقذائفِ حولَ القصرِ فرقعةٌ
يكاد يحدثُ منها فيه زلزال
وللبنادقِ أصواتٌ إذا طرقتُ
أذنيه، أيقن أن الشعبَ فعَّال
لما رأى الموتَ أمسى منه مُقترباً
بكى بكاءً صغيرٍ ما له آل
أمسكْ عليك دموعاً غيرَ مُجدية
دمعُ المُضيعِ دمعُ الشعبِ إذلال
نقضتُ عهدك لما صرتَ مؤتمناً
لو عاهد الذئبُ أوفى وهو ختال
قُم فانزعِ التَّاج طوعاً قبل تنزعه^(٢)
عنك العوالي، فقد ضاقتُ بنا الحال
ودَّعَ سرير «بني عثمان» عن كَتَبٍ
ما أنتَ أهلٌ له، للمُلكِ أقبال^(٣)
المُلكُ لاقَ به من ك «الرشاد» حجاً
هيهات ما لـ «رشاد» المُلكِ أمثال
به المنازلُ أضحتْ وهي عامرةٌ
وكننتَ فيها وكانت وهي أطلال



(١) غسل الرمح: اهتز.

(٢) على تقدير: أن تنزعه.

(٣) القيل في الأصل: الملك من ملوك حمير، وجمعه أقيال.

«دار السلام»! سَقَّتْكَ السُّحْبُ هَامِيَةً
ما دام للسُّحْبُ في الأَكْوَانِ تَجَوَّالُ
إني أرى فيك «بغداداً» وأُبْصِرُ في
بُرْدٍ «الرشيد» «رشاد» المُلْكِ يَخْتَالُ
يَعُدُّني القَوْمُ من نُزَّالٍ «مصر» ولي
قلبٌ على البُعدِ ممن فيك نَزَّالُ
إمّا تَنْتَ بِصِري عنك الجِبَالُ فما
كانت لِتَحْجُبَ سَمْعِي عنك أَجِبَالُ
يا دَرَّةَ الشَّرْقِ، دَمَتِ الدَّهْرُ حَالِيَةً^(١)
فالشَّرْقُ لَوْلَاكَ أَمْسَى وهو مَعْطَالُ^(٢)

(١) الحالي: ذو الحلية (حلي - يحلي).

(٢) العطل: فقدان الحلي، والمرأة عاطل ومعطال.

٥ - نفثة مصدر

[الوافر]

سوى «لبنان» يَمُقُّتُهُ فَوَّادِي
وغيرُ بَنِيهِ أَمْنَعُهُمْ وَدَادِي
بِلَادُ اللَّهِ وَاسْمَعُهُ وَلَكِنْ
تَضَيِّقُ لَدِيَّ إِنْ ضَاقَتْ بِلَادِي
بِلَادُ قَدْ طُبِعَتْ عَلَى هَوَاهَا
كَمَا طُبِعَ الزَّمَانُ عَلَى عِنَادِي
فَمَا أَنْفَكُ أَطْمَحُ لِمَعَالِي
وَلَا يَنْفَكُ يَبْخُلُ بِالْمُرَادِ
يَصُوبُ كُلُّ حَيْنٍ كُلِّ سَهْمٍ
إِلَيَّ فَلَا يُصِيبُ سَوَى فَوَّادِي
لَقَدْ كَثُرَتْ خُطُوبُ الدَّهْرِ عِنْدِي
وَلَمْ تَبْرَحْ لَدِيَّ عَلَى ازْدِيَادِ
لَعَمْرُأَبِيكَ لَوْ كَانَتْ نُضَارًا^(١)
أَمِنْتُ عَلَيْهِ مِنْ دَاءِ النَّفَادِ
نَحَلْتُ مِنَ الْهُمُومِ، فَلَوْ تَرَانِي
لَمَّا مَيَّزْتَ طَيْفِي مِنْ سَوَادِي^(٢)
وَلَا أُدْرِي وَقَدْ طَالَ اغْتِرَابِي
لِمَنْ أَشْكُو وَقَدْ طَالَ انْفِرَادِي

(١) الذهب الخالص.

فالولا يشمتُ الأعداءُ مني
 جرى دمعي فأزرى بالسُّهاد
 أضنُّ به ولي قـلبُ كـريمٍ
 جوادٌ لا يـضنُّ بمسـتـفـاد
 شعوبٌ لا تُعدُّ، ولا كـقـومي
 تـساوى باعـتـقـادهم اعتقادي
 أحنُّ إلى لقائهم وأصبو
 كما حنَّ إلى الماء الصُّوادي^(١)
 يكادُ الشوقُ ينقلُّني إليهم
 لو ان الشوقُ ينقل غير باد
 ترى، هل عندهم أني ودهري
 لأجلهم أبـيتُ على جهاد؟
 ففي أرقٍ إذا غفلوا وناموا
 وفي خوفٍ ولو أـمنوا العوادي
 كرامٌ في زمانٍ ليس فيه
 كريمٌ الكفُّ في الكُرب الشُّداد
 يزيئون النُّجاد إذا احتبوه
 ويزدانُ العوالمُ^(٢) بالنُّجاد
 شُموسٌ يستضاءُ بهم، غُيوثٌ
 إذا سُئلوا، ليوثُ في الطُّراد
 ولكن ساءتِ الأحكامُ فيهم
 فسأؤوا سُمعةً في كلِّ ناد
 تـمادوا في التـساهلِ مع أناسٍ
 تـمادوا في النـقائصِ والفساد

(١) الصادية: العطشى، وجمعه: الصوادي (صدي - يصدى).

فَرَا جَ الظِّلْمُ حَتَّى بَاتَ سَهْلًا
وَإِنَّ الظِّلْمَ أَجْدَرُ بِالْكَسَادِ
وَبَاتَ الْعَدْلُ مُضْطَهَدًا لَدَيْهِمْ
وَهُمْ أَوْلَى بِذَلِكَ الْإِضْطِهَادِ
فِيَا لَهْفِي عَلَى «لَبْنَانَ» يُمَسِّي
وَأَهْلُ أُوهُ عَلَى وَشَكِّ الْحَدَادِ
عَلِيلٌ يَسْتَغِيثُ وَلَا طَبِيبُ
وَمَأْسُورٌ وَلَيْسَ هُنَاكَ فَادُ
يَسُومُ السَّائِكِينَ الْخَسْفَ غَرًّا
غَوِيٌّ ضَلَّ عَنْ نَهْجِ الرُّشَادِ
وَأَحْزَابٌ كَمَا أُدْرِي وَتَدْرِي
تُنَادِي بِالْوِفَاقِ وَلَا تَنَادِي
رَأَوَا فِي الشَّعْبِ رَاحِلَةً ذُلُولًا
عَلَى وَهْنٍ، فَكَانُوا كَالْقُرَادِ^(١)
وَفِي «لَبْنَانَ» مُرْتَبِعًا خَصِيبًا
عَلَى ضَعْفٍ، فَكَانُوا كَالْجَرَادِ
فَمَا تَرَكُوا لَنَا مَجْدًا طَرِيفًا
وَلَا أَبْقَوْا عَلَى مَجْدٍ تِلَادِ^(٢)
سَتَأْتِيهِمْ شَوَارِدُ مُقْلَقَاتُ
تَقِيمُ الْهَاجِعِينَ عَنِ الْوَسَادِ
أَشَدُّ عَلَى النَفُوسِ مِنَ الْمَنَايَا
وَمِنْ وَقَعِ السِّيُوفِ عَلَى الْهُوَادِي^(٣)

(١) القُرَاد: دويبة تعض الإبل.

(٢) القديم الأصلي، ضد الطارف.

(٣) الهوادي: أوائل الخيل.

يُحِبُّهَا فَتَى فِي الشَّعْرِ فَذُّ
«حَبِيبٌ» دُونَهُ وَ«أَبُو دُوَادٍ»^(١)
يَغْرِهُمُ سَكُوتُ الشَّعْبِ حِينًا
وَلَا يَدْرُونَ مَا تَحْتَ الرَّمَادِ
وَلَا يَدْرُونَ أَنَّ الشَّعْبَ سَيَّلُ
إِذَا مَا أَنْصَبَ أَفْعَمَ كُلَّ وَادٍ
وَبِحَرِّ لَيْسَ يَسْلَمُ رَاكِبُوهُ
فَإِنَّ الْبَحْرَ صَعْبُ الْإِنْقِيَادِ
فَإِنْ يَرْقُدُ فَإِنَّ لِكُلِّ جَفْنٍ
وَلَا نُكْرُ، نَصِيبًا فِي الرُّقَادِ
لَنَا دِينَ عَلَيْهِمْ غَيْرُ نَذْرٍ
وَإِنَّ الدِّينَ أَحْرَى بِالسَّدَادِ
فَإِنْ دَامَتْ عَمَايَتُهُمْ وَدَامُوا
وَدَامَ الظُّلْمُ يَجْرِي فِي الْعِبَادِ^(٢)
فَأَنْذَرَهُمْ بِيَوْمٍ مُسْتَطِيرٍ
يَطِيرُ لَهُوْلَهُ قَلْبُ الْجَمَادِ
تَنْوِبُ بِهِ عَنِ الْقَلَمِ الْعَوَالِي
وَأَنْهَارُ الدَّمَاءِ عَنِ الْمَدَادِ^(٣)

(١) أبو تمام حبيب بن أوس الطائي (الشاعر العباسي). وأبو دُوَادٍ الإيادي (الشاعر الجاهلي).
(٢) عَمَايَتُهُم: الغواية واللجاج في الباطل.

٦ - نجوى لبناني^(١)

[الكامل]

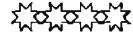
لا الغيدُ تُصَيِّبُنِي^(٢) ولا الأقداحُ
مهما تَغَالَى فيهما المَدَّاحُ
إني امرؤُ كلفُ بِإِدْرَاكِ الْعُلَا
دَأْبِي الْجَهَادُ وَغَايَتِي الْإِصْلَاحُ
أَهْوَى بِلَادِي دَانِيَاً أَوْ نَائِيَاً
أَعَلِيَّ فِي حُبِّ الْبِلَادِ جُنَاحُ؟
«لبنانُ»، لستُ أبِي، ولستُ فَتَاكَ، إِنَّ
صَرَفْتُ فَوَادِي عَنْ هَوَاكَ رِدَاحُ^(٣)
زعم العواذلُ أَنَّ سَلَوْتُكَ، ويحهم
غَيْرُ السَّلَوِّ لِمَنْ أَحَبَّ يُتَاحُ؟
مَا إِنْ هَجَرْتُكَ عَنْ قَلِي لَكِنَّمَا
قَلْبُ إِلَى نَيْلِ الْعُلَا طَمَّاحُ
«لبنانُ» حَسْبِي أَنَّنِي لَكَ أَنْتَمِي
وَكَفَّاكَ أَنَّنِي الْبَلْبَلُ الصَّدَّاحُ
أَشْدُو بِذِكْرِكَ مَا بَقِيْتُ، وَمَرَقَمِي
تَجْرِي بِهِ فَوْقَ الطُّرُوسِ الرَّاحُ^(٤)
قَالُوا: سَكَتَ فَقُلْتُ: لَيْسَ بِضَائِرِي
بَعْضُ السَّكُوتِ كَأَنَّهُ إِفْصَاحُ

(١) أول قصيدة تنشرها له (مرأة الغرب) بعد نزوله سنسناتي.

(٢) صبا: مال إلى الجهل. وأصباها: أماله.

(٣) امرأة رداح: تامة الخلق.

فلربما صممتَ شفاه ذوي الهوى
عمداً، لكي تَنَاطب الأرواحُ



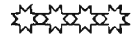
شيخ الرواسي^(١)! ما لأهلك أصبحوا
لا الحزنُ يجمعُهُم ولا الأفراح
كالغصنِ يسكن كلما سكن الصَّبَا
ويميل أنى مالت الأرياح
عبثتْ بهم أهواؤُهُم فتفرَّقُوا
شيعةً، وليس مع الخلاف نجاح
لا يملكون مع الزمان قيادهم
كالفلك تجري ما لها ملاح
لله أنت إذ الزمانُ مُسالِمٌ
وبنوك كوكبُ سعدهم وضاح
أيام كان عليك من صنْع العُلا
حُلٌّ، ومن نسجِ الفخار وشاح
بالأمس يرهَبُك الزمانُ وصرفه
واليوم بات حماك وهو مُباح
لم يبقَ شيءٌ فيك لم تعلق به أَلْ
أكدارُ، إلا الماءُ فهو قَرّاح^(٢)
أضحى صباحاً ليلُ «مصر» بـ «يوسف»
فعلام ليس ليلنا إصباح؟^(٣)
سعدتْ به وبعهدِه، في أرضنا
يشقى الأميرُ ويُرهِقُ الفلاح

(١) الجبال.

(٢) الماء القراح: الزلال الصافي.

(٣) يقصد النبي يوسف بن يعقوب (عليه السلام)

وتنالُ كَفُّ الظلمِ كلُّ أخِي نُهي
حُرٌّ، ويخفى الحقُّ وهو صُراح
فكان «بيت الدين» أصبح «يلدزاً»
وكانما هو ذلك السُّفَّاح^(١)
نرجو الصلاح من الفساد جهالةً
هيهات، ليس مع الفساد صلاح



أبناءَ ذا الجيل الأشمُّ تحيةً
تزكو ويذكو نشرها الفيّاح^(٢)
حتّام أنتم مغمضون على القذى
لا تنهضون، كأنكم أشباح؟
أجهلتم أن البقاء تنازع؟
أنسيتم أن الحياة كفاح؟
فمتى أراكم طارحين خمولكم
ولكم غدو لعل ورواح؟
بالعلم فاعتصموا فلم أر سبّةً
كالجهل، فهو لأهله فُضّاح
فالعلم في الرجل القوي فضيلة
والعلم في الرجل الضعيف سلاح
هؤلاء أهل «الغرب» قد بلغوا «السُّها»
مجداً، وما غير العلوم جناح^(٣)
«فتشبهوا إن لم تكونوا مثّالهم
إن التشبّه بالكرام فلاح»



(١) بيت الدين. قصر الرئاسة في لبنان آنذاك، ويليز قصر السلطان عبد الحميد في استانبول.

(٢) النشر. الريح الطيبة. وفاح - يفوح - ويفيح.

(٣) السُّها كويكب خفي الضوء في بنات نعش الكبرى.

٧ - عتاب إلى إلياس عطا الله

[البسيط]

يا روح «إلياس» بالأرواح نفديك
إن المايكة تُفدى بالممالك
لولا تجنيك لم أحسُّد أخا ولع
ما كان أسعدني لولا تجنيك
لم الصُّود وما قلبي بمنصرفٍ
إلى سواك، ولا سيري بمهتوك؟
« كاتبتنا مرةً في العمرِ واحدةً
ثني ولا تجعلها بيضة الديك »
~~~~~

«نيويورك»، يا من فتنت الخلق كلهم  
ما كنت فاتنتي لولا فتى فيك  
أخو سجايا، لو أن الله فرَّقها  
في الناس، ما أبصرت عيني بصعلوك  
هلال لطف وظرفٍ غير منخسفٍ  
وطود حالمٍ وحزمٍ غير مدكوك  
يجود للناس بالعقيان مرقمه<sup>(١)</sup>  
إن شاء منسبكاً أو غير مسبوك  
فاقت كتابته الكتاب قاطبةً  
وفاق إعلانُه إعلان «مأوك»!<sup>(٢)</sup>

---

(١) المرقم: القلم. والعقيان. الذهب الخالص.





صبراً، فإن تنقُمي أركبتني خَسناً  
أوتقنطي فلقَد أَشَمّت شَانِيك  
لَعَلّما رَقعةٌ تحظى العيونُ بها  
من الحبيب فتَشْفِيها وتَشْفِيك

\*\*\*\*

## ٨ - اليهودي التائه

[مجزوء الرجز]

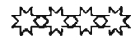
أكلُ يومٍ مـ خـ رقه  
وقصصه مـ الفقه؟  
من أحـمقٍ ذي عُـررٍ  
أو جاهلٍ ذي فـيهقه<sup>(١)</sup>  
وكلُ يومٍ طـارقُ  
يأخذكم بـ « الهيبقه »<sup>(٢)</sup>  
كذا الذي طاف عليـ  
كم يستدر الصدقه  
ويستثير الدين فيـ  
كم، وهو رب الزندقه  
فما تراءى شبحُ  
منكم إلا أحقه  
وما أصاب موصداً  
في الحي إلا طـرقه  
وما رأى مائدةً  
إلا أمال عـنقه  
أعجبه سمـنكم  
فصار مثل العاقه

---

(١) تفهق في مشيته أو كلامه: تبخر وتعالّم وتشدق.

(٢) من اللغة المحكية: أخذ الأمور بالمشاغلة وضجيجها

يَمْتَصُّ أَمْوَالَكُمْ  
 مَصَّ الْهَجِيرِ<sup>(١)</sup> الزَّبِقَهُ  
 يَمْلَأُ مِنْ جَيِّبِكُمْ  
 جَيِّبَهُ الْمُخَرِّقَهُ  
 إِنَّ تَسْتَحُوا لَا يَسْتَحِي  
 كَذَا إِلَهُ خَاسِقَهُ  
 جَارِي «الْيَهُودِي» تَائِهًا  
 بَلْ بَزَّهْ، بَلْ سَبِقَهُ  
 فَالْيَوْمَ فِي مَنْطِقَةٍ  
 وَفِي غَدٍ فِي مَنْطِقَةٍ  
 يَا حَامِلَ «الْكَشْكُولِ» فِي الدِّ  
 عَاتِقِ أَيْنَ «الْمَنْطِقَةُ»<sup>(٢)</sup>



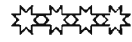
مَا عَجَبِي مِنْ رَجُلٍ  
 صَارَ قَفَاهُ مَقْرَقَهُ<sup>(٣)</sup>  
 بَلْ عَجَبِي مِنْ مَقْرِقٍ  
 قَدْ صَارَ خَلْفَ الْعُنْفَقَةِ<sup>(٤)</sup>  
 يَا لَهَا مِنْ قَرْعَةٍ  
 بَلْ يَا لَهَا مِنْ مَزَلَقَةٍ!  
 دَائِرَةٌ مِثْلَ الرِّحَى  
 بِيَضَاءٍ مِثْلَ «الشَّرْنَقَةِ»  
 فِي الْبَرْدِ تَغْلُو جَمْدًا  
 وَفِي الْهَجِيرِ مَبْصَقَهُ

(١) الهجير والهاجرة: نصف النهار، عند الزوال إلى العصر.

(٢) ما بين المنكب والعنق. والمنطقة: كل ما شُدَّ به الوسط، مثل (النطاق).

(٣) مفرق الرأس: حيث يفرق فيه الشعر.

رَأْسُ تُوْ ظَلُّ أَرْجُلَ الْ  
بُرْغُوْثِ فِيْهِ قَاقَه  
فَلَوْ تَرَاهُ حَاسِرًا  
ظَنَنْتَهُ قَدْ حَاقَه  
هَذَا هُوَ «السِّنْدَان» وَالـ  
أَنْفُ الْكَبِيرُ «الْمَطْرَقَه»



عَقُّ بَنَانِي قَآمِي  
أَضَاعَ شَعْرِي رَوْنَقَه  
وَلَا أَطَاعَتْنِي الْقَوَا  
فِي الشُّارِدَاتِ الْمُؤْنِقَه  
إِنْ كُنْتُ لَا أَرْعَاكُمْ  
رَعَى الْجَفَوْنَ الْحَدَقَه  
إِلَّامَ يَسْتَجِهُ أُنْكُمْ  
أَجْهَلُ مَنْ «هَبْنَقَه»؟ (١)  
دُمُ الْقَلَابِ مَالُكُمْ  
فَحَازِرُوا أَنْ يُهْرَقَه  
أَتَجْعَلُونَ عَرَقَ الْـ  
أَجْسَادِ مِنْكُمْ «عَرَقَه»؟  
أَرَأَيْكُمْ مِنْ طَقَقَه؟  
وَقَدْ عَرَفْتُمْ مِنْ طَقَقَه  
أَمْ صَوْتُهُ؟ وَصَوْتُهُ  
أَحْسَنُ مِنْهُ النِّقْنَقَه  
أَمْ وَجْهُهُ؟ وَوَجْهُهُ  
هُ الْقَرْدُ «طَاحَ الْحَاقَه»!

---

(١) الهَيْئَقُ. الْأَحْمَقُ (وَالنَّاءُ لِلْمِبَالْغَةِ). وَقَدْ أَصْبَحَ مَثَلًا يُضْرَبُ.

قَوْمُوا اقْرؤوا تاريخه  
 هل فيه إلا موبقه؟<sup>(١)</sup>  
 في كل يوم يبتغي  
 ضريبة أو نفقه  
 كأنكم بوعول  
 كأنه مطأقه  
 بل كما أحس بال  
 إملاق أبدى ماقه  
 فصور البحر لكم  
 وهو أجاج<sup>(٢)</sup> «مرقه»  
 وصور الأرض على أن  
 تساعها ك «البندقه»  
 وحوله عصابة  
 تجهل إلا الشقققه  
 ضمائر ميته  
 وألسن مفرقه  
 يرعى لها عودها  
 كما تراعي موثقه  
 قد وافقته مثاما  
 «وافق شئ طبقه»  
 لكنها عالة  
 قد نزعته منه النقه

(١) الموبق من المعاصي الكبائر المهلكة  
 (٢) ملح مر.

والله، لو كان قصا  
صُ «النَّصْبِ» مثلَ السُّرْقَةِ  
لَأَصْبَحَتْ أَيْدِيهِمْ  
مَقْطُوعَةً مَعْلُوقَةً  
وَأَبْصَرْتَ أَعْيُنُكُمْ  
أَتَقَاهُمْ فِي الْمَشْنَقَةِ!

\*\*\*\*\*

## ٩ - وقفْ عليك الشعر

(إلى كل حامل كشكول)

[الكامل]

أسفي على الكشكول كيف تمزّقاً  
يا صاحب الكشكول، طال لك البقا  
لا يحزننك اليوم أنك مُخَفِّقُ  
ما أنت أولُ ذي رياءٍ أخَفِّقاً  
عقبى الحماقة ما علمت، وإنما  
هيهات أن تعظَ الحوادثُ أحمقا  
أعييت كلَّ مهذبٍ ومؤدبٍ  
حتى العصا، وعييت أن تتخلّقاً  
كم ذا تطوّف في المدائن والقُرى  
متبجحاً، مُتنطعاً، مُتفیهقاً  
مُتوعداً كلَّ امرئٍ مُستضعفٍ  
مُتملقاً من يعشق المتملقا  
خلت السنون وأنت تستجدي الوری  
فمتى أراك على الوری مُتصدقاً؟  
جانبك بالموفور حتى أملّقوا  
وتلفّقوا فراؤك منهم أملقا  
أنفقت مالههم كما أنفقتهُ  
اللهُ أعلمُ كيف باد وأنفقاً  
لو كان شعراً كنت صاحب لمة  
أو كان لفظاً كنت أغزر منطقاً

بِدَدَّتْهُ وَعَفَوْتَ عَنْ أَرْوَاحِهِمْ  
لِلَّهِ قَلْبُكَ مَا أَرْقُ وَأَشْفَقَا!  
مَالُ الشَّحَّازَةِ لَا يَدُومُ، وَإِنْ يَدُمُ  
فَقَدْ اقْتَنَيْتَ بِهِ سَعِيرًا مُحْرِقَا  
❖❖❖❖❖

كَمْ ذَا تَشِيدُ الْبَاخِرَاتِ وَتَبْتَئِنِي!  
مَهْلًا، فَإِنَّ الْبَحْرَ أَصْبَحَ ضَيِّقَا  
أَقْلَقْتُ حَتَّى «الْإِنْكَالِيز»، وَطَالَمَا  
ظَنُّوا الْعُجَابَ لَهُمْ حَلَالًا مُطْلَقَا  
هَلَا - وَقَدْ هَيَّجَتْ كَامِنَ حَقْدِهِمْ -  
صَافِيَتَهُمْ وَعَقَدَتْ مَعَهُمْ مَوْثِقَا؟  
لَا، لَا، فَإِنْ هُمْ أَغْرَقُوهَا كُلَّهَا  
بَقِيَتْ لَدَيْكَ «سَفِينَةٌ» لَنْ تَغْرَقَا  
أَعْنِي الْمَدْرَعَةُ الْمَصْفَحَةُ الَّتِي  
تَخْشَى الْعَوَاصِفَ حَوْلَهَا أَنْ تُخْفَقَا  
هِيَ طَاسَةٌ سَحْرِيَّةٌ، مُرَّهَا تَكُنْ  
فِي الْمَاءِ فُلُكًا، فِي الْفَضَاءِ مُحَلِّقَا  
قَدْ قَالَ قَوْمٌ: مَغْنَطِيسٌ تَحْتَهَا  
وَيَقُولُ قَوْمٌ: إِنَّ فِيهَا زُنْبُقَا  
كَذَّبَ الَّذِينَ تَقُولُوا: يَا سَيِّدِي  
الْحَقُّ أَنَّ بَهَا الْجَنُونَ الْمُطْبِقَا!  
❖❖❖❖❖

جَفَّ الْقَذَالُ<sup>(١)</sup>، وَبَاتَ أَجْرَدَ عَارِيًا  
لَوْ كُنْتَ تَحْفَظُ مَاءَ وَجْهِكَ أَوْرَقَا

---

(١) القذال: جماع مؤخر الرأس (الجمع: أفتلة وقُذُل) ..



طار السوادُ عن المفارقِ وأمّحى  
فاليوم أصبح كلُّ رأسك مفترقا  
لو حاولَ البُرغوثُ يمشي فوقه  
لم يأمن البُرغوثُ أن « يتزحلقا »  
ضيّعتِ عمرَكَ في المعاصي كلّهُ  
فمتى تحنّ إلى الفضيلة والتُّقى؟



وقّفْ عليك الشُّعرُ حتى ترعوي  
وعلى الضلالِ الحقُّ حتى يُزهقا  
أنّي حللت وجدت ثمّ شوارداً  
تُلهيك إن تلهو وإن تتشدّقا  
ملء الشُّفاه، فإن هممت بلفظة  
نطقت بها الأفواه كي لا تنطقا  
تغري بقلبك كلّ همّ مقلقٍ  
وتنودُ عنك النوم حتى تأرقا  
وتكونُ إمّا سرت غرباً مغرباً  
وتكونُ إمّا سرت شرقاً مشرقاً  
فإذا رأك إلى لقائك شيقُ  
أمسى إلى التوديع منه أشوقا  
لا «مرحباً» إمّا نزلت، ولا إذا  
أزمعت تسمع من يقول: «إلى اللقاء»  
يا ساكني «كندا»، السلام عليكمُ  
إنّ المنافقَ بينكم لن ينفُقا  
وفاكم ذاك الغرابُ مُبكّراً  
فمنعتموه بينكم أن ينعقا

لَوْلَمْ تَكُونُوا الْأُسْدَ أَوْ أَشِبَالَهَا  
مَا خَافَ أَنْ يَعْوِيَ وَلَا أَنْ يَنْهَقَا  
مَا مَرَّ ذِكْرُكُمْ عَلَى ذِي مَسْمَعٍ  
إِلَّا تَمَأَّكُهُ السُّرُورُ فَصَفَّقَا

\*\*\*\*\*

## ١٠ - ماذا؟

[البسيط]

ما الطَّيْرُ ضاقتَ بها الأوكارُ فاضطربتُ  
في الأرضِ باحثةً عن مرتعٍ خصبٍ  
تغالبُ الريحُ في الأجواءِ صاعدةً  
وتتقي الناسَ عند الحسَوِ والنَّعْبِ<sup>(١)</sup>  
حتى إذا هبطتُ في السفحِ مزدرعاً  
فيه الفواكهُ من نخلٍ ومن عنبٍ<sup>(٢)</sup>  
وأودعتُ زُغْبها الأعشاشَ، وانطلقتُ  
تقتاتُ بالبُسْرِ أحياناً وبالرُّطْبِ<sup>(٣)</sup>  
ساقَ القضاءِ إليها كلَّ محتَبِلٍ  
فلم تجزْ عطْباً إلا إلى عطْبٍ<sup>(٤)</sup>  
أشقى وأتعسُ حظاً من مُهاجرةٍ  
في «الغرب» شرقية الأنسابِ والحسبِ  
كأنما البؤسُ خُلِقَ من خلائقها  
فكلُّما غالبتهُ فازَ بالغلبِ  
طلَبُ النوائبِ في حلٍّ ومرتحلٍ  
في دارة الأرضِ أو في دارة الشُّهْبِ  
إنَّ تركبَ البحرِ فالسَّمْسارُ يرصدها

(١) حسو الطائر الماء، والنَّعْب مثله. (نَعْب - يَنْعَب - نَعْباً)

(٢) المزرع: موضع الزرع، مثل (المزرعة).

(٣) من مراحل نضج التمر. البُسْر والرُّطْب، والتمرُ آخرها

أو تطلبِ البرَّ فالدلالُ في الطلبِ  
 حاموا عليها كما حام النسورُ على  
 جرحي الهاذم<sup>(١)</sup> والهنديَّة القُضْبُ  
 أو كالذباب على صحنٍ من الضرب  
 أو كـ «اليهود» على عجلٍ من الذهب<sup>(٢)</sup>  
 كأنها الشاةُ، غالَ الموتُ راعيها  
 فكلُّ ضرعٍ عليه كلُّ مُحْتَلَبٍ  
 هناك يسلبها حكامُها، وهنا  
 أهلُ الكشاكيلِ والأكياسِ والحُقُبِ  
 باسمِ المساكينِ أحياناً، وأونةً  
 باسمِ الهياكلِ والإصلاحِ والأدبِ  
 موتى الضمائرِ، موتى كلِّ عاطفةٍ  
 فليس فيهم - وكم بين اللصوص - أبي  
 إن يُرهقوها، وهم منها، فلا عجبُ  
 لا يعرفُ السوسُ غيرَ الفتكِ بالخشبِ  
 في كلِّ يومٍ لهم في قتلها أربُ  
 وما لها أربُ في قتلِ ذي أربٍ  
 تغرَّبَتْ في سبيلِ المجد، واغتربوا  
 طَماعةً بمجاني كلِّ مُغتربٍ  
 يا ليت من شاطروها مالها حملوا  
 شطراً من الظلم، أو شطراً من التعبِ  
 ❖❖❖❖❖  
 يا أمَّةَ هاضتِ الأيامُ جانبهم

(١) لهْزَمَ: قطعه. واللهْزَمَ: السنان القاطع. وقَضَبَ: قطع (يعني: السيوف الهنديَّة القاطعة).

(٢) الضرب: العسل الأبيض الغليظ.

وطمع الضَّعْفُ فيهم كلُّ مُغْتَصِبٍ  
 لا تأخذوا بَأَمَانِي مَرْوَقَةً  
 ما دُرُّ أهل الأمانِي غيرُ مُخْشَلَبٍ<sup>(١)</sup>  
 أموالكم، أنتم أولى الأنامُ بها  
 فراقبوا الله في مُستحدثِ النَّشَبِ  
 هذا السلاحُ الذي يُشرى السلاحُ به  
 هذا المسمى بحقِّ كاشفِ النُّوبِ  
 هذا المنجي من الآفاتِ صاحبه  
 إنْ تَفَقَدُوهُ فَقَدْتُمْ أَنْفَعَ الصَّحْبِ<sup>(٢)</sup>  
 لا تحسبوا أنني بالشُّحِّ أَمْرُكُمُ  
 إن المواطِرَ عندي أَفْضَلُ السُّحْبِ  
 وإنما رَفَدُكُمْ من لا خَلَقَ لَهُمْ  
 كَمُلَيْسِ الْخَزْذَاتِ الظَّلْفِ والغَيْبِ<sup>(٣)</sup>  
 جُودُ الْكَرِيمِ عَلَى مَنْ يَسْتَخَفُّ بِهِ  
 مُضِيعٌ، كَالْحَيَا<sup>(٤)</sup> فِي الْمَوْضِعِ الْخَرِبِ  
 ماذا؟ أَيْعَجُّمُ أَهْلُ الْيَوْمِ عُودَكُمْ  
 وأنتم النُّجَبُ نَسْلُ السَّادَةِ النُّجَبِ؟<sup>(٥)</sup>  
 وتطربون، وسيفُ الموتِ منْصَلَتْ؟  
 وتلعبون، وشرُّ الناسِ نُو اللَّعْبِ؟  
 إن كان صوتي لم يبلُغْ مسامِعَكُمْ  
 فذاك من حُسْنِ حَظِّ الْيَوْمِ وَالْخُرْبِ

(١) الدَّرةُ الزائفة.

(٢) جمع الصاحب: صاحب.

(٣) نوات الأظلاف: المجتررة من الحيوان. والغيب والغيب: الجلد تحت الحنك.

(٤) الحيا: المطر.

(٥) عَجَمَ: اختبر وجرب وراى ومافى معناها



ثَلَاثَةٌ لَا أَصَابَتْ غَيْرَ أُولَئِهَا  
أَهْلُ النَّفَاقِ وَدَاءُ السُّلِّ وَالْجَرَبِ  
يَقُولُ قَائِلُهُمْ: مَهْلًا إِلَى «رَجَبٍ»  
كَأَنَّنِي سَوْفَ أَبْقِيهِ إِلَى «رَجَبٍ»!  
إِنْ يَعْجِبِ النَّاسُ مِنْ فَدَمٍ تَوَعَّدَنِي  
فَإِنَّهُ عَجَبٌ أَدْعَى إِلَى الْعَجَبِ<sup>(١)</sup>  
إِنْ الْغَرِيقَ إِذَا ضَاقَتْ مَزَاهِبُهُ  
لَا يَحْمَدُ الْبَحْرَ ذَا التِّيَّارِ وَالْعُجْبِ<sup>(٢)</sup>  
تَبَّ النَّحَاةُ، وَتَبَّ الْمُؤْمِنُونَ بِهِمْ  
أَهْلُ السَّخَافَاتِ وَالتَّضَلُّيلِ وَالْكَذِبِ<sup>(٣)</sup>  
كَمْ جَوَزُوا مِنْ كَلَامٍ لَا جَوَازَ لَهُ  
وَأَوْجَبُوا مِنْ أُمُورٍ قَطُّ لَمْ تَجِبْ  
وَكَمْ رَوَوْا مِنْ أَحَادِيثٍ مَلْفَقَةٍ  
وَزَوَرُوا مِنْ حِكَايَاتٍ وَمِنْ خُطَبِ  
النَّحْوِ وَالصَّرْفِ وَالْإِعْرَابِ أَجْمَعِهَا  
سَفَاسَفٌ، لَمْ تَكُنْ مِنْ قَبْلُ فِي « الْعَرَبِ »  
هَذَا تَعَالِيمٌ كَسَلَى مَا يُدَلُّ بِهَا  
إِلَّا فَتَى «أَعْجَمِي» الْحَلَقُ وَالنَّسَبُ  
فَلَا حَبَا إِلَهَ نَحْوِيًّا بِرَحْمَتِهِ  
أُولَى بِرَحْمَتِهِ مِنْهُ « أَبُولَهَبِ »  
لَوْلَا أَكَاذِبُهُمْ مَا بَاتَ مُنْتَصِبًا

(١) الْفَدَمُ: الْعَبِيَّ عَنِ الْبَيَانِ، الثَّقِيلُ فِي الْكَلَامِ.

(٢) الْعُجْبُ: الْمِيَاهُ الْمُتَغَفِّةُ.

(٣) تَبَّ: هَلَكَ.

(٤) الرَّمَاحُ.

بين العوالي<sup>(٤)</sup> الغوالي فارغُ القصب  
«ما كنتُ أملُّ أن يمتدَّ بي زمني»  
حتى يطاولني قردٌ بلا ذنب<sup>(١)</sup>  
يا أجهلَ الخلقِ - حتى ناقلِ القُربِ -  
أربأ بنفسك أن يهتاجني غضبي  
أو تطأعنَّ عليكم كلُّ أكلة  
ترعى الهشيم ولا تُبقي على العُشب  
تنقضُّ مثلَ نجومِ الرجمِ هاويةً  
في إثر كل رجمٍ غير ذي أدب  
فما تُغادرُ قلباً غير منخلٍ  
ولا تُغادرُ حبلاً غير مضطرب  
فإن جنحتم إلى كهفٍ ليحبُّكم  
وجدتمُ الموت في الأستارِ والحُجب  
حتى إذا ظنُّ أن الساعةَ اقتربتُ  
جعلتُ كل قريبٍ غير مقترب  
وما أنا بالذي يهوى البقاء لكم  
لو أن في الموت ما في العيش من كُرب

\*\*\*\*\*

---

(١) لأسعد رستم معارضة شعرية للنص بعنوان (فإنه مثله في الذنب والذنب) (انظر كتاب جورج سليم ص ٢٩٢).

---

(١) الوعل: تيس الجبل.  
(٢) العِلج: الرجل الشديد الغليظ.



## ١١ - حكاية

[المجثت]

رَبَّيْتُ كَلْباً صَغِيراً  
وَكُنَّ ذُنُوبُكَ ذُنُوباً  
وَقُلْتُ: يَحْرُسُ دَارِي  
إِذَا أَتَى الْبَابَ سِرّاً  
فَكُنْتُ أَتِيهِ صُبْحاً  
بِاللَّحْمِ، وَالشُّحْمِ عَصراً  
حَتَّى إِذَا اجْتَاكَ سَتّاً  
مِنَ الشَّهْرِ، وَأَخْرَى  
وَأَشْبَهَ الْوَعْلَ<sup>(١)</sup> سَاقاً  
وَأَشْبَهَ الْبَغْلَ ظَهراً  
وَصَارَ كَالْعُلْجِ<sup>(٢)</sup> عُنْقاً  
وَصَارَ كَالْفِيلِ صَدراً  
وَأَفَى إِلَيَّ صَوْتِي  
وَأَنْتَ بِالصَّحْبِ أَدْرِى  
فَأَبْصُرُوا الْكَلْبَ عِنْدِي  
عَيْنَاهُ تَقْدَحُ جُمُوراً  
فَقَالَ مِنْهُمْ ظَرِيفٌ:  
قَنُوتٌ، وَاللَّهِ، مُهْرًا!

---

(١) هَرَّ الْكَلْبُ: صَوْتٌ يَنْبَاحُ.

بِحُرْمَةِ الْوُدِّ إِلَّا  
سَمَّيْتُ ذَا الْكَلْبِ «نَمْرًا»



أَطَعْتُ أَمْرَ صَدِيقِي  
وَقَدْ سُرَرْتُ وَسُرًّا  
لَكِنَّمَا الصَّفَرُ صَفَرُ  
وَإِنْ دَعَوْنَاهُ تَبَرًّا



تَرَعَرَغَ الْكَلْبُ «نَمْرًا»  
فَصَارَ أَعْظَمَ شَرًّا  
يَعْوِي إِذَا النَّاسُ نَامُوا  
فَيُسْمَعُ النَّاسُ نُكْرًا  
وَيَنْبِجُ الْبَدْرُ لَيْلًا  
وَيَنْبِجُ الشَّمْسُ ظَهْرًا  
وَكَأَنَّ مَرَسَارًا  
أَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ هَرًّا<sup>(١)</sup>  
وَيَتَّبِعُ الضَّئِيفَ حَتَّى  
إِذَا اسْتَقَرَّ اسْتَقَرَّا  
وَيَتْرُكُ الْعَظَمَ مُلْقَى  
وَيَسْرِقُ الْخَبْرَ جَهْرًا  
فَرَوَّعَ النَّشْءَ حَتَّى  
مَا تَطْلُبُ الدُّعَا  
وَنَفَّرَ الطَّيْرَ حَتَّى  
مَا تَأْلَفُ الطَّيْرُ وَكُرَّا

---

(١) السحت: الحرام.

فأقبل الحيُّ يشكو  
فقلتُ: يا قوم، صبرا  
لو كنتُ أكسبُ أجراً  
أو كنتُ أحرزُ فخراً  
خنقتُ بالحبل «نمراً»  
لكن لـكـلـبٍ عُمرًا



«مدينة العلم» كانت  
لأهلها مُستَقَرًّا  
فخانها الدهرُ حتى  
بنى بها الجهلُ جُحراً  
\*\*\*\*\*

يا منشيئ الفُلك، مهلاً  
لا تَمْخُرِ الفُلكَ براً  
ويا كثير الأمانى،  
شيدت في الجوّ قصراً  
أضـاقت الأرضُ حتى  
ولّيت وجهك بحراً؟  
أأكلُ المالَ سُحْتاً<sup>(١)</sup>  
وتقتضي الشَّعبَ أجراً؟  
أحسبُ الناسَ حمقى؟  
يا أحمقَ الناسِ طُراً  
لا تلبسِ الدينَ ثوباً  
عصرُ الجهالةِ مرّاً  
ولا تقاتلْ بمُكْرٍ

فَاللَّهُ أَعْظَمُ مَكْرًا



وَأَنْتَ يَا وَائِ «عَمْرُو»

حَتَّى تَتَّبِعُ «عَمْرًا»؟

وَلَسْتُ تَجْلِبُ نَفْعًا

وَلَسْتُ تَدْفَعُ ضُرًّا

إِنَّ الْبَلَاءَ غَرٌّ

أَمْ سَيُيْئَصِرُ غَرًّا

لَا تَعْذِلِ الشُّعْرَ إِمَّا

جَنَى عَلَىكَ الْأَمْرَ

قَدْ كُنْتَ قَبْلَ الْقَوَافِي

أَقْلُ عَقْلًا وَقَدْرًا



مَا فِي ضُلُوعِي حَقْدٌ

وَلَسْتُ أَطْلُبُ ثَأْرًا

لَكِنَّمَا الْحُرِّيَّاتِي

أَنْ يَخْذَعِ النَّذْلُ حُرًّا

وَأَهْلُ «لَبْنَان» أَهْلِي

وَكُنْتُ بِالْأَهْلِ بِرًّا



---

(١) نفطويه: من نحويي العرب.

(٢) الداء العضال: الشديده الذي يعيي الأطباء.

(٣) الآل: السراب.

## ١٢ - أيا عجل اليهود

[الوافر]

توَعَّدَنِي مُقَلَّدٌ «نَفْطُويِه»  
كما تتوعدُ الأنثى الرجالاً<sup>(١)</sup>  
ويعلم أنه دوني مقاماً  
ولكن ينبحُ الكلبُ الهللاً  
ولو أغفى ولاح له خيالي  
لظنَّ الموت باغتته خيالاً  
معاذَ الله يخلقُ غير شيءٍ  
فمن هذا الذي خلقَ المُحالا؟  
ويكذبُ «أدمُ» إما ادعاه  
فإن الناس لا تلدُ البيغالا  
أبعدَ اليوم أعجبُ من عجيبٍ  
ومقلوبُ اسمه يبغي النضالا؟  
أظن حياته هانت عليه  
وإلا لآتقى الداءَ العضالا<sup>(٢)</sup>  
وإمّا الله شاءَ هلاكَ نفسٍ  
على ظمإٍ، أراها الماءَ ألا<sup>(٣)</sup>  
شَحا فاهُ فلمَّا مرَّ ذكرى  
بطرف لَهاته أمسى سُعالاً<sup>(٤)</sup>  
وكنتُ نسيْتُ أهلَ السوم حتى

(١) المذل والمذال: القلق والضجر (مذل بالشيء: ضاق به).

(٢) الجلّ للدابة كالثوب للإنسان (والجمع: جلال). والسحال: اللجام.

نَظَرْتُ الْيَوْمَ الْأَمَّهَ خَصَالَا  
وَمَا فَكَّرْتُ بِالْغَوَغَاءِ حَتَّى  
سَمِعْتُ الْيَوْمَ أَسْخَفَهُمْ مَقَالَا  
إِذَا عُدَّ الْأَفَاضِلُ كَانَ صَفِّراً  
وَصَفِّراً يَلْزِمُ الْجَنْبَ الشِّمَالَا  
فَوَاعِجِبَا، أَمَاتَ الْخَلْقُ حَتَّى  
يَمَارِسَ حَرْفَةَ الْأَدَبِ الْكُسَالَى؟  
وَيَا لَهْفِ الْبَلَاغَةِ كَيْفَ ذَلَّتْ  
وَلَهْفِ الشَّعْرِ كَيْفَ غَدَا مَذَالَا<sup>(١)</sup>  
وَيَا لَهْفِ الصَّحَافَةِ يَدْعُ عَلَيْهَا  
حَمَارُ طَالِمَا لَبِسَ الْجِلَالَا  
مَتَى فَارَقْتَ، يَا هَذَا، الْمَرَاعَى؟  
وَكَيْفَ قَطَعْتَ، يَا هَذَا، الْحَبَالَا؟  
أَتَنْهَقُ، وَالْغَضَبُ قَيْدُ بَاعٍ  
وَتَحْسِبُهُ وَمَا عَافَ الْقِتَالَا؟  
فَمَا زَالَتْ مَوَاضِعُهُ حَدَادَاً  
وَمَا بَرَحَتْ مَخَالِبُهُ طَوَالَا  
بَلَى، أَنْتَ الَّذِي بِالْأَمْسِ شَدَّتْ  
عَلَيْكَ يَدَايِ فِي السَّفْرِ الرَّحَالَا  
فَلَسْتُ بِنَابِغِ الشُّعْرَاءِ إِنْ لَمْ  
أَرَدْ عَلَيْكَ جُلُوكَ وَالسَّحَالَا<sup>(٢)</sup>  
أَمَّا، وَاللَّهِ، لَوْ طُلَّتِ «النُّرْيَا»

---

(١) الشَّيْعُ: أحدُ سِيُورِ النَّعْلِ.

(٢) الْفُودَانُ: جَانِبَا الرَّأْسِ، وَالْقَذَالُ: جَمَاعُ مُؤَخَّرِ الرَّأْسِ.

(٣) الدُّحُلُ: حَفْرَةُ ضَيْقَةٍ مِنْ فَوْقٍ، وَاسِعَةٌ مِنْ أَسْفَلٍ (الْجَمْعُ: بِحَالٍ وَنُحُولٌ).

وجاوزت المناكب والقللا  
 لمّا أمسيت إلا دون شسّعي  
 ينالُكَ كيف ملّت وكيف مالاً<sup>(١)</sup>  
 فإمّا تستر القودين عنه  
 فليست بساترٍ عنه القذالاً<sup>(٢)</sup>  
 ودعوى الفضل لا تُجديك شيئاً  
 فقد كنت الحقيرو لن تزال  
 أيا عجل «اليهود»، وليست تبرأ  
 وإلا كنت أحسن منك حالا  
 إذا هزّ العصا «موسى» وأهوى  
 فليس يقيكها قرنان طالا  
 أتهرب من أمام الليث ذُعراً  
 وتزعم أنه لزِم الدحالا؟<sup>(٣)</sup>  
 وتجنّ ثم تدعوه جباناً؟  
 لقد أضحكت، يا هذا، التُّكالي  
 ومن تكن حماقة فيه طبعاً  
 يكنّ هذا المال له مالا  
 يدافعني «الائيم» بكل غر  
 فلم أرحم، ولا رحم السخّالا  
 زعائفُ لست أرضاهما مطايا  
 ولا أرضى رؤوسهم نعالا  
 لقد فرست نفوسهم القوافي  
 وإن الحق يفترس الضلّالا  
 إذا حرم الهجاء على حرام

---

(١) السُّلّ والسُّلال: الداء يضمني ويقتل.

فليس يكون في شيءٍ حلالاً  
ومن يدري ويُغضي عن فسادٍ  
فقد خان الفضيلة والكمال  
لَ تذرُوهم عواصفُها رمالاً  
وتَنسفُهم ولو صاروا جبالاً  
وترميهم أوائُلُها سهاماً  
وتقرعهم أواخرُها نصالاً  
وتُمسي في حناجرهم جراحاً  
وتَمشي في دمائهم سُلالاً<sup>(١)</sup>  
فإن سلموا فقد سلموا اليوم  
توقَّاهُ الأجنَّةُ والحبالي

\*\*\*\*\*

---

(١) الفَسْلُ: الرديء، من كل شيء. والجُعَلُ: من نواب الأرض، أسود اللون.  
(٢) البقاع: أراض من لبنان تجاور الحدود السورية اليوم.  
(٣) الباء، لغة، تدخل على الذاهب، على غير ما في البيت.



## ١٣ - يا نوح

أين دلائل الطوفان؟

[الكامل]

أهل الفساد وزمرة الشيطان  
كم تدعون محبة الأوطان!  
خلّوا النّواح على الربوع وأهلها  
ما نّم من خطرٍ على «لبنان»  
أتى يضيع، وأهلُه أسدُ الشّرى  
وله من الدّولات خيرُ ضمان  
وإذا الضراغم لم تحصن أجماتها  
أيصونها فسلّ من الجعلان؟<sup>(١)</sup>  
أمّا «البقاع» فلا يردّ بالسّن  
ثرثارة، بل بالنّجيع القاني<sup>(٢)</sup>  
ردّوا على الشعب المهاجر ماله  
لا تبدلوه حقائقا بأمان<sup>(٣)</sup>  
فالقوم حاجتُهم إلى أموالهم  
مثل احتياجهم إلى العرفان  
تعس الذي رضي الأمانى ثروة  
إن الأمانى ثروة الكسلان  
❖❖❖❖❖

قلتم: نذود الضيم عن إخواننا

---

(١) يشير إلى العلم الأمريكي.

(٢) السلطان العثماني.

إِخْوَانَكُمْ فِي غِبْطَةٍ وَأَمَانَ  
 يَحْمِيهِمْ عِلْمُ النُّجُومِ، وَلَمْ يَزَلْ  
 عِلْمُ الْكَوَاكِبِ مُكْرَمِ الضَّيْفَانِ<sup>(١)</sup>  
 هُمْ بَيْنَ أَهْلِيهِ وَفِي أَكْنَافِهِمْ  
 وَكَأَنَّهُمْ فِي الْأَهْلِ وَالْإِخْوَانِ  
 وَزَعَمْتُمْ بِالْإِنَّا زَحِينَ غَرَامُكُمْ  
 وَغَرَامُكُمْ بِالْأَصْفَرِ الرِّئَانِ  
 لَوْ صَحَّ زَعْمُكُمْ وَكَنْتُمْ قُوَّةً  
 لَوْ قَيِّتُمْوَهُمْ سَطْوَةً «الْعَبْدَانِ»  
 جَارُوا عَلَيْهِمْ، لَمْ يَبَالُوا زَاجِرًا  
 جُورَ الْقَوِيِّ عَلَى الضَّعِيفِ الْعَانِي  
 لَهْفِي عَلَيْهِمْ، كَيْفَ رُوِّعَ سَرِّبِهِمْ  
 وَتَبَدَّلُوا مِنْ عَزْهِمْ بِهَوَانِ  
 وَلَقَدْ أَتَيْتُمْ صَرْخَةً اسْتَنْجَادَهُمْ  
 فَكَأَنَّهُمَا مَرَّتْ عَلَى حَيْطَانِ  
 بَاتُوا يُسَامُونَ الْعَذَابَ، وَبَيْتُمْ<sup>٢</sup>  
 تَدْعُونَ بِالْإِعْزَازِ لِلْإِسْطَانِ<sup>(٣)</sup>  
 نَمْتُمْ فَخَلَّتُمْ كُلَّ طَرْفٍ نَائِمًا  
 مَا أَجْهَلَ الْوَسْنَانَ بِالْيَقْظَانِ!  
 رُفِعَ السُّتَارُ، وَبَانَ كُلُّ مُكْتَمٍ  
 أَتَقَاتِلُونَ الْحَقَّ بِالْبُهْتَانِ؟  
 لَا غُرُوْا إِمَّا سَبَّيْنِي سَفْهًاوَكُمْ

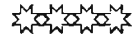
(١) يقصد: يعوق (العتق: خلاف الرق).

(٢) قلاده: أبغضه. والسَّيْنُ الضَّوْء.

(٣) اللوى: منقطع الرمل وادٍ بعينه أكثر الشعراء القدامى من ذكره في مواطن الشجن. والعُقَاب: من الجوارح (جمعه: عُقَاب).

(٤) الهميان: منطقة تشد على الوسط وتجعل فيها النفقة.

إن الجريح يسبُّ كلَّ سنان  
 ذمُّ الخفافيش الضياءَ لأنه  
 يعتاق أقواها عن الطيران<sup>(١)</sup>  
 ومن العجائب أنها تقلي السنا  
 وتظل حائمةً على النيران<sup>(٢)</sup>  
 خلق الوري، ولكل نفس غاية  
 وخلقتم للهذر والهديان  
 أنى نجاتك، يا عصفير اللوى  
 ولقد أتاكَ كاسرُ العقبان؟<sup>(٣)</sup>



قلُّ للذي ملأَ اليباب سفائناً:  
 يا نوح! أين دلائل الطوفان؟  
 من ذا يسيرُ بها إلى غاياتها؟  
 بل كيف تحميها من القُرصان؟  
 الآن أيقنتِ البريةُ أنها  
 - وإن ارتقت - فرعٌ من السعدان  
 لا تعذل الصبيان في سُخفٍ، فقد  
 تحوي الكهولُ سخافةَ الصبيان  
 يضعُ المسلمُ كفه في كفه  
 وتظل عيناه على الهميان<sup>(٤)</sup>  
 والله، لولا أنه في مدُّه

(١) الكشكول: (كلمة فارسية) الحقيبة التي تحوي كل شيء، وتعلّق بالكتف.

(٢) السرطان. من حشرات الماء.

(٣) الدجن. امتلاء السماء بالغيوم.

(٤) الغول: كل ما اغتال الإنسان، والجمع (غيلان).

(٥) سجر التنور: أوقده وأحماء فلعله أراد.

ما كان إلا سائق الأظعان  
 أو ما تراه حاملاً كَشْكُولَه  
 متنبلاً من موضع لكان؟<sup>(١)</sup>  
 خبائه شاردة القوافي فانتنى  
 للذعر يمشي مشية السرطان<sup>(٢)</sup>  
 متخبطاً والشمس في كبد السما  
 فكأنه في حالك الأذجان<sup>(٣)</sup>  
 أمسى يُسمي النائبات قصائد  
 وفتى القصائد طارق الحدّان  
 فإذا تُطيفُ به اقشعرّ فؤاده  
 خوف الصَّغير طوائف الغيلان<sup>(٤)</sup>  
 ويظنُّها في أكله وشرابه  
 وتخالُّها الأجفان في الأجفان  
 يا قوم! أخشى أن يضيع رسولكم  
 من «عنزة»، قد ضاع قبل اثنان!  
 إن كان في أكبادكم من رحمة  
 فتداركوه بالرسول الثاني  
 ❖❖❖❖❖  
 ما بال مصفوع المَفارِق والقفا  
 يهذي، كمن قد بات في سجران<sup>(٥)</sup>  
 لا تحسداً، يا أخدعيه، قذالَه

---

(١) العَيْر: الحمار الوحشي والأهلي.  
 (٢) الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي.  
 (٣) الأبيات الستة التي تنتهي بهذا البيت كان الشاعر استلَّها من النص بعنوان آخر (العَيْر المتنكر) وصدرت في ديوانه الثالث (الجداول) (النص ٧).  
 (٤) الشيسع: أحد سيور النعل.

عندي لكل منكما نعلان<sup>(١)</sup>  
 بل ما لمقلوب اسمه يُخفي اسمه  
 والحُسنُ لا يخشى من الإعلان  
 إن التَّحجُّب لو يكون فضيلةً  
 لم يَبْد من خدريهما القمران  
 وإذا هتكت الستر عن مُتَكَتِّمٍ  
 لم تلقَ إلا خائفاً أو جاني  
 زعم المؤدِّب أن عيِّراً ساءه  
 ألا يُسار به إلى الميِّدان<sup>(٢)</sup>  
 فمضى فقصرت القواطعُ ذيله  
 وسطت مواضيهها على الأذان  
 حتى إذا جاء المروُّضُ واعتلى  
 متنيه راب الفارس الكشَّحان<sup>(٣)</sup>  
 لكنه ما زال غير مُصدِّقٍ  
 حتى علا صوتُ كصوت الجان  
 فاستلَّ صارمه فطاح برأسه  
 ورمى بجئتته إلى الغربان  
 مادام يصحبُ كلَّ حيٍّ صوته  
 فالعيرُ لا يُخفيه جلدُ حصان<sup>(٤)</sup>  
 إن تستترَ هيهات تسترُ مفرقاً  
 آثار شسعي فيه كالعنوان<sup>(٤)</sup>  
 يا أيها الغرُّ الذي من أجله

(١) الأخص. باطن القدم وخصره.

لعن القريض مؤلف الأوزان  
ما أنت بالغ ما وطأت بأخمصي  
حتى تنال الفرقدين يدان<sup>(١)</sup>

\*\*\*\*

---

(١) السفير العثماني في واشنطن.  
(٢) المومة: المفازة الواسعة التي لا ماء فيها ولا أنيس.  
(٣) يقصد ما طلع به رستم بك على الناس (الطلعة).  
(٤) السائمة: الإبل الراعية (سامت - تسوم: رعت)

## ١٤ - توديع رستم بك<sup>(١)</sup>

[الخفيف]

زُلتُ عَنَّا، فلم نُبل، مثلاً ما زل  
ل، مع الليل، طارقُ الأحلام  
ما كرهتُ المُقامَ فينا، ولكنْ  
يأنفُ الذئبُ غيرُ سُكنى الموامي<sup>(٢)</sup>  
كنتُ ضيفاً فلم يزل بك سوءُ الطِّ  
طَلع<sup>(٣)</sup> حتى خسرتُ عطفَ الكرام  
خُلِقُ السُّوءِ في الفتى ليس يُخْ  
فيه جمالُ الرداء والهِنْدَامِ  
وإذا المرءُ كان غيرَ كريمٍ  
فَضَحَّتْهُ مَظَاهِرُ الإِكرامِ  
لَقِنْتُكَ «الإسلام» عصبهً شرٍ  
ليتها لَقِنْتُكَ عِلْمَ الكلامِ  
جئتُ تنفي الإِجرامَ عنهم، فأجرمُ  
ت إلى الصدق أَيْما إِجرامِ  
كيف أنكرتَ ذُبْحَهُمُ أُمَّةً «الأرْ  
من»، نبحُ الجزارِ بعضَ السَّوَامِ<sup>(٤)</sup>

(١) الكأس الدهاق: المترعة المتلثة (دهق الماء: أفرغه بشدة).

(٢) الداهية، والأمر الفظيع.

(٣) الغادية: السحابة، وجمعها: الغوادي.

(٤) طما الماء طُمياً، فهو طام. إذا ارتفع وملأ النهر.

(٥) أرض فروق. استانبول.

ودمُ الأبرياء ما جفّ، لا جفّ  
 ففتّ عليهم مدامُ الأيتام؟  
 سألّوا الطفلَ أمّه وأباهُ  
 ورموهُ في النار ذات الضرام  
 أحرّقوا النور، روّعوا ساكنيها  
 وأتوا كلَّ مُنكرٍ وحرام  
 جرّعوهُم كأسَ الحمام دهاقاً  
 واستساغوا دماءهم كالمدّام<sup>(١)</sup>  
 ما أثاروا حرباً، ولا ارتكبوا إدّ  
 دأ<sup>(٢)</sup> ولم يبسطوا يداً لحسام  
 ولئن صحّ أنهم أحدثوا إدّ  
 ممّا أتّنفى الأثامُ بالآثام؟  
 زلّة لو وقّيتها، لم تُحقّر  
 من كبار النفوس والأحلام  
 فتحمّل، لا شيءَ عتّك الغوادي  
 لا، ولا عدّت نحونا بسلام<sup>(٣)</sup>  
 هكذا يقذف النّواة فمّ الآ  
 كل، والجيفة الخضمّ الطّامي<sup>(٤)</sup>  
 وإذا ما بلغت أرض «فروق»  
 مرتع الظّلم، مربع الظّلام<sup>(٥)</sup>  
 حيث يقضي الحياة فيها «ضياء»  
 بين عُودٍ وقينة وغلّام<sup>(٦)</sup>  
 حيث يشقى الحرُّ الأبى، ولا يند  
 عمّ إلا زعمانفُ الأقوام



قُلْ لِمَن أَرْقُوا الْعِبَادَ وَنَامُوا:  
إِنَّا سَاهِرُونَ غَيْرُ نِيَامٍ  
نَحْنُ لَا نَمُقِّتُ الْحُكُومَةَ، لَكِن  
نَمُقِّتُ الْمُسْتَبِيدَ بِالْأَحْكَامِ  
إِنَّ دِينَ «الْإِسْلَامِ» يَبْرَأُ مِنْكُمْ  
أَيُّهَا الْعَابِدُونَ بـ «الْإِسْلَامِ»  
قَدْ سَلَبْتُمْ مَالَ الرِّعَايَا وَكُذِّبْتُمْ  
تَسْلُبُونَ الْعَيُونَ طَيِّفَ الْمَنَامِ  
كُشِفَ الْخَيْرُ عَنْكُمْ، فَإِذَا أَذْ  
تَمَّ الصَّوْصُ فِي صُورَةِ الْحَكَّامِ

\*\*\*\*\*

---

(١) المجلة التي كان يصدرها عبد المسيح حداد، وأصبحت تنطق بلسان الرابطة القلمية.

(٢) الشَّنْب: برودة وعنوبة في الأسنان.

(٣) الحور: شدة بياض العين في شدة سوادها.

## ١٥ - إلى شاعر «السائح»<sup>(١)</sup>

[المتدارك]

بالقَدِّ الأَهْيَفِ، بالنَّهْدِ  
بالثَغْرِ الأَشْنَبِ<sup>(٢)</sup>، بالخد  
بالمفْرِقِ، بالشَّعْرِ الجَعْدِ  
بِعيونِ الحُورِ<sup>(٣)</sup> السَّحَّارِ

ما شَدُّ القَيْنَةِ في السَّحَرِ  
وهُتَافِ الطَّيْرِ على الشَّجَرِ  
في الفَجْرِ، ورَنَاتِ الوَتَرِ  
أحلى من صوتِ النُّقَّارِ

نو البَاوِي يعشَقُ ذا البَاوِي  
فانْشُدْ، فغنَّاؤُك لي سَلَوِي  
لو يعطي الشاعرُ ما يهوى  
لتمنَّيْتُ نَشْدُ أشعارِ

أفديك بروحي، يا صاحِ،  
وبكلِّ هَزارٍ صَدَّاحِ  
فلأنت حَيَاةُ الأرواحِ  
فاشْدُدْ لِمَزْهَرِ أوتارِ

ضع كَفَّكَ، يا ذا، في كَفِّي

فكلانا يـبـحـثُ عن إلف  
حـلـو الأخلاق، أخـي لـطـفٍ  
مـا بـدـل شـيءٍ أـطـوارَه

كـم تـشـكـو هـمَّك لـلـنـاس  
وبـلاؤك مـنـهـم، يـا نـاسِ  
كـن قـاسـي القـلبِ عـلى القـاسـي  
فـالـحـازـمُ يُخـفـي أسـرارَه

صُنْ دمعك عنـهم في الطُّرف  
لا تُغـزِ القـوَّةُ بـالـضـعـفِ  
مـا تـرجـو، يـا ربَّ الدُّفِّ،  
مـن شـعـبٍ يـكـرُه أحرارَه؟

قـد شـئت وشئت به اليُسـرا  
وأراد الـلهُ به العُسـرا  
فـعـلـيـه أن يـجـنـي الـوِزْرا  
وعـلـيـنـا أن نـجـنـي عـارَه

يـا مـلـكاً بـين شـيـاطـين  
صـرَّحَ بـالحـقِّ المـكـنـونِ  
لا تـرهـبَ لـوَمـةٍ مـأفـونِ  
ثـرثارٍ يـخـدُمُ ثـرثارَه

قـد أن بـأن يـبـدو النـورُ

وَيَبِينُ الْحَقَّ الْمَسْتَوْرَ  
فَلْيَخْرُسْ ذَاكَ الْمَاجُورُ  
مَنْ قَبْلَ نُمُزْقِ أُسْتَارِهِ

مَا شَاءَ اللَّهُ فَقَدْ كَانَا  
لَا تَبْغِي الْمَلَّةُ شَيْطَانَا  
الْمَلَّةُ تَطْلُبُ مَطْرَانَا  
لَا يُوْذِي الْجَارُ وَلَا الْجَارُهُ

مَطْرَانَا تَعْرِفُهُ الْأُمَّةُ  
مَطْرَانَا يُخْلِصُ فِي الْخِدْمَةِ  
مَطْرَانَا لَمْ يَحْصِرْ هِمَّةُ  
فِي جَمْعِ الدَّرْهِمِ وَالْبَارَةِ

مَطْرَانَا تُغْمِضُ عَيْنَاهُ  
إِلَّا عَنْ خِدْمَةِ مَوْلَاهُ  
يَعْصِي الضَّأْيِلَ وَدَنِيَاهُ  
وَيُحِبُّ الْعِلْمَ وَأَنْصَارَهُ

يَا شَوْعَباً بَاتَ بِلَا أَمَلٍ  
إِنَّ ضَاقَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ سَلِ  
كَمْ ذَنْبٍ فِي ثَوْبِ الْحَمَلِ  
قَدْ سَنَّ لِقَتَاكَ أَظْفَارَهُ!

---

(١) الصنارة: رأس المغزل (في الأصل).

فارغَبْ بالصَّبْرِ عن الياسِ  
واحذرْ ذُرْعَاتِ الخَنَاسِ  
ووسـلـوسِ أهـلِ الوـسـواسِ  
فـوراءِ الطُّعمِ الصَّنَّارِ<sup>(١)</sup>

\*\*\*\*

---

(١) الجُعَل: دويبة سوداء.  
(٢) الغسَق: أول ظلمة الليل.

## ١٦ - انقريا دف على الطارة

[المقدارك]

بالحق، بأحرار البلاد  
ما دام يراعي طوع يدي  
وفؤادي يخفق في جسدي  
لا أنصر إلا أنصاره

يا قومي، قد طفح الكيل  
وتعالى لاقم السيل  
وتنكر الصبح اليل  
واستأسد جعلان<sup>(١)</sup> الحارة

فدعوا « أيار » وأطياره  
والخمرو رب الخماره  
ولينفخ كل مزمارة  
لنشئ على الجهل الغارة

ونقاتل بالصبح الغسق<sup>(٢)</sup>  
ونسد على الشر الطرقا  
ونضايقه كي يختنقا

---

(١) الشُّفَر: واحد أشفار العين، وهي حروف الألفان تنبت عليها الهدب.

(٢) الجبل.

(٣) نهر في أمريكا

وتفك يده أزراره

ما أثقل ذياك الضيفاً  
أرايتم «كانونا» صيفاً؟  
لا حل على طرفي طيفاً  
أخشى أن يسلب أشفاره<sup>(١)</sup>

إن مر على حُسنِ شانه  
أو طود<sup>(٢)</sup> زرع أركانه  
أو قصر روع سكرانه  
أو روض أذبل أزهاره

لو تدري الأرض به انقلب  
أو تدري الشمس به احتجب  
ومياه «الهدس»<sup>(٣)</sup> لاضطربت  
والليل لساقت أقماره

تمساح يخطرفي حلة  
شرفي القلب من العلة  
ظل الطاعون ولا ظله  
لا جاور إلا سمساره

يا هذا، أولى بك السفر

---

(١) المرقم. القلم. وانصلت القلم: مضى وسبق.  
(٢) الدمنة: آثار الناس وما سوتوا والجمع: دمن.

في ليلٍ ليس به قمرٌ  
أو فاسكتَ يَحمدُكَ البَشَرُ  
وتُصالحُ جارَتُها الجارةُ

صمتاً، أو ينطقُ من سكتنا  
فَوحقَّ الشَّعرُ إذا رمتنا  
كَفاهُ، ومرقُمُهُ انصأَتنا<sup>(١)</sup>  
هيهات يُفيدُكَ ثرثاره

يا حاملَ مَكروبِ الفِتنِ  
قد طال وقوفُكَ في الدمنِ<sup>(٢)</sup>  
لا تُلقِ الأُمّةَ في المحنِ  
يكفيك الشاعِرُ إنذاره

\*\*\*\*\*

---

(١) عبدالمسيح حداد صاحب مجلة (السائح)، وزميل أبي ماضي في (الرابطة القلمية) وكان من المقرّبين إليه قبل أن تسوء العلاقة بينهما  
(٢) طالب رُفد.  
(٣) لعلها «الغضب» وهو السيف القاطع.



## ١٧ - وقائلة

[الوافر]

أيا «عبد المسيح»<sup>(١)</sup> عليك مني  
سلامٌ كما ذكر المسيحُ  
حبيبُكَ لا لأنك ربٌّ وفيرٌ  
تجودُ به، ولا أنا مُستَمِيعٌ<sup>(٢)</sup>  
ولا أنا من يسيرُ به هواهُ  
ويخفقُ كما هزتهُ ريحٌ  
ولكن شاقني الأدبُ المصفى  
وتيمني بك الصدقُ الصريحُ  
وأنت والوفاءُ على اتصالٍ  
وبينك والرياءُ مدى فسحٍ  
ومن عجبٍ، ولم أصحبك عمري  
أحسُّ كأننا جسدٌ وروحٌ  
لك القلمُ الذي ما اهتزَ إلا  
تهيبُ سطوةُ القصبِ الصفيحِ<sup>(٣)</sup>  
لئن أمسيت من قومٍ بغيضاً  
فمكروهٌ من الجربى الصحيحِ  
وإن الشمس، وهي أحبُّ شيءٍ  
يذمُّ ضياءها الجفنُ القريحُ  
وهذا الملحُ يدخلُ كلَّ جوفٍ  
ويخشى مسَّهُ العضوُ الجريحُ  
وكم في الناسِ من مُنَّزٍ كبيرٍ

ولكن ليس كالسَّمَحِ الشَّحِيحِ  
وقائِلَة: أعاد غرابُ نوح؟  
نعم، عاد الغرابُ، فأين نوح؟  
غرابُ ريشُهُ سَرَقُ وخَزُ  
وصوتُ النّاعقاتِ به فحيح  
ينوحُ على الصُّروحِ وساكنيها  
وما ماتوا، ولا خَلَّتِ الصُّروحُ  
ولكنْ في الغُرابِ النُّوحُ طبعُ  
وأَيُّ غرابٍ سُوءٍ لا ينوح؟  
قَبِيحٌ أن يذمَّ الحُسَنَ فينا  
قَبِيحٌ كُلُّ ما فيه قَبِيحٌ  
وأقبح أن يظلَّ اليومَ حيًّا  
ويحوي البلبَلُ الغرْدَ الضَّرِيحُ  
دخيلٌ لو حواه الخُلْدُ أمسى  
جحيماً ليس فيه مُستريح  
أتى، لم يدعُهُ أحدٌ إلينا  
أيا هذا الثَّقِيلَ، متى تروح؟  
قد اشتاقَ الذين نزحت عنهم  
وملَّ مُقامَكَ القومُ النُّزوح  
أهمُّ بأن أحدثَّ عنه قومي  
ويُمسِّكُني الإِبَاءُ فلا أبوح  
فأقنعُ بالأشْئائرَ، وهي نَزْرُ  
لأنَّ القومَ أكثَرُهُمُ فَصِيح  
وإنَّ وراءَها وراءَ صممتي

سَهَاماً لَا تُؤْمِيْتُ وَلَا تُرِيحُ  
وَصِيحَاتٍ تَزْعَزَعُ كُلُّ طَوْدٍ  
وَتُنْكِرُ بَعْدَهَا الضَّيْفَ الْمُسَوِّحَ

\*\*\*\*\*

---

(١) عمد: جمع العمود.  
(٢) قوم حِلَّة: حلوا في مكان ونزلوا فيه (المحَلَّة).  
(٣) الرُّنْدَل من الرجال.

## ١٨ - يا قومي!

[المقدار]

إِنَّ الْمُعْتَزَّ بِأَمْوَالِهِ  
مِثْلُ الْمُعْتَزِّ بِأَخْوَالِهِ  
فَخَرُّ الْإِنْسَانِ بِأَعْمَالِهِ  
لَا بِالْدِينَارِ وَلَا الْبَارَةِ

مَا هَذِي الْقِصَّةُ، يَا عَمْدُ؟<sup>(١)</sup>  
أَرْجَالُ يَرَأْسِهِمْ وَلَدُ؟  
لَمْ يَنْظُرْ قَبْلَكُمْ أَحَدُ  
أُسْدًا تَتَصِيدُهَا فَارَهُ!

وَجِبَالًا تَسْحَبُ بِهَا نَمْلَةً  
وَبِحَارًا تُخْزِنُ فِي سِلَّةِ  
مِثْلًا أَصْبَحَ حَتَمَ فِي الْحَالَةِ<sup>(٢)</sup>  
يَتَنَاقَلُهُ أَهْلُ الْحَارَةِ

أَيُّهَا جَمُّ كَاهِنِكُمْ نَذْلُ؟  
وَيَسُبُّ أَدْيَبِكُمْ فَاسْلُ؟<sup>(٣)</sup>  
أَجْمُودُ فَيَكُمُ أَمْ جَهْلُ؟  
أَمْ تَلِكِ النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ؟

---

(١) التَّب: الهلاك والخسران (تبت يداه).

يَا قَوْمِي، دَعُوهُ لَا وَاه  
يَوْمَ الْهَيْجَاءِ وَلَا لَاه  
بِالْخَالِقِ، بَلْ بِابْنِ اللَّهِ  
لَا تَوُذُوا اللَّهَ وَأَنْصَارَهُ

تَبَّ<sup>(١)</sup> الشَّيْطَانُ وَتُبَّاعُهُ  
وَالشَّيْرُ وَنَفْسُ تَبْتَاعُهُ  
شَجَرُ مَاعُونُ زُرَّاعُهُ  
مَنْ مِنْكُمْ يَعْشَقُ أَثْمَارَهُ

بَلْ غَرَسُ يَأْكُلُ غَارِسُهُ  
وَلِبَّاسُ يَجْرَحُ لَابِسُهُ  
وَلَهْيَبُ يَحْرِقُ قَابِسُهُ  
وَمَزَارُ يَهْتِكُ زَوَارَهُ

إِنْ تَغْسِلْ بِالْوَحْلِ الثَّوْبَا  
يَزْدَدُ إِثْمًا، تَزْدَدُ عَيْبَا  
إِنْ تَخْضِبْ بِاللَّيْلِ الشَّيْبَا  
لَا تُخَفِ اللَّيْلَ وَأَقْمَارَهُ

مَنْ يَطْلُبُ مِنْ غَرِنَصِرَا  
كَالْمُطْفِئِ بِالزَّيْتِ الْجَمْرَا  
مَنْ يَحْضُنُ، يَا قَوْمِي، الْهَرَا  
لَا يَجْنِي إِلَّا أَقْصَارَهُ

---

(١) سماء مدرار: تدر بالمطر.

(٢) المناطق الآهلة بالناس.

يا قومي، خالوا الأغراضا  
يا قومي، صُونُوا الأعراضا  
وتوقَّوا ذاك العَضاضا  
من قبلِ يُحمَأَكُم عارَه

أو ما فيكم نو إحساس  
ينزهاهُ عن شتَمِ الناسِ؟  
أنسىيتم عامَ الإفلاسِ؟  
فننقُص عليكم أخباره

ونقِيمُ الميَّت من لحده  
ونسلُّ الصَّارم من غمده  
إن عاد الببحرُ إلى مدّه  
لا يمسكُ شيءٌ تيارَه

ونسيرها صُحفاً صُحفاً  
تحكي المِدرار<sup>(١)</sup> إذا وكَّفا  
إن نرَم الطُّود بها رجفاً  
أو حصننا دكَّت أسوارَه

فتزور المنزلَ والقصرَ  
وتَرُودُ الأهلَ<sup>(٢)</sup> والقُفْرا  
ويطالعُها سطرّاً سطرّاً  
من ليس يُطالعُ أسطارَه

ويرددها أهلُ الأدبِ

ويغنيها أهل الطرب  
وتدارُ بها بنتُ العنبِ  
ويحيي الجارُ بها جارةً

عندي أسرارٌ لو تُنشرُ  
لَتَمَنَّى صاحبكم يُقْبِرُ  
كحديثِ الفسطانِ الأحمر!!  
فليحذرْ ذاك الدوارة

ما دامت دارُك من خَشَبٍ  
لا تقذفْ غيرَكَ بالهَبِ  
إن هجتِ الليثَ بلا سببٍ  
لم يَأْمَنْ جِسمُك أظفارة

\*\*\*\*

---

(١) القدم: العبيّ الثقيل.

(٢) المِقْوَل: اللسان.

## ١٩ - يا هذا!

[المتدارك]

خُذْهَا أَبْيَاتاً مَشْهُورَةً  
كصُورِ أَخِ النَّفْسِ المَقْهُورَةِ  
ودموعِ البَكَرِ المَذْعُورَةِ  
قد حَمَلَهَا الجَانِي عَارَهُ

يا هذا الضَّارِبُ فِي الأَرْضِ  
فِي غَيْرِ مُفِيدٍ أَوْ فَرَضٍ  
كَمْ يُغْضِي الشَّعْبُ وَلَا تُغْضِي  
إِلَّا لَتَحَارِبَ أَحْرَارَهُ

أَيُّ فَرْقٍ مَالُ الإِحْسَانِ  
مِمَّا بَيْنَ فُلَانٍ وَفُلَانٍ؟  
مَنْ قَدَّمَ مَيِّتَ الوُجُودَانِ  
أَوْ غَرَّ يَجْهَلُ مَقْدَارَهُ<sup>(١)</sup>

أَوْ أَحْمَقَ مَنْ ذِي الخُفَّيْنِ  
شَرِيرِ المَقْـوْلِ<sup>(٢)</sup> والعَيْنِ  
لَا يَعْرِفُ إِلَّا شَخْصَيْنِ:  
دَلَّالَ الشَّرِّ وَسَمْسَارَهُ

---

(١) يبدو أن القصيدة تدور حول مشروع مريب يقوم على جمع أموال الإحسان، وصرفها في إحياء أرض قفراء،



إِنَّ تُقْبِلْ هَزْ شَوَارِبَهُ  
أَوْ تَدْبِرْ هَزْ حَوَاجِبَهُ  
وَأَدَارْ عَالِيكَ عَقَارِبَهُ  
وَأَهَانَ إِلَهَ وَمَخْتَارَهُ

أَدْمَاءُ قُلُوبِ الْعَمَّالِ  
مَا بَيْنَ نِسَاءٍ وَرَجَالِ  
تُعْطَى لَغَيْبِي بِطَّالِ  
مَا فَارَقَ بَابَ الْخَمَّارَةِ؟<sup>(١)</sup>

عَجِبْ، بَلْ أَعْجِبْ مِنْ عَجَبِ  
أَنْ يَحْمِلَ شَيْخٌ عَقْلَ صَبِي  
وَجَهْلٌ يَفْخَرُ بِالذَّهَبِ  
فَخَرَّ الْأَعْمَى بِالنَّظَّارِهِ

مَا هَذَا شَأْنُ الزَّهَّادِ  
مَا هَذَا شَأْنُ الْعُوبَادِ  
أَضْحَكَ الرَّاغِبَ وَالْغَادِي  
وَالْجَارَ وَأَبْنَاءَ الْجَارِ

لِلَّهِ، فَوَادُّكَ مَا أَقْسَا  
نَنْسَاكَ وَتَأْبَى أَنْ نَنْسَى  
أُرْدَدَ لِلْأَرْمَالَةِ الْفَأْسَا  
وَاتْرَكَ لِلْعَامِلِ دِينَارَهُ

فَالشَّعْبُ أَحَقُّ بِأَمْوَالِهِ

من ذاك السَّقْفُ رومن أله  
ومن السلطان وعمّاله  
وذئاب «التُّرك» البغداره

أولى بالمال المجموع  
عندي من ذاك «المشروع»  
شعب في الشرق، من الجوع  
قد أوشك يأكل أطماره

يا قومي، أرواح البشّر  
أولى بالعطف من الحجر  
فساوا الطواف، أذا السفر  
أن يرفع عنكم أوزاره

يكفيكم بذل الآلاف  
يكفيكم حمل الأضياف  
من كل بغيض أو جاف  
لا يعرف محتاج داره

ذاك المعلوم إذا وجدنا  
لا يحيا الشعب إذا فُقدنا  
أنبيع الوالد والوَلدا

---

(١) البيت من قصيدة لابن زُرَيْق البغدادي (من أصحاب الواحدة) ت ٤٢٠ هـ.

(٢) أرض هبّة: واسعة ومبسوطة

(٣) المَقُول: اللسان.

(٤) الرِّبْع: الدار، وجمعها: ربوع وأربيع.

(٥) أضالعه الأولى أي بما يخفي صدره. (أضالعه الثانية) تضلّع من الطعام: ملأ أضالعه به، وهو ما يعنيه في هذه

الفقرة: ما يأكل مما أخذ من الناس.

(٦) حباله القانص: أداة قنصه. والعافي: طالب المعروف، وجمعه: العفأة.

كي نُحيي القفر وأشجاره؟

\*\*\*\*

## ٢٠ - ماذا تقول؟

[البسيط]

« كائنا هـو في حلٍّ ومُرتحلٍ  
موكَّلٌ بفضاء الله يذرعه<sup>(١)</sup>»  
تخاله في فجاج الأرض مضطرباً  
في قبضة الريح تلوّيه وتدفعه  
كأنه الزئبق الرجراج منفلتٌ  
أو مهيع الزئبق الرجراج مهيعه<sup>(٢)</sup>  
فما يمر بشخصٍ لا يسأله  
ولا يمر ببابٍ ليس يقرعه  
ولا يحرك غير المال مقولّه  
ولا يحرك إلا الشرّ إصبعة<sup>(٣)</sup>  
لا يسأل الناس عذراً عن حاجته  
كأن أربع هذا الخلق أربعه<sup>(٤)</sup>  
ليس البلاء بما يُخفي أضالعه  
لكنه في الذي تُخفي أضالعه<sup>(٥)</sup>

(١) أقض المضجع: خشن ونبا (الفعل يتعدى ويلزم).

(٢) القطة: طائر كالحمام. وجمعه القطا.

(٣) الداحية: الأرض المبسوطة.

لو يقنص البدر أمسى في حبالته  
لكن حماه من العافي ترفعه<sup>(٦)</sup>  
إني لأغبط شخصاً ليس يعرفه  
ولا أهـنـى إلا من يؤدعه



يا جامع المالِ آلافاً مؤلفه  
لمن - ولا وارثُ المال - تجمعه؟  
هل أنت طابخه يوماً فأكله؟  
أم أنت جاعله في الماء تجرعه؟  
أردد على العامل المسكين فضته  
فقد أقض على المسكين مضجعه<sup>(١)</sup>  
لا ينفع المرء ما جادت به يده  
حتى يكون محتاج تبرعه  
أليس في الأرض غير القفر عشقه؟  
وغير صوت القطا<sup>(٢)</sup> في القفر تسمعه؟  
أما ترى الشيخ كاد الحزن يقتله؟  
أما ترى الطفل كاد الجوى يصرعه؟  
حتام تمسك شيئاً لست صاحبه  
وصاحب الشيء ما ينفك يتبعه؟  
أولى بما بذل الجائون أهلهم  
فكم ترضن بما جادوا وتمنعه  
ما البر أن تبتني داراً بداحية  
لا يبصر المرء فيها من يشيعه<sup>(٣)</sup>  
وإنما هو إطعام لذي سغب  
الماء حلوا على العطشان موقعه

فَجُدْ عَلَيْهِ بِمَا جُدْنَا عَلَيْكَ بِهِ  
يَجْزِيكَ خَيْرًا وَيَرْضَى عَنْكَ مَبْدَعُهُ  
لَا تَجْعَلِ الْمَالَ فَوْقَ الدِّينِ مَرْتَبَةً  
لِلْمَالِ مَوْضِعُهُ، وَالدِّينِ مَوْضِعُهُ  
أَوْدَعْتَ مَا أُودِعَ الْمَمْلُوكُ فِي يَدِهِ  
فَكُنْ أَمِينًا عَلَى مَا أَنْتَ مُودِعُهُ  
دِعِ التَّصَنُّعَ فِيمَا أَنْتَ قَائِلُهُ  
فَرُبَّمَا فَضَحَ الْجَانِي تَصَنُّعَهُ  
إِنْ كَانَ غَرَّكَ ثَوْبٌ أَنْتَ لَا بَسَّهَ  
فَانْظُرْ إِلَيْكَ مَلِيًّا حِينَ تَخْلَعُهُ  
لَا تَنْصُرِ الْبَغِي إِنْ اللَّهُ يَكْرَهُهُ  
جَهَنَّمُ مَرْتَعُ الْبَاغِي وَمَضْجَعُهُ  
مَاذَا تَقُولُ إِذَا جِئْتَ الْإِلَهَ غَدًا  
وخبَّرَ النَّاسَ عَمَّا كُنْتَ تَصْنَعُهُ؟

\*\*\*\*\*

- 
- (١) اختار جورج صيدح من هذا النص المقطعين الأخيرين في (تبر وتراب)، بعد أن أغفل الأبيات الثلاثة الأخيرة من المقطع الأخير، ووضع لهما عنواناً غير عنوان هذا النص (إليك عني). انظر النص رقم ٢٨ في (تبر وتراب). ولم نغفل المقطعين هنا حتى تكتمل صورة النص كما أرادها أبو ماضي، وينتظم السياق فيه.
- (٢) النميقة: الكتاب (نمق الكتاب: ينمقه: كتبه وحسنه وجوده).
- (٣) نار إبراهيم الخليل (عليه السلام) التي هي برد وسلام.
- (٤) سقر. جهنم.
- (٥) دياركم. (الربيع: الدار).

---

(١) إشارة إلى المثل المعروف: أصبح اثرأ بعد عين.

## ٢١ - إلى شكري أبي صالح<sup>(١)</sup>

[الكامل]

وردتْ نَمِيقَتُكَ الجميلةُ والصُّورُ  
فلكَ الثناءُ من البصيرةِ والبصرِ<sup>(٢)</sup>  
وعليكَ مني ألفُ ألفِ تحيةٍ  
وعلى الأحبةِ في الإقامةِ والسُّفرِ  
إنَّ تَحْمِلُوا من شوقكمُ وحنينكمُ  
نارَ «الخليل»<sup>(٣)</sup>، فإنَّ في قلبي سَقَرُ<sup>(٤)</sup>  
«ما لاحَ برقُ أو ترنَّم طائرُ»  
إلا ذكركمُ، ومثلي من ذكركمُ  
فسلو الدُّجى عني إذا رق الدُّجى  
عند الدُّجى، عني وعن وجدي خَبر  
وسلوا السماءَ وما بها من أنجمٍ  
وسلوا الغمامَ والنسائمَ، والشجر  
وسلوا الحمامَ حين تشدو في الضحى  
فأنا الذي علّمتها تلك السُّور  
أشتاقكمُ، وأحبُّ من يشتاقكمُ  
وأحبُّ أربُّعكمُ<sup>(٥)</sup> ومن فيها استقرُّ  
تالله لم يشغلَ فؤادي شاغلُ

---

(١) وتر القوس.

(٢) الخود: الحسناء.

(٣) استحر الطائر: غرد بسحر، يعني: الدعوة إلى النهوض.

(٤) من يحملون الكشكول ويسألون الناس. والنور. (في الأصل) جيل من الناس، دأبهم الترحال، لهم لغة خاصة، ويعيشون على الكدية والسرقة.

عنكم ولكن عاقني صرْفُ القدرِ  
لولا الحوادثُ ما قعدتُ عن اللُّقا  
ورضيتُ، بعد العين منكم، بالأثر<sup>(١)</sup>  
شكري! وقد عبثتُ بنا أيدي النوى  
صبراً فإن الله يجزي من صبر  
يُغنيك صوتُ العود عن جسِّ الوترِ  
فاعدزْ أخاك فإنَّ مثلك من عذر



كم تستثير بي الصُّبابة والهوى  
عني إليك، فإن قلبي من حجر  
ما لي وللحسناء أُغري مُهجتي  
بوصالها والشَّيبُ قد وخطَّ الشُّعر  
في الشَّيب متَّعظ وفيه مزدجرُ  
وبما مضى عظةٌ وفي الآتي عبر  
كم بـ «الجزيرة» لو يُتاح لي الهوى  
من عادةٍ تحكي بطلعتها القمر  
مثل الغزال إذا رنا، مثل القضيِّ  
بِ إذا انثنى، مثل الصباح إذا سَفَر  
وبـ «سنسناتي» من مسارح للمها  
من صنعة الرحمن لا صنع البشر  
ولكم بها من جدول وحديقة  
تُنسيك هاتيك الخمائل والنهر  
فيها اللواتي إن رمتُ ألحاظها

---

(١) زمّله: لَفَّه في ثوبه. في الكلام إشارة إلى الآية الكريمة: «يا أيها المزمل».



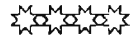
شَلَّتْ يَدَ الرَامِي، وَقَطَّعَتِ الْوَتَرَ<sup>(١)</sup>  
قَدْ كَانَ لِي فِي كُلِّ خَوْدٍ مَطْمَعُ  
وَلِكُلِّ رَائِعَةٍ الْحَاسِنِ بِي وَطَرُ<sup>(٢)</sup>  
أَيَّامِ شَعْرِي كَالدَّجَى مُحَلِّوْلُكُ  
أَيَّامِ عَيْشِي لَا يَخَالِطُهُ كَدَرُ  
❖❖❖❖❖

ذُرْنِي وَأَشْجَانِي وَجَسْمِي وَالضَّنَى  
وَيَدِي وَأَقْلَامِي وَطَرْفِي وَالسَّهْرُ  
أَبَيْتُ الْهُوَ وَالْهَمُّومُ تُحِيطُ بِي؟  
وَأَنَامُ عَنْ قَوْمِي وَقَوْمِي فِي خَطَرٍ؟  
صَوْتُ الْمَصْفُوقِ مَوْعِدُ مَا بَيْنَنَا  
مَاذَا أَقُولُ لَهُمْ إِذَا الدَّيْكَ اسْتَحَرَّ؟<sup>(٣)</sup>  
أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ثَلَاثَةً  
لَتُزَقَّنَ يَدِي كَشَاكِيلِ النُّورِ<sup>(٤)</sup>  
مَنْ كُلُّ أَحْمَقٍ بَيْنَنَا مَتَجَوِّلُ  
إِنْ غَابَ غَابَ الْهَمُّ أَوْ يَحْضُرُ حَاضِرُ  
لَا أَنْثَنِي، لَا أَنْثَنِي، لَا أَنْثَنِي،  
حَتَّى يَفُوزَ الْعَامِلُونَ عَلَى الْبَقَرِ

\*\*\*\*\*

[البسيط]

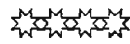
وزاهدٍ همُّه في المدح يسمعه  
 من كلِّ من همُّه أن يخلُق الكذبا  
 يُعلم الناس ألا يعبدوا أحداً  
 إلا الإله، ويمسي يعبد الذهبا  
 وأن يجودوا بما تحوي خزائهم  
 ولا يجود بدينارٍ لمن نُكبا  
 ضيفُ يتيه على المُثري وصاحبه  
 كما يتيه على المغلوب من غلبا  
 ذنبُ المُقلِّ لديه غيرُ مغتفرٍ  
 ومكثرِ البذلِ يقضي بعض ما وجبا!  
 كأنه دائنٌ طالَ المطالُ به  
 كأنه يهب الإنسان ما وهبا  
 يا ذا المزمِّل إنَّ الدين والنشبا  
 ضدَّان ما اتفقا يوماً ولا اصطحبا<sup>(١)</sup>  
 إن كنت من يبتغي الدنيا ويطلبها  
 فارغب عن الدين واطرح ذلك اللُعبا  
 احفظ لنفسك بين الناس حُرمتها  
 مَنْ يكسبِ الذمَّ في مالٍ فما كسبا  
 لا تنفخ النار، لا تدفع سواك لها  
 إني لأشفق أن تغدو لها حطباً



ما إن رأيتُ كقومي في سماحتهم  
كالغيث يسقون حتى الموضع الخربا  
لو كان الذئب أن يغشى منازلهم  
ما عاد إلا وفي فكيه ما طأبا  
ضعفُ يسميه من يُمنى به: «كرماً»  
كما يسمى الخُمار المُحتسي «طرباً»  
هذا الذي أوجد الكسلان بينهم  
وأوجد اللهو للكسلان واللعبا



وجاهل يدعي علماً ومعرفةً  
شرُّ البليات غرُّ يدعي الأدبا  
إذا يساق إليه «العُرف» نكَّره  
وإن رأى «الخفض» في أحواله نصبا  
من «الأعارب» إلا أن منطقةً  
مما يبغض فيه «العُجم» و «العربا»  
أمسى يُشبه من يحكي بسيرته  
«يهودا»، بالذي من أجلنا صلبا  
لو كان يعرف رأي العارفين به  
لراح يُنكر ما أُملي وما كُتبنا



وسافلٍ في حضيض الأرض ملتصقٍ  
يحوك من أعظم الموتى له نسبنا

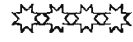
---

(١) هو الحدس. الظن والتخمين. (٢) الغلس. أول ظلمة الليل.

(٣) العالم بالأمور، الحائق بالطب (ومثله: نطيس ونطاسي).

(٤) اللعس. امتلاء مستحسن في باطن الشفة، لامتلانها بالدم.

في كلِّ يومٍ له دينٌ يُدِلُّ به  
ساء المتاجرُ بالأديان مُنْقَلِبا



وأبْلَه سائِر مع كلِّ ذي أربٍ  
سَيَّر الذَّلُول، ولا تدري له أربا  
لم يضحك الناسُ لو أمسى له ذنب  
لذاك لم يخلقِ المولى له ذنبا!



قد أكثر الدهرُ في عيني عجائبه  
حتى غدا عجباً ألا أرى عجبا  
من عاشر الناس لم يأمن دسائسهم  
فاختر لنفسك من غير الورى صحبا



---

(١) عجز البيت من قصيدة ابن سينا (العينية) المعروفة. سافه في تحية ضيف نيويورك راعي الطائفة الأرثوذكسية في كندا، الذي تولى حفلة (التعميد)  
(٢) نزع: اشتاق (نزوعاً).  
(٣) الشهاب الثاقب. المضيء.

## ٢٣ - ما كان أحوجني

[البسيط]

ما كان أحوجني يوماً إلى لَقَبٍ  
يقاتلُ الشكَّ عني في نويِ الحَدَسِ<sup>(١)</sup>  
وطيِّلسانٍ به نقشٌ وزرْكشة  
وصولجانٍ كرمحِ الفارسِ الشُّكسِ  
إنَّ لصدَّقني من لا يصدَّقني  
ولو جعلتُ الضحى جزءاً من الغَلَسِ<sup>(٢)</sup>  
وودَّ من كنتُ قبلَ اليومِ خادِمَهُ  
لو أنه خادمي، أو أنه فَرَسِي  
فإنَّ مشيَّتُ رأيتُ الغيدَ شاخِصَةً  
ومن هنا وهناك الناسُ كالحرسِ  
وإن تكلمتُ قالوا: ليس ذا بشراً  
وإنما هو وحي الروحِ ذي القُدُسِ  
فهانَ عندهمُ بذلُ النفائسِ لي  
إن كان في بذلِها إدراكٌ مُلتمسي  
وأيدوا كلَّ مشروعٍ يؤيِّدني  
فيهم، وإن كان مشروعاً بلا أُسُسِ  
وبات لثمُّ يدي في عُرْفِ بعضهم  
أشفى له من نواءِ العالمِ النُّطسِ<sup>(٣)</sup>  
يحنو فيملؤها تمرّاً، وظاهرُها  
لثماً، كتقبيلِ ذي وجْدٍ لذي لَعسِ<sup>(٤)</sup>  
وقد يكون كلامي بالياً خالقاً  
لا روح فيه، وكفِّي كفاً مُختلسِ  
لو كان ذلك لي، أو كنتُ صاحِبَهُ  
ما احتجتُ يوماً إلى سيفٍ ولا تُرْسِ

(١) اللوى: منقطع الرمل وادٍ بعينه يتردد ذكره في الشعر القديم.

## ٢٥ - النكبة في سوريا

[السريع]

لله ما أحلى، وما أجَمَلاً  
أن تنصر المسكين ذاتُ الحلي<sup>(١)</sup>!  
إن التي تَقْتُلُ أجفانُها  
أبت على البئس أن يُقْتَلَ<sup>(٢)</sup>  
فأقبلت تبذلُ أموالَها  
وتسأل المُمْثري أن يبذلَها  
في الله مسعاهما وإحسانُها  
فهكذا الغيدُ وإلا فلا

\*\*\*\*\*

---

(١) و الحلي. وجمعه: الحليّ. والأبيات في الثناء على السيدات السوريات اللواتي خرجن إلى شوارع نيويورك لجمع الإعانات لإغاثة الجائعين المنكوبين بالوباء في سورية.  
(٢) أجفانها: يريد العيون.

## ٢٦ - انقريا دفّ على الطارة

[المتدارك]

قد عاد النُّقْرُ على الطَّارَةِ  
والشَّاعِرُ حَرَّكَ أوتارَهُ<sup>(١)</sup>  
لِيُعِينَ الحَقَّ وَأَنْصَارَهُ  
الْأَخْذَ مَالِ المَحْتَاجِ

يا سَيِّدَنَا رَبُّ التَّاجِ  
ما أَحْلَى الحَقَّ وَأَنْصَارَهُ !  
لا تَلْعَبْ بَيْنَ الْأَمْوَاجِ  
وَتَوَقَّ الْبَحْرَ وَتِيَارَهُ

أَوْ لَيْسَتْ نَفْسُ الْمُسْكِينِ  
أُولَى بِالْمَالِ مِنَ الْعَمِينِ؟<sup>(٢)</sup>  
أَوْ لَيْسَتْ قَاعِدَةُ الدِّينِ  
أَنْ يَعْطِيَ نُو النُّعْمَى جَارَهُ ؟

إِنْ كُنْتَ حَقِيقاً تُرْكِيّاً  
فَبِرِّكَ صَرَحَ رَسْمِيّاً

---

(١) كان المهجريون يتناشدونها وأمثالها في سهراتهم.

(٢) يريد الحسنات واسعات الأعين (عيناء).

أَذِيعِ الْمَكْتُومِ الْمَخْفِيَّ  
وَأَزِجْ عَنْ وَجْهِكَ أَسْتَارَهُ

لَوْ يَلْقَى صَخْرُ مَا تَلْقَى  
مَنْ وَخَزِيْرَاعٍ لَأَنْشَقَّا  
لَا تَغْضِبْ إِنَّ قُلْنَا الْحَقَّا  
وَذَمَّمْنَا الْجَهْلَ وَأَضْرَارَهُ

إِنْ كَانَتْ وَخَزَاتُ الدَّاعِي  
لَمْ تُدْمِجْ جِدُّ الطَّمَّاعِ<sup>(١)</sup>  
فَتَنَكَّبْ، يَا هَذَا الرَّاعِي  
نَارَ الْحَدَادِ وَمُسْمَارَهُ

\*\*\*\*

---

(١) الذي هو القاتل نفسه (الشاعر).



## ٢٧ - توديع أمين الريحاني<sup>(١)</sup>

[الكامل]

كم ذا يلومُ على الهوى المُتَشَدِّقُ  
غيرُ الغرامِ يَجُوزُ فيه المنطقُ  
وإلى متى يُلحى الحبُّ على الهوى  
وأحقُّ باللومِ الذي لا يَعشَقُ ؟  
يا صاحبي! هو ذا الغرامُ، مريضُهُ  
لا يُرَتِّجِي، وأسيرُهُ لا يُعْتَقُ  
لي مهجةٌ تأبى الرضوخَ لأمرٍ  
رضختَ له، وهو المليك المَطْلَقُ  
ضحك الألى جهلوا الغرامَ وبطشهُ  
لَمَّا رأوني في دموعي أغرقُ  
ماذا على اللاحين ؟ لا أجفانُهُمْ  
سَكُرى، ولا أحشاؤُهُمْ تَمَرِّقُ  
ما شارك العشاقَ في ألامهم  
إلا عليمٌ بالهوى أو شيقُ  
يهوى أخو البلوى أخا البلوى، كما  
يهوى الوريق<sup>(٢)</sup> من الغصون المورِقُ  
إنَّ عَنَفَ الخالي الشَّجِيِّ فربما  
لام الذكي على الذكاء الأحمق

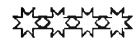
---

(١) في مناسبة سفره إلى فرنسا (١٩١٦).

(٢) الغصن الوريق: الأخضر المكتسى بالورق. وأورق الشجر - يورق. اكتسى بالورق.



لا تحسبوا هذا المشعشعَ خمرةً  
هذي نفوسُ نوي الهوى تترقُّرق<sup>(١)</sup>  
لم تكتسبَ لونَ العقيقِ كؤوسُها  
لو لم تكن من مُهجتي تتدفق  
فإذا انصرفتُ عن الرحيقِ فإنني  
أخشى تُذكّرني الحبيب فأشْرق<sup>(٢)</sup>  
وإذا بكّيتُ من الفراق ووقعه  
لا تعجبوا، هذا عدوي الأزرق



ما بالُ نفسي عندما أزف النوى  
فرقتُ<sup>(٣)</sup> وكنتُ أظنُّها لا تفرق  
بل ما لقلبي خافقاً في أضلعي  
أمن السرور أم الكآبة يخفق ؟  
إني أرى حولَ «الأمين» صحابةً  
كالنيراتِ وجوههم تتألق  
فأكاد من فرحي بأنصار الحجا  
ونوي المروءة والوفاء أصفق  
فإذا ذكرتُ غداً وقُرب مجيئه  
ضغط الأسي نفسي فكادت تُزهق  
في ذمة الله الكريم وحفظه  
رجلٌ يباهي الغرب فيه المشرقُ

---

(١) المشعشع: غير الكثيف من الشراب والظلال.

(٢) في التقدير: «أن تذكرني..» والشرق: الغصّة (شرق - يشرق).

(٣) خافت (الفرق).

هذا الذي إن قيل ذا رجل النُّهى  
 لا يزدهي عُجْباً ولا يتَفَيِّهُقُ<sup>(١)</sup>  
 دلّ العيونَ عليه صدقُ مقالهِ  
 ولكم يدلُّ على النفوسِ المنطقِ  
 ما زال يستَندي الأَكْفُ لذي الطُّوى  
 حتى لكاد بنفسه يتصدق<sup>(٢)</sup>  
 هو زهرةٌ يحيي النفوسَ أريجُها  
 هو كوكبٌ أنواره لا تُمحق  
 شتمَ المقصرُ عنه كلَّ مبرِّزٍ  
 لما رآه غبارُهُ لا يُأحق  
 لم يدْرِ أن البدر يُعرفُ في الدجى  
 والعُود يظهَرُ طيبُهُ إذ يُحرق  
 يا صاحبي! وأخو العلاء مُحسَدُ  
 ولأنت أعرفُ بالأمورِ وأصدق  
 ما من يكرّسُ للبلادِ يراعهُ  
 مثلُ الذي بيراغهِ يستَرزِقُ  
 سامحْ عدائَكَ واغترفْ زلاتَهُم  
 فالصفحُ أجدرُ بالكريمِ وأخلق  
 ما أنت أولُ عبقريِّ نابغِ  
 كاد الطُّغَامُ له ففازَ وأخفقُوا  
 ✽✽✽✽✽  
 يا قاصدَ البلدِ البعيدِ، ترفُّقاً  
 ما دام هذا الدهرُ لا يتَرَفَّقُ

(١) المتكبر، المتوسع في الكلام.

(٢) استندى الأكف: استعطاها (الندى: الكرم والعطاء).

إن كان بعضُ الودِّ يُخلِّقُه<sup>(١)</sup> النّوى  
ويبثُّه<sup>(٢)</sup>، فَوَدَّادُنَا لَا يَخْلُقُ  
فإذا رأيت البحرَ يعالو موجةً  
فاعلمْ بأن دموعنا تتدفقُ  
وإذا رأيت النجمَ ينظرُ ساهياً  
فاعلمْ بأننا في النجومِ نُحدقُ  
وإذا سمعت الطيرَ تهتفُ في الضحى  
فاعلمْ بأن قلوبنا تتشوقُ  
إنّا سنحفظُ لـ «أمين» ولاءه  
مهما أثار الفسادون وأقلقوا  
وإذا الجسومُ عن الجسومِ تفرقتْ  
فننفوسُ أهلِ الودِّ لا تتفرَّقُ

\*\*\*\*\*

---

(١) يُبْلِيه. (خلق الثوب - يخلق بلي).  
(٢) يقطعه (البت: القطع).

## ٢٨ - إكليل توفيق خوري

[الكامل] و[الوافر]

قد قال «ندرا» واصفاً «ميماسكُم»  
فأثار بي شوقاً إلى «الميماس»<sup>(١)</sup>  
ما كنتُ حمصياً، ولكني فتى  
في سر «حمص» الآن أشربُ كاسي<sup>(٢)</sup>  
~~~~~

أيا ابن مدينة «العاصي»^(٣) الجميلة
تهانئ شاعرٍ يهوى الفضيلة
والفاظُ تنمُّ على وفاءٍ
وإخلاصٍ وإن كانت قـلـيلـه
جعلتُ إلى محبتكم دليـلي:
فؤادي، والهوى الصافي دليـله
ملكتمْ مُهَجَّتِي لا بالعوالي
ولكنْ بالسجياتِ النبيلة^(٤)
متى أروي من «العاصي» غليلي ؟
ويروي كل حمصي غليله ؟
فإنني مثلكم أهوى رُباهـا
كما أهوى نسائـمها العالـيله

(١) الميماس. من متنزهات حمص المعروفة.

(٢) ارتجل البيتين في بيت صاحب الإكليل في التعقيب على قصيدة ألقاها ندره حداد (وهو في حمص) زميل أبي

ماضي في (الرابعة القلمية) والأبيات بعدها أُلقيت في الحفلة نفسها

(٣) الخطاب لتوفيق خوري نفسه (في النص السابق).

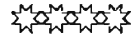
فلا يفخرُ على «حمصٍ» قَبِيلُ
بمحدثه^(١)، فواحدكم قَبِيلُهُ
نفوسُ رجالكم فيها شبابُ
وفي شُبَّانكم حزمُ الكُهلِ
لنا ولك المسرَّةُ والتهاني
فقد عاشت أمانينا القَتِيلِ
«وأعط القوس باريها» بيومٍ
قطفت أحبَّ أزهارِ الخُمَيْلِ
بقيت مع «النبِيهة» في صفاءٍ
ترفُّ عليكما النعمُ الجَزِيلِ^(٢)

(١) المحدث. الأصل.
(٢) النبية: اسم العروس.

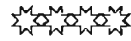
٢٩ - حاملات الطيب^(١)

[الرمل]

«حاملاتُ الطيب» تشدو طرباً
بالقاكم، يا كرام
وتُحيي حُبَّنا المنتخبا
من له أسمى مقام
فانشُري عطرك، يا ريح الصبا
وتَغَنَّ، يا حمام
فلقد نلنا المُنَى والأربا
وظفرنا بالمرام



نحمدُ اللةَ الجزيلَ المننِ
من نفى عنا الكُربُ
وحبانا بعد طول الزمنِ
بالرئيسَ المنتخب
ذي المعالي، صاحبِ القدرِ السني
خيرِ راعٍ، خيرِ أبٍ
عزَّ فيه الدين بعد الوهنِ
وعلا صرحُ الأدبِ



(١) نشيد أنشده أعضاء (جمعية حاملات الطيب) في الحفلة التي أقامها تكريماً لأسقف (بروكن)

وَلْنَحْيَ بَعْدَ ذَاكَ الْعَلَمَا
عَلَمَ الْعَدْلِ الْجَمِيلِ
عَلَمًا فِي ظِلِّهِ الْحَقُّ سَمَا
فَهُوَ الْحَقُّ كَفِيلِ
رَافَقَتْ فِيهِ الْخُطُوطُ الْأَنْجَمَا^(١)
وَلَهُ ظِلُّ ظِلِّ الْبَيْلِ
فَلْتَعِشْ «أَمِيرِيكََا» خَيْرَ حَمَى
أَلْفَ جِيلٍ بَعْدَ جِيلِ

(١) عَلَمُ أَمْرِيكََا

٣٠ - ولقد ذكرتكَ

[الكامل]

ولقد ذكرتكَ، يا بلادي، بعدما
ذهب الشَّبابُ، ومَرَّتِ الأعوامُ
فتمنَّيتُ تلكَ الرِّبوعُ لناظري
خرباً^(١)، عليها وحشةٌ وظلام
ورأيت قومي ساقطينَ على التُّرى
جُنُثًا تلوح كأنَّها أصنام
يمشي عليها الظالمون بخيلهم
وينال منها الذئبُ والضرغام
بالأمس كانوا والطيورُ طعامهم
واليوم هم الكاسراتِ طعام
وهنا، نرى إخوانهم، أجفانهم
مفتوحة، لكنَّهم نُوم
لاهين عنهم بالجدال كما لها
بَبَوات^(٢) «رومة» قبلُ، والأروام
فبكيتُ، ثم بكيتُ، من فرط الأسى
يا ليت شعري، هل بكى «اللمَّام»؟^(٣)
لم يبك، بل أرخى العنانَ لصوته
يشدو ويرقصُ حوله الأقزام
غنَّى، وفي تلك البلاد مناحةٌ
فعلى الجماد تحيةً وسلام

(١) الخربة: موضع الخراب، والجمع. خرب.
(٢) بابَوات، وخُطفت لسلامة الوزن.

٣١ - تنصير ابن حنا نحاس

[الوافر]

تكاثرت الكواكبُ والأهْلَةُ
لذلك غابت الشمسُ المَطْلَةُ
كواكبٌ لا يُلمُّ بها خسوفٌ
ولا تُخفي أشعتها الأكلَةُ^(١)
أُراني بين إخوانٍ وصحبٍ
بهم ينسى غريبُ الأهلِ أهْلُهُ
أتينا اليوم نفرحُ مع صديقٍ
جعلنا في جوانحنا محلةً
يُرجى في الحياة ككلٍّ حرٍ
لنصر فضيلةٍ ولدفع عله
وحبِّ^(٢) هام فيه عارفوه
ولم يُنكر عليه الضدُّ فضله
به وبمَثَله في كل نادرٍ
نفاخر كل طائفة وماله
فما ضرَّ الذي عملت يدا
على تفريقنا لو كان مثله
أيا مولى القلوب، بلا نزاعٍ
وأكرم نازل في ذي المحله

(١) يبدو أرادها جمعاً (للإكليل) أو (للكتلة) بمعنى الستر، وجمعهما في المعاجم (أكاليل) و(كلل)

(٢) أُسقف (بروكلن) جنوبي (نيويورك) الذي تولى عملية التعميد

لقد خافتُ عليك سماءُ «أزلن»
فحاكتُ من غمائمها مظلَّه
و«حنّا» عمّد «الفادي» قديماً^(١)
وأنت اليوم قد عمّدت نجاةً

(١) أفاد أبو ماضي من اسم أبي الطفل المعمّد (حنّا) فنذكر معه النبي يحيى (يوحنا) الذي عمّد المسيح (الفادي) في مياه الأردنّ.

٣٢ - جمعية الصليب الأحمر السورية^(١)

[الكامل]

إِنَّ الصُّلَيْبَ وَكَانَ أَلَةً نَقْمَةً
أَمْسَى شِعَارَ الْخَيْرِ وَالتَّهْذِيبِ
لَا تَعْجَبُوا مِمَّا بِهِ مِنْ حُمْرَةٍ
هَذَا - وَحَقِّكُمْ - دُمُ الْمَصْلُوبِ
لَا يَدْعُ أَنْ ظَهَرَتْ عَجَائِبُهُ لَنَا
فَلَكُمْ أَتَى بِعَجِيبَةٍ وَعَجِيبِ
هَذَا لَوَاءٍ^(٢) ضَامِنٌ كَشَفَ الْأَذَى
عَنْ قَلْبِ كُلِّ مُعَذِّبٍ مِنْكُمْ
لَمَّا شَهِدْتُ، كَمَا شَهِدْتُمْ، صُنْعَهُ
طَرِبَ الْفُؤَادُ وَكَانَ غَيْرَ طَرُوبِ
إِنِّي أَحْيِي النَّاهِضَاتِ إِلَى الْعُلَا
بِاسْمِ الْجَنُودِ، وَبِاسْمِ كُلِّ أَدِيبٍ
هُنَّ الْكَوَاكِبُ فِي الشَّرُوقِ، وَإِنَّمَا
هِيَ هَاتِ يُوْذِنُ نَوْرُهَا بِمَغِيبِ
لَوْ كُلُّ فَاضِلَةٍ تَخَاطَبُ قَوْمَهَا
قَالَتْ لِكُلِّ لَبِيبَةٍ وَلَبِيبِ:
«أَبْنَاءَ «سُورِيَا»، اَحْمِلُوا صُلْبَانَكُمْ
لِلْخَيْرِ، إِنِّي قَدْ حَمَلْتُ صُلَيْبِي»!

(١) ألقاها في حفلة أقامتها جمعية الصليب الأحمر السورية (١٩١٧) وجعل ريعها لإعانة الجنود الأمريكيين والسوريين.
(٢) يقصد: الراية.

٣٣ - توديع نعمة تادرس^(١)

[الكامل]

زمنُ الربيعِ مضى وكنْتُ أحبُّهُ
فجِلستُ بعدَ ذهابه أبكيه
واليوم يهجرُنِي حبيبٌ آخرُ
فكأن ما في القلب لا يكفيهِ
اثنان ما للشَّعر بعد نواهُما
معنى يلوِّحُ له فَيستَهويه
فصلُ الربيعِ لأنَّه الفصلُ الذي
يجدُ الفتى كلَّ اللذاتِ فيه
وأخُ يسوقُ العُرْفَ^(٢) نحو صديقه
عفوًّا، ولا يؤذِي الذي يؤذيه
وإذا يلوِّذُ به امرؤٌ في نكبة
فكانما هو لائذٌ بأخيه
هذا الذي تأسى القلوبُ لبُعده
عنها، وتَصحبُهُ لكي تَحميه
ما للكناية والإشارة موضعُ
يا صاحبي أنت الذي أعنِيهِ
شاء الذي خلقَ السماح وأهلَهُ
فَبِرَاكَ كي تعلووكي تُعلِيهِ

(١) تاجر السجاد الشرقي في (نيويورك) الذي أهداه أبو ماضي ديوانه الثاني (سماء: الجزء الثاني) وطبعه في نيويورك ١٩١٩ (وهو الذي تبرع لأبي ماضي بتكاليفه).
(٢) المعروف والجود والإحسان والنُصْفَة وحسن الصحبة.

فإذا يجود نوء النُّضار^(١) ببعضه
جادت يداك بكل ما تحويه
لك في القلوب مكانة لو أنّها
كانت لغيرك هزّ عطف^(٢) التّيه
كلُّ يودّع فيك صاحبه الذي
بنفيسه وبنفسه يفديه
سيُحبُّك البحرُ الذي تجتازه
ويحبُّك البرُّ الذي تطويه
ويحبُّك البلدُ الذي تختاره
إن كنت أو ما كنت من أهليه
كلّ المواطنِ الكريمِ بلاده
والناسُ منه كلُّهم كنّويه
سافرْ ترافقك السّلامة وتعدّ
باليُمن والإقبال والتّنويه
لكن ربّك لي إليك وصيه
ليست بأمرٍ، لا، ولا تنبيه
هي إن تزرّ وطناً نقّس ذكره
ونُجّلّه ونصّونه ونقيه
فانظرْ بأعيننا البلاد وأهلها
ليرى بك الوطن القديم بنيه

(١) النضار. الذهب الخالص.

(٢) أحد الجانبين، عن يمين وشمال.

٣٤. دار رشيد أيوب^(١)

[السريع]

كيف تركت الدار، يا صاحبي
مفتوحة الباب لمن يطرق؟
أليس في هذا الحمى سارق؟
أليس في بيتك ما يُسرق؟
أم علم القوم على جهلهم
أنك ذاك الشاعر المفلق؟^(٢)
جميلة دارك، يا سيدي
ودربها، والشجر المورق
لكنها عمياء صماء لا
عين ولا سمع ولا منطق
جئت إليها أملاً شيئاً
وعدت منها وأنا أشوق!

(١) زار الشاعر داره في ميلفورد (بنسلفانيا) فلم يجد فيها أحداً، ووجد الأبواب مفتحة (١٩٢١)

(٢) شاعر مفلق. مجيد، يجيء بالأعاجيب.

٣٥ - رثاء المطران أثناسيوس عطا الله^(١)

[مجزوء الكامل]

زُرْتُ الحديقةَ في الضُّحَى لأرى الغصونَ المورقةَ
فإذا الطيورُ صوامتُ، وإذا الأزاهرُ مُطرقةَ

وإذا النسِيمُ له أنينٌ كالجريحِ أو الطعنينِ
ويلاه من ذاك السَّكوتِ، وأه من هذا الأنينِ

ماذا أصاب الأَقْحُوَان، فإنه لا يبْسِمُ
ماذا دها طير الأراكاة؟ فهو لا يترنمُ!

أي المصائبِ بالرياض؟ فقل لي: نضب الغديرُ!
فالطيرُ والأزهارُ حائرةٌ تفكرُ في المصيرُ

فعرفتُ أني في الحديقة حاضِرُ في مآثمِ
وشعرتُ أن الحزنَ يسرُبُ^(٢) في عروقي مع دمي

الجنةُ الغنَاء، يا أبناءَ «حمص»، أنتمُ
أما الغديرُ فإنه هذا الفقيدُ الأعظمُ

«أثناسيوس»، علّمتنا ووعظتنا حياً وميتاً
أشرقت إشراقَ الصباح، ومثلما يمضي مضيّتنا

(١) مطران حمص.

(٢) سرب: مضى وذهب.

الهُ بَارَكَ «حَمَص» حِينَ سَكَنْتَ فِي أَرْجَائِهَا
وَدِيَانَةً قَدْ كُنْتَ فِي دَنِيَاكَ مِنْ رُؤَسَائِهَا

كَمْ مَهْمَةٌ^(١) لِيَأْسَ كُنْتَ بِهِ دَلِيلَ التَّنَائِهِيْنَا
كَمْ حَوْمَةٌ لِلْبُؤْسِ كُنْتَ بِهَا مُقِيلَ^(٢) الْعَاثِرِيْنَا

قَدْ كُنْتَ مَصْبَاحاً إِلَهِيّاً يَضِيءُ لِكُلِّ سَارٍ
وَقَدْ انْطَفَأَتْ فَكَلَّانَا لِلْحَزَنِ يَعْتُرُ فِي النَّهَارِ

عَلِمْتَنَا أَنَّ التَّنَسُّكَ لَيْسَ فِي سَكْنَى السَّبَّاسِ^(٣)
بَلْ فِي مَقَارَعَةِ الْخُطُوبِ، وَفِي مَصَارَعَةِ التَّجَارِبِ

لَيْسَ الْفَضِيلَةُ وَالتَّقَى إِلَّا يَضُرُّ الْمَرْءَ غَيْرَهُ
وَيَصُونُ مِنْهُ نَفْسَهُ، بَلْ أَنْ يَسْوَاقَ إِلَيْهِ خَيْرُهُ

خَالَفَتْ كُلَّ النَّاسِكِينَ، مِنْ الْأَوَائِلِ وَالْأَوَاخِرِ
خُضَّتِ الْمَعَاثِرُ^(٤) عِنْدَمَا خَافُوا التَّعَرُّضَ لِلْمَعَاثِرِ

قَدْ كَانَ نُسْكُكَ جَرَأَةً عَظُمَى وَنُسْكُكُهُمْ فَرَاراً
يَا وَيْحَهُمْ لَمْ يَنْفَعُوا فِي نُسْكِهِمْ حَتَّى الْقَفَارَا

(١) المهمة: المفازة البعيدة.

(٢) أقاله من عثرته: أقامه منها

(٣) السَّبَّاس: الأرض القفر البعيدة.

(٤) العثرة: الزلّة. والمعائر: حيث يعثر المرء.

قد كنت تَزهد بالجواهر وهي أكوامٌ لَدِيكَ
وتُسَرُّ إذ تسعى إلى المسكين أو يسعى إِلَيْكَ

ما أحقر التَّيْجَانِ عِنْدِي، إن ذَكَرْتُكَ، والأرائكُ
إن الملوِك من الأنعام، وأنت من جنسِ الملائك

شادوا على الجثث العروش وشدَّت عرشك في النفوسَ
فمضت عروشُهم، وعرشك خالدٌ مثلُ الشُّموسِ

لله كيف حوَاكَ لَحْدٌ، أيها البحرُ الكبيرُ
لله كيف خبا سَنَاؤُكَ، أيها القَبَسُ المُنِيرُ

قد كنت كُأَنَّكَ، أيها الراعي الأمينُ، كُأَنَّنا
«أثناسيوس»، نم هَانئاً فلكمَّ سهرت لأجلنا

٣٦ - جمعية الاتحاد السوري^(١)

[البسيط]

ما طائرُ كان في قفْرِ على ظمأ
فساقه قدرُ نحو البساتينِ
فاعتاض من لفحات القِيظِ وارفَةً
ممدودة الظلِّ خضراءَ الأفانينِ
وبات تُنشده فيها بلابلُها
حيناً ويُنشدها بعض الأحياءِ
منِّي بأسعدِ نفساً مذ نزلتُ بكم
يا معشر السادة الغُرِّ الميامينِ
فإن رُوحِي لتمشي من عواطفكم
مغمورةً بالأقاحي والرياحينِ
ومقلتي تمشي، من وجوهكم،
في أنجمٍ تتجلى لي فتَهديني
أرنو فيُشرقُ في نفسي جمالكُم
كالوحي في خاطرٍ بالوحي مفتون
إن المروءة لو شادت أريكتها
كانت قوائمُها شُمَّ العرَّانينِ^(٢)
ترقُّ أخلاقُكم كالخمرِ أونةً
وتارةً تمزجون البأس باللينِ

(١) أُلقيت في الحفلة التي أقامتها الجمعية لتكريمه (١٩٢٥) بصفته رئيسها السابق. اختار منها جورج صيدح ثلاثة عشر بيتاً في الديوان الذي أصدره من شعر الشاعر (تبروترا ب) النص ٥٧

ومن يجربكم في الحالتين يجد
لطف الملائك أو حزم الأساطين^(١)
بكم أصول على الأيام ثائرة
خطوبها، وأباهي من يباهيني
لأنتم الماء لي والنفس ظامئة
وحبكم قمري في ليل «كانون»
أحببتكم حب إنسان لإخوته
إذ ليس بينكم فوقي ولا دوني
إن كان فيكم ضعيف لا يحاذرني
أو كان فيكم قوي لا يقاويني
ولا أداجي لأمر منكم أحداً
ولا أرى أحداً منكم يداجيني^(٢)
نحلتُموني فضلاً لستُ صاحبه
ولم يكن قطُّ في ظني وتخميني
لكن رأيتم خيلاً من فضائلكم
فخالتُم أنه خُلقي وتكويني
والشمس إن نظرت في الماء صورتها
رأت هنالك شمساً ذات تلوين
❖❖❖❖❖

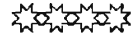
قُلْ لامرئٍ مثل «قارون» بثروته:
إني امرؤٌ بصحابي فوق «قارون»^(٣)
من يصطنع صاحباً تبقي مودته
فهو الغنيُّ به لا ذو الملايين

(١) الأساطين: السواري، المفرد: أسطوانة، وهي السارية

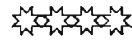
(٢) المداجة: المدارة.

(٣) من وزراء الفراعنة. يُضرب به المثل في الغنى والغرور، وإليه تنسب البحيرة في الفيوم.

فاختر صحابك وانظر في اختيارهم
إلى الغرائز قبل اللون والدين



المرء في هذه الدنيا عواطفه
إن تدرس فهو بيت غير مسكون
وإن عاطفه هذي مظاهرها
من عالم الروح لا من عالم الطين
لو فاتني كل ما في الأرض من ذهب
ولم تفتني فإني غير مغبون



لو القوافي تواتيني شكرتكم
كما أريد، ولكن لا تواتيني
فاستنطقوا القلب أو جسوه يخبركم^(١)
فالحب والقلب مكنون بمكنون
وفي زواياه شعراً لا وزن له
ورب شعراً جميل غير موزون
إني سأحمد يا صبي صنيعكم
حمداً إلى الدهر لا حمداً إلى حين



(١) وقعت جواباً للطلب، ولكنه ساقها على هذا النحو، حفاظاً على الوزن.

٣٧ - نشيد يوسف بك كرم^(١)

[البسيط]

يا من هزمت العدا في كل مُعْتَرَكٍ
في مهجتي جيشٌ حزنٍ غيرٌ منهزمٍ
لِفُوكَ بالعلمِ القاني، وما علموا
أن التُّقَى والنُّهَى والمجد في العلمِ
وغيبوا البطلَ الصُّنْدِيدَ في جدثٍ
وأودعوا في الثُّرى طُوداً من الشُّممِ
لا «يوسفُ» آخرُ يحمي مرابعنا
مضى الردى بالشجاع الطاهر الشَّيمِ
ولا فوارس حول الأرز رابضةً
كالأسد في الغاب، كالعقبان^(٢) في القممِ
«لبنانُ» بعدك في ليلٍ بلا قمرٍ
وأرزُ «لبنان» في جو من الألمِ
لله عهدك من عهدٍ نَقْدَسُهُ
وتَسْتَلْذُبُه الأرواحُ في الحُلُمِ
لم يبقَ غيرُ خيالاتٍ تطوفُ بنا
فيا نفوسُ إذا مرَّتْ بك ابتسمي
يا راقداً في ضريحٍ كلُّه شرفُ

(١) زعيم لبناني تزعم حركة تمرد مسلحة ضد الوالي العثماني. دفن في (اهدن) حيث ولد، بعد أن نفى إلى فرنسا (١٨٢٣ - ١٨٨٩). ابتاعها أحد الموسيقيين (اسكندر المعلوف) ولحنها وسجلها على اسطوانة صارت تباع في الأسواق.

(٢) العقاب: من جوارح الطير (أنثى) وجمعها: عقبان.

قام الأسودُ إلى أسيافهم، فقم
يا صاحب السيف، كاد السيفُ يهلكنا
يا ليثَ «لبنان»! عاثَ الذئبُ بالغنمِ
أشرفَ بروحك من أوج السَّناء على
سهولِ «لبنان» والغابات والأكم^(١)
يدعوك للجد «لبنان» وأرزته
يا ابن الأكارم، هذي ساعةُ الكرم

(١) الأكمة: التلّ، وجمعها: أكم وأكام.

٣٨ - إلى ندره حداد^(١)

[مجزوء الكامل]

إِنَّ الْعَيُونَ وَطَالَمَا أودعت شعرك سحرها
حملت عليك فأدركتك، وأدركت بك ثأرها
قد كنت تخشى أسرها، فغدت تحمد أسرها
وإذا الفتى عرف الهوى، عرف الحياة وسرها
فأحبها تسقيه حازر^(٢) خلها أو خمها
وإذا رأى أشواكها أغضى ليلامح زهرها
ويظل يرجو فجرها، والليل يطمس فجرها



قدر الفتى في حبه، فارفع لنفسك قدرها
«ندره»، صبرت على زمانك طائعا لا مكرها
الغيد حولك كالنجوم، وأنت تؤثر هجرها
ولك الشباب وكل ما خدع النفوس وغرها
لا النفس زاهدة، ولست كمن تكلف قهرها
لكن شغلت بغادة أخذت قريضك خدرها
ما زلت تنعتها وتجهل مثل غيرك أمرها
حتى جفت قاصر الخيال، وصار قلبك قصرها
فاشكر لدهرك جوده واحمد لنفسك صبرها
ونعمت ما وأمنت ما مد الحياة وجزرها



(١) أرسلها إلى زميله في (الرابطة القلمية) يهنئه فيها بخطبته عام ١٩٢٥ وتلا القصيدة التي بعدها (النص ٢٩) في حفل زواجه.

(٢) الحز من اللين: فوق الحامض.

٣٩ - في عرس ندره حداد

[مجزوء الخفيف]

شاعرُ كان حائراً
أذهب الحبُّ حيرته
طائرُ كان تائهاً
وجد الآن جنّته
صولَةُ الحُسْن والهوى
تسلُبُ المرء صولته
إنَّ «نَدْرَةَ» الذي بغى
أن يُعاصي مشيئته
أسلمَ اليوم قلبه
بيديه ومهجته
لم يكن زاهداً ولا
جاهلاً قطُّ قوته
فلكم هدّ قاعة
قبل ما هدّ قوته
بلْ لأمرٍ مَقْدَرٍ
أخّر الدهرُ قُرْعته
يا أسيراً كأنه
أسرُّ نال بُغيته
ليس بالعاشقِ امرؤ
خاف في الحب محنته

إِنَّمَا الْحُبُّ ضَائِلَةٌ
 لَوْ عَرَفْنَا حَقِيقَتَهُ
 أَنْتَ يَا صَاحِبَ الْبَلِّ
 يَعْشَقُ الْكُلُّ نَفْسَتَهُ
 جَدَّدْتَ دَوْلَةَ الْهَوَى
 بِكَ لَأَشْعُرَ دَوْلَتَهُ
 دَمْتُ فِي الْعَيْشِ صَاحٍ لَا
 يُخْلِقُ^(١) الدَّهْرُ جِدَّتَهُ

 نَصَبَ الْحُبُّ فَخَّهُ
 وَهُوَ يَدْرِي قَنِيصَتَهُ
 وَكَمَا صَادَ «نَدْرَةٌ»
 سَوْفَ يَصْطَادُ إِخْوَتَهُ
 فَ«جَوَادًا» وَ«تُرِيًّا»
 وَ«خَالِيًّا» وَزَمَرَتَهُ
 وَغَدَاً، وَهُوَ مُقَبَّلٌ،
 يَغْلِقُ الْكُلَّ عَاقَتَهُ!

(١) أخلق الدهر جدته: أبلاها (خُلِقَ الشيء: بلي).

٤٠ - كذا الإله خَلَقَهُ^(١)

[مجزوء الرجز]

إلى متى تُضْأُكُمْ
يا قومُ تلك الورقة؟
إلام يستجْهْكُمْ
أجهلُ من «هَبْ نَقَّه»؟^(٢)
أراقكُمْ من نطْقَه؟
وقد عرفتْ من نطقه
أم صوّته؟ وصوّته
أحسنُ منه النّقْ نَقَّه
أم وجّهه؟ ولوراً
هُ القردُ «طاح الحاقه»
هو الذي طاف على
كم يستدرُّ الصدقه
فما تراءى شبحُ
منكم إلا لَحَقَّه
وما أصاب مُوصداً
في الحي إلا طرّقه

(١) (جريدة مرآة الغرب ٩ / ١ / ١٩٢٦) ردّ بها على أبيات ظهرت في جريدة (الهدى) أواخر سنة ١٩٢٥ وأوائل سنة ١٩٢٦ وعارضها أسعد رستم في أربعين بيتاً (جريدة الهدى ١٥ / ١ / ١٩٢٦) بعنوان: «هل يستحق المشنقة؟» وهو عجز بيت كان أبو ماضي أتى به في أبيات من قصيدة نظمها سنة ١٩١٤ ونقل منها هنا (على عادته أحياناً) (جملة أبيات (انظر النص رقم ٨: اليهودي التائه)).
(٢) يُضْرَبُ به المثل في الحمق.

وما رأى مائدةً
إلا أَمَّالَ عُنُقَه
أعجبه سَمَنُكُمْ
فصار مثل المعاقه
يمتصُّ أموالكم
محس الهجير الزنبقه
يملأ من جيوبكم
جيوبه المخرقه
في كل يوم يبتغي
ضريبة أو نفقه
كانكم بعولهُ
كانه موطأقه
بل كما أحس بال
إملاق أبدي ماقه
فصور البحر لكم
وهو أجاج^(١) «مرقه»
وصور الأرض على ات
تساعها كالبنده
إن تستحو لا يستحي
كذا الإله خاقه!

(١) شديد الملوحة.

٤١ - النار أشده أكل^(١)

[الطويل]

ويا ربّ عاوي ظنّ أن عواءه
يقيه - ولكن ما وقاه - غوائلي
يصيح، وفرطُ الخوف يُرجفُ روجه،
صياح صغار الطير خوف الأجدل^(٢)
ويبكي ولم تضغطُ على عنقه يدي
فكيف إذا فارت عليه مراجلي؟
جهول، وبعضُ الجهل يُهلكُ أهله
غبي رأينا فيه صورة «باقل»^(٣)
نصحتك ألا تجعل النّصل مركباً
فإن المنايا في ركوبِ المناصل
وإني نارٌ ليس يخبوسعيروها
فلا تصطلي، فالنارُ أشده أكل

(١) ردّ بها على مقالة ظهرت في جريدة (الهدى) بعنوان (النسناس القوّال).

(٢) الأجدل: الصقر.

(٣) يضرب به المثل في الغباء، في تراثنا

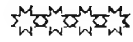
٤٢ - إلى النابح العاوي^(١)

[البسيط]

يا أيها النابحُ العاوي بلا سببٍ
أما لنفسك ذودٌ فينهاها؟
إن كان غرك أن الحلم شيمتنا
فربما خالفت نفسُ سجاياها
نحن النجومُ التي تهدي أشعتُها
من ضلٍّ، بل نحن أسماها وأسناها
لكننا نغتدي إن ثار ثائرنا
نيزكاً تتقي الدنيا شظاياها
ما حدثتنا بغير الجد أنفسنا
ولم يمشي غايه إلا بلغناها
هل يزعجُ الشُّبه نباح بلا تنبؤ؟
وهل يعوقُ في الأفلاك مسراها؟
إذا سكَّتنا فإنَّ الليثَ يأنفُ من
قتل البعوضة مهما طال قرناها
إذا نظرنا إلى الجعلان^(٢) سارحةً
ولم نطأها فإننا قد حقرناها
وفي الحقائق ذاتِ الزهر مشغلةً
عن رؤية الجُعَل يمشي في زواياها

(١) كتبها ردأً على قصائد نشرها أسعد رستم ونشرتها جريدة (الهدى) ١٩٢٦، وعارضها هذا بعد نشرها، بقصيدة أخرى جعل عنوانها (هاها، الدور لي) !
(٢) المفرد. جُعَل: من بويبات الأرض.

فيا غيبياً على جهلٍ يطاولنا
ورطت نفسك فانظر كيف عَقبَها
من أنت ؟ هل أنت ذو قدرٍ فنخفضه
أو حُرمة تتأذى إن هتكناها ؟
ما أنت إلا الهباءُ المستطارُ، فهل
نُفري الهباءَ بأسيافٍ حملناها ؟

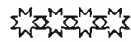


يا كلب سوقٍ ويا خنزير مزبلة
يا جيفةً ما تحامى الناس إلّاها
على الدروبِ كلابٌ ما لها عددٌ
لاشك أنك أعداها وأعواها
وإنما الناسُ في أمرٍ قد اختلفوا:

هل أنت «أسعدُها» أم أنت أشقاها ؟
إن السَّفالةَ لو تَنالنا في سجنٍ
كالخَلْقِ، لم يكُ إلا أنت مأواها

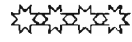
أعياك أن ترتقي حتى ترى بشراً
فصرت كالتيسِ نطّاحاً وتيّها
خبئ قُرونك، واحذر أن تتية بها
فكم قرونٍ كهذي قد حطّمنّاها
في «الأخطبوط» الذي صاحبته عظه
لو كنت تفهم معناها ومغزاها
كم مرةٍ قرّبت منا كتائبه
فلم تكن لحظةً حتى هزمنّاها
فارتدّ يُعول من يأسٍ ومن ألمٍ
عويلٌ جارية قد مات مولاها

ألم تكن كقرونِ الوعلِ، شائكهُ
قرونهُ السُّودُ كُبرَاهَا وصُغَرَاهَا ؟
اليوم ليس لها عين ولا أثرُ
نحن الذين بأيدينا كسرناها
إن يستعن بك فالغرقان لو نظرتُ
عيناه في البرِّ سَعْلَةً^(١) لناداهَا
وإن تكن نفسه في الجسم باقيةً
فإنما خُبثها في الجسم أبقاها
فما نجت بومةً يوماً بقوتها
وإنما قُبِحها المشهورُ نجّاها
نفسُ لو انتشرت يوماً نقائصها
لعمّت الأرض أدناها وأقصاها
نفسُ يشكُّ الوري في الله إن زعموا
فإن «عزريل» يخشى أن تتدنّسه
والأرض إن أصبحت في الأرض مثواها
ما ضر من وُصمت بالعار جبهتهُ
لو أنه بسوى الأوحال غطاها
أتيته بعدما شالت نعامتهُ
وغيب البرُّ يُمناها ويُسرّاها^(٢)
فكان مثل الذي ماتت كرامتهُ
وكنّت مثل الذي قد جاء ينعاها



(١) السَعْلَة: الغول (والجمع السَّعَالِي)
(٢) شالت نعامته: كناية عن التفرق وزوال النعمة، أو الغياب والموت.

يا نذل! والنذل إنسان بلا شَمِّ
ما سيم من خطّة إلا ويرضاها
زعمت خطف الظباء الغيد عادتنا
هل أخبرتك بأننا قد خطفناها؟
بالله يا نجل...^(١) معذرةً
إذا ذكرنا ألبانات قضيناها
كنا نسينا، ولكن ما برحت بنا
حتى ذكرنا التي كنا نسيناها
فاغفر خطيئتنا، نغفر خطيئتها
واستغفر الله كي نستغفر الله



وربّ طاهرة في البيت أمنة
حسبناها خطّة شنعاء تأباها
حسبناها كالتى بالاشيائها
بل كدت تحسبها يا وغد إياها
دنوت للورد في الخدين تقطفه
فراح يرتع في خديك نعالها!



سل السُّجونَ التي جاورتها زمناً
كم ليلة بتّ ملقى في زواياها
وفي قفاك نعالُ الجُند راقصةً
كأنما هوناديهما ومأهاها
شدّوا عليك، وقد خالوا نعالهم
تُدمي قفاك فاذاها وأدماها!

(١) ينبغي أن يكون ذكر أمّه على صفةٍ لا تليق

فانظرْ قَدْ ذَاكَ^(١) في «المرآة» إنَّ به
أثارها وكثيراً من بقاياها !
إن كان هاج بك الشوقُ القديمُ لها
فعندنا ألفُ نعلٍ قد حفظناها
~~~~~  
ما تَمُّ في الأرض من عيبٍ نزيْدُكُ  
أنت المعائبُ أولاهُ وأخراها  
وما هجوناك يا «لاشيء» نعرفُ  
بذي القوافي، ولكنَّا هجوناهُ!

\*\*\*\*\*

الناشيء

---

(١) جماع مؤخر الرأس.

## ٤٣ - دعهُ ينبج

[الخفيف]

قد سَكَّنَا عن اللئيم طويلاً  
حين كان السكونُ أولى وأصلحُ  
وصفَحْنَا عن ذنبه وعفَوْنَا  
عَفْوُ حُرٍّ، وَالْحُرُّ يَعْفُو وَيَصْفَحُ  
وحسبناهُ يرعوي، فتمادى  
وظننَّاهُ ينتهي، فتَنَطَّحُ  
فصَفَعْنَاهُ صَفْعَةً باتَ منها  
يَتَلَوَّى، وتَارَةً يَتَرْجَّحُ<sup>(١)</sup>  
قُلْ لِمَن سَبَّهَ لئيمٌ كهذا:  
شَبَّ بِلِ شَابٍ وهو في اللؤم يسبح  
عرَّفَ الكلبُ أَنه الكلبُ لَنَا  
سِ ودَعَهُ من بعد ذلك يَنْبِجُ!

\*\*\*\*\*

---

(١) يتناقل (رجح - يرجح: ثقل)

## ٤٤ - خطبة ميشيل حداد

[مجزوء الكامل]

إِنَّ الحَيَاةَ خَمِيَالَةٌ والعاشقين زهورُها  
الحُبُّ في أكبادنا خَفَقَانُها وشُعورُها  
والحُبُّ في زهر الرُّبَا ألوانُها وعبيرُها  
هو في الجداول شتوُها، هو في الكواكب نورُها  
من حُبِّ كان له الحَيَاةُ: سرُّها وسرورُها  
ونفوسُ أبناء الغرام إلى الخلود مصيرُها  
فاشربْ على ذكرى الهوى كأساً هواك مُديرُها  
«ميشال»، مملكة الشباب اليوم أنت أميرُها  
زارتْكَ مثلَ الشَّمْسِ في زمن الربيع سُفورُها  
حسناءٌ كالظبي الغريرِ دلائُها ونُفورُها  
قد طاب خُلُقُك واستوى وصفُها، ورقّ ضميرُها  
ولها الجمالُ وعرشُها . ولك المُنَى وقُصورُها  
فَرِحْتَ لحبِّكُمَا السَّمَاءَ ونجومُها وبُدورها

\*\*\*\*\*

## ٤٥ - الجدول الطروب

[مجزوء الكامل]

من علم الإنشاد هذا الراقص المتبخترا ؟  
إني اهتديت به إليه، وكان سرّاً مضمرا  
يجري طروباً وهو لا يدري لماذا قد جرى  
الدوح حانية عليه تخاف أن يتكدرا  
ويأخذ للأزهار أن ترنو إليه وتنظرا  
ولقد سمعت الطير تدعوه الحبيب الأكبر  
فوقفت أرمقه وأسأل حائراً مستفسرا  
ما حبب الأطياف والأشجار فيه يا ترى ؟  
أحصاه ؟ إن البحر يحوي في حشاه جوهرا  
أم ماؤه ؟ إني رأيت السيل منه أغزرا  
أو طهره ؟ إني وجدت الطل منه أطهرا  
ما السر في هذي ولا في كونه يسقي الثرى  
بل كونه يسدي الجميل ويستحي أن يظهر

\*\*\*\*\*

## ٤٦ - صوت بلادي<sup>(١)</sup>

[الكامل]

ما الروضُ وشَّاهُ الربيعُ بزهره  
وكسا نَّراهُ مَفْوْفُ الأبراد<sup>(٢)</sup>  
عندي بأجملَ منكمُ في ناظري  
وأحبُّ من أرواحكم لفؤادي  
أبصرتكمُ فرأيتُ صورةَ أمَّتي  
وسمعتكمُ فسمعتُ صوت بلادي  
«لبنانُ» زودَ بالطموحِ نفوسكمُ  
لما رحلتُم في طلابِ الزَّاد<sup>(٣)</sup>  
وحبَّتكمُ «سوريَّةُ» بجمالها  
وجمَّأها فوقَ الجمالِ العادي  
فأنا أحيي في كهولكمُ النُّهى  
والطُّهر والأحلامَ في الأولاد<sup>(٤)</sup>  
والحُسْنَ في فتياتكم، والعزمَ في  
فتيانكم، ومروءةَ الأجداد  
الناسُ عندي كالشُّهور، وإنكم  
في الناس كالأحادي والأعياد  
فإذا سكتُ فكمي أناجيكم وإن  
أنشدُ فليس لغيركمُ إنشادي

\*\*\*\*\*

(١) استهل بها خطبة ألقاها في الحفلة التكريمية التي أقامتها له الجالية في توليو أوهايو (١٩٢٧)

(٢) الفوف: الزهر. والأبراد: جمع البرد.

(٣) يقصد: طلب العيش.

(٤) النُّهى: العقل، لأنه ينهى. وجمعها: النُّهى.

## ٤٧ - يا ليتني...<sup>(١)</sup>

[السريع]

إذا أطلَّ البدرُ من خدره  
فإنما يطأعُ كي تنظريه  
وإن شدا الببلُ في وكره  
فإنما يشدو لكي تسمعيه  
وإن يفُحَّ عطرُ زهور الربا  
فإنما يعبقُ كي تنشقيه  
يا ليتني البدرُ الذي تنظرين !  
يا ليتني الطيرُ الذي تسمعين !  
يا ليتني العطرُ الذي تنشقين !  
أواه لو تصدَّق «يا ليتني»!

\*\*\*\*\*

---

(١) نشر في ملحق الجداول (دار النقطه) بعنوان (عروس الجمال).



## ٤٨ - الزمهرير<sup>(١)</sup> في نيسان

[الخفيف]

رجع الزمهريرُ أمسِ إلينا  
ورجعنا نشكو من الزمهريرِ  
جاء «نيسانُ» كالح الأفق، عاري الـ  
أرض، حيران كاليتيم الفقير  
أو كملكٍ داس الغزاة حمَاهُ  
فهو في حيرةٍ وفي تفكيرٍ  
أو فتاةٍ مفجوعة بحبيبٍ  
مات في وجهها ضياءُ السُّرورِ  
إيه «نيسانُ» قد أتيت، ولكن  
بمحيًا إفك<sup>(٢)</sup> وحالة زُورٍ  
لا دليلٌ على وجودك يا شهـ  
ر الأقاحي سوى غناء الطيور  
ليت شعري ماذا دهاك فلم  
تُخرج لنا الزهر من وراء السُّتور؟  
نحن لولا الحسابُ خلّناك لم تُو  
لَد، وأنَّ الشهور غيرُ الشهور!

\*\*\*\*\*

---

(١) شدة البرد

## ٤٩. النجمة الهاوية<sup>(١)</sup>

[مطلع البسيط]

هذا هو المنزل الأخير  
إلى هنا ينتهي المسير  
وينطوي الخوف والترجي  
وينقضي الحزن والسرور  
ما كان أحلى الحياة لو لم  
يكن إلى الحفرة المصير  
كم من عصور مضت وغابت  
فيها ولم تشبع القبور

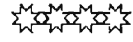


مررت بالزهور ذابلات  
كأنما مسحها السعير  
فقلت: ماذا عراك حتى  
فارقك الزهو، يا زهور؟  
فلم تجاوبني الأقاحي  
وإنما جاوب الغدير  
فقال: «سلمى» مضت، وكانت  
زنبقة ما لها نظير  
فغاض نهر وجف روض  
وغاب نجم وانكد سـور

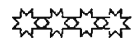
---

(١) في رثاء (سلمى ملوك)، قرينة (عزيز عطية). وتليت في مدفنها في نيويورك (١٩٤٠)

يا وحشة الدار بعد «سلمى»  
فقد خبا بدرها المنير  
«سلمى» التي صمّتها وقارُ  
وفي أحاديثها عبير  
فليس في مشيها اختيالُ  
وليس في نطقها غرور  
كم بئس لاذ في حماها  
وكم رجا رفدها فقير  
أليس جوراً من الليالي  
أن تحتوي الأولو القبور؟



يا قبر «سلمى»، ما أنت قبرُ  
بل عالم نيّر طهور  
ففيك مثل الرياض عطرُ  
وفيك مثل السماء نور  
حويت دنيا نبلٍ وفضلٍ  
يا أيّها الحيز الصّغير  
لم أر من قبلها ثريّاً  
شعاعاً في الثّرى تخور<sup>(١)</sup>  
وقبل إخوانها نسوراً  
تبكي، أجل قد بكى النّسور



---

(١) خار - يخور. صاح. يريد هنا: أرسلت نورها

«عزیز»، یا ضیغم<sup>(۱)</sup> جریحاً  
وطائراً جناحہ کسیر  
الدمع فی مقالتیہ یطغی  
والحزن فی صدرہ یغور  
الخطبُ یا صاحبی کبیر  
وأنت یا صاحبی کبیر  
فکن صبوراً علی الرزایا  
فإنما یؤجر الصبور

\*\*\*\*

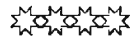
---

(۱) الضیغم. الأسد.

## ٥٠ - رثاء رشيد أيوب

[الرمل]

نام لَمَّا تَعَبْتُ أَجْفَانُهُ  
وَإِذَا مَا تَعَبَ الْإِنْسَانُ نَامَ  
خَرَجَ الشَّاعِرُ مِنْ دُنْيَا الْأَسَى  
مِثْلَمَا يَنْسِلُ نُورٌ مِنْ قَتَامٍ  
وَمَضَى عَنَّا إِلَى مَوَاطِنِهِ  
وَطَنُ الشَّاعِرِ أَمَّنْ وَسَلَامٌ  
لَا تَقْلُ: هَذَا الَّذِي كَانَ أَنْطَوَى  
مَا أَنْطَوَى، يَا صَاحِبِي، إِلَّا الرُّغَامُ<sup>(١)</sup>  
سَأَلُوا الْجَدُولَ عَنْ أَلْحَانِهِ  
فَهِيَ فِي الْجَدُولِ وَجْدٌ وَهُيَامٌ  
وَسَأَلُوا الْأَزْهَارَ عَنْ أَحْلَامِهِ  
فَهِيَ فِي الزَّهْرِ أَرْيَجٌ وَابْتِسَامٌ  
وَسَأَلُوا «صَنَّيْنِ»<sup>(٢)</sup> عَنْ شَاعِرِهِ  
إِنَّهُ فِيهِ جَلالٌ وَاحْتِسَامٌ  
هُوَ فِي قَمَمَتِهِ عَزَّتْهَا  
وَهُوَ فِي الْوَادِي اتَّضَاعٌ وَاحْتِشَامٌ  
لَمْ يَزَلْ مَا بَيْنَنَا أَسْطُورَةٌ  
يَتَلَقَّاها كَرَامٌ عَنْ كَرَامٍ



---

(١) الرُّغَامُ: التراب.

(٢) الجبل في المتن الشمالي من لبنان. والمرثي من قرية (بسكنتا) في سفحه. وهو زميل أبي ماضي في (الرابطة القلمية).

أيها الشاعِرُ لا تخش الأذى  
 لست بعد اليوم جاراً لأنام<sup>(١)</sup>  
 جهلوا قيمةً أرواحهم  
 فغدا الجوهرُ عبداً للحطام  
 لا هناءَ لنفوسٍ صُورَت  
 من سناء<sup>(٢)</sup> مع نفوسٍ من ظلام  
 أعتقتُ روحك من أغلالها  
 وأناشيدك من أسرِ الكلام  
 أنت بعد اليوم لا يشكو الطوى  
 جسمك العاني، ولا تخش السقام<sup>(٣)</sup>  
 أنت في الدنيا التي أحببتَها  
 وهي دنيا الحُر فيها لا يُضام  
 ليس فيها قيمٌ زائفةُ  
 تخدعُ العقل وأمالُ جهام<sup>(٤)</sup>  
 ليس فيها كالتي فارقتَها،  
 أعينٌ يقظى وأرواحٌ نيام  
 رويتُ نفسك من كوثرها  
 وبقيتنا عناءً وأوام<sup>(٥)</sup>  
 نمُ هنيئاً، إن أحلى غبطة  
 - مثلاً تعرفُ - رؤيا في منام!

\*\*\*\*\*

---

(١) لم تعد جاراً لأحد من الناس.  
 (٢) السناء: الرفعة، وأرادها للنور (السنا).  
 (٣) السقام: المرض. والعاني: المتعب.  
 (٤) الجهام: السحاب الذي لا ماء فيه.  
 (٥) الأوام: العطش. ونوار في الرأس.

## ٥١ - إنه الشاعر<sup>(١)</sup>

عندما أنشأ الوجود الله  
في زمانٍ في الدهر ما أقصاه  
وبدت في النّبات والماء والأحيا  
ء والصخر يقظة وانتباه  
فأطلت من السماء الدّراري  
وتجارت على الصّعيد المياه  
وترامى النّسيم في صفحة النّهر  
— برأسرارٍ وجّده وهواه  
وسرى الفجر يوقظ الروضة الوسّ  
نى ويؤذري على المروج نّده  
ومشى الليل بعده يطمس الأش  
— ياء إلا أحلامه ورؤاه  
والورود الحسناء إلا شذاها  
والغدير الطروب إلا صده  
نظر الله في السماء وفي الأر  
ض طويلاً فتمتت شفتاه:  
« إنني قد خلقت كوناً بديعاً  
كلُّ شيءٍ فيه كما أهواه  
غير أني نسيتُ أخلُق شيئاً  
لازماً لا يُتمّه إلاه

---

(١) يبدو أن المعني فيها: الشاعر الحمصي نسيب عريضة، وهو زميل أبي ماضي في (الرابطة القلمية)

وهو «عين» ترى الوجود كعيني  
ولسانٌ يقول: ما أحلاه!  
وإذا الله شاء أمراً قضاهُ  
أو تمنى وجود شيءٍ براه  
فإذا كائنٌ له هيكلٌ الطيب  
من وفي هيكل الترابِ إله!  
نو فؤادٍ تظلُّ فيه الأمانى  
في صباها، وإن تقضى صباه  
كلُّ من يعشقُ الجمالَ أخوهُ  
كل أرضٍ فيها الهوى مغناه  
هو الحقُّ غيظه ورضاهُ  
وهو الحبُّ ضحكُه وبُكاه  
من تُراه هذا الذي صاغه الله  
له كما يشتهيهِ لما اشتهاه؟  
إنه الشَّاعرُ الذي كلُّ دنيا  
تنطوي قبلَ تنطوي<sup>(١)</sup> دنياه  
كم سقانا خمراً بغيرِ كؤوسٍ  
فسكرنا ولم تذُقها الشُّفاه  
وأرانا الصُّباح والليلُ يغشا  
نا باكفانه كما يغشا  
يعشقُ الروض في حُلاه، ويهـُ  
—واه معرّى مجرداً من حُلاه  
يرتوي الناسُ بالمياه ويرويـُ  
له خريزٌ تصغي له أذناه

---

(١) في التقدير: « قبل أن تنطوي.



أيها السائلون عنه: لماذا  
ليس يسعى للغنى كسواه ؟  
ما الغنى عندكم ؟ فإني أخشى  
أن تكونوا جهالتم معناه  
أهو المال ؟ ما وجدت غنيّاً  
قط إلا وماله مـولاه  
أفمن كان كوكباً يهجر الأقد  
ق لتُمسي زجاجة مـثواه ؟  
والذي الكون داره، كيف يُرضي  
له انزواء في حفنة من ثراه ؟  
وجد المال عاتياً مستبداً  
فأبى أن يكون من أسراه  
لا تقولوا: ماذا اقتنى وحواه ؟  
أي شيء خياله ما حواه ؟  
إنه الشاعِر الذي ازدادت الدُّ  
يا بهاء لما غدت مأواه  
فاشربوا، يا رفاق، سرّفتي « العا  
صي » وحيوه، إنه إيّاه!

\*\*\*\*\*

## ٥٢ - تكريم الأب منصور إسطفان<sup>(١)</sup>

[الكامل]

لم أنس حين مشيت إليّ تلومني  
لما رأتنني باسماً مُستَهلاً  
قالت: أظرب، والمنايا حوّم  
في الأرض، كيف رمت أصابت مقتلاً ؟  
انظر، فقد خلت البيوت من الشبا  
بِولا جمالٍ لمنزلٍ منهم خلا  
فسألتها: أليس من أجل العُلا  
وهناكنا خاضوا الوغى ؟ قالت: بلى  
يا هذه، إذا بكيت لبُعدهم  
يتبسّمون ؟ أجابت الحسناء: لا  
كُفّي الملام إذن، فما أنا جاهلُ  
ما تعلمين، وكيف لي أن أجهلا ؟  
لكن بعثتُ الفكر في آثارهم،  
في البحر، في الأجواء، في عُرُض الفلا  
فرأيت نور المجد فوق بُنودهم  
ورأيتهُم يمشون من نصرٍ إلى..  
سلّوا على الباغي المسالك كلها  
فالموت إن ولى وإن هو أقبلا

---

(١) اقتصر جورج صيدح، من النص على أحد عشر بيتاً الأولى، ونشرها في الديوان الخامس الذي أشرف على إصداره بعد موت الشاعر، باسم (تبر وتراب النص ١٤)، وجعلها بعنوان عجز البيت الحادي عشر: (ستعود دنيانا أحب وأجملاً).

فإذا شممتِ اليوم رائحةَ الدما  
 وطالعتِ عيناك آثار البلى  
 فاستبشري، فغداً إذا النقع<sup>(١)</sup> انجلى  
 ستعودُ دنيانا أحبُّ وأجملاً  
 بالطامحين إلى الكمال، العاملي  
 ن على الإخاء، الناهضين إلى العُلا  
 ك «الإسطفاني» الذي لا يأتلي  
 حرباً على الباغي وعون المُبتلى  
 مستهدياً بـ «الناصرى»<sup>(٢)</sup>، مبشراً  
 بالحبِّ والغفران ما بين المَلَا  
 حلو المودة، لا يشوبُ ولاه  
 كَفُ، ولا يسلو الصديق وإن سَلَا  
 ما إن دعا داعِ النُصرةِ بئس  
 إلا وكان هو المُغِيثُ الأولَا  
 إن لم يشيّد هيكلاً من مرمَرٍ  
 فلقد بنى في كل قلب هيكلاً  
 خُلِقَ كماء المُرّن عذب طاهر  
 وسجيّةٌ تحكي الرحيقَ السُّلسلاً  
 يا ابن الألى ما دار يوماً ذكرهم  
 في محفلٍ إلا أضاء المحفلاً  
 كانوا ربيعاً زاهراً في جيلهم  
 ومضوا، وما زالوا ربيعاً مُقبلاً  
 لبس الحلى<sup>(٣)</sup> قومٌ فما شرفوا بها  
 وغُنيت بالخُلُقِ الرفيع عن الحلى

(١) الغبار

(٢) السيد المسيح (عليه السلام) وقد ولد في الناصرة.

(٣) يريد: الحلى، وجمعه: الحُلِي.

عَبثاً يَحَاوِلُ طَمَسُ فَضْلِكَ مُرْجِفٌ<sup>(١)</sup>  
لَا يَبْلُغُ النَجْمُ الْغَبَارُ وَإِنْ عَلَا  
كَمْ هَاجَمَتْ «لِبْنَانَ» رِيحٌ صَرْصَرٌ<sup>(٢)</sup>  
لَتَدَكُّهُ، أَرَأَيْتُمُوهُ تَزَلُّزاً ؟  
زَعَمَ الْقَصَائِدُ لَيْسَ تُشْبِعُ جَائِعاً  
لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ الْوُرُودَ لِتُؤْكَلَا !  
الْأَنْبِيَا - وَالْوَحْيِ شَعْرَ رَائِع -  
شَبِعُوا، وَمَا أَكَلُوا الْكِتَابَ الْمُنْزَلَا !  
الشَّعْرَ رِيحَانُ النَفُوسِ إِذَا صَفَتْ  
أَمَّا إِذَا كَشَفَتْ طَبِيعَتَهَا فَلَا  
فَاغْفِرْ مَسَاعَتَهُ، فَإِنَّ الْحُرْمَنَ  
يَعْفُو عَنِ الْجَانِي الْأَثِيمِ تَفَضُّلاً



سُقْتُ الثَّنَاءَ إِلَيْكَ حُلُوءاً سَائِغاً  
لَوْلَمْ يَكُنْ فِي مَدْحِ شَخْصِكَ مَا حَلَا  
هَؤُلَاءِ قَوْمُكَ، يَا حَبِيبَ قُلُوبِهِمْ،  
وَأَفُوا كَمَا تَرِدُ الطِّيُورُ الْمُنْهَلَا  
لَمْ يُكْرَمُوا الْعِشْرِينَ وَالْخَمْسَ الَّتِي  
مَرَّتْ، بَلِ الْأَدَبُ الصَّحِيحُ الْأَنْبِلَا  
عَشْ، يَا صَدِيقِي، مِثْلَهَا فِي مِثْلَهَا  
لِلْعِلْمِ رُكْنًا، لِلْفَضِيلَةِ مَوْئِلًا



---

(١) أَرْجَفُ: خَاضَ فِي الْأَخْبَارِ الْكَاذِبَةِ  
(٢) رِيحٌ صَرْصَرٌ: شَدِيدَةُ الْبَرْدِ، وَشَدِيدَةُ الصَّوْتِ.

### ٥٣ - رثاء إلياس عطا الله<sup>(١)</sup>

[الكامل]

دنيا من الأموال والأحلام  
زالت وغابت مثل طيف منام  
عصف الردى بورودها فتناثرت  
ومضى بشاديها وبالأفهام  
لم يبق فيها دوحه تحنو على  
تعب، ولا ماء يفيض لظامي  
أرسلت صوتي في جوانبها فلم  
يرجع إلى أذني غير كلامي  
«إلياس» إنك أنت دنياي التي  
ضيعتها، ورجعت بالآلام

يا صاحباً قد كنت أستهدي به  
إن ضاع مصباحي، وجن ظلامي  
لا تسألني عن فؤادي، إنني  
سلمت للأحزان قلبي الدامي  
أرفيق روعي، قد أتيت مسلماً  
«إلياس» ما لك لا ترد سلامي؟  
عجبا، كأنك في زمان غابر  
أو موضع قاص وأنت أمامي

---

(١) ألفاها الشاعر في حفل تأبين زميله في (الرابطة القلمية) إلياس عطا الله (١٩٤٣)، في بروكلن، جنوبي نيويورك.

أنا مع رفاقك تائقون لقولة  
أو لفظة، فانطق ولو بلام  
يا عظم خيبتنا، فإننا نبتغي  
خمراً، ولا من خمر في الجام  
إن الذي قد كان معنا قد سما  
عنا، وصار مع الإله السّامي  
ومن استوى في عالم الأرواح لا  
يدنو إليه عالم الأجسام

\*\*\*\*\*

## ٥٤ - دار «السمير» الجديدة<sup>(١)</sup>

[الرجز]

يا مرحباً بالأصدقاء، مرحباً  
ملأتم الدار وروحي طرباً  
ضحكتُ لما قيل لي: الصيفُ انقضى  
وأنتمُ حولي كأزهار الربا  
صيرتموها فلأماً مؤثلاً  
لما طلعتُ في ذراها شهباً  
وصارت الدنيا بعيني جنةً  
وصار مائي كوثرأ، بل أعذباً  
لوجئتكم من «عقري»<sup>(٢)</sup> بسحرها  
وسقتُ في شعري الدَّري<sup>(٣)</sup> موكباً  
لما وفيتُ بعض بعض دِينكم  
ولا قضيتُ اليوم شكراً وجباً  
من يستفد مثلي صحاباً مثلكم  
قد استفاد أدباً ونسباً  
ما كانت «السمير» إلا ورقاً  
لولاكم، والدار إلا خشباً  
إن كان من حُسْنِ فمَنكم قد أتى  
ما قيمة المصباح لولا الكهربا

---

(١) ألقاها الشاعر في حفل تأبين زميله في (الرابطة القلمية) إلياس عطا الله (١٩٤٣)، في بروكلن، جنوبي نيويورك.  
(٢) أرض الجن التي توحى بالشعر (ولكل شاعر شيطان يتبعه ويوحى إليه)، في الأسطورة المتناقلة، وإليها ينسب الشعراء فيقال (العقري، والعباقرة).  
(٣) نجوم السماء التي تضيء.

لو كانت «السمير» من أهل الغنى  
سأقت تحاياها إليكم ذهباً  
أو روضةً، أهدت إليكم زهرها  
أو عطرها مع القبول والصُّبَا<sup>(١)</sup>  
أو فاكهاً، رفّت عليكم وحنّت  
وعأقت في كل بيت كوكبا  
أو جلولاً، غنّت لكم مياهاً  
ما دمتُم تُصغون حتى تنضبوا  
لكنها جريدة قد أنشئت  
لتخدم العلم وتُعلي الأدبا  
تريد للناس الحياة حرةً  
للناس طُراً «عجماً» و«عرباً»  
تنفق مما عندها وإنها  
لتنفق العمر اللذيذ الطيباً  
لا تطلبوا منها سوى ما ملكت  
لا تملك الصهباء إلا الطُربا

\*\*\*\*\*

---

(١) الريح الندية التي تهب من نجد.



## ٥٥ - إلى عازر داود

[الرمل]

أيها الجالسُ بين النجمتين  
غَنِّنا، يا صاحبي، أنشودتين  
قد شربنا خمرة الكرم، وإن  
أنت أنشدت شربنا خمرتين

\*\*\*\*

## ٥٦ - إلى المونسينيور منصور إسطفان<sup>(١)</sup>

[الكامل]

هذي تحيُّتُنا إلى «المنصور»  
مشفوعةً بتحيّة الجمهور  
مع أنفُس الشعراء نرسلُ شوقنا  
فاسمع بأنن الروح لحن شعور  
وانشَقَّ أريج قلوبنا، فقلوبنا  
من وجدها كمجامر البخور  
يا نسر «لبنان» المخلَّق في الفضاء  
المجدُّ تحت جناحك المنشور  
فاسلمْ لأمتك التي تبني لها  
لتزيدها من سعيك المبرور

\*\*\*\*

---

(١) أحد الأنبياء (انظر النص ٥٢). وألقيت الأبيات في حفلة أقيمت لتدشين كنيسة لبنان ( ألقاها سعيد عقل عريف الحفلة).

## ٥٧ - رثاء نجلاء صباغ<sup>(١)</sup>

[الكامل]

رجع الربيعُ إلى المدائن والقُرى  
نوراً وعطراً في السُّفوح وفي الذُّرا  
لَمَسْتُ يداه العُود أجرد يابساً  
فإذا به قد صار رطباً أخضرا  
لله منه ساحراً ومصوراً  
بهرت عجائبه العقول وحيّرا  
عرض الجمال وقال للناس: انظروا  
فأله قد خلق العيونَ لتنظرا  
لكنّما العينُ التي كانت ترى  
ألقَ الربيعِ وحسنه ليست ترى  
الموتُ أغمضها على غير الرؤى  
ما في الردى شيءٌ كأحلامِ الكرى  
لكنّما القلبُ الذي يهوى الشدا  
والنور، قد أمسى دفيناً في الثرى  
إن لم نرحب بالربيع ولم نهم  
بالحسنِ فيه، فحقُّنا أن نُعذرا  
فلقد أضعنا حين جاء إلى الحمى  
في بنت «مطران» ربيعاً أنورا  
سكتتُ لكي تتحدث الدنيا بها  
وغفتُ لكي تبكي العيونُ وتسهر

---

(١) زوج أحد أصدقائه (قيصر صباغ). وألقت الأبيات في حفلة دفنها، في ميلفورد بينسلفانيا

« نجلاءٌ » إنك روضةٌ معطارةٌ  
عصف الحمام بها، فعاثَ وبعثرا  
رحلتُ عن القصر البشاشةُ وانطوى  
عهد الصفا والأنسِ في «أم القرى»<sup>(١)</sup>  
فاليوم لا الأرواحُ تبسمُ للمنى  
فيه، ولا الذاتُ تجري كوثرا  
أفنيتِ نفسك كالشموع توقداً  
وقطعتِ عمرَكَ كالكوكب في السرى  
فازددتِ مجداً في الزمان وشهرةً  
وازداد قومك رفعةً بين الورى  
زانتك في الدنيا شمائلُ حرةً  
هي كالجواهر إنما لا تُشتري  
فعليك، يا فخر النساء وفخرنا،  
منا السلام ممسكاً ومعطراً  
ولـ «قيصر» منا العزاء، فـ «قيصر»  
كالنسر هيض جناحه وتكسراً  
بل صار بعدك، يا رفيقةً عمره،  
وتراً، يغص بالحنه مُتعثراً  
إننا نودّع نجمةً وضاءةً  
زالت، وندفن كنز فضلٍ في الترى

\*\*\*\*

(١) لقب ميلفورد بينسلفانيا (انظر النص ٣ من الديوان الثاني، والنص ١٢ من «تبر وتراب»).

## ٥٨ - في حفلة تكريمه ببيروت<sup>(١)</sup>

[مجزوء الكامل]

المرء ليس يُقَّاسُ في الدُّ  
دُنْيَا بعِلْمٍ أو بجهلٍ  
بل بالذي في طبيعته  
الفطري من كرمٍ ونُبْلٍ  
فَلَرَبُّ ذِي عِلْمٍ أَسَا  
ءُ لَأَهْلِهِ وَلِغَيْرِ أَهْلٍ  
وَلَرَبُّ ذِي جَهْلٍ أَفَا  
دُ النَّاسِ فِي خَصْبٍ وَمَحَلٍ  
لَوْلا ارْتِفَاعُ نَفْسِكُمْ  
لَمْ يَرْتَفَعْ أَبْدَأُ مُحَلِّي  
لَوْلا عِيُونُكُمُ الْحَبَّاءُ  
مَا تَرَأَى قَطُّ قَضَائِي  
دَامَتْ مَكَارِمُكُمْ لَكُمْ  
يَشْدُو بِهَا الشُّعْرَاءُ مَثَلِي

\*\*\*\*\*

---

(١) الأبيات الختامية للقصيد التي ألفها الشاعر في الحفلة التي عُلق فيها مدير خارجية لبنان وسام الأرز الوطني اللبناني من رتبة ضابط.

## ٥٩ - في حفلة تكريمه بدمشق<sup>(١)</sup>

[الكامل]

أنا إن شكرتُك يا «أبا حسان»  
أعليتُ من قدرِي وقدرِ بياني  
أشرقَت في نفسي سناً فأريتَنِي  
وجهَ الربيعِ ولستُ في «نيسان»  
سأتِيهُ أنِّي في زمانك عائشُ  
ومعي يتيهُ - كما أتيه - زَماني

\*\*\*\*

## ٦٠ - في صالة منصور

[مجزوء الرمل]

شربتُ عَيْنَـكَ رُوحِي  
فَهِيَ في عَيْنِـكَ سَحَرُ  
وأَذابَ الحُبِّ قَلْبِي  
فَهو في كَأْسِي خَمَرُ  
هذه الـيَـلَةُ دُنْيَا  
كُلُّ ما فيها يَسُرُ  
لا تَقْلُ لَيْلٌ ويمضي  
ليس لَأُذة عُمُرُ

\*\*\*\*

---

(١) الخطاب في الأبيات لرئيس جمهورية سورية يومذاك (١٩٤٩) شكري القوتلي.

## ٦١ - في بيت فخري البارودي<sup>(١)</sup>

[السريع]

يا صاحبي! قد كَمَلَ المجلسُ  
ونحن نَحْنُ الملأُ الأقدسُ  
لننْعَسِ الأنجمُ في أفلاكها  
سنسهرُ الليلَ ولا نَنْعَس!

\*\*\*\*

## ٦٢ - إلى توفيق فخر<sup>(٢)</sup>

[الرجز]

رافقك ألَهْناءُ، يا رفيقُ  
وعُدتْ بالتوفيقِ، يا «توفيقُ»  
يا شاعراً أخلاقهُ كشعره  
متانهُ، كقلبه رقيقُ  
أنت صديقٌ لا يحولُ ودُّه  
في زمنٍ قلَّ به الصديق

\*\*\*\*

---

(١) في سهرة موسيقية، في بيته. وقد داهم الندامى النعاس.  
(٢) كان يعاون الشاعر في تحرير جريدة (السمير)، وكان على أبواب رحلة إلى جمهورية النومينيك.

## ٦٣ - إلى رشيد أيوب<sup>(١)</sup>

[الطويل]

رأيتُك تحت الليل كالليل ساكتاً  
وعند ضفاف البحر تهدر كالبحر  
تئنُّ من الدنيا التي طال جورها  
وتشكو من الدهر الخؤون إلى الدهر  
بكيت فأبكيت الجلامد في الثرى  
ونُحت فحرمت الرُقّاد على البدر  
فأصبح في هذي السّموات حائراً  
كصاحب إيمانٍ يميل إلى الكفر  
أراه بعيني مُصغياً كل ليلة  
لأنك قد عودته رنة الشُّعر  
أرى فيك من «شيخ المعرة» نفحةً  
وفي نفحات «الشيخ»<sup>(٢)</sup> شيءٌ من السحر  
وهبتك من شعري وعندك مثله  
ولو كنتُ ذا تبرٍ وهبتك من تبري  
وإن لم يكن هذا ولا ذاك شافعاً  
فإني قد ألقيتُ حملي على «شكري»<sup>(٣)</sup>

\*\*\*\*

---

(١) إثر صدور ديوانه (الأيوبيات). وكان يلقب بالشاعر الدرويش. انظر رثاء أبي ماضي إياه (النص ٥٠).

(٢) أبو العلاء المعري.

(٣) شكري أبو صالح الذي كتب له الشاعر (النص ٢١).

## ٦٤ - «زحلة الفتاة»

[الرمل]

لي فتاة ملأت صدري جوى<sup>(١)</sup>  
ذاب فيها القلب شوقاً واحترق  
كل يوم لي منها موعد  
في صباح، في مساء، في غسق<sup>(٢)</sup>  
لا تظنوني أثيماً في الهوى  
فـ «فتاتي» من مداد وورق

\*\*\*\*

## ٦٥ - «شعار السмир»<sup>(٣)</sup>

[الرمل]

أنا لا أهدي إليكم ورقاً  
غيركم يرضى بحبر وورق  
إنما أهدي إلى أرواحكم  
فكراً تبقى متى الطرس<sup>(٤)</sup> احترق

\*\*\*\*

---

(١) الحرقه وشدة الوجد (جوي - بجوي).

(٢) أول ظلمة الليل.

(٣) جريدة أبي ماضي التي أصدرها ابتداءً من سنة ١٩٢٩

(٤) الورق.



## المحتوى

### (ما لم تجمعه الدواوين)

- ١ - إلى بطل الوطنية (الشيخ عبد العزيز جاويش) ..... ٩٤٥
- ٢ - مصر والاحتلال ..... ٩٩٧
- ٣ - روزفلت ومصر ..... ١٠٠١
- ٤ - عيد الحرية العثماني ..... ١٠٠٢
- ٥ - نفثة مصدور ..... ١٠٠٦
- ٦ - نجوى لبناني ..... ١٠١٠
- ٧ - عتاب إلى إلياس عطا الله ..... ١٠١٣
- ٨ - اليهودي التائه (أو كل حامل كشكول) ..... ١٠١٦
- ٩ - وقَّفْ عليك الشعر (إلى كل حامل كشكول) ..... ١٠٢١
- ١٠ - ماذا ؟ ..... ١٠٢٥
- ١١ - حكاية ..... ١٠٣٠
- ١٢ - أيا عجل اليهود ..... ١٠٣٤
- ١٣ - يانوح أين دلائل الطوفان ؟ ..... ١٠٣٨
- ١٤ - توديع رستم بك ..... ١٠٤٤
- ١٥ - إلى شاعر «السائح» ..... ١٠٤٧
- ١٦ - انقر يا دف على الطارة ..... ١٠٥١
- ١٧ - وقائلة ..... ١٠٥٤
- ١٨ - يا قومي ! ..... ١٠٥٧
- ١٩ - يا هذا ! ..... ١٠٦١
- ٢٠ - ماذا نقول ؟ ..... ١٠٦٤
- ٢١ - إلى شكري أبي صالح ..... ١٠٦٧

|                                                 |
|-------------------------------------------------|
| ٢٢ - و ..... ١٠٧٠                               |
| ٢٣ - ما كان أحوجني ..... ١٠٧٣                   |
| ٢٤ - تنصير نور عبد المجيد حداد ..... ١٠٧٤       |
| ٢٥ - النكبة في سوريا ..... ١٠٧٦                 |
| ٢٦ - انقر يا دف على الطارة ..... ١٠٧٧           |
| ٢٧ - توديع أمين الرحاني ..... ١٠٧٩              |
| ٢٨ - إكليل توفيق خوري ..... ١٠٨٤                |
| ٢٩ - حاملات الطيب ..... ١٠٨٦                    |
| ٣٠ - ولقد ذكرتك ..... ١٠٨٨                      |
| ٣١ - تنصير ابن حنا نحاس ..... ١٠٨٩              |
| ٣٢ - جمعية الصليب الأحمر السورية ..... ١٠٩١     |
| ٣٣ - توديع نعمة تادرس ..... ١٠٩٢                |
| ٣٤ - دار رشيد أيوب ..... ١٠٩٤                   |
| ٣٥ - رثاء المطران أثاناسيوس عطا الله ..... ١٠٩٥ |
| ٣٦ - جمعية الاتحاد السوري ..... ١٠٩٨            |
| ٣٧ - نشيد يوسف بك كرم ..... ١١٠١                |
| ٣٨ - إلى ندره حداد ..... ١١٠٣                   |
| ٣٩ - في عرس ندره حداد ..... ١١٠٤                |
| ٤٠ - كذا الإله خلقه ..... ١١٠٦                  |
| ٤١ - النار أشره آكل ..... ١١٠٨                  |
| ٤٢ - إلى النابج العاوي ..... ١١٠٩               |
| ٤٣ - دعه ينبج ..... ١١١٤                        |
| ٤٤ - خطبة ميشيل حداد ..... ١١١٥                 |

|      |                                   |
|------|-----------------------------------|
| ١١١٦ | ٤٥ - الجدول الطروب                |
| ١١١٧ | ٤٦ - صوت بلادي                    |
| ١١١٨ | ٤٧ - يا ليتني                     |
| ١١١٩ | ٤٨ - الزمهرير في نيسان            |
| ١١٢٠ | ٤٩ - النجمة الهاوية               |
| ١١٢٣ | ٥٠ - رثاء رشيد أيوب               |
| ١١٢٥ | ٥١ - إنه الشاعر                   |
| ١١٢٨ | ٥٢ - تكريم الأب منصور إسطفان      |
| ١١٣١ | ٥٣ - رثاء إلياس عطا الله          |
| ١١٣٣ | ٥٤ - دار «السمير» الجديدة         |
| ١١٣٥ | ٥٥ - إلى عازر داود                |
| ١١٣٥ | ٥٦ - إلى المونسينيور منصور إسطفان |
| ١١٣٦ | ٥٧ - رثاء نجلاء صباغ              |
| ١١٣٨ | ٥٨ - في حفلة تكريمه ببيروت        |
| ١١٣٩ | ٥٩ - في حفلة تكريمه بدمشق         |
| ١١٣٩ | ٦٠ - في صالة منصور                |
| ١١٤٠ | ٦١ - في بيت فخري البارودي         |
| ١١٤٠ | ٦٢ - إلى توفيق فخر                |
| ١١٤١ | ٦٣ - إلى رشيد أيوب                |
| ١١٤٢ | ٦٤ - «رحلة الفتاة»                |
| ١١٤٢ | ٦٥ - شعار «السمير»                |
| ١١٤٣ | - الفهرس                          |

\*\*\*\*\*

## المحتوى العام

- الديوان الأول - الجزء الأول (تذكار الماضي) ..... ٧٧
- الديوان الأول - الجزء الثاني ..... ٢٤٥
- الديوان الثالث (الجداول) ..... ٥٥١
- الديوان الرابع (الخمائل) ..... ٦٦٧
- الديوان الخامس (تبر وتراب) ..... ٨٤٧
- ما لم تجمعه الدواوين ..... ٩٩٣

\*\*\*\*\*



الناشر

مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

الكويت 2008